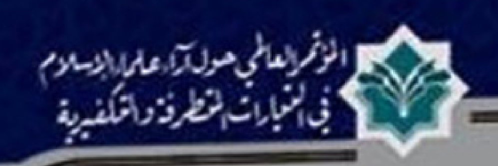
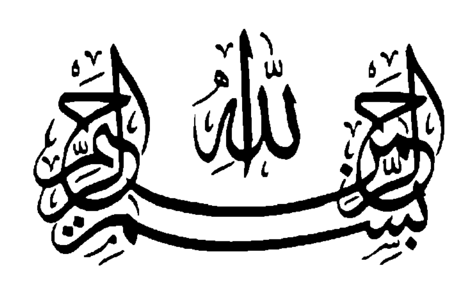


الوهابية المتطرفة

موسوعة نقدية


بسم الله الرحمن الرحيم



المجلد
الرابع

سرشناسه: فرمانیان، مهدی، ۱۳۵۲ - ، گردآورنده

عنوان و پدیدآور: الوهابیة المتطرفة: موسوعة نقدیة/ تألیف جمعٌ من المولفین؛ باهتمام مهدی فرمانیان؛ بطلب من المؤتمر العالمي «آراء علماء الإسلام في التیارات المتطرفة والتکفیریة»

مشخصات نشر: قم: دارالإعلام لمدرسة اهل البیت (ع)، ۱۳۹۳ -

مشخصات ظاهری: ج.

شابک (ج.۴): 978-600-7667-01-9 (V.4)

شابک (دوره): 978-600-94845-8-4 (V.SET)

وضعیت فهرستنویسی: فیپا

یادداشت: عربی

یادداشت: فهرستنویسی بر اساس جلد چهارم: ۱۳۹۳

یادداشت: این مجموعه ۵ جلدی است و شامل چندین کتاب در نقد وهابیت افراطی است که توسط علمای اهل سنت تألیف شده است.

یادداشت: کتابنامه

موضوع: وهابیه - عقاید - نقد و تفسیر

موضوع: سلفیه - عقاید - نقد و تفسیر

موضوع: تکفیر - نقد و تفسیر

موضوع: وهابیه - عقاید - نظر اهل سنت

موضوع: سلفیه - عقاید - نظر اهل سنت

شناسه افزوده: کنگره جهانی جریان های افراطی و تکفیری از دیدگاه علمای اسلام (نخستین: ۱۳۹۳: قم)

رده بندی کنگره: ۱۳۹۳ ۹و۴ف/ BP۲۳۸/۵

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۱۶۴

شماره کتابشناسی: ۹۳۲۹۷۴۱۶

المؤتمر العالمي «آراء علماء الإسلام في التيـارات المتطرفة والتكفيرية»

قم، شارع الشهداء، ناصية زقاق ۲۲، رقم البناية ۶۱۸

هاتف: ۰۲۵-۳۷۸٤۲۱٤۱

البريد الالكتروني: info@makhateraltakfir.com

الموقع الالكتروني: www.makhateraltakfir.com

الوهابية المتطرفة: موسوعة نقدية ـ المجلد الرابع

بطلب من: المؤتمر العالمي "آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرّفة والتكفيرية"

باهتمام: الدكتور مهدي فرمانيان

الناشر: دارالإعلام لمدرسة اهل البيت عليهم السلام

الإخراج الفني: سالم فيض الله

تصميم الغلاف: محمد مهدی اسعدی

المشرف على الطباعة: سيد محمد موسوی

الطبعة: الأولى، ۱۴۳۵هـ

الكمية: ۵۰۰ نسخة

طبع و تجليد: سليمان‌زاده

سعر الدورة: ۱۵۰/۰۰۰ تومان

ردمك الدورة: ۹۷۸-۶۰۰-۹۴۸۴۵-۸-۴



قم، شارع الشهيد فاطمي، زقاق۲، الفرع الأول، رقم البناية ۳۱

هاتف: ۰۲۵ ـ ۳۷۷۴۰۷۲۹

البريد الألكتروني: info@darolelam.ir

عنوان الموقع: darolelam.ir

الفهرس

تاريخ الوهابيين

هؤلاء هم الخوارج

النقول الشرعية في الرد على الوهابية

التوسل في سنة النبي و اصحابه

البيان النبوي عن فضل الاحتفال بمولد النبي

تاريخ الوهابيين

تاليف

ايوب صبري

ترجمه من التركية وعلق عليه:

د . مسعد بن سويلم الشامان

الاستاذ المشارك بكلية الآداب. جامعة الملك سعود

أيوب صبري

هو أيوب صبري باشا الجنرال الرومي الحنفي الذي كان يشغل منصب رئيس ديوان المحاسبات البحرية و كان مُعاصراً لمحمد بن عبد الوهاب، و لهذا و كِّلَ بمراقبة أفعال بن عبد الوهاب و كتابة التقارير عنه و تقديمها للخليفة العثماني. توفّي أيوب صبري في شهر صفر من عام (١٣٠٨هـ).

أمّا أهمّ الكُتب التي صنّفها صبري فهي:

١ ـ تَارِيخ الوهابية؛

٢ ـ تَكْمِلَة المَنَاسِك؛

٣ ـ شرح قصيدة «بَانَتْ سعاد» باللغة التركية؛

٤ ـ مَحْمُود السّير؛

٥ ـ مِرْآة الحَرَمَيْنِ (في خمس مجلدات مطبوع)؛

٦ ـ نجاة المُؤمنِينَ.

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

لمدرسة اهل البيت عليهم السلام

مقدمة

لقد أردت أن أكتب تاريخاً موجزاً خاصاً باسم «تاريخ الوهابيين»، يستعرض تاريخ ظهور الوهابيين، الذين استولوا على منطقة الحجاز المقدسة في عام ١٢٢٢هـ و يبين كيف انتهوا وزالوا. إلا أن هذه الفئة الحقيرة تمثل مذهبا للضلالة، قام على انقاض مذهب القرامطة و بقايا عقائدهم، و لهذا رايت أن الحاجة تستدعي تقديم معلومات أوليه عن حوادث القرامطة العجيبة، و خلاصة عن وضع الدولة العباسية التي كانت تحكم البلاد الاسلامية وقت ظهور القرامطة، و تقديم نبذة عن كيفية ظهور هذه الفرقة الباغية و انتشارها، و ماهية مذهبهم و عقائدهم.

كانت الدولة العباسية عند ظهور نحلة القرامطة قد دخلت في طور الانحطاط و الانهيار، فكانت شؤون الناس و الرعية في يد رجال تغلبوا على السلطة و شغلوا منصب «امير الأمراء»، وقام كل والٍ من الولاة بالاستقلال عن الدولة، و ارتكبوا المظالم، وساموا الرعية العسف والجور والغدر، وضيقوا عليهم سواء كان ذلك في بغداد، مركز الخلافة، أو في ولايات الأطراف.

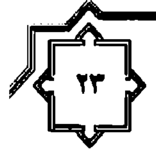
في تلك الأثناء، ظهر في عام ٢٨٩هـ رجل ضال يدعى يحيى بن زكرويه، ونزل ضيفاً على احد أعيان بلدة القطيف اسمه علي بن يعلى، و أفهمه، بأسلوب شيطاني، أنه مرسل من الإمام محمد المهدي، وأنه زمن ظهوره قد اقترب. وأخذ

يحيى بن زكرويه بهذه الحيلة الماكرة يدعو أهالي القطيف سراً للإيمان بمعتقده. واستطاع إقناع قسماً ممن لا عقل لهم و لا تمييز من سكان القطيف و البحرين، وخدعهم بتلبيساته، حتى أدخل في زمرته أحد رؤساء القبائل هناك، و يدعى أبا سعيد الحسين بن بهرام الجنابي. و بعدذلك اختفى ولم يعثر له على أثر.

وطالت مدة غياب يحيى بن زكرويه، ولكنه عاد مرة ثانية، و أظهر للناس رسالة مزورة ادعى أنها بخط المهدي، كلفه فيها بدعوة الناس إلى مذهبه، و أن يجمع من كل فرد من أتباعه ستة دراهم و أربعة دوانق لتسلم للإمام المهدي. وبفضل هذه الحيلة جمع أموالاً طائله لا حصر لها، ثم اختفى عن الوجود ثانية.

ثم ظهر للمرة الثالثة، وأظهر للناس هذه المرة أيضا خطابا آخر مزورا يضم إرادة و طلب من الامام المهدي بجمع خمس اموال تابعيه و أنصاره، ليسلمها للإمام المهدي. و فعلاً نجح في جمع أنواع من المال و ألوان من الأشياء الثمينة مما لا يدخل تحت الحصر و العدّ. و في تلك الأثناء نزل ذات ليلة، ضيفاً على أبي سعيد الجنابي في بيته التعيس، فأكرمه غاية الكرم، حتى أنه قدّم له زوجته ليضاجعها، و أبان عن ديوثيته و إلحاده و وضاعته.

و لما شاع خبر احترام أبي سعيد الزائد ليحيى بن ذكرويه، ورعايته له، و إظهاره الاباحيه لدرجة أنه قدّم له زوجته التي في عصمته، بدأ الناس تبادلون القيل و القال فيما بينهم؛ فقيضت الحكومة على يحيى بن زكرويه، و أهانته و نكلت به. وبعد مدة من الزمن نفته إلى خارج حدود البحرين. ولكن ذلك الكلب الملحد وصل إلى ديار قوم من بني كلاب، واجتهد في نشر مذهبه الباطل بينهم، و بمعاونة قبائل بني كلاب تمكن من جمع قوة كبيرة، و استولى بها على دمشق و أطرافها، و سفك فيها دماء المسلمين، وهتك أعراض نسائهم، و ارتكب أنواعا من المفاسد و المظالم ارتقى بها قمة البغي و الكفر.



و لقد انتشر الغوغاء من أتباعه في أنحاء الشام كأسراب الجراد، و كانت قواته تتغلب أحياناً على القوات المرسلة لمحاربته، و في أحيان كانت تلحق به وبقواته الهزيمه. و لقد انقسم القرامطة بعد ذلك إلى عدد من الفرق، وتزايد عددهم بمرور الوقت، وأعملوا السيف وسفكوا الدماء في كل أرض وطأتها أقدامهم. حتى أنهم هجموا على قافلة للحجاج، وقتلوهم عن بكرة ابيهم ولم ينج منهم أحد، حتى بلغ عدد القتلى عشرين ألفاً من الأنفس البريئة.

أما الفاسق أبوسعيد، فقد تيقن أنه سيقع في قبضة الدولة، ولهذا جمع كلاب القرامطة الذين التفوا حوله، و هاجم بهم بلدة القطيف، و انتزعها من يد العباسيين، و قتل من لم يدخل في مذهبه الإلحادي الإباحي من أهل التوحيد و الإيمان، و أبادهم جميعاً. عقب ذلك، نهب البحرين و ما جاورها من البلاد، و ألحق بأهل الأيمان إهانات يعجز اللسان عن وصفها، ثم تجرا و استولى على البصرة و ما حولها، و أصبح والياً على الغوغاء الذين دخلوا في مذهبه الرافضي الإحادي، و بذلك وسع من دائرة الإباحة و التفسخ و الفساد و الزندقة.

و لقد جرت هذه الحوادث الأليمه في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله، الذي أراد بخياله المحال أن يشتت فرقة أبي سعيد هذه ويستأصلها، فساق عليهم جيشاً يقوده عباس بن عمر الغنوي.

إلا أن أبا سعيد تمكن من هزيمة الغنوي، وقتل سبعمائة رجل من جنوده، و ترك عباس الغنوي ولم يقتله. و بعد ذلك، استدعى أبو سعيد عباساً، و هو يقول له: «اعلم يا عباس إننا، نحن القرامطة، رجال نعيش في القفار، و نرتحل في الفيافي، و نقنع بالقليل من الزاد والمتاع. ولو جمعت جنود الدولة العباسية و سقتهم علينا، فأقسم بالله لأغلبنهم جميعاً في أول حملة عليهم، فرجالي أشداء يتحملون كل ما ينزل بهم، و آمنوا بأن الراحة و الدعة و التنعم بالرفاهية حرام.

أما جند بغداد يقضون أيامهم ولياليهم في الراحة ورغد العيش و تعودوا على لذيذ المأكل. و يعيشون في ظل نعم الخليفه، فلهذا لا طاقة لهم بالحرب. وإذا ما فكر جنودك في ترك النعيم والدعة التي هم فيها، وأرادوا محاربتنا، و غامروا بقطع الصحراء نحونا، لماتوا كما يموت السمك إذا خرج من الماء. و إن حالة الخور و الضعف التي اعترت جنودك الذين سقتهم علينا في هذه المرة، و ما كانوا عليه من الهوان في لحظة خروجهم من بغداد، وهلاكهم في أول قتال، لدليل كاف لإثبات ما أقول. و إذا ما أرسلت بقوات أكثر منهم قوة و عدداً، والتقوا بجنودي الذي جهزتهم للحرب، فسوف ننسحب و نفر من أمامهم، و نستدرجهم، حتى إذا ما أنهكوا و بلغ بهم التعب مبلغه حشرناهم في مكان ضيق، و قطعنا عليهم خط الرجعة، ثم أفنيناهم عن بكرة أبيهم ولذا فمن الأجدى أن تترك محاربتي، وتتخلى عن الزج بالجنود إلى المهالك. و لقد استبقيتك ولم أقتلك لكي تستوعب هذه كلماتي هذه و تعيها جيداً، فانقلها و تحدث بها أمام الخليفة دون أن تنقص منها حرفا». ثم فك أسره، و تركه يعود.

وبعد أن عاد عباس بن عمر الغنوي إلى بغداد، أبلغ الخليفة المقتدر بالله بتفاصيل ما جري، و نقل له كلام أبي سعيد. فداخل الخليفه خوف شديد و ذعر حتى أنه لم يطق ذكر اسم القرامطة على لسانه.

ولكنه استطاع بعد عدة سنوات، أن يشتت شمل القرامطة الذين ظهروا في الكوفة، و حرضوا الأهالي على الثورة و الفساد والإخلال بالأمن، و تمكنت القوات التي أرسلت من بغداد من أن تذهب ريحهم.

وقام أبوطاهر، وهو ابن أبي سعيد، بتزعم أعمال الفساد، فأغار على قوافل الحجيج ونهبها وسبى النساء. وأساء معاملة الرجال و النساء و أهانهم بوحشيه و شناعة. ولما أرسلت عليه الحملات العسكريه، هزمها الواحدة تلو الأخرى،



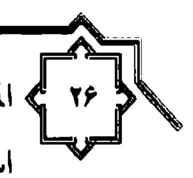
وأبادها. ولهذا، أرسل الخليفه المقتدر يوسف بن أبي الساج للمرة الثانيه على رأس قوة عسكريه قوامها ثلاثون ألف رجل.

ولما اقترب يوسف بن أبي الساج من القرامطة، أرسل إلى أبي طاهر رسولاً يبين له ضخامة القوة العسكريه التي جاء على رأسها، ويحذره، ويدعوه إلى الدخول في طاعة الخليفه. ولكن أبا طاهر رد عليه بقوله: «قل ليوسف بن أبي الساج، إني سأقبض عليه في الغد، وسأربطه في حبل واحد مع هذا الكلب». وقال ذلك و هو يشير إلى كلب قد ربط إلى وتد الخيمه، وطرد رسول ابن أبي الساج.

و بالفعل، ففي الغد تمكن أبو طاهر من أسر يوسف بن أبي الساج و أتباعه، و أوثقهم وكبلهم بالحديد.

و بعد أن كسب أبو طاهر هذه المعركة، عبر بثلاثمائة رجل من القرامطة نهر الفرات، واستولى علي بلدة الأنبار القريبة من عاصمة الخلافة. وأوقع الهزيمة بحملتين عسكريتين أرسلتا لقتاله، ثم أعدم يوسف ورفاقه الذين كانوا في الأسر، فأدخل الرعب و الذعر في قلوب الناس. و فرض خراجاً سنوياً على أهالي الأنبار قدره دينار ذهبي عن كل نفس. و عقب ذلك لحق بشروره أرض الحجاز المباركة، فهاجم مكة المكرمة، ووطأ بقدمه النجسة المنحوسة أرض المسجد الحرام. وقتل بسيف الغدر في داخل المسجد ثلاثين ألف من الحجاج الأبرياء معصومي الدماء كان أغلبهم بملابس الإحرام، وقليل منهم كان داخل الكعبة المشرفة. و احرق بعض المباني بمكة المكرمة و أحالها إلى خراب، ثم قلع الحجر الأسود من مكانه ليحمله إلى بلدة هجر، وهي مسقط رأسه.

وكان مقصد أبي طاهر من نزع الحجر الأسود من ركن الكعبه المشرفه و نقله إلى هجر، هو تحويل طريق الحج إلى بلدته تلك، وأن يلحق الكساد بسوق الكعبه



المشرفة المليء بالفيض والبركة. ولهذا الغرض أقام بيتا ضراراً في هجر أطلق عليه اسم «دارالهجرة»، و لقد أبقي الحجر الأسود هناك مدة تقارب اثنتين و عشرين سنه.

و في اليوم الذي ارتكب فيه المجازر في محيط المسجد الحرام، قلع بيده النجسة الصفائح الذهبيه التي تزين باب الكعبة المشرفة، ونزع كسوة الكعبه و استولى على الهدايا و الأشياء الثمينة التي كانت محفوظة الكعبة، ووزعها على جنوده.

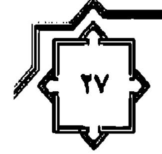
ولما أراد أن يقلع الميزاب الذهبي من على الكعبة المشرفة، لم يفلح فقد سقط على الأرض رجاله الملحدين الذين أصعدهم إلى سطحها لقلعه، وهلكوا. وحمل الحجر الأسود إلى ناحيه هجر، و هو يزعم أنه وصل الي غايته، فكتب إلى الخليفه الفاطمي عبيدالله المهدي[1] يطلعه على ما قام به، و أنه يريد أن يقرا الخطبه باسمه. ولكن الخليفة الفاطمي رد عليه قائلاً: «كم انت رجل عجيب. لقد تجرات على ارتكاب أنواع الجرائم في بلد الله الأمين، و تجرات على أخذ الحجر الأسود معك إلى هجر، وهتكت ستار حرمة الكعبة المعززة و المكرّمة دوماً، في الجاهليه و في الاسلام، ومع هذا تريد أن تقرا الخطبة باسمي! لعنك الله، ولعن اعوانك أجمعين».

وبعدما تلقى أبو طاهر هذا الجواب من الخليفة الفاطمي، خرج من طاعته.

ولقد اختلف المؤرخون في تحديد الاعتقادات الباطلة لهؤلاء المارقين، فقال فريق منهم: إن أول ضال من القرامطة قد ظهر مدعياً النبوة، وزعم أن كتابه الذي تفتقت عنه قريحته الخبيثه هو من الكتب السماويه المنزلة، و دفع الناس للإيمان بذلك، وقال فريق آخر من المؤرخين إن الشخص الملعون الذي ظهر قبل

---

١ . المترجم: فى النص عبدالله المهتدى.



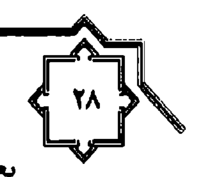
القرامطة، قد ادعي أنه من أئمة الفرقة الإسماعيلية، و أنه مكلف من قبل الإمام المهدي. و أوهم الناس بذلك للتصديق بدعواه.

وإذا أخذنا بأي من هاتين الروايتين، يتبين لنا أن المذهب الفاسد الذي عمل القرامطة على نشره، يقوم على أسس من الكفر والضلال والإلحاد. ونحن نرى أن الرواية الثانية أقوى و أرجح.

معتقدات القرامطة

وعلى الرغم من أن ملاحدة القرامطة الخبثاء يدعون تصديقهم بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ﷺ، ويعدون أنفسهم في الظاهر من الطائفة الإسماعيلية، إلا أنهم في الباطن يستحلون المحرمات التي حرمها الشرع الشريف، ولايرون حرمة لدماء المسلمين و يكفرون أهل التوحيد ممن ليسوا على مذهبهم الباطل.

وخلاصة معتقدات مذهبهم الباطل هذا هي أن الصلوات المفروضة، تعني إطاعة الإمام المعصوم، وأداء زكاة المال يكون بدفع خمس المال للإمام المعصوم، والصوم هو إخفاء أسرار مذهبهم، والزنا عندهم هو إفشاء أسرار المذهب و إعلانها. بالإضافة إلى ذلك، فيدعون إنهم يتبعون الملائكة، ويخالفون الشيطان. و الذي لاشك فيه أنهم يعترفون بالكفر و بالألحاد، واللادينية. ومن جملة اعتقاداتهم الفاسدة قولهم إن شرب الخمر حلال. و يقولون بعدم ضرورة الغسل من الجنابة. و إنقاص أيام الصوم إلى يومين في السنة، وإن فريضة الحج تكون إلى بيت المقدس، و إن نص الإذان الشرعي هو: «أشهد أن محمد بن الحنفية رسول الله».



وكذلك اختلف المؤرخون في سبب إطلاق مسمى القرامطة عليهم، ففي بعض الروايات ذكر أن أبا سعيد الجنابي الذي أضل القرامطة وساقهم إلى طريق الرفض والإلحاد، كان اسمه «قرمط». وكان هذا الزنديق قصير القامة، قزماً، وكان يمشي مهرولاً، بخطوات قصيرة متقاربة، ولهذا أطلق علي من اقتفوا أثره، أي من اتبعوا ما زعمه إبو سعيد قرمط من إلحاد ورفض وزندقة، «قرامطة».

وجاء في رواية أخرى أن الزنديق الكريه المنظر الذي تزعم مذهب القرامطة، كان يطوف بالبلاد ويتجول فيها من قرية إلى قرية لنشر مذهبه الفاسد الإلحادي. و مرض ذات مرة في إحدى القرى التابعة للكوفة، و أقام بمنزل أحد سكانها يسمي «كرميته» أي «أحمر العينين». و لما تحسنت صحته بعد مدة، أصبح يسمي باسم صاحب ذلك البيت، ويعرف بشيخ الكرامتة. و بعد ذلك، تعرّبت كلمة كرمتية، وخففت وصارت قرمطة.

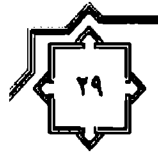
و هناك رواية أخرى حول هذه التسمية، تقول إن زنديقاً من كبار القرامطة كان قد اشتهر بخبرته في كتابه الخط المقرمط[1]، وأطلق على جماعته القرامطة، نسبة إلى مهنة ذلك الرجل.

وخلاصة الكلام، إن شرارة نار فساد القرامطة التي انطلقت في سنة ٢٦١هـ و نشرت الظلم و الجور في كل الأنحاء، قد انطفات تماماً بحد سيف الشريعة في عام ٣٧٣هـ أو في سنة ٣٨٤هـ.

ولكن هذه الشرارة في أول التهابها قد لمعت فجأة ولفتت كل الأطراف وسرت نارها في ممالك الإسلام وأحرقتها كالهشيم.

---

١ . المترجم: القرامطة في الخط هي دقة الكتابة وتداني الحروف و السطور. و قرمط الكاتب إذا قارب بين كتابته. انظر مادة قرمط في تاج العروس، نشر وزارة الإعلام بالكويت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٢٠/ ٢٢.



ولم تتح الاضطرابات الداخليه في الدولة العباسيه الفرصة لأركان الدولة أن يتخذوا التدابير الاحتياطية اللازمة لقمع مثل هذه الحوادث الخطيرة. ولهذا امتهنت فرق القرامطة الغارة على الممالك و نهب الأموال واغتصبت الأعراض، فازدادت قوتهم وتمادوا في مظالمهم. فهاجموا الكوفة سنة ٢٧٨هـ، و سنة ٣١٣هـ والبحرين سنة ٢٨٦هـ و الشام سنة ٢٨٩هـ، وسنة ٢٩٣ هـ و دمشق سنة ٢٩٠هـ و سنة ٣٦٠هـ، و البصرة سنة ٣٠٧ هـ و الأنبار سنة ٣١٥هـ والرحبة و الرقة وهيت[1] في سنة ٣١٦هـ و مكة المكرمة سنة ٣١٧. و لقد أعملوا القتل في تلك البلاد، و اخلوا بالأمن و عاثوا فيها فساداً. وبالإضافة إلى ذلك، فقد هاجموا قوافل حجاج العراق في الأعوام ٢٩٤هـ ٣١٢هـ ٣٦١هـ وقتلوهم عن بكرة أبيهم، ولقد بلغوا غاية الفساد بقطعهم طريق الحج تماماً في سنوات٣٥٦ هـ، ٣٦٣ هـ و ٣٨٤ هـ و ساموا الناس العذاب و أذاقوهم ألوان الشقاء، و منعوهم من إيفاء فريضة الحج. لعنهم الله.

وهكذا قدمنا خلاصة الخلاصة من المعلومات عن فرقة القرامطة التي ظهرت قبل ظهور الوهابيين بحوالي ٩٢٧ سنة، وظلت تنشر شرورها وفسقها وفجورها في بلاد الإسلام مدة ١٢٣ سنة. ولا حاجة بنا لاستعراض المعلومات التاريخية عن كيفية بقاء مذهب القرامطةوانتشاره خلال ٨٠٤ سنة، وهي الفترة الواقعة بين تاريخ زوال هذة الطائفة، وبين تاريخ ظهور محمد بن عبدالوهاب. ذلك أن ديانة بعض الجماعات من عشائر العربان القاطنة في بوادي نجد واليمن و الحجاز و مذاهبهم هي اعتقادات باطلة تعود الى زمن القرامطة. والفقرة الخاصة التالية تدعو الإنسان للاقتناع بأن العربان الذين يعتنقون مثل تلك الأفكار، هم من بقايا القرامطة ومن أنقاضهم.

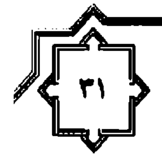
---

١ . المترجم: في النص هيط.

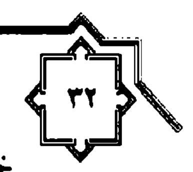
٣٠ حكاية خاصة غريبة

كان الشريف محمد بن عون، والد أمير مكة الحالي الشريف حسين باشا، متوجهاً ذات يوم إلى الطائف، فصادف عند سفح جبل كرا رجلا هنديا رقيق الحال، ذا لحية بيضاء. و كان هذا الهندي المسكين غارقاً في دمائه، و كان يصرخ ويشتكي و يقول: «لقد فعل اللصوص هذا بي». فأمر الشريف محمد بن عون بجلب شيوخ القري المجاورة، وسألهم عمن ارتكب مثل هذا الجرم، فبرز أحدهم، وقال: «سيدي الشريف، لم يكن هذا الرجل قد دخل الإسلام بعد، فقمت بختانه و أدخلته في الإسلام. وحسب اعتقادنا فإن من لم يسلخ جلد ذكره وعانته حتى سرته، لايعد مسلما. فأنا ختنت هذا الرجل حسب عاداتنا و أصولنا. وإلا، فلم ألحق به أي ظلم، ولم يقع عليه مني أي اعتداء، ولم أسرق نقوده أو ماله و أشياءه». وبعض الجماعات من قبائل العربان يعدون الختان المشهور على السنة النبوية عيباً، وذلك حسب معتقدهم و مذهبهم. وأما الختان الذي يعده أتباع مذهبهم مقبولا دينا و شرعا، فهو الختان حسب عاداتهم المشينة، التي لاتتوافق مع الشريعة، والمنافية للإنسانية، وهي طريقة خطيرة للختان و مهلكة. ومن لم يختن بطريقتهم و عادتهم لاتعده النساء رجلاً كامل الرجولة، ولاتقبل به الفتيات زوجاً.

والختان حسب تقاليد هذه الجماعات عبارة عن سلخ كامل الجلد عن الذكر و العانة، و يقيمون لذلك احتفالات عجيبة. ولأن هذا النوع من عمليات الختان لايمكن أن يتحمله من كان عمره أقل من خمس عشرة سنة، فيقوم والد الفتي الذي يبلغ من العمر الخامسة عشرة أو العشرين، بإعلان رغبته في ختان ابنه، ويحدد اليوم الذي ستجري فيه عملية الختان. و هذا الإعلان يعد دعوة للناس لحضور هذه المناسبة. ولهذا، يأتي أقارب الفتى ومعارفه و جيرانه و أهالي القرى



المجاورة، و يهدي كل منهم رأسا أو رأسين، وأحياناً ثلاث أو أربع رؤوس من الغنم أو البقر دو الإبل، كل حسب قدرته المادية و ظروفه. و يحضر كل مدعو وقد اصطحب معه هديته إلى قرية الشاب قبل الاحتفال بيوم أو يومين. و من العادات المتبعة أن يقدم المدعوون من أهالي القرى المجاورة إلى مكان الاحتفال في شكل جماعي، تصاحبهم الأهازيج والطبول. ولهذا كان يتجمع أهالي ثلاث أو خمس قرى بعضهم مع بعض، فإذا ما اقتربوا من قرية الاحتفال بدأوا في قراءة القصائد و الأشعار التي تمتدح صاحب الحفل، ويرددونها بشكل جماعي، ثم يتقدم منهم عدة أشخاص ويأخذون في اللعب بالبنادق أو الخناجر حتى يخرج أهل القرية التي بها الحفل جماعة لاستقبال ضيوفهم القادمين، ومن ثمّ يطلقون أمامهم طلقات البنادق ويقرأون القصائد، حتى يصلون إلى المكان المحدد سلفا للاحتفال. ومن التقاليد المرعية أن يعطي صاحب الحفل لكل عشرة من المدعوين خروفا وقدرا وطستا و بعض الأرز، فعند وصول الضيوف المدعوين تحضر هذه الأشياء وتسلم لهم، ثم يترك الضيوف وحالهم. و لا يتوجه هؤلاء الضيوف إلى البيوت و المنازل التي يقيمون بها، بل ينطلقون إلى أحد الأودية في خارج القرية، أو إلى سفح جبل من الجبال، حيث يذبحون الخروف الذي أعطي لهم من قبل صاحب الحفل، ويطبخونه في القدر، ثم ينضدونه مسلوقاً، ويقسمونه على الأشخاص العشرة، ثم يأكلونه. و بعد ذلك يضعون الأرز في مرق اللحم، ويطهونه ثم يأكلونه. بعد ذلك، يقوم جماعة من كل قرية بإيقاد نار كبيرة في الموقع المحدد لكل منهم، وينقسمون حولها إلى فرقتين، و يبدأون تبادل الأشعار والرد و المحاورة وهم وقوف،«يبدأون العرضة أوالسامر»، ويدوم السامر حتى الصباح، و تقوم كل فرقة من الفرقتين بمدح الفرقة الأخرى أو ذمها و القدح فيها. و عند السحر، تطلق الطلقات من البنادق، ويتجمعون في مكان فسيح ينتظرون وصول الفتى الذي ستجري له عملية الختان.

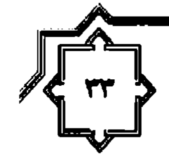


ويأتي الفتى إلي ذلك المكان في الساعة المحددة، أمامه الرجال من أقاربه، و خلفه النساء، ويقف حراً وبكل فخر، ويسحب خنجره، الذي يسمى الجنبية، ويتقدم إلى من سيقوم بختانه. و يبدا الذي يقوم بالختان في سلخ جلد ذكر الفتي، مستخدماً سكيناً صغيرة للغاية، و يبدأ من المنطقة التي ينتهي عندها الشعر الموجود تحت السرة، و يستمر حتى مقعده. ويقوم بذلك في ظرف دقيقتين.

وتجري حفلات الختان هذه عادة في أيام العيد. و اذا حدث أن بكى الفتي ولو قليلاً أثناء الختان، أو تأوه أو أظهر التأفف، عدّ ذلك عيباً، ويسقط اعتباره بين رجال القبيلة، وينظر إليه على أنه امرأة. ولكنه إذا وصل إلى بيته عملية الختان يمكنه أن يبكي ويصرخ كما يشاء، و لا يعد ذلك عيباً. وبانتهاء عملية الختان، يتقدم الفتى عدة خطوات و هو يعرض شجاعته و يتباهى بقوته، فيقول: «أنا فلان ابن فلان، شجاع، وجسور، وبطل». وينطلق مهرولاً مائة خطوة مثبتاً رجولته و شجاعته و بطولته.

وبعد ذلك، يتقدم من شاركوا في الاحتفال و أمام الفتى، و هم يطلقون النار من بنادقهم، وتضرب النساء بالدفوف، و يغنين بالأغاني والأهازيج، يطوفون بالفتى حول القرية، حتى يصلونه أخيراً إلى داره، وينومونه في فراشه. وبعد ذلك يتناول المدعوون طعام العجين الذي أعده صاحب الحفل، ثم يتفرق الجمع، و يعود كل إلى داره. وطعام العجين هذا هو عبارة عن دقيق خلط بالماء، ثم خبز في النار، وصبّ عليه السمن الصافي.

ومن عاداتهم أيضا أنه عندما يرقد الفتى في سريره، ينثر أقاربه حول رأسه حفنة من الزبيب، الذي يجمعه الأطفال الصغار ويفرحون به. وكان بعض من يختنون بهذه الطريقة يموتون من جراء هذه العملية، ولكن من بقي منهم على قيد الحياة يمكن أن يتعافى و ينهض على قدميه بعد مرور ثلاثة أو أربعة أشهر.



ظهور الوهابية

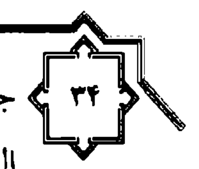
يطلق اسم الوهابية على تلك الفرقه الباغية والضالة، التي حطت على الحرم المقدس للمسجدالحرام كأنها ضباب مظلم في عام ١٢٢٢ للهجرة، وأجبرت الشريف غالب على التصالح معهم ومداراتهم. وهذه الفئة الخبيثة تتبع المذهب الفاسد الذي أسسه محمد بن عبدالوهاب.

ولقد ولد محمد بن عبدالوهاب في قرية العيينة نشأ بها، وهي تقع في جهة البصرة، على بعد خمس عشرة مرحلة تقريباً من مكة المكرمة. ولقد اجتهد في طلب العلم، وتلقى علوماً شتى، وبعد مدة كلّف بالتدريس لطلاب القرية المذكورة. وقرية العيينة تتكون من ثلاثين بيتاً، ولكن تحيط بها من أطرافها قرى أخرى متفرقة يبلغ عدد منازلها خمسمائة أو ستمائة منزل.

وكان محمدبن عبد الوهاب حنبلي المذهب، وسعى في بداية عمله بالتدريس إلى غواية الطلاب وإضلالهم، ولكنه كان يخشى الجهر بأفكاره الفاسقة و الضالة التي تعتمل في ذهنه ولذلك لم يجرؤ على إعلانها فجأة بين الناس.

وكان طلاب ابن عبدالوهاب من أبناء القرى المذكورة، وهم من البدو. ولهذا، فمن الثابت أنهم لم يستطيعوا إدراك و تمييز علامات الخلل الذي يعتري أقوال شيخهم المارق. ولكنهم لاحظوا أنه لا يشتغل بقراءة القرآن الكريم ولا يتقيد بتلاوته و تفسيره، وأنه لا يستند إليه، وينشر اعتقاده الفاسد وترهاته الفارغة بقوله: «لماذا تنشغلون بكتاب دلائل الخيرات؟ و ما الفائدة منه؟» ولما أبان عن معتقداته على هذا النحو، علموا أنه ينكر النبوة، طعنوا في أقواله وقبحوها، وشنعوا عليه.

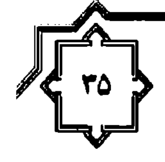
وأخيراً ترك محمد بن عبدالوهاب التدريس، وهاجر إلى نواحي نجد والحجاز، التي بذر فيها مسيلمة الكذّاب بذور الكذب و الفساد، وابتدع ديانة



جديدة تخالف الشرع المصطفوي الشريف، ووضع عدداً من المسائل الاعتقادية الباطلة، خدع بها المغفلين من الأعراب، وجمع العصاة الذين كانوا تحت حكم أشراف مكة وإدارتهم، وأقنعهم بأفكاره الضالة، ونادى بضرورة الاستيلاء على الحرمين الشريفين، وطاف بالقرى الواحدة بعد الأخرى مستعملاً الحيل والدسائس، وأدخل في مذهبه الباطل عربان البوادي الذين لا عقل ولا إدراك لهم. وكان ذلك في عام ١١٨٨هـ.

وكان شريف مكة المكرمة آنذاك الشريف مسعود، الذي علم أن ابن عبدالوهاب يسوق الناس إلى أفكاره الفاسدة، ويدفعهم إلى الضلال والرفض و الإلحاد، وأخبره بذلك حجاج أهل السنة الذين قدموا إلى مكة لأداء فريضة الحج. كذلك أخبره علماء جهات الشرق، وشرح له كل واحد منهم الوضع والحال وأطلعوه بالتفصيل على أفكار ابن عبدالوهاب وأحيط علما بتطلعاته ونواياه وديانته. فقام الشريف مسعود باستفتاء كبار علماء مكة المكرمة بشأن المعاملة الشرعية التي يجب أن تتخذ إزاء هذا الضال. فأفتوا بفتاوي متعددة فحواها أنه «يجب ردع محمد بن عبدالوهاب زجراً عما يدعو إليه من الرفض والإلحاد، وإذا عاند واستمر في دعواه وثبت عليها، فيجب قتله». وأرسل الشريف رسالة خاصة إلى الباب العالي عرض فيها الأمر من كل جوانبه وأرفق بها الفتاوي الشريفة التي أفتى بها علماء مكة.

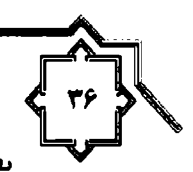
و بحث الباب العالي الأمر، وجرت تحقيقات معمقة، وبعد ذلك، أرسلت أوامر مشددة بهذا الخصوص إلى والي جدة عثمان باشا بضرورة التحرك بالاتفاق مع الشريف مسعود، وصرف الجهود لتأديب ابن عبدالوهاب بأي شكل، والتنكيل به. والذي حصل إن هذه التحقيقات و المخابرات و المراسلات قد استغرقت مدة طويلة، في الوقت الذي كان فيه ابن عبد الوهاب يبحث عن



رجال يقلدهم الخلافة، ونشر في الدرعية وما جاورها، وتشكلت فرق و جماعات كبيرة جداً في أقاليم نجد، وصرف جهداً لا حد له من أجل نشر مذهبه الباطل في منطقة الحجاز، وخطط للعصيان والثورة والتمرد.

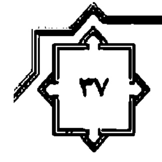
وعمل محمد بن عبدالوهاب، سيء الجبلة، في الدرعية وما حولها على تكوين جماعة تنهض بقضية الإمامة، و تمكن من تحقيق غرضه هذا، ولكن نشر أفكاره الضارة الباطلة كان منوطاً بوجود العصبية و النسب القبلي. ولأن هذا الدنيء الجهنمي لم يكن له أصل و عصبية معروفة، اتجه إلى شيخ الدرعية عبدالعزيز، الذي له نفوذ لدى العربان و نسبه معلوم لهم، و كان متطلعاً للاستقلال، ويرغب في الاستيلاء على الحرمين. فوافق عبد العزيز، العاصي مثير الفتن، على رأي ابن عبدالوهاب و استصوب أفكاره.

ولما دخل عبد العزيز في ديانة ابن عبدالوهاب المخترعة، اعتراه الغرور، وداخله الكبر، وأخذته النخوة، فصرح بأنه ينوي أن يهاجم بغداد أولاً، ثم مكة المكرمة والاستيلاء عليهما. و شرح افكاره هذه المدعمة بمذهب محمد بن عبد الوهاب لمشايخ العربان و البدو، و أعلنها عليهم. وبدأ في التجول في القري و النواحي يجمع الأموال تحت مسمى العشور و الزكاة الشرعية، و قتل كل من خالفه الرأي من علماء أهل السنة. و بالجبر و الغصب و الظلم تمكن من جمع أموال طائلة، تكفي للنفقة والصرف على الغوغاء والجموع الغفيرة التي التفت حوله. وأدخل بتحريضه المستمر كثيراً من رجال القبائل ممن لا شعور لديهم في مذهب محمد بن عبدالوهاب الفاسد. وبعد ذلك، استند إلى هذه الكلاب «الجماعات» التي التفت حوله، وطالب بالخلافة. ووسع الدائرة التي انتشرت فيها الديانة الباطلة المستمدة من اجتهادات محمد بن عبدالوهاب، وصارت له قوة يمكنها أن تصمد أمام عدة فرق عسكرية نظامية.



ونشر عبدالعزيز رعاع الوهابية في جبال الدرعية وبوادي نجد، ولكي يضمن استعدادهم لتضحيتهم بأرواحهم و أنفسهم في سبيل تنفيذ أوامره، استدعى شيوخ القبائل، في وقت احتشاد هذه الكلاب «الجموع»، بتحريض من ابن عبد الوهاب، وشكل منهم مجلساً سرياً خاصاً. و استمال كل من هؤلاء الشيوخ بأنواع من العطايا و الهدايا، وكسبهم إلى صفه، وسيطر على وجدانهم و أفكارهم. ثم بدأهم بالخطاب مستعرضاً افكاره السخيفة قائلاً: «لقد اصبحت أملك من القوة العسكريه ما يمكنني من تحقيق ما نويت عليه من أمر. وهدفي من جمع هذه القوة و تجهيزها و إعدادها هو الغزو بقوة عسكريه قاهرة من دار خلافتنا، التي هي الدرعيةالنجدية، ولإخضاع أهالي القرى والبلاد التي أمرّ بها، وإدخالهم في طاعتي و تعليمهم أمور دينهم. والاستيلاء على بغداد و ما حولها من البلاد، بفضل ما أتمتع به من صفات العدل و اتباع الإنصاف. ولكن تحقيق أملي هذا، مرتبط بسبب مهم و هو ضرورة القضاء على علماء أهل السنة الذين يدّعون أنهم يتّبعون الشريعة المحمديه المطهرة، والسنة الأحمديه الشريفه. و بمعنى آخر، قتل كافة المشركين الذين يتبعون علماء أهل السنة، وجعل رقابهم طعمة للسيف. ذلك أن أتباع مذهبنا لا يمكنهم أن يجدوا الراحة في البلاد التي يوجد بها علماء أهل السنة. فيجب أولاً التخلص من المشركين الذين ظهروا و تسمّوا باسم العلماء و أعدامهم، ثم نتقدم للاستيلاء على بغداد دار السلام».

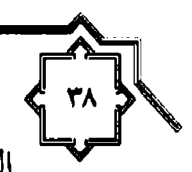
و لقد استقبل رؤساء القبائل العصاة، الذين حضروا ذلك المجلس الشيطاني، أقوال عبدالعزيز و أفكاره هذه بالترحاب، وقالوا «نحن تركنا ديارنا و بلادنا وانطلقنا في جبال الدرعية و نواحي نجد من أجل تنفيذ أوامرك. ولسوف نقوم بما تأمرنا به مهما كان، وننفذه دون أدنى تردد أو تقاعس». عقب ذلك قاموا بتقبيل يد عبدالعزيز القذرة الواحد تلو الآخر وذلك حسب عادة الأعراب.



و بعد أن أتم معاهدة العربان على هذا النحو، أصدر أوامره إليهم قائلاً: «والآن و بمقتضى مذهبنا، يجب عليكم غرس هذه الأفكار و التصورات التي تعد مثالاً للعدالة الحمراء و الإنصاف الدموي في أذهان العربان و عقولهم، وابعثوا بهم لمقاتلة المشركين والعربان الذين ليس لهم من الإسلام سوى الاسم، وحرضوهم على ذلك».

و في تلك الأثناء، كان محمد بن عبد الوهاب قد خرج يطوف بالبلاد لنشر ديانته، و ترك إلى جانب عبد العزيز أحد علمائه الزنادقة يدعي محمد بن أحمد الحفظي. وحسب المثل القائل «كل سرّ جاوز الاثنين شاع»، فقد انتشرت في الآفاق أفكار عبد العزيز الغادرة والظالمة، وتولى الأمر غير أهله و تدخل فيه من لا علم له، ووجدت تلك الحشرات الضالة «جموع الغوغاء الملحدين» الفرصة سانحة لإيذاء العلماء الموحدين و التشفي منهم، بتحريض من محمد بن أحمد الحفظي. ولهذا دخل الخوف إلى قلوب علماء أهل السنة الموجودين في أطراف الدرعية، ولكي ينقذوا أرواحهم، وفي الوقت نفسه يقدموا خدمة لأهل الإيمان بإيقاظ الدولة العثمانية من سباتها العميق، جرت بينهم مراسلات و مكاتبات، وتركوا ديارهم و منازلهم، وفروا إلى بغداد، وأطلعوا واليها سليمان باشا على مجريات الحوادث هناك، وقالوا:

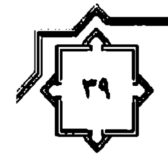
«إن رجلاً زنديقاً يسمى محمد بن أحمد الحفظي، يقول إنه مكلف من قبل مجدد الدين، وإمام أهل اليقين محمد بن عبدالوهاب، يدفع الناس إلى الضلال، ويسوقهم إلى الإلحاد، ويتحلى هذا الزنديق في الظاهر بالقول البديع وبالبريق الزائف والتطلع، وفي باطنه يحمل الحيل الشيطانية، فهو يقول بوجود مكان لله رب العالمين عزوجلّ، ويثبته له، وينكر الشفاعة العظمى لخاتم النبيين، ﷺ. ويقنع بأمثال هذه الأقوال ما لا حصر له من جهلة الناس».



«وهذا الرجل عدو لأرواح أهل التوحيد، فهو ضال، وأيضاً مضل يصرف الناس عن سواء السبيل. ولقب شيخ الدرعية عبدالعزيز، الحريص على زعامته، بلقب «أمير المؤمنين». وفوق ذلك فإنه كان يبشر الحمقى الذين غرّر بهم أدخلهم في مذهبه الباطل بالجنة والفردوس الأعلي، و يبشر المسلمين الذي ثبتوا على الإسلام بنار جهنم. واصطلى المسلمون بنار أذيته، وأحرقهم بظلمه وتعدياته. و من بين معتقداته، زعمه أن المؤمنين و المؤمنات الذين ماتوا منذ خمسمائة سنة و حتى وقته، قد ماتوا على الشرك. ويسوق الأدلة لإقناع من لا يؤمن بذلك، ويكفر العلماء الذين يقولون بصحة الأحكام الدينية التي عليها المذاهب الأربعة. ويسعى في تحريض عبد العزيز و تشجيعه على غزو بغداد و الحرمين الشريفين، والاستيلاء عليهما. ولقد جهزعبدالعزيز قواته العسكريه للاستيلاء على بغداد، مدفوعاً بحرصه على الاستقلال، وأعطى أوامره الصارمة للوهابيين بقتل كل من يصادفهم من العلماء».

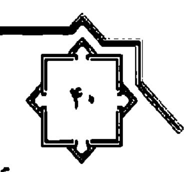
«ولقد تركنا ديارنا بمجرد أن سمعنا بهذه الأخبار، وقدمنا إلى مقامكم العالي هذا طلباً للجوء تحت جناح حماية السلطنة العثمانية. ويجب أن تعلموا إنه إذا حدث تهاون وتسامح في هذا الخصوص، فلن يبقى في أرض الحجاز مسلم واحد، وسيخترم السيف رقاب المسلمين هناك عن بكرة أبيهم، وسوف تسقط بلاد الحجاز المقدسة في أيدي الوهابيين».

ولقد تأثر سليمان باشا غاية التأثر من هذه الأخبار المحزنة و الحوادث الأليمة، وعقد المجلس العمومي و اتخذ قراراً في هذا الشأن، بدراسة أفكار عبد العزيز و تطلعاته، لاتخاذ التدابير والاستعدادات اللازمة. فأرسلت لهذا الغرض رسالة تهديد ووعيد إلى عبدالعزيز. فرد عليها عبد العزيز برسالة مرتبة بشكل شيطاني، قال فيها: «أظن أن بعض الوشاة و المغرضين قد نقلوا بهتانا وافتراءات



في حق الداعي لكم، مما سبب غضب سيدنا «أفندينا» وحدّته. إن الداعي لكم يؤمن بالله ورسوله، ويعمل بموجب العلم الإلهي، ويتبع أوامر نبينا ﷺ، وبكل طاعة وتسليم. ولهذا، فإن الفساق من أهالي البلاد والنواحي الواقعة في عهدة مشيخة الداعي لكم، لايستطيعون تجاوز حدود أحكام الشريعة الغراء، ومن هنا فهم يسعون للإيقاع بيننا بالفتنة والتفرقة والوشاية. مقصدهم هو أن ارتكاب الأفعال القبيحة والتصرفات الخارجة عن الحياء في الدرعيه وما حولها من البلاد. إن بلاداً تطبق فيها أحكام الشرع بحذافيرها لايمكن تصور وقوع مثل هذه الأفعال في حدودها. أما الأشخاص المغرضين الذين يسعون بالفتنة فيما بيننا، فأرجو من عدالتكم، المسلّم بها من الجميع، أن تنزلوا بهم عقوبة الإعدام ليكونوا عبرة للعالمين، وحتى لايتمكن بعدها أي مغرض فتان من الدخول بيننا بالفساد».

واستشف سليمان باشا من رسالة عبد العزيز هذه التي صيغت بأسلوب شيطاني، أن نار الفتنة التي تنطوي عليها قلوب الوهابيين، ويضمرونها سراً، قابلة لأن يشتد أوارها و سعيرها. ولهذا أعطي أوامره بتجهيز فرقة عسكريه وإعدادها للسير إلى الدرعية. لكن قبيل إرسال هذه الفرقة قدم من جهات الدرعية رجل صدوق، موثوق الرواية و ذكر أن أحد الأعراب قد عاد برفقة شقيق له من مكة المكرمة، وفي أثناء الطريق، اعترضهما جماعة لصوص من أشقياء الدرعية، ومن عصابات سعود بن عبدالعزيز، وقتلوا شقيقه، وسلبوا مالهما وأشياءهما. فثار الأعرابي، واشتد به الغضب، وانطلق إلى الدرعية يريد قتل رئيس الأشقياء سعود بن عبدالعزيز. ولكنه لم يتمكن من مقابلة سعود، فصادف أباه عبد العزيز فقتله، وأخذ بثأر أخيه، «ولما سمع سليمان باشا هذا الكلام صرف النظر عن إرسال القوة العسكرية التي أعدت للتوجه إلى الدرعية».

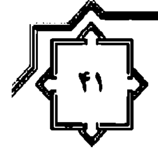


وإن كان سليمان باشا قد تخلى عن سوق الجنود نحو الدرعية بسبب وفاة عبد العزيز، إلا أن سعوداً كان أكثر عناداً وفساداً من والده عبدالعزيز، الذي صارت جهنم مأواه. فلم يكد يتولي منصب المشيخة حتى انطلق بتحريض من الزنديق محمد بن أحمد الحفظي و تشجيعه لهدم قوام الشريعة الإسلامية من أساسها، وعزم على جعل المدينة المنورة في حكم «دار الندوة» للروافض الزنادقة. و تمكن في ظرف مدة قصيرة من جمع أعداد غفيرة لا حصر لها من الغوغاء والدهماء من أهل جهنم، وجهّزهم، وخرج بهم يريد الاستيلاء على الحرمين الشريفين. وفي الوقت نفسه، أرسل طلباً إلى الشريف سرور ﷺ، حاول فيه إقناعه بأن مقصده هو السماح له ولجماعته بأداء فريضة الحج.

ولكن الشريف سرور كان رجلاً متصفا بالشجاعة، فرد على سعود بقوله: «إن أردت أن أزق جسدك بسيفي إرباً إرباً، وأطعم الضواري بجيفتك، فأقدم و أقبل بمن معك». وجمع بعض العساكر، وجهزهم، وسار بهم نحو الدرعية. وكان الشريف شجاعا بطبيعته، ويعد بين العرب معادلاً لالفي رجل مغوار.

ولما علم سعود بن عبدالعزيز أن الشريف سرور قد تحرك من مكة على رأس قوة عسكرية كافية، تحير ماذا يعمل، وكيف يدبر الأمر، فلجأ مع عساكره إلى الجبال الوعرة، ولكن الشريف سرور لم يتركهم، بل تعقبهم، وهزمهم في أول مواجهة بينهما، وشتت شملهم، وقتل كثيراً منهم، وعاد إلى مكة. وبعد مدة قصيرة مرض الشريف، وتوفي.

واستفاد سعود بن عبدالعزيز من وفاة الشريف سرور، فعمل على توسيع نطاق فساده، وإظهار شقاوته، فأخذ في قطع طريق الحج. و في عام ١٢٢٤هـ انطلق مع خمسة عشر ألف وهابي من أعراب البادية، ممن لا ضمير لهم ولا فهم



عندهم، وقرر الاستيلاء على قلعة «الجفير»[١] الواقعة على نهر الفرات. واستطاع أن يهزم قوة عسكرية، قوامها عشرون ألف رجل، ساقها عليه سليمان باشا، وشتت شملها. وانتشى بسكرة النصر، فاستولى على قرية «السراج»، المجاورة لقلعة «الجفير».

وبعد أن مني سليمان باشا بهذه الهزيمة المنكرة، حشد قوة عسكرية، قوامها عشرة آلاف رجل، جهزها أحد أعيان الرقة يدعى حاجي محمد آغا، الحائز على رتبة «سر صاقصونجي»[٢]، ووالي الرقة عبدالله باشا، وتولى قيادتها، وهاجم الوهابيين التعساء، واستطاعت هذه القوة أن تنزل الهزيمة بهم في أول حملة عليهم. و شتت جموع الوهابيين، وقتل معظمهم. وبالإضافة إلى ذلك، فقد غنموا منهم مائتي رأس من الإبل.

وقام سعود التعيس، ذو الجبلة الفاسدة، بعد اندحاره في معركة «السراج»، بتجميع فلوله المهزومة في أحد الأماكن، ورتّبهم وأعاد تنظيمهم، وأغار على قافلة الحج المصري ونهبها، وقتل الآلاف من الحجاج الأبرياء، وأسر كثيراً منهم. و أرسل الشريف غالب، الذي تولى الإمارة بعد وفاة الشريف سرور ﷺ، أخاه الشريف عبدالعزيز إلى الدرعية، وكلفه بمهمة تأديب الوهابيين الذين نهبوا قافلة الحجاج المصريين، وأمره أن ينكل بهم. والتقى الشريف عبد العزيز بمن صادفهم من جموع الوهابيين، واشتبك معهم، و مزق شملهم، ولكنه عاد من دون أن يصل الدرعية.

ولقد كان رأي الشريف غالب هو إخماد نار الوهابيين المستعرة في قلعة الدرعية، والقضاء عليهم، ولهذا سخط على أخيه الشريف عبد العزيز، ولامه

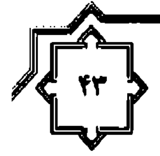
---

١ . المترجم: هل هي العقير؟؟؟ أو الجهراء انظر جودت تاريخي ٤/ ١٧٣٥ ـ ١٧٣٦.

٢ . المترجم: لقب سير من سكونيا

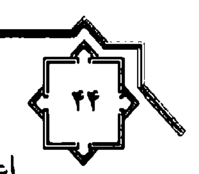
لوماً شديداً لرجوعه دون مهاجمة قلعة الدرعية. ولهذا قرر أن يقوم بنفسه بالسير إلى الدرعية. وكان أخوه الشريف فهيد، من عقلاء الأشراف، فقال له: «إن الوهابيين يتحصنون في موقع طبيعي محكم بعيد جداً عنا، فإذا لم يحالفنا الحظ بالانتصار عليهم، وهزمنا في الحرب، وبناء على ذلك، اضطررنا لطلب الجند من مكة، فمن العسير تأمين المدد وسوقه منها. وإذا كان رأيكم السامي يتطلب تأديب الوهابيين ومعاقبتهم و التنكيل بهم، فإن هذا مرهون بتأمين قوة عسكرية قاهرة كافية، لها قدرة ساحقة، وهذا من الأمور العظيمة المنوطة بعاصمة الخلافة الإسلامية «في إسطنبول». و كل ما نستطيعه هو توفير الحماية لمكة المكرمة. فاذا ماقدم هؤلاء الوهابيون وهاجموا، فسوف نقاتلهم، وإلا فإن مسيرنا لغزو عدو تجهز بقوة كبيرة و إمكانيات عظيمة مثل هؤلاء، و تعرضنا للهزيمة هناك، سيؤدي إلى خروج بلاد الحجاز المباركة من أيدينا». ولكن الشريف غالب لم يلق بالاً لكلام الشريف فهيد، ولم يصغ اليه، فجمع قوة عسكرية كافية، خرج من مكة المكرمة يريد ضرب الدرعية.

ولأن الشريف غالب كان ساخطا على أخيه الشريف فهيد، فلم يلق بالاً لنصائحه. ذلك أن الشريف غالب كان قد أسند إلى الشرف فهيد قيادة القوة التي جهزها لمعاقبة الوهابيين والتنكيل بهم وطردهم، لغارتهم على الحجاج المصريين و نهبهم. ولكن الشريف فهيد كان صاحب فكر بعيد، فلم يقبل هذا التكليف، فسخط عليه الشريف غالب، و أثار غضبه. وحدث بعد ذلك، أن قبل الشريف فهيد قيادة القوة العسكرية المجهزة بنفسه، إلا أن تفسير الشريف غالب للنصائح الحكيمة التي وجهها له على أنها نابعة من جبنه وخوفه، جعله يرفض هذه المهمة. ولكن، وكما سنري بعد قليل، فإن الشريف غالب قد ارتكب خطأً كبيراً لعدم أخذه بنصائح الشريف فهيد.



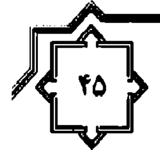
وتقدم الشريف غالب بقواته ووصل إلى وادي الشعراء للاستيلاء على قلعتها. ولما رأى أن الوهابيين الموجودين بداخل القلعة يبادلونه الرمي بالرصاص و القذائف، قال: «لن أتحرك خطوة واحدة من هنا ما لم استولى على هذه القلعة الصغيرة مهما كلفني الأمر، وسأهدمها وأحولها إلى خراب». و أسس له مقراً و نصب خيامه في وادي الشعراء وبدأ بالتضييق على الوهابيين المتحصنين بالقلعة. وهذه القلعة رغم أنها صغيرة جداً و مبنية من الطين والتراب، إلا أنها تشكل حامية قوية و سليمة بسبب موقعها، وقد تحصن بها حوالي سبعين رجلاً من حماتها الوهابيين. وحاصر الشريف غالب القلعة من أطرافها، وأخذ يرميها بالمدفعية و البنادق و القنابل و المقذوفات، و استمر الحصار والتضييق عشرين يوماً، ولكنه لما رأى أن الضعف والوهن لم يدب إلى أحد من المحاصرين في داخل القلعة، وأن الانسحاب و التراجع ليس من شيم الأمراء والأشراف و لا يليق بهم، أحضر سلالم حديدية من مكة المكرمة ليستعين بها في الهجوم على القلعة والاستيلاء عليها. وبسبب ذلك هلك الكثير من جنوده، ولما طلب من بعض البلاد إمداده بالجند لم يصله منها أي عون أو مدد، فأصابه اليأس والأسف على أنه أضاع عدة أشهر فيها لا طائل من ورائه، وضاعت جهوده سدى، وهلك كثير من رجاله.

ولما وصل الشريف غالب إلى مكة المكرمة، جمع بعض العساكر و جهزهم، وساقهم لقتال قرملة اليماني القحطاني، الذي رفع راية العصيان والفساد في البوادي، وتمكن من تشتيت شمله و فرق جموعه، وقتل منهم عدداً كثيراً. وفي طريق عودته أغار على بعض قبائل البدو كان قد حنق عليها لتقاعسها عن تقديم العون له في أثناء حصاره لقلعة الشعراء، وهدم مساكنهم، وخرّب ديارهم وجعلها مأوي للبوم و الغربان. وبهذا أدخل الرعب والفزع في قلوب العربان، ولم يعد أحد منهم يجرؤ على مخالفته. وكان ذلك عام ١٢٠٨هـ.



وسُرّ الشريف فهيد من استعادة أخيه الشريف غالب نفوذه، و من زيادة اعتباره، ولكنه شعر بالحزن العميق لما وصله من الأخبار عن ارتكاب عساكر الشريف غالب جرائم العرض و الشرف، وما سببه هذا من كره العربان للشريف غالب، ونفرتهم منه. ومن أجل تأمين عودة الشريف غالب إلى مكة، أرسل إليه رسالة خاصة، قال فيها: «يا أخي، لقد ولي الزمن الذي يمكنك فيه التجول في البادية، ومن في معيتك من العساكر قد انتشوا بالانتصارات المتتابعة التي حققوها، ومن المؤكد أنهم ارتكبوا أفعالاً تثير عليك الحقد و الضغينة في قلوب الأعراب. وعاقبة هذه الأعمال وخيمة، ونتيجتها الندامة، وتجلب العار. وبما أن شجاعتك وصولتك و هيبتك قد ألقت الرعب و الرهبة في قلوب رجال القبائل، فيجب عليك الآن العودة إلى مقر الإمارة، في مكة المكرمة، و أن تستريح». وبالرغم من ذلك فإن الشريف غالب عدّ مثل هذا الكلام من الشريف فهيد دلالة أيضاً على جبنه و خوره، وفضل الاستراحة في الطائف على الأقامة في مكة. و عدم قبول الشريف غالب للنصائح الخيرة من أخيه الشريف فهيد يعد الخطأ الفادح الثاني الذي ارتكبه، وربما هو السبب الرئيسي في هزيمته أمام الوهابيين.

و أما عساكر الشريف غالب الذي كانوا يعيشون نشوة النصر والظفر، فإنهم منذ أن نصبوا خيامهم في ساحة الطائف انتشروا بلا تواني أو تباطؤ، وساحوا في القري المجاورة، يملؤهم الغرور والكبر و التعالي و أظهروا سوء أدبهم و قلة حيائهم، على النحو الذي ذكره الشريف فهيد فيما سبق. لدرجة أن أحد هؤلاء العساكر صادف ابنة أحد الأعراب في الخلاء، فاغتصبها و فض بكارتها. ولأنها إحدي بنات العرب الأصلاء ذوي الشرف الذين يحمون عرضهم، وبموجب عادات الشرف والعفة والعرض، فقد وضع أبوها قميصها المضرج بالدم على

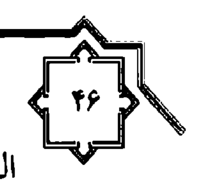


كتفه، وشرح الوضع لكل من مرّ به، وطارت عقول رؤساء قبيلته ورجالها، وأخذ يصيح: «العار.... العار، يا صاحب الجار، العار يا مروتكار[1]... العار العار... يا صاحب العرض و الوقار، العار... العار بحرمة الستار، العار... العار يا رجال القبائل صاحبة العرض والوقار». فحرّك رجال القبائل المجاورة كلهم ضد الشريف غالب، و كان يطوف بالقبائل، قبيلة بعد أخري، و يحرضهم بقوله: «إن ذهاب الروح و الموت فداءً أولي و أهون من رؤية هذه الفضيحة و العار». و أخذ يحرض رؤساء القبائل ورجالها للأخذ بثار ابنته. فاحتشد منهم رجال أكثر من عدد رمال الصحراء مجهزين للحرب، وتوجهوا لبلدة الطائف. وتجميع هذا القدر من العساكر في الحال، وتجهيزهم وحشدهم، لا يمكن أن يقع دون أن يعلم به أهالي مكة والطائف، ولأن هؤلاء البدو قد ضجوا من ظلم الشريف غالب، وبلغ بهم تعسفه مبلغه، ولأنهم أتموا هذا الأمر في خفية و سرعة، فلم يعلم به أحد من أتباع الشريف غالب حتى الساعة التي اقتربوا فيها من الطائف.

وفي الواقع، لقد تواترت الأقوال، ووصلت إلى الشريف غالب، ولكنه مع الأسف عدّها من الأراجيف و الأكاذيب، لم يتوقف عندها، ولم يعرها اهتماماً. و بهذا وقع في غفلة شديدة، وارتكب الخطأ الثالث. وبعد شيوع خبر هذه الواقعة بزمن وجيز، ظهر البدو في أطراف قلعة الطائف، وفجأة شنوا هجومهم عليها، فهرب الشريف غالب ونجا بنفسه. ثم هاجموا العساكر المغرورة بالنصر والغلبة فرقة فرقة كالذئاب المسعورة، و أعدموا خمسة و أربعين رجلاً من الأشراف و مائتي جندي، ونهبوا الأشياء واللوازم العسكرية، وبذلك أخذوا بثارهم، و انتقموا لشرفهم.

---

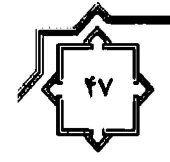
١ . المترجم: مروتكار، كلمة عربية فارسية مركبة و تستخدم في التركية بمعني صاحب المروءة.



وبعد هزيمة الشريف غالب المنكرة هذه، غادر مقر إمارته الفخم في الطائف، و تركه للبدو، وعاد إلى مكة المكرمة، وسقطت هيبته بين العرب، وتراجع نفوذه بينهم، وصار في منزلة حقيرة كأحد من الناس، وانزوى في داره. ولكنه لما علم بخروج سعود التعيس من الدرعية في حشود كبيرة من العساكر الملحدين و الملاعين لغزو ومكة المكرمة، وأنه وصل بجيشه إلى قرية «تربة»، بالقرب من الطائف، جمع العدد الكافي من جنوده، و خرج بهم إلى القرية المذكورة، وطرد سعوداً منها.

ولم يصمد سعود بن عبدالعزيز إزاء هجوم الشريف غالب فهرب أمامه، ولجأ جنوده إلى الجبال، ولكن الشريف غالب تعقبهم. وأخيراً، قام سعود بن عبدالعزيز بتجميع عساكره الذين احتموا بالجبال، وأخذ بالتضييق على عربان قبائل الحجاز بشكل مستمر، وبدأ في تحريضهم بإحياء النعرات البدوية عندهم. وبفضل هذا العمل، أدخلهم في طاعته، وانقادوا له. ولقد نفذ إلى قلوب هؤلاء الجهلة وسيطر عليها كالشيطان، وأخرج كافة البدو، الذين لا عقل ولا حيثية لهم، عن سواء السبيل، وأضلهم. وازداد عدد المؤمنين بديانته الباطلة، وتعاظم جمعهم، حتى أجبر الشريف غالب على عقد الصلح معه.

وبموجب هذا الاتفاق أصبح بإمكان سعود وأتباعه من الوهابيين الحج إلى بيت الله والطواف به متي ما أرادوا ذلك. ولهم أن يقيموا في نواحي الطائف و ما جاورها. ويمكن لأتباع الطرفين أن يتبادلوا البيع والشراء مع بعضهم البعض. ومن شروط هذا الصلح إن يعلن العفو عن البدو الذين هزموا الشريف غالب في موقعة الطائف. وكان قسم من النواحي الحجازيه قد بقي تحت حكم الشريف غالب، و البعض الآخر ظل تحت حكم سعودبن عبدالعزيز، وكان ذلك في عام ١٢١٢هـ.



وكانت معاهدة الصلح التي أجبر عليها الشريف غالب هي الخطأ الرابع الذي وقع فيه.

فلو أن الشريف غالب عندما هزم سعود بن عبدالعزيز عند قرية تربة، لم يتركه، وتعقبه حتى أخرجه من بلاد الحجاز، وأبعده عن أطرافها، لم يتمكن سعود من إفساد عقول بدو الحجاز، ولا استطاع أن يغلب الشريف غالب و يضطره إلى عقد اتفاقية للمصالحة مكرهاً.

ولأن هذه الاتفاقية قد حدثت في أواسط تلك السنة، فقد قدم سعود في موسمي الحج عامي ١٢١٣هـ وعام ١٢١٤هـ بنفسه وبمعيته جموع غفيرة من العسكر، وظهر بهم في مكة وعرفات، و نشر بذور الفساد والاضطراب في قلوب قبائل العربان و عقولهم.

وفي خلال هاتين السنتين، تعاظم عدد الناس الذي بايعوا عبدالعزيز على اتباع مذهب محمدبن عبدالوهاب الباطل، وازدادوا بشكل مثير للحيرة والدهشة، وانقلبوا كلهم ضد الإسلام.

وأدرك الشريف غالب من التحركات المشاهدة للذين يبايعون سعوداً، غيرالمسعود، ومن تزايد عدد غوغاء الوهابية يوماً بعد يوم، أن فتنة الوهابية قد اكتسبت أهمية، وأن زمام الإدارة في منطقة الحجاز سينتقل إلى يد سعود بن عبد العزيز المنحوسة. وأراد تهديد سعود بن عبدالعزيز بإرسال رسائل ومكاتيب تطالب بضرورة إعادة أعراب البادية الذين ينضمون إلى طرف الوهابيين، وإرجاعهم إلى قراهم بموجب شروط المعاهدة. إلا أن سعوداً رد عليه رداً حاسماً بقوله: «إنه لايجوز شرعا إعادة من يدخل في الدين الحق». ولذلك كان مضطراً لاستخدام القوة العسكرية من أجل تنفيذ أحكام معاهدة الصلح وشروطها. ولكن سعود بن عبد العزيزكان قد جمع رؤساء قبائل البدو،

وخاطبهم بشعارات منها: «من كان مريداً للطاعة، فليدخل تحت ظلال سيوف سعود». ومنّاهم بأن من يطيع أوامره سوف يتخلص من آفات الدنيا ومصائبها، وسينجو من عذاب الآخرة. وبعد أن حاول إقناع البدو وطمأنتهم بذلك، بدأ بتجهيز هذه العصابات من أجل إراقة دماء المسلمين بموجب فتاوي باطلة من علماء زنادقة. وسمع الشريف غالب بكل هذا، ولم يبق عنده قوة من العسكر يمكن أن تقف سداً مانعاً أمام فيضان البلاء هذا، فقرر تجديد المعاهدة حتى لا تسقط مكة المكرمة في أيدي هؤلاء الأشقياء المفسدين.

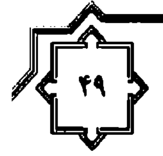
فأرسل إلى الدرعية كل من عثمان بن عبدالرحمن المضايفي و محسن الخادمي و معهما رسالة كتبها بأسلوب لطيف وجهها إلى سعود بن عبدالعزيز، وطلب منه إضافة مادة جديدة إلى المعاهدة السابقة تنص على عدم التعدي و عدم إلحاق الظلم بأي فرد من كلا الطرفين.

ولقد أحس الشريف غالب بالندم لأنه قضي وقتاً طويلاً لا ينصاع لنصائح أخيه الشريف فهيد، وقال: «لقد أخطات حين وافقت على الصلح مع سعود». ولكن الأمر قد خرج من يده.

أما الشريف فهيد فلم يبق لديه أي شك في أن منطقة الحجاز المباركة قد ضاعت من أيديهم، ولهذا رأى أن الإقامة بها أمر غير مناسب فغادر مكة ذات ليلة سراً، ودون أن يخبر الشريف غالب، و توجه إلى المدينة المنورة، ومنها ذهب إلى الشام ثم إلى عكا، وفيها قضي بقية حياته حتى وافاه الأجل المحتوم.

استيلاء الأعداء على قلعة الطائف

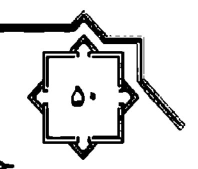
ولأن عثمان المضايفي الشقي كان موالياً للديانة الوهابية، فقد تحول ضدالشريف غالب في غيابه، وأقنع أيضاً رفيقه محسن الخادمي الخائن عند



وصولهما إلى الدرعية بالعمل لنشر أفكار سعود بن عبدالعزيز و ترويجها. وانطلق بفرقة الوهابيين الباغية التي كلفه سعود بقيادتها، ووصل إلى موقع «العبيلة» القريب من الطائف. وهناك أرسل الرسائل الخاصة إلى الشريف غالب، و أخبره بأن المعاهدة قد نقضت، سواء من قبله أو من قبل سعود بن عبدالعزيز، وأنه ينوي الاستيلاء على مكة المكرمة، لهذا أرسل أوامر مشددة إلى كل الأطراف و إلى عموم بدو الحجاز يطلب منهم التسليم، والدخول في طاعة سعود. وأحدثت هذه الأوامر المضرة تأثيراً سيئاً و سريعاً في كل البلاد، وأصيب الشريف غالب وأهل الحرمين بالخوف والهلع، وبدأ وقوع الظلم و التعدي.

وفي الواقع، لقد أرسل الشريف غالب رسائل إلى عثمان المضايفي تحتوي على نصائح لينة، ويدعوه فيها إلى ترك الفساد والشقاوة، ونصحه بالعودة عن هذا الطريق، إلا أن عثمان المضايفي مزق بكل وقاحة رسائل الشريف غالب، ورماها. و تمادى في فساده وغيه.

ولقد منيت عدة فرق عسكرية أرسلت من مقر الأمارة بالهزيمة، فاضطر الشريف غالب إلى الانسحاب إلى قلعة الطائف والتحصن بها. ولما أدرك عثمان المضايفي جيداً أن الشريف غالب، من الآن فصاعداً، لم تعد له قدرة على مقاومة الوهابيين، أسس مقراً لقيادته في قرية «المليس» القريبة من الطائف، وذلك في أواخر شهر شوال ١٢١٧ هـ وقرر البدء في ضرب الحصار على قلعة الطائف. وبعد إجراء الاتصالات، ورد أمير بيشة سالم شكبان الملعون، الذي يستحق أن يطلق عليه أكفر الكافرين، على عثمان المضايفي الخبيث، والتحق به، واشتركا في تحدي الشريف غالب، والتصدي له. فقد كان تحت إمرة سالم بن شكبان ألف رجل، وفي معيته حوالي عشرين شيخاً من أمراء بيشة، و تحت إمرة كل واحد منهم خمسمائة رجل من الوهابيين الخونة.

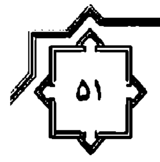


وشن الشريف غالب بالاتفاق مع أهالي الطائف و بمعونتهم، هجوماً جريئاً دموياً على مقر القيادة في «المليس»، وبادرهم بالحرب، وقتل خمسمائة رجل من أتباع سالم بن شكبان، وأوقع الهزيمة بجماعات الأعداء الباغين، وطردهم. ولكن سالم بن شكبان عاد بعد أن جمع عدداً كبيراً من العساكر، وهجم على القرية المذكورة، واغتصب أموال أهلها ونهب متاعهم. فدخل الخوف والرعب إلى قلب الشريف غالب من هجوم ابن شكبان هذه المرة، فخرج سراً من الطائف و هرب تحت جنح الظلام.

ولقد وضع هذا الموقف الطائف في حالة من الخوف والهلع والحيرة، وبعد أن تشاوروا طويلاً فيما بينهم قرر فريق منهم الهرب سراً بأولاده و امواله، وأما الفريق الآخر فقد بقي في الطائف، مستسلماً لما قدره الله عليهم.

وبناء على هذا الاتفاق، تولى أهل الطائف الذين بقوا داخل القلعة الدفاع عن انفسهم، واشتبكوا مع الوهابيين المهاجين، وأنزلوا بهؤلاء الأشقياء الهزيمة مرات عديدة، مزقوهم شذر مذر. ولكن لأن الأعداء كانوا أكثر عدداً، و كان تأتيهم الإمدادات متتابعة بدون انقطاع، فتعوض خسائرهم من الجنود بضعفين أو ثلاثة أضعاف، وازدادت قوتهم، فقرر أهل الطائف في النهاية تسليم القلعة. فرفعوا عليها علامة الاستسلام، وأرسلوا رسولاً منهم إلى مقر قيادة العدو لطلب الأمان.

وعلي الرغم من أن فرق العدو كانت في تلك الأثناء قد هزمت شر هزيمة، وبدأت في الفرار، ولكن، للأسف، فإن الشخص الحقير الذي اختاره الأهالي، وبعثوا به إلى رئيس البغاة الأشقياء، قد شاهد الوهابيين و هم يولون الأدبار هاربين، ولم يتجرأوا حتى على العودة أو الالتفات نحو الطائف، إلا أنه كان غاية في الحماقة والبلاهة، أو أنه أراد الدخول في ديانة الوهابيين، فلا نعلم سبباً



لتصرفه. فقد خلع عمامته من على رأسه، ورفعها و هو يصيح بأعلى صوته في إثـر هؤلاء الفارين، ويولول بلهجة بدوية، ويقول: «أيها الجند الـشجعان المظفـرون، إن الشريف غالب لم يستطع الصمود أمـام هجـومكم الكاسـح، فهـرب موليـاً الأدبار. وإن أهالي الطـائف الآن في غايـة الـضعف والأنهـاك والجـبن، وقـرروا مغادرة القلعة، وتسليمها لكم بشرط أن يحصلوا منكم على الأمان والعفو عنهم. ولقد أرسلوني بهذا الأمـر مبعوثـاً إلـيكم، يرجـون جميـل صـنيعكم و خـيركم، واعلموا أن الأهالي لم يبق لهم حول ولاقوة. أرجـوكم عـودوا، فنخلـة سـعدكم وحظكم بدأت تعطي ثمارها على مرادكم وعلى ما تحبون. لقـد تكبـدتم الخـسائر العظيمة و تجشمتم الصعاب الهائلة، فلا يصح ولا يليـق بعـد هـذا ألا تـسيطروا على الطائف، وتولوا عنها وتعودوا أدراجكم. وإني أطمئـنكم عـلى هـذا الأمـر، وأقسم لكم بالله أن الطائف سوف يستسلمون لكـم دون مقاومـة، و سـيقبلون كل ما تشترطونه وتقترحونه عليهم».

وكـان سـقوط الطـائف في أيـدي الأعـداء وتـسليمها عـلى هـذا النحـو، وفرارالشريف غالب، وتركه الأهالي، هو الخطا الخامس الذي ارتكبه.

وطبقاً لمقولة أن «الخائن جبان»، لم يصدق الوهابيون في أول وهلة كلام هذا المبعوث المنحوس، وردوا عليه قائلين: «من المحتمل أن يكون هذا الخبر كاذبا». ولكنهم لما رأوا علامـة الاستـسلام مرفرعـة فـوق القلعـة، تجمعـوا عنـد أحـد جوانبها، وأرسلوا رجلاً منها ليتحقـق مـن هـذا الخـبر، ويـستعلم رأي النـاس ويستطلع ما يضمرون.

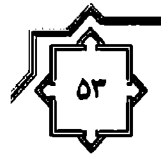
وقام هذا الاحمق الذي بعثه الوهابيون لكي يقف على ما يفكـر بـه الأهـالي، بالصعود إلى أعلي القلعة مستخدماً الحبال المدلاة منهـا، وخـاطبهم بقولـه «أيهـا الأهالي، إذا كنتم قد عزمتم حقيقـة عـلى الاستـسلام، وطلبـتم العفـو و الأمـان

حسبما ذكر الرجل الذي بعثتم به، وترغبون في إنقاذ أنفسكم، فعليكم أن تأتوا بكل أموالكم و متاعكم مهما بلغ، وذلك لكي تنقذوا أرواحكم وأنفسكم».

وأحضروا بالفعل أموالهم و متاعهم بترغيب رجل محب للخير يدعي إبراهيم بن محمد بن الأمين، ولكن هذا الرجل قد استقلّ تلك الأموال، ووجدها ضئيلة، فبدأ يهذي بكلام بذيء وقاس، فقال: «لا.. لا إن العفو والأمان لا يمنح لكم بأموال قليلة و أشياء ضئيلة كهذه. يجب أن تحضروا أموالكم كلها، وأن تعطونا دفتراً دقيقاً يحتوي على أسماء الأشخاص الذين يخبئون أموالكم. وبعد هذا، تزودونا برجال منكم يقومون على حراسة تلك الأموال ويحفظونها بالتناوب. ومع هذا، فإننا قد نسمح لرجالكم بالذهاب إلى أي مكان يريدون، أما نساؤكم و أطفالكم فسوف نأخذهم كلهم أسري».

وكلما رجوه أن يتعامل معهم برفق ولين، ازداد في حدته وخشونته، فلم يصبر إبراهيم بن محمد الأمين الذي ذكرناه سابقاً على تصرفاته، فضربه بحجر على صدره، وصرعه.

وإلي اللحظة التي زهقت فيها روح هذا الوهابي الخبيث، الذي قتل برمية من حجر، واستقر في جهنم، كانت أبواب القلعة مغلقة، ولهذا فإن الخوف من هؤلاء الأشقياء قد ذهب من قلوب الأهالي «المحاصرين» إلى حد ما. إلا أنه لما قتل ذلك الأحمق، اندفع مجموعة من الأشقياء نحو أبواب القلعة المحكم، واحتشدوا عندها. ولأنهم نجوا من رصاص القذائف، فقد استخدموا الآلات الحديدية في كسر الأبواب، واندفعوا إلى داخل القلعة، وأعملوا السيف في كل من صادفهم من الأهالي، دون أن يفرقوا بين رجل أو امرأة أو طفل. وتلونت الشوارع والأزقة باللون الأحمر من دماء هؤلاء المظلومين. ولم يتورعوا عن تمزيق الأبرياء إرباً إرباً في مخادعهم. وتركوا الحيوانات الضواري تنهش أجساد القتلي الذين لا حول لهم ولا قوة، ثم نهبوا ما وقع تحت أيديهم من مال و متاع.



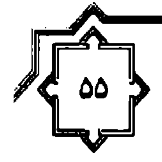
و هاجم الوهابيون أيضا الأهالي المحاصرين في داخل المباني المحكمة و المنيعة في الطرف الشرقي من القلعة. ولكنهم لم يفلحوا في أسرهم والتمكن منهم، فأخذوا يمطرونهم بوابل من الرصاص حتى غروب الشمس، وضيقوا على هؤلاء الأبرياء، وقتلوا أغلبهم، وصعدت الأرواح الطاهرة إلى جنة الفردوس. وانسحب الوهابيون بعد الغروب، وقطعوا الطريق عليهم. وأما هؤلاء المحاصرون العُزّل داخل الأبنية بالقلعة، فكانوا ينتحبون و يصرخون: «الدنيا مقام الندم والألم و البلاء، وهي موطن المحنة، ودار الغم، وقصر المآتم». وكانوا ينتظرون بفارغ الصبر عودة ذلك الملعون الذي أرسلوه إلى الوهابيين لطلب العفو والأمان لهم، ويراقبون طريق قدومه بعين الأمل والحيرة.

وبينما كان هؤلاء العزل في غاية الانكسار و شدة الاضطراب، ويتحرون عن ذلك الرجل الذي أرسلوه و أين غاب، سمعوا بالأخبار التي أفادت أن الأشقياء الوهابيين الملاعين قد قطعوا طرق الموارد الخارجية، أي أن الطرق التي يسلكها المسافرون في ذهابهم و عودتهم بين قرى الطائف و بين مكة قد وقعت في يد الأعداء. وتذكروا أحوال الأهالي الذين نجوا من القتل وانهزموا، وتركوا نساءهم وأطفالهم في قلعة الطائف و أرادوا الفرار إلى مكه، وانتشروا في القرى المجاورة، فأصابهم الكدر والغم لهذا المصير. وبعد قليل، سمعوا بأن عثمان المضايفي، الذي كان قد انهزم وفر قبل فترة، رجع إلى قرية العبيلة بعد أن زاد من قواته، فأدركوا أن الأمور قد تطورت نحو الأسوأ. ذلك أن الأهالي علموا بأن المبعوث المنحوس الذي أرسلوه، قد توجه إلى المكان الذي لجأ إليه عثمان المضايفي، وراح يدعو هذا الملعون.

وبعد أن أقام عثمان المضايفي مقرّاً لقيادته و نصب خيامه في العبيلة، تجول في بعض المواضع، مع ذلك المبعوث الخائن الذي أرسل لطلب العفو و الأمان

الأهالي، وكان في حالة من الاضطراب، وقام يخاطب الأهالي: «يا أهل الطائف، لقد وفقت في الحصول على العفو و الأمان لكم من ابن شكبان. و أبارك لكم جميعاً هذا، وأرجو أن تقدروا لي هذه الخدمة في وجدانكم، وأن تحكم عليها ضمائركم، والآن خذوا نساءكم وأولادكم و اخرجوا من أبواب القلعة، وانطلقوا إلى أي مكان ترغبون فيه». وكان كلامه هذا مجرد خداع للناس، فصدقه بعض الأهالي الذين كانوا قد نجوا من القتل، وتواروا في بعض المخابئ، واختبأوا فيها، فخرجوا مصطحبين نساءهم و أولادهم، تاركين منازلهم و أموالهم ومتاعهم، وتدافعوا نحو أبواب السور وهم في غاية اليأس والحرمان. ألا أن حراس الأبواب قاموا بتفتيشهم جميعهم، فرداً فرداً، ومن لم يجدوا معه شيئاً من نقود أو متاع، أعادوه، وأصعدوهم على تل مرتفع واسع، محاط من كل أطرافه بالغوغاء المسلحين. ولا يعلم على وجه الدقة عدد هؤلاء المساكين الضعفاء الذين أصعدوهم فوق التل، إلا أن أكثرهم كانوا من الأطفال والعيال العرايا. ولقد تركوا فوق ذلك التل مدة اثني عشر يوما بلا طعام أو دواء أو رعاية. وكان كثير من هؤلاء العُزّل من أبناء العائلات الأصيلة والشريفة، ممن عاشوا حياة عزّ و نعيم، فعذبوهم و آذوهم بالسلاح أحياناً، وبالعصي و الحجارة أحياناً أخرى.

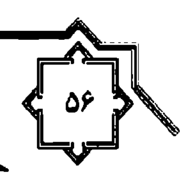
ولم تهدا ثائرة هؤلاء بممارسة هذا النوع من قلة الحياء و من التعسف والجور، وكذلك بقذف الضعفاء بأنواع السباب الشتائم، فأخذوا ينادون كل واحد منهم على حدة، ويوسعونه ضرباً، ويقبحونه بالسباب، ليدلهم على المكان الذي أخفى فيه أمواله و أشياءه الثمينة. ولما اشتكوا ورفعوا صوتهم، وصرخوا يطلبون العفو والأمان، واسترحموهم، أرسلوا «الحراس» رسلاً إلى ابن شكبانوسعود و عثمان المضايفي، يستأذنونهم في قتل الرجال.



ولقد استمر ابن شكبان الخنزير في محاصرة هؤلاء الأبطال الذين تحصنوا في المباني الشرقية المحكمة و الرصينة، مدة اثني عشر يوماً، وضيق عليهم الخناق ولأنه لم يتمكن من هزيمتهم في الحرب، نادي عليهم وأعطاهم وعداً محكما، «بأن من يخرج من بيته ويترك سلاحه، سيكون له العفوو الأمان». و في الواقع، فإن هؤلاء المحاصرين لم يعد لديهم شيء من الطعام أو الذخيرة، لذا صدق هؤلاء المظلمون وعد ابن شكبان المكذوب، فتركوا سلاحهم وخرجوا من بيوتهم. ومع الأسف لم يف ابن شكبان بوعده، فأرسلهم إلى التل المرتفع، وقد ربطت أيديهم إلى ظهورهم، وفي الأثناء التي سقط فيها هؤلاء المظلومون في فخ ابن شكبان، الظالم الذي لا إيمان له، كان ابن شكبان قد بدأ في قتل كافة من أرسلوا من قبل إلى التل مع أبنائهم ونسائهم، ولم يبق منهم أحد.

وكان من بين الأسري الذين استسلموا بحيلة ابن شكبان الشيطانية ٣٦٧ رجلاً، قد أصعدوهم مكبلي الأيدي إلى ظهورهم و معهم أطفالهم و نساؤهم إلى التل المذكور، وقتلوهم عن بكرة إبيهم. وأما الذين أصعدوهم إلى قمة التل قبل هؤلاء لقتلوهم، فإنّ أغلبهم لم يمت، بل كانوا ينازعون الموت.

ولقد ترك الأشقياء جثث الموحدين القتلي مدة طويلة ملقاة فوق ذلك التل، تنهشها حيواناتهم، ثم تركوها في العراء طعمة للضواري والجوارح من الطير ستة عشر يوماً. وتركت عورات جثث القتلي مكشوفة فوق ذلك التل، وألقيت الجثث فوق بعضها البعض. وأخذ الأشقياء الملاعين يتجولون في منازل القتلي ودورهم، وجمعوا كل ما وجدوه بها من مال و أشياء، و أتوا بها أمام باب السور وكوموها كأنها الجبل. وبعد أن قسموا الخمس من النقود و الأشياء الثمينه لسعود التعيس وزعوا الباقي على الأشقياء.



وحسبما رواه رجل موثوق، فإن ما بقي من المتاع والأشياء المختلفة التي جمعت أمام باب السور، وأصبحت كومة كبيرة، وما لم يتلف من الأمطار ولم تصله يد اللصوص شيء كثير. إلى جانب ذلك، كان هناك مبلغ أربعون ألف ريال، ومقدار كبير لا يمكن تخمينه من المتاع و الأموال. ولقد وزع مبلغ عشرة آلاف ريال على النساء والبنات. وأما بقية الأشياء الثمينه المغتصبه فقد وزعت على الأشقياء ثم باعوها في الأسواق و الأزقة بأسعار زهيدة.

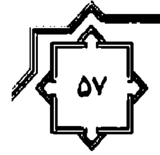
وما عدا الأواني النحاسية و ملابس الجوخ، فلم تثمن بقية الأشياء بأي قيمة من النقود، ولهذا وزع الوهابيون هذه الأشياء النفيسة التي لم تبع بقرش على السائلين من العربان، وتفضلوا بها عليهم، وأبانوا لهم عن كرمهم حسب زعمهم.

وإذا وصلنا إلى موضوع الكتب القيمة، فإن عساكر الأشقياء الملاعين قد نهبوا كل ما وجدوه من كتب نادرة، ولا حصر ولا عدد لها، كانت محفوظة بالمكتبات و خزائن الزوايا والتكايا والبيوت والدور، وهي كتب في علوم التفسير و الحديث وسائر العلوم الأخرى. وقاموا بتمزيقها كلها، والقوا بها على الأرض احتقاراً لها. ونزعوا الجلود المذهّبة والمزيّنة من على المصاحف الشريفة وصنعوا منها شراكاً لنعالهم و لبسوها في أرجلهم المجيفة، وكانت هذه الجلود تحوي نقوشاً لبعض الآيات القرآنية الشريفة والأسماء الحسنى المباركة[1].

وكانت أرض الطائف المضرجة بالدم قد غطيت بأوراق الكتب الجليلة النفيسة الممزقة، حتى أنه لا يوجد موضع يمكن أن تطأه القدم دون أن تدوس على الأوراق. ولقد تنبه ابن شكبان إلى المصاحف الشريفة، فأصدر تنبيهاً مكتوباً بعدم تمزيق المصاحف كبقية الكتب. لكن هؤلاء الأعراب البدو، خاصة رعاع

---

١ . المترجم: انظر جودت تاريخي ٤/ ١٨٧٠.



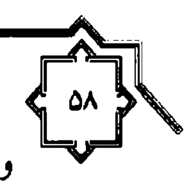
الوهابيين، لا يستطيعون التفريق و التميز بين المصحف الشريف وغيره من الكتب، فمزقوا كل ما وجدوه من مصاحف شريفة نادرة، وألقوا بها على الأرض، وأساؤوا لها لدرجة أن مدينة الطائف على كبرها لم يبق بها سوى ثلاث نسخ من القرآن الكريم، و نسخة واحدة نفيسة من صحيح البخاري.

معجزة جليلة

لقد أقدم العربان الحمقى دونما خشية على تمزيق آلاف الكتب القيمة والنادرة المباركة، ومن بينها مصاحف شريفة و تفاسير قيمة وكتب أحاديث جليلة، وألقوا بأوراقها الممزقة على الأرض ليجعلوها تحت أقدامهم. ولكن بمعجزة إلهية، طارت هذة الأوراق، ولم تسقط قطعة منها على الأرض، بالرغم من عدم هبوب أي ريح أثناء تمزيقها.

لقد بقيت جثث الشهداء ستة عشر يوماً ملقاة في العراء على قمة التل، فتعفنت بتأثير حرارة الشمس، وتحللت وحصلت منها روائح كريهة. فأخذ الناس يرجون ابن شكبان ألف رجاء ويتوسلون إليه ويستعطفونه، حتى أذن لهم فحفروا حفرتين كبيرتين، وألقوا فيها الجثث جميعها، بعضها قد بقي منه النصف، وبعضها بقي منه ربع الجثة. و بعد ذلك هالوا عليها التراب، وأغلقوا الحفرتين.

ولكن بعد فترة، بدأت روائح تعفن أعضاء القتلي نهشتها الضواري وحملتها الطيور الجارحة إلى أماكن بعيدة، تصل إلى الوهابيين و تسبب لهم إزعاجا، فحفرت أيضاً حفرتان كبيرتان، وألقوا فيها ما كان في الأطراف و الأكناف من الأعضاء، وما بقي من أكل الحيوانات و الطيور الجارحة، ودفنوها في الحفرتين بالتراب.



وكان هدف الوهابيين الخبثاء من ترك جثث الشهداء في العراء حتى تتحلل وتتفسخ هو الإيغال في احتقار جثث الشهداء لكنّ هذا العمل لم ينقص من مكانتهم أو مراتبهم في الآخرة.

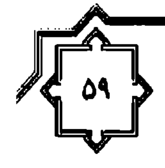
وبعد المذبحة التي قام بها جنود الملحدين لأهل الطائف، قسموا ما اغتصبوه منهم من الأموال والأشياء الثمينة، ثم جالوا في وسط مقابر الكبار، وبمقتضى مذهبهم الباطل، هدموا كل قبة أو ضريح وجدوه، وهدموا كل القبور وسووها بالأرض. وعقب ذلك تمكن بعض الأهالي ممن نجوا من المذبحة من معرفة الطريق إلى المكان الذي ينزل به رؤساء الوهابيين، فأخرجوهم من قلعة الطائف، وأطلقوا سراحهم، بشرط أن يغادروا إلى المكان الذي يريدونه.

في أثناء قيام خنازير الأشقياء بهدم القباب أرادوا نبش قبر ترجمان القرآن، سيدنا عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ﵄، واستخراج رفاته النورانية المباركة، وإشعال النار فيها. ولكنهم لما همّوا برفع غطاء الصندوقة[1] الموجودة على الضريح الشريف، انتشرت في المكان رائحة طيبة، وملأت الأرجاء، فارتعبوا وأصابهم الفزع، وتراجعوا وهم يهذون بقولهم: «لابد أن في هذا القبر بشيطان كبير، وبدلاً من تضييع الوقت في نبش القبر، فالأولى أن نشعل النار فيه كما هو على حاله».

ثم فكروا بعد ذلك بإحضار كميات كبيرة من البارود، ونسف القبر المذكور، ولكن بحسب الكرامة الألهية، فإن البارود لم يشتعل، ولهذا تخلوا عن هذه الفكرة، وصرفوا النظر عن ذلك. وبسبب هذه الحادثه ظل القبر الشريف عدة سنوات بدون صندوقة. وأخيراً، صنع السيد ياسين أفندي ﵀، صندوقة للضريح على سبيل التبرك.

---

١ . المترجم: الصندوقة هي صندوق يعلو القبر وبطوله، ومصنوع من الخشب أو من الرخام، ويغطي بقماش.



ولقد أراد الوهابيون نبش قبر السيد الهادي، وسائر قبور كبار أهل الله، ولكن لم تمتد ايديهم إليها بسوء وذلك بكرامة من هؤلاء الأولياء واضطروا إلى التخلي عن فكرة النبش وتركوها.

وكان عثمان المضايقي الملعون ومعه ابن شبكان قد أمرا قبل هدم القباب التي تعلو الأضرحة، بتخريب كافة المساجد الشريفة والمدارس بالطائف، وهدمها جميعها. ولكن الشيخ ياسين أفندي، وهو من كبار علماء أهل السنة وأفاضلها، اعترض عليهم وقال لهم: ما هو غرضكم من تخريب المساجد التي أسست لتؤدي فيها الصلوات مع الجماعة؟ فإذا كنتم تقولون إن ضريح عبدالله بن عباس موجود به، وتريدون هدم هذا المسجد، فإن القبر يقع في الجانب الأيمن من المسجد الكبير، ويوجد تحت قبة خاصة به، وهذا لا يبرر هدم المسجد. واستطاع ياسين أفندي أن يفحم كلاً من عثمان المضايفي وابن شكبان، ولكن زنديقاً يدعي درويش المطوع تولى الرد، يخاطب ياسين أفندي بسفسطة، فقال دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. ولقد هم ياسين أفندي ﵀، بالرد عليه، فسأله: هل يكون في المسجد شك وريبة؟ عند هذا صمت الرجل، وعجز عن الرد طبقاً للحكم الجليل: فبهت الذي كفر، وبدأ في أطلاق لسانه بسب ياسين أفندي وشتمه. وبناء على هذا تدخل عثمان المضايفي، ولم يترك مجالاً لمناظرة علمية، وقال: إننا لن نعمل برأي أي منكما فاتركوا المسجد واهدموا القبة التي تعلو ضريح عبدالله بن عباس.

استيلاء الأعداء على مكة المكرمة

وبعد أن أحكم عثمان المضايفي قلعة الطائف وحصنا على الوجه المطلوب، وترك بها مجموعة كافية من الحراس من غوغاء الوهابيين، انطلق للاستيلاء على

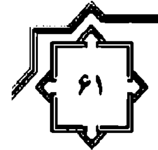
مكة المكرمة، وساق جنوده إليها حيث التقي مع سعود الموجود في موقع السيل. وفي تلك الأثناء وصلت الأخبار بأن والي جدة شريف باشا قد وصل إلى مكة المكرمة ومعه قوافل الحجاج المصريين والشاميين «المحمل المصري و المحمل الشامي». ولهذا لم يتجرأ سعود على حصار مكة المكرمة، واكتفي فقط بتهديد الشريف غالب. وكان ذلك في عام ١٢١٧هـ.

ولقد فزع الشريف غالب فزعاً شديداً من تهديد الوهابيين، ودعا والي جدة وأميري الحج المصري والشامي، وشرح لهم اعتقاده بأن طائفة الخوارج سوف يستولون على مكة المكرمة، وقال: لو أمددتموني بقليل من المساعدة والدعم، فإنه يمكنني أن أقبض على سعود رئيس الخوارج.

ولكن الشريف غالب، وبعد سكوت مدة طويلة، لم يحصل منهم على جواب، الا الرفض من كل منهم، فاضطر إلى تعيين أخيه الشريف عبد المعين نائباً «قائم مقاماً» على إمارته، ثم أحرق قصره الواقع عند سفح جبل أجياد، وأخذ أولاده وأهله، وتوجه إلى جدة. وأرسل الشريف عبدالمعين في سنة ١٢١٨هـ إلى سعود بن عبدالعزيز، عدداً من علماء مكة، وهم: الشيخ محمدطاهر «سنبل»، والسيد محمد أبوبكر الميرغني، والسيد محمد «بن محسن» العكاس، وعبدالحفيظ عجيمي[١]، يطلب منه العفو والأمان. ولقد قبل سعود رجاء الشريف عبدالمعين والتماسه، واصطحب العلماء المبعوثين المذكورين وأخذ جيشه «غوغاء الوهابية» المحتشد في منطقة السيل، وتوجهوا إلى مكة المكرمة. وهناك أقرّ سعود الشريف عبد المعين في منصبه، قائمقاماً للإمارة، وأمر بهدم القباب والأضرحة الموجودة في مكة و تخريبها. وبهذا دلل على فساده وبغيه.

---

١ . المترجم: في النص العكاس، عجمي، ولقد صححت بالرجوع إلى كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، للسيد أحمدبن زيني دحلان المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٥هـ ص٢٧٦.

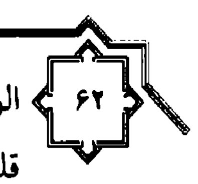


فالوهابيون يعتقدون أن أهالي الحرمين الشريفين يعبدون القباب والقبور من دون الله تعالي، فإذا هدموا تلك القباب وأزالوا جدرانها، تحقق لهم إخراج الناس من دائرة الشرك والكفر، وبذلك يعبدون الله وحده، حتى أن امامهم ابن عبد الوهاب يرى، حسب زعمه الفاسد، أن كل من مات بعد سنة ٥٠٠ للهجرة، قد مات على الشرك والكفر[١]. ويعتقد الوهابيون أن أحكام الدين الإسلامي الجليلة قد نزلت من الله الرحمن على هذا الخائن الملحد بطريق الوحي والإلهام. ولذلك فهم يعتقدون بعدم جواز دفن المسلمين الذين يموتون بعد ظهور العقيدة الوهابية بجوار الذين ماتوا منذ سنة ٥٠٠ للهجرة، ولا يرون بأسا في دفنهم في الأماكن القريبة من قبورالمشركين. وبعد أن استولى سعود على مكة أم القرى، توجه إلى جدة، للقبض على الشريف غالب. وبهذه الحيلة يجدها وسيلة سانحة للاستيلاء على قلعة جدة، فساق كتائبه نحو بند جدة المعمورة. وإذا كان قدوم سعود هذا أجبر الشريف غالب على الفرار بالبحر، إلا أن الخيّرين من أقاربه قد شجعوه على التحول عن فكرة الفرار، فاتحد مع والي جدة شريف باشا، وهزما الوهابيين وفرقوهم. ولقد مني سعود بهزيمة منكرة وعاد بفلوله إلى مكة المكرمة، وأقام في مقر الإمارة الفخم وبدأ يمارس الحكم منه.

وبالرغم من أن الشريف عبدالمعين حاول مداراة رؤساء الأشقياء في الظاهر، من أجل تجنيب أهل مكة مظالمهم، وأظهر لهم الترحيب بهم، إلا هؤلاء الملاعين كانو يزدادون من ساعة إلى أخرى عنادًا وتكبرًا وظلمًا وتعسفا. وأيقن الشريف عبد المعين أنه لامجال للتوافق والامتزاج معهم مستحيل، فلذلك أرسل رجلاً إلى أخيه الشريف غالب يخبره أن سعوداً يقيم في مقر الإمارة، وأن جنود

---

١ . المترجم: هذا الرأي مكرر أيضا في كتاب أحمد بن زيني دحلان، خلاصة لكلام، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٧. وانظر جودت تاريخي، ٤/ ١٨٤٩.



الوهابيين يتمركزون في خيامهم في ساحة المعلاة. وأما هو فقد تحصن في داخل قلعة أجياد، فلو حضر بغتة إلى مكة في فرقة من جنوده وفاجئهم، فيمكنه القبض على سعود.

وبناء على هذا الخبر، تحرك الشريف غالب ومعه والي جدة شريف باشا، ترافقها قوة عسكرية كافية من الخيالة، للقبض على سعود. ودون أن يدري، أحد باغت الوهابيين ليلاً في مكة، ثم حاصروا جنودهم المعسكرين في خيامهم في ساحة المعلاة، وأحاطوا بهم من الجهات الأربع، إلا إن سعوداً أفلت منهم، بعد أن كانوا على وشك القبض عليه. وطلبوا العفوا والأمان بشرط التخلي عن أسلحتهم. وفعلا نزعت أسلحتهم، وأخلي سبيلهم للعودة إلى ديارهم. وهكذا استعيدت مكة المكرّمة من أيدي الأعادي. وبعد مرور زمن قصير، أُستعيدت قلعة الطائف بقوة الشريف غالب العسكرية وسطوته، بل بفضل ما قدمه بدو بني ثقيف من طاعة وانقياد للأوامر.

ذلك أن الوهابيين الذين حصلوا على العفو الأمان في مكة، لم يعودوا إلى بلادهم، بل أخذوا يقطعون الطرق، ويمنعون وصول المؤمن، وذلك برأي من سعود، وبموافقته. وبناء على هذا، أرسل الشريف غالب بعضاً من رجاله إلى قبائل بني ثقيف، ورجال العربان القاطنين بجوار الطائف، وحثهم على الهجوم على الطائف، وإخراج جماعة عثمان المضايفي من القلعة، ونهب أموالهم ومتاعهم وتوزيعها بين القبائل.

ولقد تحالف بدو بني ثقيف، الذين كانوا متحرقين لهذا النوع من السلب والنهب من زمن بعيد، مع كثير من قبائل العربان، وأغاروا على قريتي السلامة[١]،

---

١ . المترجم: قرية الطائف. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، نشر دار بيروت، ودار صادر، بيروت ١٩٥٧م، ٣/ ٢٣٤.



والمثناة[١]، الواقعين بالقرب من الطائف، أجبرو فرقة عثمان المضايفي التي خرجت إليهم، على التراجع والانسحاب، فاستولوا على قلعة الطائف، أخبروا الشريف غالب بما جرى.

ولقد هرب عثمان المضايفي إلى جبال اليمن بعد الهزيمة النكراء التي مني بها في الطائف، ولكنه جمع هناك بعض الفلول، وهجم على مكة من جهة الحسينية. وكذلك شن عبدالوهاب أبو نقطة الملعون، الذي كان يقود كتائب جيش سعود، هجوماً من جهة سعدية[٢]، ومن الجهات الأخرى، فحاصروا مكة حصاراً شديداً استمر ثلاثة أشهر، وضيقوا الخناق على الأهالي، فأصابهم عنت شديد.

وفي أثناء مدة الحصار خرج الشريف غالب إلى ساحات الحرب وخاض غمارها خمس أو عشر مرات، واشتبك مع الوهابيين، إلا أنه كان في كل مرة ينهزم، ويضطر إلى التراجع، ولم تعد لأهل مكة طاقة على الصمود وتحمل ضيق الحصار، ودفع شح المؤن والمواد الغذائية بالأهالي إلى أن أكل بعضهم البعض.

واستحكم القحط والغلاء في أثناء ذلك الحصار بحيث وصل سعر أوقيه الخبز إلى خمسة ريالات «كان سعر الليرة في مكة مائة قرش، ولكن يتم تداولها بثمانية وعشرين قرشاً». كما ارتفع سعر ما وزنه مائة وأربعين درهما من الزبد الصافي إلى ريالين. ووصلت الحال إلى أن رؤية وجوه البائعين كانت تحتاج إلى حظ كبير وحسن طالع.

وفي وسط ايام الحصار، أقدم الأهالي على أكل القطط، والكلاب، والحمام، ثم بدأوا بعد ذلك، في سد رمقهم بأكل العشب وأوراق الأشجار. وفي النهاية،

---

١ . المترجم: في النص، المثني. والمثناة من ضواحي الطائف. انظر: عاتق بن غيث البلادي، قلب الحجاز، نشر دار مكة والتوزيع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٥٨م.

٢ . المترجم: في النص: السعيدية. وهي قري الطائف. انظر أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ٢٨٥.

لما نفذ كل شيء في مكة، عقدت هدنة مع سعود، وافق بموجبها الأهـالي عـلى أن يدخل مكة، واشترطوا عليه ألا يظلم فيها أحدًا أو يتعدى وعـلى الـرغم مـن أن هذه المعاهدة قد وافق عليها الـشريف غالـب تحـت اضـطرار حقيقتـي وإجبـار صحيح، ويمكن تلمس العذر له، إلا إنه ارتكب خطأه السابع عندما غفـل عـن جلب عسكرية من البدو المنقادين له، وتجهيزهم للمحافظـة عـلى طـرق مكـة و مواردها قبيل الحصار. حتى أن الوفد الذي انتدبه الأهالي لمقابلتـه، المكـوّن مـن السيد الميرغني، والـشيخ محمـد العطـاس، قـد قـال لـه: يـا سـيدي أن الأهـالي يرجونكم ويقولون إن كان بالإمكان التعجيل في فكّ الحـصار والتخفيـف عنـا، بأن تجلبوا رجالاً مـن القبائـل المواليـة لكـم واسـتدعائهم. وإلا، فلنوافـق عـلى الصلح، ولكن إذا ما تـم جلـب قـوة مـن البـدو، يمكننـا أن نقـاوم الوهـابيين، ونصمد حتى موسم الحج. وعند ذلك، نتخلص من حصار الأشقياء وتضييقهم علينا بمساعدة قوافل مصر والشام. فرد الشريف غالب عليهم قـائلاً: أعلـم أن الأهالي وقعوا تحت الحصار بسبب عدم جلبي البدو قبـل المحـاصرة، وأمـا الآن فإن جلب إمدادات ونجدة من الخارج مستحيل، ولو قبلت بالصلح، فـلا شـك أنني سوف أثير نفور الأهالي و غضبهم علي. ولم يكن هذا إلا اعترافاً منه بخطئه الحاصل.

ومع اعتراف الشريف غالب بخطئه، إلا أنه لم يكن راغباً في الصلح، ولكـن المبعوثين المذكورين قالا له: لو رغبتم في الصلح، اقتـداء بجـدكم الأعظـم نبينـا محمـد، ﷺ، فـسيكون في ذلـك اتباعـاً للـسنة النبويـة الـشريفة، ذلـك أن الرسول، ﷺ، أرسل عثمان بن عفان ﷺ، من الحديبية إلى مكة لعقد الـصلح وأخره فترة طويلة، حتى غضب الأهالي منه، وكرهوه و في النهاية ضاق الأهـالي المحاصرين ذرعاً بحالهم، ومن غدر رجال الشريف ومـضايقاتهم لهـم، فقـرروا



مضطرين إلى عرض الوساطة على عثمان المضايفي و الالتجاء إليه، وبدأوا يفرون من مكة، واحدًا تلو الآخر. وعلى هذا اضطر الشريف غالب للموافقة على الصلح بإصرار وإلحاح من عبد الرحمن النامي[١] أحد علماء الوهابية الزنادقة.

وكان الشريف غالب يرفض الاستجابة لرجاء علماء أهل السنة له، وذلك من خلال سرده لأفكار باردة، وكان يهدف من وراء قبوله برأي عبد الرحمن بن النامي إلى تلافي الاصطلاء بنار تعذيب سعود، واستمالة عوام الناس ومجموعات العسكر إليه و كسب مودتهم.

وفي الحقيقة، فإنه في ظل هذا الإصرار، وبحماية ورعاية من عبدالرحمن بن النامي نجا الشريف غالب من غضب سعود وظلمه، فعفي عنه و أعاد له اعتباره. ومن ناحية أخرى، بدأ الشريف يردد قوله: لقد وافقت على الصلح مكرهاً، ولم أكن أفكر في الصلح حتى موسم الحج. وبهذا كسب العوام و مجموعات العسكر إلى صفه.

وبموجب هذا الصلح الضار، دخل سعود بن عبد العزيز إلى مكة المكرمة، وكسا الكعبة بكسوة مصنوعة من قماش العباءة العادي، فكسب بهذا ودّ عربان بادية الحجاز واستمالهم، وأسقط كل نفوذ و اعتبار كان للشريف غالب عندهم. ولما ازداد تفرد سعود وسطوته وشوكته في بلد الله الحرام، بدأ يعاند ويتمرد، كالنمرود وفرعون، وأحدث أنواعاً من الظلم و التعدي مالا يتخيله عقل أو خيال.

وكان الشريف غالب متأثراً من عدم وصول أمدادات من عاصمة السلطنة «العثمانية» وبدأ ينشر بين الأهالي مقولة: أن السبب في سيطرة الوهابيين على

---

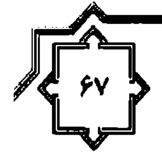
١ . المترجم: في النص: التيامي، النظر، أحمدبن زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء بلد الله الحرام، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٥هـ. ص ٢٩١

منطقة الحجاز، ووقوع أهالي الحرمين أسري للمتمردين، هو إهمال وزراء الدولة العثمانية. وكان يهدف من وراء هذه الأقاويل تنفير الناس من الدولة العثمانية. ولكي يحث الدولة ويجذب انتباهها كان يحرض سعود بن عبدالعزيز على أن يسد أبواب الحج أمام قوافل مصر والشام، ويدفعه إلى قطع طرق الموارد والمؤن.

ولا شك أن إلحاح الشريف غالب المتواصل على ذلك، تسبب في زيادة غدرسعود بن عبد العزيز وتعسفه، بدرجة فوق الاحتمال، حتى أنه قتل كثيراً من علماء أهل السنة الكبار بغير حق، وصلب العديد من الأشراف والأعيان وأعدمهم بلا مبرر، وهدّد كل من أصر على الثبات و التمسك بدين الإسلام. وكان يبعث بالمنادين إلى الإسواق والشوارع والأحياء، يدعون الناس إلى مذهب محمدبن عبد الوهاب الباطل، بقولهم: ادخلوا في دين سعود، وتظللوا بظله الممدود. وبناء على ذلك، رأى الشريف غالب تناقص عدد القابضين على دينهم ومذهبهم، لا في البوادي فحسب، بل في مكة أيضاً، وأيقن أن الأسلام سيقضى عليه وسينتفي من الحجاز، وبدأ يهدد سعوداً بقوله: لو بقيت في مكة إلى ما بعد موسم الحج، فإنك لن تصمد أمام مقاومة الجيش المقرر وصوله من إسطنبول، وسيقبض عليك، وستقتل لا محالة. وما أراده، هو ألا تلق بنفسك في خطر كهذا، فعليك بالرحيل عن مكة بعد الحج. ولكن نصائحة هذه، لم يخفف من وطأة ظلم سعود، بل كان سبباً في زيادة كبريائه وعنته.

حادثة غريبة

في تلك الأثناء استدعي سعود بن عبدالعزيز رجلاً ممن يؤمل فيهم الخير والصلاح، وسأله: هل محمد عليه السلام حيّ في قبره؟ أم أنه ميّت، حسب اعتقادنا نحن، واعتقاد سائر الناس؟ فأجابه بالجواب الصائب: بل هو حي في قبره.



وكان من سؤال الملعون ذاك، هو إيجاد مبرر لقتل ذلك الشخص الصالح. وكان من المستحيل على الشخص المسؤول أن يوفق إلى جواب يقنع الوهابيين، حسب مزاعمهم، و بهذا يكون سعود قد أخذ رأي عوام أهل مكة و موافقتهم على قتله بما يشاء من أنواع التعذيب، فخاطب الرجل قائلاً: عليك أن تأتي بدليل قاطع على أن الرسول ﷺ، حيّ في قبره، فنسلم جميعاً بهذا الدليل. ولو أثبتّ ادعاءك بدليل يمكن تأويله وتحريفه، سيعدّ دليلك غير موافق للدين الحق، وحجتك واهية، ولهذا سأقتلك. فرد عليه المذكور قائلاً: لا أريد أن آتي لك بدليل من الخارج، فأخدعك. تفضل معي ولنذهب سوياً إلى دار هجرة صاحب الرسالة «المدينة المنورة»، ولنقف أمام نافذة حجرته المطهرة، فأسلّم أنا عليه. ولو جاء الرد على سلامي، فأنت مجبر عندئذ على التصديق بالفعل، وفي هذا إثبات أن الرسول، ﷺ، حيّ في قبره حياة معنوية. ولو لم يردّ على سلامي، فأنا عند ذلك أكون كذاباً، ولك أن تقتلني بأي شكل جزاء لي. وبعدها سمع سعود هذا الجواب أطلق سراحه.

واستشاط سعود غضباً من هذا الجواب المفحم، ولكنه كظم غيظه في ذلك المجلس، لأنه لم تكن لديه قدرة علمية مقنعة لمخاطبه. وبعد أيام قليلة كلّف أحد الوهابيين بقتل ذلك الرجل الصالح، وقال له: يجب قتل ذلك الرجل مهما كانت الظروف. وفي ساعة أنجازك المهمة تعال إلى، وأخبرني. وبمقتضى الحكمة الألهية، لم يتمكن الرجل الوهابي، من إلحاق الأذى بذلك الإنسان الصالح، فشاع الأمر بين الناس، وأخبروا ذلك الرجل الكريم، وحذوره. ولما أدرك الرجل العزيز أنه لا يمكنه الإقامة في مكة، اضطر إلى الهجرة.

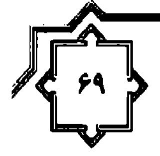
وعلم سعود بخروج ذلك المبارك من مكة، فأرسل وراءه جلاداً من البدو، الذي أسرع في تعقبه، و هو يظن أنه يسعي في عمل الخير، وتعقبه حتى لحق به،

ولكن المنية وافته في اللحظة التي أدركه فيها البدوي. وربط البدوي بعير الرجل المتوفي في شجرة، وذهب إلى أحد الأودية المجاورة ليحضر ماء لغسل الرجل وتكفينه ويعجل في دفنه حسب القاعدة. فلما عاد بعد ثلاث أو أربع دقائق لم يجد في ذلك المكان سوى البعير، فتحير من هذا الأمر. وعاد إلى مكة، وأخبر سعوداً بما حدث، فرد عليه سعود قائلاً: أجل، أجل... لقد رأيت ذلك الرجل في المنام و هو يرفع إلى السماء وسط التسبيح والدعاء حتى أنه في أثناء رفع جسده إلى السماء وسط التسبيح و الدعاء، كان بعض الملائكة، من ذوي الوجوه النيرة، ينادون: أن هذه جنازة الشخص الفلاني، وبفضل حسن أتباعه للنبي، ﷺ، وباعتقاده الصحيح رفع إلى السماء جزاء خاصاً له. فلما سمع البدوي هذا الجواب من سعود، قال: عجيب أمرك. ترسلني لقتل رجل جليل القدر كهذا، رغم أنك رأيت العين إحسان الله إليه ولطفه به، فلم لا تصحح اعتقادك؟ وبعد هذا العتاب واللوم، سبّ الرجل سعوداً وشتمه، ولكن سعوداً لم يعر سمعه إلى ما قاله البدوي.

وعين سعود عثمان المضايفي واليًا على مكة، وانسحب عائداً إلى الدرعية.

وهناك، قدم العلماء الزنادقة رسائل التبريك ودبجوا قصائد المديح والثناء على سعود لاستيلائه على مكة المكرمة، مما زاد في تجبره واستكباره، ورفض الترحم على عظام رجال السلف، ورتب الفرق و العصابات وجهزها، وأرسلها إلى الحجاز واليمن، فأنزلت العذاب والظلم والتعدي بأهالي القري والنواحي، ونشر دائرة فساده وأباحيته. وتوالت قصائد النصر والظفر شيئاً فشيئاً، فازداد غروره، ولحق المسلمين منه كل ألوان الجبر والاعتساف.

وكان محمد بن أحمد الحفظي من أعلم علماء طائفة الزنادقة، ولقد نظم قصيدة بليغة يمدح فيها انتصارات سعود المتوالية. وكانت هذه القصيدة أبلغ



من كل ما نظم من شعر، فقد تضمنت خاصة ذمّاً لعلماء أهل السنة وهجواً، وهذا ما دفع أهل السنة لنظم قصيدة نظيرة لها، وعرّضوا فيها بالديانة الباطلة التي ابتدعها ابن عبدالوهاب. وإذا ما وقعت واحدة من هذه القصائد المناظرة في يد سعود القذرة، استشاط الخنزير غضباً وغيظاً، وازدادت سورته و بلغت مبلغها، لدرجه أنه اعتاد قتل و إعدام كل من تضبط بيده هذه القصيدة من الموحدين، دون مساءلة. وبعد أن عهد بالمناصب الوهابية العالية إلى كل من ألحق الظلم والغدر بعلماء الموحدين، وبعد أن أخضع كل قبائل العربان في صحاري وبوادي مكة المكرمة، وأدخلها تحت طاعته، أمر بأن يدخل البدو في نواحي المدينة المنورة تحت قيادته ليكونوا ضحية له، وأرسل بداي بن بدوي وأخاه بادي[١]

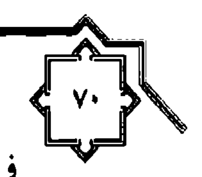
استيلاء الوهابيين على بلدة الرسول المدينة المنورة

تمكن بداي بن بدوي الملعون وأخوه بادي من تحقيق الانتصارات المتوالية وتضييق الخناق على رجال قبائل العربان النازلة بأطراف المدينة البلدة الطيبة، وأدخلهم تحت طاعته وانقادوا له، ونشر بينهم أحكام ديانة ابن عبد الوهاب المبتدعة، وأضلهم جميعاً وأغواهم، ثم أخبر سعوداً بذلك، فأرسل سعود الكتاب الآتي صورته، وحرره بأسلوب كله ضلال، يدعو فيه أهل المدينة المنورة إلى المذهب الوهابي، وطلب منهم الرد عليه. وأرسل سعود هذا الكتاب مع أحد الوهابيين يدعى صالح بن صالح[٢].

---

١ . المترجم: في النص: نادي، وهو بادي بن مضيان من قبيلة حرب.

٢ . المترجم: لم استدل علي ترجمته.



وبالرغم من أن بداي بن بدوي و أخاه بادي الملعونين قد نجحا في الواقع في إخضاع عربان دار الهجرة «المدينة المنورة» لطاعة سعود، إلا أنهما لكي يحققا هذا النجاح، قد أغارا على القرى وأحرقاها و هدماها، ونهبا الأموال والمتاع، ووضعا السيف ظلماً وغدرا في كل من تردد في الدخول في الديانة الوهابية، مما لا يدخل تحت حصر أو حد.

صورة الخطاب الذي كتبه سعود ووجهه إلى أهالي المدينة المنورة

بسم الله مالك يوم الدين، أنهي إلى جناب أهل المدينة كافة الكواخي[1] والعلماء والأغوات والتجار والعامة،

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

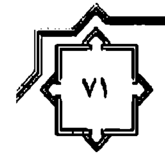
فإني أعوكم بدعوة الأسلام، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلاَمُ﴾[2]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3] وأنتم خابرون من أحوالكم عندنا ود فإنا لكم لأجل مجاورة الرسول ﷺ، ولا ودنا بأمر يضركم، ويضيق عليكم، وهذا ولأتيت بيت الله وحرمه يوم انقادوا ما شافوا منا إلا الإكرام، و نحن قادمون عليكم لزيارة حرم الرسول، فأن أجبتم بأمان الله، ووجهي وذمتي على جميع التعدي، ولا على دم ولا مال. وردوا لنا الجواب، ورجالي صالح بن صالح، والجواب على لسانه، والسلام.

---

١ . المترجم: جمع كيخيا، و هو تحريف للكتخدا و هو لفظ عثماني يطلق علي الموظف المسئول والوكيل المعتمد والأمين.

٢ . آل عمران: ١٩.

٣ . آل عمران: ٨٥



ولقد أفزع المدينة المنورة هذا الخطاب الذي حمله إليهم صالح بن صالح، وجعلهم في حالة من الخوف والرهبة. فأخبار ما جرى في حادثة الطائف الأليمة، قد أصابت جموع الموحدين بالقنوط واليأس والحيرة، ولهذا لم يرسلوا لها جواباً، لا بالإيجاب ولا بالنفي.

ولما لم يصل إلى سعود ردّ على كتابه من أهالي المدينة المنورة، سار بداي الملعون إلى دار السكينة المدينة المنورة لمحاصرتها بعد أن استولى في أواسط تلك السنة على ينبع البحر، وهاجم المدينة بشكل عنيف من جهة باب العنبرية، ولكن لأن أمير قافلة الحج الشامي عبدالله باشا العظم كان قد وصل إلى المدينة المنورة، فقد واجهت جنوده وجموع الحجاج المرافقين له فرقة الأشقياء، وحاربوهم ببسالة لمدة ساعتين، فانهزمت فرقة بداي بن بدوي الباغية، وهلك منهم مائتا وهابي.

ونجح عبدالله باشا في تأمين أهل المدينة المنوره ضد هجمات الوهابيين إلى درجة ما، وذلك حتى انتهاء موسم الحج وإسقاط الفريضة، والعودة للزيارة. ولكن لم تكد قافلة الحج الشامي تبتعد عن المدينة المنورة حتى حاصر بداي بن بدوي قلعة دار الهجرة العلية، واستولى على قرى قباء، والعوالي قربان وبنى قلعتين «حاميتين» محكمتين، وعين بهما حراساً حماة، وقام بقطع طرق الأمدادات والذخيرة والمؤن ومعابرها، ثم خرب مجرى العين الزرقاء وهدمها، وبهذا ترك أهل المدينة يعانون العطش والقحط والغلاء.

معجزة جليلة

لما هدم بداي بن بدوي مجرى العين الزرقاء و ترك أهل المدينة عرضة للعطش، تحول ماء البئر الموجودة في حديقة رسول الله، داخل حرم المسجد النبوي الشريف، إلى مياه عذبة، وقد كانت منذ عصر النبي ﷺ مالحة أجاج.

وحلت بمائها عذوبة ورقة متناهية، فأروت أهالي المدينة كافة ولبت حاجتهم من الماء طوال مدة الحصار.

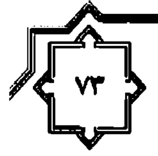
قد طالت ايام الحصار، وكان أهالي المدينة المحاصرين يعلقون آمالهم على عودة المحمل الشامي من مكة، فيدفع رجاله عنهم شر الوهابيين ويطردونهم، ولكن لما عاد المحمل الشامي، وتعلل أمير الحج الشامي، قطير آغاسي أبراهيم باشا، بأنه لا يملك من القوة العسكرية ما يمكنه من مواجهة جماعة بداي بن بدوي، وقال لهم: يجب عليكم أن تسلموا قلعة المدينة للوهابيين. ولأن إبراهيم باشا قد تباحث مع بداي بن بدوي، فاعتقد أهل المدينة أنه حصل منه على العفو والأمان لسكان دار السكينة.

ولهذا كتبوا الخطاب الآتي إلى سعود، وبعثوه مع وفدهم، المكون من: محمد الطيار، وحسن قلعي جاووش، وعبد القادر إلياس وعلي الصويغ.

صورة الخطاب الذي وجهه أهالي المدينة المنورة إلى سعود

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم ﷺ، نهدي أشرف السلام ورحمة الله وبركاته إلى جناب الشيخ سعود وفقه الله لما يرضيه، وسلك بتأويه سبل مراضيه، وبعد:

لا يخفاك أنه لما وصل أمير الحاج إبراهيم باشا قطير آغاسي ورأى الشيخ بداي محاصر المدينة، قطع عنها السبيل، فخاطبه في ذلك، فأخبر بأنه مأمور منك بذلك، وإنك ما تريد لجوار النبي ﷺ إلا بخير، فاستحسنا أن تعرف جنابك، فاجتمع حكام البلدة وأعيانها، واختاروامن أهل العقل والأمانة أربعة أشخاص، فوجهت إليك هم: محمد طيار، والجاوش حس قلعي، وعبدالقادر إلياس وعلي الصويغ. ونرجو الله إنهم لا يرجعون إلا بما يسرنا من جوابك، أن شاءالله تعالى.



ولقد أدرك مبعوثو أهل المدينة مدى غيظ سعود وحقده المعروف على ساكني دار الهجرة، وذلك من الحدة والشدة في كلامه وحديثه، فطرحوا أنفسهم عند قدميه النجستين، واسترحموه وتوسلوا إليه بكل أنواع الاستعطاف ليعطيهم العفو والأمان. ولم يحصلوا من سعود على جواب شاف، بل قال لهم: لقد فهمت من فحوي هذا الخطاب أنكم لم تدخلوا في الدين الحق، ولم تدخلوا في طاعتي، ولكنكم لما نزل بكم القحط والغلاء والعطش، وأردتم فك الحصار ودفع الضيق عنكم، أظهرتم المدارة والمداهنة. لكن لا سبيل أمامك للحصول على العفو والأمان ألا بقبول الشروط التي سأقترحها. فإذا قبلتم هذه الشروط، ثم اتخذتم تصرفاً أو فكراً مخالفاً لأفكاري ورأيي، فسوف أستأصلكم كما حصل لأهل الطائف.

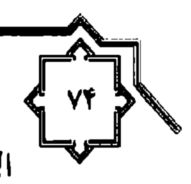
واضطروا أمام هذا قبول شروط سعود بن عبدالعزيز القاسية. وهذه هي الشروط التي اقترحها سعود:

المادة الأولى: يجب عليكم عبادة الله تعالى وطاعته حسب اعتقاد الوهابيين وأحكامهم.

المادة الثانية: التصديق بنبوة النبي ﷺ ورسالته، وإظهار الحرمة والتعظيم له على الشكل والصورة التي بينها وحددها إمام المذهب الوهابي.

المادة الثالثة: هدم القبور والأضرحة كافة، سواء في داخل المدينة المنورة أو في نواحيها وأطرافها وأزالتها سواء كانت عليها قبة أو لا قبة عليها، وتترك كأنها قبر عادي. أي بعد أن تهدم المباني والقباب، ترفع ما على الأضرحة من الصناديق والأغطية، ويهال عليها التراب والحصي.

المادة الرابعة: على كل شخص أن يرجع عن دين آبائه و أجداده ومذهبهم، ويدخل في دين الوهابيين و عقيدتهم، وأن يعمل بعد ذلك بأحكام الديانة الوهابية.



المادة الخامسة: التصديق بأن محمد بن عبدالوهاب ملهم من الله الرحمن، الأيمان بصحة وصدق مذهبه وديانته، والاعتراف بابن عبدالوهاب مجدداً للدين و المذهب.

المادة السادسة: إظهار الشدة والأنكار والغيظ على من لا يدخلون في دين الوهابيين وعقيدتهم، أي الذين يثبتون على دين آبائهم وأجدادهم، والتضييق عليهم ومجافاتهم، وإهانتهم و تحقيرهم.

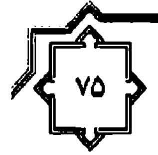
المادة السابعة: إخبار أمراء الوهابيين عن علماء الإسلام الذين يأبون الدخول في الدين الوهابي، أو أماكن العلماء الذين يختفون في بيوتهم و منازلهم.

المادة الثامنة: الموافقة على دخول الوهابيين إلى القلعة التي يعينون حراساً حماة عليها.

المادة التاسعة: قبول أي أوامر أو نواه تنشر و تعلن، سواء كانت سياسية «إدارية» أو دينية، مهما كات مهمة ومشكلة، والعمل بموجبها بخلوص قلب، والقيام بحق الأمراء الوهابيين من الرعاية والاحترام الفائقين.

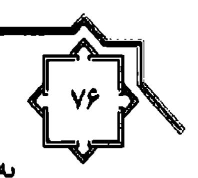
ولقد مبعوثو أهل المدينة شروط سعود هذه، وحصلوا منه على الأمان، ثم عادوا. ولأن المحاصرين أيضاً كانوا اضطروا للموافقة، فقد بادر إلى إدارة القلعة سبعون رجلاً من الوهابيين، أرسلهم بداي بن بدوي. كما سارع الأهالي من جانبهم إلى التقيد بأحكام المعاهدة وسائر شروطها. وبالرغم من ذلك لم يتخلصوا من وقوع الظلم والتعدي عليهم، حتى قبلوا مذهب الرفض والإلحاد ودخلوا فيه.

وفي الواقع، فإن الأهالي العزّل لم يكونوا جادين في قبولهم بمذهب الرفض والإلحاد، إلا أن هذا القبول الظاهري قد جرّ عليهم بعد ذلك عواقب وخيمة جداً.



ولقد بقي هؤلاء الأهالي، الذين لا حول لهم ولا قوة، يرددون القول بأن الشريف غالب قد أعلم الباب السلطاني العالي بالأمر، ولابد أن ترسل عاصمة الخلافة الأسلامية جنوداً لخلاصهم، وظلوا مدة ثلاث سنوات يرزحون تحت حصار الوهابيين، ذاقوا فيها كل ألوان الظلم والجور والأهانة مما لا يتحمله أحد. ولم يصدر منهم صوت أو كلمة. ولكن في ظرف هذه المدة، لم يأتهم من إسطنبول خبر يسليهم أو يخفف عنهم، ناهيك عن أن يأتيهم جنود، فتخابروا مع الشريف غالب، وقرروا عرض الأمر من جانبهم على مقام الخلافة، بإرسال وفد يطلب الاسترحام والاستعطاف منها. واستودعوا عريضة الاسترحام والاستغاثة التي كتبوها الوفد المكون من المفتي السابق أبي السعود أفندي الشيرواني، وحسين أفندي سيد زين البرزنجي من أعيان السادات، وأحمد إلياس أفندي. فسافر الوفد سراً إلى إسطنبول.

ولقد شرح الشريف غالب في رسائله، سواء التي أرسلها مع هؤلاء المبعوثين، أو التي بعث بها سابقاً، بالتفصيل الأفكار الفاسدة لطائفة الوهابية الباغية، وعرضها على مقام الخلافة بتعمق. ولقد أطلع المبعوثون عند وصولهم إلى إسطنبول الوزراء على الوضع، وطلبوا منهم، كل واحد على حدة، العون والمدد، وبينوا لهم أنه: أذا تقاعستم هذه السنة أيضاً عن معاونة أهالي المدينة المنورة، وتراخيتم في دعمهم، وتسامحتم مع الوهابيين، فإن أبواب الحج والزيارة ستوصد. لكنّ الوزراء في أسطنبول صرفوا الوفد القادم من المدينة، كما صرفوا الشريف غالب من قبل و ماطلوه، وأجاب بعض الوزراء بقولهم: سوف نرسل إلى المسؤولين المكلفين للتحقيق في الموضوع، وقال آخر: سوف نرسل الأوامر إلى واليي مصر والشام لإظهار القوة العسكرية في هذه المسألة.

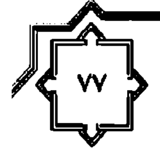


وعاد المبعوثون و هم في غاية اليأس و الإحباط والحرمان، ولشدة ما شعروا به من الاضطراب والضرر، أصابهم المرض وهم في طريق العـودة، وتوفـوا، ولم يبق منهم سوى أحمد إلياس أفندي، ولما وصل مفتي زاده أحمـد إليـاس أفنـدي، الذي أفلت من أظفار المنية، إلى المدينة المنورة، وهو في حالة سيئة، بيّن للأهالي أن أسطنبول لن ترسل أي قوات عسكرية في المدى القريب. وكان الأهالي كلهم قد غرقوا أصلاً في بحر الياس والغم. وبعد تفكير عميـق و بحـث الأمـر مـن كـل جوانبه، كتبوا عريضة وأرسلوها لسعود بن عبدالعزيز، هذه صورتها:

عريضة أهل المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الستار، والصلاة والسلام على نبيـه المختـار وعـلى آلـه وأصـحابه الأبرار، نهـدي أشرف الـسلام وأسـنى التحيـات الكـرام إلى صـاحب الـدعوة النجدية، أميرالدرعية المشمول بالفخروالعزّ الأمير سـعود بـن عبـدالعزيز، أمـا بعد: فقد أمرتنا بتوحيد الله وأتبـاع سـنة رسـول الله، والقيـام بفعـل الطاعـات، والاجتناب عن فعل المحرمات، فهذا منك مقبول، حيث أن فيه إتباع الرسـول. وأمرتنا بهدم القباب التي فوق القبور، فهدمناها مراعاة للحديث المشهور. وكلما صدر منك الأمر فيمضي حكمه على رغـم أنـف زيـد وعمـرو، والمـأمول منـك صرف النظر عن من أتى إليك عنا بخبر، ولا تسمع لناقل عنا خبر ولا مقال، إلا إذا كان عن صحة واستدلال، فإن من نمّ لك، نمّ عليك. وهذا جوابنا المرسـول إليك، فاعتمد عليه غاية الاعتماد، نـسألك سـبل الرشـاد. واعلـم أن بـداي بـن مضيان استولى على مياه السيل بطريق العدوان، وادعى أنك قد أمرت بهذا، وهو مأمور وأنت لا ترضى هذه الأمور. والحال قد صار علينا موقوف بداعي حجزه



لأموالنا بالخيوف. وليس خاف على علمك الصحيح الفاخر ما هو لنا من البضائع والمهاجر. ونحن جيران رسول الله الكريم، المبادرون للأمر والتسليم. وقد أرسلنا لك من هذا الطرف فائدة الجواب، صحابة الجاوشية وحسين شاكر ومحمد شعاب. فبعد الوصول إليك، ينفي الإفادة عما به يكون الاستغناء عن الإعادة.

وإذا كانت عريضة أهل المدينة قد وصلت إلى سعود بن عبدالعزيز، فإن الدرعية كانت على علم برسائل الشريف غالب التي أرسلها من قبل، وعريضة الاسترحام التي بعث بها أهل المدينة إلى إسطنبول مع مبعوثيهم. وعدّت الدرعية أن هذه الرسالة هي تأكيد لصحة الأخبار التي وصلتها، ولهذا لم يستقبل سعود وفد المدينة المنورة، وكتب أوامر عديدة لتوحيد قبائل العربان على أفكاره الباغية، ووقعها بتوقيع إمام الدرعية المجدية وحاكم الدعوة النجدية[1]، وأرسل كل منها مع مباشر «محضر» وهابي ظالم إلى شيوخ قبائل العربان الحمقى، يدعوه للقدوم إلى بلدة الدرعية، وعلى النحو جمع غوغاء يزيد عددهم عن رمال الصحراء لتذهب أرواحهم إلى الجحيم، وجهزهم وحشدهم للغزو، وأوعز لهم أن يلقبوه بلقب سلطان منطقة نجد. وأرسل رسائل خاصة إلى قاضي اليمن يخاطبه فيها بلهجة الأمر، ليحض أهالي البلاد اليمانية على الدخول في الدين الوهابي. وأرفق طي تلك الرسائل قصيدة علامة الشرك محمد بن أحمد الحفظي الخبيث، التي تعج بالزور والبهتان، وأشاد فيها بعقيدة الوهابيين الإلحادية، وذم فيها علماء أهل السنة.

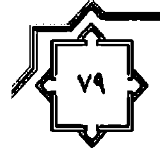
ولكن قاضي اليمن كان رجلاً فاضلاً وصاحب دين، فردّ عليه بأن نظّم قصيدة نظيرة لقصيدة محمد بن أحمد الحفظي الوقعة، كفر فيها سعود الملعون

---

١ . المترجم: في النص: والأحكام الدعوة النجدية.

المردود وأتباع مذهبه. واستشاط سعود بن عبدالعزيز من هذا الجواب الصائب المستطاب، واحتد وهاج حتى تحول إلى كلب مسعور. ولهذا اتجه هذا الملعون لزيادة الضغط والأذية والتضييق على أهل المدينة المنورة الذين يرزحون تحت الحصار منذ ثلاث سنوات، وتحملوا كل أصناف الظلم، وضاقت عليهم أنفسهم، وكل ذلك على رجاء أن ينقذوا أولادهم ونسائهم على أضعف الأيمان، وتعلقوا بأهداب الأمل في الحصول على العفو والأمان. وفي يوم وصل إلى المدينة أمر بهدم بقية الأضرحة المنيفة و تخريبها. وكانت من جملة أوامر سعود أن يقوم خادم الضريح بهدم قبته، ولهذا بادر خدام الأضرحة طوعاً أو كرها بهدم القباب التي تعلوها. ولكن خدام ضريح سيدنا حمزة ﷺ، اعتذروا لسعود بقولهم: نحن ضعاف وكبار في السن، ونعجز عن هدم هذه القبة الشريفة، فتوجه بنفسه ومعه خاصة عبيده لهدم ذلك الضريح بالذات، وأمر أحد رعاع الوهابية الملاعين، وأحبهم إليه، حيث يعلم أنه يعادل فرقة كبيرة من الرجال في الشجاعة، وأمره بالصعود إلى أعلى القبة الشريفة، ومعه معول وجاروف. وامتثل هذا الأحمق للأمر بقوله: على الرأس يا سيدي وسندي، وصعد على القبة الشريفة ضرب بالمعول علم القبة «الهلال الموجود في أعلى القبة» ضربة قوية، إلا أن المعول طار من يده، وأسقط معه هذا الأحمق على الأرض، فصرخ الوهابي بعد أن تمزّق جسده إرباً ارباً. ولما رأى سعود هذا، تخلى عن هدم القبة، واكتفى بحرق بابها، وأبان عن دناءته وحقارته.

وبعد ذلك، جمع سعود أهالي المدينة، رجالاً ونساء في ساحة المناخة، وأغلق باب القلعة، واعتلى كرسياً «منبرا» مرتفعاً، أعدّ خصيصاً له، وخاطب الناس بصوت مرتفع قائلاً: يا أهل المدينة، أنا لست مطمئناً اليكم وغير واثق بكم، ويبدو لي أنكم تنوون الثبات على دين الإسلام، ولا تريدون الدخول في العقيدة



الصحيحة وهي الديانة الوهابية. فأنتم منافقون ولا تظهر على وجه أي منكم لمعة نور الهداية، وتفكرون في البقاء على شرككم القديم. ولقد أعطيت أوامر مشددة من أجل جلب حراسكم الموجودين في القلعة إلى هنا، فإذا ظهرت منكم مخالفة لأوامري وطاعتي، فاعلموا علم اليقين إنني قد قررت أن أطبق عليكم أيضاً ما سبق أن أجريته على أهل الطائف من العدالة المذهبية.

ولكي يجمع أهالي المدينة بأولادهم وعيالهم و نسائهم في ساحة المناخة، أرسل المنادين في الأسواق المتاجر و بين الأحياء والمحلات، ينادون في الناس، وأغلق أبواب القلعة. وفي تلك الساعة، ظن الأهالي أنه سيعمل السيف في رقابهم عن بكرة أبيهم، كما فعل مع أهالي الطائف. فقام كل شخص يقبل فلذة كبده وحبيبه بين جبينه، وودع الرجل زوجته، واجتمعوا في ساحة المناخة، وصف الرجال في ناحية والنساء في ناحية أخرى، وتحلل كل واحد من صاحبه وتوادعوا. ثم وجهوا وجهوهم نحو القبة النبوية الشريفة، وهم منكسو الرؤوس. ولذا، فلم تر المدينة المنورة حتى تلك الساعة يوماً اسود من ذلك اليوم.

واخرج سعود حراس القلعة المحليين الموجودين بداخلها، ووضع بدلاً منهم حراساً من الوهابيين. وعيّن أحد سكان المدينة المنورة والياً عليها، واسمه حسن قلعي جاووشي، وكان يثق به، ويعتمد عليه في كل أمر. كما نصبه قائدا للقلعة و آمرا للوهابيين. وألبسه خلعة من قماش العباءة الحساوي الغيظ، لا تساوي سوي خمسة ريالات. وبعد ذلك عاد سعود إلى الدرعية.

وبعد مرور فترة من الزمن فكر سعود المردود في التوجه إلى مكة المكرمة لأداء الحج، فأعلن جماعات الوهابيين الذين يريدون إسقاط فريضة الحج، وخاصة العلماء الزنادقة الراغبين في نشر مذهبه وديانته في المسجد الحرام،

وأمرهم أن يتحركوا شيئاً فشيئاً، وفرقة فرقة إلى مكة المكرمة. وتحرك رعاع الوهابيين، الذين لا يعلم عددهم على وجه اليقين، بعضهم خيالة، وبعضهم راجلة ومشاة، قاصدين مكة المكرمة. ولما وصل علماؤهم الزنادقة إلى مكة المكرمة، بدأوا في تدريس الرسالة التي ألفها ابن عبدالوهاب، حول مذهبه، وقرأوها على الملأ ودرسوها علانية في ساحة المسجد الحرام، مدة عشرة أيام. وحاولوا جهدهم إفهام رجال قبائل البادية مسائل ديانتهم الباطلة، مسائل الرفض والإلحاد، ومستخدمين عبارات تناسب عقول الأعراب.

وبعد ذلك وصل سعودبن عبدالعزيز إلى مكة، واتخذ من بيت الشريف غالب، الواقع في جهة المعلاة، مقراً لأقامته الشقية، وحولها إلى مايشبه دير اليهود. وألبس الشريف غالب مشلحاً في مجاملة خاصة له، وبايعه الشريف غالب، وأبدى من جانبه الاستئناس به.

وبعد أن بايع الشريف غالب الوهابيين، ذهب في اليوم التالي مع سعود بن عبد العزيز إلى المسجد الحرام، وطافا معا حول الكعبة المشرفة، وأعطيا مشلحا لكل واحد من القضاة الأربعة، ولخدام المسجدالحرام من ذوي الشأن والمكانة من رجال القبائل، ووزعا أعطية قدرها خمسة وعشرون قرشاً.

وفي ذلك الوقت، وصلت قافلة حجاج الشام إلى المدينة المنورة، في ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٢٢هـ. ولكنها لم تتمكن من الدخول إليها، فحطّت رحالها بمنزل على بعد ثلاث ساعات من المدينة. ومن شدة الخوف والرعب لم تجر العادات المتبعة في المحمل من الزمر و دق الطبول، واكتفي بقاعدة إطلاق طلقة من المدفع للإعلان عن الرحيل والنزول. ثم توجهت القافلة بدلالة صالح بن صالح إلى ام القري، مكة المكرمة. وصالح بن صالح هذا وهابي طالح، بعثه سعود إلى الشام ليصاحب المحمل الشامي ويرافقه. وعقب قيام قافلة المحمل



الشامي من ذاك المحل الذي نزلت به، قام مسعود بن مضيان[١] وهو احد رؤساء الوهابيين بالمدينة، بتعقب القافلة حتى لحق بها عند موضع قريب من مكة يسمى القيب[٢]، قال لهم: إنكم خالفتم شروط المعاهدة المعقودة معكم، و معكم أيضاً عساكر، بالرغم من أنّ الأوامر التي أرسلها سعود بن عبد العزيز مع صالح بن صالح تقضي بقدومكم بدون عساكر. وما دمتم خالفتم إرادة سعود وأوامره فأنتم ممنوعون من دخول مكة. وحصل أمير الحج يوسف باشا على إذن بالذهاب إلى مكة المكرمة بمفرده لإطلاع سعود على الأمر وإخباره بما حصل، وأيضاً يؤدي فريضة حجه. وهناك شرح الوضع لسعود الذي رد على كلامه بهذا الكلام غير الصائب: لولا أن الخوف من الله يمنعني، لقتلتكم جميعاً. ويجب عليك أن تسلمنا الصرة المعتادة التي أتيت بها لأهالي الحرمين وعربان البادية، و أن تعود أدراجك، فلقد منعتكم، من الحج والطواف هذه السنة. فسلم يوسف باشا الصرة السلطانية وعاد من حيث أتى.

لقد كان الشريف غالب وراء منع سعود قافلة حجاج الشام و أداء فريضة الحج، وكان هذا هو رأيه وبتأييده. وكان مقصده من دفع هؤلاء الملحدين إلى هذا الطريق هو تحميس السلطنة السنية «العثمانية» و تحريك غيرتها لطرد الوهابيين من منطقة الحجاز المباركة وإبعادهم عنها. حتى أن سعود كان قد أخبر يوسف باشا بأنه سيسمح للحجاج بزيارة قبر النبي ﷺ، وأرسل كتاباً إلى حسن قلعي جاووش بهذا الخصوص. ولكنه عقب ذلك، بعث برسالة أخرى

---

١ . المترجم: وردت في النص مسعود بن المضايفي. وصححتها من كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر ١/ ٢٠١ ـ ٢٩٢.

٢ . المترجم: هكذا وردت، ولعلها، ثقيب، وهو موضع في طريق الهجرة، آنظر: عاتق بن غيث البلادي، قلب الحجاز، نشر دارمكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١١٦.

إلى حسن قلعي جاووش يطلب منه فيها منع حجاج قافلة الشام من شرف زيارة قبر النبي، ﷺ. وهذا المنع والحرمان هو ثمرة تحريض الشريف غالب.

ولما شاع الخبر المؤلم بمنع حجاج المحمل الشامي من الصعود إلى عرفات، ووصل إلى أسماع أهل الإسلام، أثار فيهم الأسى و الحزن، خاصة أهل مكة، الذين غمرهم الكدر والتألم، واستولى عليهم الغم، حيث اعتقدوا أنهم مشمولون بهذا المنع، فبكوا وانتحبوا، وتحرّقوا شوقاً، ولكن في اليوم التالي، جاء الإذن لسكان مكة بالتوجه إلى جبل عرفات جبل الرحمة، وقيل لهم أن عليهم الذهاب إلى هناك بدون اصطحاب المحفات والشغادف أو الهوادج وماشابها. وبعد أن أعلى المنادون هذا الإذن وأشاعوه انطلق القضاة والأعيان وغيرهم على ظهور الإبل والركائب إلى عرفات. وفي أثناء الوقفة بعرفات، أمر سعود أحد علمائه الزنادقة بالخطبة بدلاً من قاضي مكة. وبعد انقضاء مناسك الحج عادوا إلى مكة المكرمة.

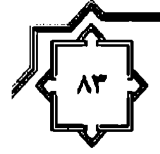
وفي ليلة العودة من عرفات، أرسل الشريف غالب رئيس المطوفين «الأدلاء» يطلب قاضي مكة وقاضي المدينة، ويخبرهما بأنهما قد عزلا من منصبيهما بأمر من سعود، وأنه عين عبد الرحمن النامي[1] قاضياً على مكة. وبعد مدة قصيرة جاء رئيس المطوفين إليهما ثانية، يبلغهما سلام الشريف غالب، وإن سعوداً يرغب في التباحث معهما.

وبناء على هذا، توجه قاضي مكة، خطيب زاده محمد أفندي[2]، وقاضي المدينة، سعدا بك، وهو حفيد حكيم باشا[3]، وانطلقا برفقة رئيس المطوفين من

١ . المترجم: في النص التيامي.

٢ . المترجم: انظر جودت تاريخي ٤/ ٢٠٣٣.

٣ . المترجم: انظر جودت تاريخي ٤/ ٢٠٢١ ـ ٢٠٢٢.



طريق المعلاة. ومرا من بين خيام الوهابيين وهما في حالة من الاضطراب والتأثر يرثى لها، ووصلا إلى المنزل المشؤوم الذي يقيم به سعود. وكانت الدعودة قد وجهت إلى نقيب مكة المكرمة «نقيب الأشراف عطائي أفندي[1]، فدخل هؤلاء الثلاثة معا إلى الغرفة التي بها سعود وابنه عبدالله، وأدوا مراسم السلام والتحية بإرشاد من عطائي أفندي، وتصافحوا، ثم جلس الجميع على ركبتيهم على سجادة صغيرة، وبعد برهة دارت عليهم القهوة، وتناولوها، ثم بدا التعريف بهم لسعود، بواسطة الترجمان، واحداً بعد الآخر. ثم عرض سعود عليهم بطريقة جافة أن يبايعوه حسب أصول الدين الوهابي، وأمرهم بمصافحته، وهم يقولون «لا اله الا الله وحده لا شريك له، ثم عادوا لأماكن جلوسهم.

وفرح سعود فرحاً عظيما بهذه المصافحة، وبدأ يخاطبهم بأسلوب فيه ملاطفة ومداهنة قائلاً: إنني أوصيت بك صالح بن صالح، أنتم وحجاج المحمل الشامي. وصالح إنسان طيّب، ومن رجالي الأمناء الموثقين. ولقد أذنت لكم بالانصراف إلى الشام، مقابل أجر قدّرته وحددت سعره لكم، فستدفعون عن الجمل ذي المحفة وجمل المتاع، ثلاثمائة قرش، أجراً لكل منهما، ومائة وخمسين قرشاً رسماً نظير القازيقلمه «وهي تطلق ركوب البعير منفردا»[2] إن الذهاب إلى

---

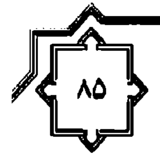
١ . المترجم: لعله عطاء الله محمد أفندي، ابو اسحق زاده، ابن شيخ الأسلام شريف محمد أفندي، تولي منصب قاضي مكة المكرمة في عام ١٢٠٥هـ، ثم تولي منصب نقابة الأشراف في عام ١٢٠٨هـ ثم صار شيخ الإسلام في عام ١٢٢١هـ وعزل عنه في العام التالي. وتوفي عام ١٢٣٦هـ. وله كتاب في الرد علي دعاوي الوهابية النظر: محمد ثريا، سجل عثماني، ياخود تذكرة مشاهير عثمانية، استانبول ١٣١١ هـ ٤٧٩.

٢ . المترجم: إن كلمة «قازيقلمه kaziklama» التي استخدمها المؤلف في هذا السياق، تعني الوتد أو الخازوق «وهي معربة بهذا الاسم»، ولها أيضاً معن عدة، أشعرها الأعدام أو التعذيب بالتعليق علي الخازوق، والخدعة والحيلة في التجارة، والجور في زيادة السعر. ولا تستعمل بالمعنى المذكور أعلاه، ولربما هو اصطلاح وقتي مناسب لذلك العصر.

الشام بأجر زهيد كهذا، هو نعمة كبرى لكم. فانطلقوا في بشر وحبور فخورين في ظل رعايتي. وعلى هذا المنوال، سيأتي سائر الحجاج في كل سنة، يعودون في أمن وسلام، ولاشك أن هذا من عدالتي. ولقد كتبت خطابا خاصا إلى سلطان آل عثمان، سليم خان. وبينت له في هذه الرسالة ونصحته بأن يمنع إنشاء القباب على القبور والأضرحة، ويمنع التوسل بأصحاب القبور وذبح القرابين لهم. وها أنا أسلّمه لكم على أن تسلّموه للسلطان العثماني. وبعد أن أنهى كلامه أذن لهم بالانصراف.

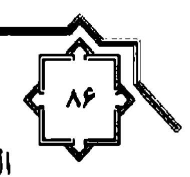
ولقد كانت العودة عن طريق مصر ممنوعة، ولما كان من الضروري أن تغادر قافلة حجاج الشام، التي أوكل أمر أدارتها إلى صالح بن صالح، فقد سافر القاضيان مع المحمل الشامي، الذي وصل إلى المدينة المنورة في اليوم السادس عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة «١٢٢٢ هـ». ولكنهم وجدوا أبواب القلعة مغلقة، لأن أحد رؤساء الأشقياء، اسمه المطوع عبدالرحمن، كان قد تسلم رسالة من سعود تتضمن منع الحجاج من زيارة الحجرة النبوية المعطرة. وأبرز هذه الرسالة لأمير الحج يوسف باشا، وبين له أن عليه الرحيل حالاً من المدينة المنورة، و أن يسلك طريق بغداد. وأصر إصراراً شديداً على هذه المسألة، وذكر أن هذه إوامر سعود وتنبيهه الصارم. وكان هدف المطوع عبدالرحمن من وراء هذا الإصرار هو إلحاق الإذى والتعسف بموحدي الإسلام، الذين حرموا من أداء فريضة الحج و من شرف زيارة قبر النبي، ﷺ، وأن يذيقهم من كل ألوان العذاب والمشقة والعناء. ولكن بعد تدخل سادات أهل المدينة ورجائهم، عاد عن إصراره، ولم يحقق أمله.

وبينما كان المحمل الشامي يضرب خيامه خارج المدينة المنورة وسط مشاعر الألم والحزن، وصل سعود المدينة المنورة، ونزل بدار المحكمة القريبة من باب



السلام، وعين زنديقاً يدعى أحمد بن أبي النصر قاضياً للمدينة، وأغلق أبواب القلعة، ومنع قافلة الزوار من مسح جباههم بالروضة المطهرة، وصدهم عن ذلك. ثم أصدر أوامره بالإغارة على المحمل ونهبه، إلا أن مفتي المدينة اجتمع مع وجوه الأعيان، وقالوا: إذا هاجم الوهابيون مخيم الحجاج بأمر من سعود، فإن كثرة عددهم ستجعل من أهل القافلة لقمة سهلة لهم، ويلحقوا الهزيمة بهم، ويقهرونهم في حملة واحدة. ويجب علينا جميعا أن نعمل لأنقاذ أوراح هؤلاء العزل الضعفاء، ونحفظ أموالهم، ونذهب إلى سعود ونطرح أنفسنا عند قدميه، ونتوسل إليه أن يسمح للمحمل الشامي بالعودة هذه السنة آمنا سالما. وفعلاً انطلقوا مجتمعين إلى هذا الملحد خبيث المذهب، وطرحوا أنفسهم عند قدميه النجسة، وتوسلوا إليه، وبكل صعوبة وكلفة استطاعوا إرضاء هذا الأحمق. وتوجهوا من حينهم إلى مخيم محمل الحجاج، وأطلعوهم واحداً واحداً على ما يفكر به سعود، وأنذورهم، فقالوا لهم: إذا بقيتم هنا ليلة أخرى، ولم ترحلوا، فإنكم ستقتلون جميعاً، لا قدر الله، وسوف تنهب أموالكم وتغتصب أمتعتكم.

إن هؤلاء الحجاج التعساء قد جاءوا من بلاد وأصقاع بعيدة، وقطعوا الجبال والوهاد، وتحملوا كل أنواع البلاء والصعاب، وواصلوا الليل مع النهار حتى وصلوا إلى مدينة محبوب رب العالمين، ﷺ، من أجل زيارة الروضة المطهرة والطواف بالكعبة المعظمة، قد حرموا من هاتين النعمتين العظيمتين، ولم يبق لهم سوى الألم والأنين والتحسر. ولما كان من المستحيل استرضاء أولئك الخونة الذين لا دين لهم، فإن إخبار الحجاج بأن بقاءهم ليلة أخرى في ذلك المكان سينتج عن ذلك استئصالهم وقتلهم جميعاً، جعلهم يستسلمون لحكم القضاء، طوعا أو كرها. ووجهوا صدور مطاياهم وركائبهم عائدين نحو الشام، وهم يرمقون القبة الخضراء الشريفة بنظرات الحسرة.

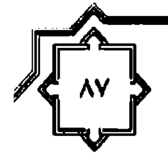


وكان يوسف آغا، الكتخدا السابق لوالدة السلطان[١] من بين رجال المحمل الشامي. وفي الوقت الذي وصل فيه وفد أهالي المدينة المنورة إلى أسطنبول، كان يوسف آغا هذا صاحب نفوذ لدى الوزراء هناك. ولهذا قام مفتي المدينة المنورة وسائر رفاقة من الأعيان بزيارته في منتجعه الساحلي «في أسطنبول آنذاك»، وتحدثوا معه في الأمر، وقالوا له: يا سيدي، إذا لم تبادر الدولة في هذه السنة إلى اتخاذ الأسباب لحماية المدينة المنورة وحفظها، فأن حرم المسجد النبوي سيسقط في يد هؤلاء الخوارج، الذين لا حرمة لهم. وبعد هذا، لن يبقى شك في أن باب الحج والزيارة سيوصد أمام الناس. نرجوك أن تتفضل بعرض الأمر على أنظار جناب السلطان، وإطلاعه على الوضع، فالوهابيون يمكن دفع شرهم ومعاقبتهم بقليل من الهمة والاهتمام من جانب السلطان. وإن مجرد انتشار خبر عن بدء ارسال القوات العسكرية إلى الحرمين من عاصمة الخلافة الإسلامية، وشيوعه في منطقة الحجاز كاف لتأديب هذه الطائفة الباغية وردعها. فلو أرسلت الدولة خمسمائة أو ستمائة جندي فلا شك أن قبائل العربان سوف تتسلح ضد الوهابيين. وهذا الوضع سبب لتخويف الخوارج وإرهابهم. وفي ظل هذا، يمكن تخليص الحرمين الشريفين من سيطرة الخوارج، ومن ناحية أخرى يوفر على الدولة العلية أي نفقات يمكن أن تضطر لصرفها في المستقبل. ولكن يوسف آغا قابل هذا الكلام بفتور بادر.

وساق قدر الله يوسف آغا إلى الحجاز هذه السنة، فابتدره مفتي المدينة المنورة باللوم والتأنيب فقال: تذكرون إننا قدمنا إلى إسطنبول وكنا ندور عليكم كالشحاذين، نستجديكم العون والمدد، ونستغيثكم بأن مدينة رسول الله ستذهب من إيدينا، فكل ذلك، لإننا نعلم هذه الأيام قادمة. ومثلما كنتم

---

١ . المترجم: انظر جودت تاريخي، ٤/ ٢٠١٦. والدة السلطان توفيب.



تقابلوننا آنذاك ببرود واستثقال، فاليوم الوهابيون يقابلونكم ببرود واستثقال في بلاد الحجاز المقدسة. وكأننا لا نشعر بالأسى والحزن بالقدر الذي يغمركم، ذلك أنكم في اللحظات التي اقتربتم فيها من جوار النبوي السعيد، الذي يغمره ضياء النور المحمدي، منعتم من الوصول إلى الحجرة النبوية المعطرة وزيارتها، ورددتم على أعقابكم، وهذا يحتم أن تكونوا، بلا شك، أكثر يأسا وكدراً منا. ولكن للأسف، فأن وجودكم التعيس في هذه القافلة جلب الشؤم لبقية الحجاج الذين لا حيلة لهم، فحرموا من تلك الزيارة، وصار حالهم مؤثر لما لحقهم من هذه المصيبة الكبرى.

ولقد توسل كل من والي جدة زين العابدين باشا، وخطيب زاده محمد أفندي، ومحمد سعداء بك لدخول المدينة المنورة، وبعد استعطافهم، وبسعي من صالح بن صالح أذن لهم في الدخول اليها، وتوجهوا لمقابلة سعود. ولما كان سعود، في تلك الساعة، في مبنى المحكمة، مشغولاً بالمرافعة في قضية، فقد جلس هؤلاء الثلاثة جانباً على قطعة من الحصير، يتحينون نظرة والتفاتة عطف منه.

وبعد أن فرغ سعود من المرافعة، أمر هؤلاء الثلاثة بتجديد بيعتهم له و مصافحتهم، ويترجم بينهما المفتي الياس زاده. وبعد أجراء مراسم البيعة والمصافحة، أحضر رسالته التي وجهها إلى السلطان سليم، وختمها بختم الولاية الضخم. وبعد الختم سلمها إلى محمد سعداء بك، حفيد حكيم أوغلي علي باشا. عقب ذلك نهض هؤلاء الثلاثة وصافحوه، ثم غادروا متوجهين إلى خيامهم.

ولقد رأى سعداء بك بأم عينيه ما ألحقه ابن صالح بالحجاج فيما بين الحرمين من الأذى والعسف والعذاب، والصعاب التي تجمشوها، والنفقات التي ضاعت منهم سدى. ولهذا طلب الإذن له بالرحيل عن طريق البحر، وأخذ

يبحث عن وسيلة يدبر بها أمره. كان قد فاتح سلفه حسن أفندي، الذي حصل على إذن للسفر بالبحر، في هذا الموضوع. وذكر له أن هذا ممكن بعد الاستئذان. ولهذا طلب الإذن من سعود بواسطة مفتي المدينة إلياس زاده. وأجاب سعود بقوله: يمكنني أن أسمح لمحمد سعداء بك بالسفر بحراً إذا دفع خمسة آلاف قرش كما فعل سلفه حسن أفندي. وبينما كان محمد سعداء بك مشغولا بتدبير المبلغ المطلوب، عاد إليه المفتي الياس زاده، وقال: إن سعوداً يقول لن أسمح لمحمد سعداً بك بالسفر بحراً حتى لو دفع خمسين ألف قرش، لقد كانت عنده جارية حسناء فأذا أعطاني هذه الجارية، يمكنه أن يسافر بالبحر ولما ذكر المفتي ما يفكر به سعود، رد سعداء بك بالقول: أنني أعتقت تلك الجارية. ووصل هذا الجواب إلى سعود، بدأ يهذي هذا الملحد عديم الدين، وأصر على أخذ الجارية، فقال: إن إعتاق محمد سعداء بك للجارية غير جائز في مذهبنا، وجاريته إلى الآن في الرق. واضطر سعداء بك بدفع الجارية إلى سعود وحصل على الإذن بالسفر عن طريق البحر.

وكان هدف محمد سعداء بك من طلبه العودة بطريق البحر، أن عودة المحمل الشامي قد تقرر أن تكون من طريق بغداد، وفي العودة من هذا الطريق مخاطر عظيمة على الحجاج. ولقد تمكن بتقديم بعض الهدايا لأتباع سعود، وأعطائه الجارية الحسناء، وترك أرزاقه ومتاعه لهم، من الحصول على الإذن بالسفر بحراً، وتوجه مسرعاً إلى ينبع دون أن يتوانى لحظة، وتخلص من ظلم بن صالح وغدره.

وفي الأثناء التي كان فيها سعداء بك يعد عدته للسفر إلى ينبع، ولقد أخذت الغيرة والحمية أحد أغوات الحجرة النبوية الشريفة، يدعى سالم آغا لما رآه من عدم احترام الوهابيين العلني لمرقد النبي ﷺ وعدم تعظيمه وتوقيره، فسل



سيفه في الجمعة، وهاجم الوهابيين. وأدرك سعود النتائج الوخيمة لهذا العمل، فأشار بسرعة بأغلاق أبواب المسجد النبوي الشريف واعتقل رفاق الآغا المذكور، وقيدوه بالحديد، وحبسوه. ثم جلبوا شيخ الحرم عنبر آغا، وحبسوه وأوقعوا عليه غرامة مالية قدرها عشرون ألف قرش. وبعد ذلك أخلوا سبيله، وسمحوا له بالذهاب إلى مصر.

وما كاد المحمل الشامي يبتعد عن المدينة بعدة منازل، حتى انتقل سعود التعيس إلى المحكمة الشرعية، وأعطى أوامره بالإغارة على الحجرة النبوية الشريفة وخزينتها، ونهب كل ما كان فيها من الذهب والمجوهرات والأشياء الثمينة. ثم أمر بهدم ما بقي من القباب التي لم تهدم، ولكنه أبقى القبة النبوية الخضراء في حالة خراب، بعد أن استعطفه الأهالي بتركها. وبعد ذلك أصدر تنبيهاته بعدم قراءة اسم السلطان العثماني في الخطب من على منابر الحرمين الشريفين، وجعلها تحن إلى ذكر ألقابة السلطانية السامية. ثم أعطى تعليمات مفصلة بتحصين القلاع وتقويتها بشكل محكم لتتمكن من صدّ قوافل الحجاج المصرية والشامية التي ستفد فيها بعد وإعادتها. عقب ذلك أمر بجمع أهالي المدينة المنورة كلهم في المسجد النبوي الشريف، وأغلق أبوابه عليهم، وبدأ يخطب فيهم، فقال: يا أهل المدينة، إني قصدت بجمعكم في هذا المكان، أن أنصح لكم، وأقدم لكم نصائح طيبة وجميلة، وأنبهكم إلى وجوب التقيد والعمل بما سأصدره إليكم من تعليمات وأوامر.

يا أهل المدينة، لقد وصل دينكم اليوم حد الكمال والتمام بموجب الآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..﴾[1] وتشرفتم بنعمة الإسلام، وأسعدتم وأرضيتم ربكم عنكم. ومن الآن فصاعداً، تجنبوا الميل إلى دين آبائكم

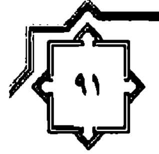
١ . سورة المائدة الآية ٣.

وأجدادكم الباطل، وتحاشوا ذكرهم بالخير، ولا تترحموا عليهم. فأجدادكم كلهم قد ماتوا على الشرك والكفر. ولقد بيّنت لكم أعمالكم وطاعاتكم وعباداتكم في الكتب الشريفة التي أعطيتها لعلمائنا. وداوموا على دروس علمائكم، واعملوا بما يقررونه في كل مسألة، وخذوا بكل موعظة يبينوها لكم، واجتهدوا في التمسك بمقتضاها. وإذا حدث إن أحداً منكم خالف هذا أو أظهر الإعتراض عليه، فسوف أجعل أموالكم ومتاعكم وأرواحكم حلالاً مباحاً لعسكري، فقد أصدرت التعلميات الشرعية التي بموجبها يأخذونكم جميعا وأولادكم ونساءكم أسري، وأن يحاسبوا رجالكم، ويعاقبوهم بالعقاب الذي يرونه ويقررونه هم. ومن غير المشروع في مذهبنا أن تقوموا، كما في السابق، بالوقوف أمام القبر النبوي الشريف، وتعظموه، وتصلوا وتسلموا عليه. فهذه الأفعال القبيحة من البدع غير المستحسنة، وهي محرمة في الدين الوهابي.

ومن الواجب على الذين يمرون من أمام القبر الشريف أن يعبروا بدون توقف، وفي أثناء مرورهم يسلمون على النبي ﷺ، بقول: السلام على محمد. وهذا الاحترام والرعاية كافية حسب اجتهاد أمامنا محمد بن عبدالوهاب. واستمر سعود بعد ذلك في كثير من الكلام المتسهجن، ثم أمر بفتح أبواب المسجد النبوي الشريف، وأخرج الناس منه.

وبعد أن عين ابنه عبدالله والياً على المدينة المنورة، انقلب عائداً إلى الدرعية.

ويفهم من خطبة سعود السابقة أن دعوة الوهابيين ليست دعوة مذهب، بل هي دعوة لديانة «جديدة» وسعود، وإن كان قد ظهر على الساحة في الواقع على أنه عامل بمذهب ابن عبدالوهاب ومقتد به، إلا أن ضميره ونيته الحقيقية هي إيجاد دين آخر «جديد». هذا في الوقت الذي قضى فيه النور المحمدي عليه وأهلكه، وأيضاً أزال أصل بنيانه الفكري ونواياه و ملاحظاته من أساسها. حتى



أن الإفرنج الذين لم يؤمنوا برسالة نبينا محمد ﷺ، يقولون بأن النـور المحمـدي سوف يمحو كل الديانات التي ستظهر من بعده، واستدلوا عـلى ذلـك بمحـوه الديانة الوهابية وإزالتها من الوجود. فحسب إيضاحات فلاسفة الإفرنج، أنه في وقت بعثة النبي ﷺ، زالـت إمبراطوريـة رومـا مـن الوجـود، وبهـذه المناسـبة اندمجت آلاف الديانات وانصهرت في بوتقات في قارة آسيا، إلا النور المحمـدي هو الذي قضي عليها ومحا كل أثر لها.

معجزة جليلة

عندما نهب سعود محتويات خزينة الحجرة النبوية المطهرة، أراد نزع قطع من الدر المتلألي، الثمين كانت معلقة عـلى جـدرانها. فأرسـل ثلاثـة مـن الوهـابيين واحداً بعد الآخر. واتجه هؤلاء مباشرة نحـو قـبر النبـي ﷺ، ومـا كـاد يـصل أحدهم إلى القبر الشريف حتى سقط على الأرض بلا حراك وبلا سبب، فـصرع الثلاثة في مكانهم. ولم يستطع سعود المردود أن يمد يده على تلك المجوهرات.

معجزة جليلة أخرى

يروي بعض أهل المعرفة والعلم من أهل المدينة المنورة، أنه في بعض الليالي، في أثناء فترة الحصار، كانت تتسرب أرزاق ومؤن متنوعة من وراء أسوار القلعة، ذلك بشكل سري. ودخول هذه المؤن وتسريبها إلى داخل المدينة، بالرغم من أن القلعة، كانت مراقبة من قبل رعاع الوهابيـة مـن الـداخل والخـارج، والـذين لم يشعر أحد منهم بذلك، لاشك أنه يعدّ معجزة كبيرة.

وهكذا فإنّ وقوع هذه الحادثة العظيمة الكارثـة المفجعـة، وشـيوع خبرهـا، أصابت قلوب جموع المسلمين الغفيرة بالألم والأسـى، وكانـت بمثابـة طعنـة في

صدورهم، ذلك أن أبواب الحج والزيارة الفياضة بالنور التي ظلت مفتوحة أمام الموحدين منذ عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أغلقت بتمرد سعود النمرود وتجبره في عام ١٢٢٢هـ. ولأن الذهاب إلى الحج أو العودة منه من الآن فصاعداً قد أصبح شبه مستحيل، فقد كلف والي مصر محمد على باشا بطرد الوهابيين من البلاد الحجازية المباركة، وإجلائهم عنها. وصدر الأمر السلطاني العالي في هذا الخصوص وأرسل إلى الباشا المذكور. وفي عام ١٢٢٤هـ بدأ باتخاذ كل اسباب الأعداد للحرب بغاية الاهتمام. وأقدم بكل جد وهمة عالية، على النهوض بهذه الخدمة الجليلة، التي تستوجب المغفرة، وتمكن بعون الله الوهاب وعنايته من اقتلاع أصول الشجرة الوهابية الخبيثة وفروعها من الأراضي المقدسة الحجازية و تهامة، وقمعهم، وطهر في أقصر وقت ساحة الحرمين الشريفين من وجود هؤلاء الخوارج الفاسدين.

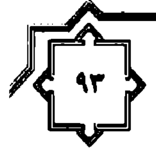
وكما سنرى في خاتمة هذا التاريخ، أن محمد علي باشا استعاد المدينة المنورة و مكة المكرمة منهم، وأرسل إلى أسطنبول مفتاح المدينة المنورة في اليوم السادس والعشرين من شهر محرم الحرام عام ١٢٢٨هـ ومفتاح بيت الله الحرام في غرة من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة[١].

كما أنه أسر رؤسا الوهابيين، وقيدهم بالحديد، كما قبض على مجموعة من الأشقياء من أمثال شيخ الجديدة، وبعث بهم إلى أسطنبول.

ومن اليوم الذي أسس فيه بنيان السلطنة السنية العثمانية، فإن سلاطين آل عثمان العادلين جعلوا أمر الغزو والجهاد في مقدمة أعمالهم، ووضعوا نصب أعينهم إجراء أحكام الشريعة الإسلامية الغراء وتطبيقها. ونالوا لقب «خادم الحرمين المحترمين» الشريف، وأحرزوه، فازدادوا تميزاً وعزاً وشوكة. فهم بين

---

١ . المترجم: انظر جودت باشا تاريخي «الطبعة باحروف التركية ٥/ ٢٥١٣.

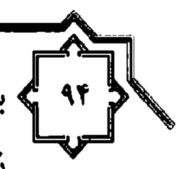


ملوك وسلاطين الموحدين خلفاء سيد الأنام، وعاصمتهم، التي هي مقر العدل، قبلة الإسلام. وتعظيمهم وتوقيرهم يعد من أحكام الدين. ومع هـذا كلـه، فـإن قطع طريق الحج والزيارة وإغلاقه في زمـن سـلطنتهم، وفي عـصر هـذه الدولـة الخالدة، يعد حقيقة مـصيبة كـبرى غـير مـسبوقة حلـت بالإسـلام. وإنـه لأمـر مستغرب تقاعس هد الدولة عن إرسال قوة عـسكرية قـاهرة إلى إرض الحجـاز المباركة تنكّل بالوهابيين الذين تجرأوا على احتلال الحرمين الـشريفين، وتقـتص منهم، ولكن هذه الواقعة الأليمة حدثت في وقت عصيب مـن أوقـات الدولـة، مليء بالأزمات. ولهذا لم تجد الدولة في الحقيقة إمكانية للتعامل مـع الوهـابيين في الحرمين الشريفين. فقد توافق ظهور ابن عبدالوهاب مـع بدايـة تـولي الـسلطان عبدالحميد الأول ﷺ، عرش السلطنة. وفي ذلك الوقت، كانت جيوش الدولـة العثمانية مشتبكة في حروب مع القوات الروسية، وتقاتلها من ثغر إلى ثغر، ومـن مضيق إلى آخر. ووقعت معاهدة «قاينارجه»[١] في نهاية تلـك الحـرب، فاسـتقلت «بموجبها» أقوام التتار، وسواحل نهر قوبان، كما بقيت في يد العـدو «الـروسي» الأزلي بلاد قيلبورون، ويكي قلعة، وحـصون آزاق، وبـلاد قبـار طـاي، وبـلاد كرجستان[٢]. ونتيجة للامتيازات الضارة التي منحت لأهالي كلا الـدولتين، فقـد حدثت ثقوب وجراحات في جسم الدولة والبلاد وكيانها.

وعقب ذلك، تعرضت قلعة عكا وبلاد الصعيد «بمصر» وبرالـشام لهجـوم عنيف، وحدثت حركات استيلاء وسيطرة. وبعدها ظهـر العـصيان والتمـرد في «جزيرة» المورة وبالد الأرنؤوط «ألبانيا»، كما دخل خانـات بـلاد التتـار في نـزاع

١ . المترجم: في٢٢ يوليو تموز ١٧٧٤م. انظر بروكلمان ص ٥٣١.

٢ . المترجم: بلاد الكرج، أو جورجيا.



بعضهم مع البعض، وسقطت شبه جزيرة القرم في يد موسكو[١]، كل هذا أدى إلى زيادة ضعف الدولة. ولما اضطرت الدولة إلى إعلان الحرب على روسيا وألمانيا والنمسا، ضاعت منها قلعة أوزي، وتعرض خمسة وعشرون ألف من المسلمين لكل أنواع الغدر والظلم والأهانة، ثم قتلوا بالسيف جميعا، مما أدى إلى ازدياد النكبات والمصائب التي تكالبت على الدولة.

أعقب ذلك إعلان الإنكشارية ثورتهم و تمردهم، ووفاة السلطان عبد الحميد الأول، وتزامن معه، سقوط بلغراد وبندر أسماعيل، ثم حدوث ثورات في ودين[٢] والصرب، وما تكبدته الدولة من إرسال حملات وقوات عسكرية لإخمادها. وبعد ذلك استولى الفرنسيون على مصر، وبعدها تجرأ بكوات المماليك على إعلان استقلالهم، وتمرد والي عكا أحمد باشا الجزار، وتبه دلنلي[٣] على باشا وثورة أهالي «جزيرة» المورة. كل هذا أصاب أركان الدولة بالحيرة، وحطم صورتها.

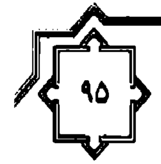
وكان احتلال الفرنسين لمصر، وإرسال الإنجليز لأسطولهم البحري إلى الآستانة ثم إلى مصر، سببا في اضطرار الدولة إلى إعلان الحرب على إنجلترا. ثم تمرد الأنكشارية، وثاروا على قوانين الإصلاحات «النظام الجديد»، ونشروا الفوضى وأحدثوا الشغب، وقتلوا معظم رجال الدولة أينما وجدوهم، وكل من عثروا عليه قد تزيا بملابس الإصلاحات «النظام الجديد». وختم كل هذا باستشهاد السلطان سليم «الثالث». ومن هنا لم يعد أي مجال للحركة في جسم الدولة العثمانية، وصارت جثة هامدة.

---

١ . المترجم: في ١٧٨٣م. انظر بروكلمان ص ٥٣١.

٢ . المترجم: VIDIN

٣ . الترجمه: TIPEDELENLI



وبالرغم من ذلك، كان من الممكن ألا تعطي الدولة مجالاً لفتنة الوهابيين بأن تكبر وتنتشر بهذا القدر. ولكن وزراء ذلك العصر كانوا يتفوهون بترهات وهذيان من قبيل قولهم: إن اضطرابات العرب هذه قد جلبت مصيبة كبرى على رؤوسنا. فحوادث مكة والمدينة تسلبنا الراحة، وتقلقنا في كل سنة، ولقد عاد العرب مصدر مصدر إزعاج وقلاقل.

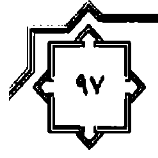
وبهذا لم يضع هؤلاء الوزراء والمسؤولون أمور الحجاز في اعتبارهم، ولم يولوها الأهمية المطلوبة. وعلى الرغم من أن وفد المدينة المنورة طرق أبواب كل واحد من هؤلاء، وشرح له خطورة الوضع، وطلبوا منهم النصرة والعون، إلا إنهم استثقلوا هذا الوفد، «لقد أسمعت لو ناديت حياً، ولكن لا حياة لمن تنادي» وردوا جيران رسول الله، مكرم الضيفان، ﷺ، ببرود، ولم يكلفوا أنفسهم عناء إيصال الأمر بكافة جوانبه إلى المرحوم السلطان سليم خان. ولهذا كانوا السبب في تمكن الوهابيين من الاستيلاء على هذه البلاد الواسعة المقدسة، وبسط سيطرتهم على الحرمين الشريفين. بل إنهم راحوا يماطلون الشريف غالب، ويسوفون عليه بسفسطة فارغة، فمرة يقولون له: سوف نرسل علماء من الآستانة لإفحام الوهابيين وإسكاتهم والزامهم بأتباع المذهب، مرة أخرى يقولون له: سوف نكتب تعليمات إلى ولاة جدة ومصر وبغداد ومصر والشام، من أجل إظهار سطوة الدولة العثمانية وشوكتها. وكان يجب ألا يستثقلوا وجود وفد المدينة المنورة الذي قدم إليهم، واتخاذ تدابير صائبة، ولو فعلوا ذلك، لما حدثت المجازر والقتل العام في الطائف، ولما سقطت البلدتان المباركتان والحرمان الشريفان في أيدي الخوارج.

استرداد بلدة رسول الله من يد الوهابيين سود الوجوه

كان شيخ الدرعية سعود بن عبدالعزيز قد نصب ابنه عبدالله والياً على المدينة المنورة، ثم انسحب عائداً إلى دياره. وفي تلك الأثناء كان والي مصر محمد على باشا قد نصب ابنه أحمد طوسون باشا والياً على جدة، وعينه قاعداً لفرقة عسكرية توجهت بطريق البر إلى المدينة المنورة. وبين له أن اوامر السلطان السامية الواجبة الطاعة، تقضي بطرد الخوارج الأشقياء من بلاد الحرمين الشريفين. وبناء على هذا تحرك أحمد طوسون باشا من مصر، وواصل سيره، حتى نصب خيامه عند وادي قرية الحمراء الواقعة بالقرب من مضيق جديدة، وتمكن من هزيمة عصابات الوهابيين التي صادفها في طريقه، وشتت شملها، وأدخل عربان القرى والنواحي التي مر بها في طاعة الدولة، وانقادوا لها.

ولما فوجئ عبدالله بن سعود بهذا الخبر، اضطرب، وجمع أهل المدينة وخطب فيهم قائلاً: لقد سمعت أن الجيش المصري قد وصل إلى قرية الحمراء، ونصب خيامه بها. وقررتُ الهجوم عليه ومحاربته. ولكني سوف أصطحبكم معي، فعلى كل منكم أن يجهز نفسه، ويعد أسباب الحرب، ويحضر لإثبات نفسه في الساعة كذا، في مكان... كذا. ولم يجد الأهالي أمامهم إلا الموافقة. والقبول بالأمر مضطرين، ثم هجموا فجأة على قوات أحمد طوسون باشا، واستمر القتال الدامي خمسة أيام بلياليها متواصلة. وفي النهاية هزموا الفرقة المصرية، ونهبوا جميع ما تحمل من المهمات والأسلحة العسكرية.

وكان أحمد طوسون باشا عند وصوله إلى ذلك الموقع، قد بنى طابية استحكام في نقطة مهمة من المكان، ورتب بها سبعين رجلاً من الأرنؤوط «الألبان». ولما هزم عبدالله منهم إلى الجبال. وجلب عبدالله بن سعود خمسة آلاف رجل من الوهابيين المتعطشين للدماء من أجل الاستيلاء على تلك الطابية



التي يتحصن بها الأرنؤوط الشجعان. وهاجم بهم الطابية مدة ستة عشر يوماً بلياليها هجوماً متواصلاً بلا انقطاع. ولكن الأرنؤوط تصدوا بصدورهم لسلاح الأعداء، واستطاعوا أن يكسروا الوهابيين بشكل يدهش العقول. وأدرك ابن سعود أنه لن يتمكن من الاستيلاء على الطابية لاهجوم عليها، فضرب عليها الحصار من كل جهاتها، على مسافة مرمى الرصاص.

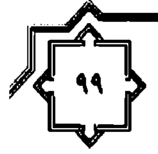
وصمد أبطال الأرنؤوط فترة طويلة في مواقعهم، وثبتوا على أمل أن تأتيهم إمدادات ونجدة من مصر، وجاهدوا لحماية شرفهم العسكري بحق، إلا أنّ ما لديهم من الأرزاق والذخيرة واللوازم العسكرية قد نفذ، بسبب استمرار الحصار مدة طويلة. واضطروا إلى مقاومة الجوع مدة ثلاثة أيام، وكانوا يتبادلون الأحاديث بعضهم مع بعض ويقولون: لقد تعهدنا بحماية هذه الطابية بكل ما أوتينا من شجاعة ورجولة، فان استسلمنا لهم، وحصلنا على الأمان، فما دمنا قد قتلنا من الوهابيين أضعاف عددنا، فإن رؤساء الأشقياء سوف يقتلوننا قصاصاً، ويعدموننا لا محالة. وإذا لم يفعلوا، فإننا سنعيش تحت رحمة العدو ومنّته، وهذا عار عظيم لا يليق بالرجال الشجعان الكبار. وحتى لو حصلنا على العفو والأمان من أجل إنقاذ حياتنا من الموت، فإن استمرار العيش في الذلة والمهانة يعني الموت ألف مرة كل يوم. وما دمنا سنموت يوماً ما، فيجب أن نستل سيوفنا معاً، ونحمل على جموع الأعداء حملة رجل واحد، ونقاتل أعداء الدين والمذهب، ونحاربهم حتى ننال الدرجة العالية بالشهادة. وعلى الأقل، نقتل عدداً من الأعداء و نصرعهم، ونكون مثالاً يحتذى في أخلاقنا. وبعد ذلك تعانقوا وقبّل بعضهم بعضاً وودع بعضهم بعضاً، ثم صاحوا صيحة واحدة الله... الله، وهجموا على العدو الذي يزيد عدد رجاله على خمسة آلاف، ودفعوا قوات الملحدين أمامهم كأنهم قطعان الحمر الوحشية. وقتلوا منهم أكثر من مائتي رجل، حتى تحولت مقدمة طابية الأرنؤوط إلى مذبح للخنازير.



وعجز رؤساء فرق الأشقياء عن الرد بالمقابل صولة شجعان الأرنؤوط البواسل، ذلك لأنهم «يريدون أن يقبضوا عليهم أحياء» فقاموا يرجون الأرنؤوط أن يتخلوا عن الحرب، وأخذوا ينادون عليهم بقولهم: أيها الشجعان يا أبناء الشجعان، اتركوا القتال، والتجئوا إلى حماية ابن سعود وعطفه، ونقسم لكم بأنكم في أمان، فعبدالله بن سعود ليست لديه معاملة للمغاوير وأبطال الحروب من أمثالكم إلا الإكرام والتقدير. وكان الأرنؤوط قد تعاهدوا وتقاسموا من قبل على القتال حتى الموت، وأخذوا المواثيق من بعضهم البعض، ولهذا فقد قاتلوا كالأسود مدة اثنتي عشرة ساعة. ولكن للأسف، لم تتحمل مجموعة منهم الجوع، وكسرت سيوف معظمهم، فاستشهدوا كلهم نسأل الله تعالى أن يرضى عنهم جميعاً.

وبناء على هذا الظفر غير المتوقع الذي أحرزه عبدالله بن سعود، عاد إلى المدينة وقد ركبه الغرور و استولى عليه الكبر، واستبدل أهالي المدينة الذين كانوا يحرسون القلعة، وأحل محلهم رجالاً من الوهابيين. ولما لاحظ قيام أحمد طوسون باشا بحشد العساكر المصرية، أخذ في تقوية أبراج القلعة ومتاريسها وجدرانها بشكل محكم لتصمد للمقاومة التامة. عقب ذلك، التفت لأهالي المدينة يؤنبهم فقال: لقد فررتم مني في منتصف الطريق، على أمل أن يهزمني أحمد طوسون باشا. وبدأ في التضييق على أهل المدينة المنورة ووصل بذلك إلى درجة لا يمكن وصفها. ذلك أن الأهالي الذين التحقوا بفرقته الباغية كرهاً، كانوا قد فروا واحداً بعد الآخر، وعندما وصل إلى قرية الحمراء لم يكن معه أحد من المدنيين.

ولا يمكن البحث في سبب آخر لهزيمة أحمد طوسون باشا، سوى كونه في مطلع شبابه «لا خبرة له».



ففي أثناء تحركه براً من مصر، غادر طاهر أفندي كاتب ديوان ولاية مصر بطريق البحر، ومعه قوة عسكرية، وكميات كبيرة من الذخائر واللوازم الحربية. واستولى طاهر أفندي على ينبع البحر بلا قتال، ثم دخل في معركة حتى استولى على ينبع البر. وبعد هذا التقى بأحمد طوسون باشا.

وكان الهجوم الباسل الذي شنه طاهر أفندي على ينبع البر عنيفاً جداً و دموياً، حتى بلغ عدد رؤوس القتلى ستمائة، وأسر ألفي رجل.

وعقب معركة ينبع البر، ساق أحمد طوسون باشا قواته على قلعة الشويك[1] التي كان أنشاها ابن جبارة، أحد زعماء الوهابية، في قرية الشويك، وهاجمها. و بعد أن استولى على تلك القلعة توجه إلى مضيق جديدة الذي يبعد عن ينبع البر بمسافة أربع ساعات في جهة المدينة المنورة. ولأنه كان في مطلع شبابه، يشتعل حماساً، وتهوراً، فلم يستشر أحداً من قادة الفرقة المصرية المرافقة له، وتجرأ على العبور من مضيق جديدة، وغفل عن اتخاذ التدابير العسكرية اللازمة لمرور الجنود من هذا المضيق.

ذلك، أنه في أثناء الدخول إلى هذا المضيق، أمر بسوق وحدات المشاة من خلف الجبال الواقعة على شمال المضيق وجنوبه، وأمر بوجوب عمل متاريس عديدة في الأماكن اللازمه، وبالاستيلاء على النقاط المتحكمة في المضيق بأي صورة. وبعد أن أمر بهذا تقدم برفقة وحدات الفرسان إلى قرية الحمراء.

وإذا كانت تدابير أحمد طوسون باشا هذه صحيحة إلى درجة ما من ناحية العمليات العسكرية، الا أن عبدالله بن سعود واجهه في هذا المضيق من ناحية المدينة المنورة، وتمكن الباشا من طرد قوات عبدالله بن سعود أمامه، ولأنه بدأ في تعقبه، فقد قامت قوات المشاة المصرية، التي أرسلت من قبل من وراء الجبال في

---

١ . المترجم: السويق.

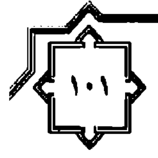
مدخل المضيق، بالاستيلاء على متاريس الوهابيين، التي تحصنوا بها على قمم الجبال الجنوبية وتمكنت من طرد الأشقياء أمامها حتى مخرج المضيق. ونزلت من الجبال الجنوبية فرقة الاستطلاع التي أرسلها أحمد طوسون باشا ليعاين مخرج المضيق. ولأنها قطعت الطريق على فلول الرعاع الفارين، اضطرت للعودة. وبهذا حصر الوهابيين بين الفرقتين، وتقدموا نحو الباشا المذكور وهم في حالة هياج وهول عظيم.

وكان في مقدور الفرقتين أن تستأصلا الأشقياء الذين حشروا بينهما، ولكن فرقة الفرسان المرافقة لطوسون باشا، بالنظر إلى قلة عددها، لم تتمكن من مقاومة هجمات الوهابيين الدموية. ولما هرب الفرسان، ثبت الباشا المذكور و معه تسعة رجال من الفرسان، وأخيرا استطاع أن يلتحق بأفراد المشاة الموجودين في الجبال الشمالية، وأخذهم منسحباً إلى ينبع البحر. وبالبحث والتحقيق، وجد أن عدد الوهابيين الذين اشتركوا في هذه المعركة، بالإضافة إلى مرافقي ابن سعود، قد بلغ خمسين ألف رجل.

وبعد هذه الهزيمة التي مني بها أحمد طوسون باشا، أرسل والي مصر محمدعلي باشا من ينبع البحر يخبره بالأمر، ويطلب قوات عسكرية كافية، ومهمات ولوازم حربية. وتم بعد ذلك تأمين كل ما طلبه من العساكر القادمة لأربعة من القادة هم: حسين بك، وزعيم أوغلي، وبنابورت[١] وعثمان كاشف. واصطحب هو فرقة صغيرة، وتقدموا بدون أن تصادفهم أية موانع أو عوائق، حتى وصلوا إلى وادي بدر، ونصبوا خيامهم فيه، وبناء على رأي قادة الفرق الأربع التي وصلت بعده قام بكتابة خطاب وأرسل نسخة منه إلى كل شيوخ قبائل العربان. وهذا هو نص الخطاب:

---

١ . المترجم: الصحيح هو بونابارت .BONAPART وهو آغا خزينة دار. جودت ٥/ ٢٥٥٥، ٢٥١٧.



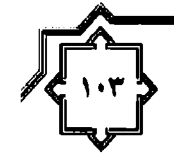
لقد علم جناب السلطان محمود خان الغازي بأن الوهابيين قد استولوا على المدينة المنورة، وبناء على هذا حُرم الحجاج الكرام من شرف زيارة الحجرة النبوية المعطرة، ولهذا أصدر أمره العالي بتكليف والي مصر، والدي محمد علي باشا، بمهمة طرد طائفة الوهابيين الباغية من بلاد الحجاز المباركة، مهما كلف الأمر.

وقام الباشا المذكور من جانبه باحالة مهمة إنفاذ هذه الإرادة السلطانية الصارمة إلى عهدتي، وأرسلنا إلى هنا مع القوات العسكرية الكافية، ووعدنا الباشا وعداً قاطعاً بأنه إذا دعت الضرورة في المستقبل إلى مزيد من القوات، فسوف تعد وتجهز وترسل متعاقبة في مراحل، ولقد تعهد والدي بأن يبعث بالقوات واللوازم الحربية التي تكفي لفتح طريق دار الهجرة النبوية المقطوع، وأن يتوالى إرسالها بشكل مستمر، وأصدر أوامره الصارمة في هذا الخصوص إلى المسؤولين وإلى من يهمه الأمر، وأنا من جانبي، سأبذل حياتي ونفسي في هذا السبيل حتى يتحقق. فإذا كنتم ستوافقونني في هذا العمل، وقدمتم العون الذي يطلب منكم للعساكر المصرية السلطانية السنية، فسوف أعطيكم عوائدكم ومخصصاتكم القديمة كاملة، وسوف تصلكم المكافات السلطانية السنية، و بعض الجوائز والعطايا والهدايا من طرف الخليفة. ويوجد بينكم من يعتقد أن الوهابيين سوف يحققون الظفر والغلبة على الدوام، لما رأوا هزيمتي أمام ابن سعود في معركة قرية الحمراء، وهم مخطئون في ذلك؛ لأن الذين فروا من الفرقة المصرية التي كانت معي، كانوا غرباء عن ديارهم، ولهذا تفرقوا، وكل واحد منهم راح في جهة، وتسببوا في هزيمتنا. وبالرغم من ذلك، فيجب ألا يتطرق الشك إلى أنفسكم بأن سلطاننا عاجز عن إرسال قوات عسكرية بعد انهزام إحدى الفرق، فلقد عهد بهذه المهمة إلى والدي محمد علي باشا الذي سيبذل ما

في وسعه لطرد الوهابيين من بلاد الحجاز المباركة مهما كلف الأمر، والتنكيل بهم، وإنه سوف يوفق إلى ذلك بعون الله تعالى وعنايته. وإن جموع الموحدين بالبلاد المصرية، وعلى وجه الخصوص كافة المسلمين في تركستان قد استعدوا ضد الوهابيين، وإن عساكر الإسلام سوف تتقدم لتسترد منطقة الحجاز المباركة من قبضة الوهابيين بشكل قاطع. ولا حاجة لأن أستفيض في الكلام إليكم أكثر من هذا. فيجب أن تتصرفوا بعقلانية وبعد نظر. وأن تبلغوني بشكل عاجل وسريع بما تريدون قوله، ويستقر عليه امركم، وإذا وجد بينكم من يفكر في عصيان الإرادة السلطانية، وعدم الانقياد لأمره السامي، فليكن معلوماً لديكم إنني سوف استعمل السيف وأقتلكم جميعاً.

ولقد أحدث هذا الخطاب العام الذي كتبه أحمد طوسون باشا تأثيراً جديداً بين رجال قبائل العربان، ولهذا اجتمع المشايخ وعقدوا مجلساً كبيراً، بحثوا فيه الأمر، وانقسموا إلى فريقين: فريق رأى الانقياد للدولة العلية العثمانية، وإظهار الطاعة لها، واتفقوا على الوقوف ضد ابن سعود. والفريق الآخر فضّل البقاء على الحياد، ولم يأخذ جانب الدولة العلية ولا جانب سعود، وأن ينتظر ما تنتهي عليه الحوادث من نتائج، وقام رئيس كل فريق وكل شيخ بكتابة عريضة خاصة به، شرح فيها وجهة نظر فريقه، وما يعتقده ويضمره، وأرسلوا هذه العرائض إلى أحمد طوسون باشا، لتكون جواباً على خطابه السابق.

وكانت قبائل الأحامدة أول فريق التزم بالطاعة للدولة العلية العثمانية والانقياد لها، واتفقوا على التصدي لسعود والتضحية في سبيل ذلك بالروح والنفس، وكان شيخ مشايخ الأحامدة رجل يدعى الشيخ جزا، قد جمع مشايخ قبائل الأحامدة التابعين له في الرأي، واصطحبهم إلى ساحة بدر، حيث التقى بأحمد طوسون باشا. وبعد أن أعطوا المواثيق والتأكيدات حسب الأصول، ألبس



أحمد طوسون باشا كل واحد من المشايخ عباءة [معطفاً] حمراء، وشالاً من الكشمير الأحمر.

ولقد انعقد المجلس العسكري، وقرر، بناء على ما اقترح الشيخ جرا وتصويباً لرأيه، كتابة رسالة خاصة تتضمن نصيحة مؤثرة إلى حسن قلعي جاوش، الذي كان قد عينه سعود بن عبدالعزيز قائداً للوهابيين القاطنين في المدينة المنورة، وهو الذي يعد حسب اعتقاد سعود من جملة رؤساء الأشقياء المخلصين له والمعتمدين عنده. وأرسلت هذه الرسالة إلى حسن قلعي جاوش بواسطة اثنين من أهل المدينة، موجودين مع فرقة أحمد طوسون باشا، وهما محمود عبدالعال أفندي وحسين أفندي[١]. و فيما يلي نص تلك الرسالة التي أرسلت إلي حسن قلعي جاوش.

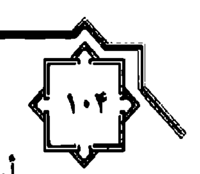
صورة الرسالة

سعادة حسن قلعي أفندي

فليكن معلوماً لديكم أن والدي الموقر محمد علي باشا قد كلف بإرادة سامية من السلطان، بتخليص بلاد الحجاز المباركة من قبضة الوهابيين الظالمة، و فتح أبواب الحج و الزيارة أمام حجاج المسلمين. و أرسلني إلي هنا مع قوات عسكرية غفيرة لتنفيذ الأمر السلطاني العالي، واجب الطاعة. و إنه سوف يأتي بنفسه إلي هنا في زمن قريب علي رأس قوات عسكرية مجهزة، لا حصر و لا عد لها. و لقد شاع هذا الموضوع بين العربان، و أيقن كل واحد منهم بصدق أن عبدالله بن سعود سوف يهزم و يقهر لا محالة، و لهذا توافدت قبائل العربان أفواجاً تعرض طاعتها و انقيادها للدولة.

---

١ . لقد التجأ كثير من أهالي المدينة المنورة إلى القوات المصرية، و كانوا كلهم مستعدين للقتال.

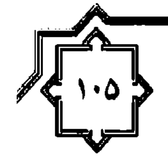


و لأن شخصكم الكريم من أهالي المدينة المنورة الكرام، و أيضاً من أصحاب العقل و الكياسة و الفطنة، فقد اضطررتم إلى العمل الوهابيين و الاتحاد معهم، و تدبيركم هذا يتسم بغاية الحكمة و بعد النظر، و يرعى المصلحة، و على كل حال هو موضع تقدير و استحسان.

و الآن، فإن أنظار مولانا سلطان العالم، و حسن رعايته و همته، متوجة إلى بلاد الحرمين المحترمين و منصرفة نحوهما. و لن يتخلى بأي حال و تحت أي ظرف عن استرداد البلدتين الطيبتين من أيادي الأشقياء، و سوف يتخذ كل الأسباب التي يتوقف عليها هذا العمل و يقتضيها من إجراءات. و لا مفر من طرد طائفة الخوارج الجبانة بالقوة العسكرية القاهرة من أراضي الحجاز السعيدة، و إجلائهم عنها مطلقاً. و لهذا عليكم الحذر من معارضة الإرادة السلطانية السامية، و تجنبوا الغفلة عن النتائج الوخيمة التي يمكن أن تحدث جراء ذلك. و نأمل منكم أن تقترحوا لنا الآراء الصائبة بخصوص تسهيل طريق استرداد المدينة المنورة، و أن تشعرونا بالرد و الجواب الصائب في أسرع وقت، و نأمل بهذا أن تؤدوا خيراً كبيراً للأهالي العزل الذين لا حول و لا قوة لهم، و إنني آمل ذلك، و في انتظار ما تمليه عليكم الشيم الكريمة التي فطرتم عليها و حصافتكم و فطنتكم.

و عيّن رجل بدوي من جماعة الشيخ جزا دليلاً ليرافق محمود عبدالعال أفندي و حسين أفندي اللذين مر ذكرهما، و كلفا بمهمة ايصال هذه الرسالة إلى حسن قلعي. و انطلقوا في طريقهم نحو المدينة المنورة.

و لما وصل هؤلاء إلى المدينة المنورة كانت أبواب القلعة منغلقة، و طريق الدخول إليها مسدود.



و عند منتصف الليل، دخلوا في مجرى العين الزرقاء، خرجوا من الماء الواقع في ساحة المناخة (في الجهة الداخلية من القلعة) و أنجزوا مهمتهم.

و قرأ حسن قلعي جاوش الرسالة التي بعث بها أحمد طوسون باشا، ثم أعطاهم الجواب بقوله (و هو المطلوب). و قام من ساعته في تلك الليلة و استدعي رجلاً او اثنتين، من أصحاب الكلمة و الرأي في كل حي من أحياء المدينة، و أخذ عليهم عهود موثقة و تأكيدات بكتم الأمر، و المحافظة على سريته، بدأ في شرحه فقال: لقد تسلمت هذه الرسالة من أحمد طوسون باشا، و تنفيذ ما ورد بها في غاية الصعوبة و الإشكال، ولكن هذا، بالنسبة لكم و بالنسبة لي يعد بشارة بنعمة غير متوقعة، فلنجتهد في هذا العمل معاً يداً واحدة، ولنفك أسرنا من أيدي الأعداء. و لنفتح الطريق أمام أولادنا و نسائنا ليتمكنوا من العيش أحراراً: ثم قرأ عليهم الرسالة في السر.

و لقد فرح الحاضرون كلهم و سرّوا بهذا الخبر، و دمعت عيونهم، و قالوا بهذه الجملة الجميلة: «جاء نعم المجيء» و أقسموا على أن يكتموا الأمر و يخفوه، ثم قالوا لحسن قلعي جاوش: «نحن عاجزون عن إعطاء رأي في هذه المسألة المعضلة، و اللطيفة، ولكن ما يراه سعادتكم و ما يتخذه من تدبير، سوف نبذل قصارى جهدنا للقيام به و تنفيذه، و نضحي حتى آخر قطرة من دمائنا». و لما سمع منهم حسن قلعي هذا، قال لهم: «إن التدبير الذي سوف أتخذه في هذا الأمر، سوف أحدد لأحمد طوسون باشا، الوقت و الساعة، التي فيها ستنطلق أصوات البنادق من على سطح المنزل الذي أنا فيه الآن. و الآن على كل واحد منكم أن يعود، ثم ادعوا جيرانكم، و أخبروهم بهذا الأمر سرّاً. و في اللحظة التي يسمعون فيها صوت البنادق من فوق سطح منزلي، عليهم أن يتقلدوا أسلحتهم، و يسرعوا بالهجوم على الوهابيين الموجودين في أبراج القلعة و

متاريسها و مراقبها، و أن يقتلوا كل من يجدوه منهم، و أينما ثقفموهم، و أن يتفانوا في ألا يبقوا أحداً من الوهابيين سواء في القلعة أو في الحصون. و هذا هو فقط الواجب المناط بالأهالي. فاذا عملوا بموجبه و تقيدوا به، فسوف ننال هدفنا و مرادنا، و تزول إن شاء الله تعالى هذه المصيبة التي حلت بنا».

و كتب حسن قلعي الجواب التالي، المدرجة نسخة منه، إلى أحمد طوسون باشا. و أرسله مع المدنيين اللذين سبق ذكرهما، و عادا بطريق مجري العين الزرقاء أيضاً.

صورة الرسالة

دولة ولي نعمتي سيدي و سلطاني،

لقد وصل أمركم السعيد إلى يد عبدكم، إن أهالي المدينة المنورة من القديم و هم يتمتعون بنعم الدولة العلية العثمانية، و بأنواع الألطاف و العناية السلطانية، مما يجعلهم يشعرون بالخجل. و لأنهم مخلصون بقلوبهم للدولة، فإن خروجهم من التبعية الموجبة للفخر، و سقوطهم أسرى و حيارى في يد الخوارج الظالمة، يعد لهم كارثة و داهية عظمى حلّت بهم. و لقد طلبنا المدد من أصحاب القرار عدة مرات و أرسلنا مبعوثين منا لطلب النصرة، ولكن التعامل مع طوائف الخوارج الباغية، كان غير ممكن في عصر السلطان سليم خان. ولهذا اشتدّ الحصار على الأهالي، وزاد التضييق عليهم، ولم تبق لهم قدرة أوطاقة على التحمل، فاضطررنا للاستسلام للوهابيين. و لأن التحرك و العمل بموجب الأمر السامي يعد منّة لأرواحنا و نعمة جليلة القيمة، فإن صرف الجهود من أجل طرد الاعداء من محيط دار الهجرة النبوية، و إجلائهم عنها، هو واجب و فرض عين على كل مدني، و لا شك إننا سوف نعمل بشكل أكثر من الجنود

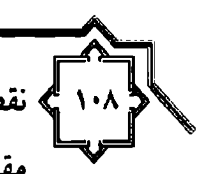


الموجودين بمعيتكم العالية. و يجب على العساكر المصرية السلطانية أن يظهروا في ساحة آبار علي، في يوم... كذا، الساعة... كذا. و في اللحظة التي يسمعون فيها أصوات البنادق من المدينة المنورة، عليهم أن يهبّوا دفعة واحدة إلى أبواب القلعة، و أن يدخلوا بدون توان من الأبواب التي ستفتح. و في اللحظة التي أري فيها، أنا خادمكم، العساكر المصرية السلطانية تظهر أمام آبار علي، فسوف أبدأ بإطلاق البنادق من فوق سطح منزلي. و سيقوم أيضاً أفراد الأهالي الذين يسمعون صوت البنادق تلك، و بموجب القرار السري الذي اتخذناه، بالهجوم علي الوهابيين، فريق منهم يقتل الوهابيين في الأبراج و المتاريس و المراقب، و فريق منهم سيفتح بوابات القلعة و ينتظرون دخول العساكر المصرية السلطانية.

و لقد تم بحث هذا التدبير مع المسؤولين عنه، و تم تعليمه للأهالي و شرحه لهم فرداً فرداً. ولكن أهم أمر هو اجتهاد العساكر في أن يكونوا في آبار علي، في اليوم المحدد و الساعة المعينة. فإذا لم يصل العساكر في اليوم المذكور، سيشاع تدبيرنا هذا و يعلن، مما يعد إهانة صارخة و ظالمة للأهالي، و هذا ما أخشاه، و به أختم كلامي. انتهى.

و لقد فرح أحمد طوسون باشا بجواب حسن قلعي الصائب هذا، و سرّ به غاية السرور، و أصدر أمر إلى عثمان كاشف، و هو أحد قادة الفرق المصرية، و معه ثلاثة و سبعون رجلاً من الفرسان، و أرفق معهم أربعمائة رجل بدوي من فرقة الشيخ جزا، و نبّه عليهم بضرورة التحرك وفق رأي حسن قلعي جاوش.

و بعث بهم لكي يصلوا أمام آبار علي في اليوم المحدد. و يعد عثمان كاشف من جملة الرجال المتمرسين بفن الحشد و التعبئة و الهجوم، و ذو خبرة كبيرة. و انطلق بالرجال الذين تولى قيادتهم و عددهم٤٧٣ رجلاً. و بلغوا آبار علي التي تبعد عن المدينة المنورة مسافة ثلاث ساعات في جهة مكة المكرمة، و وصلوا إلى

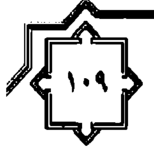


نقطة غير مستحكمة. و علم الوهابيون في المدينة بوصول عثمان كاشف إلى مقدمة آبار علي. و في الحال، جمعوا الأهالي، و قالوا لهم: «لن نأخذكم معنا هذه المرة، لاحتمال فراركم من جانبنا. ولكن يجب أن تتسلحوا جميعكم بأسلحتكم، و أن تبقوا في منازلكم في غاية اليقظة و كامل البصيرة. و بفرض المحال، أن الفرقة المصرية هزمتنا، يجب عليكم أن تسرعوا إلى مساعدتنا و نجدتنا. و إذا لم تعينونا و تنجدونا، فستكون عاقبتكم فيما بعد وخيمة و وبالاً عليكم». ورد عليه الأهالي بجواب كله مداهنة و مسايرة لهم، فقالوا: «إن أولادنا و نساءنا و أموالنا و متاعنا كله موجود بداخل هذه القلعة، و لهذا فنحن مطالبون ببذل الجهد لحفظها و حمايتها بشكل جيد. ولكن المهم انتبهوا أنتم لأنفسكم. و بناء علي هذا، فنحن إذا طرأ لنا ترك القلعة للأتراك، فنحن لا نفهم لغتهم، و لا هم يفهمون لغتنا، و سوف ينهبون أموالانا، و يقتلون رجالنا، و يأسرون أولادنا و نساءنا. فهم قوم ليسوا من جنسنا.

و بعد أن سمع الوهابيون هذا الجواب، خرجوا من القلعة، و سار فريق منهم كالسيل نحو آبار علي، و فريق آخر تولوا حماية الطوابي في قباء و العوالي. و أما من بقوا داخل القلعة فقد أغلقوا أبوابها، و تسلحوا بأسلحتهم.

و كان عدد الوهابيين الذين توجهوا إلى جهة آبار علي حوالي أربعة آلاف رجل ملحد، و كانوا تحت قيادة شقيق بداي بن مضيان، مسعود[١] بن مضيان، الذي لا إيمان له. و لقد أدرك عثمان كاشف لأول وهلة، أنه لا يمكنه مواجهة عدو بهذه الكثرة، و يحاربه بأربعمائة و ثلاثة و سبعين رجلاً. و اضطرب، و تحير كثيراً. و أخيراً تذكر أن هؤلاء العساكر كلهم من الشجعان، و مستعدون لبذل أرواحهم و أنفسهم في سبيل الدين و الدولة، فقام يخطب فيهم و يحمسهم و

١ . المترجم: في النص «سعود».



يعظمهم، و يقدم لهم نصائح عسكرية، فقال: «أيها الرفاق، إن أمهاتنا و لدتنا لمثل هذا اليوم. و العدو يسير إلينا اليوم و هو كله غرور و كبر. إن المعركة التي سنخوضها اليوم هي من أجل تخليص مدينة رسول الله، نبينا ﷺ و استردادها من أيادي الخوارج القذرة. و إن كان أعداؤنا يفوقوننا حقيقة في العدد بشكل كبير، إلا أن المثل يقول (الخائن جبان)، فكلهم جبناء خوافون يملؤهم الرعب.

و الشيطان هو معين هؤلاء الأعداء، و نحن تعيننا نفحات حبيب الرحمن ﷺ، و ناصرنا لطف الخالق العظيم و عنايته. و إذا ما بدأ حربنا و قتالنا بغاية الثبات، و كمال الأخلاص، فإن النصر و الظفر سيكون حليفنا لا محالة، و سنقهر عدو الدين المبين و ندمره البتة. و أهالي المدينة يذرفون الدموع عند قبر النبي ﷺ، و يتوسلون إليه، و يستمدون عونه النبوي لنا لنحقق النصر و الفوز. و من يستشهد في هذه المعركة فهو شهيد، و في معية النبي ﷺ العالية، التي توجب المغفرة و سينال أعلي الدرجات في الآخرة. و أرواح الشهداء و سكان الملأ الأعلى يراقبوننا و يتابعوننا. ألا يمكن أن يحصل لنا من روحانية هؤلاء و نفحاتهم الشريفة مدداً قوياً و عظيماً.

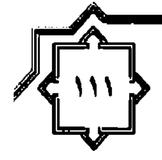
هيا أيها الرفاق، أروني شجاعتكم، فنعتمد على الله، و نسل سيوفنا ببسالة على هذا العدو المهين. هيا كبروا الله بصوت واحد، واهجموا، و ها أنا أتقدم أمامكم، و أهجم قبلكم. و من كان يحب الله و يحب رسول رب الفلق فليتبعني، إلى الأمام تقدموا.

و بهذا حث الأبطال المصرية على القتال و أثارهم، و رفعت عساكر الموحدين أصواتهم بالتكبير في صيحة واحدة، و هجموا على الأعداء و هم يزأرون كالأسود الهائجة، و استمر القتال مستعراً مدة خمس ساعات متواصلة، و تلونت ساحة آبار علي المباركة باللون الأحمر، مثلما جاء في هذا النشيد الذي

يقول: «هذا طريق الغزو و الحرب، فانظر إذ تزينت الصحاري و الجبال و اكتست بالدماء القانية، بدلاً من زهور شقائق النعمان الحمراء».

و لم تصمد قوات الأعداء أمام هذا القتال الضاري الدموي، و تراجعت كلها. و لأن أبواب القلعة كانت مغلقة، فأسرعوا إلى طوابي العوالي و قربان، و التجأوا إليها، و تفرقوا صوب قرية قباء كأنهم صغار الحجل «الدجاج البري الجبلي». و تعقبتهم القوات المصرية السلطانية فترة طويلة من الوقت، و قتلت من لحقت به منهم، ثم عادت منصورة ظافرة إلى آبار علي.

و لقد خشي رؤساء الأشقياء من الشجاعة المشهودة لعساكر المصرية السلطانية، و خافوا من أن اتفاق رجال قبائل الأحامدة مع القوات العثمانية على تشديد الحصار على المدينة المنورة و التضييق على قلعتها. و لهذا استدعوا خمسة أو عشرة أشخاص من أعيان الأهالي، مثل محمد فلاح و محمد طيار و حسن قلعي، و قالوا لهم: «إننا سوف نهاجم الأتراك مرة أخري في حملة رجل واحد، (و كان عددهم أربعة عشر ألف رجل). و ستكونون معنا في هذا الهجوم، و إذا ما تعللتم بالأعذار الواهية للتخلف عنا، سوف نحصدكم أولاً بالسيف عن بكرة أبيكم، ثم نسير للهجوم على آبار علي. إنكم لا تتوانون في إظهار علامات طاعتكم لنا. ولكن بعض أحوالكم تدعونا حتى الآن لأن نشك و نرتاب في إسلامكم. فيجب عليكم أن تقسموا أمامنا، كل على حدة، بالأيمان المغلظة، و أن تعطونا المواثيق التي نطلبها منكم في هذا الشان». و وافق الأهالي في الظاهر على عقد هذه المعاهدة حسب ما طلب وأراد الوهابيون، و جعلوهم يطمئنون إليهم. و إذا كان أهالي المدينة المنورة قد وافقوا على المعاهدة المبينة أعلاه مع رؤساء الوهابيين، إلا أنّهم كانوا مجبرين على هذه الموافقة، وأنّها كانت عملية مسايرة و مداهنة لهم. فقد كتبوا رسالتين، واحدة لعثمان كاشف و الأخرى إلى



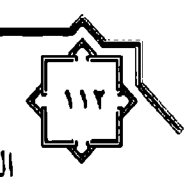
الشيخ جزا، الذي كان قد وصل أيضاً إلى آبار علي). و بعثوا بالرسالتين مع رجلين منهم. و سلك الرجلان طريق مجري العين الزرقاء و وصلا إلى مقر قيادة القوات المصرية في آبار علي. و كانت الرسالتان ذات محتوى واحد، ولكن واحدة بالعربية و الأخرى بالتركية.

و هذه صورة الرسالة التركية الموجهة لعثمان كاشف:

بعد الألقاب الرسمية، لقد قررنا فيما بيننا، أن نفتح أبواب قلعة المدينة أمام القوات المصرية السلطانية، غداً... في الساعة... كذا. و حتى لا يفوت هذا الوقت، تحركوا سريعاً الآن من آبار علي، و اقتربوا من جدران القلعة. و إذا تأخرتم يوماً آخر، سيعلم أمراء غوغاء الوهابيين بقرارنا السري هذا، و لا شك أنهم سوف يأمرون بإعمال السيف في رقاب أهالي المدينة، و يرتكبون مذبحة عامة. و ذلك، لأنه كان من بيننا من يوالي الوهابيين و يعمل لصالحهم. و للأسف لم نكن نعلم بهم، و كنا ندعوهم إلى مجالسنا السرية. نرجوكم ألا تتهاونوا مثقال ذرة في هذا الخصوص، و استردوا دار هجرة النبي ﷺ من أيادي الخوارج، و أدخلوا الفرح و السرور على قلوب أولاد سكان المدينة و عيالهم.

و وصلت هذه الرسالة إلى عثمان كاشف عند منتصف الليل، و بعد أن قرأه، أجاب المبعوثين بقوله: «إن شاء الله، سوف تروننا غداً أمام باب القلعة، في الوقت الذي حددتموه. و ستحررون من قيد الأسر بعون الحق تعالى». ثم أرسلهم عائدين إلى المدينة.

و بدون تأخير أخذ العساكر و الشيخ جزا، و بين لهم أنه سوف يتحرك إلى المدينة. و دخل المبعوثان القلعة من مجري العين الزرقاء أيضاً، و بشروا الأهالي. و بناء على هذا، تسلح أهالي المدينة كلهم في منازلهم، و ركزوا أنظارهم نحو طريق آبار علي، و لم يغمض لأحد منهم جفن حتى الصباح.

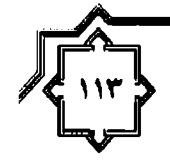


و لما أسفر الصباح، أطلقت فرقة عثمان كاشف الطلقات من المدفعية و البنادق، مما أصاب عصابات الأشقياء بالاضطراب و الفوضى، و اضطر رؤساؤهم إلى الفرار، و اقتربوا أمام باب قلعة المدينة المنورة المسمى باب العنبرية.

و تقدمت الفرقة المصرية السلطانية بكل سطوتها و صولتها إلى أمام العنبرية. و لما حلّ وقت فتح أبواب القلعة، انطلقت أصوات رصاص البنادق الموعودة من منزل حسن قلعي جاوش. و حسب التعليمات، أشهر كافة الأهالي أسلحتهم، و منعوا الوهابيين المتمركزين في أبراج القلعة و متاريسها من الرد بالمثل على القوات السلطانية، و هددوهم. ولكن لم يوجد رجل شجاع لديه الجرأة لفتح باب العنبرية، فالتجأت العساكر السلطانية إلى جدران القلعة لتحتمي بها و انتظرت زمناً طويلاً فتح الباب.

و لو قدر في تلك الأثناء للوهابيين المحتشدين في جهات العوالي و قباء أن يهاجموا فجأة في ضراوة، فلا شك أن فرقة عثمان كاشف كانت ستنهزم، نظراً لقلة عدد رجالها، و لا شك أيضاً أن أهالي المدينة المنورة سيقتلون جميعاً، لا فرق بين كبير و صغير، أو بين رجل و أنثى.

و لأن العساكر المصرية السلطانية لم تقترب من جدران القلعة، و لأن أهالي المدينة لم يفتحوا الباب، فقد استمر الوهابيون في الرمي بالمدافع و البنادق و الحجارة من على الأبراج و من الفتحات. ولكن فدائيي المدينة المنورة، الذين حملوا أرواحهم على أكفهم، فتحوا باب العنبرية، و لم يأبهوا بالقنابل و الرصاص الذي أنهال عليهم، و دخلت القوات المصرية السلطانية إلى داخل القلعة. و بعد أن صارت فرقة عثمان كاشف بكاملها داخل القلعة، ساقهم إلى ساحة المناخة، وضع الفرسان، و البدو من فرقة الشيخ جزا تحت سواتر و دروع متينة أقامها

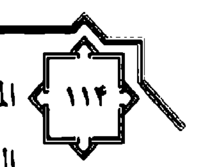


من أجل حمايتهم من شر الأعداء، وحشدهم تحتها. و بعد ذلك، أغلق باب العنبرية الذي فتح له، و طلب الإمدادات من أحمد طوسون باشا.

و لقد فرح أحمد طوسون باشا فرحاً عظيماً عند سماعه أن قوات عثمان كاشف قد دخلت إلى داخل أسوار المدينة، و سر بدرجة لا يمكن وصفها. و لهذا، أرسل إمدادات لفرقة عثمان كاشف، مكونة من ثلاثة آلاف رجل، و على رأسها ثلاثة من القادة، و هم: زعيم أوغلي، و حسين بك، و شرارة، و بنابورت. و قطعت هذه العساكر المسافة و طوتها في زمن قصير جداً، و وصلت إلى المدينة المنورة، و نصبوا خيامهم خارج السور. و كان وصول هذه القوات بشكل مفاجئ و غير متوقع، كالخضر عليه السلام[١]، إغاثة عاجلة و قوتاً لقلوب فرقة عثمان كاشف و فرق الشيخ جزا، الذين دخلوا قبل عدة أيام إلى داخل سور المدينة، و نفدت منهم المؤن و الزاد. و في الوقت نفسه، أصابت هذه القوات رعاع الوهابيين الذي كانوا قد تحصنوا في طوابي قربان و العوالي و قباء بالهول و الرعب، فاضطروا إلى تركها، و فروا. أما الوهابيون المتحصنون في القلعة الداخلية، لما رأوا أن العساكر المصرية الشجاعة قد استولت على أطراف القلعة، و علموا بفرار عبدالله بن مسعود و معه مسعود، شقيق بداي بن مضيان، و غيرهما من رؤساء الأشقياء، و قد اصطحبوا معهم الوهابيين المتحصنين في جهات العوالي و قربان، و فروا، أدركوا أنه لا مجال لوصول نجدة أو إمدادات إليهم. و بالرغم من ذلك، إستمروا في القتال على سبيل العناد، و أخذوا يرمون الأهالي و العساكر السلطانية بالمدافع و البنادق بكل همتهم. و بناء علي هذا، قام أحمد آغا، و هو من عقلاء القادة و اشتهر باسم بنابورت، بوضع مدفع كبير بعيد

---

١ . المترجم: من اصطلاحات الأتراك أنهم يقولون: وصل أو الحق بالشيء كالخضر عليه السلام، و هذا دليل على سرعة البرق.

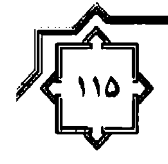


المدي على ذروة جبل سلع، الواقع في جنوب المدينة المنورة، و أخذ يضرب به القلعة مدة طويلة. و لما أدرك أن الأسلوب لم يجد نفعاً، التقى بحسن قلعي جاوش، الذي أشار عليه بحفر ألغام تحت القلعة، و نسفها في الهواء. و بعد أن أصدر أوامره بتنفيذ ذلك، أرسل إلى الوهابيين عود[١] الحيدري الأحمق، و أعلمهم أنهم إذا تخلوا عن أسلحتهم، سيحصلون على العفو و الأمان، و سيسمح لهم بالذهاب إلى حيث يشاءون. ولكن عود الحيدري هذا، كان من أعوان سعود بن عبدالعزيز السريين، فحرض الوهابيين و حثهم على مواصلة صب القذائف على الفرقة المصرية والتضييق عليها، و أخبرهم أيضاً بموضع حفر الألغام، و طلب منهم الحذر و التنبه لتلك الجهة. و علم أحمد آغا بنابورت بالأمر، و بناء على ذلك، قرر التخلي عن حفر الألغام التي بدأ فيها، و باشر الحفر لألغام أخرى، في موضع يقع تحت البرج القوي المحصن المتصل بحمام محمد باشا، ثم أشعل فيه النار و فجّره. و كان حفر الألغام للمرة الثانية أيضاً من جملة تدابير حسن قلعي جاوش، و لم يعلم أحداً بموضع حفر هذا اللغم قبل أن يكتمل العلم به، حتى أحمد آغا بنابورت لم يعلمه به.

و لقد نسف اللغم برج القلعة ذلك في الهواء، و حوله إلى ركام، و نتج عنه طريق يسمح بمرور عشرة رجال بدناء متلاحمين متلازمين جنباً إلى جنب. و عبر من هذا الطريق الواسع حوالي ألف رجل من فدائيي الفرقة المصرية السلطانية، و دخلوا القلعة. ولكن خرج عليهم أكثر من ألفي رجل من الوهابيين و جابهوهم، و تبادلوا مع طليعتهم الرمي بالرصاص و القذائف من بين الأبنية و الجدران، و واجهتهم. و بالطبع لم يتمكن الفدائيون من التقدم. ولكن جاءت من خلفهم قوة من الفدائيين المحليين الذين رتبهم أرسلهم حسن قلعي، و

---

١ . المترجم: الاسم قد يكون عودة أو عواداً. و الله أعلم.



حمسوهم و بعثوا فيهم الحمية، فهاجموا الوهابيين مع العساكر المصرية بضراوة، حتى دخلوا بستان محمد باشا. و في هذه الحملة الدموية المظفرة لم يسقط سوي شهيد واحد، و جريح واحد فقط.

و لقد أحدث دخول الفدائيين إلى بستان محمد باشا خوفاً و فزعاً لا يوصف في قلوب الوهابيين المرعوبين. ولكن في نهاية البستان يوجد زقاق ضيق جداً و مظلم، و أحكم رعاع الوهابية جانبي هذا الزقاق بمتاريس لا عدد لها، و أقاموا علي رأس كل زاوية استحكاماً كالطابية، و وضعوا بهذه الاستحكامات حراساً حماة. و لهذا لما تقدم الفدائيون حتى بستان محمد باشا، وجدوا أن النقطة التي هم بها هي حقيقة موقع خطر. و أجبرت المخاطر المتوقعة الفدائيين إلى التوقف فترة طويلة داخل البستان. و أخيراً قام رجل من أهل المدينة، يدعي درويش دشيشة، يتصف بصفات الإقدام (كصفات علي بن أبي طالب) بمباغتة المتراس الأول في ذلك الزقاق الخطر، و هاجمه و لم يبال بالمخاطر المتوهمة مهما كانت، و قتل حراس الأعداء حماة ذلك المتراس. و داخل الرعب الوهابيين الموجودين في بقية المتاريس من الهجوم القوي الذي شنّه درويش دشيشة، غير هياب، فهربوا دون أن يواجهوه. و عند ذلك تحمس الفدائيون، الذي كانوا قد توقفوا داخل بستان محمد باشا في دهشة و حيرة من أمرهم، و حملوا كلهم حملة شجاعة، و هجموا علي الوهابيين، و بدأوا في تقطيع أوصالهم كما يفعل القصاب.

و حمي وطيس القتال بوصول الفرقة المصرية و البدوية مدداً لهم بعد ذلك، و سهل عليهم قتل الأعداء لدرجة أن رجال الفرقة المصرية السلطانية أصاب أبصارهم غشاوة، فعجزوا عن التمييز بين أهالي المدينة المنورة و بين الوهابيين الخبثاء، و أعملوا القتل فيهم. و لهذا، ألبسوا المحاربين من أهل المدينة طرابيش العساكر على رؤوسهم. و مع بلوغ الأمر هذه الدرجة من الحماقة و البلاهة، واصل الوهابيون عنادهم و إصرارهم على المقاومة، و لم يطلبوا العفو و الأمان.

و بعد استمرار القتال الشرس مدة طويلة، رأى الوهابيون أن لا قبل لهم في تحقيق النصر على عساكر الموحدين، فلجأوا إلى أبراج القلعة، و تحصنوا بها، و انزووا فيها، و تركوا الرد بالمثل على القتال، و طلبوا العفو و الأمان. وقد غطت جثث الأشقياء كل جهة من داخل قلعة المدينة، و بطبيعة الحال أدخل هذا المنظر الفزع و الهول إلى قلوب النساء و الأهالي و صبيانهم. و قبل من نجا من القتل من رجال الوهابيين، الذين تعلقوا بطلبهم العفو و الأمان، بالخروج إلى مكان يبعد عدة ساعات خارج المدينة المنورة، لحمايتهم من تسلط أهالي المدينة المنورة و انتقامهم منهم.

و اتخذ قرار بين القادة بإحالة هذه المهمة أيضاً إلى عهدة عثمان كاشف. و بناء على هذا القرار قام عثمان كاشف مع قوة كافية من الفرسان باصطحاب الوهابيين الذين رضوا بوضع أسلحتهم مقابل الحصول على الأمان، و أخرجهم من المدينة.

و وصل الوهابيون إلى وادي (العريض)، و هم تحت حماية فرقة عثمان كاشف، و مجردون من السلاح.

ولكنهم بالرغم من ذلك، حاولوا الانتقام لأنفسهم من عثمان كاشف، و التشفي منه بقتله، إلا أن عثمان كاشف فطن لنيتهم الغدر به، فهاجم الوهابيين، هو و من معه من الفرسان، و قتلهم حتى لم يبق منهم سوي سبعة رجال.

و كان عدد الوهابيين الذين تركهم سعود العنيد حماة للمدينة المنورة هو أربعة عشر ألف رجل. و لقد هلكوا جميعاً، سواء كان ذلك في القتال الذي جرى في داخل القلعة، أو في الاشتباكات المتوالية التي حدثت في مواقع مختلفة. و لقد نجا أحمد الحنبلي الخبيث و معه سبعة رجال من الملحدين، و تمكنوا من الهروب إلى الدرعية.



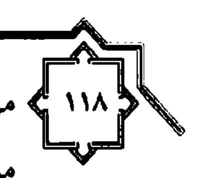
و كان أحمد الحنبلي الخنزير هذا من مجاوري المدينة المنورة، و قضى زمناً طويلاً في تدريس علوم الفقه في الحرم النبوي الشريف. و أخيراً قدم البيعة لسعود بن عبدالعزيز، طمعاً في الجاه و المنصب، و اختار طريق الرفض و الإلحاد.

و إذا كان هذا الخائن الذي لا دين له قد تمكن من النجاة بنفسه من القتل الذي وقع في وادي (العريض)، و استطاع الوصول إلى الدرعية بصعوبة و في حالة سيئة، إلا أنه لقي حتفه هناك، على الوجه الذي سنشرحه بعد قليل.

و بناء علي هذا الانتصار الجليل تحرك أحمد طوسون باشا من ساحة بدر، متوجهاً إلى المدينة المنورة لزيارة الحجرة النبوية المعطرة و الروضة الشريفة المطهرة. و سارع في إرسال مفتاح البلدة المباركة إلى والده محمد علي باشا، الذي كان قد وصل بنفسه إلى جدة، و معه قوات و لوازم عسكرية تحملها ثمان و عشرين سفينة. و لهذا لم يتوان محمد علي باشا في إرسال مفتاح المدينة المنورة حال وصوله إليه، إلى الآستانة. و كتب رسالة مفصلة إلى السلطان يبين فيها كيفية استرداد دار الهجرة النبوية الشريفة من أيادي الخوارج.

استرداد الكعبة الشريفة من أيادي الأشقياء التعساء

و لقد علم محمد علي باشا، حين وصوله إلى جدة، بطرد الطوائف الباغية من أرض مدينة الرسول الطاهرة. و بناء على هذا الخبر السعيد، ساق قوات عسكرية كافية من جدة بقيادة مصطفى بك، لاسترداد مكة المكرمة منهم. و أمر بأن ترسل القوات الزائدة عن حاجة الفرقة المصرية السلطانية التي يقودها أحمد طوسون باشا، الموجودة في جهة المدينة المنورة، على ساكنها أفضل التحية، بالتوجه إلى (أم القرى) مكة المكرمة، و أرسل أحمد طوسون باشا هؤلاء العساكر

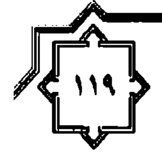


من المدينة المنورة، و في الطريق صادفتهم قوات بداي من مضيان، و شقيقه مسعود، اللذين لا إيمان لهم، و اشتبكوا معهم في قتال، و هزموهم و فرقوا شملهم، و التقى هؤلاء العساكر مع القوات السلطانية المرسلة من جدة، و اتحدوا في حملة واحدة على الوهابيين بمكة المكرمة. و تحت هذا الهجوم اضطرت قوات الأشقياء إلى التراجع و الفرار. و لقد التجأ وهابيو مكة المكرمة إلى موقع (زعميم) المنيع، وتحصنوا به. و كان غرض الوهابيين من التحصن بزعميم، الذي يعد موقعاً مستحكماً طبيعياً، أن يقطعوا السبل إليه، و يؤمنوا أنفسهم من الهجوم الكاسح لقوات محمد علي باشا القاهرة، و بالتالي يمكنهم أن يقوموا بين فترة و أخرى، بمباغتة الجيش السلطاني، و مهاجمته، و مشاغلته. و في تلك الأثناء، يمكن أن تلتحق بهم قوات من الوهابيين، ينتظر وصولها من الدرعية، ثم ينطلقون بعد ذلك إلى مكة المكرمة لاستردادها.

ولكن قائد الفرقه المصرية القادمة من جدة، مصطفي بك، نظراً لشجاعته و إقدامه، قد أقسم أنه لن ينزل من على ظهر دابته ما لم يطرد الوهابيين، و يجليهم عن موقع (زعميم) الحصين. و انطلق برفقة أربعين رجلاً من الجنود الفدائيين، و هاجم نقطة (زعميم)، و طرد الوهابيين، و هم سبعة آلاف رجل، كانوا منهمكين في استحكام الطرق، و المخارج و المداخل و تحصينها. و شرّد الوهابيين دون أن يسقط من رجاله شهيد واحد، و استولى على هذا المكان الحصين الذي يعد قلعة طبيعية و سيطر عليه.

استرداد الطائف من العدو الخائف

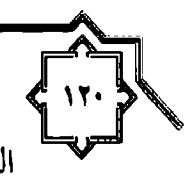
و بعد السيطرة على مكة المكرمة، و الاستيلاء على موقع (زعميم)، و تحصين النقاط و المواقع التي تحتاج إلى استحكامات و تشييد بشكل جديد، تحرك



محمد علي باشا بقواته الساحقة الموجودة، من ميناء جدة، و توجه إلى مكة المكرمة بكل عظمة وهيبة و استعراض، و بـادر إلى إعـداد و تجهيـز القـوات العـسكرية لاسترداد قلعة الطائف و السيطرة عليها.

و لما علم عثمان المضايفي الخائن، الذي كان محافظاً عـلي الطـائف مـن قبـل شيخ الدرعية سعود بن عبدالعزيز، أن محمد علي باشا قـد اسـترد أم القـرى مـن أيدي الأشقيا، و أن بداي بن مضيان و قواته قد منوا بالهزيمة، و شُـتتوا، و علـم أيضاً أن هناك قوات كبيرة لا حصر و لا عدد لها، قد أعدت و جهزت لاسـترداد قلعة الطائف، جمع أهله و أولاده و ماله، و غادر القلعة، و فرّ إلى الجبال. و حين ذلك استقبل أهالي الطائف بالترحاب القوات المصرية الـسلطانية التـي أرسـلها محمد علي باشا، بقيادة مصطفى بك، و سلّموا إليه القلعة. و لما أخبر محمـد عـلي باشا بما جرى، فرح و أظهر سروره. و بناء على هـذا، وصـل الباشـا المـذكور إلى قلعة الطائف، و استدعى الأهالي و اجتمع بهم، و تأسف لهم عما لحـق بهـم مـن الظلم و التعدي و الإهانة على يد الأشـقياء، و طيـب خـاطر كـل واحـد مـنهم بكلمات مؤثرة مناسبة. و طلب من كل واحد فيهم أن ينطلق إلى عملـه و داره في أمن و أمان تامين، و أمرهـم بالـدعاء الخـالص المتواصـل لـسلطان الـدنيا ملـك الملوك، السلطان الغازي محمود عدلي خان، و أن يرطبوا ألسنتهم بأن يـسألوا الله له طول العمر و دوام العزة و الشوكة.

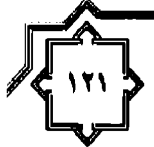
مع كل هذا، وبعد مرور عدة أيام، وصـلت الأخبـار بـأن عـثمان المـضايفي الخنزير قد جمع طائفة من العربان، الذين لا عقل و لا دين لهم، و اتخذ من موقـع (السيل) مقراً لقيادته، و عزم على مهاجمة الطائف أو مكة المكرمة. فسيقت قوات عسكرية ساحقة إلى موقع (السيل) و جرى قتال دموي و معركـة طاحنـة، تثـير عجب الخلائق و حيرتهم، انتهت أيضاً بهزيمة الوهابيين، اندحرت تلـك الفرقـة الباغية القوية.



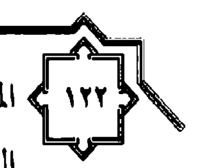
و لقد طالت معركة السيل و كانت حامية، و كان عدد القتلى من رعاع الوهابيين كثيراً جداً، حتى أن جثثهم قد تراكمت أكواماً. و فرح أهل الطائف فرحاً عظيماً لأنهم انتقموا من الوهابيين، و أخذوا بثأرهم.

و لم يبق في ساحة المعركة وهابي واحد على قيد الحياة، و بدت جثث الأعداء تلالاً و أكواماً في كل ساحة من ساحات مقر القيادة في السيل، و لهذا جرى الاعتقاد بأن عثمان المضايفي قد هلك معهم. إلا أن عثمان المضايفي أدرك النهاية الدموية للمعركة، و على هذه الحال، لن ينجو أحد من الأشقياء، نجا بنفسه من القتل، وفر عارياً بدون أن يستره شيء، و التجا إلى مغارة وجدها في طريقه، و أقام بها.

و كان محمد علي باشا يتلقى التهاني في الطائف بمناسبة انتصاره في هذه المعركة الدامية المظفرة، و بعد عدة أيام، وفد البدو على الطائف للتهنئة، و كان من بينهم رجل تعرض للظلم، و ذكر أنه عثر على رجل ضال عارٍ من الملابس يقيم في المغارة المذكورة، و أنه سأله: «من أنت؟ وما سبب جلوسك عارياً هكذا؟» فأجاب بقوله: أنا محافظ الطائف السابق الذي يدعى عثمان المضايفي. هزمتُ من قوات محمد علي باشا في معركة السيل، و تمكنتُ من الهرب إلى هنا و النجاة بنفسي. فلو أعنتني على الخلاص من المأزق و الوضع الخطير الذي وقعت فيه، و قدمت لي بعض الطعام و الشراب، و أمنّت لي بعيراً، فسأكون مديناً لك بحياتي، و سوف أقوم نحوك بما يليق بمكانتي، و بما أنا أهله من الإنسانية. و اعلم إنني اليوم، و إن كنت قد فررت و نجوت بنفسي، فإنني سوف أؤمن لك و لأبنائك ولكل أسرتك حياة مرفهة حتى آخر العمر، و سيعيشون في راحة بال، و سوف أدخلك في مصاف عظماء الرجال بالحجاز. وعدا عطاياي الجزيلة، فإن حاكم الدرعية سعود بن عبدالعزيز أيضاً سوف يحسن إليك، و يرعاك، و سوف



تكون من أول السعداء المحظوظين في هذه البلاد المباركة. فإذا كنت تقرأ نتائج الأحداث و تعلم ما ستؤول إليه الأحوال، لأردفتني، و حملتني معك. فأنا أساوي عند سعود ما يعادل خمسة أو عشرة آلاف وهابي. و يتحدثون في محافل القادة بمقدرتي ونجاحي، وإذا كنت تقرأ نتائج فلا تتوان لحظة واحدة في إنقاذي، ولا تفوت هذه الفرصة. وقلت له: «فهمت،... فهمت، الحقيقة أنك رجل شهم ابن رجل شهم، و مكانتك و علو شأنك في قلب كل شخص، و أهل الحجاز يفتخرون بكم. و أنا ليس لدي علم بما جرى من الحوادث في العصور السابقة، ولكن ما أتذكره، منذ أن وعيت و أدركت، أنه لم يحظ أحدٌ في بلاد الحجاز المباركة بما نلته أنت من الشهرة. و لا شك أنك من الرجال الذين يقفون عند كلمتهم. كم أنا رجل محظوظ بمصادفتك في طريقي. و أنا أيضاً أعلم لو أنني تمكنت من إنقاذك من هذه الورطة الرهيبة، فسوف أحوز الشرف والقدر العالي والرفعة بين العربان، وإنني سوف أنال حظوة ومنزلة عند سعود بن عبدالعزيز. الحذر... الحذر، ارجع قليلاً إلى داخل المغارة، حتى لا يراك أحدٌ، تنفّس بهدوء بقدر الإمكان، و لا تسعل، و لا تكحّ، و لا تعطس، و يجب ألا تصدر منك حركات خارج المغارة تثير الانتباه، فمن المحتمل أن تعثر عليك القوات المصرية، فتقتلك. ذلك أنّني لم أجد ماكاناً يخلو من القوات السلطانية، طوال المسافة التي قطعتها منذ أن خرجت من القرية التي كنت بها، و حتى وصولي إلى هذا المكان. و الأتراك الذين صادفوني في الطريق كانوا بعد السلام و التحية يقولون إنهم يتحرون عنك. و لقد سمعت يقيناً أن محمد علي باشا سوف يكافيء من يقتلك، أو من يقبض عليك حياً، و أنت تعلم أن محمد علي باشا من وزراء الدولة العثمانية الذين يعنون ما يقولون، و عند وعدهم. بناء على هذا، فإنك إن وقعت في يد أحد من الأتراك، فسوف يقتلك و يحمل رأسك إلى الباشا



المذكور، أو يقيد يديك و يأخذك حياً و يسلمك إليه، لكي ينال المكافاة و العطايا». و بهذا الكلام اطمأن عثمان المضايفي و أمن و عاد إلى القرية. وكان هذا البدوي قد تعرض للضرب و السب و الشتم بحكم من عثمان المضايفي الملعون بدون وجه حق، عندما كان محافظاً على الطائف، أي في فترة حكمة الظالمة. و بعد أن أقنع هذا البدوي عثمان المضايفي الأحمق، و غرّر به على النحو الموضح أعلاه، قال في نفسه: «و أنا الآن سوف أثأر لنفسي و انتقم منك». و توجه إلى قريته، و جمع إخوانه و أبناء عمومته، و عاد، و حمل عثمان الملعون على ظهر بعير، ثم كتف رجليه و قيّدهما جيداً، و اتجه به إلى الطائف.

و في الواقع، كان عثمان المضايفي[1]، يتضرع و يتوسل إلى هؤلاء البدو بألا يأتوا به إلى الطائف. و بالرغم من كل ما بذله لهم من الوعود الكثيرة، إلا أنهم لم يأخذوا بتوسلاته هذه، ولم تأخذهم الشفقة به، أو يتأثروا بحاله، و لم ينخدعوا بوعوده الواهية الكاذبة. و لم يجد أمامه إلا أن يحتال عليهم بالبكاء و النحيب، ولكنهم لم يلتفوا إليه، و ساروا به مباشرة إلى محمد علي باشا، و سلّموه و هم يقولون: «ها هو الذي يدعي عثمان المضايفي، الغدار الذي لا شرف عنده و لا عهد له. قبضنا عليه في المغارة الفلانية، و أتينا به إلى سيدنا». و قام الباشا المذكور بإرساله مقيد اليدين و القدمين إلى الآستانة، لأن هذا الخائن الذي لا دين له، كان من وزراء سعود بن عبدالعزيز الآثمين.

و لما أخبر الباب العالي باسترداد مكة المكرمة من يد الأشقياء، و انسحاب من نجا من القتل منهم إلى الدرعية، صدر الأمر السلطاني العالي، الذي يقضي بإرسال الشريف غالب و ثلاثة من أبنائه إلى سلانيك، و إرسال طامي الملعون الذي استولى على بلاد اليمن بعد القبض عليه إلى إسطنبول أيضاً.

---

١ . و هذا هو الملعون الذى ضرب عنقه عند الباب الهمايونى (فى إسطنبول).



و نتيجة للهزائم المتوالية التي مني بها الوهابيون في جهات و مواضع مختلفة، تأثر سعود بن عبد العزيز و مرض في الدرعية، و اشتد به المرض حتى فسد جسمه و تعفن، و صار لحمه يتناثر قطعاً. و على هذا الحال رحل إلى بئس المصير. و بعد انتقاله إلى مقره في جهنم، تولى الحكم ابنه عبدالله، الذي كان والياً على المدينة المنورة. ولهذا بقي الاستيلاء على المدينة المنورة مسيطراً على خياله المحال. فجمع أعداد لا حصر لها من الوهابيين، و جهزهم و حشدهم، ثم تحرك بهم من الدرعية. و علم أحمد طوسون باشا بالأمر، و قرر التعامل بالمثل، فاصطحب القوات المصرية السلطانية الموجودة بالمدينة المنورة و خرج بها لمقابلته. و التقى الطرفان في مواقع بين الحناكية و القصيم، و اشتبكا في معارك سجالاً، ولكن مشايخ العربان سعوا بالصلح بينهما، و رضيا بذلك. و لهذا عاد أحمد طوسون باشا إلى المدينة المنورة، و عاد عبدالله بن سعود إلى الدرعية. و لما علم محمد علي باشا بهذه الهدنة و المصالحة، تحرك سريعاً إلى المدينة المنورة، و أرسل أحمد طوسون باشا إلى مصر. و أخيراً عين عابدين بك محافظاً على المدينة المنورة، و عاد هو نفسه أيضاً إلى مصر القاهرة.

و بعد مدة، عاودت عبدالله بن سعود فكرة الاستيلاء على البلدتين المقدستين، فجهز جموعاً من الوهابيين و أعدّهم لذلك. و وصل هذا الخبر عن طريق أهالي الحرمين الشريفين، فأخبر الباب العالي به، فصدر الأمر السلطاني من الخليفة بالقبض على عبدالله بن سعود مهما كلف الأمر، و إرساله إلى إسطنبول، أو قتله و إعدامه. و بناء على هذا الأمر، جهز محمد علي باشا القوات العسكرية اللازمة و أرسلها بقيادة ابنه ابراهيم باشا إلى المدينة المنورة. و لما زار الباشا المذكور الحجرة النبوية المعطرة وجد أن المسجد النبوي الشريف بحاجة شديدة إلى تنظيف و تطهير تام، فأمر من فوره في ذلك اليوم بكنس الحرم النبوي

الشريف و غسله بشكل فائق. بالفعل، كُنس المسجد الشريف في اليوم التـالي، و غسل على الوجه المطلوب. و لقد اشترك إبـراهيم باشـا بنفـسه في هـذه الخدمـة الجليلة التي تستوجب المغفرة، و اشترك فيها أيضاً كافـة الـضباط العـسكريين و الأعيان و الأشراف بدار الهجرة العلية، و قد اكتسوا أفخر الثياب و الملابـس. و جلبت قدور عظيمة عند باب السلام و باب الرحمـة، و قـام الـسقاءون بتوزيـع شربات السكر (السكر المذاب في الماء) عـلى المـشاركين في هـذه الخدمـة الدينيـة المهمة.

و لقد تجاوز عدد المشاركين في هذه الخدمة الشريفة ألفي شخص من الأمراء و القادة و الأعيان، و كلهم أخذوا المكانس بأيديهم، و كنـسوا و هـم فخـورون بتأدية هذا العمل، و رفعوا التراب و الغبار و مـسحوا وجـوهم و أيـديهم بكـل تذلل و خضوع بارض الحرم النبوي الشريف.

و كان إبراهيم باشا أحياناً يقوم بكنس الأماكن التي كانت من نـصيبه، و في بعض الأحيان كان يحمل قربة مملوءة بالشربات على كتفه، و يوزعه في سـبيل الله على الكبار و الصغار، من الذين انخرطوا في تنظيف الحرم النبـوي الـشريف، و كان يوزع الشربات و هو ينشد هذين البيتين الشعريين:

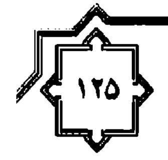
إن المـلـوك عـبـيـد عنـد بـابـك يـا رسـول

وحجرتك هي دار الأمان للعالم يا رسول الله

فـأنـا عـبـدك، تـرى هـل أنـال شـفـاعـتك

وكـل الأمم محـظـوظـة في ظلك يا رسول الله

و منذ أن خرج إبراهيم باشا من مصر بطريق البر، و حتى وصوله إلى المدينة المنورة، كان يوزع الصرر و العاطايا على عربان القرى و النـواحي التـي مـرّ بهـا لاستمالتهم، و في بعض الأحيان كان يظهر لهـم سـطوته و قوتـه، و يـدخلهم في



طاعته، فينقادوا له. ولهذا؛ لم تظهر أي حركات للعصيان أو قطع الطريق عند عربان البلاد الواقعة في الطريق بين مصر القاهرة و دار الهجرة النبوية. و كذلك، لم يبق بينهم رجل واحد يفكر في إتباع عبدالله بن سعود.

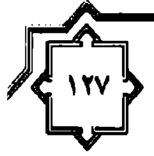
و لما فرغ إبراهيم باشا من تنظيف الحرم النبوي الشريف على الوجه اللائق، جمع سكان دار السكينة، و قام بتكريمهم فرداً فرداً، و ملاطفتهم، و بعد ذلك بعدة أيام، ساق كتائبه لمحاربة الوهابيين في الدرعية. و استولى على كافة القلاع و الحصون الواقعة في طريقة حتى وصل إلى حصن الدرعية، و رتب في تلك القلاع عدداً كافياً من الحراس و الحماة، ثم واصل سيره حتى نصب خيام معسكره أمام قلعة الدرعية النجدية الحصينة، في كامل القوة و السطوة و الهيبة.

و لما رأى عبدالله بن سعود القوات السلطانية، في كامل الشجاعة و الأهبة للقتال، قد اقتربت من أمام قلعة الدرعية انتقل إلى البرج المحصن المشهور في القلعة، و الذي يطلق عليه القصر، (أي قصر سعود بن عبدالعزيز)، و احتمى به و بعد أن حصن أطرافه و جهاته الأربعة بإحكام، و قد ظهرت عليه علامات الخوف و الحيرة و التردد، و أخذ يشير إلى مخيمات العساكر السلطانية، و يحرض الوهابيين على سفك دماء المسلمين، و يهذي بقوله: «جاء المشركون... جاء المشركون». و كان يبشر الوهابيين، و يفرحهم ظناً منه أن العساكر السلطانية لا تعدو أن تكون قطيعاً من غنم الأضاحي، فقال لهم: «بحق أبي سعود و جدي عبدالعزيز لأقتلنّ فريقاً من هؤلاء العساكر، و لأهزمنّ فريقاً آخر و أشتتهم. و كل ما جلبوه معهم من المعدات و اللوازم العسكرية و الأشياء و المتاع سوف أغنمها و استولى عليها، ثم اقسمها عليكم». و حاول جهده إقناع الوهابيين بأنهم سوف يهزمون القوات المصرية السلطانية الباسلة في أول حملة، و إنهم سوف يشتتونهم شذر مذر. ولكنه فقد صوابه لما رأى أن قلعة الدرعية قد

حوصرت و طوقت من كـل جهاتهـا، و أقيمـت تحـصينات متعـددة في النقـاط الحاكمة حولها، و نصبت المدافع الكبيرة، بعيدة المـدى؛ و لهـذا تخلى عـن فكـرة الهجوم على القوات السلطانية، و قرر الاكتفاء بـالرد عـلى الرمـي و القتـال مـن داخل القلعة.

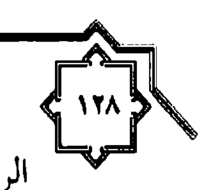
و إذا كان عبدالله بن سعود لم يستصوب هذا القرار، فإن الوهـابيين أيـضاً لم يكونوا يفكرون في الهجوم. ذلك أنهم خبروا قدرة السلطانية في الحرب، وعلموا أن هذه القوات قد استردت مـن أيـديهم، غـير قلعـة الدرعيـة، كافـة القـلاع و الحصون الحجازية بالقتال و الحرب، و قتلت من الأشقياء في هذا الـسبيل مـا لا حصر له من الرجال. حتى أن عبدالله بن سعود بينما كان يخطب فيهم و يحمسهم و يشجعهم، لم يفصح في كلامه، و تلعثم، و أسقط في يده و ألجم لسانه (سقطت الكلمات من فمه) و ترك القلعة خاليـة، و انـسحب إلى المكـان المنكـوب الـذي يسمي (القصر). و كانوا يتأولون فكـرة سـقوط قلـع الدرعيـة في يـد العـساكر المصرية المظفرة، و يقولون فيما بينهم: «لو أمرنا عبدالله بن سـعود بـالهجوم، لـن نطيعه».

و ساق إبراهيم باشا القوات نحو القلعة، و لأنه لم يشأ أن يـضحي بجنـدي واحد فيما لا طائل من ورائه، ضرب الحصار على القلعة مدة طويلـة امتـدت إلى خمسة أشهر و نصف، وضيق الخناق على الموجودين بداخلها، و شدد علـيهم. و بهذا التدبير الصائب تمكن من السيطرة على القلعة من كل جهاتها بما فيهـا الـبرج الذي تحصن فيه عبدالله بن سعود نفسه. و في النهاية قبض على عبدالله بن سعود الشقي حياً، فقيّده من يديه و قدميه و أرسله إلى مصر. و جمع كـل مـا وجـده في ذلك القصر من الأشياء الثمينة التـي كـان اغتـصبها والـده سـعود مـن خزينـة الحجرة النبوية المعطرة، و أرسلت إلى مصر و من هناك أرسلت إلى الباب العالي.



و بعد ذلك، قام إبراهيم باشا بهدم قلعة الدرعية النجدية التي كانت بمثابة دار الندوة الوهابية، و سواها بالأرض، و جعل أبراجها و مراقبها مأوى للغربان و البوم. و لما شاع بين العربان خبر القبض على ابن سعود، توافد الوهابيون فرداً فرداً على الباشا سواء من داخل الدرعية أو من خارجها، يطلبون الأمان، وجدوا إيمانهم و مذهبهم في الظاهر، بأن تركوا الدين الوهابي الباطل، و أبدوا الندم و الأسف على ما قاموا به من أفعال الإلحاد و الإهانة للحرمين الشريفين.

و لقد ساهم والي بغداد داوود باشا مساهمة فعالة في فتح الدرعية، و في إعطاء الأمان للوهابيين من عربان الحجاز، و في إظهارهم الندم على ما فعلوا. ذلك أن الباشا المذكور قد عاون قائد الجيش في الحجاز إبراهيم باشا، بأن كلف أحد مشايخ بني خالد، و هو الشيخ ماجد العريعر و أخاه محمداً بمشاغلة وهابيي بغداد و التصدي لهم. فقد جمع ابن عريعر كافة رؤساء عشائر الوهابيين و شيوخ قبائلهم، و أقنعهم بأن يذكر اسم خليفة المسلمين على كل منابر مساجد الأحساء و جوامعها، و أثبتوا طاعتهم و انقيادهم لوالي بغداد. و استعمل هؤلاء المشايخ و الرؤساء ضد المعاندين من رجال القبائل و العشائر الوهابية. و بناء على هذا لم يستطع سعود الحصول على نجدة أو إمدادات من عربان بغداد، و بقيت مساندته تأتي فقط من الوهابيين بمنطقة الحجاز. و بالرغم من أن وهابيي الحجاز قد أظهروا عزمهم على مساندة الدرعية و دعمها، إلا أن ابراهيم باشا في تلك الأثناء قد دكّ جدران القلعة بالمدافع، و أحدث بها تصدعات و ثغرات، ما أدى إلى تهدم أبراجها و مراقبها. ثم فتح قلعة الدرعية الخارجية في هجوم باسل، و ألقى القبض عليه حياً، بعد أن أعمل سيف الانتقام في أكثر أتباع ابن سعود و عساكره.

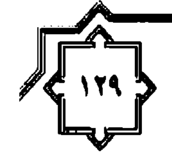


و بعد أن قُبض على عبدالله بن سعود، أسر أيضاً ابنه خالد، و أعلم علماء الروافض أحمد الحنبلي الخبيث.

و كان خالد بن عبدالله بن سعود طفلاً في الرابعة من عمره، و لقد أخذه إبراهيم باشا إلى جانبه. و أما أحمد بن الحنبلي الخنزير، فلم يقتله الباشا رعاية للعلم الذي يحمله، ولكنه أمر بخلع أسنانه الاثنين و الثلاثين دفعة واحدة، و ربطه إلى سارية (عامود)، كأنه حمار بدوي، مدة ثلاثة أيام بلياليها، و أذله و أهانه، و شهّر به بين عساكر القوات المصرية. و بعد ذلك أرسله إلى مصر عن طريق المدينة المنورة.

و لما وصل ابن سعود إلى المدينة المنورة، أطلقت المدافع طلقاتها لمدة ثلاثة أيام بلياليها ابتهاجاً بالقبض عليه، و أقيمت الاحتفالات و الزينة في البلدة و في الأسواق و ما بين المحلات و الحارات، و ترك كل واحد البيع و الشراء، و انطلقوا جميعاً ليبصقوا في وجه عبدالله بن سعود و في عينيه. و في اليوم الرابع رُحّل عبدالله بن سعود إلى مصر القاهرة، و منها إلى الباب العالي الذي هو عاصمة الخلافة الإسلامية عن طريق الإسكندرية. و أخيراً، ألحق بهم أربعة من أبنائه، و كافة كبار أسرة محمد بن عبدالوهاب، و أتباعه و أعوانه، و شيخ سعود، أحمد الحنبلي، و كاتبه (وزيره) الثاني عبدالعزيز، و كاتب ديوانه عبد السريدية. و قد أرسلوا أيضاً إلى الآستانة بطريق مصر موثوقي الأيدي على ظهورهم.

و لقد أثار عبدالله بن سعود نفور المجتمع الإسلامي و هيئاته منه بأفعاله و ما ارتكبه من الإهانات و الظلم، و لهذا كان يجتمع المؤمنون من أهالي القرى و النواحي و المدن التي مر بها في الطريق من المدينة المنورة حتى الإسكندرية، و يأتون أفواجاً لمشاهدته، و إظهار فرحهم و سرورهم بالقبض عليه، و يبصقون في وجهه و عينيه. و جرت الاحتفالات العظيمة في مصر (القاهرة) و



الإسكندرية، و كل مدن مصر و قراها، و تميزت تلك الحتفالات بأنها كانت مبهرجة و فاقت كل ما أقيم من احتفالات في أي مكان.

لاحقة

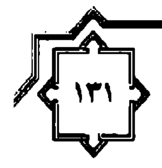
بعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بالملاحدة الوهابيين، تشتتوا في البلاد التي كانت تحت حكمهم، في القطيف و البحرين و مشيخة مسقط، و أخفوا مذهبهم الإباحي و الإلحادي، و استقروا هناك، و استطاعوا السيطرة و التمكين لأنفسهم فيها، و توجه قليل منهم إلى بلاد الهند. و لقد قام الوهابيون الذين أقاموا في البحرين و القطيف و سائر البلاد النجدية بنشر مذهبهم الإباحي سراً و في الخفاء، و حافظوا على مذهبهم الوهابي الخبيث، بعد أن عدلوا، إلى درجة ما، في اعتقاداتهم الدينية الباطلة. و بمرور الوقت تناسلوا و ازداد عددهم، و وصلوا إلى درجة أنهم أصبحوا يهددون الناس و يضيقون عليهم. ولكنهم لم يفلحوا في إدخال سكان تلك البلاد في مذهبهم، كما صنع سعود و أبوه عبدالعزيز الشقي، الذي مأواه جهنم.

أما الذين هاجروا إلى بلاد الهند لم يظهروا فيها المذهب الذي يعتنقونه و ينتسبون إليه، و حافظوا فيما بينهم على المعتقدات الوهابية، و تمسكوا بها في غاية السرية. و بعد خمس أو عشر سنوات أفشوا السر، و أظهروا دعوتهم، ولكنهم لم يجرأوا على نشر مذهبهم. و قبل خمسة أو ستة عشر سنة، كان قد هاجر منهم خمسة أو عشرة حمقى ملاعين مع عائلتهم إلى مكة المكرمة، متذرعين باداء فريضة الحج. و قرروا المجاورة بالبلدة المعظمة و الاستقرار فيها قبل ثمان أو تسع سنوات. و كان هؤلاء الحمقى يؤدون عباداتهم و طاعتهم على غير احكام المذاهب الأربعة، و لهذا أدرك الأهالي أنهم ليسوا على مذهب أهل السنة، إلا أن

سعيهم و طوافهم كان مقارباً لأصول المذاهب الشيعي بطريقة ما، فحكموا عليهم بأنهم من أتباع المذهب الشيعي.

و قبل سبعة أو ثمانية أعوام، اكتشف بعض فقهاء الحجاج الهنود أن هؤلاء الحمقى هم من الوهابيين الملاعين، و أخبروا الشريف عبدالله باشا ﷺ، بالأمر. و أمر عبدالله باشا باستدعائهم و استجوبهم، و سألهم عن مذهبهم، و لماذا اختاروا الإقامة في مكة و ما مقصدهم من المجاورة بها؟ فأجاب الوهابيون: «نحن من بقايا أفراد المذهب الوهابي، و في مذهبنا أن إمامنا هو جعفر الصادق. و قررنا المجاورة بمكة من اجل العبادة و القيام بطاعة ربّ العزة. و الهنود يدعموننا و يعايشوننا قياساً على أهل السنة من مواطنيهم». و هنا سألهم الشريف عبدالله باشا: «مادمتم على مذهب جعفر الصادق، فليس لهذا المذهب إمام مخصوص في الحرم الشريف، و ليس له مقام خاص به أبداً. إذن، بأي إمام تقتدون و تؤدون الصلاة خلفه». فردوا عليه بقولهم: «حسب مذهبنا، فإنه لا يجوز التصديق بإمامة أحد غير الإمام جعفر، و الإقتداء بسائر المذاهب الأخرى و الصلاة خلف أئمتها يعد حراماً. و لهذا فإننا لسن بحاجة إلى إمام و لا مقام نصلي فيه في مكة. فنحن نصلي في أي مكان منفردين». و بعد أن أجابوا بهذا القول السخيف، أمر الشريف بترحيل هؤلاء الحمقى مع أهليهم بدون تأخير إلى جدة، و من هناك أركبوا سفينة هندية أقلتهم إلى بومباي حيث أُجلوا و نُفوا إليها». رحمة الله على الشريف عبدالله باشا.

إن ما ارتكبه الوهابيون من مظالم في أرض الحجاز المقدسة لا حدّ لها، وقد صارت مضرب المثل على ألسنة أهالي الحرمين، خاصة بين أطفالهم، حتى أن أحدهم إذ أراد وصف ظلم شخص و غدره، شبهه بالوهابي، و يقولون تخويفاً للطفل الشقي: «جاء الوهابي».



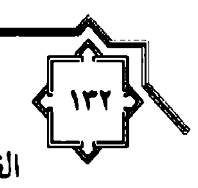
و لما شاعت حوادث نفي الوهابيين، الذين كانوا من بين المجاورين الهنود بمكة، و إبعادهم إلى الهند، سارع الأهالي، كبيراً و صغيراً، إلى التجمع في المكان الذي أوقفوا فيه لمشاهدة هؤلاء، و كان الأطفال يصيحون في أفواج و جماعات بقولهم: «جاء الوهابي». و يدفعون الوهابيين أمامهم، و لم يتركوا السير وراءهم حتى اليوم الذي أخرجوا فيه من مكة، و كانوا يهينونهم و يذلونهم و يقبحونهم. و كان عدد كبير من الأطفال يبصقون في وجوههم، و يتلفظون عليهم بكلام بذيء.

و وصل مفتاحا البلدتين الشريفتين إلى الآستانة

لقد فرح السلطان محمود عدلي خان، حافظ بلاد الله و محافظ عباد الله، سلطان العصر و الزمان، و سر سروراً عظيماً بهذه الفتوحات الجليلة التي تمثلت في استرداد الحرمين الشريفين من أيادي الأعداء.

و أصدر أمره العالي بإقامة مراسم الاحتفال الخاصة و المهيبة لاستقبال مفتاحي البلدتين الطيبتين، و ليكون ذلك مناسبة لإظهار الاحترام و التبجيل للكعبة المعظمة و للحجرة النبوية المعطرة. و بناء على الفتوى الشريفة التي صدرت من مقام دار الفتوى العالية تقرر ذكر اسم السلطان السامي مقروناً بلقب الغازي و قراءته من على كل المنابر و المحافل.

و لقد وصل أحد المفتاحين المباركين إلى الآستانة في اليوم السادس و العشرين من شهر محرم الحرام عام١٢٨٨ هـ و ورد الآخر إليها في غرة جمادي الأولى من العام نفسه. و قضت الإرادة السلطانية السامية الصادرة بهذا الخصوص بتنظيم احتفال عظيم و مراسم جليلة لتعظيمها.

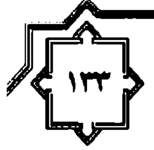


و قد اشترك في هذا الاحتفال المهيب كل من شيخ الإسلام و الباشا القائمقام، و الصدور العظام و الموالي (قضاة الولايات)، و رجال الباب العالي و كل الضباط الأوجاقية.

و لقد بدأت هذه المراسم الفخمة من باب الجامع الشريف المدفون به الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري ﷺ، و سار بالترتيب. و اصطف المتفرجون من الأهالي على جانبي الطريق الممتد من هذا المكان حتى الباب الهمايوني (السلطاني)، و سار كافة رجال الدولة العلية العثمانية و هم في ملابسهم الرسمية، و معهم أيضاً انطلق آغا دار السعادة عنبر آغا من القصر السلطاني العالي، و هو يحمل على يديه، بكل توقير و احترام، طبقان من الفضة المصقولة المجلاة، تم إعدادهما من قبل لهذه المناسبة، و ساروا بكل وقار و سكينة. و لقد وضع على أحد الطبقين المفتاح الشريف لمكة المكرمة، و على الآخر المفتاح الشريف للمدينة المنورة. و حمل أحدهما عنبر آغا المذكور، و الآخر حمله كتخدا الدولة.

و كانت هيئة المراسم و الاحتفال تتقدم و هي تردد في تؤدة الصلاة و التسليم على النبي ﷺ، و كان بلطجية القصر القديم، المحيطون بالأمانات المقدسة من كل جماعتها الأربعة، يرفعون أصواتهم أيضاً بالتكبير الجماعي.

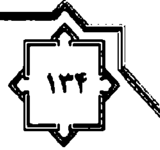
و لقد أسعد تخليص بلاد الحجاز المباركة من أيدي الخوارج قلوب كل أفراد المجتمع الإسلامي الكبير، و كان البطجية يرفعون أصواتهم بالتكبير التي يقف من صداها شعر الرأس و تقشعر لها الأبدان و تصل إلى الملأ الأعلى. و ساور الأهالي الذين جاءوا لمشاهدة المراسم و الاحتفال شعور بالتأثر و الشوق العظيم، و ذرفت الدموع من الرجال و النساء الذين اصطفوا على جانبي الطريق من منظر هذه المراسم المهيبة.



و سار موكب استقبال المفتاحين وئيداً وئيداً، من شارع إدرنـة قبـوسي مـاراً من طريق ديوان يولي حتـى وصـل إلى البـاب الهمايـوني. و لمـا وصـل استعجل السلطان محمود خان، صاحب الخـصال المحمـودة، بخطواتـة تعظـيماً، و تقـدم لاستقبال المفتاحين الشريفين ماشياً. و سـار أمـام الموكـب مـن أورطـة قبـو إلى حجرة البردة النبوية الشريفة. و أوصلوا المفتاحين بكل احترام و توقير إلى تلـك الحجرة، حيث كان بها المفتي، و الباشا القائمقام، و بابا باشا، الـذي كـان ضـيفاً على إسطنبول، و الصدور العظام، و الموالي (القضاة) الكرام، و كافـة رجـالات الدولة، و جاملهم السلطان، و لاطفهم فرداً فرداً.

و بعـد ذلـك، شرف الـسلطان القـصر القـديم و هـو في غايـة الافتخـار و الابتهاج. و ألبس خلع الفرو لكل من شيخ الإسلام السيد عبدالله أفنـدي دري زاده، و القائمقام رشدي باشا، و بابا باشا، و كذلك التتار (النجاب) الذي سبق أن أحضر البشارة، و كتخـدا بـاب مـصر و ترجمـان الحـرمين، و رئـيس الغرفـة الخاصة، و خلع عليهم كل حسب رتبته. و أنعم على إسماعيل بك، ابن محمد علي باشا الذي أحضر مفتاحي الحرمين، و حامل مفتاح الباشـا المـذكور لطيـف آغـا بطوخين لكل واحد منهما. و أنعم على والي مصر رفيـع الـشأن محمـد عـلي باشـا بالإحسانات، و قرر مكافأته على خدماته المشهودة، فأرسل له مع قهوجي بـاشي (رئيس القهوجية) سعيد آغا سيفاً و قفطاناً و خطّ سلطاني بديع البيان.

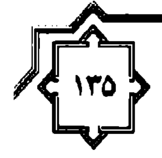
و بمناسبة الابتهاج العظـيم و الفخـر اللامتنـاهي أقيمـت الاحتفـالات في إسطنبول متوالية على مدى ثلاثة أيام بلياليها، شارك فيها منسوبو الباب العالي و الأهالي الذين غمرهم الفرح و البهجة. و أرسل المبعوثـون و الرسـل إلى الـبلاد الإسلامية لإعلامهم بهذا الخبر و تبشيرهم بـه، فكـان هـذا الامـر داعيـاً لبعـث السرور و الفرحة في كل العالم الإسلامي.



وصول الوهابيين المقبوض عليهم إلى إسطنبول

لقد اعترف كل الخلق بظلم الوهابيين، الذين هم من طوائف الخوارج، و سلم الناس بخيانتهم، فقد استولوا على الكعبة المشرفة مدة طويلة من الزمن، و قطعوا طريق الحج إلى البيت العتيق، و ألحقوا الأذى و الجور بالحجاج الكرام. و لقد أسر رؤساء الوهابيين بعد جهد جهيد، و أرسلوا إلى الآستانة، فكان هذا سبباً في سرور السلطان وابتهاجه، فأمر أن يشهّر بمن ورد من الوهابيين، و أن يجلبوا مكبلين بأغلال الحديد إلى الباب العالي.

و بناء على ذلك، جلب عبدالله بن سعود بن عبد العزيز ورفاقه الخبثاء إلى مرسي الدفتردار، في موكب مهيب مكون من الضباط العسكريين و رجال الضبطية[الأمن]، و قد ربطت رقاب هؤلاء الأشقياء بسلسلتين من جنازير الحديد، و قيدت أيديهم بأغلال قوية، و سحبوا من طرفيهم، و جلبوا من شارع ديوان يولي إلى الباب العالي، و من هناك أوصلوهم إلى سجن بستانجي باشي، ثم أرسلوا كلاً على حدة إلى الجحيم، كما سنبين بعد قليل. و لقد اشترك في هذا الموكب، كل من نجيب أفندي، كتخدا باب، والي مصر محمد علي باشا، أيضاً آغا تاتار (المبعوث) الإدارة المصرية الذي أحضر هؤلاء الأسرى إلى إسطنبول، و خدام هذا الآغا و رفقاؤه، و الجاووشية الديوان الهمايوني (السلطاني) الذين أرسلهم الباب العالي، و العسس باشي (رئيس العسس)، و الصور باشي، و من ماثلهم من الرجال. و بعد انتهاء استجواب الأشقياء، تأخر تنفيذ العقوبة بحقهم حتى تشريف السلطان إلى القصر القديم. و في اليوم الثاني من شهر جمادي الأولى، سنة ١٢٣٤ (للهجرة) شرف السلطان القصر القديم في موكب مهيب، و جُلب عبدالله بن سعود الغرور ليمثل أمامه، و أوقف على رجليه مدة



نصف ساعة في ذلة و حقارة، أصدر السلطان أمره خطاباً إلى الصدر الأعظم درويش باشا و شيخ الإسلام مصطفي عاصم مكي زادة، و قبطان البحر حسن باشا، بضرب عنق هذا الخائن الذي لا دين له، و إعدام رفاقه المهانين، كل واحد منهم يعدم في مكان مناسب يمكن أن يراهم كل الناس، و أمر أن يتولى هذا الأمر خليل آغا، البستانجي باشي، و ينفذه حسب القواعد و الأصول.

و أعدم الآغا المذكور (بستانجي باشي خليل آغا) عبدالله بن سعود في ميدان السراي (القصر)، و أعدم طامي القحطاني أيضاً أمام قصر آلاي كوشكي (قصر الاستعراض)، و قتل الشخص الذي كان يتولى خزانة ابن سعود (خزينة دار) في سوق مرجان (مرجان جارشوسي)، و أعدم عثمان المضايفي[١] أمام الباب السلطاني (باب همايون). كما أعدم بقية الأشقياء في أماكن متفرقة مناسبة لمشاهدة الناس لهم.

لاحقة

لقد أدت الإنجازات التي حققها والي مصر محمد علي باشا بتوجيهات من السلطان، و التوفيق الذي حالفه في المسألة الوهابية، إلى غبطة السلطان و ابتهاجه، و كانت سبباً في زيادة التوجيهات السلطانية السنية نحوه، فقرر تكريمه و الانعام عليه إنعاماً خاصاً، فأرسل إليه مع الكاتب الثاني بالقصر (إيكنجي مابينجي) كاني بك، سيفاً وقفطانا. و ألبس كل كتخدا باب مصر نجيب أفندي، و تاتار آغاسي و رفاقه، و قبطان السفينة التي حملت الأشقياء خلع فرو السمور، و ذلك بحضور الصدر الأعظم. كما ألبس أيضاً خدام التاتارآغاسي و رفاقه و

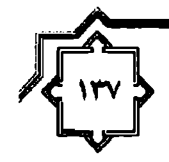
١ . هذا الأحمق هو الخنزير الذى أعمل القتل العام فى أهل الطائف، و ذبحهم.

طاقم السفينة خلعاً فاخرة. بالإضافة إلى ذلك، فقد أمر لتاتار آغاسي بحصة كاملة سنوية، قدرها خمسة أكياس (من النقود) مع أرباحها، و وزع عطايا سنية أيضاً على كل رفاق الآغا و خدمه، و قبطان السفينة و أفراد الطاقم و العاملين معه، و أنعم عليهم جميعاً.

تتمة

لم يقتصر قطع طريق الحج و الزيارة على القرامطة و جماعات الخوارج الباغية فقط، بل تظهر بين فترة و أخرى، أمور لا أصل ولا فصل لها، يتخذها الأشقياء ذريعة فيرفعون راية العصيان و البغي، و ينهبون قوافل الحجيج، و يقتلون الأنفس، و يشهرون سيف الظلم و الإهانة. و صار هذا من العادات الدائمة عند عربان بوادي الحجاز. فقد قام فليتة الخفاجي في عام٣٠٣ هـ، و ثار عرب جبل عرجون في عام١٠٦٢ هـ، و ثار أعراب البوادي في طريق البيت العتيق في سنوات١٠٨٥، و ١١١٢، و١١١٣، و١١١٥، و١١٢١ هـ، و هاجموا القوافل بغتة، وشنوا الحرب عليها. و في هذا الهجوم، قتلوا بسيف الغدر و الظلم، من الأنفس البريئة المعصومة، ما يزيد عن عدد حبات رمال صحراء الحجاز. ولكن عاقبة هذا الأمر، أنهم قُهروا بسيف الشريعة الصارم، و أبيدوا بحسام السلطنة البتار، و راحوا إلى جهنم و بئس المصير. لعنهم الله تعالى

نسأل الله القادر تعالى شأنه عما يقولون، أن يحفظ أهل الإيمان و يصونهم من شرور الأشقياء، في ظل سلطان سلاطين الزمان، و خاقان خواقين الدنيا صاحب الشوكة و المقدرة السلطان بن السلطان عبد الحميد خان الثاني، و أن يؤيده بتأييده و توفيقه الإلهي في كل أمر و حال، آمين بجاه من جاء رحمة للعالمين.

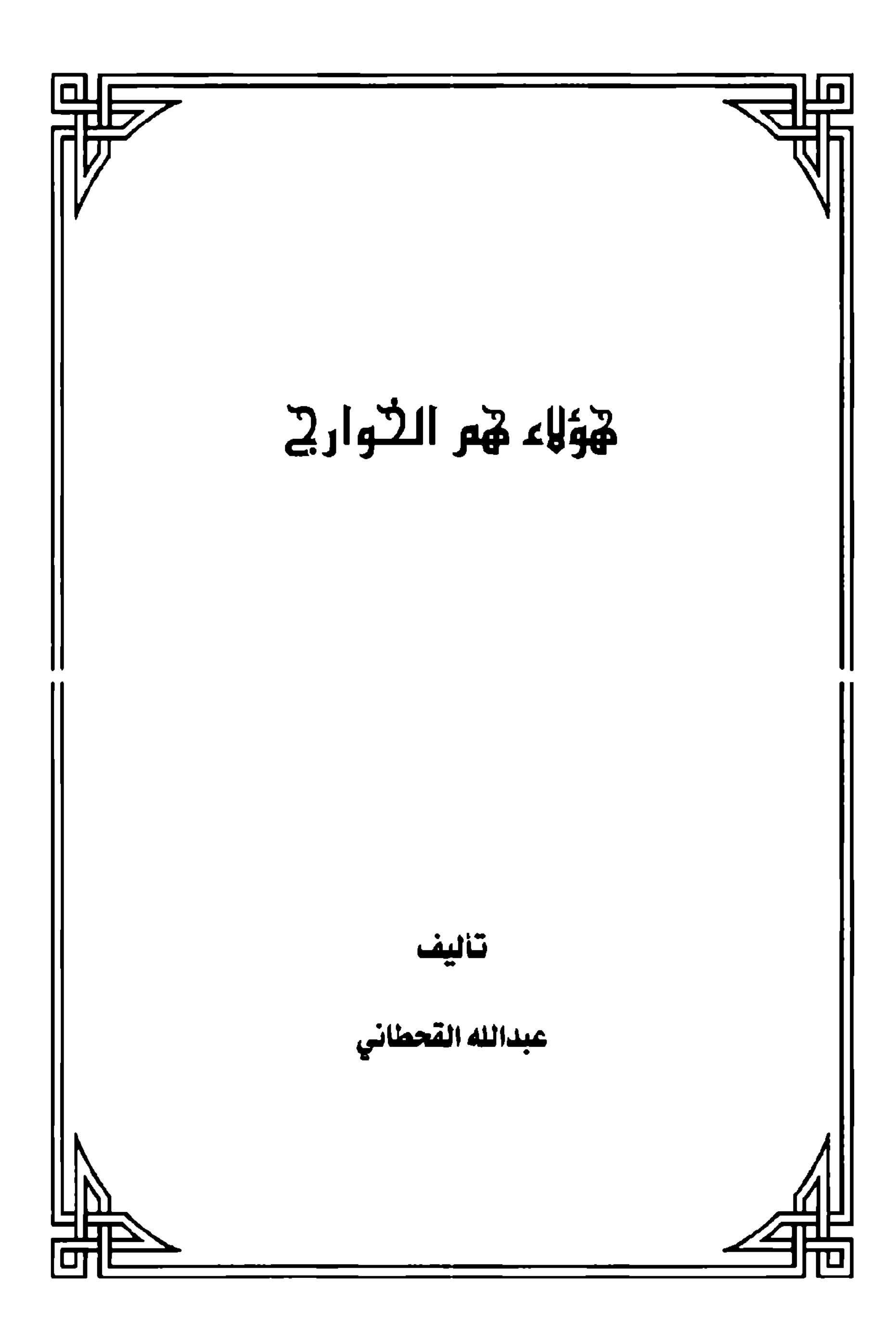


خاتمة

قد تظهر في هذا التاريخ المختصر الخاص الذي كتبته في موضوع الوهابيين، بعض النواقص و الأخطاء المتعلقة بتفرعات الأحداث و الوقائع. إلا أن المصادر كل منها اتخذ اتجاهاً، و كتب بطريقة مختلفة، كما أن بعض هذه الوقائع كتبتها بعد أن سمعتها من كبار السن من أهالي الحجاز، و تنقيح هذه الوقائع و تعديلها يحتاج إلى كتاب مستقل. و إذا وضعنا صعوبة ذلك نصب أعيينا، فإنني واثق من أن القراء سوف يلتمسون لي العذر، و بهذا أختم كلامي. و من الله التوفيق

مدير مدرسة البحرية الإعدادية

الرائد/ أيوب صبري



هؤلاء هم الخوارج

تأليف

عبدالله القحطاني

مقدمة الطبعة الثانية

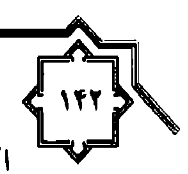
لماذا تقطيع الأوصال؟

الحمد لله الفتاح العليم، ذي القوة والسلطان، الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، البشير النذير، والسراج المنير، محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. أما بعد.

فبعد إقبال الناس الشديد على اقتناء هذا الكتاب ونسخه قبل ظهور طبعته الأولى، قد يتساءل بعض الطيبين عن الدافع للكتابة في هذا الموضوع، ولهم كل الحق في ذلك؛ لأن صيحات التقريب بين المذاهب الإسلامية لها صداها ـ والحمد لله ـ في أرجاء الأمة، وقد خطا المسلمون خطوات محمودة في هذا المجال، فأعدوا مراكز متخصصة لهذا الغرض، وخرجت الكتب الجادة في هذا السبيل ككتاب الدكتور مصطفى الشكعة واسع الانتشار (إسلام بلا مذاهب)[1] ونداءات المصلحين كالعلامة حسن الترابي الذي ينادي «إنني مسلم لست سنياً ولا شيعياً»، وهذا العلامة أحمد الخليلي لا ينادي إلى التقريب فحسب بل ينادي إلى وحدة شاملة تجمع المسلمين، ويرى أن ذلك ممكن؛ خصوصاً إذا علمنا أن الخلافات بين المسلمين ما هي إلا خلافات في الفروع لا في الأصول.

---

١ . آخر طبعة لهذا الكتاب القيّم رأيتها هي الثالثة عشر، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على إقبال المسلمين على ما يوحد صفهم ويجمع كلمتهم.



نعم يحق لكل طيب القلب أن يستغرب الكتابة في ما من شأنه أن يقطّع الأوصال، وقد تعايش المسلمون قروناً عديدة حياة ملؤها الأمن والتعاطف والسلام، فهؤلاء الشيعة يحكمون مصر ويشيدون الأزهر الشريف، ولم يكرهوا أهل مصر على التحول عن مذاهبهم فيكونوا شيعة، ولقد انتقل الأزهر من أياديهم إلى أيادي السنة انتقالا سلمياً من غير إراقة دماء ولا إزهاق أرواح، والإباضية أقاموا في بلاد المغرب دولة واسعة الأرجاء عُرفت بالدولة الرستمية ملأت الأرض عدلاً وقسطا؛ عاش في ظلها السني والشيعي والإباضي من غير تفريق ولا تمزيق، الكل إخوة متوادون يجاهدون تحت راية واحدة[١].

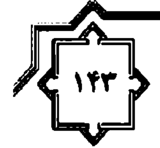
ولقد ضرب الإمام نور الدين السالمي المثل الأعلى في التسامح ومعرفة أقدار الأئمة فقد كان يخرج إلى (جعلان بني بو علي) من أرض عمان ليعلّم أهلها أمور دينهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لأنهم حنابلة[٢] مع أنه إباضي المذهب، ولم يقل إن الأمر أمري وليس لهم إلا السيف أو مذهبي؛ مع أنه السيد المطاع الذي أذل الإمبراطورية البريطانية في الجزيرة العربية[٣]. وهاهم الزيدية والشافعية يعيشون على أرض اليمن السعيد من غير تفرقة ولا اقتتال يتقاسمون اللقمة والكرسي، فأين الخلل وما الداعي لتأليف هذا الكتاب؟

---

١ . يراجع ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، و د. مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص١٦٣ ـ ١٧٠ ط١٣، وما يكتبه المؤرخون والأدباء المغاربة في ذلك.

٢ . تحولت هذه البلدة إلى المذهب الوهابي كرهاً، بعد أن فقدوا الكثير من الأنفس والأموال بسبب غارات الوهابية المتتالية عليهم كما سيأتي.

٣ . هذا العلم المجاهد كان من أعلام القرن الرابع عشر الهجري، استشهد في السادسة الأربعين من عمره، ومع هذا العمر القصير نسبياً فقد كتب الله البركة فيه؛ حيث خلف إرثاً علمياً وثقافياً واسعا، ومطوّلات في الحديث والتاريخ والفقه والأدب، وقاد حملة تنويرية في البلاد الإسلامية داعياً إلى الوحدة ونبذ الخلاف بين المسلمين، والجهاد ضد الاستعمار، مع أنه كان من ذوي الأعذار فقد كان رجلاً ضريرا، وحقيق لشخصية مثله أن تُدرس في رسائل علمية متخصصة.



إن الخلل في فِرقة واحدة نبتت حديثاً رأت أن لا حياة لها إلا بتفرقة المسلمين؛ فأخذت تكفِّر هذا وتطعن في ذاك، حتى حكمت على غالب الأمة بالشرك الأكبر والضلال المبين، ولم يبق مسلم واحد على ظهر الأرض يخالفهم إلا وأخرجوه من حظيرة الإسلام. إن هذه الفرقة هي الفرقة الوهابية التي لا تؤمن إلا بالسيف البتار والدرهم والدينار:

فحكمت على المذاهب الأربعة بأنهم ليسوا بأهل سُنَّة مطلقاً، وأنه لا يجوز تسميتهم بذلك ما داموا على عقيدة الأشاعرة[1] الزائغة على حد زعمهم، وسموهم بالصوفية والمعطِّلة. ورأوا أن التسمية بأهل السنّة غير لائقة أصلاً بل الواجب أن يتحول الناس إلى فريقهم ويتسمَّوا بالسلفية[2].

وحكمت على الشيعة من زيدية وجعفرية بالكفر والضلال.

وحكمت على الإباضية بالضلال ولم يجيزوا الصلاة خلفهم[3].

وحكمت بضلال الإخوان المسلمين[4].

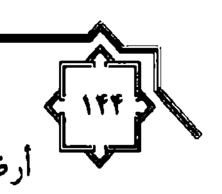
---

١ . الأشاعرة أو الأشعرية نسبة إلى أبي الحسن بن أبي موسى الأشعري (ت٩٤١م) له مصنفات كثيرة منها (الإبانة عن أصول الديانة) و (مقالات الإسلاميين) و (اللمع) و (رسالة في استحسان الخوض في الكلام) عارض فيها مذهب المعتزلة، وأيد فيها مذاهب أهل السنة، تتبعه مذاهب أهل السنة اليوم في أمور العقائد التي أجملها في قوله (قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال)، وهاهم الوهابية اليوم يخرجونه من الانتساب إلى أهل السنة، مع أن كل المالكية والشافعية اليوم له تبع في أمور العقيدة!!

٢ . اقرأ بالكتاب موضوع (أهل السنة أهل ضلال عند الوهابية)

٣ . وذلك في فتوى مكتوبة للشيخ ابن باز صادرة عن الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم ٧١٧/ ٢ بتاريخ ٨/ ٣/ ١٤٠٧هـ.

٤ . اقرأ بالكتاب موضوع (الوهابية والحركات الإسلامية)



وحكمت على جماعة الدعوة والتبليغ بالضلال، ومنعتها من الحركة في أرض الحرمين[١].

كما استحوذت على منابر المسلمين في بلاد الغرب وفرقت شمل الموحدين، فتراهم في كل بلد هم أبرز أسباب الشقاء والفرقة[٢].

ولقد تناول الوهابية أعراض علماء الأمة ممن رفعوا لواءها وهم عند ربهم[٣]، فتهجموا عليهم كما فعلوا مع الإمام ابن جرير الطبري والحافظ الترمذي[٤] والإمام الغزالي صاحب إحياء علوم الدين[٥] ونور الدين السالمي وسيد قطب والإمام الخميني والشعراوي وغيرهم.

وها هي ذي مكتباتهم ودور نشرهم تنضح بالسم الناقع تكفيراً للمسلمين ونهشاً في جسد الأمة.

ولقد كذبوا على أئمة الإسلام وحرفوا كتبهم وأقوالهم ليصلوا إلى أهدافهم الخبيثة[٦].

وقبل ذلك كله ضجّت أرجاء الجزيرة وما حولها من رعونتهم ووحشيتهم في تقتيل المسلمين للاستيلاء على أرضهم وأموالهم وانتهاك أعراضهم[٧].

---

١ . اقرأ لمؤلفهم حمود بن عبدالله (القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ) لترى سوء التشنيع على المسلمين، وهذه الجماعة مع مسالمتها ممنوعة في بلاد الوهابية.

٢ . اقرأ موضوع (من الآثار الوخيمة للبدعة السلفية)

٣ . اقرأ موضوع (الهزال الفكري عند الوهابية)

٤ . اقرأ موضوع (كيف يتعامل الحشوية مع العلماء)

٥ . راجع كتابهم مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم لمؤلفه سليم الهلالي وهو في غالبه شتم لمذاهب المسلمين وللعلامة سعيد حوى مفسر القرآن العظيم، وقد نال الهلالي في كتابه هذا من الإمام حسن البنا (ص ٧٥ وما بعدها).

٦ . اقرأ موضوع (كذب الحشوية على الأئمة الأربعة).

٧ . اقرأ في الكتاب موضوع (الوهابية السفاحون).



وليتهم كانوا على شيء فنتبعهم، ولكن عقيدتهم التجسيم وفكرهم الضحالة؛ حتى أنهم أفتوا باستحلال دم من يقول بدوران الأرض وماله!

ولكأنهم في الحقيقة لا يسعون إلا لهدم الإسلام؛ ولا غرابة في مسعاهم، فأهل نجد بقيادة مسيلمة كانوا أول مرتد عن الإسلام بعد انتقال الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وما عادوا إلى الإسلام إلا تحت وطأة سيف خالد وصحابة الرسول الكريم ﷺ. ولكن أيجهل أحد فينا كيف عادوا؟ لقد عادوا بعد أن قتلوا زيد بن الخطاب وإخوته حفظة القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله تعالى عليهم، فأحدثوا في جدار الإسلام ثلمة كبيرة..

ولأمر أراده الله خرج من ضنضيء هؤلاء المرتدين قومٌ ما زالت جراحات (حديقة الموت)[1] تنكأ في قلوبهم قيحا، فما برحوا يخططون لهدم صرح الإسلام الشامخ؛ ولكن أنى لهم ذلك؟! لقد عادوا لأسلوبهم القديم مع تحديث بسيط إذ حملوا السيف على المسلمين مرّة أخرى واستحلوا دماءهم[2]، ولكنهم هذه المرة لم يجاهروا بنبوة زعيمهم وإنما لبسوا مسوح الإسلام ليكيدوا له من الداخل ويشوّهوا صورته السمحة في أفهام الناس، ويحصروا العقيدة في محاربة ما يسمونه بعبادة القبور، وليكفروا المسلمين في كل أرض.

لهذا كله ولأسباب أُخَر تجدها مفصلة وموثقة في ثنايا هذا الكتاب رأيت أن من حق المسلمين عليَّ أن أدافع عنهم بالمساهمة في استئصال هذا الورم الخبيث من جسد هذه الأمة، مستعيناً في ذلك بعلماء كافة الطوائف الإسلامية من

---

١ . هذه كبرى المعارك ضد المرتدين وقاصمة ظهرهم، وقعت فيها يعرف بالرياض اليوم!

٢ . ورغم خسائر المسلمين العظيمة إلا أن هذا لم ينفعهم وإنما كاد أن يقطع أذنابهم إذ غزاهم أهل مصر بقيادة محمد علي باشا ممثلاً للدولة العثمانية سنة ١٨١٤، فأمنت الحجاز، وقهرت الدرعية وعموم نجد سنة ١٨١٨م.

مؤلفاتهم ومحاضراتهم[1]، وبالنقل عن الوهابية أنفسهم من كتبهم ومحاضراتهم، وبنقل موثَّق عن نصارى رضي بهم الوهابية مستشارين وقادة بشكل لا يستطيعون نفيه مطلقاً[2]، وأعلم أنه لن يأتيني من قِبلهم إلا الريح الخبيث، ولكنني أحتسب أجري على الله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

المؤلف

---

١ . يعرض هذا الكتاب نظرة المسلمين عامة لهؤلاء الخوارج.

٢ . هذا ومما يجب أن يعلم، وإنصافاً للخصم فإننا تركنا جانباً كل خبر أو نقل قد يحوم حول مصداقيته الشك؛ أكان من مسلم أو من مستشرق، فالاستدلال على بطلان الدعوة الوهابية لا يحتاج أكثر مما يعترف به الوهابية أنفسهم.

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على المصطفى أما بعد:

فلا تزال الحركات المارقة عن الدين، تتوالى في الخروج على الملة الحنيفية السمحة من لدن ذي الخويصرة إلى مسيلمة الكذاب إلى نجدة بن عامر الحنفي وقومه أهل اليمامة إلى أن طلع علينا في هذا العصر قرن الشيطان في بلاد نجد حيث الزلازل والفتن فخرجت الوهابية، التي عاثت في الأرض فسادا ولا تزال، معتبرة أهل ملة التوحيد أهل شرك فاستباحت دماءهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

ورغبة منا في فضح هذه الحركة الخارجة على الإسلام، الناقمة على أهله، الخادمة لليهود والنصارى، فإننا ننشر هذا المؤلف، وأصله مجموعة مقالات نشر أغلبها على الشبكة العالمية للمعلومات (إنترنت) على موقع يسمى الساحة الإسلامية لفارس؛ خلال مواجهتنا لأفراخ هذه النحلة الخاسرة؛ بعد أن اعتدوا على المسلمين تكفيراً، ودعوا إلى استئصالهم، ونحن سندع الأمر للقارئ المنصف نفسه ليحدد من الذي يجب استئصاله.

ونحن إذ نشكر الله على تكميم أفواههم وإلجامهم خلال حوارنا الساخن معهم، حتى اضطروا إلى إغلاق موقعهم عن بلادنا، وخروج فتية من مذاهب إسلامية مختلفة يعينوننا في الرد عليهم وكشف عوارهم بعد أن بانت لهم حقائق

ما كان لها أن تخفى على ذي بصيرة، فإننا نرى لزاماً علينا اليوم تحذير الأمة من شرهم، وبذل الجهد في ذلك ما استطعنا إلى الخير سبيلا[١].

والحق أقول إنني حاولت إنهاء الكتابة في هذا الموضوع سريعا لكثرة أشغالي، ولكنَّ الحقائق كانت تتفجر من كل حدب وصوب متسابقة لتأخذ مكانها على صفحات هذا الكتاب، مما كان يشغلني في بعض الأحيان حتى لا يلفتني إلا أذان الفجر يقرع أذنيَّ.

وها أنذا عقدت العزم على التوقف ولو إلى حين، للمسارعة في نشر هذا الكتاب، وأعد بالمواصلة في جمع الحقائق الناصعة عن هذه الفِرقة الداعية إلى الفُرقة ما وجدت إلى ذلك سانحة، وسيظهر ذلك تباعاً إن شاء الله، وأول الغيث قطرُه.

ولا يفوتني ههنا أن أنبِّه على أنَّ نقدنا هذا لا يعني أيَّ مسلم في بلاد الحرمين الشريفين متمسكٍ بأهداب دينه، يأخذ الحق من أي مصدر وجده من غير تعصب، وإنما يعني تماماً أدعياء السلفية الذين يقدِّسون الفكر الوهابي المنحرف، ويرون ما سواه باطلا في أي بقعة كانوا.

المؤلف

---

١ . لقد عاد الوهابية مؤخراً لفتح الساحة بثوب جديد بعد أن استولوا عليها، حيث إنهم وضعوا مراقبين منهم فقط يستفزون المسلمين للمناظرة ولكن ما إن تضع مقالا لا يستطيعون الردَّ عليه إلا ويهرعون إلى حذفه ومثال ذلك المقال المقتطف من صحيح شرح العقيدة الطحاوية في بطلان دعوى مذهب السلف الذي أردنا منهم الردَّ عليه علمياً فما كان منهم إلا أن حذفوا التحدي والمقال مباشرة!! وتكفيرهم اليوم لا يقتصر على الإباضية أو الشيعة بل يشمل المذاهب الأربعة حيث استدلوا بفتاوى للشيخ ابن باز والعثيمين ورسائل دكتوراه لبعضهم على ضلال الأشاعرة في مسائل الصفات والتأويل عموماً ونفوا عنهم تسمية أهل السنة، بحيث لم يبق غير شرذمتهم مسلماً ولله الأمر من قبل ومن بعد.

تمهيد

من هم الخوارج؟!

وردت أحاديث كثيرة تُنذر خروج فرقة تمرق من الدين، تستحل دماء الموحدين، وتترك أهل الأوثان، حاول البعض صرفها في صحابة الرسول الكريم من أهل النهروان، تعصباً للإمام علي، فحاولت استقراء تلك الأحاديث فرأيتها لا تنطبق عليهم مطلقاً، لأسباب كثيرة أهمها أن من بين من خرج على الإمام علي في أهل النهروان صحابةً مرضيين[1]، كما خرج من قبل أهل الجمل بقيادة أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير، وأهل صفين بقيادة معاوية وعمرو بن العاص، فكيف تنطبق الأحاديث على فريق من أصحاب رسول الله ﷺ ولا تنطبق على باقي الفرق؟!

ولكنني في الوقت ذاته، رأيت أن الذين يروجون بشدة لهذا الطرح الباطل ـ رغم عدم تناسب نبش عظام أصحاب رسول الله ﷺ ودعوة التوحيد ـ فرقة حديثة تسمى الوهابية، وأهم هذه الأحاديث التالي:

---

١ . ففي النهروان صحابة كرام بتوثيق علماء السنَّة وغيرهم كعبدالله بن وهب الراسبي وزيد بن حصين الطائي وحرقوص بن زهير السعدي قائد جيوش عمر بن الخطاب لفتح الأهواز كما ذكر ذلك ابن الأثير والطبري وغيرهم،، وهل يجوز الانتقاص من أصحاب رسول الله ﷺ ؟!

ـ يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. رواه البخاري

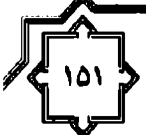
ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ويقرأون الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ قِيلَ مَا سِيمَاهُمْ قَالَ سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ أَوْ قَالَ التَّسْبِيدُ رواه البخاري[١]، وزاد عند مسلم «يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ».

ـ بَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَرْبَعَةِ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاثَةَ الْعَامِرِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلابٍ فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ قَالُوا يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا قَالَ إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاتِئُ الْجَبِينِ كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ فَقَالَ اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ «مَنْ يُطِعِ اللهَ إِذَا عَصَيْتُ أَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلا تَأْمَنُونِي» فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَمَنَعَهُ فَلَمَّا وَلَّى قَالَ «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمٌ يقرأون الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ». وفي رواية أخرى «قتل ثمود». رواه البخاري وغيره.

ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ يَقُولُ «أَلا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ». رواه مالك والبخاري ومسلم وأحمد وغيرهم. وفي رواية عند أحمد «يخرجون من المشرق».

---

١ . وروى الحديث بألفاظ متقاربة أيضاً النسائي وابن ماجه وأبو داود وأحمد.



- «يَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يُسِيئُونَ الأَعْمَالَ يقرأون الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ» قَالَ يَزِيدُ لا أَعْلَمُ إِلا قَالَ «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ عَمَلَهُ مِنْ عَمَلِهِمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ فَإِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ فَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَطُوبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ كُلَّمَا طَلَعَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قَطَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ» فَرَدَّدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِشْرِينَ مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ وَأَنَا أَسْمَعُ. رواه أحمد.

هذه أهم الأحاديث التي وردت في المارقين بعضها صحيح، وبعضها الآخر لا يصح، واصطُلح على تسمية كل فرقة تنطبق عليها شروط المروق في أي زمان أو مكان ـ بغض النظر عن منهجية التطبيق ـ بالخوارج[1].

وإذا كنا نتفق تماماً مع باقي أطراف الأمة على منهجية تطبيق هذه الأحاديث فيمن سبق له استحلال دماء الموحدين ورميهم بالشرك الأكبر كالأزارقة

١ . الخوارج جمع خارجة، وهي لفظة أُثِرَ استخدامها عن الإمام علي بن أبي طالب ولكن بمعناها اللغوي الصرف حيث كان يعبِّر بها عن كل من يخرج عليه أو على أحد عماله فقد جاء مثلاً في تاريخ الأمم والملوك للطبري (ج٣ ص١٢٧) قوله من كتاب له إلى مالك بن الحارث الأشتر: «... وكنت قد وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه بها خوارج» ويعني بهم أصحاب معاوية. وأطلق لفظة الخارجة أيضاً يريد بها شيعة عثمان الذين باليمن بعدما ثاروا على واليه هناك عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران عامله على الجند فكتب إليهما الإمام علي: «أما بعد فإنه أتاني كتابكما تذكران فيه خروج هذه الخارجة...» (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢ ص٤)، وأطلقه كما هو معلوم على أهل النهروان للتعبير عن خروجهم من جيشه. أما مصطلح الخوارج بمعنى المارقين من الدين فهو مصطلح متأخر فضفاض ما كنا لنستخدمه بمعنى المروق من الدين لولا اصطلاح الناس عليه؛ ووجود ما يستأنس به من الحديث النبوي لهذه الدلالة: «يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» (يخرجون من المشرق) «يَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يُسِيئُونَ الأَعْمَالَ»؛ وإلا فإن لفظة الخوارج تتسع لغوياً لمعنى الخروج في سبيل الله ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾، ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾، ﴿.. فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً﴾، ولكننا في استخدامنا للفظة الخوارج في حق الوهابية فإننا لا نعني إلا المروق من الدين، وهو ما سنثبته هنا بالدليل والبرهان بإذن الله.

والصفرية والنجدات؛ فإننا نشعر بالأسف لحمل كثير من العلماء ـ من دون كبير تمحيص ـ هذه الأحاديث في طائفة من الصحابة ومن معهم من التابعين ممن خالف الإمام علياً كرَّم الله وجهه في مسألة التحكيم من أهل النهروان؛ علماً أنه لا يوجد ما يوظف هذه الأحاديث في أهل النهروان إلا زيادة في حديث المروق من الدين تذكر أن آيتهم رجل أسود مخدج اليد، وأن هذا الرجل قد قتل في النهروان، وأن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه أمر بقطع يده فأمسك بها ووقف يخطب[١]!

إلا أن في صرف حديث المخدج في أهل النهروان إشكالات عدَّة أهمها:

أ. أن زيادة ذي الثدية عن أبي سعيد الخدري تفرد بها الزهري عن أبي سلمة، وأصحاب أبي سلمة لم يذكروا هذه الزيادة، وهم محمد بن إبراهيم التيمي، والأسود بن العلاء ومحمد بن عمرو، بل لفظ أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية: أسمعت النبي ﷺ؟ فقال: لا أدري ما الحرورية، سمعت النبي ﷺ يقول: «**يخرج من هذه الأمة... الخ**» بدون ذكر زيادة ذي الثدية، وهي رواية صحيحة.

ب. بل وكل أصحاب أبي سعيد الخدري الآخرين الذين صحَّت رواياتهم وهم: أبو الشعثاء جابر بن زيد، وعبدالرحمن بن أبي نعم، وأبو الصديق الناجي، ويزيد الفقير، ومعبد بن سيرين، وأبو نضرة لم يذكروا هذه الزيادة.

ج. والإمام علي الذي جاءت هذه الزيادة من طريقه أيضاً صحَّ الحديث عنه بدونها.

د. وقد صح حديث المروق بدون زيادة ذي الثدية عن عدد من الصحابة

---

١ . وهذا مما يزيد الرواية وهنا فالإمام علي كرم الله وجهه نستبعد منه التمثيل بالقتلى ولو كانوا كفاراً أو بهائم لحرمته.



وهم بالإضافة إلى أبي سعيد وعلي: أنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن مسعود، وأبو بكرة، وأبو ذر ورافع بن عمر الغفاريان، وسهل بن حنيف، وأبو أمامة الباهلي، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعامر بن واثلة.

هـ. أما طريق جابر بن عبدالله فهي غير صحيحة الإسناد لأن مسلم بن مكي مدلِّس عنعن الرواية[1].

ومما يزيدك يقينا أن صرف أحاديث الخوارج في أهل النهروان غير صحيح خروج الإمام علي لقتال معاوية كرّة أخرى لولا اعتراض الأشعث ومن معه لثنيه لقتال أهل النهروان أولاً، فنظرة الإمام علي إلى أهل النهروان كانت أفضل من نظرته إلى أهل الشام، ولقوله «**لا تقاتلوا الخوارج بعدي**»[2] وترك قتالهم لا يجوز لو كان هؤلاء خوارج من الدين؛ لأن قتالهم واجب أبد الدهر.

والحق أن قتال الإمام علي لأهل النهروان لم يكن بسبب مروق من الدين بل لأنهم بغاة ـ في نظره ـ مثلهم في ذلك مثل أهل الشام كما صرّح بذلك في رواية للبيهقي عن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال، قال رجل: من يتعرف البغلة يوم قتل المشركون؟ يعني أهل النهروان، فقال علي بن أبي طالب: من الشرك فروا؟ قال: فالمنافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا. قال: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم[3].

فإذا تبيَّن لنا أن هؤلاء ليسوا هم المعنيين بالأحاديث فمن هم إذاً الخوارج المعنيون يا ترى؟ لنعلم ذلك لا بد لنا أن نلقي نظرة تحليلية على الأحاديث الواردة في الخوارج بصورة شمولية لا انتقائية، لنستخلص منها أهم صفاتهم.

---

١ . يراجع ناصر السابعي، الأحاديث الواردة في الخوارج: تخريج ودراسة.(رسالة ماجستير) خصوصاً الفصل الثاني (حديث المخدَّج)

٢ . ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٥ ص٧٨.

٣ . الرواية أيضاً عند ابن أبي شيبة في المصنَّف برقم ٣٧٩٤٢

نظرة تحليلية للأحاديث:

أهم صفات الخوارج استناداً إلى الأحاديث الشريفة الواردة فيهم كالتالي:

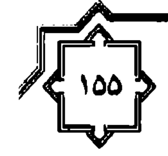
١ ـ **يأتون في آخر الزمان**، ولا يمكن بحال اليوم وبعد مضي ما يربو على الألف والثلاثمائة سنة القول بأن أهل النهروان خرجوا في آخر الزمان. بينما ظهرت في هذا الزمان الأخير فرقة ترمي المسلمين بالشرك؛ وتستحل بذلك دماءهم وأموالهم، وتعتدي على تراثهم بالتشويه وعلى علمائهم بالتبديع والزيغ، وتدعي أنها على الحق المطلق، ألا وهي الفرقة الوهابية، والتي تُظهر اهتماماً غير طبيعي لصرف أحاديث الخوارج في أهل النهروان!

٣ ـ **يخرجون على حين فُرقةٍ من الناس**، لا ينكر أن الصحابة في وقعة الجمل والنهروان قد خرجوا في زمن الفرقة بين علي ومعاوية، ولكن هل من فرقة بين المسلمين خصوصاً والناس عموماً ـ كما نصَّ الحديث ـ أعظم من تلك الفرقة التي خرج فيها الوهابية، فوقعت بين البشر الحروب العالمية وتفرق المسلمون حتى ضاعت أرضهم ـ كل أرضهم ـ فتقاسمتها اليهود والنصارى؟!، والمثير للاستغراب أننا نرى الوهابية يقفون أمام كلّ دعوة توحيدية بين المسلمين بالمرصاد ليجهضوها، حتى تبقى الأمة على فُرقتها، وما تهجمهم على الإمام حسن البنا ـ على سبيل المثال ـ إلا بسبب دعوته للتقريب بين المذاهب الإسلامية وذلك باعترافهم أنفسهم[١].

٣ ـ **يخرجون من جهة المشرق**، وما المشرق إلا نجد لصريح الحديث فيها: (عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا قَالَ قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا قَالَ قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا**

---

١ . يراجع مقال «الوهابية والحركات الإسلامية» بهذا الكتاب.



قَالَ قَالَ هُنَاكَ الزَّلازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[١] وقد أشار النبي الكريم بيده نحو جهة المشرق مؤكداً على نجد، وقد خرج الوهابية منها؛ بل ودَعوا الناس للهجرة إليهم، وإن نفوا ذلك اليوم[٢].

٤ ـ **يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم**، أما أهل النهروان فثبت أن سبب خروجهم لم يكن إلا المحافظة على تطبيق النص القرآني بعد ثبوته بعدم تحكيم الرجال في الحدود الثابتة؛ فكما لا يجوز الاجتهاد في ماهية حد السرقة فلا يجوز كذلك الاجتهاد في ماهية حد البغي فهو ثابت بالنص القرآني، فكما ترى أن القرآن كان يجاوز حناجر أهل النهروان إلى التطبيق العملي، ولكن مَن أشهر إعلامياً اليوم من الوهابية الذين يتباكون في حرم الله الآمن وهم أكلة لحوم المسلمين وأموالهم، كما سيأتي ذلك في تأريخهم وفتاويهم؟.

٥ ـ **يسيئون الأعمال**، أما أهل النهروان فقد قتل أغلبهم على مصاحفهم، وحفظ لنا التاريخ عن الباقين أمثلة رائعة في إحسان العمل وأعلاها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خصوصاً مع أهل الجور، فقد سئل عليه الصلاة والسلام: «**أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ قَالَ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**»[٣] بل وقتل بعضهم على ذلك[٤]، بينما نرى الوهابية اليوم يكفِّرون المسلمين ويسارعون إلى إخراجهم من الملة، وليست فتوى ابن باز بجواز قتل المسلم واستحلال ماله إذا آمن أن الأرض تدور بآخر ما في جعبتهم. ويكفيك أسلوبهم غير المهذب في الدعوة،

---

١ . رواه البخاري و الترمذي و أحمد وغيرهم

٢ . ذلك ثابت على لسان الشيخ سليمان بن عبدالوهاب شقيق مؤسس الحركة الوهابية، وهو شاهد عيان، وعلى لسان ابن بشر، كما سيأتي في ثنايا الكتاب.

٣ . رواه أحمد برجال ثقات.

٤ . كما فعل بأبي بلال وأخيه عروة ابني أدية.

وامتلاء مكتباتهم بالكتب التي تطفح عناوينها بالانتقاص من علماء المسلمين الأعلام في كلّ أرض.

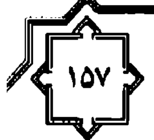
٦ ـ **يقتلون المسلمين ويتركون عبدة الأوثان**، أما أهل النهروان فقد ثبت قتالهم لأهل الأوثان ويكفيك منهم قائد قوات عمر بن الخطاب الصحابي حرقوص بن زهير السعدي فاتح الأهواز، ولقد اعتزلوا فتنة القتال بين المسلمين ما لم تكن دفاعاً عن الخليفة المبايع، أما الوهابية فتأريخهم مليء بسفك دماء المسلمين واستحلال أموالهم ونسائهم بشكل تشيب لهوله الولدان باعترافهم أنفسهم، وهم لم يسجل لهم التاريخ مواجهة واحدة مع أعداء الإسلام.

٧ ـ **سيماهم التحالق أو التحليق** كما في رواية أحمد، وقد نفى ابن حجر عن الذين خرجوا من جيش الإمام علي هذه الصفة صفة التحليق[1]، بينما أثبت العلماء المعاصرون لنشأة الوهابية؛ كمفتي الشافعية بمكة المكرمة الشيخ أحمد زيني دحلان[2] أن الشيخ محمد ابن عبدالوهاب كان يأمر من يدخل في طاعته بحلق شعره لينشأ بشعر جديد لم يشرك فيه، واتفق مرة أن امرأة أقامت عليه الحجة

---

١ . ابن حجر، فتح الباري١٣/ ٥٣٧، برقم ٧١٢٣.

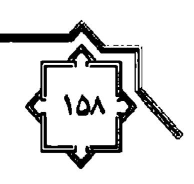
٢ . هو العلامة أحمد بن زيني دحلان، تخرج على يديه كثير من طلاب العلم، له تآليف عديدة في مختلف العلوم منها (السيرة النبوية والآثار المحمدية)، و (الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية)، و (الفتح المبين في سيرة الخلفاء الراشدين)، وله حاشية على السمرقندية في علم البيان وحاشية على الإظهار في التجويد، وشرح على ألفية ابن مالك في النحو، وله رسالة في علم الوضع، وفي علم الجبر والمقابلة، ورسالة في وعيد تارك الصلاة، ومتن صغير في علم البيان، ورسالة في مباحث البسملة، ورسالة في صيغ الصلوات على النبي ﷺ، ورسالة تتعلق بـ (جاء زيد)، ومن كتبه (الدرر السنية في الرد على الوهابية) وكتاب (فتنة الوهابية) وكتاب (خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام)وقد نقلنا منها الكثير في هذا الكتاب، وله غير ذلك من الرسائل والمؤلفات والشروح والحواشي توفي عام ١٣٠٤هـ.



فقالت له: (حيث إنك تأمر المرأة بحلق رأسها ينبغي لك أن تأمر الرجل بحلق لحيته لأن شعر المرأة زينتها وشعر لحية الرجل زينته فلم يجد لها جوابا)[١]! وكان مفتي زبيد السيد عبدالرحمن الأهدل يقول (لا حاجة إلى التأليف في الرد على الوهابية بل يكفي في الرد عليهم قوله ﷺ **«سيماهم التحليق»** فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم)[٢].

وبهذا يتبين أن المعنى المقصود هو الخروج الديني كما هو الحال عند الوهابية؛ لا الخروج السياسي كما هو بالنسبة لأهل النهروان وأهل الجمل، ولتتبين أخي المسلم أن الوهابية هم أنسب من تنطبق عليهم الأوصاف التي جاءت في أحاديث النبي ﷺ فإنني ألفت هذا الكتاب أعالج فيه كل صفة من صفات الخوارج في فصول متعددة، ومن زوايا مختلفة، وأدلل عليها بصفحات موثقة كثيرة من تاريخ الوهابية وجغرافيتهم وفقههم وأعمالهم، وما توفيقي إلا بالله.

١و٢ . أحمد بن زيني دحلان، فتنة الوهابية، ص ١٩



الفصل الأول: التعريف بالوهابية

تدَّعي الفرقة الحشوية الكمال، وهي بحق أكمل ما تكون ضلالاً، وستجد ههنا صفات الخوارج التالية تنطبق عليهم أيما انطباق:

«يأتون في آخر الزمان».

«يخرجون على حين فُرقةٍ من الناس».

«سيماهم التحليق».

فإليك تعريف الفرقة وأربابها

تعريف الوهابية

الوهابية فِرقة نشأت في منطقة نجد على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تصحيحية المظهر تنادي بمحاربة الشرك وعبادة الأوثان وتقديس القبور، وهو مطلب سامٍ بلا شك، خصوصاً إذا سلَّمنا بروايات الوهابية القائلة بأن بلاد نجد قد عادت إلى عبادة الأصنام[١] ونبذ الشرائع[٢] وقطع السبيل[٣]. ولا ريب أن البلاد النجدية هي مهد الحركات الخارجة على الإسلام من مرتدين وخوارج[٤]، وهي بحاجة لمن يأخذها بالشدَّة أكثر من اللين لقسوة طباع أهلها وغلظ قلوبهم.

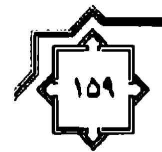
---

١ . عثمان بن بشر الحنبلي النجدي ت ١٢٨٨هـ، عنوان المجد في تاريخ نجد، الناشر مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ نشر، وقد فهرس الجزء الأول منه وضبط أسماء البلدان فيه الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة المدرس بالحرم الشريف، ١/ ١٨٢

٢ . عنوان المجد ١/ ٢٣١

٣ . عنوان المجد، ٢/ ١١٤

٤ . فقبائل حركات الخوارج النجدات والأزارقة والصفرية هم من أعراب نجد.



لقد خرجت الدعوة الوهابية بدعوى التصحيح والقضاء على الشرك، ففرح بها كل مخلص، ولكن ما إن تحركت حتى ظهر من أمرها العجب! حيث استحلت دماء الموحدين؛ بل ودماء الأطفال من أهل نجد[١]، ثم ما هي إلا برهة من الدهر حتى اشتدَّ عودها فهاجمت كل أرض إسلامية استطاعت إليها سبيلا[٢]، فنكَّلت بالمسلمين وأذاقتهم مرَّ العذاب مستحلة دماءهم وأموالهم، قاطعةً للسبل[٣]، وصادةً للحجيج[٤]، وهي سوابق لم تذكر المصادر التأريخية لها شبيهاً في أرض الإسلام إلا ما بدر من المرتدين ثم بعض أفعال الأزارقة والصفرية التي لا تقارن مطلقاً بما بدر من هؤلاء، مما حدا بعلماء الإسلام لدراسة هذه الحركة من قرب للتحذير منها، والقضاء عليها، وكان في مقدمة المحذرين بعض علماء نجد والحرمين الشريفين[٥]، وأفعالهم هذه ومهاجمتهم للحرمين الشريفين هو ما حدا كذلك بالدولة العثمانية متمثلة في أشراف الحجاز ومحمد علي باشا في مصر لمحاربتهم والقضاء على دولتهم الأولى.

لقد تبيَّن من الاستقراء المتأني للحركة الوهابية امتيازها بأنها حركة أنشأها أنصاف متعلمين. أقامها الجهلة كما سيأتي، خرجت في آخر الزمان على حين ضعفٍ وفُرقةٍ بين المسلمين، تركت قتال أهل الأوثان[٦]، وقاتلت أهل الإسلام،

---

١ . عنوان المجد ١/ ٦٠ ـ ٦١ كما سيأتي في هذا الكتاب، كما لا يسلِّم عاقل بأن كل أهل نجد كانوا على ردَّة حيث ثبت أن فيهم علماء من الحنابلة وأهل الصلاح.

٢ . كما سيأتي في تاريخ الوهابية.

٣ . كما سيأتي في موضوع (الوهابية السفاحون)

٤ . كما سيأتي في موضوع (صدّ الناس عن البيت الحرام).

٥ . كالشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدي والشيخ أحمد بن زيني دحلان كما سيأتي.

٦ . ويعترف بهذا سدنة الفكر الوهابي، ففي مذكرة النصيحة التي وقعها مائة عالم سعودي، وتحت فصل (الجيش) جاء التالي: «سادساً: منذ الانتهاء من توحيد البلاد وتوطيد أمنها الداخلي لم يظهر للجيش أي دور جهادي لنشر دعوة التوحيد ونصرة المظلومين من المسلمين عدا فترة قصيرة

←

واعتبرتهم مشركين[١]، مالم يكونوا وهابية ويهاجروا إلى دار هجرتهم نجد[٢]، وذلك في بداية دعوتهم كما أثبت ذلك الشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدي في معرض رده على أخيه محمد في كتابه (*الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية*)، نجد تلك التي قال عنها الرسول الكريم: «**هناك الزلازلُ والفِتَنُ ومنها يخرج قرنُ الشيطان**» وأبى أن يدعو لها بخير كما دعا لغيرها[٣]

والحق إن الوهابية[٤] لم ينقموا على المسلمين أموراً جوهرية، بل جادلوا في مسائل فرعية، وكفَّروا المسلمين على أساسها، ويدَّعون اتباع السلف لتقليدهم ←

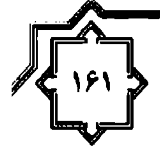
رابطت فيها قواتنا في الأردن أمام العدو اليهودي» وحتى المشاركة المزعومة في الحرب الفاشلة أمام اليهود لم يكن للجيش السعودي فيها دور يذكر، ومن الغرابة أن يعتبر هؤلاء العلماء دور الجيش في قتال المسلمين في مكة والمدينة والطائف وأمثالها جهاداً!

١ . يصف الشيخ عثمان النجدي في كتابه عنوان المجد (١/ ٩٠) بلاد المسلمين بقوله (.. جميع الأراضي الشركية في أقاصي الأقطار من الحرمين واليمن وتهامة وعمان والإحساء ونجد وغير ذلك، حتى لا تجد في جميع من شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر فضلاً عن الرياء) فأهل الإسلام كانوا مشركين شركاً أكبر في اعتقادهم! وينقل رسالة الشيخ عبدالرحمن بن حسن في نفس الكتاب (٢/ ٢٣) التي يقول فيها واصفاً حال المسلمين قبل مبعثهم! وبعد عودة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من البصرة بأن الناس استحبوا الشرك المنافي للتوحيد وأنه (عمت به البلوى من عبادة الطواغيت والقبور والجن والأشجار والأحجار في جميع القرى والأمصار والبوادي وغيرهم فما زالوا كذلك إلى القرن الثاني عشر)! (ص٢٣) وإن كنا لا نستبعد ارتداد أهل نجد فإننا نقطع بأن باقي بلاد المسلمين وفي المقدمة مكة والمدينة هي بقاع طاهرة من الشرك الأكبر ولله الحمد، ولكنه ضلال أحفاد مسيلمة.

٢ . يصف الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن عبدالوهاب الشيخَ محمد بأنه قام مقام نبي مرسل، وأن ما جرى من ابن سعود شبه ما جرى من الأنصار في بيعة العقبة (عنوان المجد، ٢/ ٢٤)!! وسيأتيك لاحقاً ما نقلناه عن بعض العلماء من تسميتهم لأصحابهم بالمهاجرين والأنصار.

٣ . الحديث رواه البخاري والترمذي وأحمد، وقد ذكرنا نصه في أكثر من موضع بهذا الكتاب.

٤ . الغريب أننا نرى اليوم بعض الوهابية يحاولون الهرب من تسميتهم هذه بينما كانوا بالأمس يفاخرون بها؛ أليس شيخهم وشاعرهم الأعمى سليمان بن سحمان (ت ١٣٤٩) هو مؤلف كتاب «الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية» مطبعة المنار، مصر، ١٣٤٢هـ!



ابن تيمية وأذياله؛ ولتعلقهم بظاهر القرآن والسنَّة مع المحاربة لإعمال العقل في فهم النص أو التأويل، إلا أنَّ أفكارهم سرعان ما انكشف تهافتها ووهنها لكثير من العقلاء، وعلماؤهم لا يستطيعون الوقوف أمام حجج المسلمين وبراهينهم، فهم إن تحدَّثوا فكثيراً ما تسمع عيَّهم وضعفهم في لغة القرآن الكريم، يهربون من كلِّ مناظرة علمية تهدف إلى تبيين الحق لأنهم يعلمون أن لا قِبَل لهم بذلك.

الشهادة بجهل الوهابية:

إن الجهل والسطحية لدى علماء الوهابية، قد شهد بها الكثير ممن احتكوا بهذه الفرقة، فقد روى الشيخ إبراهيم المنصوري أن ابن عبدالوهاب (كان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه والتفسير والحديث[1]، وقد أحرق كثيراً منها وأذن لكل من اتبعه أن يفسر القرآن الشريف بحسب فهمه... فكل واحد منهم يفعل ذلك حتى ولو كان لا يحفظ من القرآن شيئاً)[2]

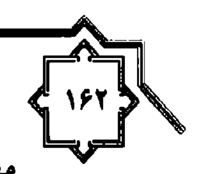
وذكر الشيخ محمد سليم الكيلاني[3] أن أحد المفتين الوهابيين ويدعى عبدالله ابن خلف حضر إلى دمشق، وطلب منه أن يعطيه كتابا في علم النحو، وشيئا من فن الصرف، فأمره أن يحضر مع صغار الطلبة الذين يدرسون كتاب (قطر الندى) وكتاب (النبأ في الصرف)، وكذلك فعل القاضي الشيخ عبدالله مرعي، ويعلق الشيخ الكيلاني على مستواهم هذا بقوله (فإذا كان هذا مبلغ علم قاضيهم ومفتيهم فما بالك في بقية علمائهم)، ويضيف (إني اجتمعت بكثير من علمائهم فوجدتهم من الجهل بمكان، ومن العلم بمعزل).

---

١ . وهذا ديدنهم إلى اليوم فعلماؤهم لا يحرمون قراءة كتب الإباضية فقط بل وكتب سيد قطب وأبي الأعلى المودودي وأمثالهم!!

٢ . المنصوري، التاج الجامع للأصول، ص ٥٢، ودحلان، الدرر السنية، ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

٣ . الكيلاني، النفحة الزكية، الرسالة الأولى ص٧



ولا تعجب أخي القاريء، فقدوتهم محمد بن عبدالوهاب كان جاهلا مغرورا، وقد ذكر جهله أخوه سليمان بن عبدالوهاب في كتابه (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) ونسب إليه القصور العلمي وذلك في قوله: (ابتلي الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومهما ولا يبالي من خالفه. وإذا طلبت منه أن تعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه ومن خالفه فهو عنده كافر. هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال الاجتهاد، ولا والله ولا عُشر واحدة، ومع ذلك راج كلامه على كثير من الجهال)[1].

ونحن ندعو من يشك في أمر جهل الوهابيين ليس فقط إلى تأمل أفكارهم، وما تنم عنه من معارف جزئية سطحية، كقولهم بعدم دوران الأرض، بل إلى مطالعة أساليبهم الكتابية الركيكة الواضحة في كتبهم ورسائلهم وفتاويهم، وأن يسمع كبار علمائهم عندما يتحدثون.

على أنه لم يستطع حتى من دافع عن الوهابيين إلا أن يعترف بجهلهم، فهم يقولون إن الجهل كان سائداً في مناطق نجد بشكل عام. فقد جاء في شرح محمد حامد الفقي لأسباب نجاح الوهابية في حين فشل ابن تيمية وابن القيم الجوزية، قوله (على نهج شيخ الإسلام[2] ابن تيمية وتلميذه ابن القيم سلك شيخ الإسلام

---

١ . سليمان بن عبدالوهاب، الصواعق الإلهية ص ٢٥

٢ . غريبة هذه المشيخة المزعومة فهذا الذي يقدمونه على فطاحل العلماء لا تكاد تذكره الأمة بخير؟! بل ولم يبارك الله في علمه فلا يوجد له متن واحد في العلم يدرس في المعاهد أو الجامعات كما لغيره من فطاحل العلماء الذين كتب الله النفع في ما كتبوه. ومن باب آخر فإن الوهابية اليوم مختلفون في صاحب هذه المشيخة فهم يطلقونها كذلك على محمد بن عبدالوهاب نفسه وكأنه انتزعها من أستاذه كما ترى (يراجع كذلك الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وهو من أحفاد الشيخ: مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ص ٨)



محمد بن عبدالوهاب، ولكنه كان قد هُيِّئ له من الظروف مالم يتهيأ للشيخين. فبلاد نجد البدوية (حيث انطلقت دعوة ابن عبدالوهاب) غير مصر والشام (حيث نشط ابن تيمية ثم تلميذه ابن القيم) التي كانت تعج بالملوك والأمراء والجيوش والقواد والمدارس والحضارات وتكايا المتصوفة المختلفة، والقضاة والعلماء والمدرسين في جميع المذاهب)[1] فهذا اعتراف منهم بجهلهم، وبجهل من انطلت عليهم أفكارهم الفاسدة، فأكثر أتباع الوهابية اليوم هم من الذين أغلقت أمام أعينهم وسائل معرفة الحقيقة، فلا تدخل كتب المسلمين إلى ديارهم إلا إذا لمستها يد التحريف لتتناسب ومنظور التضليل الوهابي[2].

ونحن نرى أن من الأسباب التي سرَّعت في انتشار شرر الوهابية أيضاً اعتمادهم في القديم على التجنيد الإجباري لأقوام كانوا قطَّاع طرق أصبحوا جنود التوحيد ـ على حد تعبيرهم ـ أولئك الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يعرفون حرمات ولا يهتدون سبيلاً، يقول ابن بشر عن هذا التجنيد خلال حديثه عن سيرة سعود بن عبدالعزيز تلميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب[3]:

(وأرسل إلى جميع البوادي حواويش رجال يحوشونهم من أقطار الجزيرة للغزو معه)[4] فيخرج بهم زعيم الوهابية من بعد لغزو المسلمين ولا ينسى أن يعظهم: (بالصبر في مواطن اللقاء وأن النصر لا ينال إلا بالصبر، وما وعد الله الصابرين وتوعد الفارين المدبرين ويتلو عليهم قوله تعالى **﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ**

---

١ . الفقي، أثر الدعوة الوهابية، طبع ١٣٥٤ هـ ص ٢٢

٢ . للتفصيل يراجع د. محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، دار المعراج للطباعة والنشر، ص ١٥٦ ـ ١٥٧

٣ . نص على تتلمذه عليه ابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٦٧

٤ . عنوان المجد، ١/ ١٦٨

﴿الْمَصِيرُ﴾)[1]!! إنهم الخوارج الذين يصرفون آيات قتال الكفار في المسلمين! أما سبب انتشار شرهم حديثاً فاعتمادهم على شراء الذمم بالذهب الأسود، وبذل الأموال الطائلة لترويج بضاعتهم البائرة عن طريق وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية[2]، واستغلالهم المقيت لأقدس مسجدين في الأرض لخداع البسطاء بالتباكي بالقرآن الذي لا يجاوز حناجرهم، وحكمهم الناس في بلاد الحرمين بالحديد والنار[3].

تسميتهم بالحشوية والظاهرية والمشبّهة والمجسِّمة:

الحشوية هم طوائف تدعي الانتماء لمذهب الإمام أحمد مرَّت على مدار التاريخ الإسلامي؛ منهم (الكرامية) و (البربهارية) و (السالمية) وآخر العقد هم (الوهابية) التي خرجت منها فرقة أخرى اليوم تسمى (الجامية)، وهم أصناف المجسمة عموماً.

وسبب تسمية الذين يُدخلون في العقيدة ما ليس منها بالحشوية: أن طائفة من أسلافهم حضروا مجلس الحسن البصري بالبصرة، وتكلموا بالسقط عنده فقال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة ـ فتسامع الناس بذلك وسموهم (الحشَوية)

---

١ . عنوان المجد ١/ ١٦٩ ـ ١٧٠

٢ . من المعلوم أن الوهابية اليوم يسيطرون على أغلب القنوات الفضائية العربية حتى الماجنة منها، وكذلك الإعلام المقروء، ومن لا يتبع هواهم حاربوه!

٣ . أمثلة ذلك كثيرة تتابع في تقارير الهيئات العربية والغربية لحقوق الإنسان؛ كتقارير اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان في الخليج والجزيرة العربية المجموعة في كتاب (حقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية) حيث يعذِّب الناس بسبب انتماءاتهم المذهبية، وقد ذكرنا بهذا الكتاب ما فعلوه مع الشيخ محمد بن علوي المالكي، ولتعلم مدى التسلط المذهبي فإن الشافعي لا يستطيع أن يقنت في صلاة الفجر في مساجد الوهابية وإلا لناله الأذى، ونحن لسنا بصدد الحكم على مدى صحة رأيهم ولكننا نبيّن مواقفهم من المذاهب الأخرى.



بفتح الشين ويصح إسكانها ـ وناسبهم لقولهم بالتجسيم، لأن الجسم محشو، فالحشوية هم الذين حادوا عن التنزيه، وتقولوا على الله بأفهامهم المعوجَّة[١].

يقول الشيخ محمد زاهد الكوثري (وكان أهل الحق يلقبونهم بألقاب تكشفهم لمن لا يعرفهم: بالمشبهة لتشبيههم الحق تبارك وتعالى بخلقه في وصفه بما هو من خواص الخلق. وبالمجسمة لقولهم في الله تعالى بالاتصاف بما هو من لوازم الجسم لزوماً بينا.. وبالحشوية نسبة إلى الحشو بسكون الشين، وهو اللغو الذي لا اعتبار له، فضلا عن أن يكون منسوباً إلى الله وإلى رسوله، أو مذهباً يدان لله تعالى به...)[٢].

والحشوية يرفضون النظر إلى غير ظاهر النص فهم ظاهرية لا ينظرون إلا إلى القشور، ولا يمانعون تسميتهم بذلك، بل العجب أن ابن تيمية لا يمانع من تسميته وأصحابه حتى بالمشبهة إذ يقول: (**اسم المشبهة ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين**)[٣] اهـ.

بل ولا يمانع ابن تيمية أن يكون من المجسمة أيضاً إذ يقول: (**ولم يذم أحد من السلف أحداً بأنه مجسِّم، ولا ذمَّ المجسِّمة**)[٤]!!

وسيأتيك في هذا الكتاب بإذن الله ما يشرح صدرك بما يثبت استحقاق الوهابية لهذه التسميات بل ولما هو أعظم، أما تسميتهم أنفسهم بالسلفية فلنا معها الوقفة التالية:

---

١ . العلامة محمد أبو زهرة، في كتابه (ابن تيمية) ص ١٣٩ ـ ١٤١. والشيخ منصور محمد عويس في كتابه (ابن تيمية ليس سلفياً) ص٤٦ ـ ٢٤٧

٢ . نقلاً عن محمد الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ص ٩٩

٣ . ابن تيمية، التأسيس في رد أساس التقديس، ١/ ١٠٩.

٤ . ابن تيمية، التأسيس في رد أساس التقديس، ١/ ١٠٠

خرافة الالتزام بفهم السلف[1]

يدَّعي الحشوية بأنه يجب فهم الكتاب والسنة بفهم السلف، وهم بذلك يعتبرون فهم السلف من الأدلة الشرعية الواجب اتباعها وهذا يتضمن مغالطتين:

أن السلف غير متفقين في فهم المسائل فليس لهم مذهب موّحد معروف حتى يصح أن يقال مذهب السلف أو فهم السلف أو يجب فهم الأمور بفهم السلف وسترى بعد قليل إن شاء الله تعالى أمثلة اختلاف السلف في مسائل عقائدية وغير عقائدية في فصل خاص وبالله التوفيق[2].

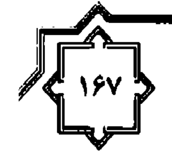
وهؤلاء الذين يدعون الناس إلى فهم السلف نراهم ينافرون فهم الأئمة الأربعة للمسائل الشرعية ويَحُثُّون إما على تقليدهم في فهمهم للأمور أو على فهم أناس بعد القرون الثلاثة المسماة بقرون السلف!!

والمغالطة الثانية: أنه ليس في الكتاب والسنة دليل يفيد أنه يجب تعطيل

---

١ . منقول نصاً من كتاب صحيح شرح العقيدة الطحاوية للشيخ حسن بن علي السّقاف مع بعض التصرف.

٢ . يذكر الشيخ السقاف أمثلة على ذلك بداية من ص ٢١٦ كالاختلاف في خلق القرآن بين الإمام أحمد والحافظ الكرابيسي وكيف تحولت صداقتهما إلى عداوة، وكيف وافق البخاري ومسلم وابن كُلاّب وأبو ثور وداود بن علي وغيرهم الحافظَ الكرابيسي في أن التلفظ مخلوق، ثم يقول: بأي فهم من هذه الأفهام نأخذ؟! وبأي من هذه الآراء نتمسك؟! الجواب: لا بد أن نترك هذه الأفهام ونرجع إلى الكتاب والسنة واللغة ونستعمل عقولنا لنفهم ونتدبر الأمر فسيتضح لنا ساعتئذ الصواب، فنعرف آنذاك من أصاب ومن أخطأ فالرجوع حقيقةً لفهمنا لا لفهم السلف. ويذكر اختلاف السلف في رؤية سيدنا محمد ﷺ لله تعالى ليلة الإسراء، واختلافهم في الرؤية يوم القيامة، والميزان، واختلافهم في التأويل والتفويض، والإرجاء، والخروج على الأئمة، واختلافهم من هو أفضل من الصحابة.



العقول التي وهبنا الله سبحانه وتعالى إياها وفهم الكتاب والسنة بفهم غيرنا ما دام أن المرء وصل إلى درجة الفهم والاجتهاد!!

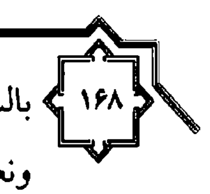
بل نقول لهؤلاء: إن النصوص الشرعية تخاطبنا مباشرة لنفهم أوامر الله تعالى ونواهيه دون تحريف أو ليٍّ لها، فقول الله تعالى في آيات كثيرة مثلاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عام يشمل السلف والخلف والمتقدم والمتأخر إلى قيام الساعة.

بل يقطع الشغب في هذه المسألة قوله تعالى ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ هو صريح بأن علم أولي الاستنباط أو فهمهم وهم المجتهدون في كل عصر ومصر معتَبَر، ولم يُخَصَّ ذلك بالسلف، حيث لم يقل بأن أهل الاستنباط من السلف هم الذين يعلمون الأحكام ويفهمونها دون غيرهم من الخلَف، وفي هذا دليل واضح على هدم الاستدلال بفهم السلف وجعله أحد الأدلة الشرعية، بل الصواب أن يقال: إن فهم المجتهدين سواء كانوا من الخلف أو السلف معتبر شرعاً بالنسبة للعامي الذي لم يتأهل لفهم الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة، وإجماع هؤلاء المجتهدين في أي عصر من العصور سواء في زمن السلف أو الخلف هو معتبر شرعاً وهو من الأدلة الشرعية، وما سوى ذلك هذيان!!

ثم إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ ولم يقل ردوه إلى فهم السلف لهما!!

ويؤيد هذا ما جاء في صحيح البخاري (١/ ٢٠٤) وغيره عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي (كرم الله وجهه) هل عندكم كتاب؟ قال: «**لا إلا كتاب الله أو فهم أُعطيِهِ رجل مسلم...**».

قلت: ولم يقيد ذلك بالسلف فلم يقل إلا فهم السلف للكتاب والسنة!! بل قال «**فهم أعطيه رجل مسلم**» وهذا يعم المسلمين في كل عصر ومصر ولا يختص



بالسلف!! فمن تأهل للفهم كان له ذلك وليس لأحد أن يلزمه بفهم السلف!! ونعتقد أن القائلين بوجوب اتباع فهم السلف متخابطون متناقضون في هذه المسألة[1]!!

وجاء في الحديث الصحيح «**مَثَلُ أُمتي مثَلُ المطر، لا يُدرى أوَّلُه خيرٌ أم آخِرُه**»[2].

وقال الحافظ ابن الجوزي في (دفع شبه التشبيه) ص (١١١): «وقد سئل الإمام أحمد عن مسألة فأفتى فيها فقيل له: هذا لا يقول به ابن المبارك، فقال: ابن المبارك لم ينزل من السماء»!!

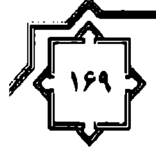
قلت (أي الشيخ السقاف): أي أن فهم السلف ليس بحجة يلزمنا العمل بها فانظره. اهـ النقل.

نعم، إن الإيمان بوجوب السير على ما فهمه الأولون من غير تفكر ولا تدبر ولا نقد ما هو إلا تعطيل صريح للعقل وإن نفى الوهابية ذلك! فخلاصة الفكرة

---

١ . يتخبّط أدعياء السلفية، حيث يقولون دائما: يجب أن نفهم القرآن والسنة على فهم السلف، بينما يقول أحد متعصبيهم في كتابه (الإنصاف في أحكام الاعتكاف) ص ٣٥، طبع المكتبة الإسلامية / عمان/ الأردن / ط١: (زد على ذلك أننا لسنا متعبدين بفهم أحد كائنا من كان، سواء كان ابن مسعود أم غيره، إنما نحن تعبدنا بنص رسول الله ﷺ) لاحظ أنهم (لا يترددون في الانتقاص من أصحاب رسول الله ﷺ حين لا يوافق قول الصحابة هواهم) وكذلك يذكرون نص الحديث الذي يمكنهم التلاعب فيه بالتصحيح والتضعيف، و لا يذكرون القرآن الكريم الذي لا يمكنهم التلاعب فيه البتّة!!

٢ . رواه أحمد (٣/ ١٣٠) والترمذي (٥/ ١٥٢ برقم ٢٨٦٩) وقال (حسن غريب من هذا الوجه) قال السيد الحافظ أحمد الغماري في (فتح الوهاب) (٢/ ٣٣٥): «وقال الحافظ في الفتح: هذا حديث حسن، له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة» انظر الفتح ٦/ ٧٠) وهناك الجمع مع باقي الأحاديث في هذا الموضوع.



تقول: إنّا قد كُفينا مؤونة التفكير والتدبر، فالسلف قد فكَّروا وقرروا، وما علينا إلا اتباعهم، فهم لن يكونوا إلا على الصواب! مع العلم بأن فكرة التسليم للسابقين فكرة حاربها القرآن وسخِر من معتنقيها بقوله حكاية عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ فهؤلاء مثلهم، حيث رفضوا التفكير فعطَّلوا عقولهم عن فهم النص، وسلَّموا لعقول السابقين ولنُقول اختلط فيها الحق بالضلال!

أخي القاريء الكريم: أما وقد عرفت شيئاً عن الحركة الوهابية وتسمياتها وادعائها السير على منهج السلف وبيان فساد ذلك، فلا بدَّ من معرفة شيء عن مؤسس هذه الحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب..

محمد بن عبدالوهاب

ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي[1] الذي ينسب إليه مذهب الوهابية بقرية العيينة من بلاد نجد سنة ١١١٥هـ[2] وتوفي سنة ١٢٠٦هـ[3]؛ فيكون بهذا عمره قد جاوز التسعين سنة. نشأ الشيخ في بيئة يصفها ابن بشر بأنها قد فشا فيها الشرك[4] وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذرة لها والاستعاذة بالجن والذبح لهم ووضع

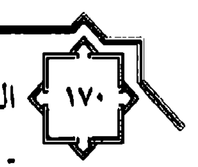
---

١ . نسبناه إلى تميم على حد زعم أتباعه.

٢ . يوافق (١٧٠٣م) التعليقات على كشف الشبهات، و د. محمد كامل ضاهر، الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، ص٣٣. أما رواية الشيخ أحمد دحلان فتذكر أن ميلاده كان سنة (١١١١هـ) فيكون الشيخ قد قارب عمره القرن من الزمان.

٣ . يوافق (١٧٩٢م) أحمد بن زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص ١٤٧، ويراجع د. محمد كامل ضاهر، الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، ص٥٢.

٤ . نحن لا نعتقد الشرك في أهل نجد ولكننا نورد أقوال الوهابية في قومهم.



الطعام لهم وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم[١]، وقد تعلم الشيخ على يدي والده القاضي[٢] المبادئ الأساسية والفقه على مذهب الإمام أحمد، وتردد على مكة والمدينة فجالس الشيخ محمد ابن سليمان الكردي، والشيخ محمد حياة السندي[٣] وغيرهما، ثم ارتحل إلى البصرة وعاد منها مطروداً كما يقول ابن بشر[٤].

لم يتمكن الشيخ من مواصلة تعليمه على أحد من العلماء نتيجة لتفرسهم الإلحاد فيه لشدَّة مآخذه على أئمة المسلمين وعامتهم وجرأته على الفتيا، وهذا أمر ظاهر في أقوال الشيخ وأفعاله حتى بعد مشيبه فهو يقول في إحدى رسائله بكل وضوح: (**ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البعث فيهم أكثر ممن يقر به**)[٥] فهو يجزم بشرك أهل نجد والحجاز ـ ومنها الحرمين الشريفين ـ بكل وضوح، ولا عجب ممن يعتقد مثل هذا في المسلمين أن يستحل دماءهم، وهذه الجرأة هي التي قادت أساتذته من علماء الحرمين أن يقول فيه: (سيضل الله تعالى هذا، ويضل به من أشقاه من عباده)[٦] فكان الأمر كذلك، وكان الشيخ الكردي أول من ألَّف في الرد عليه كما سيأتي، ومما أثار أباه عليه ولعه بمطالعة أخبار مسيلمة وسجاح وطلحة الأسدي وأضرابهم فطرده وأخذ يحذر الناس منه، ولما استفحل أمره بعد عودته من البصرة ووفاة أبيه الذي نهاه عن إظهار

---

١ . ابن بشر، عنوان المجد ١/ ٦

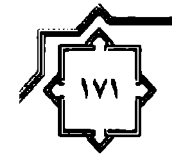
٢ . ابن بشر ١/ ٦

٣ . عثمان بن بشر، عنوان المجد، ١/ ٢٦

٤ . ابن بشر، عنوان المجد، ١/ ٨، و الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة، ٦٠

٥ . الرسائل الشخصية، الرسالة ٣٤، ص ٢٣٥.

٦ . جميل صدقي الزهاوي، الفجر الصادق، طبعة مصر سنة ١٣٢٣، ص١٦.



عقائده في حياته نتيجة لتطرفه[١] تولى أخوه الشيخ سليمان أمر الردِّ عليه فألف كتابين يفنِّد فيهما مزاعمه كما سيأتي.

والحق إنه كان للبيئة النجدية الغارقة في الجهل التي نشأ وعاش فيها الشيخ، والمستوى التعليمي الذي كان لا يرقى به إلى مصاف العلماء نتيجة عدم مواصلة تعليمه[٢]، ولشخصيته الثورية التي لا تؤمن بالمسلَّمات الأثر الأكبر في تحديد مسيرته ومنهجه الناقم على كلِّ شيء في ديار المسلمين لا يتطابق مع ما آمن به من ثوابت. ولقد كان الشيخ محقاً في بعض مبادئه ولكن أغلبها الأعم كان فيه على الباطل، وفي مقدمة تلك المبادئ سرعة رميه للمسلمين ـ داخل نجد وخارجها ـ بالشرك الأكبر لأتفه الأسباب حتى استحل بذلك دماءهم وأموالهم؛ فلم يكن بين فكره وفكر الخوارج ثمَّة فرق كبير.

---

١ . يشير إلى ذلك ابن بشر في عنوان المجد ١/ ٨ بقوله: (فلما أن الشيخ محمد وصل إلى بلد حريملا جلس عند أبيه يقرأ عليه وينكر ما يفعل الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات حتى وقع بينه وبين أبيه كلام، وكذلك وقع بينه وبين الناس في البلد فأقام على ذلك سنين حتى توفي أبوه عبدالوهاب في سنة ١١٥٣ ثم أعلن بالدعوة)!! ولا يمكن لعاقل أن يصدق أن الذي أنكره عليه أبوه القاضي المسلم المتفقه على مذهب الإمام أحمد وأهل البلد هو إنكار الشيخ محمد لما يفعله الجهال من البدع والشرك، وإلا فبئس القاضي العالم كان، ولكن ما يدعو إليه الابن كان تطرفاً يستبيح دماء الموحدين كما سيأتي في أفعاله وتاريخ مذهبه. وهل يسع الشيخ محمد السكوت عن إنكار الشرك لنيل رضا والده ـ وفي حياته فقط ـ مع أن إنكار الشرك والردّة واجب لا يسقطه سخط الوالدين ورضاهما، وما الذي يدريه بأنه كان سيعيش بعد والده لإنكار الباطل!!

٢ . ويعترف بشيء من هذا الدكتور محمد المسعري على استحياء في الملحق الأول من الدولة السعودية الأولى: تساؤلات حول الشرعية؟! في كتاب «الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية» المنشور على موقعه بالشبكة العالمية: (فالشيخ ﵀ لم يكن قط من كبار العلماء المجتهدين، ولكنه كان من الحركيين الناشطين) وهو اعتراف واعٍ من الشيخ المسعري الذي يؤمن بكثير من المبادئ الوهابية.

العودة من البصرة:

عاد الشيخ من البصرة كما يقول ابن بشر مطروداً من أهلها!! وكان في نيته الذهاب إلى بلاد الشام لولا أنه كاد أن يهلك عطشا[١]!! فاتجه إلى بلد (حريملاء) فوقع بينه وبين أهلها نزاع بسبب آرائه فنهاه أبوه[٢] عن ذلك فسكن إلى أن مات أبوه بعد سنتين أي عام ١١٥٣هـ، فتجرأ على إظهار عقائده التي ترمي أهل الإسلام بالشرك، وتبعه حثالة من الناس إلى أن غص أهل البلد من مقالاته فهموا بقتله فانتقل من حريملة إلى العيينة[٣] البلدة التي ولد فيها.

التحالف الأول:

بعد طرده من حريملاء تحالف الشيخ مع أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر، وقال له (إن نصرتني ملكت نجداً)[٤] فزوَّجه الأمير من ابنة عمه الجوهرة بنت عبدالله بن معمر؛ فقال الشيخ للأمير (**إني آمل أن يهبك الله نجداً وعربانها**)[٥]!! ولك أن تتأمل في هذا الكلام وتُحَلِّل شخصية قائلها على ضوئها، فقيمة المسلمين في نظر شيخ الإسلام الذي جاء ليحرر البشرية في جزيرة العرب من نير الشرك وأغلال الضلال لا تتجاوز أن يكونوا عبيداً يوهبون وأرضهم للسادة الأمراء؛ ولكن الأمير لم يلبث أن طلب منه الخروج من أرضه بعد أن وقع تحت ضغوط من الأمراء المجاورين وإصرار قائد الإحساء والقطيف

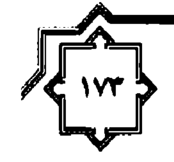
---

١ . ابن بشر، عنوان المجد ١/ ٨

٢ . وكان أبوه قد انتقل إليها من العيينة سنة ١١٣٩هـ كما يروي ذلك ابن بشر (١/ ٨)

٣و٤ . حسين بن غنام، تاريخ نجد.

٥ . روى هذه المقالة شيخ الوهابية الكبير وثقتهم الحجة عبدالله فيلبي في كتابه (تاريخ نجد) ص ٣٦، من منشورات المكتبة الأهلية ببيروت. وانظر أيضا ابن بشر، عنوان المجد، ١/ ٩



سليمان بن محمد بن غرير الحميدي[١] وأهل حريملاء والبصرة على قتله لإثارته القلاقل والفتن.

هذا ولا يبعد أن يكون ابن معمّر قد اكتشف الوجه الحقيقي لابن عبدالوهاب فطرده مما دعى الشيخ للمبادرة بقتله ساعة أن تمكّن في الدرعية.

التحالف مع ابن سعود:

التجأ الشيخ بعد طرده من العيينة سنة ١١٥٨هـ[٢] إلى أمير الدرعية[٣] محمد بن سعود فتبايعا على أن تكون لابن سعود السلطة السياسية ولابن عبدالوهاب السلطة الدينية، بالشروط الثلاثة التالية:

(أولاً: ألا يتعرض الشيخ لما يأخذه ابن سعود من الأموال من أهل الدرعية وغيرهم ممن يخضع لسلطانه. وقد اختلفت الروايات في قبول الشيخ لهذا الشرط إلا أن الثابت من رواية ابن بشر ـ وهو ثقة[٤] ـ أنه قبل هذا الشرط، وبرّر ابن بشر ذلك بأنه كان (رجاء أن يخلف الله من **الغنيمة** (!!) مايغني عن تلك المكوس والضرائب غير الشرعية).

ثانياً: أن تكون الإمارة ـ أي الملك والسلطان ـ في محمد بن سعود وأولاده، أى أن تكون الإمارة وراثية، وأن يكتفي الشيخ وأبناؤه وتلامذته وغيرهم من العلماء، بالمشيخة والفتيا، أي بالشؤون الدينية[٥].

---

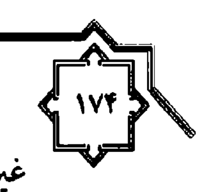
١ . كان عثمان يأخذ خراجه من صاحب الإحساء.

٢ . ابن بشر ١/ ١٥

٣ . قرية صغيرة في وادي حنيفة قرب الرياض.

٤ . ثقة عند الوهابية فقط.

٥ . يقول المسعري: (وهذا يذكرنا بالاتفاق بين امبراطور الروم قسطنطين مع أساقفة النصارى في القرن الرابع الميلادي على جعل الدين (أي شؤون الآخرة والروح) من اختصاص البابا رئيساً للنصارى، والملك (أي شؤون الدنيا) للأمبراطور، وفي مقابل ذلك يدخل النصارى جميعاً تحت طاعة الإمبراطور وينخرطوا في جيشه ويدافعوا عن عرشه) نفس المصدر اللاحق.



ثالثاً: أن يلتزم الشيخ بالبقاء تحت راية بيت آل سعود فلا يخرج داعيا إلى غيرهم، ولا يرتحل عنهم)[١].

وما كان من الشيخ بعد ذلك إلا أن وعد حليفه الجديد بالفتوحات والغنائم[٢]!

بداية الإغارة على المسلمين:

لقد كان الشيخ محمد شخصياً هو الذي يجهز الجيوش[٣]، وقد سارت أول سرية للإغارة على المسلمين في بلاد الجزيرة بمباركة الشيخ حيث يقول مؤرخ الوهابية عثمان بن بشر النجدي: (ثم أمر الشيخ ـ أي محمد بن عبدالوهاب ـ بالجهاد وحضهم عليه فامتثلوا، فأول جيش غزا سبع ركايب، فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا من أكوارها لأنهم لم يعتادوا ركوبها، فأغاروا أظنه على بعض الأعراب فغنموا ورجعوا سالمين)[٤] ونحن نتساءل عن الموجب للإغارة على هؤلاء الأعراب؟! وما هو المسوغ لأخذ مالهم غنيمة؟!

وجوب الهجرة إليه:

ألزم ابن عبدالوهاب من دخل في مذهبه أن يهاجر إليه في نجد، وهي بدعة لم يسبقه إلى انتحالها سوى نافع بن الأزرق، وكان أول من بيّن فساد رأيه في ذلك

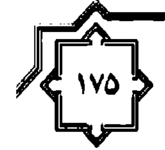
---

١ . الدكتور محمد عبدالله المسعري في الملحق الأول من الدولة السعودية الأولى: تساؤلات حول الشرعية؟! في كتاب «الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية» المنشور على موقع المسعري على الشبكة العالمية، وقد ناقش فساد هذه الشروط مناقشة واعية فلتراجع هناك.

٢ . ابن بشر، عنوان المجد، ١/ ١٢.

٣ . عنوان المجد، ١/ ٩١

٤ . ابن بشر، عنوان المجد، ج١ ص ١٤ ـ ١٥



أخوه الشيخ سليمان بن عبدالوهاب في كتابه (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) وشرح له حديث «**لا هجرة بعد الفتح**»[١] والحث على الإقامة في المدينة وفساد الرأي بالهجرة منها[٢]، وقد اعترف بهذه الهجرة ابن بشر حيث يقول: (**ولما هاجر من هاجر إلى الدرعية** واستوطنوها كانوا في أضيق عيش وأشد حاجة وابتلوا ابتلاء شديداً فكانوا في الليل يأخذون الأجرة ويحترفون وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة)[٣]!!! ويقول: (وكان الشيخ رحمه الله **لما هاجر إليه المهاجرون**، يتحمل الدَّين الكثير في ذمته لمؤونتهم وما يحتاجون إليه)[٤].

تقواه وورعه:

نسرد هنا أمثلة بسيطة من أفعاله وأقواله التي يستحق مرتكبها النار والعياذ بالله، تحقيقاً لحكم الله سبحانه في قاتل المؤمن متعمداً بغير حق، والمحارب لأنبياء الله، وإلا فإن تاريخ قدوة الوهابية هذا زاخر بدماء المسلمين والتطاول على نبيهم:

١ . قال الشيخ أحمد زيني دحلان: (وكان محمد بن عبدالوهاب ينهى عن الصلاة على النبي ﷺ ويتأذى من سماعها وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنائر، ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب، حتى إنه قتل رجلاً أعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي ﷺ في المنارة بعد الأذان فلم ينته وأتى بالصلاة على النبي ﷺ فأمر بقتله

---

١ . الصواعق الإلهية ص ١٢٣

٢ . الصواعق الإلهية ص ١٢٤ وما بعدها.

٣ . عنوان المجد ١/ ١٣

٤ . عنوان المجد ١/ ١٥ العجيب أن بعض الوهابية اليوم يحاولون طمس هذه الحقيقة بنكرانها!!

فقُتِل، ثم قال: إن الربابة في بيت الخاطئة: يعني الزانية أقل إثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي ﷺ في المنائر، ويُلبس على أصحابه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد. فما أفظع قوله وما أشنع فعله)[١] اهـ.

٢ ـ هجم محمد بن عبدالوهاب على بلدته الأصلية العيينة فجعلها قاعاً صفصفاً؛ حيث اغتال حاكمها عثمان بن حمد بن معمر في مصلاه بالمسجد يوم الجمعة وسماه مشركا، وهو كما قالت عاتكة:

شَلَّت يمينك إنْ قتلتَ لمسلماً — حَلَّتْ عليك عقوبةُ المتعمِّد

ثمَّ قتل رجالها كلهم وهدم بيوتها وأحرق أشجارها وقطع نخيلها واستولى على النساء والحيوانات وتركها خرابا، وحرَّم بناءها أو سكناها منذ مئتي سنة وزعم كذباً وفجوراً أن الله أرسل للعيينة الجراد فأكلها عن آخرها![٢]

٣. وكان يتطاول في مجالسه على المقام النبوي (فيقول: نظرت في صلح الحديبية فوجدت بها كذا وكذا، إلى غير ذلك مما يشبه هذا حتى إن أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك أيضاً ويقولون مثل قوله بل أقبح مما يقول ويخبرونه بذلك فيُظْهِر الرضا وربما أنهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى به..)[٣]، فهل من غرابة بعد هذا أن ينقل الناس عنه أنه كان يدّعي النبوة وإن لم يجاهر بها[٤]؟!

أمانته:

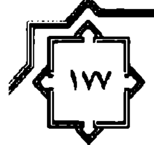
يقول مؤرخهم عثمان بن بشر النجدي في كتابه (عنوان المجد في تاريخ

---

١ . أحمد بن زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص١٤٢.

٢ . وقد فصلنا الحديث في هذا الموضوع في مقالتنا (استباحة دماء المسلمين في المساجد) ونقلنا أقوال محمد بن عبدالوهاب حرفية هناك فلتراجع.

٣و٤ . دحلان، الدرر السنية، ص١٤٤.



نجد)[١]: (وكان الشيخ ﷺ لما هاجر إليه المهاجرون[٢]، يتحمل الدَّين الكثير في ذمته لمؤونتهم وما يحتاجون إليه، وفي حوائج الناس وجوائز الوفود إليه من أهل البلدان والبوادي، ذكر لي أنه حين فتح الرياض وفي ذمته أربعون ألف محمدية[٣] فقضاها من غنائمها)[٤] مع أن أهل الرياض كانوا حنابلة لكنهم استباحوا أموالهم، فترى أنه قضى أربعين ألف محمدية من أموال أهل الرياض، كيف استباح الشيخ ذلك من هؤلاء الناس؟! أليسوا أهل عقيدة؟! ألا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله؟! أما في كلمة «لا إله إلا الله» عاصم لهؤلاء؟! ثم قال: (وكان لا يمسك على درهم ولا دينار، وما أوتي إليه من الأخماس) ولنقف عند كلمة الأخماس، فإنه لا يخمَّس إلا ما يغنم من مال المشرك أما مال المسلم فلا يخمس بأي حال من الأحوال.

يقول: (وما أوتى إليه من الأخماس والزكاة يفرقه في أوانه، وكان يعطى العطاء الجزيل بحيث إنه يهب خمس الغنيمة العظيمة للاثنين أو الثلاثة، فكانت

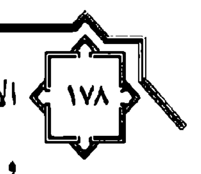
---

١ . الشيخ عثمان بن بشر (١٢١٠ ـ ١٢٩٠هـ) يعد من أبرز مؤرخي الوهابية يثنون عليه وعلى كتابه، وقد أرخ في (عنوان المجد) لأهم الأحداث التي مرت على الحركة الوهابية خلال مائة عام (١١٥٨ ـ ١٢٦٨هـ). ومن مؤرخي الوهابية كذلك الشيخ حسين بن غنام صاحب (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام) و (كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية)، وهو من فقهاء الإحساء وشعرائها ويعد تاريخ ابن غنّام أقدم وثيقة تاريخية وهابية لتقدمه على ابن بشر، الذي ذكر وفاته وآثاره في تاريخه ولكن يظهر أنه لم يطلع على تاريخه لعدم ذكره له لا في آثاره ولا عندما ذكر ما طالعه مما دوِّن في تاريخ نجد (عنوان المجد ١/ ٥) مع اتفاق بين الشيخين في الأحداث والتواريخ إلا في بعض المواضع.

٢ . الهجرة إلى حيث قرن الشيطان!

٣ . عملة نقدية

٤ . عنوان المجد ١/ ١٥



الأخماس والزكاة وما يجبى إلى الدرعية من دقيق الأشياء وجليلها تدفع إليه بيده، ويضعها حيث يشاء)[١]. أليس هذا وبكل وضوح هو أسلوب عصابات اللصوص قطّاع الطرق الذين يتقاسمون المسروقات بعد كلّ غارة؟!

بل وكان من عادة ابن عبدالوهاب وأتباعه أسر النساء والأطفال، وقد انتشرت سرقة الأطفال في أرض الجزيرة العربية وبيعهم في أسواق نجد بعد ظهور الوهابية[٢].

من أفعال الشيخ:

كان يمنع أصحابه من مطالعة كتب التفسير والفقه والحديث ويحرقها، وينكر علم النحو واللغة ويقول إن ذلك بدعة![٣].

وكان يأذن لأتباعه أن يفسّروا القرآن بحسب أفهامهم بلا التفات إلى القواعد الصرفية والبيانية والمنطقية، ويقول لعماله: *اجتهدوا بحسب فهمكم ونظركم واحكموا بما ترونه مناسباً لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب التي فيها الحق والباطل*[٤].

وإذا أراد أحد أن يدخل دينه يقول له بعد الإتيان بالشهادتين: *(اشهد على نفسك أنك كنت كافرا، واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين، واشهد على فلان وفلان ـ ويسمّي له جماعة من أكابر العلماء الماضين ـ أنهم كانوا كفارا)* فإن

---

١ . عنوان المجد ١/ ١٥

٢ . وقد حكى ذلك المؤرخ المعروف صاحب الهوى الوهابي عبدالرحمن الجبرتي في كتابه (تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار) ونقلنا ذلك عند الحديث عن غزو الطائف.

٣ . وهذا من أسرار تخلف الوهابية لغة.

٤ . وهذا الاجتهاد المطلق الذي ناله عمال الشيخ كان سبباً من أسباب البلاء حين استباحوا دماء الموحدين!



شهدوا قَبِلَهم وإلا أمر بقتلهم. وكان يصرِّح بتكفير الأمة منذ ستمائة سنة[١].

وكان يكفِّر كل من لا يتَّبعه وإن كان من أتقى المتَّقين فيسمِّيهم مشركين، ويستحل دماءهم وأموالهم.

ويشهد بالإيمان لمن اتبعه وإن كان من أفسق الفاسقين.

ومن البدع التي أخرجها هو وقومه ترك العمائم، مع أنها من السنة، وهي تيجان العرب، فترى أتباعه اليوم شغلهم الأكبر في صلاتهم إصلاح الشماغ الأحمر الدموي المعبِّر عن اللهفة لإراقة الدماء! التي تنسدل على جباههم وجنوبهم.

عقيدته:

من استقراء مؤلفات الشيخ وسيرته وأصحابه يتبيَّن أن أهم ما يميز العقيدة التي دعا إليها الشيخ الأمور الخمسة التالية:

تجسيم الله سبحانه وتعالى وتشبيه بخلقه وفرية أنه متحيِّز في جهة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

دعوى محاربة عبادة القبور وتحريم التوسل بالنبي ﷺ وزيارته.

تكفير المسلمين ورميهم بالشرك.

استحلال دماء المخالفين وأموالهم.

وجوب الهجرة إليه في مبتدأ أمره[٢].

---

١ . العلامة أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ٢/ ٢٢٧، ط. استانبول عام ١٩٨٦م.

٢ . وما يحاول الوهابية التملص منه ـ من هذه الأمور ـ بعد بيان تهافته وفساده أثبتنا مصدره الموثوق في ثنايا هذا الكتاب ودللنا عليه بأمثلة من الواقع!

موقفه من الرسول ﷺ:

(كان ينتقص النبي ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة ويزعم أن قصده المحافظة على التوحيد؛ فمنها أن يقول: إنه (طارش)، وهو في لغة المشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم إلى آخرين، فمراده أنه ﷺ حامل كتب: أي غاية أمره أنه كالطارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر لأناس ليبلغهم إيَّاه ثم ينصرف.. حتى إن بعض أتباعه كان يقول: عصايَ هذه خير من محمد لأنها يُنتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً وإنما هو طارش وقد مضى)[١] هذا وما يزال أتباع الشيخ ينهون الناس عن قول (سيدنا) عند ذكر الرسول ﷺ!! وهذا من العجب العجاب، كيف لا ورسول الله ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[٢].

نظرة أصحابه إليه:

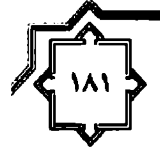
ينظر الوهابية إلى إمامهم نظرة تقديس فعندما يذكره ابن بشر مثلاً يقول (قدَّس الله روحه[٣]) ولا يقيسونه إلا بالرسول العظيم فيعتقدون أن ما حدث

---

١ . أحمد بن زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص ١٤٥.

٢ . رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة ورواه أحمد والترمذي وحسّنه وابن ماجه وابن جرير وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري. ورواه أحمد كذلك وأبو يعلى عن ابن عباس مرفوعاً، ونستشهد عليهم بمقولة أحد أصحاب تقديسهم من العلماء وهو ابن كثير في تفسيره (سورة الأعراف آية ١٤٥) حيث يقول: «ولا شك أن محمداً ﷺ سيّد ولد آدم من الأولين والآخرين» وكرر مثل ذلك في تفسير سورة الفرقان أية ٦٠ و ٦٧ وفي سورة العنكبوت أية ٢٧ وسبأ آية ٢٣، ولن يسعنا استقصاء إجماع الأمة عالمها وجاهلها بأن سيدنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ﷺ هو سيد الخلق أجمعين وإن أبى الوهابية.

٣ . ينظر مثلاً عنوان المجد ٢/ ٢٠ و ١٣٤



للرسول ﷺ حدث له وهم يقارنون بين محاولة اغتيال محمد بن عبدالوهاب وحادثة سراقة مع الرسول!! وهجرة ابن عبدالوهاب من حريملا وهجرة الرسول من مكة[١]!! فكانت حروبه التي تستبيح دماء المسلمين وأموالهم (جهاداً[٢]) وغاراته (غزوات) وانتصاراته (فتوحات) ورعاياه (مسلمين) والخروج على طاعته (رِدَّة)![٣] وكان الشيخ محمد يسمي جماعته من أهل بلده **الأنصار** ويسمّي من اتبعه من الخارجين **المهاجرين**، وإذا تبعه أحد وكان قد حجّ حجة الإسلام يقول له: حجَّ ثانيا فإنّ حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل، ولا تُسقط عنك الفرض[٤]! بل إن ابن عبدالوهاب بعد أن تحالف مع ابن سعود بدأ يكاتب شيوخ القبائل وأمراء المناطق ليدخلوا في الدين الجديد كما فعل الرسول ﷺ عندما أرسل الرسل إلى الملوك والحكام للدخول في الإسلام، يقول ابن بشر: (ثم إن الشيخ كاتب أهل البلدان بذلك ورؤساءهم وقضاتهم ومدعي العلم منهم فمنهم من قبل واتبع الحق، ومنهم من اتخذه سخريا واستهزؤا به ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة..)[٥] ثمَّ مثَّله بالرسول ﷺ وأنه قد أصيب بذلك أيضا.

---

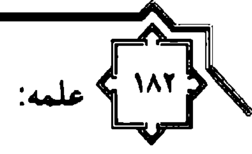
١ . ينظر محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه. ط السعودية. يهدى ولا يباع.

٢ . ابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٤

٣ . خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ١/ ٣٥ ـ ٣٦.

٤ . محمد فقيه بن عبدالجبار الجاوي، النصوص الإسلامية في الرد على مذهب الوهابية، ط. مصر عام ١٩٢٢، ص ٧ ـ ٨، والتقوي، الوهابية في خدمة من؟ ص ٩٩.

٥ . عنوان المجد، ١/ ١٤



علمه:

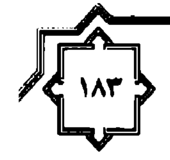
حينما تسمع بدعوى التجديد التي ينسبها أتباعه إليه تحسب أن هذا الشيخ قد ترك الكثير من النفائس الفكرية، وأنه قد ملأ المكتبة الإسلامية علماً ونورا، خصوصاً أن عمره قد طال حتى شارف القرن من الزمان، ولكن الحقيقة بخلاف ذلك تماماً فلا يوجد للشيخ متن واحد في العلم يصلح أن يدرس، ولم يترك كتاباً معتبراً، وإنما ترك نتفاً هي في أضخم أحوالها كتيبات[1]، وهي مع ذلك مليئة بالجهل والتخليط والانتصار بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وللدلالة على ذلك فقد اخترنا أشهرها لديهم وهو (كتاب التوحيد) وهو كتيِّب صغير، عرضنا بعض ما فيه من جهل وتخبيط يريك ما عليه شيخ النجدية من ضلالة وقلّة اطلاع.

من أقوال العلماء فيه[2]:

---

١ . يعمد الوهابية إلى طباعة رسائله ـ وأغلب مؤلفات الوهابية رسائل صغيرة! ـ في كتيبات صغيرة الحجم لتكثر أوراقها.

٢ . لمعرفة طائفة ممن ردَّ عليه من العلماء راجع محمد الكثيري، (السلفية بين أهل السنة والإمامية)، فقد ذكر عددا هائلا من الردود على الوهابية من صفحة ٣٦٤ إلى ٣٨٩ وهو في كل هذه الصفحات لا يذكر إلا أسماء الكتب ومؤلفيها، وكذلك التقوي، (الفرقة الوهابية في خدمة مَن؟) ص ٦٤ ـ ١٠٠، وقد ذكر طائفة طويلة من العلماء مع مقتطفات من كتبهم، منهم المشائخ محمد الكردي الشافعي في تقريظه لكتاب الشيخ سليمان بن عبدالوهاب، وعبدالله بن عبداللطيف الشافعي (تجريد سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد)، وعفيف الدين الحنبلي (الصواعق والرعود) في عشرين كرّاساً ولخصه محمد بن بشير قاضي رأس الخيمة، وابن عفالق الحنبلي (تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين)، وعطاء المكي (الصارم الهندي في عنق النجدي) وإسماعيل التميمي المالكي التونسي وصالح الكواش التونسي وابن غلبون الليبي ومصطفى المصري البولاقي والمشرفي المالكي الجزائري ومصطفى الحمامي المصري وسلامة العزامي ←



أقوال العلماء في هذا الزائغ لا يتسع لها مقالنا ولكن نورد التالي:

قال له أخوه سليمان يوما: كم أركان الإسلام يا محمد؟ فقال خمسة، فقال أنت جعلتها ستة، السادس: من لم يتبعك فليس بمسلم[1].

وقال عنه الأمير الصنعاني صاحب سبل السلام:

وقد جاء من تأليفه برسائل	يكفِّر أهل الأرض فيها على عمد
ولفق في تكفيرهم كل حجة	تراها كبيت العنكبوت لدى النقد

وصدق والله

وقال عنه مفتي الحنابلة في مكة المكرمة الشيخ محمد بن عبدالله النجدي الحنبلي (ت١٢٩٥هـ) في كتابه (السحب الوابلة عليضرائح الحنابلة) في ترجمة والد محمد بن عبدالوهاب ما نصه: (وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق، لكن بينهما تبايناً مع أن محمداً لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد موت والده وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمّن عاصر الشيخ عبدالوهاب أنه كان غضبان على ولده محمد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ويتفرس فيه أن يحدث منه أمر، فكان يقول للناس: يا ما ترون من محمد الشر، فقدر الله أن صار ما صار.. ثم قال عن تمجيده لابن تيمية

وحسن الشطي الحنبلي ومحمد حسنين مخلوف وعطا الكسم الدمشقي وعبدالعزيز القرشي المالكي وعبدالمحسن الأشيقري الحنبلي وأحمد السرهندي النقشبندي وخالد البغدادي وأحمد بن علي القباني البصري والحافظ محمد حسن الحنفي ومحمد عطا الله الرومي وإبراهيم الراوي العراقي وعيسى الصنعاني اليمني وحمد الله الداجوي الحنفي الهندي وعبدالرحمن قوتي ومحمد حبيب المحق قاضي برملي وإسماعيل التميمي التونسي وعبدالوهاب الشعراني ويوسف النبهاني الفلسطيني وعلي زين العابدين السوداني ومحمد أنور شاه الكشميري ومحمد أحمد حامد السوداني وابن عابدين الشامي ومحمد عبدالرحمن السلهتي الهندي.. الخ

١ . أحمد زيني دحلان، الدرر السنية، ص ١٣٧.

وابن القيم: .. يرى كلامهما نصاً لا يقبل التأويل، ويصول به على الناس.. وقال عن تسليم الله لأخيه سليمان من شره بعد أن ألَّف رسالته (فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبدالوهاب).. إنه كان إذا باينه أحد ولم يقدر على قتله مجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله) فكيف لمن كان هذا حاله أن يبرز في العلم وهو لم ينفر للتفقه في الدين، وكيف له أن يفلح عند الله وقد أغضب والده الصالح؟!

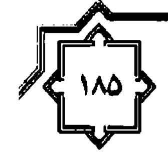
وقال عنه الشيخ محمد أمين بن عابدين الحنفي في رد المحتار على الدر المختار (٤/ ٢٦٢) كتاب البغاة عند حديثه عن الوهابية: (خرجوا من نجد وتغلَّبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون)

وقال عنه العلامة جميل صدقي الزهاوي في الفجر الصادق: (الوهابية فرقة منسوبة إلى محمد بن عبدالوهاب. وابتداء ظهور محمد هذا كان سنة (١١٤٣هـ)، وإنما اشتهر أمره بعد الخمسين فأظهر عقيدته الزائفة في نجد، وساعده على إظهارها محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب مجبرا أهلها على متابعة ابن عبدالوهاب هذا، فتابعوه، ومازال ينخدع له في هذا الأمر حي بعد حي من أحياء العرب حتى عمت فتنته، وكبرت شهرته، واستفحل أمره فخافته البادية. وكان يقول للناس: ما أدعوكم إلا إلى التوحيد، وترك الشرك بالله تعالى في عبادته، وكانوا يمشون خلفه حيثما مشى حتى اتسع له الملك)[1].

ـ وقال الشريف عبدالله بن الشريف حسين باشا في (**صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر**) الصفحة الأولى: إن ابتداء ظهور ابن عبدالوهاب ببدعته في

---

١ . جميل صدقي الزهاوي، الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق، ص١٦ ط مصر عام ١٣٢٣هـ.



نجد كان سنة ١١٤٣هـ ثم كان استيلاء الوهابيين على مكة سنة ١٢١٨هـ فتسمية الوهابيين بخوارج القرن الثاني عشر هي مبنية على ابتداء ظهور بدعتهم، لا على ابتداء استيلائهم الأول على مكة).

وقد رد كثير من أتباع الأئمة الأربعة عليه وعلى مقلديه بتآليف كثيرة جيدة:

وأول من ردَّ عليه أكبر أساتذته الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح ابن حجر على متن بافضل (وهو متن مشهور في المذهب الشافعي)، فقال في جملة من كلامه (يا ابن عبدالوهاب كفَّ لسانك عن المسلمين) والمؤسف أنه لم يكف لا لسانه ولا يده.

وممن رد عليه من الحنابلة: أخوه سليمان بن عبدالوهاب في كتابين تعرضنا لأحدهما.

ومن حنابلة الشام: آل الشطّي، والشيخ عبدالقدومي النابلسي في رحلته، أما من المعاصرين فعدد لا يحصى من العلماء.

وممن نص على خروجه من الملة:

العلامة المحقق ابن عابدين الحنفي في حاشيته (رد المحتار على الدر المختار) في باب البغاة، والشيخ الصاوي المصري في حاشيته على الجلالين لتكفيره أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله) برأيه.

انخداع الناس به:

لقد وجد الشيخ في نجد مرتعاً خصبا، حيث عشش الجهل فيها وباض، فسارت في ركابه رضاً وكرها، وتسامع الناس بدعوته التي تحول قطاع الطرق في نجد إلى دعاة للتوحيد وهدم القباب والقبور، فانخدع الكثير من البسطاء به، بل

وانخدعت به طائفة من العلماء الذين يسمعون به ولا يرونه لبعدهم عنه، مثلما انخدع الكثير من الناس بالطاغية أتاتورك، حتى قال فيه شوقي:

(يا خالد الترك جدِّد خالد العربِ)، وممن انخدع به العلامة الصنعاني صاحب سبل السلام، فقال فيه:

سلامٌ على نجدٍ ومن حلَّ في نجْدِ وإن كان تسليمي على البعد لايجدي

حتى إذا أتاه الخبر اليقين قال:

رجعت عن القول الذي قلت في النجدي فقد صحَّ لي عنه خلاف الذي عندي
ظننتُ به خيراً فقلت: عسى عسى نجِد ناصحاً يهدي العباد ويستهدي
لقد خاب منه الظن لا خاب نصحنا وما كل ظن للحقائق لي يهدي[١]

ومنها ما ذكرنا في مقالنا، وكذلك انخدع به السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار فألف كتابه الوهابيون والحجاز[٢]، وما ذلك إلا لكراهيته للأشراف[١]

---

١ . ما إن تنزل زلازل أقوال العلماء على رؤوس الوهابية حتى يحاولوا الهرب منها بادعاءات فارغة منها تراجع الرجل عمّا قاله أو افتراء المقولة عليه، ولا نستغرب ذلك منهم فهم كالغريق يتمسك لو بقشة، وإلا فإن رجلاً هذه أفعاله لم لا يقال فيه هذه الأبيات وأكثر؟! علماً أن لا حجة للوهابية في دعاويهم هذه فالعبرة في ثبوت ما ذكر في هذه القصيدة وأمثالها من النصوص وليس العبرة بقائلها أو توبته مما قاله.

٢ . دافع الشيخ عنهم كثيراً في مجلته المنار، حتى نفى قتلهم للأبرياء في الطائف، فلما استبان له اعتراف الوهابية أنفسهم بهذه المجازر في الجزيرة وغيرها قال (الوهابيون والحجاز ص٨٨): (إن وقع منهم خطأ فقد وقع ممن هم خير منهم كالصحابة الذين قتلوا جماعة أسلموا بأمر خالد بن الوليد)!! وهذا دفاع لا يقبل من الشيخ فالخطأ لا يقارن بتعمد القتل المتكرر في كل وقت وحين وبأمر القيادة العليا الصريح بل والمشاركة فيه فلا يذهبون لقتل الأبرياء إلا وقاض بين أعطافهم وكثيراً ما يكون هذا القاضي من أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب نفسه كما سيأتي. ولكن كما قلنا ففرط كرهه للأشراف الذين يسميهم بالطواغيت والخونة كان دافعه لتأييد أهل نجد ـ الذين لم تتبين ملامحهم الحقيقية كلها بعد ـ لأخذ الحجاز منهم، ولكنه لما تبين له اتفاق الوهابية مع ←



للأشراف[1] وحبه في زوال دولتهم، فليتنبه المسلم[2].

دعوى رجوعه إلى الحق:

بعد انقسام الوهابية اليوم إلى عدة جبهات، تدعي بعضها أن الشيخ قد استغلته السلطات كغطاء شرعي لتحقيق مآربها ولكنه تنبه لذلك لاحقاً فتاب مما كان عليه واعتزلهم، خصوصاً بعد أن رأى أن الأمر قد خرج عن دائرة الدعوة إلى قتل المسلمين وسرقة أموالهم وسبي نسائهم، وطلب الدنيا بتوسيع رقعة النفوذ بأي ثمن كان. وهذا الكلام مردود باطل لا يقوله إلا متابع للعاطفة لا للحقيقة، فإن الغارات وفرق الاغتيال من مبتدئها ما كانت تخرج إلا بمباركة الشيخ وتوجيهه وذلك باعتراف أشياع الشيخ، أما قعوده في آخر حياته فيوضحه مؤرخ الوهابية الشيخ عثمان النجدي بقوله (فلما فتح الله الرياض *واتسعت ناحية الإسلام* وأمنت السبل وانقاد كل صعب من بادٍ وحاضر جعل الشيخ الأمر بيد عبدالعزيز وفوض أمور المسلمين وبيت المال إليه وانسلخ منها ولزم العبادة وتعليم العلم، **ولكن ما يقطع عبدالعزيز أمراً دونه ولا ينفذه إلا بإذنه**)[3] هذه هي الحقيقة باعتراف الوهابية، وفي هذه المقالة أكثر من جانب للتحليل عن تواطؤ الشيخ على الإسلام والمسلمين، ويجب أن تتنبه إلى إشارة ابن بشر إلى

الإنجليز لأخذ الحجاز قال (ص١١١): (نعم، إننا نظن الآن أنه كان في الإمكان أن ينال صاحب نجد ما لا غنى عنه من تموين بلاده والاعتراف باستقلاله فيها بدون أن يقيد نفسه بما ذكر في هذه المعاهدة)

١ . ومن أسباب ذلك سماح شريف مكة للنصراني البريطاني (لورنس) بدخول الحجاز، ولو اطلع الشيخ رشيد رضا على حال الوهابية لرأى ما هو أقبح.

٢ . وانظر ما قاله عنهم بعد أن استبان حقيقتهم في آخر مقالنا (الحشوية والمجاز)!

٣ . عنوان المجد ١/ ١٥

اتساع رقعة الإسلام بفتح الرياض!! فإلى هذا التاريخ لم يدخل الوهابية مكة والمدينة أي أن الإسلام لم يدخلها بعد!!! هذا ومن المعلوم أن ذريته ويدعَون (آل الشيخ) هم سدنة هذا المذهب إلى اليوم فهم على آثار أبيهم سائرون[1].

هذا ولا بد هنا أن نعرِّف بأهم شخصيتين تأثر بهما الشيخ محمد في دعوته، وكانت مسيرته امتداداً لحركتهما الثورية المناهضة للمذاهب الأربعة؛ ألا وهما ابن تيمية وابن القيِّم..

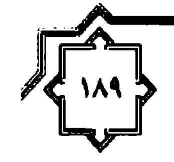
ابن تيمية الحراني

هو الشيخ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية حفيد الفقيه المجد بن تيمية الحنبلي المشهور، ولد في جزيرة ابن عمرو بين دجلة والفرات بحران[2] ببيت علم من الحنابلة سنة ٦٦١ هـ، وقد هاجر والده الشيخ عبدالحليم مع ذويه من هناك إلى دمشق خوفاً من التتار سنة ٦٦٧هـ.

تميَّز ابن تيمية بذكاء وقّاد وقدرة على جمع العلم والاستيعاب حتى نال ثناء الكثير من العلماء في أول أمره، قال الحافظ ابن حجر في ترجمة ابن تيمية (كان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنَّة واللغة والنظر مالا يقدر أحد أن يورده في عدة مجالس، كأن هذه العلوم بين عينيه، فيأخذ منها ما يشاء ويذر، ومن ثمَّ نسب أصحابه إلى الغلو فيه، واقتضى له ذلك العُجب بنفسه، حتى زها على أبناء جنسه، واستشعر أنه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم، قديمهم وحديثهم حتى انتهى إلى

١ . وهذا مما يدل على زيغ هذه الفرقة فمتى كان العلم وراثياً؟!

٢ . بلدة تقع في الشمال الشرقي من بلاد الشام، وقد كانت مركز الترجمة للكتب اليونانية.



عمر رضي الله عنه فخطأه في شيء... وقال في حقِّ علي أخطأ في سبعة عشر شيئاً خالف فيها نص الكتاب...)[1]

ولقد كان ابن تيمية بحقٍ إمام المدرسة الحشوية حتى قال فيه الإمام السبكي:

يُحاول الحشوَ أنَّي كان فهو لـه ... حثيثُ سيرٍ بشرقٍ أو بمغربـه

يرى حوادث لا مبـدا لأوَّلِها ... في الله سبحانه عـمَّا يُظنُّ بـهِ[2]

وقد أدَّى هذا إلى تخلِّي كثير من معاصريه من العلماء عنه كالتاج الفزاري المعروف بالفركاح وابنه البرهان والجلال القزويني والكمال الزملكاني ومحمد بن الحريري الأنصاري والعلاء القونوي وغيرهم خصوصاً بعد أن بدأ في إذاعة فتنه ولم يأبه بالنصح.

قال عنه المحدِّث الحافظ الفقيه وليُّ الدِّين العراقي في كتابه (الأجوبة المرضية على الأسئلة المكية): (علمه أكبر من عقله) وقال أيضاً (إنه خرق الإجماع في مسائل كثيرة قيل تبلغ ستين مسألة بعضها في الأصول وبعضها في الفروع خالف فيها بعد انعقاد الإجماع عليها). أ.هـ وتبعه على ذلك خلقٌ من العوام وغيرهم، فأسرع علماء عصره في الرد عليه وتبديعه، منهم الإمام الحافظ تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي، قال في (الدرَّة المضيئة) ما نصه: (أما بعد فإنه بعد ما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أمور العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسنة، مظهراً أنه داعٍ إلى الحق هادٍ

---

١ . ابن حجر، الدرر الكامنة (١/ ١٤٤). وقد نقلنا بعض هذه الأقوال في هذا الكتاب، يراجع موضوع (كره ابن تيمية لآل البيت)

٢ . السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٠/ ١٧٦، الصفدي (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، ٢١/ ٢٦٢.

إلى الجنة، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع، وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية في الذات المقدّس، وأن الافتقار إلى الجزء ـ أي افتقار الله إلى الجزء تعالى الله ـ ليس بمحال، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى...) واستمر في تعديد مخالفات ابن تيمية كالقول بقدم العالم، وقد أورد كثيراً منها أيضاً الحافظ أبو سعيد العلائي شيخ الحافظ العراقي نقل ذلك المحدِّث الحافظ المؤرخ شمس الدِّين بن طولون، ونقتطف منها ما يلي:

(ذكر المسائل التي خالف فيها ابن تيمية الناس في الفروع والأصول:

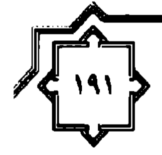
فمنها ما خالف فيه الإجماع، ومنها ما خالف فيه الراجح من المذاهب، فمن ذلك يمين الطلاق، قال بأنه لا يقع عند وقوع المحلوف عليه بل عليه كفارة يمين، ولم يقل بالكفارة أحد من المسلمين البتة...، وأن طلاق الحائض لا يقع وكذلك الطلاق في طهر جامع فيه زوجته[١]... وأن الحائض تطوف بالبيت من غير كفارة وهو مباح لها... وصرّح في بعض مؤلفاته بأن الله تعالى بقدر العرش لا أكبر منه ولا أصغر، وصنَّف جزءاً في أنَّ علم الله لا يتعلق بما لا يتناهى كنعيم أهل الجنة، وأنه لا يحيط بالمتناهي، ومنها أن الأنبياء غير معصومين... وأن عذاب أهل النار ينقطع ولا يتأبد... ومن أفْراده أيضاً أنَّ التوراة والإنجيل لم تبدل ألفاظها بل هي باقية على ما أنزلت وإنما وقع التحريف في تأويلها، وله فيه مصنَّف، هذا آخر ما رأيت، وأستغفر الله عن كتابته فضلاً عن اعتقاده)[٢] اهـ.

وهذه الشطحات تثير العجب! ولنضرب على ذلك بمثالين بسيطين من قوله؛ وهما طواف الحائض وتحريف التوراة والإنجيل؛ فكيف يؤتم بمن يخالف

---

١ . أقول إذاً فكم من بيت يبنيه أدعياء السلفية على الزنا والعياذ بالله!

٢ . ابن طولون، ذخائر القصر، ص٦٩ (مخطوط).



قوله صريح كلام رب العالمين بأن أهل الكتاب ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ فيأتي هذا الزائغ ليقول كلا إنَّ التوراة والإنجيل لم يحرفا؟! وكيف يؤتم بمن يخالف دلالة السنة[1] ويخالف إجماع الأمة في قولهم بأن الحائض لا تطوف بالبيت لأن الطواف صلاة فيأتي هذا ليقول بجواز طواف الحائض بالبيت؟!

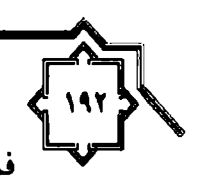
ولابن تيمية حادثة شهيرة في صحن المسجد الأموي ضربه الناس فيها بالنعال حيث يروي أبو الحسن علي الدمشقي عن أبيه قال: (كنا جلوساً في مجلس ابن تيمية فذكر ووعظ، وتعرض لآيات الاستواء ثمَّ قال: «واستوى الله على عرشه كاستوائي هذا» قال فوثب الناس عليه وثبة واحد وأنزلوه من الكرسي، وبادروا إليه ضرباً باللكم والنعال... الخ)[2]

---

١ . أخرج الربيع بن حبيب ج٢ ص ١٧٨ برقم ٤٤٠ في باب ما تفعل الحائض في الحج، والبخاري ١/ ٤٢٨ في كتاب الحيض، ومسلم برقم ١٣٢٨ في الحج عن عائشة أنها قالت: (قدمتُ مكة وأنا حائض، ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، قالت: فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: افعلي كما يفعل الحاجُّ، غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري) وروى البخاري «تَقْضِي الْحَائِضُ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا إِلا الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ.. وَقَالَ عَطَاءٌ عَنْ جَابِرٍ حَاضَتْ عَائِشَةُ فَنَسَكَتِ الْمَنَاسِكَ غَيْرَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ وَلا تُصَلِّي..» اهـ وروى نحواً منه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم.

٢ . روى القصة ابن بطوطة في رحلته ص ٩٥، فيدعي الحشوية اليوم أن القصة مختلقة فيسمونها «الكذبة البطوطية» وفي هذا دلالة على جهلهم بشيخهم فابن تيمية لم يؤدب بالسجن إلا على مثل هذه الأفكار فمن أين لهم نكران سجنه وأفكاره التي جاهر بها وتلميذه ابن القيم في كتبهما؟! ومن أين لهم إنكار ما جاء في كتب ابن تيمية من نسبة الحركة والنزول والجهة والمكان إلى الله ـ أستغفر الله ـ والجلوس على العرش مثل ما جاء في (منهاج السنة ١/ ٢٦٤ و٢/ ٢٦) و (الموافقة ٢/ ٥٠٤) و (مجموع الفتاوى ٥/ ٥٢٧ شرح حديث النزول ص ١٥١). هذا ومجاهرتهم بالعقيدة الفرعونية بأن الله في السماء ـ يسميها علماء المسلمين فرعونية لأن فرعون أول من قال بها ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ

←



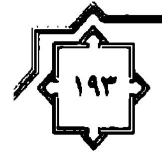
وكان الذهبي وهو من تلاميذ الشيخ ابن تيمية قد أعجب بذكائه وعلمه فمدحه في ريعان شبابه، وألف في تلك الفترة كتابه الفاسد (العلو) على منهج الشيخ الحراني، ثمَّ لما تبين له حاله وتحكم الكِبر والغرور به قال عنه في رسالته (بيان زغل العلم والطلب) ما نصه: (ما وجدت أَخَّره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذَّبوه وكفَّروه إلا الكِبر والعُجب وفرط الغرام في رئاسة المشيخة والازدراء بالكبار، فانظر كيف وبال الدعاوى وحبه الظهور، نسأل الله المسامحة)[١].

وقد كان ابن تيمية ينهج أساليب غريبة لنصرة مذهبه؛ أهمها:

(أ) تلفيقه لإجماعات وهمية للسلف لا وجود لها على أرض الواقع ليجعل رأيه في حكم المسلَّم به، وذلك كثير عجيب في كتبه؛ فمثلاً عندما يتحدث عن

مُوسَىٰ﴾ ولا نستغرب أن يقول الوهابية إن فرعون وافق الحق، أو إن موسى عليه السلام قال له ذلك فآمن بدعوة موسى! ـ والقول بأن الاستواء هو القعود على الكرسي ليس له تمثيل جيد إلا جلوس ابن تيمية على كرسيه، ولو كان الوهابية يعقلون القرآن لعلموا أن الكرسي قد وسع السماوات والأرض ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولأن القارئ وهابي يجب أن تشرح له معنى الضمة في آخر كلمة كرسي ومعنى الفاعل في النحو؛ أي أن الكرسي الذي وَسِعَ السموات والأرض فالسموات مفعول به والأرض معطوف على المفعول به. هذا ونقول للوهابية رويداً، فلا تسارعوا بتكذيب الرحالة ابن بطوطة فقد روى القصة أيضا الحافظ ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة، ١/ ١٥٤.

١ . وقد تراجع الإمام الذهبي عن آراء التجسيم التي درسها على يد ابن تيمية، خصوصاً في كتابه (سير أعلام النبلاء) الذي كان آخر مؤلفاته، فهو كثير التأويل والتفويض فيه، ونـزّه الله عن الحد كما في ترجمته لابن حبان (ينظر ٦/ ٩٧ ـ ٩٨) وقد وجه نصيحة لابن تيمية كي يعود عمّا هو عليه، وهي ثابتة معروفة بـ (النصيحة الذهبية) نقلناها بهذا الكتاب، ولهذه البداية المتعثرة للإمام الذهبي فإن أقواله في العقيدة يجب أن تقرأ بحذر؛ لإن فيها الكثير من الباطل الذي تراجع عنه، وله أقوال أخرى هي مثار تساؤل بقي متأثراً فيها بالمدرسة التيمية كالقول ببعض المعتقدات الواجب كتمانها، وسوف نتعرض لها بهذا الكتاب.



آيات الصفات يقول (إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما رووه من الحديث، ووقفت على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير، فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف)[١] فانظر إلى إصراره على إيهام الناس بأنه استقصى الموضوع بحثاً ثم خرج بهذه النتيجة التي تخالف الواقع مع من لديه أدنى اطلاع على كتب التفسير والحديث، فالطبري الذي مدح ابن تيمية تفسيره بأنه تفسير ليس فيه بدعة، يقول (اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي، فقال بعضهم هو علم الله تعالى ذِكرُه)[٢] وذكر ذلك منقولا من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس. وهو كثير جداً يتابع في الكتب المتخصصة ككتاب (الأسماء والصفات) للإمام البيهقي[٣].

وزعم الإجماع هذا هو عين ما ادعاه في قضية التحيز والعلو الحسي حين زعم أن الذات العلية محدودة بالمكان في عقيدته الحموية الكبرى[٤] وقال (.. ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، ولا عن أحد من سلف الأمة ولا من الصحابة والتابعين ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهرا، ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء) وهذا ادعاء باطل يعلم بطلانه ابن تيمية ذاته، ورد عليه عدد غفير من

---

١ . ابن تيمية، تفسير سورة النور، ص ١٧٨ ـ ١٧٩

٢ . تفسير الطبري، ٣/ ٧

٣ . ناقش الأستاذ محمد الكثيري هذه المسألة بشكل أوسع في كتابه القيم (السلفية بين أهل السنة والإمامية) ص ٤٧٣ ـ ٤٧٦

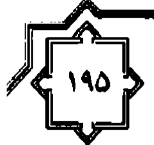
٤ . الرسالة الحادية عشرة من مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٢.

العلماء يبينون عوار شطحته، فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿فَأَيْنَما تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾، ورسوله المصطفى ﷺ يقول «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى»[١] وقال «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»[٢]، فالله سبحانه لا تحيط به الأقطار؛ فكيف يحدّ بالسماء، أما سرد أقوال الصحابة والتابعين فليس محلها هذا الكتاب، ويكفي للإشارة إليها أن نسوق رد العلامة شهاب الدين بن جهبل[٣] الحلبي الشافعي المعاصر لابن تيمية في قوله: (وفي هذا الفريق ـ أي أدعياء السلفية ـ من يكذب على السابقين الأولين من الأنصار والمهاجرين ويزعم أنهم يقولون بمقالته، ولو أنفق ملء الأرض ذهباً ما استطاع أن يروج عليهم كلمة تصدِّق دعواه، وتستّر هذا الفريق بالسلف حفظاً لرياسته والحطام الذي يجتلبه ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾، وهؤلاء يتحلون بالرياء والتقشف فيجعلون الرَّوث مُفَضَّضا[٤]، والكنيف[٥] مبيَّضا، ويزهدون في الذرة ليحصلوا الدرة)[٦]

(ب) تضعيفه وأشياعه لكل حديث يخالف منهجهم، من غير عودة إلى العلل الحقيقية في الحديث لتضعيفه، فيكفي لذلك أنه مخالف لمنهجهم، فالحديث يجب أن يتبعهم لا أن يتبعوه ولهذا قال الذهبي مخاطبا ابن تيمية (يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك؛ بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار، أو التأويل والإنكار)[٧].

---

١ . رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه.
٢ . رواه مسلم والنسائي وأبو داود وأحمد
٣ . توفي سنة ٧٣٣هـ
٤ . أي مرصعاً بالفضة.
٥ . مكان قضاء الحاجة.
٦ . ابن جهبل، الحقائق الجلية في الرد على ابن تيمية فيما أورده في الفتوى الحموية، ص ٣٢.
٧ . يراجع موضوع (النصيحة الذهبية) للذهبي بهذا الكتاب، وكذلك الكوثري، تكملة السيف الصقيل، ص ١٩٢.



(ج) تشنيعه وأتباعه على مخالفيهم حتى تتشوه صورهم في الأذهان، وقد كانوا لا يترددون في رمي المسلمين بالشرك الأكبر لأتفه الأسباب[١]. أما عن أخلاقه مع العلماء فيتحدث ابن تيمية واصفاً حواراً له مع بعض الفقهاء في مجلس أمير دمشق: (قلت: كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق المِلِّي، وهو أول اختلاف حدث في الملّة.. فقال الشيخ الكبير: ليس كما قلتَ، ولكن أوّل مسألة اختلف فيها المسلمون مسألة الكلام.. قال ابن تيمية: فغضبتُ عليه وقلتُ: أخطأت، وهذا كذب مخالف للإجماع، وقلتُ له: **لا أدب ولا فضيلة، لا تأدبت معي في الخطاب، ولا أصبت في الجواب)**[٢] هذا هو أسلوب شيخ إسلام الحشوية يتحامل على شيخ كبير دخل معه في نقاش في حضرة أمير فرماه بالكذب وقلة الأدب! وجاء في كتاب: الفقيه المعذب ابن تيمية ص ١٥٢ أن ابن تيمية أفتى في مسألة، وأفتى فقيه آخر بخلافه، فردّ عليه ابن تيمية قائلاً: **«من قال هذا فهو كالحمار الذي في داره»**! وكان ينعت الفخر الرازي والإمام الغزالي وغيرهم من علماء الأمة بأقبح النعوت والشتائم ويصفهم بأنهم فراخ الهنود واليونان. وإذا ذكر ابن المطهّر الحليّ يقول: ابن المنجّس [انظر الوافي بالوفيات للصفدي ٧/ ١٨ ـ ١٩] لقد كان شيخ الحشوية طعاناً لعاناً فاحشاً بذيئاً وهاهم أتباعه على آثاره مقتدون!!

ولمثل كل ما سبق فقد استتيب ابن تيمية مرات، وهو ينقض مواثيقه وعهوده في كل مرة، ومنع من الفتوى؛ وعُزِّر وحُبس مراراً، وكان حبسه الأخير بفتوى من القضاة الأربعة[٣]، وحكموا عليه بأنه ضال يجب التحذير منه كما قال

---

١ . يراجع تقي الدين الحصني، دفع شُبَه من شبّه وتمرّد، ص ٤١

٢ . الحافظ ابن عبدالهادي، العقود الدرية في مناقب ابن تيمية، ٢٣٥

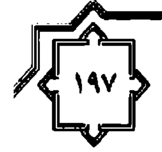
٣ . شافعي و مالكي وحنفي وحنبلي ولمعرفة أسمائهم راجع مقال (علماء السنة يردون على ابن تيمية) بهذا الكتاب.

ابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ، وهو من تلامذة ابن تيمية، وأصدروا عليه حكماً سُمي مرسوم الملك ابن قلاوون يقضي بسجن ابن تيمية بعد أن خاض في مسائل الذات والصفات وأظهر البدع، وبمنعه من التصرف والظهور، وبمنع من أصر على أتباعه من القضاء والولاية؛ ونتقل ههنا مقدمة المرسوم:

(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي تنزّه عن الشبيه والنظير وتعالى عن المثل فقال عزَّ وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أحمده على أن ألهمنا العمل بالسنَّة والكتاب، ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتياب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير، وينزه خالقه عن التحيُّز في جهة لقوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نهج سبيل النجاة لمن سلك سبيل مرضاته، وأمر بالتفكر في آلاء الله ونهى عن التفكر في ذاته، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين علا بهم منار الإيمان وارتفع، وشيّد الله بهم من قواعد الدِّين الحنيف ما شرع، وأخمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع.

وبعد فإن العقائد الشرعية، وقواعد الإسلام المرعية، وأركان الإيمان العلية ومذاهب الدين المرضية، هي الأساس الذي يبنى عليه، والموئل الذي يرجع كل أحد إليه، والطريق التي من سلكها فقد فاز فوزاً عظيما، ومن حاد عنها فقد استوجب عذاباً أليما، فلهذا يجب أن تنفذ أحكامها ويؤكد دوامها، وتصان عقائد الملة عن الاختلاف، وتزان قواعد الأئمة بالائتلاف، ويفرَّق من فِرَقِها ما اجتمع.

وكان ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه، ومدَّ بجهله عنان كلمه، وتحدَّث في مسائل الذات والصفات، ونصَّ في كلامه الفاسد على أمور منكرات، وتكلَّم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، وفاه فيما اجتنبه الأئمة الأعلام



الصالحون، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام، وانعقد على خلافه إجماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه في البلاد ما استخفَّ به عقول العوام، وخالف في ذلك فقهاء عصره، وعلماء شامه ومصره، وبعث برسائله إلى كل مكان، وسمّى فتاويه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان... الخ المرسوم)[1]

لقد خاض ابن تيمية في علم الكلام والفلسفة إلى حدٍ كبير -يعمي السلفية عنه أبصارهم - حتى وصل إلى مرحلة آمن فيها بأن الله ليس خالق كل شيء، ويقول «والأعجب من ذلك حكاية الإجماع على كفر من نازع في أنه سبحانه لم يزل وحده لا شيء معه..»[2] فهل من عجب أن يموت بعد ذلك ابن تيمية في حبسه بعد أن أشرك مع الله أشياء في القِدَم؟!

هذا وقد كان موت ابن تيمية بسجن القلعة في دمشق ليلة ٢٢ من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، مخلّفاً تلاميذ في طليعتهم ابن القيِّم وابن كثير يحملون فكره من بعده.

ونحن نتساءل بعد هذا عن سرِّ هالة التقديس التي يضعها الوهابية اليوم على ابن تيمية، ما سرُّها والرجل هذا حاله وهذا حكم معاصريه من علماء الإسلام عليه؟ بل وأي مشيَخة تلك التي يوصف بها فيقال شيخ الإسلام؟ إن ذلك بحق تزوير للحقيقة وتشويه للإسلام ليس إلا، وكأن الإسلام كتب عليه أن يعيش ناقصاً قرابة السبعة قرون حتى يظهر له شيخه، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

١ . المرسوم بأكمله نقله الشيخ الهرري، المقالات السنية، ص ٣٣ـ٣٦.

٢ . نقد مراتب الإجماع على هامش مراتب الإجماع لابن حزم ص ١٦٧ وما بعدها. وراجع (وقفة مع ابن تيمية) في كتاب أ. د محمد سعيد البوطي (السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي) ص ١٥٨ وما بعدها.



الشفيــق بإبليــس

لقد انخدع الكثير من الناس بترويج الحشوية لأرباب نحلتهم، وإغراقهم المكتبات والمحاضرات بأسماء ينفخونها بنفسهم الخبيث، كمن يدعُونهما زوراً شيخ الإسلام وتلميذه شمس الدين!، فيذكرون أقوالهما ويستشهدون بها أكثر من استشهادهم بكتاب الله وسنة رسوله، وكأن هؤلاء حجة الله على خلقه بين العالمين، ونحن هنا بصدد تعريف الناس بهذا الملقب بشمس الدين.

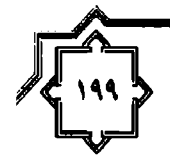
هو محمد بن أبي بكر الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية، ويعرف كذلك بابن زفيل، ولد ـ على رواية ابن رجب ـ سنة ٦٩١ هـ ومات سنة ٧٥١هـ وبين ذلك لازم أستاذه ابن تيمية في درسه وفي سجنه بعد أن حكم علماء المسلمين بزيغهما، ويروي أتباعه أن هذه الصحبة لم تستمر بعد مماتهما في الآخرة بنفس المنزلة فيروون أنه (رأى قبل موته شيخه تقي الدين ـ أي ابن تيمية ـ في النوم، وسأله عن منزلته فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر (لم تحددهم الرواية)، ثمَّ قال له وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة!)[1]

ونحن لن نعلّق على هذه الرواية، ولكن سنذكر شيئاً من علم ابن القيم الذي ينادي به من غير خجل ليرى الناس لماذا حكم عليه علماء المسلمين بالزيغ، فأودع السجن في دمشق مع أستاذه.

ابن القيم له كتاب يدعى (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطِّلة) نادى فيه بأن الحكمة تقتضي أن لا يعذِّب الله أحدا عذاباً أبدياً في النار فهذا يتنافى مع رحمة الله على حدِّ زعمه، وبناء على ذلك فإنه يرى أن كلَّ من في النار سيخرج

---

١ . محمد الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم الجوزية ص ٦



منها إلى الجنة، وستفنى النار بعد ذلك، وبهذا سيكون إبليس اللعين وأبو جهل وأبي بن خلف وفرعون وهامان وقارون مع الأنبياء والصديقين والشهداء.

فهو يُمَهِدُّ لمراده هذا بقوله (كم من بلاءٍ جلب عافية، وكم من ذلٍ جلب عزًّا، وكسرٍ جلب جبراً، إذا اعتبرت أكثر الخيرات والمسرات واللذات وجدتها إنها ترتَّبت على الآلام والمشاق، وأعظم اللَّذة وأجلها ما كان سببه أعظمه ألماً ومشقة)[1]، ولو كان كلامه هذا في تحمل المشاقّ في الدنيا بالجهاد في سبيل الله، فما كان أعظمَه وأجملَه، ولكن المؤسف أنه يعني عذاب أهل النار، ففي نظره أن أعظمهم مشقة هو أعظمهم نعيما، فيكون إبليس اللعين صاحب المشقة العظمى في النار هو صاحب أعظم نعيم في الجنة!

ويستمر في مثل هذا الكلام تمهيداً لما يريده، حتى يبدأ في البحث عن الحجج لإخراج المشركين من النار فيحتج بأن في قلوبهم أكثر من مثقال الذرة من الإيمان فهم ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**﴾ والحديث يقول «**أخرجوا من النار من كان في قلبه من الخير مايزن ذرة أو برة**»[2]،وبناءعليه فهم سيخرجون من النار إلى الجنة!، فهو يقول بعد ذلك «**فإن النار إنما سعَّرها الشرك والظلم فلا يمتنع في الرحمة والحكمة والعدل! أن يطفئها ويذهبها بعد أن أخذ الحق منهم**»[3]، وسبحان الله أي عدل هذا الذي يجمع بين رسول الله ﷺ وأبي بن خلف في جنة الفردوس!، ويقول: «**إنما سعرت بغضب الجبار تبارك وتعالى، فإذا زال السبب الذي سعرها، فكيف لا تطفأ؛ وقد طفئ غضب الرب وزال!**»[4]

---

١ . مختصر الصواعق، ص ٢٢٠.

٢ . ملخص من نفس المصدر ص ٢٢١.

٣ . نفس المصدر ص٢٢١.

٤ . نفس المصدر ص٢٢٣.

ويستمر في هذا السبيل مماحكا، والعجب أنه يستدل بآيات من القران وهي فاضحةٌ لمقصده بيِّنة الدلالة بالخلود؛ ليُثبت بها فناء نار جهنم؛ وكأنه مشفق على إبليس وحزبه، فينقلهم من النار إلى رحمة الله.

وهذا كلام من السخافة بحيث ترى أن لا مدعاة للردِّ عليه، ويكفي أن لا يوجد نصٌ يدلُ عليه إلا التأويل الأعوج ـ والغريب أن ابن القيم هذا يصرح بحربه للتأويل في كتابه المذكور[1] ـ بينما آي القرآن مصرحة بالخلود في النعيم والعذاب ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فَيهَا أَبَداً﴾ وقد حكم سبحانه وتعالى حكماً جازماً على الكافرين في قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيراً﴾، ويقول سبحانه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾، ﴿وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً﴾، ﴿لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾، ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَىٰ﴾، ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ وغيرها الكثير من الآيات المصرحة بالخلود الأبدي في النار وأن لا طريق للكافرين غيرها فأين المفر من صريح القرآن، وكذلك أحاديث الرسول الكريم واضحة الدلالة بالخلود في النار، ومنها قولُ رَسُولِ الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِم الَّذِي هُمْ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِم الَّذِي هُمْ فِيهِ فَيُقَالُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا قَالُوا نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلاهُمَا خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ لا مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا»[2]، وكذلك قوله ﷺ: «مَنْ حَسَا سُمًّا فَسُمُّهُ

---

١ . مختصر الصواعق، ص ٣٤ فصل (التأويل شر من التعطيل)

٢ . هذه رواية ابن ماجه، ومن رواة هذا الحديث البخاري والترمذي وأحمد والدارمي بألفاظ متقاربة ومتماثلة.



فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»[١]، فقوله ﷺ «خلود فيها تجدون لا موت فيها أبدا» و «فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» في غير ما حاجة إلى شرح أو تأويل، والمسلم العاقل الذي يقرأ كتاب الله من غير قناعات مسبقة لا يحتاج إلى دليلٍ آخر لمعرفة الحقِّ في ذلك، ولكن العجب أن نجد من يروِّج لهذا الفكر السقيم، ونخصُّ بالذكر الوهابية الذين أحيوا فكر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم!

لماذا انخدع الكثير من الناس بكلام ابن القيم؟

انخدع الكثير من الناس بابن القيِّم لسببين رئيسين:

أولهما: الدعاية المغرِّضة التي ينشرها عبدة فكره الحشوية بين الناس، فهم ينفقون أموالهم في سبيل ذلك ليل نهار، يتمثل ذلك في نشر كتبه ودراسة شخصه وآثاره في جامعات الوهابية بما يشبه التقديس، والكتابة عنه في المجلات والمنشورات، وحشر اسمه في كلِّ شيء فلا تكاد تمرُّ معهم خطبة أو درس أو محاضرة إلا واسم ابن القيم وأستاذه ابن تيمية واسطة عقدها، وهذا سبب تشويشاً كبيراً في أذهان الناشئة وأنصاف المتعلمين حتى كبُرا في أعينهم، فهما يُذكران قبل الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام وبعده، حتى أخذ العامة أقوالهما مثل المسلَّمات، ولو علموا حقيقتهما لفروا منهما فرار السليم من الأجرب.

ثانياً: ابن القيم كاتب يزوِّر كلامه ويُنَمِّقُه، فلسفيٌّ في منطِقه، عجيبٌ في مقاصِدِه، يلبس الحقَّ بالباطل، فتراه يُمهِّدُ لمقصده تمهيداً طويلا، وله دهاءٌ عظيم

---

١ . هذه رواية أبي داود، والحديث هذا رواه أيضا البخاري والترمذي والنسائي والدارمي بتوسع، واخترنا هذه الرواية لاختصارها.

في ليّ أعناق الآيات والأحاديث النبوية حتى إنه لَيستعين بالأحاديث الموضوعة، كي يوصل مراده إلى أذهان الناس من غير مفاجأة، وإن كان ما يريده داهية من الدواهي وطامة من الطامّات، ولا يتردد في أن يعمد إلى الآيات والأحاديث التي تخالف مقصوده فيدخلها كشواهد له، حتى إذا مرَّ عليها القارئ غير البصير ظنَّ أنَّ الشيخ قد سوَّر بناءه بسور متين، فلم تبق آية إلا وقد استشهد بها، وهو أسلوب خبيث يدلُّ على مكرٍ عظيم، واقتداءٍ بأستاذ الشياطين، إبليس اللعين.

كأين رأينا عالماً ضلَّ سعيه وضل به جمٌّ هناك غفيرُ[1]

ولكن ـ وإنصافاً للحق ـ لايفوتنا هنا أن ننوِّه بأن بعض الوهابية اليوم اقتنعوا بعدم فناء النار؛ ولكنهم يرون أن قول ابن القيم وأستاذه ابن تيمية[2] هذا اجتهادٌ يؤجران عليه، مع أنه اجتهاد مخالف للنص الصريح! فلماذا يؤجر هؤلاء الذين اجتهدوا مع وجود النص؛ ويُؤزر غيرهم من الذين لا يخالف اجتهادهم النص؟!

ختاماً يجب أن نذكر بإكبار علماء السنّة الفضلاء الذين ردُّوا على ابن تيمية وتلميذه هذا ردوداً مطوَّلة، ونخص منهم علماء الحنابلة ـ لأن هذين يدعيان أنهما منهم ـ الذين جزموا بخروج هذين من الملة الإسلامية لآرائهما المتطرفة، وقد ذكرنا ستين عالماً من السُّنة ممن ردوا على ابن تيمية في هذا الكتاب.

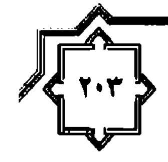
الألباني محدِّث الحشوية

يصرح الوهابية بأن الأرض أجدبت من أهل الحديث حتى ظهر الشيخ

---

١ . أبو مسلم

٢ . نقل قوله بفناء النار تلميذه ابن القيِّم في كتابه (حادي الأرواح) ص ٥٧٩ و ٥٨٢. والسبكي في (المواعظ والاعتبار ببقاء الجنة والنار)، وابن طولون في (ذخائر القصر) ص ٦٩.



ناصر الألباني، فيصفه ابن باز بأنه أعلم من على أديم الأرض بالحديث، ويصفونه بقولهم (محدِّث العصر)، وفي المقابل فإنَّ علماء الحديث من غير الوهابية يسمُّون الألباني (بالشيخ المتناقض) فما سرُّ هذا التضارب في التسميات يا ترى، ومن هو على الصواب؟!

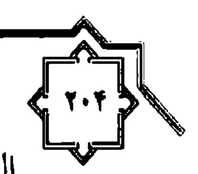
لتعلم الحق يقيناً فإنني سأنقل لك الحقائق والبراهين موثقة، وباختصار من عدَّة كتب، سنذكرها في مواضعها وأولها كتاب (**تناقضات الألباني الواضحات فيما وقع له في تصحيح الأحاديث وتضعيفها من أخطاء وغلطات**)[1] للشيخ حسن بن علي السقاف الشافعي المذهب، وما سأنقله لا يشكل إلا شيئاً يسيراً من الجزء الأول:

١ ـ الألباني يتهم أئمة الحديث بالجهل وهو مخطئ:

الألباني مثله مثل باقي الحشوية لا يتردد في الانتقاص من المسلمين حتى وإن كانوا قد انتقلوا إلى الدار الآخرة وحتى وإن كانوا أئمة الحديث؛ فيصف الحافظ السيوطي بأنه (يجعجع) (السلسلة الضعيفة ٤/ ١٩٨) ويقول عنه في نفس الكتاب (٣/ ٤٧٩): (فيا عجباً للسيوطي كيف لم يخجل من تسويد كتابه...) ويصفه بالتناقض (٤/ ١٨٢) ويصف الإمام الذهبي بهذا الوصف أيضا في نفس الكتاب (٤/ ٤٤٢) ويصف بذلك أيضاً الحافظ ابن الجوزي بالتناقض والإساءة (سلسلته الصحيحة ١/ ١٩٣) وكذلك يصف ابن حبان بالتناقض (الضعيفة ٣/ ٢٦٧) ولا يتردد أن يصف الحافظ ابن حجر بذاك أيضاً (الضعيفة ٣/ ٢٦٦) وقد كان في كلِّ أحواله مثال التناقض الواضح وإليك مثالاً واحداً على تخبطه:

---

١ . صدر عن دار الإمام النووي، بعمّان، الأردن، وفي الجزء الأول منه حصر الشيخ السقاف (٣٠٠) تناقضاً وخطأً للألباني وفي الثاني (٦٥٢) تناقضاً وخطأً ولم نطّلع على الجزء الثالث بعد!



عاب على الإمام السيوطي والمناوي والإمام المحدِّث عبدالله بن الصديق الغماري إيرادهم لحديث «**أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، ثمَّ ادخل الجنة بسلام**» فقال في (سلسلته الضعيفة) (٣/ ٤٩٢) بعدما عزاه لأحمد (٢/ ٢٩٥) وغيره: (قلت وهذا إسناد ضعيف، قال الدارقطني: أبو ميمونة عن أبي هريرة، وعنه قتادة: مجهولٌ متروك) ثمَّ قال الألباني في نفس الصحيفة: (تنبيه: قد وقع للسيوطي ثم للمناوي خبط في لفظ هذا الحديث وسياقه، بينته في المصدر الآنف الذكر برقم (٥١٧) وكذا أخطأ الغماري بإيراده في كنزه) اهـ.

أقول (أي الشيخ السقاف): بل أنت وقعت في الخبط والخطأ الأعظم، بل والتناقض الأكبر، والدليل على ذلك أنك صححت هذا الحديث بعينه وبنفس سنده في موضع آخر وأنت لا تدري، حيث قلت في (إرواء غليلك) (٣/ ٢٣٨) ما نصُّه: أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٩) والحاكم... من طريق قتادة عن أبي ميمونة. قلت (أي الشيخ الألباني): وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين غير أبي ميمونة وهو ثقة، كما في (التقريب) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي[1] اهـ.

٢ ـ الألباني يخطئ المحدِّثين والحفاظ في عزوهم أحاديث لبعض كتب السنَّة مع كون تلك الأحاديث موجودة فيها:

مثال ذلك ما قاله الألباني في صحيحته (١/ ٧٦٠ حديث ٤٦٨ الطبعة٤) في حديث «**إذا نعس أحدكم في المسجد يوم الجمعة فليتحول من مجلسه ذاك إلى غيره**»: «قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط

---

١ . وللاطلاع على فحش الألباني في القول عند تناوله للعلماء يراجع كتاب (قاموس شتائم الألباني) للسقاف.



مسلم! ووافقه الذهبي! كذا قالا! وابن إسحق مدلِّس، وقد عنعنه في جميع الطرق عنه...» اهـ أقول (أي الشيخ السقاف): كذا قال وانظر كيف يغلِّط الحافظ الترمذي وكذا الحافظ الذهبي، علماً بأنه هو الغلطان الواهم، وذلك لأن ابن إسحق لم يعنعنه في جميع الطرق بل قد صرَّح بالسماع في كتاب مطبوع بين يدي الألباني وأمام عينيه، وذلك الكتاب هو مسند الأمام أحمد، فلينظره فيه (٢/ ١٣٥)[1] وليتدبر ذلك).

٣ـ الألباني يعزو الحديث إلى بعض كتب الحديث مع كون الحديث غير موجود فيها:

يفعل الألباني ذلك في مواضع كثيرة، وخصوصاً في (صحيح الجامع وزيادته) و (ضعيف الجامع وزيادته) تابعاً في ذلك من نقل عنه فينقل حتى الأخطاء، مثال ذلك:

يقول الألباني في كتاب (صفة الصلاة) الطبعة ٦، ص (١٧٠) عن حديث وائل ابن حُجْر الذي ذكر فيه وضع اليدين في التشهد فقال: (ثمَّ رفع إصبعه فرأيته يحركها يدعو بها)[2] ما نصه: (رواه أبو داود...)اهـ.

قلت: ليس كذلك، والحديث لم يروه أبو داود، وإنما رواه غيره.

٤ ـ قصور إطلاع الألباني في مواضع لا تحصى وأمثلة على ذلك:

الألباني يرمي العلماء بالقصور العلمي ويزدريهم على ذلك، ويحاول التشبه بالحفاظ السابقين بقوله عن بعض الأحاديث: (لم أقف على سنده) ويرمي الكثير

---

١ . نص الحديث بإسناده غير المعنعن هناك كالتالي: «حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي نَافِعٌ مَوْلَى عبدالله بْنِ عُمَرَ عَنْ عبدالله بْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي مَجْلِسِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ».

٢ . بيَّن الشيخ السقاف خطأ التعلق بهذا الحديث في كتابه (تحذير العبدالأواه من تحريك الإصبع في الصلاة) فلينظره من شاء.

من الحفاظ بالغفلة مع أنه أهل ذلك وإليك الأمثلة:

أَثَرُ سيدنا علي كرم الله وجهه: (إذا بلغ النساء الحقاق فالعصبة أولى، ومن شهد فليشفع بخير) قال الألباني في (إرواء الغليل)(٦/ ٢٥١ برقم ١٨٤٧) في تخريجه: (لم أقف على إسناده)اهـ. أقول (أي الشيخ السقاف): كذا قال! ولو كان جهبذاً لعرف أنه في سنن البيهقي (٧/ ١٢١)، وهناك إسناده مذكور بأكمله.

قال الألباني في (إرواء الغليل) (٣/ ٢٨٣) (حديث ابن عمر (القبلات ربا) لم أقف على سنده)اهـ. قلت: كذا قال!! مع أنه مذكور بسنده في فتاوى الشيخ ابن تيمية المصرية (٣/ ٢٩٥) ورجاله رجال الصحيح.

حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع) قال الألباني في تخريج (مشكاة المصابيح)لشرح السنَّة مانصه: (لينظر في أي مكان رواه في (شرح السنَّة) فإني راجعته في (العلم) وفي (فضائل القرآن) منه فلم أره)اهـ. قلت (أي الشيخ السقاف): كذا قلت!! ولو كنت راجعتَه حقاً في (العلم) لوجدته في (باب الخصومة في القرآن) من (شرح السنَّة) (١/ ٢٦٢)، وقد رواه ابن حبان وأبو يعلى والطحاوي والبزار والهيتمي وعزاه للبزار وأبي يعلى والطبراني في (الأوسط) وقال: رجال أحدهما ثقات.

٥ ـ الألباني يحرف كلام العلماء أو يبتر منه ما ليس في صالحه[1]:

ولخطورة هذا الباب فإننا سنذكر هنا أكثر من مثال، وقد ضرب الشيخ

---

١ . يقول الشيخ السقاف: هذا مما يجعل الألباني ممن لا يلتفت إلى كلامهم، ولا يعوَّل على مقالهم، لأن هذا تدليس مشين، بنظر علمائنا المحدِّثين وأهل الجرح والتعديل حسب ما تقتضيه قواعد علم مصطلح الحديث، بل إن أقوال وتحقيقات من يقترف مثل هذا تسقط حتى عند الكفار الغربيين بله المستشرقين، وتعتبر بذلك أقواله لاغية لا قيمة لها وكذا أنقاله وبحوثه وتحقيقاته، فتنبهوا لذلك.



السقاف صفحاً عن كل نقولات الألباني لكلام العلماء الذي يفهمه على غير وجهه ويقتطع من سياقه وسباقه أو من وسطه وإليك الأمثلة:

أراد الألباني أن يضعِّف حديثاً خالف رأيه، فلم يدر كيف السبيل إلى ذلك، فاحتال لذلك أن نقل جزءاً من ترجمة رجل في سنده من الثقات من (كامل) ابن عدي وحرَّفها، والرجل هو (عائذ بن حبيب) فقال عنه في إروائه (٢/ ٢٤٣): (الثالث: لو كان صريحاً في الرفع فهو شاذ أو منكر، لأنَّ (عائذ بن حبيب) وإن كان ثقة فقد قال فيه ابن عدي: (روى أحاديث أنكرت عليه).. قلت: ولعل هذا منها...)اهـ.

أقول (أي الشيخ السقاف): كلا، هذا ليس منها، وابن عدي لم يقل ما ذكرته عنه، بل إن نقلك عنه كان محرفا، فابن عدي قال في الكامل (٥/ ١٩٩٣): (روى **عن هشام بن عروة أحاديث أنكرت عليه وسائر أحاديثه مستقيمة**)اهـ فأين هذا مما نقلت، وخصوصاً أنّ هذا الحديث لم يروه حبيب عن هشام بن عروة! فليتأمل المنصفون، وليرجع المعاندون!! إن كانوا يتقون الله تعالى!!

ـ نقل الألباني في كتابه (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد) ص (٣٤)[1] نصاً عن العلامة الفقيه ابن حجر الهيتمي وحذف من وسطه ما ليس في صالحه، تحقيقاً للأمانة العلمية التي يتمتع بها! وقد ابتدأ بنقل كلام ابن حجر ففتح قوسين «() وخَتَمَه كذلك بقوسين ()» وبلفظة انتهى تأكيداً لتغرير القراء وتضليلهم عن تمام ذلك النقل، وإنني أورد لكم تمام الكلام وأضع ما حذفه باللون الأسود الواضح بين قوسين، فإليكم ذلك:

قال في (تحذير الساجد) ص (٣٤): (مذهب الشافعية أنه كبيرة: قال الفقيه ابن حجر الهيتمي في (الزواجر عن اقتراف الكبائر) (١/ ١٢٠): الكبيرة الثالثة

١ . الطبعة الرابعة (١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي)

والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السُرُجِ عليها، واتخاذها أوثانا، والطواف بها واستلامها والصلاة إليها.

ثم ساق ـ ابن حجر ـ بعض الأحاديث المتقدمة وغيرها، ثم قال ص (١١١): «تنبيه: عَدُّ هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية، وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من الأحاديث، (**ووجه اتخاذ القبور مسجداً منها واضح**)[1] **لأنه لعن من فَعَل ذلك بقبور أنبيائه، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله تعالى يوم القيامة، ففيه تحذير لنا كما في رواية: «يحذر ما صنعوا» أي يحذِّر أمَّتَه بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك، فليُلعنوا كما لُعنوا، (واتخاذ القبر مسجداً معناه الصلاة عليه أو إليه، وحينئذ فقوله «والصلاة إليها» مكرر إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط، نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان القبر قبر معظَّم من نبيّ أو وليّ كما أشارت إليه رواية: «إذا كان فيهم الرجل الصالح»**[2].

ومن ثَمَّ قال أصحابنا: تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء **تبركاً وإعظاماً فاشترطوا شيئين...**) الخ انتهى كلام ابن حجر[3]. اهـ كلام الألباني.

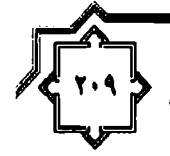
ـ أراد الشيخ الألباني أن يضعف حديثاً فيه جواز تحلية النساء بالذهب المحلق وفي سند الحديث (محمد بن عمارة) فزعم أن أبا حاتم قال عنه: (ليس بذاك القوي) انظر كتاب (حياة الألباني وآثاره...) الجزء الأول ص (٢٠٧)،

---

١ . هذه العبارة التي وضعتها (أي الشيخ السقاف) بين قوسين جعلها الألباني بخط أسود كبير لتميزها وإيهام البسطاء بأن لفظة (واضح) الواقعة في كلام ابن حجر والتي وضحها ابن حجر بعد ذلك بنحو سطرين ـ في عبارة طويلة حذفها الألباني ـ تعني المعنى الذي يريده الألباني لا المعنى الذي يريده ابن حجر الهيتمي. فتأملوا!!

٢ . هذه هي العبارة التي حذفها من كلام ابن حجر! فتأمل!!

٣ . راجع كتاب (الزواجر) للعلامة ابن حجر الهيتمي (١/ ١٤٨) للتأكد.



والحقيقة أن أبا حاتم الرازي قال كما في (الجرح والتعديل) (٨/ ٤٥): (صالحُ الحديث، ليس بذاك القوي) فحذف الألباني كما ترون لفظة (صالح الحديث)!!

٦ ـ الألباني يحكم على حديث بأنه صحيح في موضع ويحكم عليه بأنه منكر جداً في موضع آخر:

أورد الألباني في (مختصر العلو)[1] ص (٩٨) برقم (٣٨) حديث قتادة ابن النعمان سمع النبي ﷺ يقول: «**لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه**» فقال: (رواته ثقات، رواه أبو بكر الخلال في كتاب السنَّة له)اهـ[2]

أقول (أي الشيخ السقاف): لا أدري كيف يصفك المفتونون بك بأنك (محدِّث الديار الشامية) و (حافظ العصر والوقت) و (أنك ما رأيت مثل نفسك) وأنه لو حلف بين الركن والمقام على ذلك لم يحنث[3]... ولو ساق الألباني سند الحديث الذي صححه هنا من كتاب (الخلال) لتبين له أنه موضوع منكر ولما صححه، وهاك إسناده أخي القارئ لتتحقق نكارته ووهاءه:

قال الخلال: حدثنا أحمد بن الحسين الرقي حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا محمد بن فليح حدثني أبي عن سعيد بن الحارث عن عبيد بن حنين، قال: بينما أنا جالس في المسجد إذ جاءني قتادة ابن النعمان يحدِّث وثاب إليه الناس، فقال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى، وقال إنها لا تصلح لبشر**». اهـ.

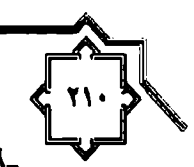
أقول (أي الشيخ السقاف) ولا يشك عاقل أن هذا كذب على الله ورسوله ﷺ، تعالى الله عن ذلك.

---

١ . من الطبعة الأولى (١٤٠١هـ) نشر المكتب الإسلامي.

٢ . وعلق في الحاشية على ذلك فقال أيضا: (وذكر ابن القيم في الجيوش الإسلامية (ص٣٤) أن إسناده صحيح على شرط البخاري).

٣ . وأمثالها من العبارات التي نطق بها بعض المفتونين به في كتاب (حياة الألباني).



وانظر الحديث في (الأسماء والصفات) للإمام الحافظ البيهقي ص (٣٥٥ ـ٣٥٦) والتعليق عليه، وقد حكم عليه الحافظ البيهقي بالنكارة، وعدَّه الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) (٣/ ٣٦٥) من منكرات فليح، وفليح ضعَّف الألباني حديثه في مواضع لا تحصى من كتبه[1] فكيف يقول عن حديثه في (مختصر العلو) هنا رجاله ثقات، وصحيح على شرط البخاري؟!!

ويدل تصحيحه للحديث هنا في (مختصر العلو) على شدَّة غفلته وتناقضه لأنه قد حكم على الحديث بأنه منكر جداً في موضع آخر من كتبه وذلك في (سلسلته الضعيفة) (٢/ ١٧٧ حديث ٧٧٥) ونحن نتركه في الموضع الثاني ـ الضعيفة ـ يرد على الموضع الأول!

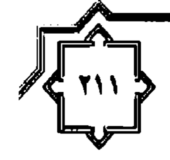
ولا نشك أن هذا الحديث له علاقة وثيقة بعقيدة اليهود الوثنية التي ردَّ الله تعالى عليها في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ وهذا دليل على تساهل الألباني في تخريج الحديث في الكتب المختصة بالعقيدة، وهذا من غلطه فإن الكتب المختصة بالعقيدة يجب أن تكون فيها الأحاديث الصحيحة الخالية عن المعارض، أما الضعيفة والمنكرة والمعارضة بالقطعي فمما ينبغي أن تصان عنه.

٧ ـ الألباني متناقض في ثنائه على أشخاص في موضع وثلبهم والنيل منهم في موضع آخر:

ومثال ذلك: قوله في مقدمة (صحيح الترغيب والترهيب) ص (٣٦) مثنياً على الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي: «واعلم أنَّ ما شجعني على نشرهما أنني رأيت الكتاب المطبوع تحت عنوان... وعلَّق عليه العالم الشهير الجليل الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي...»اهـ.

---

١ . انظر (الصحيحة) (٤/ ٥٠٩) و (٤/ ٦٢٧) و (٤/ ٦٥٦)! وغير ذلك.



وقال أيضاً في نفس الصحيفة: «ومما زادني رغبة في الإقبال عليه، أنَّ محققه الفاضل الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي قد صرَّح...»اهـ.

وهذا الكلام من الألباني الذي فيه الثناء الكبير على الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي ناقضه في مقدمة آداب زفافه (الطبعة الجديدة) ص (٨) حيث قال: «واستعان الأنصاري بآخر رسالته بأحد أعداء السنَّة وأهل الحديث ودعاة التوحيد المشهورين بذلك ألا وهو الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي... لجبنه وفقدانه الشجاعة العلمية والأدبية...» اهـ باختصار. فتأملوا!!!

٨ ـ الألباني ضعيف في اللغة العربية مثله مثل أي حشوي آخر من أدعياء السلفية:

ولا بدّ هنا أن نذكر أكثر من مثال:

قال في (صحيحته) (٤/ ٨٨): «وجوب الأخذ بيد الظالم» اهـ

وهذا لحن وخطا، والصواب أن يقول: (وجوب الأخذ على يد الظالم) لأنَّ الأخذ بيد الظالم لغةً هو مساعدته في ظلمه، وقد اغتر الشيخ! بورود هذه الكلمة في بعض طرق الحديث الذي غلط فيه أحد رواته!

ـ قال في (صحيحته) (٢/ ٢٥٤) في حديث: (ثلاثة لا يقبل منهم صلاة: ورجل صلى على جنازة ولم تويز) وعلَّق في الحاشية على لفظة (تويز) فقال: (**كذا الأصل المصوَّر، ولم يتبين ليَ الصواب**)اهـ.

قلت (أي الشيخ السقاف): (تويز) لا معنى لها في اللغة العربية ولا دخل لها في هذا الحديث، والصواب والأصل هو (يؤمر) فتكون الجملة: (ورجل صلى على جنازة ولم يؤمر) فلم يستطع قراءتها مع أنها مرَّت عليه في الترغيب والترهيب (ص ١٩٥ رقم الحديث ٤٨٤ صحيح الترغيب!)، ولكنه كثير الغفلة!!

٩ ـ أمثلة من أوهام الشيخ الألباني وأخطائه الكبيرة في فن الحديث:

قال في (صحيحته) (١/ ٨١٢ في آخر سطر) عن حديث هناك: (قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم) اهـ

أقول (أي الشيخ السقاف) كذا قال! وفي السند سهل بن عثمان البجلي وليس هو من رجال مسلم بل لم نعثر له على ترجمة! فكيف يقول: إسناد صحيح؟!)

أقول (المؤلف): وهذا دليل على تخليطه أيضاً فما من شكٍّ أنه قد خلط هنا بين البجلي هذا وسهل بن عثمان الكندي الذي هو من رجال مسلم فتأمل!

قال في صحيحته (١/ ١٧٥ السطر الخامس من أسفل): (فإن ابن زيد هو محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب وهو ثقة..) اهـ

قلت (الشيخ السقاف): كذا قال! وليس كذلك، فإن ابن زيد هذا هو عبدالرحمن بن زيد وهو ضعيف جداً!

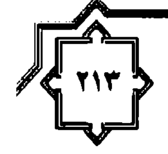
قال في صحيحته (٣/ ٣٩٩) في السطر الأول: (وابن عرزب مجهول) اهـ

قلت (الشيخ السقاف): كلا، بل هو ثقة كما قال الحافظ في التقريب برقم (٢٩١٧) فتأمل.

قال في صحيحته (٣/ ١٩١): ـ عن حديث هناك ـ: (ورجاله ثقات رجال الستَّة غير عباد بن سالم فلم أجد له ترجمة)اهـ.

أقول (الشيخ السقاف): كذا قال! وعباد مترجم له في تاريخ البخاري (٦/ ٣٨) والجرح والتعديل (٦/ ٨٠) وثقات ابن حبان (٧/ ١٥٩) فليستيقظ!

قال الألباني في صحيحته (٢/ ٩٩ ـ ١٠٠) في حديث «**نعم سحور المؤمن التمر**» أخرجه ابن حبان والبيهقي.. ثم قال ص (١٠٠): (تنبيه: عزى الحديث المنذري في الترغيب ٢/ ٩٤ وتبعه عليه الخطيب التبريزي في المشكاة (١٩٩٨) إلى أبي داود، وذلك وهم لا أدري من أين جاءهما!)اهـ



قلت (الشيخ السقاف): كذا قال! وهذا وهم وقع فيه لا أدري كيف نطق به، وذلك لأن الحديث ثابت في سنن أبي داود برقم (٢٣٤٥) فإلى الله المشتكى ممن يتعالم على الحفاظ!!

١٠ ـ الألباني جاهل بعلم الجرح والتعديل:

يقول الشيخ محمود سعيد ممدوح في مقدمة كتابه (**النقد الصحيح لما اعترض عليه من حديث المصابيح**):

عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي:

قال الألباني (١/ ٢١٤) وعمرو هذا في عداد المجهولين وإن صحح له الترمذي. اهـ.

قلت (الشيخ محمود): هذا تطاول غير مقبول على أحد أئمة الحديث الذي قال له البخاري: استفدنا منك أكثر مما استفدت منا.

أقول (المؤلف): وممن وثقه وصحح حديثه الإمام الترمذي وابن حبان وابن خزيمة والذهبي فانظر بالله عليك وتأمل في الألباني الذي يجهل العمالقة ويتعالم!!

جُرَيّ بن كُليب النَّهدي الكوفي:

قال الألباني (١/ ٩٧): لم يرو عنه غير أبي إسحق السبيعي. اهـ.

قلت (الشيخ محمود): بل روى عنه غيره؛ قال الحافظ في التهذيب (٢/ ٧٨): روى عنه أيضاً يونس بن أبي إسحاق، وعاصم بن أبي النَّجُود وحديثهما عنه في مسند أحمد. اهـ. والذي أوقع الألباني فيما تراه هو اعتماده على كتاب واحد هو الميزان فانظره (١/ ٣٩٧).

وفي معرض ردِّ الشيخ سعيد بن مبروك القنوبي في كتابه النَّيِّر (**الإمام الربيع مكانته ومسنده** ص٢٨ ـ ١٠٥) على قول من قال بأن الشيخ الألباني يجهل الإمام

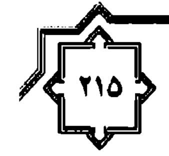
الربيع فيكون بذلك الإمام الربيع نكرة، فما كان من الشيخ سعيد إلا أن ذكر ـ وعلى عجالة ـ خمسين مثالاً تدل على جهل الألباني بفن الحديث (... جهلاً يكاد يكون مركّباً في بعض الأحيان، ولا أدل على ذلك من جهله بكثير من الرواة منهم مَن هو من رجال الشيخين، وعدم معرفته بوجود كثير من الأحاديث؛ كثير منها أحاديث الصحيحين اللذين اختصرهما بنفسه بحسب زعمه، وكثير منها من كتب أخرى مشهورة متداولة...) وإليك بعض الأمثلة مما ذكر:

ـ قال في ضعيفته (٤/ ٢٠٠): (وسليمان بن شرحبيل... ولم أجد في هذه الطبقة من اسمه سليمان بن شرحبيل أو شراحيل) كذا قال، وسليمان هذا اسمه بالكامل: سليمان ابن عبدالرحمن بن عيسى بن ميمون ابن بنت شرحبيل، ويختصرونه أحياناً إلى ما رأيت، وهو مترجم في: (رجال البخاري للكلاباذي ١/ ٣١٤) و (التاريخ الكبير ٤/ ٢٤) و (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٢٩) و (علل الحديث...)وقد ذكر الشيخ القنوبي بعد ذلك عشرين مرجعاً في علم الحديث غير التي ذكرنا ترجمت لهذا الرجل!

وهو من رجال البخاري والأربعة!!!!

عبدالأعلى بن عبدالله بن أبي فروة

قال في ضعيفته ١/ ٢١٣: (وهو مجهول لم أجد له ترجمة) كذا قال، وليس الأمر كما قال؛ وذلك لأن عبدالأعلى هذا مترجم له في كتب كثيرة جداً منها: (التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٧١) و (تاريخ ابن معين) و (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٢٧).... ثم ذكر الشيخ القنوبي عشرة مراجع ترجمت له وقد قال الحافظ في (تقريب التقريب ص٣٣١) فيه: ثقة فقيه، وقد وثقه ابن معين ويعقوب بن سفيان والدارقطني!!!



سعيد بن أشوع

قال في إرواء الغليل ٣/ ١٢١ (لم أجد له ترجمة) مع أنه ترجم له في الكثير من الكتب منها: (رجال البخاري) و (رجال مسلم) و (التاريخ الكبير) و (تاريخ ابن معين) وقد ذكر ستة عشر مرجعاً آخر له فيها ترجمة.

امرأة ابن عمر

قال في صحيحته التالفة (٤/ ٢٦٩): (ورجال إسناده ثقات كلهم غير امرأة ابن عمر فلم أعرفها) اهـ.

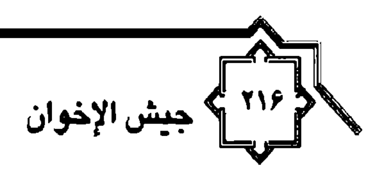
وامرأة ابن عمر هذه معروفة مشهورة، واسمها صفية بنت أبي عبيد الثقفية روى لها الإمام مسلم والإمام البخاري[1] في التعاليق، وهاك بعض الكتب التي ترجمت لها (وذكر الشيخ هنا **ثلاثة عشر** كتاباً لها فيها ترجمة!)

هذا هو الألباني كبير محدِّثي أدعياء السلفية[2]، وما نقلناه هو غيض من فيض ولو حاولنا نقل مقتطفات مما رصده غير هؤلاء العلماء كالمحدث الشيخ عبدالله الهرري وغيره لما وسعنا المجال وفي هذا كفاية للمحتاط لدينه ليحذر من تصحيح وتضعيف الألباني للأحاديث النبوية الشريفة.

---

١ . هذه المرأة من كبار التابعين والتابعات، من سكان مدينة رسول الله ﷺ، ورواياتها عند مسلم ومالك وأحمد والدارمي والنسائي وأبي داود وابن ماجه بلغت ٣٢ رواية هامة جداً وخصوصاً في أمور النساء، فكيف لا يبصر من يدعي علم الحديث مثل هذه العملاقة؟

٢ . العجيب أن شيوخ الحشوية أول من ينقلب عليهم خاصتهم، فحال الألباني مع زهير الشاويش ومحمد مهدي الإستانبولي حال يرثى له، وهذا حال المدخلي اليوم مع بعض خاصته. راجع مقالنا (تحسبهم جميعا..).



جيش الإخوان

النشأة:

بعد التحالف مع ابن سعود أقام الشيخ محمد بن عبدالوهاب تجمعات تسمّى (الهجر) ومن أشهرها (هجر الأرطاوية)[١] يستقبل فيها جموع الناس الذين دخلوا في مذهبه وألزمهم بالهجرة إليه في بداية الدعوة؛ وقد استغرب هذه الهجرة أخوه الشيخ سليمان بن عبدالوهاب فردَّ عليه في كتابه (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) وشرح له حديث (لا هجرة بعد الفتح)[٢] والحث على الإقامة في المدينة وفساد الرأي بالهجرة منها[٣].

والحق أن هذه التجمعات لم تكن سوى معسكرات تدريبية لإعداد جيش نظامي قوي[٤]، وهذا هو الدافع الحقيقي وراء الخروج بفكرة الهجرة، وهو أمر بطبيعة الحال لا يدركه أهل الجزيرة في زمانهم.

لقد كانت هذه المعسكرات منظمة، حلاقة الرؤوس بها إجبارية[٥]، والأعراب الذين كانوا لا يجدون قوت يومهم أصبحت لهم دخول ثابتة ودروسٌ

---

١ . الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة، ص١٩١ـ١٩٢، وفيه كانت بداية الانشقاق كما سيأتي.

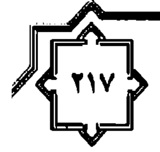
٢ . الصواعق الإلهية ص ١٢٣

٣ . الصواعق الإلهية ص ١٢٤ وما بعدها.

٤ . وسيأتي الحديث عن الأموال والأسلحة التي كانت تساق إليهم عند حديثنا عن فيلبي أحد قادة الوهابية النصارى.

٥ . نقل خبر وجوب الحلاقة أكثر من مؤلف اشتهر بالورع والتقوى ومنهم الشيخ دحلان في (فتنة الوهابية) ص ١٩، والعلامة المنعمي في قصيدته مخاطباً الشيخ محمد بن عبدالوهاب بعد أن قتل جماعة من المسلمين أبوا حلق رؤوسهم قائلاً:

أفي حلق رأسي بالسكاكين والحدّ حديث صحيح بالأسانيد عن جدي



علمية على يد الشيخ محمد نفسه يؤهلهم للحكم على المسلمين بالشرك مما يهوِّن عليهم قطع رقابهم من بعد؛ يقول ابن بشر عن هؤلاء: (**ولما هاجر من هاجر إلى الدرعية** واستوطنوها كانوا في أضيق عيش وأشد حاجة وابتلوا ابتلاء شديداً فكانوا في الليل يأخذون الأجرة ويحترفون وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة)[١]!!! ومما زاد في أعداد هؤلاء الجنود أن الشيخ كان يعطيهم عطاء سخياً ويتحمل عنهم ديونهم؛ يقول ابن بشر: (وكان الشيخ ﷺ لما هاجر إليه المهاجرون، يتحمل الدَّين الكثير في ذمته لمؤونتهم وما يحتاجون إليه)[٢].

والذي يدعو للعجب في هذا عدَّة أمور:

الأول: إن الشيخ محمد لم يشتهر أنه من الأثرياء، فمن أين كان يأتي بكل هذه الأموال؟!

الثاني: إن التجنيد الإجباري[٣] ومعسكرات التدريب وحلاقة الرؤوس الإجبارية أمور حديثة غربية ولا يمكن بحال أن تخرج من جعبة محمد بن عبدالوهاب، والدلائل تشير إلى إنه كان يشرف على التدريب فيها الضباط البريطانيون، وفعلاً قتل بعضهم في عمليات حربية من بعد كما حصل مع الكابتن شكسبير[٤]، واشتهر بعضهم قيادياً بما لا ينكره الوهابية كفيلبي والعميد ديكسون.

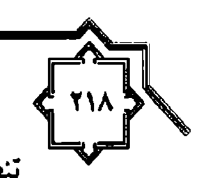
---

١ . عنوان المجد ١/ ١٣

٢ . عنوان المجد ١/ ١٥ العجيب أن بعض الوهابية اليوم يحاولون طمس هذه الحقيقة بنكرانها!!

٣ . تحدثنا عن هذا التجنيد عند تعريف الوهابية وذكرنا قول ابن بشر في كيفية فعل ذلك (وأرسل - أي سعود - إلى جميع البوادي حواويش رجال يحوشونهم من أقطار الجزيرة للغزو معه) عنوان المجد ١/ ١٦٨.

٤ . قتل في معركة الجراب سنة ١٩١٥



وقد استمر أبناء الشيخ وأحفاده في رعاية هذا الجيش والغزو معه[١] وإحكام تنظيمه، حتى عرف باسم جيش الإخوان، وهي تسمية يقول الوهابية بأن الذي أطلقها عليه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ (ت١٣٣٩هـ) جدّ الملك فيصل لأمه[٢].

التجربة العملية:

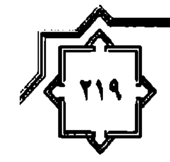
وكانت أول تجربة للغزو قام بها سبعة من خبراء هذا الجيش، ولكن الغريب أنهم سقطوا من على ظهور الجمال، مما حدا بابن بشر لأن يؤرخ لهذا الحدث قائلاً:(ثم أمر الشيخ ـ أي محمد بن عبدالوهاب ـ بالجهاد وحضهم عليه فامتثلوا، فأول جيش غزا سبع ركايب، فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا من أكوارها لأنهم لم يعتادوا ركوبها، فأغاروا أظنه على بعض الأعراب فغنموا ورجعوا سالمين)[٣] وتساؤلنا عن هوية هؤلاء الذين لم يعتادوا على ركوب النجائب؟! فالعهد بأهل نجد ـ وخصوصاً في تلك الفترة ـ ومنذ نعومة أظافرهم لا يعرفون مركوباً سوى الجمال، والعيب كل العيب أن يسقط الرجل العادي عن ظهر البعير فكيف بالمقاتل عن ظهر الذلول، فلا يصح أن يكونوا هم الذين (لم يعتادوا ركوبها)؟!

---

١ . لاحظ في القسم التاريخي موضوع الحجاز أن أبناء الشيخ يخرجون لقتال المسلمين مع هذا الجيش.

٢ . إبراهيم الفارس، أشهر أئمة الدعوة خلال قرنين، ص ٤٤ ـ ٤٥، المضحك أن أئمة الدعوة لا يتجاوز عددهم أحد عشر كلهم من أعراب نجد؛ ستة منهم أولاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأحفاده، ولا يوجد لعلماء الأمة بينهم مكان، هؤلاء هم أشهر أئمة الدعوة خلال قرنين في الفكر الوهابي!

٣ . ابن بشر، عنوان المجد، ج١ ص ١٤ ـ ١٥



التطور:

اعتمد جيش الإخوان أسلوباً حديثاً في القتال؛ فقد كانوا يقاتلون في صفوف متتالية أسوةً بالجيوش النظامية، في حين يبقى الخيالة والجمّالة كقوات احتياطية، وأصبح هذا الأسلوب مميزاً للإخوان، وقد اعتمدوه ساعة الهجوم على الجهراء عام ١٩٢٠ في وجه قوى الكويت مجتمعة، وفي عملياتهم الحربية التي مكنتهم من الاستيلاء على حائل[1].

لقد استطاع الجيش الوهابي المنظم بعد خمس عشرة سنة فقط من تأسيسه أن يركّع مناطق واسعة من الجزيرة نتيجة الغارات المتلاحقة؛ والتدمير الشامل، والسلب والنهب الذي جمعوا من خلاله أموالاً عظيمة مما أذلَّ القبائل البدوية المجاورة التي كان يغلب عليها الجهل فتبعت المذهب الوهابي وقاتلت تحت لوائه، فصار جيشهم يربو على مائة وعشرين ألف مقاتل، فكانت حروبهم (جهاداً[2]) وغاراتهم (غزوات) وانتصاراتهم (فتوحات) وقتلاهم شهداء وأعداؤهم من المسلمين هم الكفار.

الإفساد في الأرض:

عاث هذا الجيش العرمرم في الأرض فساداً لتدعيم النفوذ الوهابي بالجزيرة وما حولها مثلهم في ذلك مثل جيش مسيلمة الذي أباد خضراء المسلمين وذهب على يديه كثير من صحابة رسول الله ﷺ، ولكن الفرق في القيادة، فقيادة الوهابية العليا التوجيهية[3] كانت بيد النصارى؛ يقول فيلبي في كتابه (أربعون

---

١ . ديكسون، عرب الصحراء، ص ٤٦١

٢ . ابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٤

٣ . أو ما يعرف بالقيادة الاستراتيجية، بل إنها بعض الأحيان تشمل لدى الوهابية حتى القيادة الميدانية (التكتيكية).

عاماً في الجزيرة العربية): (بعد أن يئسنا من الحسين حركنا جنود الإخوان بقيادة خالد بن لؤي وفيصل الدويش وسلطان بن بجاد لسفك دماء غزيرة في الطائف لتوقع الرعب في قلوب الحجازيين: البادية والحاضرة)[١]، ويقول عن دوره في تركيع عبدالله بن الحسين بالأردن: (.. **فأمرت عبدالعزيز بإرسال مجموعة من «الإخوان» البدو من ناحية قريات الملح لمطاردة عبدالله بن الحسين وقتله.** كما طلبنا من ابن عدوان أن يثور من داخل الأردن على عبدالله بن الحسين... **فقتلوا بأسلحتهم الحديثة بضعة آلاف من قبائل البلقاء وقبائل الحويطات وبني صخر ومن بينهم العديد من الأطفال والنساء**)[٢]

قلب السنن والأعراف:

لقد غيَّر جيش الإخوان ـ بتعليمات محمد بن عبدالوهاب ـ قوانين الحرب في صحراء الجزيرة، فقد كان قتل النساء أو سبيهن أو سرقة حليهن محرماً باتفاق أهل البادية ودليلاً على خسّة الطبع، وكان البدوي إذا شعر بالهزيمة هرب وترك نساءه وأطفاله خلفه موقناً أن لا بأس سيصيبهم لأن الأعراف تقتضي أنهم خارج دائرة القتل والنهب والسلب، ولكن جيش الإخوان قلب هذه الموازين فكم من امرأة قيدت ليستمتع بها أمراء الوهابية[٣]! يقول ديكسون المخلص للوهابية[٤] والذي فكَّك جيش الإخوان من بعد كما سيأتي: (ولسوء الحظ فإن

---

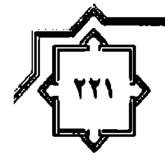
١ . نقلاً عن ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، ص ٣٥٩

٢ . ناصر السعيد في تاريخه ص ٥٠١ و ٥٠٢، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، ص٢٣٤ و٢٣٥

٣ . الملك عبدالعزيز أمير القوم وقدوتهم نكح أكثر من أربع مائة امرأة كثير منهن من السبايا وإحداهن زوجة ابن فيصل الدويش الذي قتله!

٤ . **ديكسون ولد في أحضان قبيلة عنزة وأرضعته امرأة منهم؛ لذا فهو يرى نفسه من عنزة، وقد أسمى ولده سعودا، وابنته زهره، ولكنه لم يسلم كما يذكر ذلك، ومع هذا لم يكن قادة الوهابية في**

←



المتعصبين من الإخوان خلال السنوات التي كان نجمهم فيها في صعود، وأصبحوا يشكلون خطراً في الصحراء على العدو والصديق فعلوا الكثير لقلب هذا النظام وغيره من العادات السامية التي كانت عزيزة على قلب كل عربي صحيح)[١] ودفاع ديكسون هذا عن الإخوان بنسبة السبي للمتعصبين ـ أي الأكثر تديناً ـ من الإخوان غير مقبول، فهو لا يجد مندوحة من أن يعترف في مكان آخر بأنهم كلهم من غير استثناء يقتلون النساء والأطفال؛ حيث يقول: (وقد قام الإخوان أثناء هذه الهجمات بقتل عدد من النساء والأطفال على نحو لا يغتفر)[٢]

وكذلك كان للأسير حرمة فلما جاء جيش الإخوان استحل دماء الأسرى، يقول ديكسون: (ولكن عندما كان الإخوان في أوج قوتهم في نجد وبخاصة من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٠ ضربوا عرض الحائط بقوانين الله والناس فإن مثل هذه التوسلات كانت تذهب أدراج الرياح؛ إذ كانوا يقطعون عنق من استسلم ومن لم يستسلم)[٣]

اكتشاف الخدعة:

لقد كان أبناء محمد بن عبدالوهاب ومشائخ الوهابية يحرضون جنود الإخوان على القتال ويعدونهم بالجنة ولكن عندما يحمي الوطيس ينتقلون إلى الصفوف الخلفية[٤]، ويحذرونهم من موالاة الكفار بينما يرى الإخوان أنَّ الإنجليز

حينه يقومون بأمر ذي بال إلا بعد الحصول على توجيهاته واستشارته، وقد حقق كتابه وعرَّبه الوهابية أنفسهم، وثقةُ الوهابية هذه بديكسون هي التي سمحت لنا بالاستشهاد بأقواله!

١ . ديكسون، عرب الصحراء، ص ١٥١

٢ . ديكسون، عرب الصحراء، ص ٤٦٢

٣ . ديكسون، عرب الصحراء، ص ٤٦٤

٤ . ديكسون، عرب الصحراء، ص ٤٦٢

هم المخطط الحقيقي لقيادتهم؛ فعرف أخيراً قادة الإخوان الجهلة[١] أنهم كانوا مخدوعين وأن هناك من يلعب لعبة خطرة مع الإنجليز[٢].

عقد الإخوان بقيادة فيصل الدويش ومعه ابن حثلين وابن بجاد مؤتمراً في الغطغط عرف فيما بعد باسم مؤتمر الأرطاوية في أواخر ١٩٢٦م وخرجوا منه بعريضة بها سبعة مطالب أهمها منع استخدام الهاتف والسيارة في بلاد المسلمين وإدخال شيعة الإحساء في الدين الوهابي أو قتلهم، ولكنهم ومع هذه المطالب فإن الأزمة لم تبلغ بهم بعد حد الإنفصال حيث لم يترددوا في ذلك الوقت في مبايعة ابن سعود باسم «ملك الحجاز ونجد و ملحقاتها» وذلك في أوائل سنة ١٩٢٧م

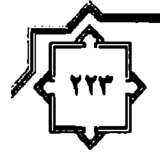
خلال هذه الفترة كانت تحركات الإخوان مثيرة للقلق بالنسبة للقيادة الوهابية العليا؛ حيث استعانوا بخمسة عشر عالماً وأصدروا فتاوى مناصرة لمطالبهم بمؤتمر الأرطاوية، وبعد معركة السبلة (٢٩/ ٣/ ١٩٢٩) تفجَّر الموقف، حيث قام الإخوان بثورة مسلحة ضد الزعامة الوهابية بقيادة سلطان بن حميد العتيبي وفيصل بن سلطان الدويش المطيري[٣]، فما كان من ذرية محمد بن عبدالوهاب إلا أن أفتوا بأن هؤلاء خوارج تحل دماؤهم، ولكن كيف السبيل إلى ذلك وهم الجنود، والجيش السعودي الأحدث لم يشبَّ بعد عن الطوق؟!

---

١ . أكثر قادة الوهابية جهلة يشتهرون بسوء الخلق، وأشهرهم في ذلك حزام الحثلين الذي يقول عنه ديكسون في كتابه (عرب الصحراء، ص ٣٦٠): (وكان من كبار قادة الإخوان المتعصبين وكانت شتائمه التي يكيلها فاحشة) هؤلاء هم قادة الفتح الوهابي!

٢ . ديكسون، عرب الصحراء، ص ٤٧٠

٣ . هو أحد الأنصار الثلاثة والعشرين الذين هجموا على الرياض مع عبدالعزيز للاستيلاء عليها ثانية، ومستشاره الأمين وقائده الفذ في العديد من المهام العسكرية والذي توليقتل مئات الأبرياء في الجزيرة والعراق، وهو الذي حاصر المدينة المنورة وقطع عليها السبل وأجاع أهلها حتى استسلموا للوهابية، وكان سيفاً مصلتاً على قبيلة أمه العجمان طيلة حياته.



هنا كان لا بدّ أن تدخل اليد البريطانية بكل وضوح براً وجواً ومن دون أي تورية، فساقت بريطانيا قوتها للقضاء على من يريد أن يكشف الحقيقة، فضرب عليهم الحصار ومنعوا من الحصول على التموين الغذائي، وتولى سلاح الجوي الملكي البريطاني قصفهم من الجو بشكل عنيف[1]، أما براً فكانت مشاة سلاح الجو البريطاني[2] تهاجمه[3]! حتى قتل ابن حميد والكثير من رجالات الإخوان، ولم يبق أمام الأحياء منهم إلا الاستسلام أو الموت فخارت قوى فيصل الدويش خصوصاً بعد مقتل ابنه.

النهاية:

استسلم فيصل الدويش على يد العميد ديكسون المقيم السياسي البريطاني في الكويت والذي سلّمه إلى (السير س.س. بيرنت) قائد القوات البريطانية في البصرة أسيراً في ٨/ ١/ ١٩٣٠، والذي استلم سيفه إيذاناً بنهاية عصر الإخوان، ومن هناك حمل الدويش إلى الرياض ليموت في سجن الملك عبدالعزيز سنة ١٩٣٢، والطريف أن الدويش الذي يكره الإنجليز عهد بزوجته ـ ساعة الاستلام ـ وأخواته الثلاث وطفليه الصغيرين وسبعة وعشرين من قريباته إلى ديكسون، قائلاً له: (أهلي في ذمتك يا أبو سعود).

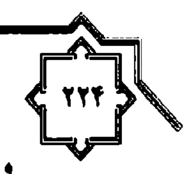
أما من بقي من الإخوان فقد تمت تصفية قادتهم والكثير من شجعانهم جسدياً بعد الاستسلام.

---

١ . يكفيك لتصوُّر ضخامة جيش الإخوان أن تعلم أن إبلهم ساعة القصف بلغت مائة ألف ناقة!!

٢ . وتسمى في تلك الفترة فرق السيارات المسلحة (الفرقة الأولى والثانية)، وهي النواة لما عرف من بعد باسم كتيبة سلاح الجو.

٣ . ديكسون، عرب الصحراء، ص ٤٦٩



وبهذا طويت صفحة الجيش الوهابي الذي رمى بذرته محمد بن عبدالوهاب ورعاه أبناؤه من بعده؛ فركّع أغلب جزيرة العرب تحت لواء الدولة الوهابية، ولكن لم تكن نهايته إلا لتقوم من بعده قوات أكثر تنظيماً وأعظم إخلاصاً مستعدة حتى لقتل الحجاج في البيت الحرام!!

الشيخ جون فيلبي!

اهتم الإنجليز اهتماماً كبيراً برعاية الحركة الوهابية الناشئة، كيف لا وفيها بارقة الأمل لا للقضاء على ذروة سنام الإسلام فحسب بل إلى شغل المسلمين بأنفسهم، فأخذوا يرعونها بواسطة عملائهم، الواحد تلو الآخر من الزعماء الأوائل الذين يسقطون من على النجائب! إلى شكسبير الذي قتل في معركة الجراب بين الوهابية وآل رشيد ثمَّ جون فيلبي، وفي مقالنا هذا سنتعرض لهذه الشخصية بشيء من التعريف نظراً لقيامها بدور مباشر في القيادة للوهابية عسكرياً وسياسياً ردحاً طويلا من الدهر.

من هو فيلبي؟:

هو الكولونيل هاري جون سانت فيلبي ولد في ٣ أبريل ١٨٨٥ في جزيرة سيلان[1]، وانتقل مع أبيه إلى بريطانيا سنة ١٨٩١ وأكمل دراسته في جامعة كامبردج سنة ١٩٠٧، ثم درس التاريخ والقانون الهندي، وتعلم اللغات الفرنسية والألمانية والهندستانية والفارسية والعربية، وعاد إلى الشرق ضمن أفواج المخابرات البريطانية، أمثال كتشنر ولورنس ومكماهون، وكوكس ومس بل وكلايتون، وغلوب وولسون وغيرهم.

---

١ . سريلانكا حالياً، وكانت إحدى المستعمرات البريطانية.



أُرسل فيلبي إلى الهند عام ١٩٠٨ ليعمل في المخابرات الإنجليزية هناك، وترقى عام ١٩١٤ ليصبح نائب حاكم (لايلابور) ثم انتقل ليرأس دائرة الصحافة في البنجاب، ولكن بعد انفجار الحرب العالمية الأولى بدأت بريطانيا تعد العدة لانتزاع ما يمكن انتزاعه من ممتلكات الدولة العثمانية وفي مقدمتها العراق، فشقت البحرية البريطانية طريقها إلى البصرة في نوفمبر ١٩١٤ يترأسها السير برسي كوكس ومن أبرز معاونيه المستر فيلبي الذي عيِّن ضمن الجهاز الإداري الذي يرأسه كوكس.

بعد عام واحد عيِّن فيلبي مساعداً مالياً في البصرة وأنيط به تحرير صحيفة (الأوقات البصْرية) التي تصدرها دائرة المندوب السياسي البريطاني. وقد كان لجولاته في جنوب العراق لجمع المعلومات ولقائه بديكسون الذي سبقه إلى المنطقة في سوق الشيوخ[1] أثر بالغ عليه للولع بالعمل في الصحراء.

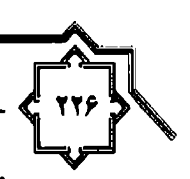
بعد احتلال بغداد في ١٧ مايو ١٩١٦ عين فيلبي مساعداً ثانياً للحاكم هناك واشترك مع القسيس ماري الكرملي في إصدار صحيفة (العرب) فكان رئيس تحريرها.

دخول الجزيرة العربية:

بعد مقتل الكابتن شكسبير في معركة الجراب سنة ١٩١٥، في مواجهة آل رشيد الذين رأت فيهم بريطانيا ولاءً للسلطة العثمانية، والذين استطاع الوهابية مشاغلتهم فلم ينجدوا السلطة العثمانية ساعة احتلال القوات البريطانية للبصرة، توجه زعيم الوهابية في حينه إلى البصرة[2] ليسلحه الإنجليز بقائد آخر

١ . تقع على مسافة ١٥ ميلاً شمال الناصرية غربي الفرات. (التحفة النبهانية، ص ٣٧٤)

٢ . في ٢٧ نوفمبر ١٩١٦



جديد يدبّر له أموره، ولم يكن هذا القائد إلا المستر فيلبي، فوصل في بعثة متكاملة لدراسة الوضع الجديد ومعه المال والسلاح للوهابية إلى ميناء العقير بالإحساء بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩١٧ مرتدياً الملابس العربية واتجه إلى الرياض ليستقبله هاملتون الوكيل السياسي البريطاني بالكويت[١]، ولكنه لم يلبث طويلاً فخرج في مهمة لم تتضح أهدافها في ذلك الوقت فقام باختراق منطقة الجزيرة من الجنوب إلى الشمال ثم عبر الحجاز إلى مصر ليعود من هناك عن طريق البحر إلى البصرة مخططاً المنطقة المطلة على البحر الأحمر، لقد كانت المهمة تخطيط ما سيصبح من بعد مملكة مترامية الأطراف للدولة الوهابية!

سلّم فيلبي مخططه لبرسي كوكس المعتمد البريطاني ومسئول المخابرات البريطانية في المنطقة ثم ما لبث أن عاد إلى نجد يحمل معه المال والسلاح الإضافي والتقى بزعيم الوهابية في صحراء الدهناء.

كانت مهمة فيلبي تتمثل في ثلاثة محاور هي:

المحور الأول: المساهمة في جمع المعلومات للمخابرات البريطانية عن الجزيرة العربية.

المحور الثاني: تربية جيل يستطيع حمل المهمة من بعده يلبس لبوس أهل البلاد.

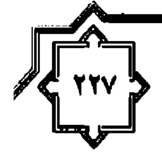
المحور الثالث: القضاء على نفوذ الدولة العثمانية المتمثل في:

(أ) آل رشيد في الشمال الشرقي.

(ب) الأسرة الهاشمية في الحجاز.

---

١ . وقد سلّم فيلبي إلى قائد الوهابية في حينه مائة ألف ريال على الحساب للبدء بتجنيد القبائل على أساس أن الأسلحة ستصل لاحقاً.



بالنسبة للمحورين الأول والثاني فقد قام بهما فيلبي خير قيام[١]، وقد أشرف على تربية أكثر من بديل للزعامة الوهابية، وأما بالنسبة للمحور الثالث فبعد وصوله وجد أن القوات الوهابية قد انسحبت إلى بريدة، وانسحب آل رشيد إلى القصيم، فكانت الأوامر البريطانية بضرورة سرعة إعادة تحريك القوات الوهابية لاستئناف التحرشات بابن رشيد، وقد تم الاتفاق مع الوهابية على مباشرة مهمتهم فور وصول الإمدادات اللازمة، وتعهدت بريطانيا بتقديم الأموال والأسلحة والمشورة العسكرية[٢].

وقد بدأت كميات الأسلحة تصل تباعا، وكانت دفعة منها تبلغ خمسة آلاف بندقية ومائة صندوق ذخيرة.

كانت أولى معارك جون فيلبي ضد آل رشيد، ولم يجرؤ فيلبي خلالها على المشاركة الفعلية خوفاً من مصير شبيه بمصير النقيب شكسبير، بل اكتفى

---

١ . لابد أن نسجل هنا أحداثاً إضافية هامة؛ منها أن فيلبي كان مشتغلاً بالتنقل في أرض الجزيرة وتدوين كل حياتها حتى نباتها وطيورها وحشراتها وأرسلها إلى المتحف الطبيعي بلندن، وصور ٧٠٠٠ مخطوطة وأرسلها إلى بريطانيا، وكان فيلبي في طليعة من قطع الربع الخالي ووصل شمال (شنّه) في عمان، وزار فيلبي سبأ وحضرموت عام ١٩٣٦ فدرسها دراسة مهدت الطريق أمام بريطانيا لاحتلال اليمن من بعد، وله في ذلك كتاب بعنوان (الربع الخالي). مجلة (الشرق الحديث) الإيطالية في مقال بتاريخ ١٩٣٧ نقلاً عن ناصر الفرج، قيام العرش السعودي دراسة تاريخية للعلاقات السعودية البريطانية، الصفا للنشر والتوزيع، لندن، ص ١٠٣. وديكسون، عرب الصحراء، ص ٣٣٤

٢ . الميجور ديكسون، الكويت وجاراتها، تعريب جاسم المبارك، وقد ذكر أن البعثة من البصرة إلى نجد قد ترأسها جون فيلبي وبعضويتها كل من الكولونيل هاميلتون والكولونيل كانليف أوين ممثلي المخابرات البريطانية في العراق، وقد حملت مبالغ طائلة من الجنيهات الذهبية وريالات ماريا تريزا إلى الوهابية وكانت موضوعة في صناديق متينة، في الوقت الذي لم تكن فيه موارد الوهابية تتجاوز المائة ألف ريال إضافة إلى المساعدات السنوية البريطانية البالغة ستين ألف ريال. يراجع أيضاً د. محمد الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية.

بمراقبتها من شرفة عالية في برج قريب[١].

لقد عمد فيلبي خلال إدارته للدولة الوهابية إلى أساليب جديدة لم تستخدم قبله منها إعلان إسلامه الذي لم يثبت بل جاهر في كتبه من بعد بأن اسمه جون فيلبي ولم يذكر أن اسمه عبدالله كما يظن أعراب نجد لذا فإن ديكسون صديقه يقول: (كان البدو يسمون فيلبي عبدالله هيلبي)[٢]!! ومن أساليبه استخدام المال وتقديم المغريات كوسيلة لتحريك الحساسيات والعصبيات بين القبائل وضدَّ أمراء المناطق، فساعده بعض آل رشيد على الاستيلاء على بعض قرى منطقة حائل عاصمة آل رشيد.

وكان هذا من مسهلات معركة (الروضة) حيث احتلت قريتا (بيضاء نثيل) و (الشعيبة) وقتل الوهابية المصلين في صلاة الفجر بالمساجد في شهر رمضان على أساس أنهم من المشركين، كما هتكت الأعراض ونهبت الأموال.

ثمَّ استطاعوا بمعاونة بعض العملاء من الاستيلاء على جبل شمَّر (جبل طيء سابقا: أجأ وسلمى) وأخذوا يمارسون الإرهاب ضدَّ أهله، ولا سيما في قرية (عقدة)، وبعض القرى المجاورة، حيث قتلوا عدداً من الفلاحين الآمنين[٣]، وهكذا انفتح الطريق أمام الوهابيين إلى حائل وكان للخيانة ـ كما خطط لها فيلبي ـ دور كبير في سقوطها، بعد أن حشد لها الوهابية جيشاً كبيرا، فسقطت في أيديهم في ٢٩ صفر ١٣٤٠ / ٢ نوفمبر ١٩٢٢[٤].

أما بالنسبة للأشراف في الحجاز: فقد كان قرار التأديب البريطاني باستخدام العصا الوهابية بعد أن رفض الشريف حسين قبول الاتفاقات التي نعرفها اليوم

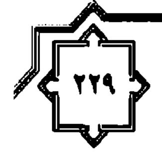
---

١ . خيري حماد، (عبدالله فيلبي) ص ٢١٥

٢ . ديكسون، عرب الصحراء، ص ٣٣٦.

٣ . ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، منشورات اتحاد شعب الجزيرة العربية، مغفل التاريخ، ص ٧٨

٤ . نفس المصدر، ص ٨٧



بين الإنجليز والفرنسيين والصهاينة بخصوص ما أسموه بمنطقة الشرق الأوسط من اتفاقية سايكس بيكو (١٩١٦) إلى وعد بلفور (١٩١٧)، على الرغم من محاولات الرشوة والتهديد من البريطانيين، يقول الدكتور صلاح العقاد (والحق أن معارضته (الشريف) الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وما ترتب على ذلك من رفض معاهدة فرساي كان أقوى الأسباب التي باعدت بين الشريف حسين والحكومة البريطانية)[١]

ورداً على الشريف هيأ الإنجليز للوهابية الهجوم على الحجاز، ولم يكتفوا بالمشورة والإمدادات العسكرية هذه المرة، فقد استطاعوا إمدادهم بالتغطية الشرعية عن طريق استصدار الفتاوى لا من أتباع محمد بن عبدالوهاب فقط بل حتى من بعض مستعمرات التاج البريطاني، كما قاموا أيضاً بتخريب مقومات القوة العسكرية الشريفية، ولا سيما الطائرات الحربية التي كانت بحوزتها، والتي استطاع العملاء البريطانيون السريون تعطيلها.

وفيلبي هو الذي استطاع خداع الشريف فطرح وساطته بينه وبين الوهابية عند زحفهم على الحجاز، فاستطاع أن يطَّلع على أوضاع الجيش الشريفي ليضع للوهابية الخطط الكفيلة بالقضاء عليه. فبعد أن زار جدة أكد فيلبي لقائد

---

١ . د. صلاح العقاد، جزيرة العرب في العصر الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٠، ص٤١، وليس من شك أن الشريف حسين كان مطية للأطماع النصرانية اليهودية الآتية عبر السير مكماهون المندوب السامي البريطاني بالقاهرة، فبعد موافقته للمساهمة في الهجوم على الدولة العثمانية في سبيل أن تضم إليه الأقاليم العربية الواقعة تحت الحكم العثماني، أعلن الثورة في ٩ شعبان ١٣٣٥(١٩١٦)، ولكنه ما إن تبيَّن الخيانة ومحاولة رشوته بأن يتولى ابنه عبدالله إمارة شرق الأردن مقابل إعطاء فلسطين لليهود أبى الرجل أيما إباء وأصر على توحيد البلاد العربية الآسيوية فما كان من بريطانيا إلا أن حاربته بسلاحها الجديد: الوهابية فأخرجته من الحجاز عام ١٩٢٤ وتشتت الأسرة الهاشمية أيادي سبأ!



الوهابية أنها (من الناحية العسكرية عاجزة عن الصمود كما أكد له أن غالبية أهلها يريدون نهاية سريعة).

يقول فيلبي (بعد أن يئسنا من الحسين حركنا جنود الإخوان بقيادة خالد بن لؤي وفيصل الدويش وسلطان بن بجاد لسفك دماء غزيرة في الطائف لتوقع الرعب في قلوب الحجازيين: البادية والحاضرة، ونوفر بها على بقية المدن الحجازية دماء أخرى إن أمكن الأمر، وإلا فإن دماء غزيرة لابد من إراقتها لأن الإنجليز قرروا إسقاط حكم الشريف حسين بأي ثمن بعد أن رفض الأمر والطلبات بإعطاء فلسطين لليهود المشردين المساكين، وبعد أن رفض الحسين ما عرضناه عليه بأن يكتفي بالحجاز وحده، وأن يغير وجهة نظره في توحيد البلاد العربية كلها تحت حكمه)[1]

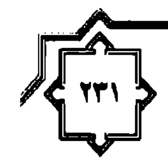
ومنذ بداية ١٩٢٦ أصبح فيلبي المستشار الخاص لزعماء الوهابية فبقي ملازما لهم ردحاً طويلا من الدهر، وقد أسهم إسهاماً كبيراً في تعميق الروابط بين الوهابية والصهاينة، حيث قدم حاييم وايزمان الزعيم اليهودي رشوته لقادة الوهابية عن طريق فيلبي؛ ليعينوهم على إقامة دولة صهيونية في فلسطين[2]، بل إن فيلبي هذا هو الذي رتَّب للقاء بين زعيم الوهابية وسمحا إيرلخ مندوب ديفيد بن غوريون سنة ١٩٤٥ الذي مُنح يومها من الوهابية مبلغ عشرة آلاف جنيه إسترليني كمساعدة للصهيونية العالمية[3].

---

١ . ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، ص ٣٥٩

٢ . ذكرنا القصة بكاملها عند حديثنا عن دور الوهابية في ترسيخ الوجود الصهيوني في فلسطين.

٣ . أصبح سمحا إيرلخ وزيراً للمالية في إسرائيل في عهد مناحيم بيجن، وتوجد له صورة مع الملك عبدالعزيز. يراجع للتفاصيل فيلبي، تاريخ نجد، وناصر السعيد، تاريخ آل سعود، و خيري حماد، أعمدة الاستعمار، والتقوي، الفرقة الوهابية في خدمة من؟ ص ٢١٣.



النهاية:

بعد طرد الجنود الوهابية من البريمي، وتوتر العلاقات الوهابية البريطانية[1] مع بداية عصر التدخل الأمريكي، وفي مايو ١٩٥٥ أذاع راديو جدّة قرار الملك سعود إخراج فيلبي من السعودية (مع منحه جميع أملاكه وأمواله، لأنه أخذ يتجه اتجاهات غير ملائمة)[2]، فخرج الرجل الذي كوّن وحكم من وراء الستار أكبر مملكة في شبه الجزيرة بعد أكثر من ثلث قرن متجهاً إلى بيروت، ومن هناك بدأ يهدد بنشر الوثائق السرية لبيع الوهابية لفلسطين، وله كتب مطبوعة تخص المنطقة منها (أيام عربية) و (أربعون عاماً في جزيرة العرب) و (تاريخ نجد وتاريخ الشيخ محمد بن عبدالوهاب)[3].

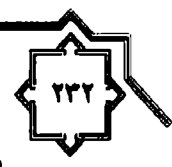
بقي أن نذكر أن الشيخ فيلبي هو والد هارولد كيم فيلبي الذي كان دبلوماسياً بريطانياً رفيع المستوى، ومن كبار ضباط الاستخبارات البريطانية، ولكنه في نفس الوقت كان عميلاً مزدوجاً للمخابرات الروسية (كي. جي.بي)، ثمَّ هرب إلى روسيا عام ١٩٣٦م بعد افتضاح أمره، وقد ذكر قصته (بيتر رايت) في كتابه الشهير (صائد الجواسيس)، وهكذا كان الأب جون فيلبي متهماً بازدواجية العمالة للمخابرات الأمريكية (سي.آي.إيه.)، مع عمله في المخابرات البريطانية.

---

١ . سحبت السعودية سفيرها من لندن في نوفمبر ١٩٥٥ علامة احتجاج على طرد جنودها من البريمي، وظلت سفارتها بدون سفير حتى يوليو ١٩٦٣ حيث أعيد فتحها بقصد التعاون ضد ثورة اليمن.

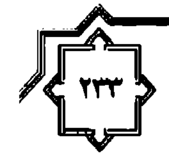
٢ . حيث كتب فيلبي في مجلة (الشؤون الخارجية) التي تصدر في واشنطن في أبريل ١٩٥٤ يهاجم فيها منافسيه في السعودية وأسلوب التصرف في أموال الدولة، ويقال بأنه كان للتغير من الولاء البريطاني إلى الولاء الأمريكي دور مباشر في إخراج فيلبي من نجد، وقد كتب الرجل فيما بعد بأنه يعلم بأن دوره كان قد انتهى بموت الملك عبدالعزيز.

٣ . ترجمه عمر الديراوي ـ بيروت ـ بدون تأريخ.



هذا هو فيلبي الذي آمن به الوهابية فساروا على النهج الذي رسمه لهم، وستجد بعضاً من أفعاله وأقواله في أماكن أخرى بهذا الكتاب نقلناها لأهميتها[1] .

١ . للأستاذ ناصر الفرج، فصل خاص بكتابه قيام العرش السعودي دراسة تاريخية للعلاقات السعودية البريطانية، عنوان الفصل (الملك البريطاني غير المتوج في الجزيرة العربية) ص ٩٤ إلى آخر الكتاب، خصصه لفيلبي وهو جدير بالدراسة.



الفصل الثاني: الجغرافية الوهابية وتشويه معالم الإسلام

نجد مهد بلايا المسلمين، من ذي الخويصرة ثم مسيلمة وسجاح ثم نجدة بن عامر إلى ابن عبدالوهاب، إلى ابن باز الذي يبيح قتل المسلمين في الصلاة.

ومن الصفات التي تجمع هؤلاء البغاة أنهم:

(يخرجون من جهة المشرق)

ويعترف السابقون من الوهابية بارتداد أهل نجد ساعة ظهور محمد بن عبدالوهاب حيث يقول عالمهم الكبير الشيخ عبداللطيف آل الشيخ واصفاً أجداده: «قد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجدّوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق بغير الله من الأولياء والصالحين، والأوثان والأصنام والشياطين»[1] وقد جاء في «عنوان المجد» أنهم كانوا ينكرون البعث وما عُلم من الدين بالضرورة[2].

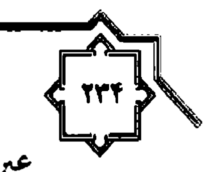
بل إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قال لابن سعود في اتفاق الدرعية سنة ١١٥٧هـ: «أنت ترى بلاد نجد من أقصاها إلى أقصاها وقد انغمست في الوثنية، وغرقت في الضلال والشرك»[3].

---

١ . مجموعة الرسائل والسائل النجدية. ج٣، ص ٣٨١ ـ ٣٨٢، ونحن وإن كنا نوقن بأن هذا الموضع هو أرض الفتن فإننا لا نعتقد هذه الردة على إطلاقها في أهل نجد، لأنه قد ثبت أن منهم من قتله الوهابية وهو في صلاته يناجي الله سبحانه وتعالى.

٢ . عنوان المجد، ج١، ص ٢ الهامش. واقرأ الصفحة التي تليها قول ابن بشر أيضا عن رُسُوّ الشرك بنجد.

٣ . عنوان المجد، ج١، ص ٢٤، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ط٢، بيروت ١٩٧٤، أما طبعة الرياض فتوجد بها عبارة قريبة منها ج١، ص ١٢.



وفي هذا الفصل أيضاً ضربنا أمثلة على كيفية محاولة الوهابية تشويه التاريخ عبر تغيير الجغرافيا.

التماحك حول حديث (هنالك الزلازل والفتن)

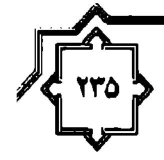
يحاول الوهابية الدفاع عن كعبة أنظارهم نجد؛ البلاد المعروفة في جزيرة العرب، فيدَّعون بأنها ليست المقصودة بالحديث الذي عند البخاري وأحمد والترمذي وغيرهم «**قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا قَالَ قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا قَالَ قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ قَالَ هُنَاكَ الزَّلازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»[١]، وهو دفاع لو أمعنت النظر فيه لما رأيت إلا تكلفاً كبيراً ومشقة بالغة، وهذا الأسلوب الأعوج مما يوقع الوهابيون أنفسهم فيه في أكثر من موضع وإليك البيان:

لفظة نجد إذا أطلقت هكذا في جزيرة العرب لا يجوز أن تحمل عقلاً على غيرها، فإذا قلت نجد أشرت إلى ما يقابل الحجاز، أرأيت أن لو قلت لابنك وأنت في بيتك (نادِ أمَّك من الغرفة) أيجوز له عقلاً أن يناديها من بيت الجيران بحجة أن في بيت الجيران غرفة أيضا!

١ ـ الحديث صريح لا غبار ولا غشاوة عليه في أن المقصود نجد أهل الجزيرة لا غيرها حيث قال السائل «**نجدنا**» لا نجد المجوس، لأن العراق كانت ما تزال في ذلك الوقت؛ عصر الرسول الكريم ﷺ تحت حكم الفرس، ولم يدخلها الإسلام إلا في عهد عمر رضي الله عنه، فأين المفر من هذا اللفظ الصريح ولماذا المماحكة؟!

---

١ . وقد روى مسلم في هذا الباب أيضاً الكثير من الأحاديث حيث أشار النبي ﷺ إلى أرض بعينها قائلا «**وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**».

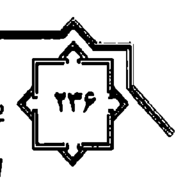


٢ ـ ويشيرون إلى أنَّ العراق أولى بهذا اللفظ لأن الجمل وصفين وكثيراً مما تلاهما من الأحداث كانت بها، ولو أنعمت وأمعنت النظر لعلمت أنه لا علي ولا عائشة ولا الزبير ولا معاوية ولا عمرو بن العاص من أهل العراق، وهم قادة الوقعات وأطراف النزاع في المواقع التي ذكرت فأهل الخلاف هم أهل الجزيرة لا أهل العراق فلا يمكن بحال أن نحملهم مشاكلنا لأننا تقاتلنا على أرضهم! أما الخوارج فناهيك بالقائدين الخارجيين الكبيرين نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر الحنفيَّين الَّذَين هما من أهل اليمامة أي من نجد؛ فما جريرة أهل العراق أن يتحملوا جرمهما وتسلم اليمامة (الرياض اليوم) وعموم نجد من شرهما ومن معهما؟! هذا ولو نظرت في كتب التاريخ لرأيت أكثر الخوارج هم من قبائل (نجدنا).

٣ ـ ويحتجون بأن العراق وقع بها مقتل الحسين بن علي لعن الله قاتله، وهذا استدلال من وهت حجته، فمنذ متى كان للوهابية تعلق بالحسين وجد الحسين الذي ينهون عن زيارة قبره؟! أقول، أولاً: مقتل الحسين لم يقع بأرض تسمى نجداً حتى يكون للوهابية في ذلك مخلص، ولكن الأمر بقتله هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي فجر بالمدينة وأهلها من أصحاب رسول الله ﷺ، والذي يتولاه الوهابية اليوم فيقولون على الساحة الإسلامية وغيرها (لنا يزيد ولكم حرقوص[1])! ويدَّعون مع ذلك أنهم أتباع أحمد بن حنبل، بينما قد ذكر ابن تيمية أن صالح بن أحمد بن حنبل قال لأبيه: (إن قوماً يقولون إنهم يحبون يزيد. فقال:

---

١ . حرقوص هو ابن زهير السعدي صحابي كريم، وقائد قوات عمر بن الخطاب لفتح الأهواز التي استعصت على غيره فاختاره لها ففتحها الله على يديه رضي الله عنهم أجمعين. يراجع الطبري، التاريخ، ٢/ ٤٩٦. وابن الأثير، الكامل ٢/ ١٦١. و ابن الاثير، أسد الغابة ١/ ٤٧٤. والفيروز آبادي، القاموس، ٢/ ٣٠٩. والزبيدي، التاج، ٤/ ٣٧٩.



يا بني، وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقال صالح: يا أبت فلماذا لا تلعنه؟ قال: يا بني ومتى رأيت أباك يلعن أحداً)[١] بل إن رواية ابن تيمية هذه قاصرة حيث صرَّح أحمد بلعن يزيد في قوله: ولم لا يُلعن من لعنه الله تعالى في كتابه؟! فقيل له: وأين لعن الله يزيد في كتابه؟ فقرأ أحمد قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ ثم قال: فهل يكون فساد أعظم من القتل؟)[٢]، وحتى ابن تيمية نصير الأمويين الكبير لم يجد محيصاً عن أن يقول واصفاً يزيد (ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح) وقال واصفاً فعل عسكره بالمدينة (.. ثم صار عسكره في المدينة يقتلون وينهبون، وهذا من العدوان والظلم الذي فعل بأمره)، فوالله إن الأولى للوهابية بدلاً من هذه المماحكة أن يدرسوا التاريخ ليمتنع خطباؤهم عن إيذاء الآذان بترضيهم على يزيد الخمر كما صرح بشربه لها العلماء الذين يتمسح بهم الوهابية[٣]، في الوقت الذي يلعنون فيه الصحابة والصالحين من أهل النهروان، ولكنه الشقاء والعياذ بالله[٤]!

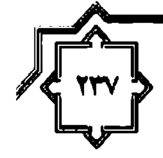
---

١ . ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٥/ ٤١٠

٢ . ابن الجوزي، الرد على المتعصب العنيد، ١٦. والشبراوي الشافعي، الإتحاف بحب الأشراف، ٦٣ ـ ٦٤.

٣ . كابن كثير في البداية ٨/ ٢٣٢

٤ . ولأدعياء السلفية كتب كثيرة للدفاع عن البغاة، ومن كتب الحشوية (يزيد بن معاوية المفترى عليه)!، ومن كتبهم (الحجاج بن يوسف المفترى عليه) وأيضاً (الحجاج بن يوسف الثقفي وجه حضاري في تاريخ الإسلام)!!! جرَّم فيه سعيد بن جبير ﷺ في خروجه، وجرَّم أهل المدينة!! فلله الأمر من قبل ومن بعد.



ومن ناحية أخرى فإن أرض العراق التي يعنيها الوهابية بالمقارنة مع نجد الجزيرة تكون سهلاً لا نجدا؛ فهي من مستوى سطح البحر إلى ٢٠٠ متر علواً أما نجد الجزيرة فترتفع إلى قرابة الألف متر فوق مستوى سطح البحر!

ويزعمون بأن نجد الجزيرة ليست شرق المدينة وهو كلام من ليس له معرفة بالجغرافيا أو من لم يكلف نفسه مطالعة الخارطة، وأدلهم على الخطوة الأولى بأن يوجهوا الخارطة إلى الشمال ثم ما كان عن أيمانهم فهو شرق، وسيرون بجلاء أن نجداً هي تماماً ما كان شرق المدينة المنورة وفيها رمال الدهناء العالية! وغربها ليس إلا بحر يسمى الأحمر وجنوبها بلاد الله مكَّة المكرمة وشمالها تبوك.

ويتهجمون على اليمن لأن الأسود العنسي الذي قتله أهل اليمن أنفسهم خلال أربعة أشهر خرج منها، ونظرهم هذا عجيب، فاليمن قد وردت أحاديث كثيرة في فضلها لا كنجد التي لم يرد فيها إلا التنفير وانتظار الفتن، ومنها الحديث الذي رواه البخاري وغيره (عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ أَشَارَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ فَقَالَ الإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا أَلا إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ (وهم الرعاة أصحاب الإبل!!!) عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ) وقوله وهو عند البخاري وغيره (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ) فأمرها كما ترى لا يقارن مطلقاً بنجد، التي كانت بدايتها مع ذي الخويصرة، ولم تنته فتنها بمسيلمة ولا بسجاح! ولا بنجدة بن عامر أو نافع بن الأزرق، حتى طالعنا ابن عبدالوهاب يشير إلى رسول الله ﷺ بكل قلة أدب بكلمة (طارش!)[1] ويستحل هو وأهلها إلى اليوم دماء الموحدين لأنهم أهل شرك

---

١ . أحمد بن زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص١٣٧ ـ ١٤٧.

في زعمهم، وما يقولونه اليوم في الأشاعرة والإباضية والزيدية والجعفرية وغيرهم من أهل الإسلام خير دليل على أنهم خوارج العصر.

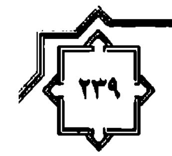
لو طالعت كتب أهل نجد ممن درسوا الحديث الشريف لرأيت أنهم لا يتكلفون ما تكلفه الألباني أو غيره من الدفاع عنها بل يصرح الشيخ عثمان بن بشر بذلك قائلاً: (واعلم رحمك الله أن هذه الجزيرة النجدية هي موضع الاختلاف والفتن، ومأوى الشرور والمحن، والقتل والنهب والعدوان بين أهل القرى والبلدان، ونخوة الجاهلية بين قبائل العربان..)[1] ويصرح كذلك الشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدي شقيق زعيم الوهابية بأن نجداً هي بلاد الزلازل والفتن ويبوب باباً في كتابه «الصواعق الإلهية» بعنوان (الشيطان في نجد)[2] يذكر فيه الأحاديث النبوية الصحيحة التي ذكر فيها أن رأس الكفر فيها، وأن بها الزلازل والفتن، وينهى أخاه على هذا الأساس من أن يدعو الناس لترك مكة والمدينة والهجرة إليه في نجد ليحلق رؤوسهم[3]، ولكن لا بد لنبوءة المصطفى من أن تتحقق في خوارج العصر ففي رواية البخاري وغيره (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ويقرأون الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ قِيلَ مَا سِيمَاهُمْ قَالَ سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ أَوْ قَالَ التَّسْبِيدُ**)، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فالألباني مخلِّط كبير يكفي أن ما يقارب الألف حديث جمعها المهتمون اليوم صححها الألباني في موضع وضعَّفها في آخر، وكفى بأنصاره السابقين شهوداً عليه فالبأس شديد بينه اليوم وبين زهير

---

١ . عنوان المجد، ٢/ ٣

٢ . الصواعق الإلهية ص١١٢

٣ . سبق تخريجه.



الشاويش ومحمد مهدي الإستانبولي وحوارهم بلغ من التشنّج والشتائم مبلغاً لا يمثل إلا أخلاق الحشوية الذين إذا أحبوا قدّسوا وإذا خاصموا فجروا[١].

وختاماً ولتزداد معرفة بنجد فإن بها تسعة أعشار الشر كما صرَّح بذلك الصادق المصدوق ﷺ حين قال في الحديث الذي رواه أحمد ورجاله ثقات (حَدَّثَنَا أَبُو عبدالرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ حَدَّثَنَا عبدالرَّحْمَنِ بْنُ عَطَاءٍ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ويَمَنِنَا** مَرَّتَيْنِ فَقَالَ رَجُلٌ وَفِي مَشْرِقِنَا يَا رَسُولَ الله فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **مِنْ هُنَالِكَ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ وَلَهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ**).

هذا ولو تأمل منصف في جوابي لاقتنع بأن كل نقطة منه كافية بمفردها لتبيان الحق، ولكنني أحببت أن أسرد الحقيقة فعسى الله أن يلهم من يطالعه الرشاد والأوبة إلى الحق. ودفاع الوهابية ـ إن كان ولا بد ـ يجب أن يكون مبنياً على سنة الله الكونية من أن الشرَّ قد يقع فيه خير، فلا مانع أن يخرج من نجد بعض أهل الخير والورع والصلاح، ولكنها ليست القاعدة.

تهافت التأسيس والتقديس

هذا الموضوع نشرته رداً على أحد مناظري من الوهابية الذي كتب بعد نشر مقالي السابق: (أرد عليك بما رد به الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمه الله[٢]، على العراقي داود بن جرجيس البغدادي.. ثم أتى بنقل عن الشيخ

---

١ . راجع مقالنا (تحسبهم جميعا..)

٢ . جده حسن هو ابن محمد بن عبدالوهاب، وعبداللطيف هو جد المفتي الأسبق محمد بن إبراهيم. يعده الوهابية في مقدمة علمائهم الذين أفحموا الأشاعرة في الإحساء على حد زعمهم، ولد بالدرعية سنة ١٢٢٠هـ وتوفي سنة ١٢٩٣هـ نقله إبراهيم باشا بعد احتلال الدرعية إلى القاهرة

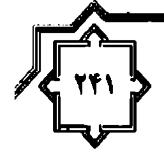
←

المذكور وفي النهاية كتب لي دعوة لدخول المذهب السلفي مع توقيع ابـن عمـك فلان) فقلت له:

قرأت ردَّك المنقول عن الشيخ عبداللطيف بن عبـدالرحمن بـن حـسن عـلى العراقي ابن جرجيس[1]، فتحسَّرت أن لا تفنِّد أقوالي قولاً قولاً فتبـين حقهـا مـن باطلها، فالأسلوب العلمي الإسلامي يحتِّم عليك ذلك في الـرد؛ فتحلـل المقـال بنقد بناء؛ فتتبع الحق بغضِّ النظر عمَّن جاءك به، وترد الباطـل ببيانـه منـصوصاً عليه فتفنده بالحجة الواضحة والبرهان المبين، لا أن تلجأ إلى نشر ردٍ هـو أوهـى من بيت العنكبوت على رجل من أهل الكتاب، فالمسلم الذي سلَّحه الله بـأقوى الحجج؛ أعني كتابه وسنّة نبيه، يجب أن يكون ظاهر الحجة واضح السبيل ناصع البرهان، فكيف به إذا كان في مواجهة النصارى واليهود! ويا للأسف فقد خـان التوفيقُ شيخك الذي استنصرت به، فتخلَّفت بـه الحجـة عـن لحـاق المقـصود، وذلك لأمور عديدة سأبين أهمها مضطراً؛ وإلا فـإنَّ الجـدال العقـيم لـيس مـن مذهبي:

مع أبيه سنة ١٨١٨هـ فدرس برواق الحنابلة بالأزهر، لذا فإنه يعرف أيضاً بـالأزهري. عمـل في نشر المذهب الوهابي في البحرين بعد احتلالها سنة ١٢٦٧هـ كما ذكـر ذلـك ابـن بـشر في عنـوان المجد ٢/ ١٣٣. ويظهر أن ابن جرجيس هذا شغلهم كثيراً فقد رد عليه والد الشيخ والذي يلقبه الوهابية بالمجدد الثاني (ت١٢٨٥هـ) بردٍّ أسماه: (القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس) ثم ردَّ عليه الشيخ الإبن بهذا المقال الذي ننقـده هنـا والمـسمى (منهـاج التأسـيس والتقديس في الرد على داود بن جرجيس) ورد عليه كذلك الـشيخ عبـدالله بـن عبـدالرحمن أبـو بطين بكتاب سمّاه (كشف تلبيس ابن جرجيس) ويظهر أنه لم يعجب بكتابه السابق كما لم يعجـب بردود الشيخ عبداللطيف وأبيه مـن قبـل فـألف كتابـاً آخـر في الـرد عـلى ابـن جـرجيس سـماه (الانتصار)، ورد عليه كذلك الشيخ أحمد بن عيسى (ت١٣٢٧هـ) الـذي كانـت مؤلفاتـه كلهـا ردوداً؛ أحدها: (الرد على شبهات داود بن جرجيس العاني).

١ . اسمه الكامل داود سليمان جرجس العاني



١. هروبه من الأحاديث الصحيحة إلى أحاديث ضعيفة لينصر بها رأيه، وهذا وايم الحق ليس بسبيل قويم، خصوصاً إن بلغ الحال إلى لمز المسلمين وغمزهم برميهم تارة بالشرك وتارة بسبِّ أوطانهم كما فعل مع مصر بلاد الأزهر الشريف كاسرة التتار وقامعة الصليبيين[١]، والعراق مهبط أفئدة كثير من أصحاب رسول الله ﷺ ومنتدى أهل الحديث ومنبت الفكر الإسلامي الثري، لا لشيء إلا لتسلم نجد الأعراب التي صحَّ الحديث في أن بها تسعة أعشار الشَّر[٢].

٢. قبل أن أذهب بعيداً في الرد، أقول بأن الوهابية يجعلون الإشكال على أنفسهم أعظم عندما يسبُّون العراق لأمرين هما:

أ. أنهم يلزون أنفسهم بالإمام أحمد لزّاً فيدَّعون أنهم أتباعه، ونحن نسألهم من أي بلد كان أحمد وأين عاش؟ إنه عراقي ولد ومات في بغداد، فأنتم إذاً يا من تنسبون أنفسكم إلى الحنابلة تدينون لأهل العراق بالفضل.

ب. و يدَّعون بأن محمد بن عبدالوهاب بعدما طرده علماء مكة والمدينة (كما فعل الشيخ الكردي) ذهب إلى العراق ودرس العلم هناك[٣]؟ ومع علمنا أنه لم

---

١. مما يشرف به أهل مصر أن شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي في خطبة الجمعة يوم ٢٩ شعبان ١٤١٩هـ يقول عن الاعتداء الأمريكي البريطاني الأخير على العراق والمتواطئين معهم بتسخير أراضيهم لهم، خلال العملية المسماة (ثعلب الصحراء) فقال وهو يمثل الأزهر الشريف: (إن سماح أي دولة عربية لانطلاق المعتدي من أراضيها حرام) فهل لدى علمائك النجديين أدعياء السلفية مثل هذه الشجاعة يا من تتهجم على مصر كاسية الكعبة يوم كنتم لا تملكون درهماً ولا ديناراً؟! ونحن نعلم سبب عداء الوهابية لمصر، لأنه لم يقض أحد على الدعوة الوهابية الأولى في مهدها سوى الجيش المصري، حيث (صار أهل نجد بينهم أذل من العبيد) على حد تعبير مؤرخ الوهابية عثمان بن بشر في كتابه عنوان المجد ٢/ ٤.

٢. الحديث رواه أحمد ورجاله ثقات.

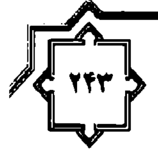
٣. يذكرون بأنه تتلمذ في البصرة على يد الشيخ محمد المجموعي وأن المجموعي استفاد منه وحلت على ذريته البركة بسبب مرور الشيخ به. ابن بشر، عنوان المجد، ١/ ٨

يدرس هناك إلا على رجال المخابرات البريطانية والذين عادوا به من بعد مزفوفاً إلى نجد بحجة أن الإنجليز الذين حوله عبيد أتراك اشتراهم، فإننا سنسايركم إلى (رزّ الباب) ـ كما يقال ـ فنقول والحال هذا فإن لأهل العراق عليكم كبير فضل بإيواء مجدد دعوتكم أولا، وبتعليمه ثانياً!

وكما ترون فمبدؤكم ومنتهاكم هو من فضل أهل العراق، وصاحب الفضل لا يسب من كان له عليه فضل.

٣. حاول الشيخ أن يلصق بالعراق أموراً يظنها من المساوئ التي إن أثبتها تساوت العراق بها مع نجد فذكر خروج أهل حروراء، والجهمية، والمعتزلة، والصوفية، والشيعة بها؛ بل إنه عندما ذكر الشيعة قال (أفلا يستحي أهل هذه العظائم من عيب أهل الإسلام ولمزهم بوجود مسيلمة في بلادهم)اهـ. وهذا كلام شنيع وماذا بعد الحق إلا الضلال، وهل يساوى من يتشيَّع لآل بيت رسول الله ﷺ بمن ادَّعى النبوَّة أو ارتدَّ عن الإسلام وقتل أصحاب رسول الله ﷺ حتى خشي عمر الفاروق رضي الله عنه على القرآن من الذهاب بتقتيل أهل نجد لحفَّاظه؟! ألا ذلك هو الضلال المبين.

باختصار لا أرى مدعاة للدفاع عن العراق، ففي ما قلته في جوابي السابق كفاية لمن أراد الحق، ولكننا لا نحكم بخيرية بلد على بلد وقوم على قوم إلا بنص ثابت لا كما يفعل الشيخ حين حكم بأن أهل نجد هم خير من أهل الأمصار في قوله:(ولا يشك عاقل إنهم أفضل من أهل الأمصار، قبل استيطان الصحابة وأهل العلم والإيمان)اهـ، أقول بل إننا نقطع بأن أهل نجد ليسوا بأفضل من أهل الأمصار، فقد حكم الرسول الكريم بأفضلية أقوام كما قال في أهل عمان مواسياً أحد أصحابه الذي ذهب ليدعو حياً من أحياء العرب فرجع مضروباً



فقال له ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ أَتَيْتَ مَا سَبُّوكَ وَلا ضَرَبُوكَ»[١]، وبأفضلية أهل اليمن وأن الإيمان يمان وأن الحكمة فيهم[٢]، هذا بينما حكم القرآن الكريم على الأعراب عموماً بالنفاق فقال ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧)﴾ التوبة. ثم استثنى منهم البعض فقط فقال ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٩)﴾ وحكم الرسول الكريم بأن القسوة وغلظ القلوب فيهم فقال: «أَلا إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ[٣] عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ»[٤] وقوله «.. وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ»[٥] بل إن ابن بشر يصرح بأن أهل نجد قد (هجر كثير منهم الصلاة وأفطر في رمضان)[٦]، (وتهاون كثير منهم بالصلاة، وأفطروا في البلدان في شهر رمضان وصار هذا الشهر العظيم عندهم كأنه جمادى أو شعبان، وتعذرت بين البلدان الأسفار، واتخذوا دعوى الجاهلية لهم شعار)[٧] وكان هذا بمجرد سقوط الدولة السعودية الأولى!! فكيف يكون لهم بعد ذلك فضل على غيرهم أم أنكم لا تعتمدون القرآن والسنَّة كمصادر للحكم إن لم ينص على ذلك ابن تيمية أو أحد تلاميذه؟!

---

١ . رواه مسلم وأحمد

٢ . كما رواه البخاري وغيره

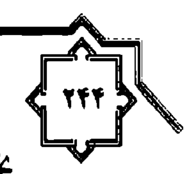
٣ . وهم الرعاة أصحاب الإبل، فأهل نجد في مقدمتهم!

٤ . من رواية البخاري وقد رواه آخرون غيره.

٥ . رواه البخاري وغيره

٦ . عنوان المجد، ٢/ ٤

٧ . عنوان المجد، ٢/ ٨



أقول: ولو كان الأمر بقراءة بعض الأحداث فقط كما فعل الشيخ للزمه أن يخرج مكّة شرفها الله من قائمة التقديس لأن أهلها آذوا رسول الله ﷺ بل وأخرجوه منها مع أنها أحب بلاد الله إليه. كلا يا أخا العرب ليس الأمر كما تزعمون، ولكننا نتّبع النَّص فما ورد فيه نص ثابت في خيريته فضَّلناه، وما ورد نص ثابت في أنه بلاد الزلازل والفتن حكمنا عليه بذلك.

٤. ذكر الشيخ حديث أبي هريرة في تكريم النبي ﷺ لتميم، ومشاركة طيّئ وهوازن وذهل وشيبان في الفتوح الإسلامية ليبني على ذلك تخليص نجد من قارعة الحديث. أقول هذه القبائل لم تكن محصورة في نجد حتى يصحَّ الاستئناس فكثير من أهل الجزيرة هم من هذه القبائل، هذا من باب ومن باب آخر فإن المشاركة في الجهاد فرض على القادر فلا مناص لقبيلة بأكملها أن تتخلف عنه وعمر الفاروق حيٌّ يرزق، وأي قبيلة ترضى لنفسها هواناً كهذا بأن تجلس لحلب الإبل والناس في حومات الوغى! والشيخ عموماً قد ناقض نفسه من حيث لا يدري فأهل حروراء الذين يعاديهم الشيخ ـ ومنهم صحابة كرام كعبدالله بن وهب الراسبي وشجرة بن أوفى الذي شهد بدراً ـ ظهروا بالعراق، وكثير منهم من تميم، فهل هو لهم مادح هنا أم قادح؟! أما نحن فإننا لا ننكر أن في تميم رجالاً أنعم الله عليهم بالاستقامة ويكفيك أن منهم ذلك العلم الفذّ عبدالله بن إباض التميمي، وأضرابه ممن نرجو أن يشملهم قوله سبحانه ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ والحكم على الرجال لا يكون زرافات بل وحدانا ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣)﴾ الإسراء. وعلى كل حال لو كانت الأنساب والقبائل تغني عند الله شيئاً لأغنت صناديد قريش، فلا مجال للتخلص من قارعة حديث نجد بتكريم تميم، أو جهاد طيئ وهوازن.



٥. قال الشيخ (فأفضل البلاد والقرى في كل وقت وزمان، أكثرها علما وأعرفها بالسنن النبوية، وشر البلاد أقلها علما، وأكثرها جهلاً وبدعة وشركا..) وهذا كلام ظاهره فيه الخير، ولكن المقياس كثيراً ما يحكمه التعصب للمذهب أو ما ساواه حتى يخَيِّل لفرقة ما بأنهم أصحاب السنَّة ومخالفيهم أصحاب البدعة والشرك فيستحلوا دماءهم وأموالهم بغير حق، وهذا الفكر عين ما ساق ابن عبدالوهاب لأن ينادي الناس بالهجرة من مكة والمدينة إليه في نجد[1] ليحلق رؤوسهم لأن تلك البلاد بلاد بدعة وشرك وبلاده بلاد السنة والاستقامة وعليهم أن يبدأوا طاهرين بشعور لم يقترفوا فيها شركاً! وهذا عينه ما يستمر عليه أفراخهم اليوم فهم لا يترددون أن يطلقوا على المدينة المنورة اليوم اسم (هوليوود)[2]!

٦. واستدل الشيخ برواية الطبراني في الكبير (دخل إبليس العراق فقضى فيه حاجته، ثم دخل الشام فطردوه، ثم دخل مصر فباض فيها وفرَّخ وبسط عبقريه) وهذه الرواية ضعيفة لا تقوم على ساق متنا، أما سنداً فيكفيك أنَّ فيها حرملة بن يحيى الذي قال عنه ابن معين: (ذُكرت عنه أشياء سمجة كرهت ذكرها) وقال الرازي (لا يحتج به)[3]. فكيف تحتجون أنتم به؟!، وأنا أترك الباب لأهل الأزهر الشريف ليبينوا للناس عوار الرواية، ولكن في هذا تنكيس لأعلامكم من حيث لا تعلمون، فإنَّ ابن تيمية حورب محاربة شديدة في بلاد الشام بل ورموه في سجن القلعة حتى مات، وأنت ترى أن من أشد الناس اليوم على الوهابية علماء

---

١. وقد نقلنا اعتراف ابن بشر بهذه الهجرة في موضع سابق، يراجع عنوان المجد ١/ ١٣ و١٥.

٢. هذه كلمة يرددها كثير من شباب الوهابية اليوم، ويدرك صحتها من يخالطهم ويغشى مجالس متدينيهم.

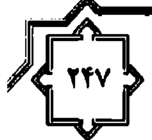
٣. يراجع (الضعفاء للعقيلي) (١/ ٣٢٢ برقم ٣٩٨) و (الضعفاء والمتروكين) (١/ ١٩٦ برقم ٧٩٠)

الشام وأهلها، وإذا ما تابعهم أحد هجروه، وليس آخر كتب فطاحل علمائهم (السلفية ليست مذهباً إسلامياً) فهذا الحديث قد ينقلب حربة عليكم، فتمهلوا وانظروا في عاقبة أمركم ولا يغرنَّكم الدرهم والدينار فإن في الدنيا من لا يبيع دينه بذاك!

٧. وكذلك استنصر الشيخ بالطبراني مرة أخرى ليجد عنده في الكبير رواية تذكر (عراقنا) وذلك في حديث (هنالك الزلازل والفتن) وهي سقيمة بهذا اللفظ لأن الطبراني انفرد بها وفيها رجل كذَّاب اسمه الحسن بن علي المعمري ويقال له المعامري، راجعه في (لسان الميزان) (٢/ ٢٢١ برقم ٩٧٥)، و (الكامل في ضعفاء الرجال) (٢/ ٣٣٧ برقم ٤٧٣) قال جعفر بن الجنيد والرازي (كذاب). وهكذا يبين لكم بأن ما تعلَّقتم به ما هو إلا برق خلَّب وسراب في مهمهة!

٨. قال الشيخ (وأصل نجد ما ارتفع من الأرض) وقد ذكر ذلك علماء قبله كابن حجر، وكما يقال (وفي المعاريض مندوحة عن الكذب) ففي اللغة هذا صحيح، ولكننا لا ندري إن كان الشيخ يقول هذا ليخلص بأن (نجدنا) التي في الحديث إنما تعني كل مرتفع من الأرض ليشمل بذلك أحداً والصفا والمروة وطور سينين وغيرها من الأماكن الشريفة المرتفعة عن الأرض؛ وتتساوى مع نجد الأعراب المعروفة بهذا الاسم لا غيره، وذلك بناء على مقولة: (عليّ وعلى أعدائي)! وهذا كلام سقيم فالاسم (نجد) إذا أطلق هكذا عند ذكر أسماء بلدان معروفة كالشام واليمن لا يمكن مع من كان له مسيس عقل إلا أن يعني بلدة بعينها فكيف إذا لحقه التعريف بالإضافة في قولهم (نجدنا)!

هذا ومن باب آخر فإني راجعت الخرائط القديمة التي جمعها علماء مصر العظيمة برئاسة الأستاذ العلامة حسين مؤنس في موسوعته (أطلس التاريخ



الإسلامي) والخرائط الحديثة أيضاً[1]، فلم أرَ في الدنيا بلاداً تسمَّى نجداً إلا واحدة، وإن كنتم تعرفون غير ما يعرفه علماء الجغرافيا فأتحفونا بها يا هداكم الله ودعوكم من (قال الداوودي) فليس هناك من بقعة يطلق عليها اسم (بلاد) لا يعرفها إلا رجل واحد.

٩. ذكرت لي في الختام أن الشيخ ابن عبدالوهاب هضم كتابات ابن تيمية وابن القيِّم **فنفخت فيه روح الثورة**[2] على الأوضاع الفاسدة وأنه استطاع بعد ذلك (أن يزهق باطل أولئك المردة والمشركين، وأن يزيِّف شبه علمائهم ودعاة مذاهبهم)اهـ. وكذلك نصَّ شيخك في رده على الكتابيِّ مشيراً إلى هذه الدعوة بأن أهل نجد تصدَّوا (للرد على دجاجلة عبَّاد القبور الدعاة إلى تعظيمها مع الله تعالى)اهـ.

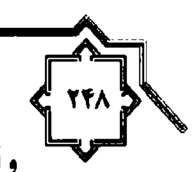
ونحن نتعجب لهذه الجرأة في إخراج الناس ببساطة شديدة من حظيرة الإسلام إلى الشرك، فإخراج مسلم من الإسلام لا يصح إلا ببرهان واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار، وقد قتل ابن عبدالوهاب أقواماً بينهم وبين الشرك فراسخ كما فعل مع الشيخ (عثمان بن حمد بن معمر) فقتله يوم الجمعة وهو قائم في المسجد من غير موجب للقتل يستحل به دمه! وأنت لا أظنك تجهل جزاء من يقتل مؤمناً متعمدا.

ولأن الدعوة الوهابية قامت في نجد وهناك سفكت الدماء الكثيرة فأنتم قد حكمتم على قومكم بأنهم كانوا أهل شرك وأزهقتم باطلهم، أما مكة والمدينة فلا أظن أنكم تقولون جهاراً إن الشرك كان بهما أيضا، فيتبين من قولكم أن أهل نجد ارتدوا مرة أخرى عن الإسلام بعد الردة الأولى، فلماذا تدافعون عنها إن كان هذا حال أهلها؟

---

١ . كأطلس إنكارتا ٩٩

٢ . النفخ لا أشك فيه مطلقاً، لكن الثورة على من؟ هل على الجبابرة؟ أم على الضعفة والمساكين!

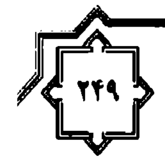


١٠. أشكرك على الدعوة إلى العقيدة السلفية، وكم أنا أتوق إلى ما هو خير، ولكن كيف لدعوتكم أن تكون سلفية ومبتدؤها الأمس القريب مع ابن تيمية، وتكون دعوتي غير سلفية مع أنها متواصلة النقل من لسان المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام إلى أصحابه ثم إلى التابعين ومن أتى بعدهم من حملة العلم الذين ما زالوا ظاهرين لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة، ولدينا ذلك النقل المتواتر منصوصاً عليه في كتبنا يأخذه العدل عن سابقه من غير تحريف ولا تزييف؟

إن الإسلام أتى فحرر الإنسان وفكره من أغلال تقليد السالفين، فجعل عبادة الله غير مقيدة بأحد، وجعل الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ فلا يلزم المرء أن يمر عبر صنم يسمَّى هُبل أو رجل يدعى ابن تيمية حتى يكون دينه صحيحاً مستقيماً، بينما أنتم ترون أن الواجب علينا اليوم أن نقلِّد ابن تيمية وشيعته وأن يكونوا هم الأسوة، وتدعون سبيلكم هذا سلفية!

أخي: إنَّ أفضل ما يميِّز منهجي عن غيره أنه لا يجعل لنا قدوة إلا رسول الله ﷺ؛ فلم نجعل لنا إماماً نقلده إلا هو، فلا قدسية لأحد من العلماء لدينا ولا حاجة لتوسيطهم بيننا وبين ربِّنا، فما لم يوافق الحق من أقوالهم رددناه، لذا فلا تجد لدينا تعصباً للرجال بل للحق الذي يدعمه النص، أما منهجك فهو يضع هالة من القداسة على ابن تيمية وشيعته، وتقولون (بأن لا خير في قرآن ولا سنَّة بغير فهم السلف)[1] مع أن الخير كل الخير في كتاب الله وسنّة رسوله من غير وساطة

١. كلمة يرددها كثيراً أدعياء السلفية، وقد قالها شيخهم عبدالرحيم الطحان في شريط مسجل منتشر، وهي عبارة باطلة عاطلة في كل أحوالها؛ فالخير كل الخير في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فكيف إذا كانت كلمة السلف التي يطلقون لا تعني إلا ابن تيمية وأتباعه البعيدين عن العصر النبوي بل وحتى عن عصر تابعي التابعين!



أحد، ولو كان ابن تيمية وابن القيم معصومَين لكانا نبيَّين، مع أنهما وقعا في مزالق عظيمة ليس القول بفناء نار جهنم إلا أحدها؛ أي أن يتحول أهل الشرك والأوثان إلى جنّات النعيم، فأي شرك هذا الذي تحاربه سلفيتكم، ولأي فكر تجديدي تدعوني يا هداك الله!

وختاماً فإنك ترى أيها القارئ إسفاف الفكر الوهابي، وعدم قدرته على العطاء بعد أن وضع على عينيه غشاوة التقليد لابن تيمية ونفي كل ما يخالف قوله، مع أن ابن تيمية وليد الأمس وليس ممن عصمه الله من الخطأ، حتى وصل بهم الحال إلى تحوير معنى قول رسول الله ﷺ عندما عجزوا عن تضعيفه بقصد الانتصار للفرقة والمذهب، وما هذا إلا ضرب من الكذب المتعمد على رسول الله ﷺ.

تحذير: منطقة آثار

ما فتئت بعثات الاستكشاف الغربية منذ أمد بعيد تنقب في بلاد المسلمين عن كل أثر جاهلي لتصنع منه قوى الشرّ رموزاً تحوم حولها بلاد العرب خاصة؛ لنمسي ومنا الفرعوني، ومنا البابلي، ومنا الأشوري، وهناك الحضارة السومرية وهنا حضارة مجان وتلك حضارة دلمون، وأثر هنا يقول إنَّ بعضنا من قوم عاد وأثر هناك يدل على أن بعضنا من قوم ثمود، والخلاصة أن المراد تقطيع أمة الإسلام إلى أمم عديدة لا يربطها إلا الجاهلية وأَخذُ ربِّك.

وللغرب من يهود ونصارى عذرهم فيما يفعلون فهم العدو وعلينا أن نحذرهم، ولكن ماذا إذا كان الهجوم علينا من الداخل؟ ماذا إذا كان الهجوم من قوم يهدمون آثار الإسلام ويعمرون آثار اليهود؟ نعم إن ذلك كائن على أرض فلسطين بأيدي اليهود، ولكنه وللأسف واقع أيضاً في أرض الحرمين الشريفين؛

بل وفي مدينة رسول الله ﷺ خصوصاً من قِبَل الوهابية! وفي الناس من سيستعظم ما أقول، فأقول رويدا، ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّدِ.

لقد هُدم الكثير من آثار الإسلام في المدينة النبوية، ولو كان هذا التهديم في سبيل توسعة المسجد النبوي أو لبناء مساجد أوسع لساندناهم فيما يفعلون، ولكن هؤلاء لا يهدمون إلا لقصد التخريب معتمدين على حجة واهية وهي طمس كل ما يمكن أن يعبد من دون الله، محتجين بما فعله عمر من قطع شجرة بيعة الرضوان[1]، مع أن القصة غير ثابتة عند أهل الحديث لأنها واردة بإسناد منقطع[2]، هذا في الوقت الذي يعمرون فيه آثار اليهود! نعم آثار اليهود بل والمنافقين؛ وإليك الأدلة:

١ ـ المساجد

لقد هدم الوهابية الكثير من المساجد الأثرية الإسلامية وأقاموا مكانها مواقف للسيارات! ومن هذه المساجد مسجد الشمس ومسجد ثنّية الوداع ومسجد الغرس ومسجد الفضيخ، وكلها مساجد جاءت روايات كثيرة تدل على أن النبي الكريم ﷺ قد صلى فيها، فكيف للوهابية أن يتصرفوا فيها بهدمٍ وتخريب؟! ولا يجوز بحال أن تهدم المساجد لتقوم مقامها مواقف للسيارات،

---

١ . وقد استدل بهذا الشيخ محمد حامد الفقي في هامش اقتضاء الصراط المستقيم الذي فاجأه قول ابن تيمية هناك ص٣٣٩: (ليس بذلك بأس أن يأتي الرجل المشاهد، إلا أنَّ الناس قد أفرطوا في هذا جداً، وأكثروا فيه) وللفقي الحق أن يستنكر أقوال أئمته فقد ذكر ابن تيمية عدم تحريم الإمام أحمد ذبيحة من ذبح لكوكب الزهرة وروى ابن تيمية أن العلماء اختلفوا!! في تحريم هذه الذبيحة (اقتضاء الصراط ص ٢٨٥)

٢ . روى القصة ابن أبي شيبة (٢/ ٧٣/ ٢) بانقطاع بين نافع وعمر، والمنقطع ضعيف كما هو معلوم، وقد ناقش انقطاع الرواية الألباني في تحذير الساجد (١٣٧ ـ ١٣٨) واستبعد أن يكون ابن عمر الواسطة بينهما لورود نص عن ابن عمر ينفي فيه اجتماع الناس تحتها من بعد البيعة.



فكيف إذا كانت هذه المواقف غير ضرورية إطلاقا؟ أما الادعاء بأن الناس يعبدونها من دون الله فهذا من الكذب والبهتان على المسلمين والتصرف في آثار الإسلام بغير حق، ولو كان المسلمون بهذا التطرف لعبدوا الكعبة أو المسجد النبوي أو القبر الشريف لا مساجد أخرى.

٢ ـ دار سعد بن خيثمة

وهو أول بيت نزله رسول الله ﷺ عند مجيئه المدينة المنورة، وهو جنوب مسجد قباء قرابة عشرين مترا، وقد بنى الناس على أنقاضه مسجداً يعبدون الله فيه لتبقى تلك الذكرى العبقة حيث أول منـزل نزله الرسول ﷺ في المدينة، ولكن يأبى الوهابية أن يتركوا للإسلام الحنيف أثرا، فبعد أن هدموا العقائد لا بد أن يهدموا الآثار، فهدم في أكتوبر من عام ١٩٨٧ وحوِّل موقفاً للسيارات!

٣ ـ الآبار

ومن الآبار التي هدِّمت:

أ. بئر أريس[١]: وهي بئر تقع على ميلين من المدينة[٢]، وهي التي سقط فيها خاتم رسول الله ﷺ من يد ذي النورين عثمان بن عفَّان[٣]؛ يقول السمهودي «وهي البئر المعروفة اليوم بقباء من أعذب آبار المدينة»[٤] وقد طمسها الوهابية بحجة منع عبادتها من دون الله! وهل فينا من رأى مسلماً أو كافراً يعبدالآبار؟!

---

١ . يراجع السمهودي، وفاء الوفا، ص ٩٤٢ ـ ٩٤٩

٢ . ابن حبان، الثقات، ٢/ ٢٩٤

٣ . روى الحادثة البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن سعد في الطبقات.

٤ . السمهودي، وفاء الوفا، ص ٩٨٤، وقد أورد ما يقارب السبع صفحات في كتابه لذكرها وفضلها.

ب. وبئر غرس[١]: وهي بئر رسول الله ﷺ[٢] تقع شرقي مسجد قباء بنصف ميل. روى ابن سعد في الطبقات الكبرى[٣] (وكان ـ أي الرسول ﷺ ـ يشرب من بئر غرس بقباء وبرك فيها وقال هي عين من عيون الجنة.. عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ وهو جالس على شفير بئر غرس: «**رأيت الليلة أني جالس على عين من عيون الجنة**» يعني هذه البئر.. عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «**بئر غرس من عيون الجنة**».. عن عمر بن الحكم قال قال رسول الله ﷺ: «**نعم البئر بئر غرس هي من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه**» وكان رسول الله ﷺ يستعذب له منها وغُسِّل من بئر غرس[٤].. عن سعيد بن رقيش قال سمعت أنس بن مالك يقول جئنا مع رسول الله ﷺ قباء فانتهى إلى بئر غرس وإنه ليستقي منها على حمار ثم نقوم عامة النهار ما نجد فيها ماء فمضمض رسول الله ﷺ في الدلو ورده فيها فجاشت بالرواء..)[٥] لقد دمَّر الوهابية هذه الآبار بحجة منع الناس من عبادتها، مع أنها آبار مباركة، فلماذا يهدم الوهابية آثار الإسلام؟!

٤ ـ تل الرماة وغار جبل أحد

وهو تل وقف عليه الرماة في غزوة أحد، وله أهمية بالغة في تاريخ الأمة العسكري، ولأخذ العبرة والعظة في وجوب الالتزام المطلق بأوامر النبي ﷺ،

---

١ . يراجع السمهودي، وفاء الوفا، ص ٩٧٨ ـ ٩٨١

٢ . رواه ابن ماجه وابن حبان وابن سعد وغيرهم

٣ . ابن سعد، الطبقات الكبرى ١/ ٥٠٢ باختصار، وقد سرد ابن سعد كل الآبار المعروفة المباركة التي كان يستقي منها رسول الله ﷺ.

٤ . وله شاهد عند ابن ماجه في كتاب ما جاء في الجنائز، وكذلك ابن سعد في رواية أخرى.

٥ . يراجع كذلك ابن حبان، الثقات، ٥/ ٥٠ برقم ٣٨٠٤ في رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه.



ولكن يأبى الوهابية إلا محو معالم الإسلام فهدموه حتى لم يبق منه إلا جزء يسير. أما غار جبل أحد الجبل الذي يحبنا ونحبه والذي صعد إليه الرسول الكريم بعد أن كسرت رباعيته في معركة أحد فقد بنى الوهابية على هذا الغار فسدُّوه لكي لا يبقى له من أثر.

٥ ـ الخندق وسور المدينة المنورة

الخندق معلم حضاري عسكري إسلامي، فيه عبر ومواعظ، يمتد من طرف الحرَّة الشرقية إلى طرف الحرَّة الغربية من الناحية الشمالية[١]، حفره رسول الله ﷺ بيديه الشريفتين مع أصحابه الأطهار ﷺ، ردمه الوهابية وطمسوا معالمه منذ بضع سنوات.

ومن بين الآثار التي هدمها الوهابية[٢] سور المدينة المنورة، وقد دمِّرت أبوابه ومسجد بقربها سنة ١٩٨٤ وحوِّل مكان المسجد إلى موقف للسيارات[٣].

حماية آثار اليهود

في الوقت الذي تخفى فيه آثار الإسلام بالمدينة، يحمي الوهابية آثار اليهود والمنافقين:

---

١ . هو بذلك يزيد طولاً على الكيلو مترين

٢ . هذا السور لم يكن على عهد النبي ﷺ ولكنه بني من بعد وهو على كل حال أثر من آثار المسلمين، تحدثنا عنه لأن الحال التي عليها القوم هي طمس معالم المدينة الإسلامية في الوقت الذي يحمون فيه آثار اليهود.

٣ . كان المسجد قرب باب المصري مع سوق الحبَّابة سابقاً وهو ضمن موقف السيارات الذي بني فوق المسجد، وجريمة المسجد أن من بناه سماه مسجد فاطمة فاستحق بذلك الهدم في الشرعة الوهابية!



أ ـ فبالنسبة لآثار اليهود فقد وضعت لائحة أمام حصن كعب بن الأشرف رأس اليهود تقول (تحذير. منطقة آثار: يحظر التعدي عليها تحت طائلة العقوبات الواردة بنظام الآثار بالمرسوم الملكي رقم و/ ٢٦ وتاريخ ١٢/ ٦/ ١٣٩٢هـ)[1]!!!!

ب ـ وبالنسبة لآثار المنافقين فقد كان يوجد إلى الشمال الشرقي من مسجد قباء وبالقرب منه[2] مسجد الضرار، فهدم الوهابية أصل مسجد قباء من حيث المحراب ولم يعد له أي معلم بينما مُدَّ البناء الجديد باتجاه مسجد الضرار ليدخل فيه! وهذا غير جائز شرعاً بعد أن قال الله سبحانه فيه ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ فهاهم الوهابية يُخرجون الناس من قباء إلى الضرار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بأمر من يحدث كل هذا؟

ختاماً لك أن تسأل: بأمر من يتم هذا التشويه؟!

هذا الدمار يشرف عليه ذرية محمد بن عبدالوهاب (آل الشيخ) ففي وثيقة رسمية سعودية تحمل رقم ٩٦٩٦/ ٣م بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٣٩٦ وقعها الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ جاء ما يلي (**نزع ملكية البستان الواقع بالمدينة المنورة جنوبي البقيع الذي توجد به النخلتان اللتان يقال إنهما لسلمان الفارسي**[3]**، وجعله حديقة عامة، حيث إن موقعه**

---

١ . لرؤية صورة اللوحة التحذيرية يراجع عمر عبدالقادر المغربي، المهدم من آثار المدينة المنورة ص٣٩، والمهندس يوسف الهاجري، البقيع: قصة تدمير آل سعود لآثار الإسلامية في الحجاز، ص٢٢٣

٢ . يقول ابن النجار (وهذا المسجد قريب من مسجد قباء).

٣ . الشيخ ممن يترضى على يزيد بن معاوية وهو هنا لا يترضى على سلمان الفارسي رضي الله عنه .



صالح لهذا الغرض، وليتحقق بذلك إخفاء معالم النخلتين) عجيب!! الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف أصبح مخطط بلديات، يختار الأماكن الصالحة لتكون حدائق عامة ومواقف سيارات! أما إذا أردت أن تعلم - أيها القارئ الكريم - من أمر النخل شيئا فإنها من فسل رسول الله ﷺ الذي بارك الله فيه، لذا فآثار النخل كانت باقية تقوم اللِّينة على أثر أمها، فقد جاء عند أحمد بسند صحيح في حديث سلمان الطويل عن محمود بن لبيد وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم جميعا: «.. ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بَدْرٌ وَأُحُدٌ قَالَ ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلاثِمِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ[1] وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَصْحَابِهِ أَعِينُوا أَخَاكُمْ فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ الرَّجُلُ بِثَلاثِينَ وَدِيَّةً[2] وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ يَعْنِي الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلاثُمِائَةِ وَدِيَّةٍ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ[3] لَهَا فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ..»[4]

كلا يا أخي سلمان! لقد قتلت كلها بأيدي مشايخ الوهابية!

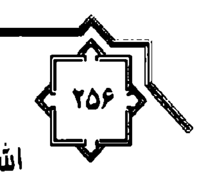
---

١ . فقير النخلة: حفرة تحفر للفسيلة إذا حوِّلت لتغرس فيها. والفقير كذلك الجذع. ومن معانيها كذلك فم القناة. يراجع ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، المجلد الثالث، حرف الفاء مع القاف.

٢ . أي الفسيلة الصغيرة (الشتلة)

٣ . أي احفر

٤ . وروى الخبر ابن عبدالبر والطبراني برجال الصحيح



هكذا أخي القاريء يأمر آل الشيخ باستئصال نخل زرع أصلها رسول الله ﷺ لماذا؟! لأن مكانها يصلح أن يكون حديقة عامة!!

وهكذا يؤدي الوهابية دورهم التاريخي الذي لن ينساه الدهر، ليصبح وجود المسلمين في المدينة[1] حادثاً قريبا، فلا آثار لهم إلا مبانٍ حديثة، ومحلات تباع على أرصفة مواقف السيارات الكثيرة! عناوينها: الموعد وسيدتي وهي وهو.. الخ، وكي أكون منصفاً فهناك أيضاً محلات لبيع الجينز والدخان المعسَّل! بينما حق اليهود ثابت في يثرب، آثارهم ما تزال عامرة باقية، فلهم أن يطالبوا بها في أي لحظة، فهي من الآثار العالمية التي يجب المحافظة عليها بلائحة (تحذير. منطقة آثار)[2].

إحراق المكتبة العربية بمكة المكرمة

محاولات الوهابية مستميتة لتغيير الخريطة الإسلامية وخاصة في مكة والمدينة، وههنا سنتحدث عمّا فعلوه بمكة المكرمة لإخفاء آثار المسلمين، والتي سقطت على يد الشيخ جون فيلبي قائد الفلول الوهابية، وبعد استسلام الملك علي بن الحسين للبحرية الإنجليزية وانتقاله إلى العراق عبر جدّة.

لقد قتل الكثير من الأبرياء في مكة وأكلوا الجيف والكلاب[3] في سبيل الاستيلاء على البيت الحرام؛ واتجهوا لأسلوب قبيح في تشويه التاريخ عبر العبث بالتراث، واتجهت أنظارهم لتشويه الملامح والجغرافيا عبر القضاء على كل أثر إسلامي سوى الحرمين الشريفين، وكان لا بد من تصفية الجانب الفكري

---

١ . والذي فعلوه في مكة لا يقل بشاعة عما فعلوه بالمدينة وإنما هي مثال.

٢ . للتوسع يراجع عمر عبدالقادر المغربي، الآثار النبوية التي هدّمها الحكم السعودي في المدينة المنورة.

٣ . راجع موضوع احتلال مكة.



فهو أهم جوانب حياة الأمة؛ فاتجهوا لأهم مركز إسلامي لحفظ الوثائق، ومكتبة من أنفس مكتبات الأرض قاطبة وهي المكتبة العربية في مكة المكرمة فتم إحراقها!!

ما الذي تحويه المكتبة؟

لقد كانت هذه المنارة أكثر وأكبر من مكتبة بالمعنى الحرفي؛ إذ كانت تحوي ستين ألفاً (٦٠٠٠٠) من الكتب النادرة، وحوالي أربعين ألف (٤٠٠٠٠) مخطوطة، بعضها مما أملاه النبي ﷺ، وبعضها كتبه الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة، ومنها ما هو مكتوب على جلود الغزلان والعظام والألواح الخشبية والرقم الفخارية والطينية، كما كانت المكتبة تشكل في جانب منها متحفاً يحتوي على مجموعة من آثار ما قبل الإسلام وبعده[١].

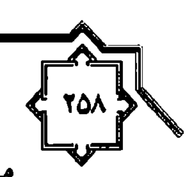
لقد ذهب كل هذا أدراج الرياح، فأخبرني من فعل مثل هذا عبر التاريخ الإسلامي[٢]؟

بذهاب هذه المكتبة ذهبت كثير من المخطوطات النادرة، والآثار الإسلامية التي لم ير المسلمون مكاناً أكثر أمناً لحفظها فيه من مكة المكرمة فنقلوها إليها من كل حدب وصقع، فما كان من الجيش الذي لا يجيد حتى القراءة إلا أن ألقمها النار!

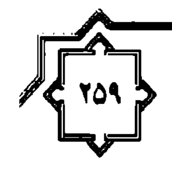
---

١ . د. محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، ص ١٨٩، وناصر السعيد، تاريخ آل سعود، ص ١٨٠

٢ . القول بأن المغول فعلوا مثل ذلك لم يثبت تاريخياً وإن كان الناس يأخذونه كأحد المسلمات، تراجع مجلة العربي مارس ١٩٩٩ ص١٢٨ ـ ١٣٠ مقال بعنوان (هل أتلف المغول حقاً مكتبة بغداد) بقلم عبدالمنعم الأعسم، وبذا يتفرد الوهابية بإحراق الكتب في التاريخ الإسلامي!



إن هذا التصرف الدنيء الذي قام به الوهابية بقيادة جون فيلبي ليبرهن على مدى عداء هؤلاء للإسلام، ومحاولتهم اليائسة لطمس معالمه، وهو تصرف ما يزال الوهابية يمارسونه بأشكال مختلفة، فهم يحرقون كتب المسلمين التي ترد إلى بلادهم، ولا تناسب أهواءهم، ومن أراد أن يرى طرفاً من ذلك فعليه بملاحظة فرقهم المتخصصة في مصادرة كتب المسلمين في المطارات أثناء قدومهم لأداء فريضة الحج وتزويرهم لكتب المسلمين حيث يقدمون على أمهات الكتب الإسلامية فيعيدون طباعتها، فيحذفون منها ويزيدون.



الفصل الثالث: التاريخ الوهابي

يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (لو كنا نعلم أنهم يقتنعون بالحجة البالغة، ويخضعون للأدلة القاطعة، لملأنا الطوامير من الحجج الباهرة التي تترك الحق أضحى من ذُكاء، وأجلى من صفحة السماء، ولكن سلطان نجد له حجتان قاطعتان عليهما يعتمد وإليهما يستند ولا فائدة إلا بمقابلتهما أو أقوى منهما، وهما الحسام البتار والدرهم والدينار، السيف والسنان، والأحمر الرنان، هذا لقوم وذاك لآخرين) [1]

إن التاريخ الوهابي ببساطة تاريخ دام، يستحل دماء المسلمين لغير سبب شرعي، فالوهابية (يقتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان)

و (يسيئون الأعمال) وإليك الأمثلة:

فظائع الوهابية بديار الإسلام

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾.

لحق ببلاد المسلمين على أيدي الوهابية الأذى الكبير من ساعة نشأة هذه الحركة الخبيثة، فقد أغاروا على كل بقعة إسلامية استطاعوا الوصول إليها وقتل في هذه الغارات الكثير من المسلمين ونهبت أموالهم بغير حق، بل وأبيدت قبائل بأكملها ومواقفهم مع العجمان والخوالد [2] وآل رشيد خزي لهم وعار إلى

---

١ . مجلة تراثنا، العدد الرابع (١٣) السنة الثالثة، شوال ١٤٠٨هـ ص ١٨٦.

٢ . أحمد أبو حاقة، لمع الشهاب، ص ٧٤ ـ ٧٥، وقد انتهت قوة الخوالد عملياً سنة ١٢٠٤هـ في موقعة غريميل.

يوم القيامة.

إن فتك الوهابية بالمسلمين ما هو إلا نتيجة للعقيدة الزائغة التي يعتنقونها برمي أهل ملة التوحيد بالشرك الأكبر ليستحلوا بذلك دماءهم وأموالهم ونساءهم، ومن أراد أن يتتبع أحكامهم على المسلمين، وكيف أخرجوهم من الملة والدين، واعتقدوا فيهم الشرك، فليرجع إلى كتاب: (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية)[1]، وكتاب: (عنوان المجد في تاريخ نجد)[2]، فإنه سيجد فيهما العجب العجاب وسيرى من تعسف هؤلاء الحشوية ومعاملتهم للمسلمين معاملة الكافرين الصرحاء ما تشيب لهوله الولدان، علماً أن هذه الحملات من بدايتها كانت تنطلق بمباركة محمد بن عبدالوهاب شخصيا، حيث يقول صاحب عنوان المجد في ترجمة شيخه (**كان** ﵀ **هو الذي يجهز الجيوش، ويبعث السرايا، ويكاتب أهل البلدان ويكاتبونه، والوفود إليه والضيوف عنده، والداخل والخارج من عنده، فلم يزل مجاهداً حتى أذعن أهل نجد وتابعوا**)[3]

إنهم قطّاع طرق:

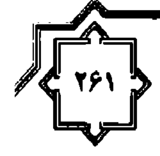
وتاريخهم حافل بالأمثلة على ذلك؛ يقول ابن بشر في أحداث سنة

---

١ . هذا الكتاب يضم مجموعة الأحكام التي حكم بها علماء نجد الوهابية الحشوية بتكفير المسلمين وقتلهم، ومن خلال هذه الأحكام يتضح للقارئ المسلم المؤامرة الخبيثة ضد الأمة الإسلامية من قِبل هؤلاء الحشوية، وقد طُبع لأول مرة بمصر سنة ١٣٤٩هـ وقد صدر الإذن بنشره للمرة الثالثة من رئاسة الإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية برقم ٦٢١/ ٥ وتأريخ ٤/ ٦/ ١٤٠٩هـ ونشرته دار العاصمة، الرياض، ١٤١٢هـ وهذا يدل على أن هؤلاء الحشوية الوهابية سائرون على نفس الخط إلى الآن.

٢ . سبق الحديث عنه فهو من كتب الوهابية المعتمدة، ألفه مؤرخهم عثمان بن بشر النجدي.

٣ . عنوان المجد، ١/ ٩١



١١٦٩هـ: (وفيها سار سعود غازيا إلى جهة الخرج فذكر له أثناء الطريق أن قافلة حافلة *(تأمل كلمة حافلة جيداً؛ فهي وجبة دسمة!)* من أهل الخرج والفرع وغيرهم ظاهرة من الإحساء، فرصد لهم سعود على الثليما الماء المعروف قرب الخرج فأقبلت القافلة وكانت على ظمأ وقدموا لهم ركاباً ورجالاً إلى الماء، فأغار عليهم سعود وقتلهم)! هكذا وببساطة، ثم ماذا يا ابن بشر؟ يقول (وأخذوا جميع ما معهم من الأموال والقماش والمتاع والإبل[١])!!

مثال آخر، يقول ابن بشر في أحداث سنة ١٢١٢هـ: (وفيها غزا هادي بن قرملة وأغار على البقوم في الحجاز فهزمهم وقتل منهم عدّة رجال ثم بعد شهرين غزاهم فقتل منهم قتلى وأخذ كثيراً من الإبل والغنم)[٢]

مثال ثالث ننقله من لسان مؤرخ الوهابية أيضاً، وهو ما ذكره في أحداث سنة ١٢٤٥هـ حيث يقول: (وفي أوله غزا محمد بن عفيصان بأمر الإمام تركي بجيش من المسلمين (!!) وقصد ناحية الإحساء فأغار على قافلة مقبلة من بندر[٣] العقير وأخذها وكان معها من الأموال ما لا يحصى[٤])!!

هذه إذن هي دعوة التوحيد التي سعى من أجلها خوارج نجد؛ القافلة الحافلة، والكثير من الإبل والغنم، واغتصاب الأموال التي لا تحصى؛ ولا بأس أن تهدر دماء المسلمين في سبيل ذلك!! وكأنه ليس لهم زاجر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

---

١ . عنوان المجد ١/ ٧٩

٢ . عنوان المجد ١/ ١١١

٣ . أي ميناء

٤ . عنوان المجد ٢/ ٣٥

إنهم وحوش لا يعرفون معنى الرحمة:

لقد تميز الوهابية بنكث العهود والمواثيق وسوء معاملة المستجيرين وقتل الأسرى[١] واتباع المُدبِر[٢]، فقد استجار مسلم يدعى بتال السهلي بأحد المقدمين المعروفين لدى الوهابية ويدعى ابن هندي فاصطحبه حتى دخلا خيمة قائد الوهابية فما إن رآه الأخير حتى انقضّ عليه وضرب عنقه! هكذا يعامل المسلم المستجير عند الوهابية!

أما اتّبَاع المُدبِر فمثاله ما فعله الوهابية في (وقعة اليتيمة) وسننقل كلام مؤرخهم عثمان بن بشر نصاً حيث يقول: (فكرُّوا على أهل القصيم كرة واحدة كأنهم يريدون السلام أو دعوا إلى مائدة، فغابت الشمس قبل وقت غيوبها!!!، وأظلم بحالك الغبار شمالها وجنوبها، فوطأهم المسلمون وطأة شديدة، فلما سمعوا ضرب الهام ولوا منهزمين، وعلى جباههم هاربين، وذهل الوالد منهم ولده، والمنهزم أشفق على السلامة ورمى ما بيده، **واستمر الضرب في أقفيتهم** بعدما كان في صدورهم، وانتقل الطعن من نحورهم إلى ظهورهم، وقتل المسلمون!! فيهم قتلاً ذريعا، وفتكوا فيهم فتكاً شنيعا، **فكان الواحد من**

---

١ . لا شك أن قتل المسلمين من الأسرى غير جائز شرعا عند كل المسلمين؛ وإنما وقع الخلاف في أسرى الكفار، ولكن خوارج نجد يطبقون أحكام الكفار في رقاب المسلمين.

٢ . وهذا غير جائز، يقول صاحب كتاب «الوضع» ص ١٧ ـ ١٨ : (فأحكام ملة الإسلام إذا خرج أحدهم عن الطاعة وعمل بالكبائر، وابتدع في الملة مالم يأذن به الله ولا رسوله، أن يدعوهم المسلمون إلى ترك ما به ضلوا، فإن أجابوا للطاعة فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وإن أبوا الطاعة وباينوا المسلمين ناصبهم إمام المسلمين الحرب حتى يفيئوا إلى أمر الله، ولا يحل منهم غير دمائهم، والبراءة منهم ماداموا مخالفين للمسلمين، ولا تحل غنائمهم ولا تسبى ذراريهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يتبع مدبرهم..) فهل لدى الوهابية شيء من هذا الفقه المنير!!



المسلمين **يقتل العشرين**، وأكثر من قتلهم أهل الرياض) إن أهل القصيم في نظر هؤلاء كفار لا رحمة لهم حتى عند الفرار!! قتل همجي لداعي التشفي وسفك الدماء! إنه الإسلام الوهابي الجديد!

هكذا يتعامل جيش الفتح الوهابي مع إخوتهم أبناء جلدتهم من أهل القصيم؛ فكيف تتوقع أن يكون تصرفهم أكثر إنصافاً مع باقي المسلمين؟

وإليك أيها القارئ العزيز أمثلة أخرى من جهادهم في رقاب المسلمين!! اختصرناها من كتبهم التي تطفح بتاريخهم المشين[١] بما لو سردناه بأكمله لأعدنا طباعة كتبهم ليس إلا:

استباحة دماء المسلمين في المساجد

يستغرب البعض مما وقع في حرم الله الآمن بمكة المكرمة من تقتيل للحجاج الأبرياء حتى أنه لم يسلم حتى الشيوخ والنساء؛ لا لسبب إلا أنهم نددوا باليهود والنصارى أيام الحج الأكبر اتباعاً للهدي النبوي حيث قُرئت سورة براءة على الملأ.

إنَّ هذا الاستغراب مردُّه الجهلُ بالعقيدة الوهابية وتاريخها، فالمنظِّر لهذا المذهب محمد ابن عبدالوهاب كان لا يتردد في لمز الناس بالشرك ليستحل بذلك دماء مخالفيه، حتى وصل به الحال إلى لمز سيدنا آدم عليه السلام وأمنا حواء عليها السلام بالشرك في كتابه (التوحيد)[٢]، وقد مارس ذلك وبكل وقاحة ضدَّ المسلمين في جزيرة العرب لسفك دمائهم واستباحة أعراضهم ونهب أموالهم، وسنضرب

---

١ . لم نراعِ التسلسل الزمني للأحداث قدر مراعاتنا لفظاعتها وبعد المناطق المهاجَمة جغرافياً عن نجد.

٢ . ستجده في مقال مستقل بعنوان (من فضائح كتاب التوحيد)

على ذلك مثالاً مما دوَّنه الوهابية أنفسهم، فقد جاء في الصفحة (٩٧) من كتاب أصدرته الحكومة السعودية بعنوان (تاريخ نجد) للشيخ حسين بن غنَّام[١] في جزأين الأول يستعرض فيه مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب والجزء الثاني يستعرض فيه حروب الوهابيين[٢]، وأشرف على طباعة الكتاب الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ[٣].

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب: (إن عثمان بن معمَّر[٤] ـ حاكم بلد عيينة ـ مشركٌ كافر، فلما تحقق المسلمون من ذلك تعاهدوا على قتله بعد انتهائه من صلاة الجمعة، وقتلناه وهو في مصلاه بالمسجد في رجب ١١٦٣ هـ) ويقول ابن بشر: (فلما سلَّم من الصلاة قام إليه من ذكرنا فقتلوه..)[٥] وقد فعلوا ذلك من قبل مع (دهّام بن دوَّاس) حاكم الرياض بقرية العارض حيث أرسلوا إليه من اغتاله.

هكذا يغتالون المسلمين حتى في المساجد! وكيف يكون حاكم العيينة هذا مشركا كافراً وهو المقتول غيلةً في مصلاه بالمسجد بعد أدائه صلاة الجمعة[٦]؟! إن الجاهل من المسلمين يعلم أن المتهم بالردة عن الإسلام لا يقتل غيلة بل يستتاب، وكيف يصح أن يكون كافراً من قتل في مصلاه بالمسجد؟!

---

١ . وهو من فقهاء الإحساء وشعرائها (ت ١٨١١م)

٢ . من سنة ١٧٤٦م إلى ١٧٩٧م.

٣ . أي آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٤ . ينسبه إلى جده، وإلا فإنه عثمان بن حمد بن معمر كما ذكره ابن بشر في عنوان المجد ١/ ٨.

٥ . عنوان المجد ١/ ٢٣

٦ . يثبت ابن بشر في عنوان المجد ١/ ١٣ أن حاكم العيينة هذا ذهب إلى ابن عبدالوهاب في الدرعية للمصالحة ونبذ الخلاف خوفاً من شره على أهل العيينة ولكنه عاد من عنده بخفي حنين! فأين هذا من التأسي ـ إن كان مجدداً ـ بخير البشر الذي كان يقبل عذر من اعتذر إليه!



ولم يكتف ابن عبدالوهاب بذلك بل (سار الشيخ ﷺ ـ أي محمد ابن عبدالوهاب ـ إلى العيينة فأمر بهدم قصر ابن معمر فهدم)[١]

نعم والتاريخ يشهد إلى يوم القيامة أن محمد بن عبدالوهاب وحزبه دَمَّروا بلدة العيينة المكتظة بالسكان عن بكرة أبيها؛ لأنهم ثاروا على الحاكم الذي عينه الوهابية، فأضحت البلدة منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا قاعاً صفصفا، بل ومنع بناؤها منذ ذلك اليوم[٢]، ولقد قال محمد بن عبدالوهاب قولاً لا يرتضيه عاقل عندما علَّل إفناء بلدة العيينة بقوله (إنَّ الله سبحانه وتعالى قد صبَّ غضبه على العيينة وأهلها، وأفناهم تطهيراً لذنوبهم، وغضباً على ما قاله حاكم العيينة: عثمان بن معمَّر، فقد قيل لحاكم العيينة بأن الجراد آتٍ إلى بلادنا، ونحن نخشى أن يأكل الجراد زراعتنا، فأجاب حاكم العيينة قائلاً ساخراً من الجراد: سنُخرج على الجراد دجاجنا فتأكله، وبهذا غضب الله سبحانه لسخرية الحاكم بالجراد آية من آيات الله لا يجوز السخرية منها... ولهذا أرسل الله الجراد على بلدة العيينة فأكلها عن آخرها)[٣] هكذا يستخف محمد بن عبدالوهاب بعقول السذَّج، فلو يؤاخذ الله الناس بذنوبهم ما ترك عليها من دابة، هذا لو قطعنا جدلا أن مقولة حاكم العيينة في الجراد ذنبٌ، وهل هذا من الشرك الذي يستحق عليه حاكم العيينة القتل في المسجد؟! ومتى كان الجراد يأكل الجدران والرجال ويأخذ ما تبقى رقيقا، ويهدم الآبار!

---

١ . عنوان المجد ١/ ٤٣، وأسلوب ابن بشر أنه إذا أطلق لفظة (الشيخ) بدون الاسم فإنها يقصد محمد ابن عبدالوهاب، يراجع عنوان المجد ١/ ٤٧ و٥٨ و٦٥ و٦٦.. ويراجع كذلك لخبر هدم مسكن ابن معمر: ابن غنام، تاريخ نجد، ج٢، ص٥٧.

٢ . ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، ص ٢١

٣ . التقوي، الفرقة الوهابية في خدمة من؟ ص ٣١ ـ ٣٢.



ووالله الذي لا إله غيره إني لأجد في هذا الكلام رائحة أعداء الدِّين من المستشرقين فهذه أخت حججهم؛ وكأن بعضهم بالقرب منه يوحون إليه بها، فتأمل!!

هذا وقد سار جنود التوحيد!! الوهابي على خطى إمامهم في قتل المسلمين حتى في المساجد فكانوا لا يترددون في إشهار أسلحتهم على الناس في المساجد[1]، وقد مرَّ بك أخي القارئ ما فعله الوهابية بمعركة (الروضة) حين أغار الوهابية على قريتي (بيضاء نثيل) و (الشعيبة) وقتلوا المصلين في صلاة الفجر بالمساجد في شهر رمضان[2]!

فكيف نستغرب أن يأتي اللاحق من الوهابية فيقتل المئات من النساء والشيوخ المسلمين عند المسجد الحرام، بل وكيف نستغرب أن يأتي ابن باز ليفتي بجواز قتل العراقيين وإن كانوا في الصلاة؟!

إننا ننادي كلَّ مخدوع إلى مسارعة البراءة من هؤلاء ذوي الأيدي الملوثة بدماء المسلمين فموالاتهم إعانة لهم، ورسول الله ﷺ يقول **«من شرك في دم حرام بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله»**[3].

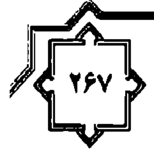
يقول ابن عباس: (وقوله ﷺ عن قاتل المؤمن (وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ يَقُولُ: «يَجِيءُ مُتَعَلِّقًا بِالْقَاتِلِ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا يَقُولُ سَلْ هَذَا فِيمَ

---

١ . لمطالعة أحد الأمثلة على ذلك يراجع عنوان المجد ٢/ ٦٧

٢ . يراجع موضوع «الشيخ جون فيلبي» بالفصل الأول.

٣ . رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٧٩) عن طريق ابن عباس، ورواه غيره عن طريق أبي هريرة بلفظ **«من أعان على قتل مؤمن..»** وقد رواه بهذا اللفظ البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٢) وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٣٠٦)، وابن ماجه في سننه (٢/ ٨٧٤)، وهناك رواية أخرى للحديث في مسند الإمام الربيع بن حبيب (برقم ٩٦٠) عن جابر بن زيد مرسلاً إلى النبي ﷺ قال: **«من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيساً من رحمة الله»**.



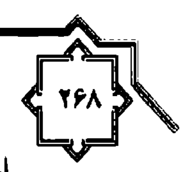
قَتَلَنِي» ثُمَّ قَالَ: وَالله لَقَدْ أَنْزَلَهَا وَمَا نَسَخَهَا) رواه النسائي وعند ابن ماجه (وأنى له الهدى) مكان (التوبة). وقوله ﷺ عند أحمد عن طريق معاوية: (كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا أَوِ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا)، وجاء من طريق أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قوله ﷺ (لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ) لذا فقد كان ابن عباس يرى أنه ليس لقاتل النفس المؤمنة من توبة كما رواه مسلم (عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ أَلِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ: لا. قَالَ: فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ ﴿وَالذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. قَالَ: هَذِهِ آيَةٌ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَليهِ وَلَعَنَهُ وأعدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾.

نجد

حاول أهل الدرعية بزعامة ابن سعود وابن عبدالوهاب تركيع أراضي نجد قبل أي منطقة أخرى؛ لذا فقد أغاروا على إخوانهم الأعراب هناك من غير سابق إنذار، حتى وقعوا في فوضى عجيبة في القتل والنهب، ومن ذلك تقتيلهم لعربان الروقة خطأ!! ظانين أنهم الدعاجين من عتيبة[١]، وكانوا يقتلون رجالهم بالعشرات ويسوقون أموالهم من الإبل والغنم والأثاث[٢] غنيمة بحجة امتناعهم عن دفع الزكاة وذاك لحاكم الدرعية المجهول في حينه، بينما كان لباقي المناطق حكامها!

١ . عنوان المجد ٢/ ١١٧

٢ . عنوان المجد ٢/ ٦٧



ولن نطيل في أمر نجد فالقتل والسلب والنهب طبيعتها أما الخير فيها فهو استثناء، ولكن ولإعطاء القارئ الكريم بعض التصور عن حجم الغارات التي شنها الوهابية في نجد فإننا ننصح بتتبع أخبار الهجوم على الرياض فقط حتى سقطت في أيديهم[1]، وذلك بمطالعة هذه الصفحات التي تروي كل واحدة منها تقريباً غارة، وذلك في كتاب «عنوان المجد» الجزء الأول، صفحات: ٢١ و٢٣ و٢٥ و٣٤ و٣٥ و٤٠ و٤٤ و٤٥ و٤٦ و٤٧ و٤٩ و ٥٢ و٥٦ و٥٨ و٥٩ ثم يقول في نفس الجزء من صفحة ٦٠ إلى صفحة ٦١ في أحداث سنة ١١٨٧هـ: (وفيها سار عبدالعزيز بالجنود المنصورة وقصد الرياض ونازل أهلها أياما عديدة وضيّق عليهم واستولى على بعض بروجهم وهدمها المسلمون وهدموا المرقب وقتَل على أهلها رجالاً كثيرا..) وينقل خبر فرار أهل الرياض منها وفعل جنود التوحيد بهم قائلاً: (ففر أهل الرياض في ساقته ـ أي في ساقة حاكمها ـ الرجال والنساء والأطفال لا يلوي أحد على أحد، **هربوا على وجوههم إلى البرية السهباء قاصدين الخرج وذلك في فصل الصيف، فهلك منهم**

خلق كثير جوعاً وعطشا..)[2] إلى أن قال: (فساروا في إثرهم يقتلون ويغنمون، ثم إن عبدالعزيز جعل في البيوت ضباطاً يحفظون ما فيها، وحاز جميع ما في البلد من الأموال والسلاح والطعام والأمتاع وغير ذلك؛ وملك بيوتها ونخيلها إلا قليلها..) فإذا كان الكبار من الحنابلة من أهل الرياض مشركين ـ في نظر خوارج نجد ـ فما جريمة الأطفال الذين قتلوهم جوعاً وعطشا؟!! وبأي

---

١ . وهذا هو أول سقوط قبل انهيار الدولة السعودية الأولى.

٢ . أقول لا إله إلا الله، فإن الشيخ يقول ذلك وكأنه يتشفى بهذه المأساة التي لم نر لها مثيلا سوى ما فعله الصرب بمسلمي كوسوفو!



حق يسلبون من أهل الرياض أملاكهم؛ حتى بيوتهم ونخيلهم وهم على ملة التوحيد[1]؟!!

الحجــاز

وانتهاك حرمة المدينة المنوَّرة

الحجاز تلك الأرض الطيبة التي ضمَّت أطهر بقعتين على الأرض مكة والمدينة لم تسلم من شر الوهابية، حيث لم يترك الوهابية منها شبراً إلا وهاجموه[2]:

المدينة المنورة بلاد رسول الله ﷺ:

اقتداء بيزيد بن معاوية صاحب وقعة الحرة الذي استباح المدينة المنوَّرة ثلاثة أيام يقتل وينهب قام الوهابية بغزوها[3]، يقول ابن بشر في أحداث سنة ١٢٢٠هـ: (.. **أجمعوا على حرب المدينة** ونزلوا عواليها، ثمَّ أمر عبدالعزيز ببناء قصر فيها فبنوه وأحكموه، واستوطنوه، وتبعهم أهل قباء ومن حولهم **وضيَّقوا على أهل المدينة، وقطعوا عليهم السوابل، وأقاموا على ذلك سنين**.. ولما طال الحصار على

---

١ . يراجع كذلك قطعهم للطريق على أهل الرياض، حيث يذكر ابن بشر (٢/ ٧٦) أن الوهابية «قطعوا عنهم السبل» وأغاروا على أناس من أهل الرياض خرجوا لجمع الحطب وذلك في شهر رمضان!!! سنة ١٢٥٣هـ وقتلوا أهل الرياض الذين أتوا لنجدة أهلهم، (فثبت أهل الرياض هذه المدة الطويلة على الحرب على ما مع فيصل من كثرة الجنود) عنوان المجد ٢/ ٧٥، ولكن كان ذلك إلى حين حتى سقطت مرَّة أخرى..

٢ . ينظر مثلاً عنوان المجد ١/ ١٧٩، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩

٣ . كثيراً ما يثني الوهابية وخصوصاً وهابية الكويت على يزيد في أشرطتهم ومحاضراتهم بأحسن ما في جعبهم من صفات وكأنهم ـ وعلى أقل تقدير ـ لا يقلدون إمامهم أحمد فيه حين قال لابنه صالح (يا بني، وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟) راجعه في مقال التماحك بالفصل الثاني بهذا الكتاب.

أهل المدينة وقعت المكاتبات بينهم وبين سعود من حسن قلعي وأحمد الطيار والأعيان والقضاة وبايعوا في هذه السنة)[١].

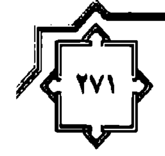
وهكذا أجمع الوهابية على حرب المدينة التي حرَّمها رسول الله ﷺ ـ بعد عام من احتلال مكة المكرمة ـ وقطعوا السبيل على أهلها مضيقين عليهم وأقاموا على ذلك سنين حتى سقطت المدينة المنورة مستسلمة و (بايع أهل المدينة المنورة سعود على دين الله ورسوله) كما نصَّ على ذلك ابن بشر في نفس الصفحة!!! فهل يريد الوهابية أن يقولوا بأن المدينة قد ارتدَّت أيضا؟!! فهل من دناءة فوق محاربة بلاد حرمها رسول الله ﷺ!!

الحناكية:

يقول ابن بشر: (وفيها ـ سنة ١٢٢٨هـ ـ في آخر ربيع سار سعود رحمه الله بالجيش المنصور من جميع النواحي وآفاق نجد الحاضرة والبادية وقصد الحناكية الماء المعروف قرب المدينة النبوية، وكان في قصرها عسكر من الترك مع عثمان كاشف وعلى الماء أعراب من حرب وغيرهم، فلما أقبل عليهم هرب البوادي بإبلهم وبونها الحرة، **فدهمهم المسلمون في منازلهم وأخذوا ما وجدوا فيها من الأثاث والأمتاع)** إلى أن يقول: (ثم إن سعود رحل من الحناكية **وسار إلى جهة المدينة النبوية فغنم في طريقه من بوادي حرب مغانم كثيرة**، فلما قرب من جبل أحد وإذا خيل من الترك وجيش من حرب قد أغارت على خيل المسلمين وقتلوا منهم نحواً من ثلاثين فارساً، وكان الجيش قد هرب قبل الخيل وتزيَّن بالمدينة) ثم سرد ابن بشر خروج الجيش الوهابي من المدينة: (ثم سار في وادي الصفرا **فحرق في الفرع نخيلاً وقتل رجالاً** ثم سار إلى الحرة ونزل على أهل بلد

---

١ . ابن بشر، عنوان المجد، ١/ ١٣٧



السوارقية فحصروهم ونزلوا منها بالأمان على نصف الحلقة وشطر ما تحت أيديهم بعدما قطع نخيلهم وهدم أكثر منازلهم فأقام عليها مدّة أيام وجمع فيها الغنائم وقسمها على المسلمين للراجل سهم وللفارس سهمان[١])!!!

وقد أعادوا الكرَّة سنة ١٢٣١هـ حين ساروا إلى الحجاز وأغاروا على الحناكية وما جاورها (وأخذوا أغناماً كثيرة وشيئاً من الإبل)[٢]

صفينة:

أعاد الوهابية الكرة على بوادي حرب في السنة التي تليها، يقول ابن بشر: (وفيها ـ سنة ١٢٢٩هـ ـ سار عبدالله بن سعود ﷺ بجميع المسلمين من أهل نجد الحاضرة والبادية خرج من الدرعية أول السنة فاجتمع عليه جميع النواحي وقصد جهة الحجاز، وذلك قبل وفاة أبيه سعود ﷺ **ومعه علي بن الشيخ محمد** ﷺ[٣]، فأغار على بوادي حرب وهم في الحرة قرب (صفينة) القرية المعروفة في تلك الناحية **فأخذ عليهم إبلاً وغنماً** كثيرة، ونزل بالغنائم صفينة وقفل منها[٤]) فانظر إلى التوحيد المزعوم الذي ينشره الوهابية بتوجيه محمد بن عبدالوهاب وذريته: سرقة الإبل والأغنام!

تربة وحزبة:

وهما قريتان بالحجاز انقض عليهما جنود الوهابية في أواخر شعبان ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م فقتلوا ونهبوا واعتدوا على الأعراض وأحرقوا النخيل، وقد

---

١ . عنوان المجد ١/ ١٦٢ ـ ١٦٣

٢ . عنوان المجد ١/ ١٨٦ ـ ١٨٧

٣ . انتبه إلى ولوغ أيدي آل الشيخ في دماء المسلمين.

٤ . عنوان المجد ١/ ١٧٩



أحصي من قتل في تربة وحدها فبلغوا ثلاثة آلاف من المدنيين العزَّل، وقد كان ذلك بعد سحقهم للجيش الشريفي بقيادة عبدالله بن الحسين، وكانت الفاجعة بقيادة أشقى القوم ويدعى فيصل الدويش[١].

الطـــائف

قتل العلماء والأطفال

هاجم الوهابية الطائف ليحرروها ـ على حدِّ زعمهم ـ من الشرك (أي الإسلام)!! وكانت تحت حكم الشريف غالب بن مساعد حاكم مكة، وكان بينه وبين الوهابية المواثيق، ولكنهم غدروا فتمكنوا من الاستيلاء على الطائف، إذ دخلوها عنوة في ذي القعدة ١٢١٧هـ؛ **فقتلوا الناس بدون تمييز بين رجل وامرأة وطفل؛ حتى أنهم كانوا يذبحون الرضيع على صدر أمه**[٢]، كما قتلوا من وجدوا في المساجد والبيوت ولاحقوا الفارين من المدينة فقتلوا أكثرهم، وأعطوا الأمان للبعض فلما استسلموا ضربوا أعناق فريق منهم، وأخرجوا فريقاً إلى أحد الأودية، واسمه وادي الوج، فتركوهم مكشوفي العورة ومعهم النساء[٣].

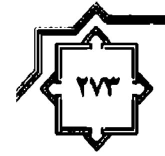
وأخذت الأعراب تروح وتغدو إلى الطائف فتحمل المنهوبات الهائلة التي كانت تخمَّس، ويرسل خمسها إلى الأمير ويقتسمون ما بقي. كما عبثوا بالمصاحف والكتب الدينية ورموها في الأزقة بعد أن مزقوها. وعمدوا أخيراً إلى حفر بيوت

---

١ . الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة ص ١٨٨، ويذكر ابن بشر شيئاً من ذلك في أحداث ١٢٢٩هـ ١/ ١٨٠ ـ ١٨١، ويراجع كذلك ما فعلوه بالحجاز سنة ١٢٣٢هـ بعنوان المجد ١/ ١٨٨ ـ ١٨٩.

٢ . محسن الأمين، كشف الارتياب ص ١٨ نقلا عن الشيخ أحمد بن زيني دحلان

٣ . الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة، ص ١٧٨



المدينة حتى المراحيض بحثاً عن المال الذي قيل لهم إنه خبئ في الأرض![1]

ويروي ناصر السعيد وهو من أبناء منطقة (حائل)[2] أن هؤلاء الأعراب بعد أن قتلوا وذبحوا الرجال والنساء والأطفال والصلحاء عمدوا إلى قطع أيدي النساء لانتزاع الحلي منها، ولكن كانوا ـ من شدَّة ورعهم!! ـ إذا حضرت الصلاة توضأوا من ذلك الماء الذي تلوّن بدماء المسلمين[3]!

ويذكر الجبرتي في كتابه (تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار) أنهم (حاربوا الطائف وحاربهم أهلها ثلاثة أيام حتى غلبوا فأخذ البلدة الوهابيون، واستولوا عليها عنوة، وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال، وهذا رأيهم مع من يحاربهم)[4]

وقد قتل خلال هذه المجزرة الشيخ عبدالله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة[5]، والشيخ عبدالله أبو الخير قاضي مكة، والشيخ جعفر الشيبي وغيرهم ذبحوهم بعد أن أمَّنوهم عند أبواب بيوتهم[6]، ومن المبكيات المضحكات أن

---

١ . د. محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث ص ١٧٨ و٢٣٣، ويراجع خليفة فهد، جحيم الحكم السعودي ونيران الوهابية، الصفاء للنشر والتوزيع، لندن، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

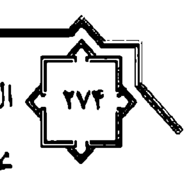
٢ . ورئيس اتحاد شعب الجزيرة سابقاً، اختطفه الوهابية من بيروت في ١٧/ ١٢/ ١٩٧٩، وليس الاختطاف والتعذيب بغريب على الوهابية؛ فقد اختطفوا الشيخ الذهبي ومثلوا به أبشع تمثيل في تعذيبه وقتله (يراجع اختطاف الذهبي في هامش كتاب الصواعق الإلهية ص ٢٤)

٣ . إنه فقه الخوارج حذو النعل بالنعل!

٤ . محمد أديب غالب، من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ص ٩٠، ط. دار اليمامة للبحث والترجمة والإشراف، ط١.

٥ . هذا الشيخ سابق على الشيخ أحمد بن زيني دحلان الذي توفي سنة ذ٤٠٣هـ.

٦ . السيد إبراهيم الراوي الرفاعي، الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية، ص ٢ ـ ٤، طبع مطبعة النجاح، بغداد، ١٣٤٥هـ. وسبب وجود هؤلاء المشايخ بالطائف في حينه أنهم اتخذوا الطائف مصيفاً.



الشيخ عبدالقادر الشيبي سادن الكعبة ـ الذي ذُبح أبناؤه في المجزرة ـ رأى أن يحتال عليهم ليحفظ عنقه فأجهش بالبكاء عندما أتى دوره للقتل فسأله أحدهم (وليش تبتسي يا تسافر) أي لماذا تبكي يا كافر؟ فقال: أبكي والله من شدة الفرح، أبكي يا إخوان لأني قضيت حياتي كلها في الشرك والكفر، ولم يشأ الله إلا أن أموت مؤمناً موحدا. الله أكبر، لا إله إلا الله.. فأخذت الوهابية الأريحية وبكوا لبكاء الشيخ؛ ثم طفقوا يقبلونه ويهنئونه بالإسلام[1]!

فكيف يمكن للمسلم أن ينسى دماء الموحدين هذه وأموالهم؟! ألا إنه جزء من مسلسل التآمر على بلاد الإسلام، ينفذه خوارج نجد ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَاأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾!

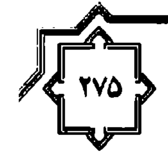
نعم لقد كان القادة النصارى واليهود يسيرونهم كيفما أرادوا للقضاء على الكيان الإسلامي شعر الوهابية بذلك أم لم يشعروا، وقد ذكر ذلك الكثير منهم في كتبهم ومذكراتهم، ومنهم قائد قوات الوهابية جون فيلبي[2] في كتابه (أربعون عاماً في الجزيرة العربية) قائلاً (بعد أن يئسنا من الحسين حركنا جنود الإخوان[3] بقيادة خالد بن لؤي وفيصل الدويش وسلطان بن بجاد لسفك دماء غزيرة في الطائف لتوقع الرعب في قلوب كافة الحجازيين: البادية والحاضرة، ونوفر بها على بقية المدن الحجازية دماء أخرى إن أمكن الأمر، وإلا فإن دماء غزيرة لابدَّ

---

١ . نجد وملحقاتها ص ٣٣٣، السلفية بين أهل السنة والإمامية ص ٣٤٧، الإسلام والوثنية السعودية ص ١١٦

٢ . تولى الأمور بعد مقتل الكابتن شكسبير في حرب الوهابية لآل رشيد في معركة الجراب عام ١٩١٥م

٣ . مثل جيش الإخوان كمثل جيش مسيلمة العرمرم الذي أباد خضراء المسلمين وذهب على يديه كثير من صحابة رسول الله ﷺ! وكان جزاؤهم شبيه بجزاء البرامكة عند العباسيين، فسبحان من يضرب الظالم بالظالم.



من إراقتها لأن الإنجليز قرروا إسقاط الشريف حسين بأي ثمن بعد أن رفض الأمر والطلبات بإعطاء فلسطين لليهود المشردين المساكين، وبعد أن رفض الحسين ما عرضناه عليه بأن يكتفي بالحجاز وحده وأن يغير وجهة نظره في توحيد البلاد العربية كلها تحت حكمه)[1]

وفعلاً تمَّ كل ما أراده النصارى على يد الوهابية، وسقطت مكة المكرمة، وأحرقوا بها (المكتبة العربية) ذات النفائس، وقد ذكرنا طرفاً من أمرهم معها في هذا الكتاب.

مكة المكرمة

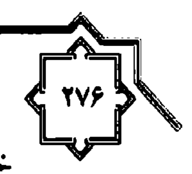
أهل مكة يأكلون الجيف والكلاب

اشتدَّ أذى الوهابية لحجاج بيت الله الحرام بقطع الطريق عليهم، ثمَّ صعَّدوا حملتهم في محرم ١٢٢٠هـ تحسباً لاحتلال مكّة المكرَّمة فسدوا المنافذ على مكّة المكرَّمة وأخذوا يقتلون ويأسرون كلَّ قاصد لبيت الله الحرام؛ فاشتدَّ الغلاء في مكة بشكل فاحش لم تشهده من قبل حتى باع أهل مكة أثاثهم وحلي نسائهم بعشر القيمة؛ ليشتروا أقوات أطفالهم بأضعاف أثمانها. ومات الكثير من أهل مكة جوعا وانتشرت جثث الأطفال في الأزقة، حتى قال مؤرخ الوهابية عثمان النجدي (**أن لحوم الحمير والجيف بيعت فيها بأغلى الأثمان، وأكلت الكلاب، وأخذ الناس يهجرونها نتيجة الخطر الجاثم على أطرافها، فلم يبق فيها إلا النادر من الناس**)[2]!!

---

١ . ناصر السعيد تاريخ آل سعود ص١٩٣ و ٣٥٩

٢ . ابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٣٥



فما الذي أباح الحرم الآمن الذي لم يحله الله إلا لرسوله ساعة من نهار، وقد خطب رسول الله ﷺ قائلا «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ أَلا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي وَلَنْ تَحِلَّ لأَحَدٍ بَعْدِي أَلا وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ أَلا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ لا يُخْبَطُ شَوْكُهَا وَلا يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلا يَلْتَقِطُ سَاقِطَتَهَا إِلا مُنْشِدٌ وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُعْطَى يَعْنِي الدِّيَةَ وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ**»[1]. أقول ما الذي أباحه لهؤلاء الأوباش المتعطشين للدماء الذين لا يراعون ذمة ولا حرمة، حتى انتشرت جثث أطفال المسلمين من أهل مكة في الطرقات، وأكل أهل البيت العتيق لحوم الجيف والحمير والكلاب كما يروي الوهابية أنفسهم مفتخرين لا عافاهم الله؟

ومن شنيع أفعال الوهابية خلال غاراتهم على مكة والمشاعر العظام أن توجه اثنان من قادتهم وهما (عثمان المضايفي ـ الذي أصبح أمير الطائف بعد الاستيلاء عليها ـ وابن شكبان) إلى عرفة فقتلا من لم يطعهما وأسرا الكثير من الناس، ثمَّ انتقلا إلى وادي مرّ ينهبون ويقتلون الواردين إلى مكة المكرمة مما أدى إلى امتناع أهل الحجاز عن الحج، وأحرق المحمل المصري رمز اجتماع الحجيج، ولقد رفض أمير الحج الشامي شروط الوهابية وعاد إلى بلاده ومن معه[2].

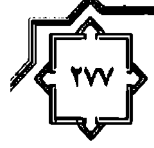
هذا الإرهاب دفع بالشريف غالب بن مساعد إلى الموافقة على الصلح مع الوهابيين، والسماح لهم بالدخول إلى مكة، التي بقي حكمها له على أن يحظر الصلاة والسلام على الرسول الكريم بعد الأذان لأنها بدعة!

وكان من نتيجة استيلائهم على مكة المكرمة ومنطقتها أن انفلت حبل الأمن فانتشر السلب والنهب، واضطربت السبل، ولم يستطيعوا ضبط الوضع بوضع

---

١ . رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

٢ . السيد محسن الأمين، كشف الارتياب ص ٢٧



حد لهذا الانفلات، وما لبث الوهابية أن زهدوا في مكة بعد أن عاثوا فيها فساداً[١]؛ فتركوها عندما سمعوا أن العجم غزو عاصمتهم الدرعية كما يروي الجبرتي، فعاد إليها الشريف غالب، وحاول استعادة الطائف ولكنه فشل بعد أن استطاع حماية جدَّة من هجماتهم الشرسة[٢].

ولقد كان لدخول الجيوش المصرية الجزيرة العربية للقضاء على الوهابية سنة ١٢٢٦هـ، والتي بقيت حتى عام ١٢٣٤ هـ، أثر كبير في تأديب الوهابية، وإضعاف سيطرتهم على الحرمين الشريفين[٣]، ولكن ما لبثت القبضة المصرية أن تراخت، لتقوم قائمة الوهابية ثانية، ليعودوا وبقوة لاحتلال مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ[٤]، ثم المدينة المنورة في العام الذي يليه، بعد أن تعاون معهم الإنجليز علناً، ثم تمكنوا من طرد الشريف علي بن الحسين إلى العراق ولتكون بذلك مدينة جدَّة آخر مدن الحجاز سقوطاً بأيدي الوهابية.

أيها القارئ الكريم: أتدري من كان قائد فلول الوهابية لاحتلال مكة؟! إنه النصراني البريطاني سانت جون فيلبي!! الذي يسميه الوهابية الشيخ عبدالله، وعندما احتج بعض شيوخ البادية على دخوله الحرم الآمن قال قائد الوهابية (يا

---

١ . تم احتلال مكة المكرمة احتلالا فعلياً فيها الشريف علي بن الحسين في جدّة يحاصره الوهابيون من جهة البر بينما يضيّق عليه الإنكليز من جهة البحر إلى أن قبل بالصلح والاستسلام للإنكليز سنة ١٩٢٤م فانتقل إلى العراق.

٢ . د. محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

٣ . محاولات المصريين حماية البيت الحرام من أهل نجد قديمة حتى قبل ظهور البدعة الوهابية؛ ففي منتصف شعبان سنة ٩٠٨هـ تحديداً هاجم أعراب نجد مكة المكرمة في ما عرف من بعد باسم «فتنة الجازاني»، وقتلوا قائد الحامية المصرية بمكة، وأخذوا في مهاجمة قرى مكة واحدة بعد الأخرى حتى هرب السكان إلى مصر، وقد حدث مثل ذلك بمكة من قبل أيام القرامطة سنة ٣٤٧هـ وقد مكَّن الله المصريين من إخماد فتنتهم، ولله الحمد.

٤ . يوافق بالتاريخ الجريجوري سنة ١٩٢٤.

إخوان المسلمين... لولا هذا الرجل الذي اسمه الشيخ عبدالله فيلبي ما دخلتم مكة المكرمة.. وهذا هو مندوب الإنكليز هل تريدون أن أغضبه وأرضيكم!)[١]

هذا ومما يجب أن يعلم أن احتلال خوارج نجد لمكة المكرمة لا يعني أبداً تبعية أهل الحجاز للوهابية النجديين؛ حيث لا يزال الوهابية يسمون أهل الحجاز بالصوفية ولا يقدمون للإمامة في الحرمين إلا وهابياً[٢]!! وهذا دأبهم مع كل المسلمين لأنهم لا يوافقونهم على ضلالهم فينتحلون لهم الألقاب فالبعض في نظرهم خوارج[٣] والبعض صوفية والبعض الآخر رافضة والعصمة لأهل نجد الذين يشير إليهم علماء الحجاز باسم النجديين والقرنيين نسبة إلى قرن الشيطان.

الإحساء

يقول مؤرخ الوهابية في أحداث سنة ١١٧٦هـ: (وفيها سار عبدالعزيز ﷺ بالجيوش المنصورة إلى الإحساء وأناخ بالموضع المعروف بالمطيرفي في الإحساء وقتل منهم رجالا كثيرا نحو السبعين رجلاً وأخذ أموالاً كثيرة، ثم أغار على المبرز فقتل من أهلها رجالا..)[٤]

ويقول في أحداث ١١٩٨هـ: (وفيها سار سعود ﷺ بالمسلمين وقصد ناحية الإحساء فصبَّح أهل العيون وهجم عليهم، ولم يأتهم خبر عنه، وأخذ كثيراً من الحيوانات، ونهب بيوتها ازواداً وأمتعة..)[٥]

---

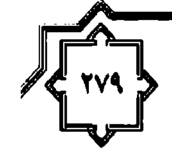
١ . السيد أبو العُلى التقوي، الفرقة الوهابية في خدمة من؟ ص ١١٦

٢ . لا يخفى على متابع أن البلاد التي يتحكم بها الوهابية اليوم يوجد بها مالكية وشوافع وأحناف وشيعة ولكن لا يحق لأحد أن يدرس الدين أو يدرِّسه في المدارس أو الكليات أو الحرمين إلا على مذهب الحشوية. هذا هو التسامح المذهبي لديهم!

٣ . رمتني بدائها وانسلَّت.

٤ . عنوان المجد ١/ ٤٦

٥ . عنوان المجد ١/ ٧٨



ويقول في أحداث ١٢٠٢هـ: (ثم سافر[١] منه ـ أي قطر ـ وقصد الإحساء وأغار على أهل (الجثة) القرية المعروفة فقتل منهم رجالاً)[٢]

ويقول في أحداث ١٢١٠ هـ: (.. فلما استووا على ركائبهم (أي جنود الوهابية) وساروا ثوَّروا بنادقهم دفعة واحدة، فأظلمت السماء وأرجفت الأرض، وثار عج الدخان في الجو، وأسقط كثير من الحوامل في الإحساء، ثم نزل سعود في الرقيقة.. فأقام في ذلك المنزل يقتل من أراد قتله، ويجلي من أراد جلاءه، ويحبس من أراد حبسه، ويأخذ من الأموال، ويهدم من المحال، ويبني ثغورا، ويهدم دورا، وضرب عليهم ألوفاً من الدراهم وقبضها منهم..) ثم يقول عن القتل وذلك بعد الاستسلام (.. فهذا مقتول في البلد، وهذا يخرجونه إلى الخيام، ويضرب عنقه عند خيمة سعود، حتى أفناهم إلا قليلا، وحاز سعود في تلك الغزوة ما لا يحصى)[٣]

فإطلاق البنادق (تثويرها) دفعة واحدة كانت مقصودة لإثارة الرعب كما هو واضح حتى أسقطت النساء ما في أرحامها كما يفتخرون أخزاهم الله، فبالله عليكم ما ذنب الأجنة في الأرحام؟! وهذا هو ديدنهم يقول ابن بشر عن غزوهم لبلدة تسمَّى (حرمه) وهم في طريقهم للخَرج (فلما انفجر الصبح أمر عبدالله على صاحب بندق يثورها، فثوروا البنادق دفعة واحدة فارتجت البلد بأهلها، وسقط بعض الحوامل وإذا البلاد قد ضبطت عليهم..)[٤] وهل يقتل أهل ملة التوحيد حتى بعد الاستسلام؟! إنه البغي الوهابي، إنها الصناعة النصرانية تؤتي

١ . أي سليمان بن عفيصان وجيش الفتح الوهابي!!
٢ . عنوان المجد ١/ ٨٣
٣ . ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ١٠٦
٤ . عنوان المجد ١/ ٦٧



أكلها، ولا حول ولا قوة إلا بالله[١].

الكويت

الكويت من الأقطار التي هاجمها الوهابية بدافع السلب والنهب ولإدخالها في الدين الوهابي الجديد، فوجهوا إليها الغارات تنهب وتقتل وتسلب وتسبي، وقد تركَّزت حملات الوهابية على الكويت في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري؛ فهاجموها سنة ١٢٠٥ هـ، ثم سنة ١٢٠٨هـ، ثم سنة ١٢١٢هـ، ثمَّ ١٢١٣هـ، ثمَّ سنة ١٢٢٣ هـ ووصلوا في هذه الأخيرة إلى الجهراء وفيها قتل ألف رجل من أهل الكويت[٢]، ثم سنة ١٣٣٧هـ، ثم سنة ١٣٣٨هـ.

وحين رفض العتوب[٣] في الكويت والبحرين دفع الجزية هاجمهم الوهابيون مرة أخرى وأوقعوا بهم خسائر جسيمة.

وقد أعطى الإنجليز أثناء صراعهم مع الأتراك الضوء الأخضر للوهابية لمهاجمة الأراضي الكويتية سنة ١٣٣٧ هـ، فوقعت معركة (الحمض) فقتلوا ونهبوا.

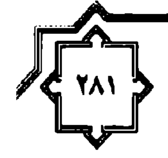
وأعاد الوهابية الكرة سنة ١٣٣٨ هـ فكانت معركة (الجهراء) وكاد الشيخ سالم الصباح أن يقع في الأسر لولا أن أنجده ابن طوالة بقوة من قبائل شمَّر والعجمان.

وبموت سالم الصباح سنة ١٣٣٩هـ ودخول كثير من أهل الكويت في

١ . وللاطلاع على تفاصيل أكثر عن جرائم وسرقات الوهابية بالإحساء وكيف حرقوا النخل بها أيام سعود، يراجع حسين بن غنام، تاريخ نجد، ص ٩٧.

٢ . الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة، ص ٢٠١

٣ . آل الصباح في الكويت وآل خليفة في البحرين هم من العتوب.



الديانة الوهابية وجَّه النصارى الإنجليز[1] عملاءهم خوارجَ نجد للتوقف عن تقتيل الكويتين لزوال الداعي إلى ذلك بعد أن صفا الجو للنصارى وتمَّ المراد؛ فتوقفت الهجمات الوحشية عن الكويت[2].

ولا بدَّ أن ننقل هنا شيئاً من مفاخر الوهابية في تقتيل أهل الكويت حيث يقول ابن بشر في أحداث سنة ١٢٠٨هـ: (وفيها غزا إبراهيم المذكور - أي ابن عفيصان القائد الوهابي الشهير - إلى ناحية الشمال فأغار على أهل بلد الكويت، وكان قد عبأ لهم كميناً فظهر عليه أهل البلد وناشبوهم القتال فخرج عليهم الكمين، فقتل من أهل الكويت نحو ثلاثين رجلاً)[3]

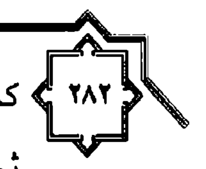
ويقول ابن بشر في أحداث سنة ١٢١٢هـ: (وفيها غزا منّاع أبا رجلين (!!) الزغبي بجيش من أهل الإحساء بأمر عبدالعزيز وقصد بلد الكويت فعبّى لهم

---

١ . وتعامل النصارى والوهابية على الكويت يحتاج إلى دراسة، فإنه لمَّا رأى الإنجليز إصرار الشيخ محمد الصباح حاكم الكويت سنة ١٨٩٦م على التقارب مع الدولة العثمانية وكان - كما يعترف ديكسون المقيم السياسي هناك - على وشك أن يضع الكويت تحت ولاية الدولة العثمانية كردٍّ فعل على مؤامرة بريطانيا في الخليج حرَّضوا أخاه الشيخ مبارك المقيم لدى الوهابية للانقلاب على أخيه فقدم وحوله كوكبة من فرسان الوهابية فذبح أخويه محمد وجراح قبل ساعة من منتصف ليلة ١٧/ ٥/ ١٨٩٦م فكان حكمه إيذاناً بسيطرة الإنجليز على البلاد كما ينص على ذلك ديكسون بقوله: (في عام ١٨٩٩ تحوَّل مبارك علناً إلى الإنجليز) وبذلك أيضاً سيطر الوهابية علناً على الكويت. (يراجع ديكسون، عرب الصحراء، ص ٣٣٧-٣٤٨ بعنوان: كيف استولى مبارك الصباح على العرش)

٢ . الحقائق والتواريخ السابقة منقولة عن د. محمد عوض الخطيب: صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، دار المعراج ص١٧٤، ١٨٧، ٢٧٨. و إبراهيم عبدالعزيز عبدالغني: صراع الأمراء، دار الساقي ط١، ص ٣٠، وعبدالرحمن ناصر الشمراني، مملكة الفضائح، دار الإنسان ج٢ ص ٥١

٣ . عنوان المجد، ١/ ١٠٢



كميناً وأغار على سوارحهم فأخذها فخرج عليهم أهل البلد فناشبوهم القتال ثم خرج عليهم الكمين فانهزم أهل البلد وقتل منهم نحو عشرين رجلاً)[١]

فالشيخ يفخر بقطع الطريق على أهل الكويت وذلك بنصب الكمائن لهم وسرقة أنعامهم؛ فهل كان أهل الكويت أيضاً يعبدون الأصنام كأهل نجد[٢] حتى تحل دماؤهم؟!

قطر والبحرين[٣]

قطـــر:

يقول ابن بشر الوهابي في أحداث سنة ١٢٠٢هـ: (وفيها غزا سليمان بن عفيصان بأمر عبدالعزيز إلى جهة الشرق فأوقع بأهل قطر الناحية المعروفة قرب البحرين فقتل منهم قتلى كثيرة من آل أبي رميح، وأخذ أموالهم..)

وفي أحداث سنة ١٢٠٦هـ (وفيها غزا سليمان بن عفيصان بأمر عبدالعزيز بجيش من أهل الخرج وغيرهم، وقصد قطر المعروف بين عمان والبحرين، فصادف منهم غزواً نحو خمسين مطية فناوخهم، فقاتلوا وهزمهم سليمان، وقتلهم إلا القليل، وأخذ ركبهم)[٤].

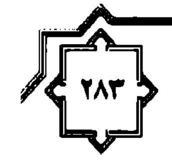
---

١ . عنوان المجد، ١/ ١١١

٢ . عنوان المجد، ١/ ١٨٢

٣ . وآثرنا الحديث عنهما تحت نفس العنوان لأصرة القربى التي تجمع أهل البلدين، فآل خليفة حكام البحرين كان مقامهم قبل ذلك بقطر، وكل بلد منهما منزل لأهل البلد الآخر متى ما دعت الحاجة كما كان عليه حال علامة قطر الشيخ يعقوب بن يوسف الذي فرَّ بدينه إلى البحرين بعد التهديد الوهابي كما سيأتي.

٤ . عنوان المجد ج١ ص ٨٨



ويقول كذلك في أحداث ١٢٠٩ هـ (.. ثم سار بهم إبراهيم بن عفيصان فقصد ناحية قطر، وأغار على أهله فأخذ إبلا كثيرة من بواديهم وأموالهم، **فأقبل بها وباعها في الإحساء)**[١]

والحقيقة أن الجيش الوهابي هذا بدأ يغير على قطر منذ سنة ١٢٠٨هـ، حيث قاتل ابن عفيصان بني عتبة (العتوب) في (الزبارة)[٢] من قطر، وحاصرهم، ومنع الناس من الدخول إليها أو الخروج منها، حتى اضطر العتوب[٣] للهجرة إلى البحرين هرباً بنسائهم وأطفالهم سنة ١٢١٢هـ، ولم يعودوا حتى دخلوا مكرهين في المذهب الوهابي، وهاجم الوهابية كذلك مناطق أخرى في قطر حيث تقيم قبائل فريحة والحويلة واليوسفية والرويضة وغيرها، وأخذوا يثيرون الشقاق والضغائن بينهم[٤].

وهاجموهم سنة ١٢٦٧هـ بقيادة الأمير عبدالله بن فيصل وأوقعوا فيهم الذعر حتى (طلبوا الأمان من فيصل وادعوا أنهم مغلوبون مغصوبون فقبل منهم وبايعوه)[٥] ودخل بذلك كثير من أهل قطر الديانة الوهابية مكرهين،

١ . عنوان المجد ج١، ص ١٠٣، وهذا من أمثلة سرقاتهم التي يعترفون بها!

٢ . عنوان المجد ج١، ص ١٥٠ . الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٧٣

٣ . العتوب من آل خليفة تخصيصاً؛ وقد كان هؤلاء هم حكام قطر قبل آل ثاني حتى احتلال الوهابية لقطر عام ١٧٩٢.

٤ . أبو حاقة، لمع الشهاب، دار الثقافة بيروت، بدون تاريخ، ص ٧٨ وما بعدها، إبراهيم عبدالعزيز عبدالغني، صراع الأمراء، دار الساقي، لندن ١٩٨٨، ص ٢٣، صفحات من تاريخ الجزيرة ص ١٧٣ ـ ١٧٤، رياض نجيب الريّس، رياح السموم، ط٣، ص ٣٠٥

٥ . ابن بشر، عنوان المجد، ٢/ ١٣١، وانظر كذلك غزو الوهابية لقطر بقيادة جلوي في نفس الصفحة.

وبايعوهم على الإسلام[١]!! والسمع والطاعة ـ كما يقول ابن بشر ـ ولكن المؤسف أن الوهابية اغتصبوا منهم ثلاثمائة سفينة وذلك بعد دخول الديانة الوهابية[٢]!!

فمتى كان أهل قطر كفاراً تحلُّ دماؤهم وأموالهم، وما هو حال قاتلهم عند الله؟ ومتى كان إرعاب المؤمنين جائزاً حتى يضطروا للهجرة والخروج من ديارهم؟ ومتى كان تغيير المذهب بل الدين جائزاً بالإكراه، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؟ ومتى كانت إثارة الشحناء والبغضاء بين المسلمين جائزة؟

ويكفي الوهابية عاراً إلى يوم الدين تشريدهم للشيخ (يعقوب بن يوسف) من قطر إلى البحرين لأنهم لم يستطيعوا نشر باطلهم وهو هناك حيث كان يفنِّد شبههم، ومات وهو يتحرَّق شوقاً للعودة إلى بلده انتقم الله من ظالمه[٣].

البحرين:

امتنع العتوب عن دفع الجزية فهاجمهم الوهابية وقتلوا منهم الكثير،

---

١ . حيث يعتبرونهم كفاراً قبل الدخول في الديانة الوهابية!

٢ . عنوان المجد ٢/ ١٣٢

٣ . راجع مقال (كنت وهابياً) لتعرف بعض التفاصيل. وتشريد العلماء عادة وهابية فقد شرَّدوا الشيخ محمد الزواوي الشافعي من الإحساء فلجأ إلى مسقط كما يذكر ذلك ابن زريق في كتابه (الفتح المبين) وذكر في كتابه ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧ كلام الشيخ الزواوي ومما قاله: (إن شأن عبدالعزيز وشأن شيعته لغريب غربيب، فهو لما كثرت جنوده، ورقت لهم بنوده أكثر من تقريب المدعين العلم بغير علم، فسماهم مطاوعة، لما أغرَوه وغرّوه بالظلم، وجوزوا له تشريك أهل القبلة المخالفي ما صنفه شيخهم عبدالوهاب في الكتاب الذي سماه كشف الشبهات، وهو كتاب صغير يفضي أكثره إلى سفسطة وأوهام، فجوزوا قتل من خالفهم من المسلمين، واستحلوا مالهم وسبي ذراريهم ونكاح زوجاتهم بلا طلاق من أزواجهن ولا عدّة...)الخ



وأوقعوا بهم خسائر جسيمة[١]، يقول ابن بشر في أحداث سنة ١٢٦٧هـ: (وأقام الإمام ـ يعني فيصل ـ على ذلك الماء قريب شهر وكان قد قصد أهل البحرين لأنه بلغه عنهم بعض المخالفة وقطع شيء من الخراج الموضوع عليهم (!!)؛ فلما وصل ذلك الماء أرسلوا إليه يطلبون المصالحة والمساحة عمّا مضى فلم يقبل منهم..)[٢] هكذا يتعامل الوهابية مع المسلمين بفرض الجزية وعدم الصفح؛ وقد حاول الشيخ سعيد بن طحنون رئيس أبو ظبي أن يثنيهم عن أكل أموال أهل البحرين وأن يرجعوا فأبوا ذلك وطلبوا حضوره الشخصي، فطلب منهم الأمان لأنهم أهل غدر فذهب إليهم ومعه الهدايا الكثيرة يطلب المصالحة لأهل البحرين، ولكنه (لم يحصل سوى الخيبة) ـ على حد قول ابن بشر ـ وأن على أهل البحرين أن يؤدوا الجزية السابقة واللاحقة وما طلب منهم من النكال[٣]!

ولا عجب فقد اعتدوا على البحرين قبل ذلك مراراً؛ حتى بلغ بهم الحال أن اقتادوا آل خليفة أسرى وسجنوهم في الدرعية، ولم يطلقوا سراحهم إلا سنة ١٢٢٦هـ ليهاجموهم بقيادة إبراهيم بن عفيصان فقتل الوهابية من أهل البحرين وأتباعهم ألفاً وأربعمائة (١٤٠٠) رجل منهم الشيخ راشد بن عبدالله بن خليفة والشيخ دعيج صاحب بلد الكويت وكان من أعوان أهل البحرين، وشاء الله العزيز أن ينتقم لأهل البحرين فانفجر البارود داخل السفن الوهابية المغيرة فمات الجند الوهابي حرقاً وغرقا والحمد لله رب العالمين[٤].

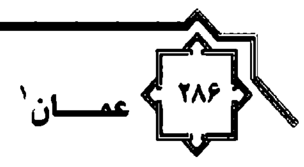
---

١ . إبراهيم عبدالغني، صراع الأمراء، ص ٣٣. الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة، ص ١٧٤

٢ . عنوان المجد، ٢/ ١٣٠

٣ . عنوان المجد، ٢/ ١٣٢

٤ . عنوان المجد، ج١ ص ١٥٦ ـ ١٥٧



عمـــان[1]

هجمات الوهابية على عمان لسعة أمدها ولقسوتها تحتاج إلى دراسة مستقلة، ولكن لن يفوتنا ههنا تدوين التالي:

إن هذه الهجمات لم تكن إلا بغياً في الأرض وفساداً، أهم أهدافها سرقة النجائب العمانيات، حيث كانت هذه أغلى ما يحتفظ به الوهابية وما يقدمونه ـ لمن يخشون سطوته ـ من هدايا، يقول ابن بشر: (وأرسل الإمام هدية سنية من الخيل والعمانيات[2] ودراهم ليست بكثيرة).

---

١ . (عمان) تعني في زمان مؤرخ الوهابية ابن بشر ما يعرف اليوم بدولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان، واستخدمنا الاسم كما كان عليه أيام الغزو الوهابي؛ لسببين، الأول: صعوبة التفريق بينهما في حديثه عندما يطلق لفظة (عمان) فيتحدث مثلاً عن فرار القاضي علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب إلى عمان بعد انهيار الدولة السعودية الأولى (عنوان المجد ١/ ٢١٥) ولولا إنه ذكر عَرَضاً بعد ذلك (١/ ٢٢٥) أنه التجأ إلى رأس الخيمة لما دريت أي عمان يقصد، ومثل ذلك كثير مما لا تستطيع البتَّ فيه إلا بدراسة متأنية وبالتحقق من مصادر أخرى، والسبب الثاني: ارتباط القيادة والمصير بين أهل البلدين؛ حيث قاتل شيوخ بني ياس الغزو الوهابي وتحت لوائهم أهل البريمي.

٢ . المقصود هنا النوق العمانيات، ويكرر ذلك كثيرا يقول في عنوان المجد (٢/ ١١٥) ذاكراً هدية قدمها أمير الوهابية للشريف محمد بن عون: (.. ومعهم ثمان عمانيات وأربع من الخيل) ويذكر (٢/ ٣٧) كذلك هدية من المسروقات: (الخيل والركاب العمانيات)، ويكرر مثل ذلك كثيراً، يلاحظ مثلاً ج١ ص ١٣ حيث يذكر أن الدرعية بعد تمكن الوهابية كثرت بها النجائب العمانيات (لكثرت السرقات طبعاً)، ويراجع ص ٢١٦ وص١٧٦، و ج٢ ص٨٠. ومن المضحكات أن قائد الإخوان الشهير مطلق السور وقع في هوى فتاة طلب منه أهلها خمس نوق مهرا فذهب إلى الملك عبدالعزيز فأعطاه كما يقول ديكسون (عرب الجزيرة ص ١٤٩) ذلولاً عمانية واحدة فقبلها أهلها عن الخمس لأنها أفضل من خمس نجديات، ولهذا يتمثل أهل نجد بقولهم: (لا تركب إلا عمانية ولا تتزوج إلا زعبية).



ومن الأدلة على أنها بغي وفساد ما ذكره ابن بشر في أحداث سنة ١٢٢٥هـ؛ حين تخاصم سعود وأبناؤه ولم يكفهم العطاء، فما كان منهم إلا أن ساحوا في الأرض يقودون فلول جيوش التوحيد لسرقة أموال العمانيين!! فيقول: (وفي هذه السنة في أول شهر ذي الحجة!! وسعود في الحج، خرج أبناء سعود (تركي وأخوه ناصر وسعد) وقصدوا ناحية عمان ومعهم عدّة رجال[1] من أتباعهم وخدمهم، وذلك أنه وقع بينهم وبين أبيهم مغاضبة وطلبوا منه زيادة لعطائهم وخراجهم فأبى عليهم ذلك، وكان يعطيهم جزيلاً، وطلبوا منه الخروج إلى عمان للقتال فمنعهم ذلك، فلما خرج هذه السنة للحج خرجوا من الدرعية، فلما وصلوا إلى عمان علم بهم أناس من أهل باطنة عمان وغيرهم فنفروا عليهم وهجدوهم بالليل بياتاً)[2]؛ ولكن قطّاع الطرق هؤلاء لم ينثنوا عن غيِّهم فاستغاثوا بزعيمهم الكبير مطلق المطيري بعد الهزيمة فأتى إليهم بالمدد فتوغلوا في عمان يقتلون ويسلبون!

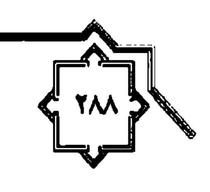
ويفخر ابن بشر في أحداث سنة ١٢٤٨هـ بقومه قائلاً: (فساروا إلى عمان وفتحوا فيه بلداناً وأخذوا عربانا)[3] فبأي حق يفتحون بلدان المسلمين ويأخذون العربان؟! أليس سوى أن الوهابية خوارج يرون المسلمين كفاراً تحل دماؤهم وأموالهم؟!

---

١. كان لكل ولد من أولاد سعود حرس خيالة قدرهم (٢٠٠) يضاف إلى ذلك عدد من الإبل. يراجع عبدالرحيم عبدالرحمن، تاريخ الدولة السعودية الأولى، ص ٢٤٢، نقلاً عن حافظ وهبه الذي خدم الوهابية طويلاً في كتابه (خمسون عاماً في جزيرة العرب). وخليفة فهد، جحيم الحكم السعودي ونيران الوهابية، ص١٦٠.

٢. ابن بشر عنوان المجد، ١/ ١٥٤ ـ ١٥٥. وعبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص ١٠٢ـ١٠٣.

٣. عنوان المجد ٢/ ٤٢



وممن اعترف الوهابية بقيادتهم لهذه الحملات الغاشمة:

سعد بن محمد بن معيقل (عنوان المجد ٢/ ٤٢)

عمر بن محمد بن محمد بن عفيصان أمير الإحساء (عنوان المجد ٢/ ٤٢)

عبدالرحمن بن إبراهيم (عنوان المجد ٢/ ١١٧)

حسن رحمه (عنوان المجد ١/ ٢١١)

مطلق الطيري (عنوان المجد ١/ ١٧٧)

سعد بن مطلق (عنوان المجد ٢/ ١٢٩)

بتال المطيري أخو مطلق (عنوان المجد ١/ ٢١١ و ٢/ ٣٣ ووصفه في الأخير بأنه رئيس الجيوش في عمان، وهو منصب يعطيه أيضاً لمطلق.)

عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة (عنوان المجد ١/ ١٥٥)

تركي بن سعود برفقة إخوته ناصر وسعد (عنوان المجد ١/ ١٥٥ ـ ١٥٦)

أحمد السديري[1]. والعجيب أن ابن بشر يعتبره من قادات الإسلام في عمان والإحساء[2] على حدِّ قوله، بينما يثبت بعد ذلك بصفحات أنه من الظالمين الذين يأخذون أموال الناس بغير حق[3]! فهؤلاء هم قادات الإسلام الوهابية[4] فلتشهد الدنيا!!

وإليك بعض الأمثلة الأخرى مما فعلوه بأرجاء عمان:

أبو ظبي:

غزا مطلق المطيري عمان الصير بألفي رجل وأخذ من بني ياس ـ أهل

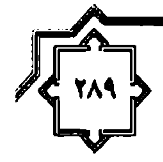
---

١ . عنوان المجد ٢/ ١٣٣

٢ . عنوان المجد ٢/ ٨٦

٣ . عنوان المجد ٢/ ٩٠

٤ . لا يوجد لابن جلوي ذكر عند ابن بشر، ولعله ممن أتى بعده.



المنطقة ـ مالا كثيراً ثم عاد إلى نجد. وغزاهم بعد ذلك إبراهيم بن عفيصان فنهب منهم إبلاً كثيرة[١]. يصف ابن بشر هجوم أوباش الوهابية على عمان وكيف نصب لهم بنو ياس الكمين (وصار مطلق المطيري ومن معه على الطريق الذي رصد فيه ابن طحنون[٢] بمن معه فحصل على المسلمين هزيمة شنيعة فقتل منهم رجال وهلك منهم أناس ظمأ..)[٣] والحمد لله.

ويصر ابن بشر على تسمية هؤلاء البغاة بالمسلمين، لتمييزهم عن أهل الجزيرة ومن حولها ممن يشهدون أن لا إله إلا الله فهو عندما يذكر قتلاهم يقول (وممن قتل من المسلمين فلان)[٤] مع أن هؤلاء ليسوا إلا قطّاع طرق يقتلون ويسلبون[٥]؛ فهل من معتب على أسود بني ياس أن يقتلوهم ظمأ[٦]!

رأس الخيمة:

رفض القواسم الانصياع للوهابية بادئ الأمر، فأُرسل إليهم من الدرعية جيش يقوده راشد بن سنان المطيري، وبعد معارك عديدة وحصار دام (٢٧) يوماً رضخ الحاكم القاسمي بعد أن أعطي الأمان، وبعد أن اشترط على الوهابية

---

١ . أبو حاقة، لمع الشهاب، ص ٧٨ ـ ٧٩. عبدالرحيم عبدالحمن، الدولة السعودية الأولى، ص ٩٣ ـ ٩٤.

٢ . وهو الشيخ سعيد بن طحنون.

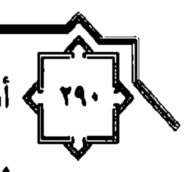
٣ . عنوان المجد ٢/ ١١٨

٤ . راجع مثلا المصدر السابق ١/ ١٣٨

٥ . عنوان المجد ١/ ١٧٥، ١/ ١٨٠، ٢/ ٤٨، و٢/ ٧٦، ٢/ ١٢٣

٦ . فلا غرو أن يمدح أبو مسلم الرواحي في نونيته الشهيرة بني ياس في أبيات كثيرة منها قوله:

قوم على صهوات الخيل طفلهم	يربو له من دم الأبطال ألبانُ
تلكم حصون بني ياس ومعقلهم	لا يحصن القوم أسوارٌ وحيطانُ



أن يبقى حاكماً ولا تغيُّر حكومة الدرعية من وضعه كزعيم لقبيلة القواسم، وكان هذا الاستسلام والدخول في الدين الوهابي في عام ١٢١٤هـ[١]. ومما قاله زعيم الوهابية لقواته بالبريمي (أنتم المجاهدون الموحدون، أريد منكم أن تكتبوا لصقر بن راشد القاسمي[٢] بالطاعة، وتبذلوا له النصيحة بأن يتبع ديننا ويبدي الطاعة، وإلا فحاربوه بقدر ما يمكن، وإذا أعياكم قهره هذا أنا أمدكم بعسكر من الدرعية[٣])، وفعلاً قهروه فأخذ الوهابية جهاد القواسم ضدَّ النصارى في البحر كما قال أمير الوهابية في رسالته الموجهة إلى الإنجليز سنة ١٨١٠: (.. **وأني منعت أتباع عقيدة محمد من أن يقوموا بأي تنكيل بسفنكم**)[٤]، فكان الجهد مركَّزاً للإغارة على باقي ربوع عمان، وأصبحت رأس الخيمة مركز إمداد وهابي؛ حتى اضطر سلطان عمان لمهاجمة الوهابية هناك وإخماد فتنتهم، مستغلاً سوء التفاهم بين الإنجليز والوهابية في تلك الفترة. هذا وقد أصبحت بلدان القواسم من بعد ملجأ للوهابية عند كل محنة وانهيار دولة[٥].

---

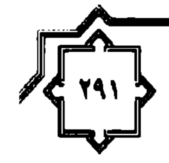
١ . أبو حاقة، لمع الشهاب، ٧٨ ـ ٨٠، وعبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، ٩٣ ـ ٩٤ و٢٥٨. ود. فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانية في الخليج، ص ٣٦ ـ ٣٧.

٢ . وهو حاكم رأس الخيمة وزعيم القواسم.

٣ . أبو حاقة، لمع الشهاب، ٧٨ ـ ٧٩، وعبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، ٩٣ ـ ٩٤. ومما يجدر ذكره أن الوهابية سجنوا سلطان بن صقر القاسمي زعيم القواسم سنة ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) بالدرعية، وعينوا أحد قادتهم النجديين حاكما بدلاً عنه، ولم يجلبوا على رأس الخيمة بعد انصياعها لسلطانهم إلا البلاء والتحريش بينهم وبين باقي إخوانهم في عمان!

٤ . موجز تاريخي عن القبائل الوهابية العربية، في مجموعة: مختارات من سجلات بومباي، منشورات المكتبة السرية والسياسية بومباي ١٨٥٦، المجلد ٢٤، ص ٤٥٦ باللغة الإنكليزية.

٥ . عنوان المجد ١/ ٢١٥



واحة البريمي[١]:

في سنة ١٢٠٧ هـ تعرضت البريمي لغزو وهابي شرس بقيادة مطلق المطيري الذي ما يزال العمانيون يضربون به المثل في الفساد والإفساد، وكذلك من بعده ابنه سعد سنة ١٢٦٤ هـ حيث وقعت معركة العاتكة[٢]، وذلك طمعا في ضم هذه الواحة للنفوذ الوهابي، فتعرضت قبائل النعيم وبني كعب وبني قتب، لحرب شرسة وسلب ونهب ورشاوٍ[٣] مما اضطرهم للخضوع لسلطانهم إلى أمد مع دفع الجزية[٤]!! وهكذا اتخذت البريمي قاعدة للهجوم الوهابي على عمان، وفعلوا ما لم يفعله البوكيرك البرتغالي أثناء هجومه.

---

١ . وقت الأحداث كانت هذه الواحة تشمل منطقة العين وهي الآن بدولة الإمارات العربية المتحدة وباقي الواحة بسلطنة عمان.

٢ . وهي معركة هزم فيها الوهابية بقيادة سعد بن مطلق المطيري. عنوان المجد ٢/ ١١٧ ثم استطاعوا التغلب على سعيد بن طحنون ومن معه من أهل البريمي بعد أن جاءتهم الإمدادات من بعض الأماكن التي احتلوها.

٣ . يذكر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أن عبدالله القريشي اتصل به في ٢٦ يوليو ١٩٥٤ عن طريق شخص يدعى علي براك وعرض عليه سيارة جديدة مع أربعين ألف روبية وأن يخصص له من عائدات أي بترول يكتشف في البريمي أربعمائة مليون روبية، فأباها بعزَّة نفسه الشريفة، وعبدالله القريشي هذا كان كاتباً بسيطاً في شرطة القطيف ثم انتدب ليكون كاتباً مع تركي بن عطيشان لكسب مشائخ البريمي وهو الآن ملياردير في الدمام يشتري الناس بأمواله. وقد وزَّع الوهابية في البريمي ما بين أغسطس عام ١٩٥٤ و أكتوبر ١٩٥٥ فقط مبالغ على سبع دفعات بلغت مليون وثلاثمائة واثنين وعشرين ألفاً ومائتين وتسعين روبية أنفقوها في شراء الذمم وتحويل الناس للعقيدة الوهابية! يراجع ناصر الفرج، قيام العرش السعودي، ص ٨١

٤ . لمع الشهاب ص ٨٠، وصفحات من تاريخ الجزيرة ص ١٧٤، وعبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، ٩٤ ـ ٩٥.



صحار:

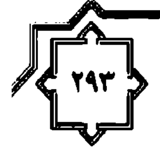
بين سنة ١٢٢٢ وسنة ١٢٢٥هـ وجه الوهابية قواتهم مرة أخرى إلى عمان، ولندع مؤرخهم عثمان بن بشر النجدي مرة أخرى يُفصح عن بعض بغْيِهم؛ لتكون الشهادة من ألسنتهم مع التنبيه إلى خلطه عند ذكر بعض أسماء القادة، ولكن العبرة فيما يشهدون به على أنفسهم من همجية (... ثمَّ سعود أرسل إلى عمان عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة وعدة رجال من أهل نجد و أمرهم بنزول قصره البريمي المعروف في عمان، مطلق المطيري بجيش من أهل نجد...، فقاتل أهل الباطنة سحار (صحار) ونواحيها، ورئيسهم يومئذ عزان بن قيس.

وقاتلوا سعيد بن سلطان صاحب مسكة (مسقط) ودام القتال بينهم وقتل من عسكر عزان مقتلة عظيمة بلغت القتلى نحو خمسمائة رجل، ثم أنه اجتمع مع مطلق المطيري جميع من هو من رعية سعود من أهل عمان، فنازل أهل سحار بألوف من المقاتلة. ودخلت سنة خمس وعشرين وهم على ذلك يقتلون ويغنمون. وأخذ مطلق ومن معه قرى كثيرة من نواحي سحار من أهل الباطنة. وبايع غالبهم على دين الله ورسوله والسمع والطاعة[١]!!! ولم يبق محارب إلا مسكة ونواحيها مملكة سعيد وما تحت ولاية عزان من سحار، وغنموا منها غنائم كثيرة، وبعثوا الأخماس إلى سعود في الدرعية)[٢].

---

١ . انظر إلى من عبدوا صنم (ذي الخصلة) في نجد إلى زمن عبدالعزيز بن محمد بن سعود كما يعترف بذلك ابن بشر (عنوان المجد ١/ ١٨٢) لا يعترفون بإسلام من قال فيهم رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ أَتَيْتَ مَا سَبُّوكَ وَلا ضَرَبُوكَ» كما رواه مسلم وغيره.

٢ . ابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٤٨، وهذا الذي لم يرض بغزو أبنائه لعمان يستحل دماء أهل عمان وأموالهم، عامله الله بما يستحق.



والذي نعلمه أن الإمام عزان بن قيس تم تنصيبه سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٩م)؛ فهناك فترة ليست بالقصيرة بين عهده وعهد السلطان سعيد بن سلطان (١٨٠٦ ـ ١٨٥٦)، والمؤكد أن قبائل البريمي التي كانت تعاني من الاحتلال الوهابي استغاثت بالإمام عزان سنة ١٨٦٩م حيث طلب ذلك زعيمها محمد بن علي النعيمي، فما كان من الإمام الذي انتخب حديثاً إلا أن هبَّ لنجدتهم في ١٨ يناير ١٨٦٩، وبعد أربعة أيام من هجوم قوي، حررت البريمي من الاحتلال، وباشر الإمام على الفور بردِّ ما بقي من الأموال التي اغتصبها الوهابية لأصحابها الأصليين، وعيَّن عليها ولاة وقضاة من السكان[1]، فلا غرابة أن يلتصق اسمه بِخَلَدِ الوهابية فيتمثَّل لهم من الفَرَقِ في كل زمان!

شناص:

قلنا في مقال آخر إن الوهابية كانوا صنيعة للنصارى يتآزرون ويتناصرون، وهكذا كان حالهم في مدينة شناص حيث هجم عليها الإنجليز حوالي عام ١٢٢٥ هـ ١٨١٠م، وخاضوا حرباً شرسة ضدَّ أهلها، بعد أن استعصت على مطلق المطيري، ثمَّ سلموها لمطلق بعد أن أنهكتها البحرية البريطانية بالقصف.

صور:

هاجم الوهابية ساحل صور بشرقية عمان، عام ١٢٨٢هـ منطلقين من واحة البريمي، واستطاعوا احتلالها وتقتيل الكثير من أهلها، واستولوا على أموال التجار، وكان من حسن حظ أهل صور أن بعض هؤلاء التجار كانوا

---

١ . د. حسين عبيد غباش، عمان الديمراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي، ط. دار الجديد، ص ٢٢٣

هنوداً من رعايا الدولة البريطانية فهددتهم بالهجوم على الدمام إن أعادوا الكرَّة، وبدأت إرعابهم ليخرجوا من صور بقصفهم من البوارج البريطانية في ١١ فبراير ١٨٦٥م[١].

جعلان:

يقول ابن بشر في أحداث ذي القعدة سنة ١٢٢٧هـ: (.. أمر سعود على مطلق أن يقصد عمان وأمر على جيش يسير معه ويكون رئيس جيوش المسلمين!! في عمان، فسار بالجيوش وقصد جعلان البلد المعروفة في تلك الناحية، فحاصرهم حصاراً شديداً وأخذ عليهم غنائم كثيرة، فلما رحل عنهم اجتمع جموع منهم ومن غيرهم وتبعوا مطلقاً ومن معه من جيوش المسلمين فحصل بينهم وقعة عظيمة ومقتلة شديدة قتل فيها من المسلمين ـ يقصد اللصوص ـ عدة قتلى وقتل مطلق المذكور)[٢] وهكذا هزم هؤلاء اللصوص الذين يظنون أنهم قد أفلتوا بسرقتهم من النوق والمواشي ولله الحمد.

مسقط ومطرح وبركاء وسمائل والظاهرة:

وقد غزا الوهابية بقيادة مطلق سمائل[٣] من داخلية عمان وبركاء من الباطنة وأغاروا على مطرح فقتلوا ونهبوا ثمَّ توجهوا إلى مسقط، ولما عجزوا عن اقتحام

---

١ . موجز تاريخي عن القواسم، مجموعة مختارات سجلات بومباي، منشورات المكتبة السرية والسياسية بومباي ١٨٥٦، المجلد ٢٤ ص٣١٩ باللغة الإنجليزية. والعقيد لويس بيلي (المقيم السياسي في بوشهر)، رحلة إلى الرياض والأوراق الخاصة، ترجمة: د. عيسى أمين، ص ٨٨.

٢ . عنوان المجد ١/ ١٦٤ ـ ١٦٥

٣ . وذلك في أواخر ذي الحجة ١٢٢٥ أيام محمد بن ناصر الجبري. عبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، ٩٧. وأبو حاقة، لمع الشهاب، ٨٥ ـ ٨٦. وابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٥٦



سورها أحرقوا البيوت التي خارج السور[١]، علماً بأن المسلمين بتلك المنطقة أكثرهم من المسلمين السنَّة النازحين من شبه القارة الهندية.

يقول ابن بشر في أحداث سنة ١٢٢٥هـ: (وصار تركي رئيس الجميع فسارت تلك الجنود إلى عمان ونازلوا أهل بلد مطرح المعروف على الساحل وأخذوه عنوة، وقتلوا من أهله قتلى كثيرة، وغنموا منه أموالاً عظيمة. ثم ساروا على ساحل البحر وفي باطنة عمان وظاهرتها فأخذوا بلد خلفان عنوة. ثم ساروا إلى جعلان وسور (صور) وسحار وغيرها وأخذوها عنوة. وأوغلوا في عمان وأخذوا أموالاً عظيمة فلما بلغ سعود الخبر وهو في الحج أفزعه ذلك وغضب غضباً شديداً)!! وهذا يريك مدى تخبط الوهابية، فغاراتهم ليست سوى للنهب كل يحاول أن يأخذ سهمه بأي سبيل. ولكن ماذا حدث بعد غضب الزعيم؟! لقد تدخل زعماء النحلة الوهابية للعفو عن المجرمين، وكأن دماء المسلمين التي أهرقت في عمان دماؤهم والأموال أموالهم، يقول ابن بشر (فضاق الأمر بالأبناء، وشفع فيهم رؤساء المسلمين من أهل الدرعية وغيرهم)[٢]، فهؤلاء هم رؤساء الوهابية أهل الدرعية يشفعون في حدود الله فقبلت الشفاعة!!

ظفار:

هاجم الوهابية ظفار في أوائل القرن العشرين الميلادي بقيادة رجل يدعى صوَيّان وسرقوا الإبل حيث قدِموا عبر نجران وحضرموت بعد اعتدائهم على هذين البلدين. وتمَّ ذلك بعد أن عرفوا طبيعة المنطقة أثناء رفقتهم لجون فيلبي

---

١ . أبو حاقة، لمع الشهاب، ص ٨٩. الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة، ص ١٧٥، خليفة فهد، جحيم الحكم السعودي ونيران الوهابية، ص١٦٠.

٢ . عنوان المجد ١/ ١٥٥

خلال مغامرته لقطع الربع الخالي ووصوله شمال قرية شنّه، ويقول ديكسون أنه رأى شخصياً بعض هذه الجمال المسروقة سنة ١٩٣٥م، ويصفها بأنها بنية اللون وأرق عظاماً من إبل الإحساء[1].

والخلاصة أنه قتّل الكثير من أهل عمان، ونهبت خيراتهم، مما اضطر البعض منهم للدخول في الدين الوهابي الجديد خشية على أرواحهم وأبنائهم وأموالهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الانتقام من الوهابية:

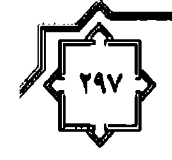
اللافت للنظر أن الوهابية في غاراتهم على عمان ـ كما يرويها ابن بشر ـ إما أن يخرجوا مهزومين كما تقدم في بعض المواقع، وإما أن ينزل الله بهم البلاء، ومن ذلك:

يذكر ابن بشر أن الله يسلط على نجْد القحط والأمراض بعد إغارتهم على عمان؛ فبعد أن ذكر غارة سنة ١٢٢٢هـ التي نهبت فيها أموال أهل عمان وسرقت ركابهم ذكر بلوغ «الغلاء والقحط في نجد على حالة في الشدَّة، وانتهى سعر البر أربعة آصع بالريال وثلاثة آصع[2] والتمر عشر وزنات بالريال وعمَّ الغلاء في جميع نجد» .. ثم ذكر نزول الأمراض والوباء عليهم فقال: «ووقع مع ذلك مرض ووباء مات فيه خلق كثير من نواحي نجد، ودخلت السنة الرابعة والأمر على حالة من الغلاء والمرض، ومات فيها والتي قبلها من سواد الناس مئين» وذكر بأن الله أهلك في هذا الوباء جماعة من قادتهم وعلمائهم في مقدمتهم مفتيهم قاضي الدرعية الشيخ الأعمى حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي

---

١ . ديكسون، عرب الصحراء، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٦

٢ . يذكر ابن بشر رجوع الأسعار بعد العذاب إلى سبعة آصع بالريال (عنوان المجد ١/ ١٤٥)



توزع بتوجيهاته المسروقات. وضيَّق الله عليهم الأرض بما رحبت حتى لم يبق لأميرهم إلا أن يطالبهم بالتوبة مما اقترفوا ووزع الأمر بالتوبة في جميع أرجاء الدرعية[١].

١ ـ ويذكر في أحداث سنة ١٢٦٠هـ أن إمامهم بعث (سرية إلى عمان مع المطيري وأرسل معه قاضياً ناصر بن علي العريني، وفيها قتل البرد أكثر من[٢] الزرع وذلك بعد ما حصد الربعي منه)[٣]

ومما لا يغفله مؤرخ الوهابية أن الله المنتقم الجبار يفرق شمل قادة الغارات ويهلكهم بعد كل غارة فقد أرسل الله سبحانه على الأمير ناصر بن الملك سعود بعد عودته برعاع نجد من غزوهم عمان إلى الدرعية مرضاً عضالاً قضى عليه بعد شهرين من العذاب، وأن والده لم يزره خلال مرضه[٤].

وذلك عين ما حلَّ ببتال المطيري وكثير ممن غزا معه عمان إذ أهلكهم الله وهم في وادي المجمعة بوباء يسميه ابن بشر بأبي زويعه[٥]، وأرسل الله الحمى التي قضت على قاضيهم الذي كانت على يديه توزع سرقات الوهابية في عمان محمد بن مقرن بعد عودته إلى الإحساء (فلم يزل محموماً سقيم البدن حتى توفي)[٦].

ويقول في أحداث سنة ١٢٦٦هـ: «وفي أول هذه السنة غضب الإمام على سعد ابن مطلق المطيري لسوء تدبيره في مسيره بالسرية المتقدم ذكرها إلى عمان[٧]

---

١ . ابن بشر، عنوان المجد، ١/ ١٤٤ ـ ١٤٥

٢ . هكذا. والمراد (أكثر الزرع) أو (الأكثر من الزرع).

٣ . عنوان المجد ٢/ ١١٠

٤ . عنوان المجد ١/ ١٥٥ ـ ١٥٦

٥ . عنوان المجد ٢/ ٣٣

٦ . عنوان المجد ٢/ ١٣٤

٧ . أي وقعة العاتكة.

فعزله وجعل مكانه غيره نكالاً حتى جاء أجله»[١] كيف لا وقد هزموا شرَّ هزيمة وقتل خلال الهجمة الفاشلة قاضي الغزو وإمامهم إمام أهل ثادق عبدالرحمن بن عزاز[٢]. وهكذا يضرب الله الظالم بالظالم، إنّ في ذلك لعبرة لأولي الألباب.

والحق أن الله المنتقم الجبّار يرسل غضبه على الوهابية في كل حين يهاجمون فيها مسلماً، يرسله سبحانه بطرق عجيبة لم يعهدوا مثلها[٣] فتهلك المزروعات[٤]، ويهلك كثير منهم بالغلاء والجوع[٥]؛ وقد قتل الله منهم في بلاء واحد أكثر من ستمائة نفس[٦] وفي ذلك يقول شاعرهم[٧] يعزيهم في مصاب حلَّ بهم:

فما كان هذا الأمر إلا بقدرة	بها قهر الله الخلائق أجمعا
وذلك عن ذنب وعصيان خالق	أخذنا به حينا وحينا لنرجعا

ولكنهم قوم لا يتعظون!

اليمن

لقد عاث الوهابية في اليمن فسادا، واحتلوا صنعاء وأمعنوا فيها قتلا، ونهبوا خيراتها، ووضعوا لها إماماً من أتباعهم، وغاروا على أرجاء اليمن غارات عديدة هائلة، فقد حشدوا لتخريبها في إحدى المرات خمسين ألف مقاتل[٨]، وإليك ما

---

١. عنوان المجد، ٢/ ١٢٩

٢. عنوان المجد، ٢/ ١١٨

٣. عنوان المجد ٢/ ٢٨

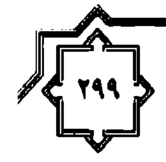
٤. عنوان المجد ١/ ٤٩ و٢/ ٣٠ و١/ ٧٥

٥. عنوان المجد ٢/ ٢٧

٦. عنوان المجد ١/ ١٧٩ ورجع وباء (أبو دمغة) ١/ ٤٥

٧. وهو الشاعر عبدالعزيز بن حمد بن ناصر، يراجع (عنوان المجد) ٢/ ٣٤

٨. عنوان المجد ج١، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ وليت هذا العدد العرمرم الهائل سخّر لتحرير البلاد العربية من نير الاستعمار الغربي!



يقوله مؤرخهم ابن بشر في غزو مدينة الحديدة سنة ١٢٢٠هـ:

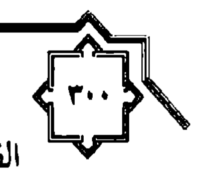
(ثم أن إمام صنعاء (أي المحتل الوهابي) سير عساكر عظيمة وحاصروا بندر الحديدة وأخذوه... فتجهز صالح المذكور إلى زبيد وجنوده وقومه فسار إليه بجيش عديد من قبائل عديدة حاضرة و بادية نحو ثلاثة آلاف مقاتل فنازل أهل زبيد وأخذوه عنوة ونهبوا منها من الأموال والأمتاع شيئا كثيرا، ولم يمتنع إلا القلعة الأمامية وما تحميه، ثم خرجوا عنها، وعزل صالح الأخماس وبعثها إلى الدرعية)[1].

وما إن ذاق الوهابية حلاوة الدم والمال اليمني حتى عادوا إليه ثانية، حيث يقول في غزو الجنوب اليمني للمرة الثانية سنة ١٢٢٥هـ (ثم سار بعده طامي بن شعيب أمير عسير وألمع وغيرهم بعسكر عظيم من قومه وأهل الحجاز وقحطان وغيرهم وتوجهوا إلى البندر المعروف باللحية، فحصروها، وأخذوها عنوة وأخذوا غالب ما فيها من الأموال والذهب والفضة والقماش واللؤلؤ والحرير وأنواع الأموال التي لا يحصيها العد. وذكر لنا أن منهم من طحن اللؤلؤة يحسبه ذرة. وقتل من أهلها خلق كثير قيل إن الذي هلك منهم ألف بين القتل والهلاك. ودمروا البلد وأشعلوا فيها النيران... وتوجهوا إلى بندر الحديدة ونازلوا أهلها فأخذوها عنوة واستالوا (واستولوا) على غالب البلد، وكان أهلها قد بلغهم مسير تلك الجنود فحملوا خفيف أموالهم في السفن وركب فيها أكثر الرجال فأخذ طامي ومن معه ما وجدوا فيها من المال والمتاع ودمروها وقتلوا من أهلها قتلى كثيرة وقبض عمال سعود أخماس الغنائم وساروا بها إلى الدرعية)[2]

---

١ . عنوان المجد ج١، ص ١٣٨

٢ . عنوان المجد، ج١، ص ١٥١ ـ ١٥٢



فسبحان الله من هؤلاء الأوباش الذين لا يفرقون بين اللؤلؤ والذرة، وما الفرق بين هجومهم وهجوم التتار الذين يقتلون وينهبون ويحرقون، وأي إسلام هذا الذي يحلُّ الإغارة على المسلمين؟[1]

نجران:

يقول مؤرخهم عثمان النجدي[2] في أحداث سنة ١٢٢٠هـ: (وفيها أمر سعود على عبدالوهاب ورعاياه من عسير وألمع وغيرهم وفهاد بن شكبان ورعاياه من بيشة وغيرها وعبيدة وأهل سنجان ووادعة وقراها وأهل وادي الدواسر ومن تبعهم، قيمة ثلاثين ألف مقاتل وذكَّرَهم يصدون نجران لقتال أهله. فسار هؤلاء الجموع ونازلوا أهل بدر مدة أيام. وجرى بينهم وقائع وقتلى بين الفريقين).

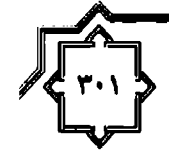
هذا باختصار وإلا فإن ابن بشر يذكر أنهم هاجموا اليمن أيضاً سنة ١٢٢٩هـ بثمانية آلاف مقاتل بقيادة طامي بن شعيب فقتلوا خلال حملتهم خلقاً كثيرا[3]، وهي حملة كانت موجهة أصلاً لقتال محمد علي باشا. وينظر كذلك هجومهم

---

١ . يجب على المنصف أن يقارن حكم الوهابية هذا بتخليص الإباضية بقيادة طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي اليمني لصنعاء من قهر بني أمية، وإرجاع الأموال التي نهبها بنو أمية إلى أهل صنعاء حتى إن طالب الحق وجيشه لم يستحلوا أخذ درهم واحد من هذه الأموال، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (للمطالعة يراجع خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ٢/ ٣٧٣. وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ١٦٦. والبلاذري، الأنساب ٨/ ورقة ١٠ب. والأصفهاني، الأغاني، ٢٣/ ١١١ ـ ١١٢. والبرادي، الجواهر المنتقاة، ١٧٠. والشماخي، السير، ٩٩، والرقيشي، مصباح الظلام).

٢ . أسلوب الشيخ عثمان يمتاز بالركاكة كأي وهابي، ومع هذا يفاخر به الوهابية حتى أن حمد الجاسر وأمثاله يكتب في المجلة العربية وعلى حلقات عن منهجية الشيخ عثمان بن بشر!

٣ . عنوان المجد ١/ ١٧٩



على «مخا» سنة ١٢٤٩[١]، وإعلان الحرب الشاملة على اليمن سنة ١٩٣٣م.

العـــــراق

لقد عاث الوهابية في العراق فساداً منذ عام ١٨٠١م حين فجَروا في كربلاء، وعام ١٨٠٣ حين هاجموا البصرة، وعام ١٨٠٨ حين قادوا حملتهم الكبيرة على بغداد بجيش قوامه ٤٥ ألف جندي[٢]، وفرضوا الجزية عليها سنين وأخذوا من بغداد ما لا يعد ولا يحصى، حتى وصلوا إلى مناطق الأكراد في الشمال وطلبوا من أهلها أموالاً كثيرة، كما ينص على كل ذلك مؤرخ الوهابية عثمان بن بشر مطولاً في تاريخه[٣]

سوق الشيوخ:

يقول ابن بشر في أحداث سنة ١٢١٢هـ: (وفيها في رمضان (!!) سار سعود بن عبدالعزيز بالجنود المنصورة من جميع نواحي نجد وبواديها وقصد الشمال وأغار على سوق الشيوخ وقتل منهم قتلى كثيرة وانهزم منهم ناس وغرقوا في الشط)[٤]!

نوازل وبادية السماوة:

وقد أغاروا في نفس السنة ١٢١٢هـ على بادية السماوة حيث يقول ابن بشر مفتخراً: (ثم سار ـ أي سعود بالجيش الوهابي ـ وقصد جهة السماوة وأتاه عيونه

---

١ . عنوان المجد ٢/ ٤٦

٢ . د. محمد كامل، الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، ص ٥٣.

٣ . عنوان المجد ١/ ١٥٢ ـ ١٥٣ وذلك من أحداث سنة ١٢٢٥هـ.

٤ . عنوان المجد ١/ ١١٢، ويتفق في ذلك لوريمر ج ج، دليل الخليج، القسم التاريخي، حيث ذكر غزو الوهابية لسوق الشيوخ والأبيض في أحداث سنة ١٧٩٨م

وأخبروه بعربان كثيرة مجتمعين في الأبيض الماء المعروف قرب السماوة فوجه الجيوش وأغار عليهم على مائهم ذلك)[١] وذكر بعد ذلك أنهم تتبعوا من بقي منهم إلى منازلهم وغنموا أكثر محلتهم وإبلهم ومتاعهم!!

ويقول في أحداث سنة ١٢٢٠ هـ (وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة، والخيل والجياد المسومة المشهورة من جميع نجد ونواحيها وبواديها، وقصد جهة الشمال نوازل بلد المشهد المعروف في العراق، وفرق عليه المسلمين من كلٍّ جهة، وأمرهم أن يتسوروا الجدار على أهله!!... ثم رحل منه سعود فانحاز على الزملات من عربان غزية فأخذ مواشيهم ثمَّ ورد الهندية المعروفة، ثم اجتاز بحلل الخزاعل، وجرى بينه وبينهم مناوشة قتال وطرد خيل، ثم سار وقصد السماوة وحاصر أهلها ونهب من نواحيها ودمَّر أشجارها، ووقع بينهم رمي وقتال، ثم رحل منها وقصد إلى جهة البصرة ونازل أهل الزبير ووقع بينه وبين أهله مناوشة قتال ورمي، ورحل منه إلى وطنه)[٢].

كربلاء:

حشد الوهابية جيشا من أعراب نجد قدر بعشرين ألفا وتوجه إلى العراق حيث حاصر مدينة كربلاء واقتحمها، فقتل فيها قتلا ذريعا لم ينج منه حتى الأطفال ونهبت خزائن[٣] من الذهب والجواهر النفيسة[٤] وهدم قبر الحسين وسرق الشباك الموضوع عليه، كما أنهم ربطوا خيلهم في الصحن ودقت القهوة فيه!

---

١ . عنوان المجد ١/ ١١٢

٢ . عنوان المجد ص١٣٧ ـ ١٣٨.

٣ . يعترف ابن بشر بأنهم اغتصبوا الكثير من الزمرد والياقين (لعله الياقوت) والجواهر (عنوان المجد ١/ ١٢١)

٤ . لمع الشهاب، ص ٩٠



يقول ابن بشر مفتخراً بفعلة قومه أعراب نجد ومسيرهم نحو كربلاء (.. وقصد أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين، وذلك في ذي القعدة فحشد عليها المسلمون[١]، وتسوروا جدرانها ودخلوها عنوة وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت..)[٢] هؤلاء هم أعراب نجد يأخذون المسلمين على حين غرة[٣] فيتسورون عليهم الجدران في الأشهر الحرم، من غير جريرة ولا سابق إنذار! وماذا فعلوا بعد؟ لندع ابن بشر يتحدث مفتخراً بمخازي قومه الوهابية فيقول: (.. وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك ما يعجز عنه الحصر)[٤] نعم حتى المصاحف يسرقها أعراب نجد كي يتقربوا إلى الله بها!!! إنه الفقه الخارجي الأعوج!!

وقد وصف محمد حامد الفقي، وهو من المتحمسين للوهابية، مجزرة كربلاء مشيدا بدور «جند الإسلام» الوهابي فقال: «توجه سعود في ذي القعدة من سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م بجموع كثيرة وقوة عظيمة إلى العراق والتقى في كربلاء بجموع كثيفة من الأعاجم ورجال الشيعة الذين استماتوا في الدفاع عن معاقل عزهم ومحط آمالهم، قبة الإمام الشهيد الحسين ﷺ وغيرها من القباب والمشاهد.

ولكن جيش التوحيد (!) قد تغلب بقوة إيمانهم (!) وصدق عزيمتهم في الجهاد (!) لهدم كل نصب وطاغوت (!!) اتخذ مع الله شريكا في العبادات

---

١ . وكأن أهل كربلاء مجوس أو يهود أو نصارى!

٢ . عنوان المجد ١/ ١٢١

٣ . يصف ابن بشر سرعة الإغارة بقوله (لم يلبثوا بها إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر) عنوان المجد ١/ ١٢٢، لتعلم حجم هذه القوة بناء على فعلها التدميري الهائل الذي أحدثته.

٤ . عنوان المجد ١/ ١٢١ـ ١٢٢

وجعل لله نداً في القربات... **فكانت موقعة هائلة وكانت مذبحة عظيمة سالت فيها الدماء أنهارا**، خرج منها سعود وجيشه ظافرين ودخل كربلاء وهدم القبة العظيمة بل الوثن الأكبر (!) المنصوب على ما يزعمون من قبر الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما. وأقر الله بهدمها عين الإمام الحسين وعيون الموحدين الذين يتبعون شرعة جد الحسين أشرف الخلق محمد ﷺ ورضي الله عن الحسين وآله الطاهرين)[1].

فعلاً لقد سالت الدماء أنهارا، ولكن ليس لتقر عين الحسين وجد الحسين ﷺ بل لتمتلئ خزائن الوهابية من الأموال المنهوبة وتمتلئ صحائف أعمالهم من الجرائم والآثام[2].

ولا ضرورة لمزيد تعليق على كلام هذا الشيخ المتكسب، النابع من روح وهابية متشفية شامتة، وهل بعد تسمية الشيخ الفقي للحسين بن علي بالطاغوت توجد حاجة إلى التعليق، هذا بينما يترحم الوهابية ليل نهار على يزيد بن معاوية!

النجف:

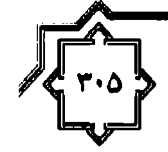
وفي شهر صفر من سنة ١٢٢١هـ هاجم سعود المذكور النجف حتى وصل إلى السور وصعد عليه بعض أصحابه ولكن أهل النجف تصدوا له وردوه على أعقابه بعد أن أكثروا القتل في المهاجمين.

ثم حاول الوهابية أن يغزو النجف مرة أخرى في جمادى الآخرة من السنة التالية ولكنهم وجدوا أهل النجف مستعدين على السور بالأسلحة ففر الوهابية وتوجهوا إلى الحلة فلما رأوا أهلها على استعداد تحولوا عنها إلى كربلاء التي

---

١ . محمد حامد الفقي، أثر الدعوة الوهابية ص ٨٤.

٢ . الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٧٦ بتصرف



باغتوها نهارا، ونشبت معركة بينهم وبين أهلها، وفشا القتل بين الفريقين فاضطر الوهابية إلى التراجع وراحوا ينهبون في أنحاء العراق الجنوبي فعطلوا الحج ثلاث سنين!

وفي سنة ١٢٢٥هـ عاود الوهابية الكرة على النجف وكربلاء فقطعوا الطريق وأخذوا ينهبون الزوار وقتلوا منهم عددا كبيرا قدر بمائة وخمسين نفسا ما بين الكوفة والنجف. وهكذا لم يرع الوهابيون حرمة لابن بنت رسول الله ﷺ[١].

وهكذا غزا الأعراب العراق وأعادوا ذكريات التتر بالقتل والنهب والتخريب وتدمير الأشجار (أي القضاء على البنية التحتية، وسياسة الأرض المحروقة بلغة العصر) فكيف يجوز ذلك في حق الأنعام، بله المسلمين؟!

بلاد الشام

لقد فعل الوهابية العجب ببلاد الشام، فما أن وطئت أقدامهم تلك الأراضي الخصيبة حتى عاثوا فيها فساداً من سرقة ونهب وقتل وحرق وإرعاب للمؤمنين كما يتحدث بذلك مؤرخهم الثقة لديهم عثمان بن بشر النجدي، ومن ذلك ما أرخ له سنة ١٢٢٥هـ[٢] مما فعلوه عند جبل (طويل الثلج) قرب نابلس، ثم يقول من بعد (.. واجتاز ـ يعني الجيش الوهابي ـ بالقرى التي حول المزيريب وبصرى **فنهبت الجموع ما وجدوا فيها من المتاع والطعام وأشعلوا فيها النيران**، وكان أهلها قد هربوا عنها لما سمعوا بمسيره[٣]!) ويقول: (وقتلوا من أهل الشام عدة

١ . صفحات من تاريخ الجزيرة ص ١٧٦ ـ ١٧٧

٢ . عنوان المجد، ١/ ١٥٠ ـ ١٥١

٣ . انظر إلى الفرق بين هؤلاء الوحوش وجيوش الفتح الإسلامي الذين كانت تستبشر الشعوب بمقدمهم!



قتلى، وحصل في الشام رجفة عظيمة ورعب عظيم بهذه الغزوة في دمشق وغيرها من بلدانه وجميع بواديه) فهذا الاعتراف من ألسنتهم يتفاخرون به قاتلهم الله، وانظر كيف يتعاملون مع الناس، فوالله لو كان أهل الشام مجوساً لما جاز لهم أن يفعلوا بهم ما فعلوا ولكنه الدين الوهابي الجديد!

حوران:

هاجم الوهابية حوران سنة ١٢٢٥هـ فأحرقوا ونهبوا وسبوا بعد أن قتلوا الناس

حتى الأطفال، وهدموا البيوت، وعاثوا فيها فسادا، وقدرت قيمة الخسائر ـ غير البشرية طبعاً ـ بتلك المنطقة بثلاثة ملايين درهم حينذاك[١].

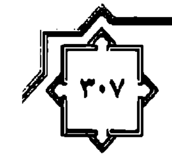
حلب:

ثمَّ توسعت الجرائم الوهابية حتى بلغت مدينة حلب وقطعوا الطريق بين الشام والعراق، وكانت سراياهم تصل إلى القادسية، وقد قتلوا خلقاً كثيراً خلال غاراتهم تلك، وسبحان الله الذي ابتلى الأمة بشرهم الذي لم يقتصر على أرض الجزيرة[٢].

---

١ . صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٧٥.

٢ . صفحات من تاريخ الجزيرة ص ١٧٥، ومما قالوه لأهل حائل بعد احتلالها عام ١٩٢٢ (اسمعوا يا أهل حائل.. ما جئنا إلا لتمكين الإسلام في قلوبكم، فعلينا الحكم به، وعليكم السمع والطاعة!. وإن من يسافر إلى العراق وسوريا ومصر يباح دمه وماله، لأن أهل العراق وسوريا ومصر من الكفار والمشركين) لا تعليق! (يراجع أبو العلي التقوي، الفرقة الوهابية في خدمة من؟ ص ٢٣١)



الأردن:

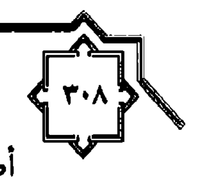
في سنة١٩٢٥ كان الإنكليز هـم المخططـين للهجـوم الوهـابي عـلى شرقـي الأردن حيـث أغـاروا عـلى أم العمـد وجوارهـا وقتلـوا ٢٥٠ شخـصاً ونهبـوا وأسروا[١]، واسمع إلى فيلبي أستاذ الوهابية الكبير حين يقول: «كنت بالأردن قبل مجيء جلوب إليها، وكـان عبـدالله بـن الحسين صـعب المـراس نـسبيا بعـد أن أخرجناه وعائلته من الحجاز وجئنا بصديقنا عبدالعزيز، ونفينا والده (الـشريف حسين) وإخوته. وقد أثرت هذه العوامل على نفسيته إلا أنه كان معزولا ولم يزل يعتبر نفسه أعلى مني ومن عبدالعزيز طبقة ووظيفة ومقامـا وأنـه لا يـزال أمـيرا وحاكما... ولما رأيت منه مثل هذه البوادر أردت أن يكون ترويـضه عـلى يـدي، **فأمرت عبدالعزيز بإرسال مجموعة من «الإخوان» البدو من ناحية قريـات الملـح لمطاردة عبدالله بن الحسين وقتله.** كما طلبنا من ابـن عـدوان أن يثـور مـن داخـل الأردن على عبدالله بن الحسين... **فقتلـوا بأسـلحتهم الحديثـة بـضعة آلاف مـن قبائل البلقاء وقبائل الحويطات وبني صـخر ومـن بيـنهم العديـد مـن الأطفـال والنساء**، وما علمت بعد ذلك إلا وعبدالله بن الحـسين يـربط حقائبـه اسـتعدادا للهرب من الأردن، ولما سألته أين وجهته قال: سأذهب إلى جهنم، أبعـدوني إلى المنفى مع والدي ما دمتم لا تريدون حمايتي.

فقلت لعبدالله: لقد عارضتني عندما قلت لك أن لا تساعد الثوار اللاجئين الحجازيين ضد (قادة الوهابية) وعارضتني حينما قلت لك إن لليهود كـل الحـق في أن يحكموا فلسطين...)[٢]

---

١ . لمع الشهاب ص٨٩، صفحات من تاريخ الجزيرة ص١٨٩

٢ . نـاصر الـسعيد في تاريخـه ص ٥٠١ و ٥٠٢، صـفحات مـن تـاريخ الجزيـرة العربيـة الحـديث، ص٢٣٤ و٢٣٥



وهكذا قتل الوهابية الكثير من الأبرياء المسلمين من أهل الأردن مع أطفالهم ونسائهم خدمة لعيني الشيخ فيلبي وقومه النصارى، وخدمة لليهود كي يحكموا فلسطين! وسيكون لنا مع تآمرهم لاحتلال فلسطين وقفة.

هذيل الشام واللفاع:

وقد غزا الوهابية هذيل الشام بقيادة عثمان المضايفي في حوالى سنة ١٢١٤هـ فقتلوا وسبوا النساء، ثمَّ غزوا اللفاع حيث يقيم أشراف بني عمرو فقتلوا منهم عددا، ونهبوهم وسلبوا النساء حتى أنهم جردوهن من الثياب، فطلبوا الأمان وتوهبوا[١]. أي دخلوا في الديانة الوهابية.

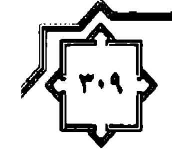
بوادي شمَّر وما جاورها:

يقول ابن بشر في أحداث سنة ١٢٠٦ هـ: (وفيها كانت غزوة الشقرة وذلك أن سعوداً سار بالجيوش الكثيفة من جميع نجد الحاضرة والبادية، وقصد ناحية جبل شمر، وقد ذكر له قبائل كثيرة من البوادي من مطير وحرب وغيرهم، وهم على الماء المعروف بالشقرة قريب من جبل شمر، فعدا[٢] عليهم سعود وأخذهم جملة وحاز منهم أموالاً عظيمة، الإبل أكثر من ثمانية آلاف بعير، وأخذ جميع أغنامهم ومحلتهم وأمتعتهم، وأكثر من عشرين فرسا، قتل عليهم عدة رجال، ثم

---

١ . د. محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، دار المعراج للطباعة والنشر، ص١٧٩.

٢ . كلمة عدا (والتي تشير إلى الاعتداء والظلم في النفس أو في المال بالسرقة، راجع القاموس) يكررها ابن بشر كثيراً عندما يتحدث عن إزهاقهم لأرواح المسلمين واغتصابهم لأموالهم، انظر مثلاً عنوان المجد ١/ ٢١ و٨٣، و٢/ ٤٢و٤٣



رحل سعود بجميع تلك الغنائم وأخرج خمسها!! وقسم باقيها غنيمة في المسلمين للراجل سهم وللفارس سهمان)[1].

ومن القبائل التي قتلت في تلك المنطقة أيضاً عربان الظفير وآل بعيج وآل زقاريط[2].

فمتى كان هؤلاء كفاراً تحلُّ دماؤهم وأموالهم، وما هو حال قاتلهم عند الله؟

صدُّ الناس عن البيت الحرام

لم يأل الوهابية جهداً في صدِّ عباد الله عن بيت الله الحرام ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، وإليكم الأمثلة العملية على ذلك من تاريخهم المشين:

يذكر مؤرخ الوهابية ابن بشر الحنبلي في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) من أحداث ١٢٢١هـ الحادثة التالية ص ١٣٩:

(فلما خرج سعود[3] من الدرعية قاصداً مكة أرسل فرَّاج بن شرعان العتيبي،

---

١ . ابن بشر، عنوان المجد، ج١ ص ٨٨ ـ ٨٩

٢ . إبراهيم عبدالغني، صراع الأمراء ص ٣٠

٣ . ولا يظنن جاهل أن ما يفعله هؤلاء القادة قد لا يعني بالضرورة نهج مشائخ الوهابية فهؤلاء الأمراء لم يستقم لهم أمر إلا بزخرفة الشيخ ابن عبدالوهاب لباطلهم وأخذه البيعة لهم، يقول ابن بشر في عنوان المجد ج١، ص ٨٣: «وفيها ـ أي سنة ١٢٠٢ ـ أمر الشيخ محمد ﷺ أهل بلدان نجد وغيرهم أن يبايعوا سعود بن عبدالعزيز وأن يكون ولي العهد بعد أبيه» كيف لا وهو أحد تلاميذه (عنوان المجد ١/ ١٦٧) كما أن جيوشهم التي تقطع الطريق وتنهب الحاج وتقتل المسلمين لم تكن إلا أهل الإخلاص من رجال الوهابية، ولا يخرجون إلا وقاضي المسلمين ـ على حد زعمهم ـ في أوساطهم، بل ومنهم أبناء الشيخ نفسه، ومشائخ الوهابية الكبار يعتقدون بأن هؤلاء الأمراء من أهل الأسرار عند الله (عنوان المجد ٢/ ٦٣) وأن لهم خوارق عادات (عنوان المجد ٢/ ٦٥) وأن الله يوقع الغلاء بقتلهم (عنوان المجد ٢/ ٦٩) وبولايتهم تنزل الأمطار (عنوان المجد ٢/ ٩٨) وأن موتهم شهادة وهم أئمة المسلمين (عنوان المجد ٤٨)!

ورجالا معه... وذكر لهم أن يمنعوا الحواج التي تأتي من جهة الشام واسطنبول ونواحيها، فلما أقبل على المدينة الحاج الشامي ومن تبعه، وأميره عبدالله العظم باشا الشام فأرسل إليه هؤلاء الأمراء أن لا يقدم وأن يرجع إلى أوطانه[1])

ويقول مفتخراً: (ولم يحج في هذه السنة أحد من أهل الشام ومصر والعراق والمغرب وغيرهم إلا شرذمة قليلة من أهل المغرب لا اسم لهم)[2] تصوَّر معي عزيزي القاريء حجاً يمنع من حضوره أهل الشام كل الشام ومصر والعراق والمغرب العربي كله (وغيرهم) كما يضيف ابن بشر، فمن بقي بعد كل هذا من العرب لم يمنع من الحج؟!! أهذا من أقوال خصوم الوهابية!!

ويقتلون البقية:

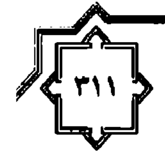
لم يقتصر نشاط الوهابية الحربي على أبناء قبائل الجزيرة العربية وجوارها بل طال أبناء الإسلام من قاصدي بيت الله الحرام أيضا في عديد من المناسبات، وقد مرت بنا لمحات من اعتداءاتهم على من كانوا يجدونهم في جوار مكة المكرمة والمدينة المنورة من الحجيج وغيرهم ومنعهم الحاج سنوات عدة من هذه الجهة أو تلك.

لقد جعل الوهابيون الديار المقدسة رهينة في أيديهم وراحوا يتحكمون بحركة الوفود إليها عن طريق فرض المكوس من جهة وعن طريق استخدامها لأغراضهم السياسية من جهة أخرى. ففي سنة ١٩٥٩م منع الحاج السوري من الوصول إلى مكة المكرمة، كما أرجعت كسوة الكعبة المشرفة المرسلة من مصر

---

١ . ابن بشر، عنوان المجد، ١/ ١٣٩.

٢ . نفس المصدر، ١/ ١٤٣ . ويراجع خليفة فهد، جحيم الحكم السعودي ونيران الوهابية، ص ٢٠٥ـ٢١٢.



ومنع الحجاج المصريون ما لم يدفعوا المكوس بالعملة الصعبة، علما بأن فرض الرسوم على عبادة الله محرم شرعا، كما منعوا الحاج اليمني بعد انقلاب السّلال. إلا أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل تعداه إلى قتل الحجيج العزل المقصود بشكل وحشي في غير مناسبة، وقد حفظ الإسلام للوهابيين على هذا الصعيد ارتكابهم مجزرتين مروعتين: الأولى ضد الحاج اليماني سنة ١٣٤١هـ والثانية ضد الحاج الإيراني سنة ١٤٠٨ هـ

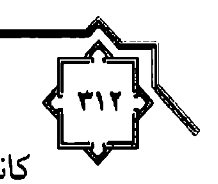
مجزرة الحجاج اليمانيين:

في سنة ١٣٤١هـ انقض الوهابيون على الحاج اليماني المتوجه إلى مكة فقتلوهم غدرا وغيلة دون أي سبب، فقد اتفق أن التقت سرية من الوهابيين بقافلة الحجيج من أبناء اليمن القادمين لأداء فريضة الحج، وكانوا بطبيعة الحال عزلا من السلاح، فسايرهم الجنود الوهابية بعد أن أعطوهم الأمان، فلما وصل الفريقان إلى وادي (تنومة) والوهابيون في الجهة العليا بينما اليمنيون في الجهة الدنيا، انقض المسلحون على الحجاج بأسلحتهم فأبادوهم فلم ينج منهم إلا اثنان.

وقد حاول الوهابيون وبعض الأقلام المرتبطة بهم أن يبرروا هذه الفعلة عن طريق الادعاء بأن الجند الوهابي ظن أن مجموعة الحجاج مجموعة مسلحة من أهل الحجاز فاشتبكوا معها، وهو عذر أقبح من ذنب، فمتى كان اغتيال المسلمين وقتلهم بالظن جائزا؟! ولكن الوقائع كذبت هذا الزعم بعدما ثبت أن الوهابية لم يقتلوا هؤلاء الوافدين إلى بيت الله الحرام إلا بعد أن ساروا بمحاذاتهم مسافة معينة وتأكدوا من أنهم لم يكونوا يحملون أي سلاح[1].

---

١ . الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة، ص ١٩٨ ـ ١٩٩



بقي أن تعرف أخي القاريء الكريم عدد القتلى من الحجاج اليمانيين. لقد كانوا ألفاً ومائتي مسلم[١]!!

مجزرة الحجاج الإيرانيين:

ارتكبت هذه المجزرة المروعة سنة ١٤٠٨هـ كما أشرنا فراح ضحيتها ٣٢٩ حاجاً ما بين رجل وامرأة، عدا الجرحى، فقد كان الإيرانيون يقومون بمسيرة البراءة من المشركين في صفوف منظمة ويطلقون الهتافات ضد أعداء المسلمين من شرقيين وغربيين ويدعون المسلمين للوحدة في مواجهة هؤلاء الأعداء قائلين: «الموت لأمريكا، الموت لروسيا، الموت لإسرائيل، أيها المسلمون اتحدوا». «ولما انتهت المسيرة واتجهت الجموع صوب الحرم للزيارة والطواف، إذا بالقوات الوهابية تحاصرهم بإطلاق النار الغزير من الرشاشات والبنادق دون تمييز، فكان هذا الهجوم عدوانا سافرا دون أي مبرر، اللهم إلا الانتقام لأعداء المسلمين والإصرار على منع التعرض لهم ولو بالكلام[٢].

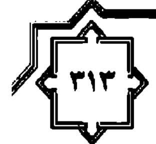
استيلاؤهم على إمامة البيت العتيق

لقد كان على مر العصور الإسلامية مهما بلغ المسلمون من ضعف أو تفرق، لا يوجد مذهب يستولي على إمامة البيت الحرام دون غيره من المذاهب الإسلامية، ففطاحل علماء المسلمين من كل مذهب يؤمون الناس ويعظونهم،

---

١ . الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة، ص٢٠١

٢ . لترى في هذا الموضوع ما تقشعر لهوله الأبدان اقرأ كتاب حقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية، صادر عن اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان في الخليج والجزيرة العربية، ص ١١٩ ـ ١٤٣. وكذلك فهد القحطاني، قصة المذبحة السعودية للحجاج، الصفا للنشر والتوزيع، لندن.



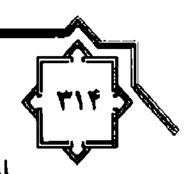
واليوم لا يسمح لعالم مسلم مهما بلغ من العلم والتقوى أن ينبس ببنت شفة خطيباً أو إماماً أو مدرِّساً في بيت الله الحرام أو في مسجد الرسول الكريم إن لم يكن وهابياً حشوياً، ولقد طرد الشيخ علي جابر من إمامة الحرم لأنه خالف سدنة هذا المذهب فرفض أن يقنت في صلواته ليدعو لقوات التحالف بالنصر على أهل العراق، وهذا منتهى الطغيان والغرور، فبيت الله الحرام حقٌّ مشاع لكافة المسلمين فالبادي والحاضر فيه سواء، وليس حكراً لمذهب دون سواه، فكيف إذا كان هذا المذهب هو المذهب الوهابي[١]؟!

وماذا بعد؟

أيها الاخوة بنهاية هذا الفصل الدامي أقول: إن بإمكاننا الاستمرار طويلاً في سرد الأحداث الدامية التي ارتكبها الوهابية في حق المسلمين، حتى من غير أهل الجزيرة ومن جاورها ولكن فيما ذكرناه كفاية لنثير التساؤلات التالية:

هل هؤلاء الذين ذكرنا من أهل الجزيرة وما حولها كانوا مرتدين عن ملة الإسلام حتى يعاملوا هذه المعاملة، هل أنكروا ما عُلم من الدين بالضرورة؟! هل هم من الوثنيين؟! هل هم من اليهود أو النصارى وقد امتنعوا عن الدخول في الطاعة وامتنعوا عن أداء الجزية الواجبة عليهم حتى تنتهك أموالهم وأنفسهم هذا الانتهاك، هل هذا هو تصرف المسلمين؟! وهل عرف ذلك عن السلف الصالح؟ وهل كان صحابة رسول الله ﷺ يصنعون بأهل التوحيد مثل هذا الصنيع؟ أم أن هذا التصرف يباح لهؤلاء ويحرم على غيرهم؟!

١ . الحقيقة أن علماء الأمة لن يكونوا كعلماء الوهابية، يخطبون خطبة الجمعة في المسجد الحرام بمناسبة مرور مائة عام على قيام الدولة السعودية، كما فعل الشيخ السديّس عام ١٤١٩هـ!! حتى اضطر كثير من الناس للخروج من المسجد وتركه لتهريج الوهابية ولا حول ولا قوة إلا بالله.



إنَّ هؤلاء الأعراب لا يقاتلون إلا أهل التوحيد الذين يدينون بلا إله إلا الله، فمن لهم بلا إله إلا الله؟ أما يخشون أن يكون رسول الله ﷺ خصمهم يوم القيامة؟ فعندما قتل أحد أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً قال لا إله إلا الله وظن أنه قالها من لسانه ولم يدن بها قلبه، قال له رسول الله ﷺ: (هل فتشت عن قلبه) وقال له من اللوم والتقريع ما قاله فكيف بهؤلاء الذين يتعمدون إزهاق أرواح أهل كلمة لا إله إلا الله؟، فكيف ينتسب هؤلاء الحشوية زوراً وبهتاناً إلى السلف الصالح؟! ثم هم في نفس الوقت ينكرون على أهل الحق والاستقامة استقامتهم ويلصقونهم بالخوارج؛ فما هو الفرق بين تصرف الخوارج وتصرف هؤلاء الحشوية؟ ومن الأولى بصفة الخارجية؟ هل هم أهل الحق والاستقامة الذين هم أنزه الناس عن إيذاء أي مسلم، وأبعدهم من استحلال ماله، أو هم أولئك الحشوية الذين جمعوا بين تشبيه الله بخلقه ـ كما ورثوا ذلك عن اليهود ـ وبين قسوة الخوارج على هذه الأمة[1].

إننا نرى أن تصرف هؤلاء الحشوية الخوارج أكثر همجية وأعمق خطراً من تصرف أسلافهم من الصفرية والأزارقة والنجدية[2]، ولا تماثله إلا سيرة السابقين من أهل نجد بني حنيفة[3] أيام الرِّدة الأولى!

أخي الكريم: وكما عرفت ما فيه الكفاية عن عقيدة الوهابية في دماء المسلمين وأموالهم فقد آن لك الآن أن تعرف طرفاً من باقي عقائدهم الزائغة..

---

١ . منقول بتصرف من (وسقط القناع) لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ص ٤٢ ـ ٥٨

٢ . أقول أسلافهم لأن هؤلاء من أهل نجد فنافع بن الأزرق و نجدة بن عامر هما من بني حنيفة!

٣ . من المعلوم أن القيادة الوهابية الحالية تفاخر بأنها تنتسب إلى بني حنيفة! ويراجع كذلك ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٥، فالعجب ممن يغتر بأحفاد مسيلمة!!



الفصل الرابع: العقيدة الحشوية

العقيدة الوهابية هي تجديدٌ بحق؛ ولكن لعقيدة التجسيم الحشوية، التي تمثل الله شخصاً له جسم كأجسامنا يمشي كمشينا ويضحك كضحكنا ويسلم على الناس!

إنها تلك العقيدة التي قال في أهلها الإمام الحافظ القرطبي في كتابه التذكار (ص ٢٠٨): (والصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين من يعبد الأصنام والصور) وكذلك قال الإمام النووي في (المجموع: شرح المهذب) (٤/ ٢٥٣)، وذلك نتيجة لإعجاب محمد بن عبدالوهاب بها، وهاهم أذنابه يقتفون أثره. وإن سقوط هذه العقيدة حتمي يؤمن به حتى معتنقوها بل وسدنتها؛ لذا فهم يهربون من أي نقاش علني فيها. وفي هذا الفصل ترى كيف أنهم الخوارج الذين:

«يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم».

مدار العقيدة الحشوية

مدار العقيدة الحشوية تجسيم المولى سبحانه وتعالى، ونحن سنترك أمر الرد عليهم لعالم من علماء الحنابلة، لينتِّف ريشهم؛ فهم يلزون أنفسهم بمذهب الإمام أحمد ابن حنبل زوراً وبهتانا، وهذا أحد كبار علماء المذهب الحنبلي، وإليك ما يقوله فيهم؛ وذلك من كتاب:

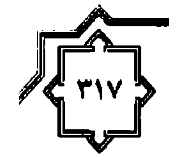
دفع شُبَه التشبيه بأكف التنزيه

المؤلف والكتاب:

هو الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، والكتاب تحقيق محمد منير الإمام / مركز الخدمات والأبحاث الثقافية / دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م/ ص.ب٥٢٧٩/ ١٤. بيروت ـ لبنان.

مقتطفات من مقدمة المحقق:

(الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ورضي الله عن الأئمة الأعلام حماة هذا الدين، صرفوا أوقاتهم في الذب عن الشريعة ضد الملحدين والمعطلين والمجسمة والمشبهة وغيرهم من الفرق الضالة، فبينوا للعامة الغث من السمين والحق من الباطل أما بعد فقد رأيت كتاب الإمام العلامة عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ المعروف بابن الجوزي المسمى (الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب) الذين خالفوا مذهب ومعتقد الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ونسبوا له ما لا يعتقده، وافتروا عليه بما لم يقله أدنى مسلم فكيف بهذا الإمام العظيم، الجليل القدر، فإنه ابتلي في حياته فصبر وفاز، وابتلي في مماته بأكثر المنتسبين إليه، فجزاه الله خيرا... وهذا الكتاب قاصم لظهور المشبهة مشتت لبدع المجسمة ضارب حججهم الواهية بسيف الشرع طاعن أفكارهم برمح العقل السليم الذي هو شاهد للشرع الحنيف، قاذف آراءهم بمقلاع الحجج والبراهين كاشف ستار الجهل والضلال، مبين للعامة أضاليلهم وتمويهاتهم... الخ).



مقتطفات من مقدمة المؤلف ابن الجوزي:

(... ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح، وانتدب للتصنيف ثلاثة أبو عبدالله بن حامد، وصاحبه القاضي (أي الفراء) وابن الزاغوني؛ فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب ورأيتهم قد نزلوا إلى منزلة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحس. فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات، وعينين وفماً ولهوات وأضراساً وجهة هي السبحات ويدين وأصابع وكفاً وخنصراً وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين.

وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس.

وقالوا: يجوز أن يمس ويُمس، ويدني العبد من ذاته.

وقال بعضهم: ويتنفس.

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات، فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث، ولم يقنعوا أن يقولوا صفة فعل، حتى قالوا صفة ذات، ثم أثبتوا أنها صفات ذات قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة مثل يد على نعمة وقدرة ومجيء وإتيان على معنى بر ولطف، وساق على شدة، بل قالوا: نحملها على ظواهرها، والظاهر المعهود من نعوت الآدميين، والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن وهم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون: نحن أهل السنة وكلامهم صريح في التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام. فقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل وأتباع إمامكم الأكبر يقول وهو تحت السياط: (كيف أقول ما لم يقل). فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس فيه، ثم قلتم في الأحاديث، تحمل على ظاهرها.

وظاهر القدم الجارحة، فإنه لما قيل في عيسى روح الله اعتقدت النصارى أن لله صفة هي روح ولجت في مريم، ومن قال: استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات، وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل؛ وهو العقل، فإنه به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقدم، فلو أنكم قلتم: نقرأ الأحاديث ونسكت، ما أنكر عليكم أحد، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح، فلا تُدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس فيه. ولقد كسيتم هذا المذهب شينا قبيحاً حتى لا يقال حنبلي إلا مجسم، ثم زينتم مذهبكم بالعصبية ليزيد بن معاوية، ولقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته، وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم: لقد شان هذا المذهب شينا قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة). اهـ.

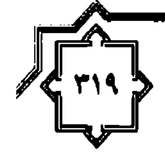
أقول: ما أشبه الليلة بالبارحة؛ فما يصح على الأجداد يصح على الوهابية الأحفاد؛ فوالله ما ترك خوارج العصر أمراً مما ذكره ابن الجوزي إلا اعتقدوه ودانوا به!

أمثلة من معتقدات الحشوية الفاسدة[١]

الحشوية يثبتون بعض القضايا العقدية، التي لها تعلق بأسماء الله وصفاته، أو وعده ووعيده، إلى غير ذلك مما له تعلق بباب الاعتقاد، ويكفرون من خالفهم في ذلك، ويفسقونه، ويضللونه، ويبدعونه، ولا دليل لهم على ذلك ولا مستند، إلا مجرد الاعتماد على بعض أحاديث الآحاد التي يجوزون على رواتها الخطأ والغلط والوهم والذهول والنسيان إلى غير ذلك مما لا يكاد يسلم منه إنسان، ومن هنا تراهم يتخبطون في عقائدهم تخبط عشواء فنجدهم اليوم يصوبون من

---

١ . منقول من كتاب السيف الحاد في الرد على من أخذ بحديث الآحاد في مسائل الاعتقاد للعلامة القنوبي، مع إضافات أخرى.



كانوا بالأمس يفسقونه، وتراهم في الغد يحكمون بفساد ما اليوم يعتقدونه، وقد رد عليهم الكثير من علماء السُّنة نذكر منهم الكوثري والسقاف والأستاذ أبو غدة والشيخ أبا اسحاق الشيرازي والإمام أبا بكر الشاشي وغيرهم، ومن الكتب التي ناقشتهم كتاب «المحضر» الذي كتبه جماعة من أئمة الشافعية، وكذلك كتاب «التذكرة الشرقية» كما في (إتحاف السادة المتقين) للإمام الزبيدي.

والأمثلة على ضلالات الحشوية ونبتتهم الشيطانية الوهابية؛ واختلافهم في مسائل الاعتقاد كثيرة جداً سنذكر منها التالي:

١ ـ القول بأن الله جسم:

قال ابن تيمية في كتابه (التأسيس في رد أساس التقديس) (١/ ١٠١) مستخدماً أسلوبه المعتاد في الزعم بأن ما يقوله هو ما لا يعارضه نقل ولا عقل: (وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم وأنّ صفاته ليست أجساماً ولا أعراضاً)اهـ ويتغافل عن صريح قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ والجسم له مكافيء ومماثل، وقوله ﷺ: «لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء»[١]، ومن قول السلف يكفينا في الرد عليه ما رواه الحافظ البيهقي في مناقب الإمام أحمد: (أنكر أحمد على من قال بالجسم وقال إنّ الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله سبحانه خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمّى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطلَ)اهـ، ويثبت ابن القيم في كتابه (الصواعق المرسلة) أن لله ساقين، وأنه إذا لم يذكر الله في كتابه إلا

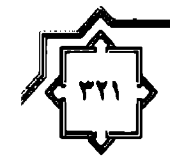
١ . رواه الحاكم في المستدرك من حديث أبي بن كعب، وقال (صحيح الإسناد).

ساقاً واحدة فهذا لا ينفي أنه ليس له ساق أخرى فيقول ما نصه: (هب أن الله سبحانه أخبر أنه يكشف عن ساق واحدة هي صفة، فمن أين في ظاهر القرآن أنه ليس له سبحانه إلا تلك الصفة الواحدة؟ وأنت لو سمعت قائلاً يقول: كشفت عن عيني وأبديت عن ركبتي وعن ساقي هل يفهم منه أنّه ليس له إلا ذلك الواحد فقط)[١] ويثبت ابن القيم أن لله جنباً، كما في الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٠) ومختصر الصواعق (١/ ٢٣) حيث استنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿يَاحَسْرَتَي عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ الله﴾!! فقال: (هب أن القرآن دلّ على إثبات جنب هو صفة، فمن أين لك ظاهره أو باطنه على أنه جنب واحد وشق واحد؟ ومعلوم أن إطلاق مثل هذا لا يدل على أنه شق واحد، كما قال النبي ﷺ لعمران بن حصين: «**صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب**» وهذا لا يدل على أنه ليس للمرء إلا جنب واحد)اهـ!! وهذا الهذيان والتصريح بالتجسيم وقياس الله سبحانه وتعالى بعمران بن حصين وتشبيهه به لا يقول به إلا رجل أعماه الله وأضله، ووالله ما الإتيان بمثل هذا الكلام في الصفات إلا رجوع للوثنية الأولى، حتى بلغ الحال بأبي يعلى الحنبلي إمام ابن تيمية وقدوته أن قال: (ألزموني ما شئتم إلا اللحية والعورة) كما نقل ذلك ابن العربي المالكي في كتابه العواصم (٢/ ٢٨٣) وقد ردَّ عليه الحافظ ابن الجوزي في كتابه المشهور (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) وأظهر هنالك فساد عقيدته وما في كتابه في الصفات المسمى بـ (إبطال التأويل)[٢] من الطامات والعجائب ما يكفي لأي لبيب أن يحكم على مصنّفه أنه ليس معه من الإسلام خبر كما قال ابن الجوزي.!!

---

١ . الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، طبعة دار العاصمة، الرياض، ص ٣١ ـ ٣٢.

٢ . منقول باختصار عن الشيخ حسن السقاف، التنديد بمن عدد التوحيد، ص١٩ ـ ٢٣.



٢ ـ مسألة الحركة:

قال عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الذي رد به على بشر المريسي: ص٢٥: (خلق آدم بيده مسيسا) وقد ذكر ذلك في مواضع، فتراه يحمل خلقه سبحانه لآدم على مزاولة الطين بالجارحة، وقال ص٢٠: (الحي القيوم... يتحرك إذا شاء، وينزل ويرتفع إذا شاء، ويقبض ويبسط إذا شاء، ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك. كل حي متحرك لا محاله، وكل ميت غير متحرك لا محاله)

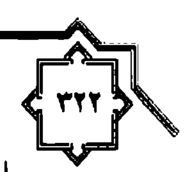
قال الكوثري: (فإذا معبود هذا الخاسر يقوم ويمشي ويتحرك، ولعل هذا الاعتقاد ورثه هذا السجزي[١] من جيرانه عباد البقر، ومن اعتقد ذلك في إله العالمين يكون كافراً باتفاق، فياويح من يقتدي بمثله في الصلاة أو يناكحه، فماذا تكون حال من يرتضي هذا الكتاب أو يوصي به أشد الوصية أو يطبعه للدعوة إلى ما فيه؟ وهذا توحيدكم الذي إليه تدعون الناس)

٣. مسألة العلو

قال عثمان الدارمي ص ١٠٠: (من أنبأك أن رأس الجبل ليس بأقرب إلى الله من أسفله، ورأس المنارة ليس بأقرب إلى الله من أسفلها)

---

١ . نسبة إلى إمام هذا الفساد محمد بن كرّام السجزي المجسم صاحب العقائد الوثنية في كتب الفرق، إمام الكرَّامية الذين يثني عليهم ابن تيمية قال عنهم الإمام عبدالقاهر البغدادي في أصول الدين ص (٣٣٧): (وأما جسمية خراسان من الكرّامية فتكفيرهم واجب لقولهم: بأن الله تعالى له حد ونهاية من جهة السفل ومنها يماس عرشه، ولقولهم: بأن الله تعالى محل الحوادث) وفصل فيهم القول في كتابه (الفرق بين الفرق) ص (٣٣٧) بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، وجزم القرطبي بكفرهم في التذكار ص (٢٠٨) وكذلك الإمام النووي في المجموع (٤/ ٢٥٣).



قال الكوثري: (وكلامه هذا يدل على أنه كان يتطلع إلى معبوده من رؤوس الجبال والمآذن والمراصد، كما هو صنيع الصابئة الحرانية[1] عبدة الأجرام العلوية. وأما المسلمون فهم يعتقدون أن الله سبحانه منزه عن المكان، ونسبته إلى الأمكنة سواء، وليس القرب منه بالمسافة ولا البعد عنه بالمسافة قال تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ وقال الرسول ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**» أخرجه النسائي وغيره، وهذا الخاسر وأشياعه يقولون: لا، بل اطلع رأس الجبل واصعد فوق المرصد تتقرب إلى المعبود، فهل بعد هذا كفر)؟ اهـ

٤. مسألة استقرار الله ـ سبحانه وتعالى ـ على العرش ـ تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيرا:

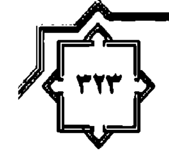
حيث قال بذلك بعض أرباب هذه النحلة (الخاسرة) كالدارمي المجسم وابن تيمية وابن القيم، قال عثمان الدارمي ص٧٤: (إنه ليقعد على الكرسي فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع)، وقال ص٨٥: (ولو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقرت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم)[2]

قال الكوثري: (هذا كلام في الله سبحانه كأن جواز استقرار معبوده على ظهر بعوضة أمر مفروغ منه مقبول، فيستدل بذلك على جواز استقراره تعالى على العرش الذي هو أوسع من ظهر البعوضة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولا أدري أحدا من البشر نطق بمثل هذا الهذر قبل هذا السجزي والحراني ابن تيمية المؤتم به وأشياعهما)

---

١. هذه البلدة هي منشأ ابن تيمية!

٢. وقد قالها ابن تيمية في كتابه (التأسيس في رد أساس التقديس) (١/ ٥٦٨)



بل قال بعض هؤلاء المجسِّمة إنه يُقعِد بجنبه يوم القيامة نبيه محمدا ﷺ وقد وضعوا للتدليل على ذلك بعض الأحاديث كما وضعوا أيضاً عدة أبيات على الإمام الدارقطني منها:ـ

فلا تنكروا أنه قاعد   ولا تجحدوا أنه يقعده

وأورده ابن القيم في بدائع الفوائد ج٤ ص٤٨ هكذا:

ولا تنكروا أنه قاعد   ولا تنكروا أنه يقعده

والكل كذب فقاتل الله الكذب والكذابين ومن يدافع عنهم.

والمتهم بوضع هذا البيت هو ابن كادش الكذاب أو شيخه العشاري المغفل، وقد كان أحد مجانينهم، يقول: لو أن حالفاً حلف بالطلاق ثلاثاً أن الله يُقعِدُ محمدا ﷺ على العرش[1] واستفتاني لقلت له: صدقت وبررت، كذا قال هذا عامله الله بما يستحق.

يقول العلامة القنوبي:

بل ولم يثبت شيء عن رسول الله ﷺ في العلو الحسي وما استدلوا به على ذلك موضوع وباطل مخترع مصنوع وما صح من ذلك فلا دليل فيه على ذلك البتة.

ويقول: وكما أنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ شيء في ذلك، كذلك لم يثبت شيء عن صحابته ﷺ، وما روي عنهم فكذب صريح عليهم.

ونحن نتحدى هؤلاء الحشوية أن يأتوا لنا برواية صحيحة فيها التصريح بالاستقرار أو الاستواء الحسي وليستظهروا على ذلك بمن شاءوا ولو بالثقلين جميعا، كما أننا نتحدى أرباب هذه النحلة للمناظرة في هذه المسألة أو غيرها من المسائل العقدية.

---

١ . القول بقعود النبي على عرش الرحمن من البدع التي أشاعها ابن تيمية (منهاج السنة ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)

الحشوية والمجاز

ينكر أدعياء السلفية المجاز بحجة أنه ضرب من الكذب، والقرآن والسنَّة منزَّهان عن ذلك. ولتعريف القارئ بحقيقة الأمر لا بدَّ أن نذكر تعريف المجاز مختصراً؛ فالمجاز في اصطلاح البيانيين: هو نقلُ اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر، لعلاقة بينهما، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الأصلي. ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ أي رعايتي وحفظي لا العين الحقيقية، ومثله في القرآن والسنّة واللغة كثير.

والذي قاد أدعياء السلفية إلى نفي المجاز هو التجسيم فهم يعلمون أن لو حملوا الكلمات التي تقتضي التشبيه على ما يمكن أن تحمله في صريح اللغة من معانٍ مجازية لما بقي لهم على شبهاتهم من دليل. والسبب الآخر الحديث هو تقليد ابن تيمية الذي يزعم أن التأويل هو شر أقوال أهل البدع وينفي المجاز ولا بد لأشياعه من متابعته ولو كان في ضلال مبين، يقول فضيلة الشيخ محمد العزازي مفتش المعاهد الدينية بالأزهر الشريف، وأستاذ اللغة والأدب بمعهد الزقازيق الثانوي سابقا، خلال مساهمته في كتاب (ابن تيمية ليس سلفياً)[1] للشيخ منصور محمد عويس، واصفاً ابن تيمية بعد أن ذكر إنكاره للمجاز: (لا حرج عليَّ أن أقول فيه ـ مهما نعته مشايعوه بالحكمة والعلم ـ إنه قد حرم ذوق الأديب، كما حرم نعمة التفهم لأسرار اللسان العربي)اهـ.

ونفي الحشوية للمجاز من الأدلة القاطعة على ركاكة فهمهم وقلة علمهم بكتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ ولغة العرب، مع أن الأمة مجمعة على إثباته ولم يخالف في ذلك إلا من شذ.

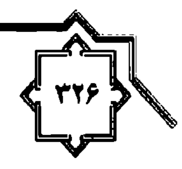
---

١ . دار النهضة العربية، ط١، ١٩٧٠، ص ٣٧



ولكي يطمئن المخدوعون بالوهابية سننقل لهم بعضاً من كلام علماء المذاهب الأربعة في ذلك:

ـ قال الشوكاني في (إرشاد الفحول) ص ٢٢: «**المجاز واقع في لغة العرب عند جمهور أهل العلم**، وخالف في ذلك أبو إسحاق الإسفرائيني، وخلافه هذا يدل أبلغ دلالة على عدم اطلاعه على لغة العرب» وينادي بأعلى صوت بأن سبب هذا الخلاف تفريطه في الاطلاع على ما ينبغي الاطلاع عليه من هذه اللغة الشريفة وما اشتملت عليه من الحقائق والمجازات التي لا تخفى على من له أدنى معرفة بها، وقد استدل بما هو أوهن من خيوط العنكبوت، فقال: (لو كان المجاز واقعا في لغة العرب للزم الإخلال بالتفاهم إذ قد تخفى القرينة)، وهذا التعليل عليل؛ فإن تجويز خفاء القرينة أخفى من السها» ... إلى أن قال: «وعلى كل حال فهذا لا ينبغي الاشتغال بدفعه؛ فإن وقوع المجاز وكثرته في اللغة العربية أشهر من نار على علم، وأوضح من شمس النهار. قال ابن جني: **أكثر اللغة مجاز**، وقد قيل إن أبا علي الفارسي قائل بمثل هذه المقالة التي قالها الإسفرائيني، وما أظن مثل أبي علي يقول ذلك فإنه إمام اللغة العربية الذي لا يخفى على مثله مثل هذا الواضح البين الجلي، وكما أن المجاز واقع في لغة العرب فهو واقع أيضا في الكتاب العزيز عند الجماهير وقوعا كثيراً بحيث لا يخفى إلا على من لا يفرق بين الحقيقة والمجاز، وقد روي عن الظاهرية نفيه في الكتاب العزيز، وما هذا بأول مسائلهم التي جمدوا فيها جموداً يأباه الإنصاف، وينكره الفهم ويجحده العقل» ... إلى أن قال: «وليس في المقام من الخلاف ما يقتضي ذكر بعض المجازات الواقعة في القرآن، والأمر أوضح من ذلك، وكما أن المجاز واقع في الكتاب العزيز وقوعاً كثيراً فهو واقع في السنة وقوعاً كثيرا، والإنكار لهذا الوقوع مباهتة ولا يستحق المجاوبة». اهـ



ـ ومثله في مختصره (حصول المأمول) لصديق خان.

ـ وقال ابن قدامة الحنبلي في (روضة الناظر) ج ١، ص ١٨٢، بعد أن ذكر بعض الآيات القرآنية: (وذلك كله مجاز لأنه استعمال اللفظ في غير موضوعه، ومن منع فقد كابر، ومن سلم وقال لا أسميه مجازاً فهو نزاع في عبارة لا فائدة في المشاحة فيه. والله أعلم) اهـ.

ـ وقال السيوطي في (طرز العمامة): (ومن جهل المجاز فرتبة الفهم عنه قاصية، والغباوة عليه قاضية) اهـ[١].

ـ ويقول فضيلة الشيخ عيسى بن عبدالله بن مانع: (إن الأئمة الأربعة؛ أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد قد ثبت عنهم جميعا الكلام في المجاز لفظاً ومعنى، وأما التأويلات المجازية فهي كثيرة جداً). وأورد فضيلته بعد ذلك مقولة الإمام أبي حنيفة: (إن المجاز خَلَف عن الحقيقة في التكلم لا في الحكم بل هو في الحكم أصل، ألا ترى أن العبارة تتغير به دون الحكم فكان تصرفاً في التكلم، فتشترط صحة الأصل من حيث إنه مبتدأ وخبر موضوع للإيجاب بصيغته، وقد وجد ذلك فإذا وجد وتعذر العمل بحقيقته وله مجاز متعين صار مستعاراً لحكمه بغير نية كالنكاح بلفظ الهبة). اهـ. ثم قال الشيخ عيسى: (فهذا نص صريح في استعمال: المجاز والحقيقة والاستعارة) ثم نقل عدَّة تأويلات مجازية للإمام مالك لآيات كريمة وأحاديث شريفة كتفسيره قوله تعالى: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (قال ابن القاسم: سمعت مالكاً يقول: التقديس الصلاة)، وتفسيره: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ بطاعة الله. وتفسيره كلمة (تأويله) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ بثوابه، وتفسيره: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ ببلائه الحسن وأياديه عندهم) ثم قال فضيلته: وقال الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٩٣ ـ

---

١ . للتوسع يراجع، الشيخ سعيد القنوبي، السيف الحاد ص ٢٧ ـ ٢٨



١٩٤) «إن في سنن رسول الله ﷺ مثل ما في كتاب الله تعالى من الحقيقة والمجاز والخاص والعام.. فمن المجاز قوله ﷺ: عند البخاري «**أمرت بقرية تأكل القرى..**».. قال ابن وهب: قلت لمالك: ما تأكل القرى؟ قال: تفتح القرى..»[١].

ومن المضحكات المبكيات أن الشيخ محمد علي الصابوني كانت له حظوة كبيرة لدى علماء الوهابية قبل أن يكتب تفسيره القيِّم (صفوة التفاسير). ولكنه ما إن كتب تفسيره حتى ناله الأذى منهم لا لشيء سوى أنه تأول آيات الصفات في تفسيره خلافاً لمنهج الوهابية المجسم، وقد ذكر لطيفة في الجزء الثاني من صفوة التفاسير ص ١٧٤ فقال: (ذُكر أن عالماً ممن ينكر المجاز والاستعارة في القرآن الكريم جاء إلى شيخ فاضل عالم منكراً عليه دعوى المجاز ـ وكان ذلك السائل المنكر أعمى ـ فقال له الشيخ ما تقول في قوله تعالى ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾ الإسراء ٧٢ هل المراد بالعمى الحقيقة وهو عمى البصر، أم المراد به المجاز وهو عمى البصيرة؟ فبهت السائل وانقطعت حجته) ولم يكن هذا العالم الأعمى سوى الشيخ ابن باز[٢]!

التقية عند الحشوية[٣]

أدعياء السلفية المجسمة[٤]، يتصورون معبودهم جسماً له عينان ويدان

---

١ . مجلة الضياء، صفر ـ ربيع الأول ١٤٢٠هـ الصفحة الأخيرة، بعنوان المجاز عند الأئمة الأربعة، وقد وعد بالمواصلة في العدد الذي يليه.

٢ . لقد رد الشيخ على السائل بالشتم والأمر بإخراجه كما ذكرت ذلك مجلة منار الهدى البيروتية، عدد ٧٤، ذو الحجة ١٤١٩هـ.

٣ . منقول بتصرف يقتضيه السياق من كتاب «الوهابية والتوحيد» لعلي الكوراني العاملي، دار السيرة ـ بيروت، ص ٨٨

٤ . التجسيم هو حمل آيات صفات الباري المذكورة في القرآن والسنة على ظاهرها، ويحرم أتباع هذا المذهب المجاز التأويل والتفويض لأنه شر أقوال أهل البدع والإلحاد على حد تعبير ابن تيمية، فيفسرون آيات الصفات تفسيراً حسياً.

ورجلان وما سواه وأنه يفنى ما خلا وجهه[١]، ومع كل هذا يدعون أنهم ليسوا مجسمة وذلك لأنهم تصوروا بأنهم قد حلوا الإشكال بإضافتهم عبارة (كما يليق بجلاله) بعد كل تجسيم[٢]! ولكن أي جلال ذاك الذي أبقوه بعد أن جعلوا له أعضاء مادية، وجعلوه محدوداً بزمان ومكان وحركة وأنه يفنى ما عدا وجهه.

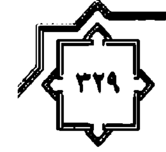
إنهم بنوا عقيدتهم على أساس هش ومغالطة تسمى في علم المنطق (قبول المقدمات ورفض النتيجة) وتسمى في علم الكلام (عدم الالتزام بلوازم المذهب) وفي لغة العصر (تبني التشبيه والتجسيم بدون اسمه) إنهم يستعملون مبدأ التقية في التصريح بصفات معبودهم، ويشنعون على الشيعة استعمالهم التقية في بعض أمورهم!

إن الباحث في توحيد الوهابيين يرى نفسه بين أمرين: إما أن يحكم على علمائهم بعدم الفهم، أو يحكم عليهم بأنهم يستعملون التقية في الإفصاح عن معبودهم، ولكنه يستبعد الحكم على علمائهم بعدم الفهم لأنه يرى أن ابن عبدالوهاب وبعض تلاميذه الماضين وبعض تلاميذه المعاصرين مثل ابن باز والألباني، وأسلافهم كابن تيمية ومجسمة الحنابلة، يعرفون معنى الحمل على الظاهر وما يستلزمه من تجسيم، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم أمام المسلمين بنفي اللوازم، بينما يظهر التجسيم في كلماتهم وما يسرُّونه للخاصة من أتباعهم!

---

١ . راجع مثلاً الألباني في فتاويه ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣ عندما قال (.. المهم أن ننزه الإمام البخاري أن يؤول هذه الآية، وهو إمام في الحديث وفي الصفات، وهو سلفي العقيدة والحمد لله) ويقصد بالآية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾!! مع أن الإمام البخاري قد تأول الوجه في الآية بالملك فقال: (إلا ملكه) (صحيح البخاري: كتاب التفسير/ الجزء الثالث/ باب تفسير سورة القصص)، وتأول (الضحك) الذي ورد في الحديث بالرحمة (فتح الباري ٦/ ٤٠).

٢ . ويقولون لا نصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه، ثم يقولون: استوى على العرش بذاته، فمن أي قرآن ومن أي سنة جاؤوا بلفظة (بذاته) هذه!!



مما يكتم تفسيره على حد قول ابن تيمية! أو بالقول إن ما ورد في القرآن والسنة هو نفي الند والمثل والكفء أما الشبيه فلم يرد فيه نفي فلا مانع من القول به لا عقلاً ولا شرعاً[1]!!

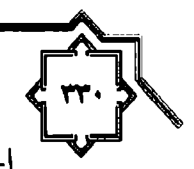
ويقول الذهبي ـ متأثراً بشيخه ابن تيمية ـ إن ذلك من (العلم المباح (الذي) لا يجب بثه، ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا خواص العلماء)[2] وهذا شبيه بالعلم الذي يحصره اليهود والنصارى برؤساء الاكليروس أي كبار الكرادلة والحاخامات!! ويقول في سيره ٢٠/ ٣٣١ (ومسألة النزول فالإيمان به واجب وترك الخوض في لوازمه أولى)اهـ. وكلمة (وتركه أولى) تعبير فقهي معناه أن التعبير به جائز ولكن الأحسن تركه، فهو ملتفت إلى أن لوازم مذهبه التجسيم وملتزم بها، ولكنه يفضل عدم الكلام فيها حتى لا يكون ممسكاً عليهم عند المنزهين!

وأما عوامهم فهم عوام أقحاح لا يعرفون إلا مدح مذهبهم بأنه مذهب التوحيد ومذهب السلف، ولا يعرفون معنى التأويل والتفويض والمجاز.

---

١ . يقول ابن تيمية في الرسالة التدمرية ص ٧٥: «فهؤلاء إذا أطلقوا على الصفاتية اسم التشبيه والتمثيل كان هذا بحسب اعتقادهم الذي ينازعهم فيه أولئك، ثم يقول لهم أولئك: هب أن هذا المعنى قد تسمى في اصطلاح بعض الناس تشبيها، فهذا المعنى لا ينفيه عقل ولا سمع، وإنما الواجب نفي ما نفته الأدلة الشرعية والعقلية، والقرآن قد نفى مسمى المثل والكفء والند ونحو ذلك، ولكن يقولون الصفة في لغة العرب ليست مثل الموصوف ولا كفؤه ولا نده، فلا يدخل في النص. وأما العقل: فلم ينف مسمى التشبيه في اصطلاح المعتزلة».

٢ . علي الكوراني، الوهابية والتوحيد ص ٧٩، ولم يحدد المصدر، ولعله تذكرة الحفاظ، ففي التذكرة ٤/ ١٣ ـ ١٤ وحتى في سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٦٣ بقي الذهبي يدافع عن بعض المجسمة الذين لحقهم الأذى بسبب إظهار التجسيم كعبدالغني الذي يسميه بالحافظ والذي أفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، لذا فهو يرى أن كتمان هذه العقائد عن العامة أولى.



وأما طلبتهم وأكثر خريجيهم فيتصورون أن حمل آيات الصفات على الظاهر الحسي هو مذهب جمهور الأمة وسلفها الصالح، لكثرة ما لقنوهم ذلك في كتبهم الدراسية ووسائل إعلامهم، ولا يكاد أحدهم يعرف معنى الحمل على الظاهر ولوازمه!

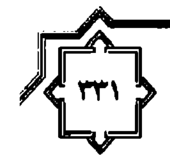
تقول لأحدهم: إن قول علمائك بأن الله تعالى جالس على عرشه، وأنه ينزل إلى الأرض كما نزل ابن تيمية عن درج المنبر في الشام[١]، يلزم منه تحديد الله تعالى بالمكان والزمان وصفات المكين والزمين! فيجيبك: كلا، لا يلزم من ذلك التشبيه والتجسيم! لأنه يجلس كما يليق بجلاله، وينزل كما يليق بجلاله...!! ويتصور هذا المسكين أنه إذا لقلق لسانه بقوله (كما يليق بجلاله) فقد حل المشكلة العلمية، ودحا باب خيبر!! فمثله كمثل الذي يأكل ويشرب في وضح النهار ثم يصر على أنه صائم لم يذق شيئاً! لأنه صام كما يليق بصيامه، وأكل كما يليق بجنابه! مع أنه لم يبقِ شيئاً حسناً يليق بجنابه.

ويدل النص التالي للسبكي أن التقية معروفة عند أسلاف الوهابيين، وأن بعض العلماء قد بيّن سببها: (قال الشيخ ابن عبدالسلام: والحشوية والمشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ضربان: أحدهما لا يتحاشى من إظهار الحشو ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ والآخر يتستر بمذهب السلف لسحت يأكله أو حطام يأخذه)[٢]

أقول: التقية عند مشائخ الحشوية يدركها من يقرأ كتب ابن القيم وأستاذه ابن تيمية فهما يغلفان مرادهما تغليفاً بألفاظ منمقة وعبارات مسهبة ومقدمات طويلة وما ذلك إلا للتضليل إذا ما وقعوا تحت طائلة المساءلة، وخصوصاً في

١ . أوردناها في التعريف بابن تيمية في الفصل الأول.

٢ . السبكي، طبقات الشافعية ٨/ ٢٢٢



مسائل التجسيم كأنهما يريدان أن يقولا شيئاً يخجلان منه، وهو سبيلهم لبقاء كتبهم التي لو علم الناس ما فيها من باطل لأحرقوها، وما فعلوا ذلك إلا بعد أن خبروا الناس ورأوا ردود أفعالهم، وهذا مذهبهم الباطل لم يلق أرضاً خصبة إلا في بلاد مسيلمة الكذاب، إن في ذلك لعبرة.

القول بقِدَم العالم والحدّ[1]

إن عقيدة الإسلام جاءت مبينة بأن الله تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ الذي تفرد وحده بالقِدم، يقول الرسول الكريم ﷺ كما في صحيح البخاري: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**» وفي رواية «**كان الله ولم يكن شيء معه**» وفي رواية «**كان الله ولم يكن شيء قبله**» وجاء أيضاً في صحيح الحديث «**إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم، وأمره أن يكتب كل شيء يكون**»[2]، وأئمة الإسلام نقلوا الإجماع على أن الله تعالى كان وحده في الأزل، ولم يكن معه شيء من المخلوقات، بل نقلوا الإجماع على كفر من خالف هذا، ووافقهم ابن حزم في مراتب الإجماع ص ١٦٧، وذكره الحافظ القاضي عياض في الشفاء وغيرهم، وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة، فما موقف الحشوية من هذا؟

إن الحشوية يرون غير هذا، **فهم يرون أن العالم قديم بنوعه**، ويقصدون بذلك تسلسل الحوادث إلى غير بداية، من غير أن يكون هنالك مخلوق قديم بعينه، أي معيَّة المخلوقات لله في الأزل بجنسها، دون أن يكون لابتدائها أول، وهذا عين ما يقول به ابن تيمية الحراني إمام الحشوية الأكبر، الذي يسمونه شيخ

---

١ . منقول بشيء من الاختصار من كتاب (التنبيه والرَّد على معتقد قِدم العالم والحدّ) تأليف حسن بن علي السَّقاف الشافعي ص ٦ ـ ١٤.

٢ . رواه أبو يعلى (٤/ ٢١٧) عن طريق ابن عباس وقال الشيخ حسين أسد (إسناده صحيح)



الإسلام، وقد قال القاضي عياض في الشفا (٢/ ٦٠٦): (نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب الفلاسفة والدهرية).

وسننقل هنا النصوص والأقوال التي صرح فيها ابن تيمية بقدم العالم بالنوع:

١ ـ قال ابن تيمية في كتابه (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)، المطبوع على هامش (منهاج السنة) (٢/ ٧٥)وكذا في درء تعارض العقل له (٢/ ١٤٨) ما نصه: (وأما أكثر أهل الحديث[1] ومن وافقهم **لا يجعلون النوع حادثاً بل قديماً**، ويفرقون بين حدوث النوع، وحدوث الفرد من أفراده، كما يفرق جمهور العقلاء بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه).

٢ ـ وقال في منهاج السنة (١/ ١٠٩)ما نصه: (فيمتنع كون شيء من العالم أزليا، **وإن جاز أن يكون نوع الحوادث دائماً لم يزل**)

٣ ـ وقال في الموافقة (١/ ٢٤٥) ما نصه: (قلت: هذا من نمط الذي قبله، **فإن الأزلي اللازم هو نوع الحادث لا عين الحادث**)[2]

٤ ـ وذكر ابن تيمية في كتابه شرح حديث عمران بن حصين صحيفة ١٩٣ ما نصه: (وإن قدِّر أن نوعها لم يزل معه **فهذه المعيَّة لم ينفها شرع ولا عقل**[3] بل هي من كماله)

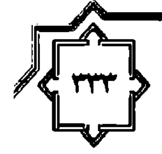
٥ ـ وانظر أيضاً في كتابه (نقد مراتب الإجماع) صحيفة ١٦٧ ـ ١٦٨ بعد أن أورد ابن حزم باباً بعنوان: (**باب من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه**

---

١ . يقول الشيخ السقَّاف: قوله (أكثر أهل الحديث) افتراء منه عليهم، لأن أهل الحديث وغيرهم من علماء المسلمين يُكَفِّرون من قال بِقدم العالم إجماعا، سواء بنوعه أو بأفراده.

٢ . سبحان الله، كيف يكون أزلياً وحادثاً في آن معا!! تعالى الله عن قول أهل الأهواء.

٣ . وأين ذهب قوله ﷺ «كان الله ولم يكن شيء معه» وإجماع العقلاء على ذلك؟!



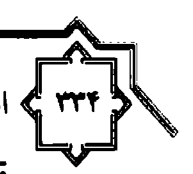
بإجماع ـ ثم قال ابن حزم فيه: اتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره، وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء، وأن النفس مخلوقة، والعرش مخلوق، والعالم كله مخلوق) فقال ابن تيمية متعقبا، ناقضاً ناقداً لهذا الكلام الذي أجمعت الأمة عليه، وأجمعت على كفر من خالفه ما نصه: **(وأعجب من ذلك حكايته ـ أي ابن حزم ـ الإجماع على كفر من نازع أنه سبحانه لم يزل وحده ولا شيء غيره معه)** اهـ كلامه.

وقد أجاب على معتقد قدم العالم أربعة من فحول علماء الأمة القاضي عياض والإمام الحافظ ابن دقيق العيد والإمام الحافظ الحجة زين الدين العراقي والإمام المحدث محمد زاهد الكوثري، وقد نقل ابن حجر في فتح الباري ذلك فاجتمع قول الثلاثة الأُول في موضع واحد حيث قال: (قال شيخنا ـ أي العراقي ـ في شرح الترمذي: الصحيح في تكفير منكر الإجماع تقييده بإنكار ما يعلم وجوبه من الدين بالضرورة كالصلوات الخمس، ومنهم من عبر بإنكار ما علم وجوبه بالتواتر، **ومنه القول بحدوث العالم، وقد حكى القاضي عياض وغيره الإجماع على تكفير من يقول بقدم العالم، وقال ابن دقيق العيد: وقع هنا من يدعي الحذق في المعقولات ويميل إلى الفلسفة[1] فظن أن المخالف في حدوث العالم لا يكفر لأنه من قبيل مخالفة الإجماع، وتمسك بقولنا إن منكر الإجماع لا يكفر على الإطلاق، حتى يثبت النقل بذلك متواتراً من صاحب الشرع، قال: وهو تمسك ساقط إما عن عمى في البصيرة أو تعام، لأن حدوث العالم من قبيل ما اجتمع فيه الإجماع والتواتر بالنقل)**[2] اهـ. وأما الرابع الذي أجاب ابن تيمية على تعجبه

---

١ . أي ابن تيمية المعاصر له الذي أظهر ذلك كما يقول ذلك الذهبي أيضا، والمنكر لهذا مكابر.

٢ . ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ٢٠٢



السالف الذي نقلناه فهو الإمام المحدث محمد زاهد بن حسن الكوثري حيث قال معلقاً على كلام ابن تيمية في نقد مراتب الإجماع ص ١٦٨ ما نصه: (لا عجب في القول بإجماع الأمة على كفر من أثبت خالقاً سواه تعالى بالمعنى الذي سبق، ولا في إكفار من ينكر أنه سبحانه لم يزل وحده ولا شيء معه، وإنما العجب كل العجب اجتراء ابن تيمية هنا على القول بحوادث لا أول لها، والقول بالقدم النوعي في العالم، وبقيام الحوادث به سبحانه متعامياً عن حجة إبراهيم عليه السلام المذكورة في القرآن الكريم، ومنكراً لما يعزوه لصحيح البخاري «**كان الله ولا شيء معه**» مع أنه هو القائل ـ ابن تيمية ـ بأن ما في الصحيحين يفيد العلم، يعني اليقين؛ إجراء له مجرى الخبر المتواتر، ومخالفاً للإجماع اليقيني في ذلك، وأنى يُتصور قدم للنوع الذي لا وجود له... وعدم تناهي ما يدخل بالفعل تحت الوجود لا يتصوره إلا عقل عليل!!!)اهـ.

هذا هو ابن تيمية، الأب الروحي للحشوية، والذي يقول أيضاً بالحدِّ في ذات الله تعالى أيضا، ويثبت له المكان، ويثبت أن هذا المكان محدود بالعرش، ويصرح بجلوس الرَّب عليه كما في كتابه العرش، وكتاب الموافقة (٢/ ٢٩) وغيره، وتابعه على ذلك تلميذه الوفي ابن القيم في بدائع الفوائد (٤/ ٣٩ ـ ٤٠) مع أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ويقول سبحانه ﴿وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ وفي صحيح مسلم يقول الرسول الكريم ﷺ في دعائه «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء.. وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**» فالذي لاشيء فوقه ولا شيء دونه لا حدَّ له. هذه هي العقيدة الحشوية في أبهى صورها، و لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



كتاب السنة المفترى

كثيراً ما تسمع خوارج العصر ينصحون الناس بقراءة كتاب يسمونه (كتاب السنَّة) وينسبونه لعبدالله بن أحمد بن حنبل، بينما العلماء المحققون من الأمة يجزمون بعدم صحة الإسناد إليه، لأن فيه راوياً مجهولا وفيه من العظائم الكثير الكثير نذكر منها التالي، وكلها تتحدث بصورة قبيحة عن الذات العلية:

أ ـ قال ص٥: (فهل يكون الاستواء إلا بالجلوس). ومع هذا يدَّعون بأنهم لا يصفون الله إلا بما وصف به نفسه؛ فأين وجدوا صفة الجلوس (جَلَسَ ومشتقاتها) في كتاب الله؟!

ب ـ قال ص٣٥: (رآه على كرسي من ذهب، يحمله أربعة: ملك في صورة رجل، وملك في صورة أسد، وملك في صورة ثور، وملك في صورة نسر، في روضة خضراء دونه فراش من ذهب). ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾!

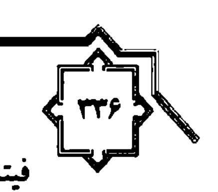
ت ـ قال ص٤٨: (ثم يأتيهم بعد ذلك يمشي).

ث ـ قال ص٦٧: (كتب الله التوراة لموسى بيده، وهو مسند ظهره إلى الصخرة في الألواح من در، يسمع صرير القلم، ليس بينه وبينه إلا الحجاب). ووالله لكأنهم يتلقون عقيدتهم عن اليهود شفاهية!

ج ـ قال ص٦٨: (إن الله لم يمس بيده إلا آدم، خلقه بيده، والجنة، والتوراة كتبها بيده، ودملج الله لؤلؤة بيده فغرس فيها قضيباً فقال: امتدي حتى أرضي، وأخرجي ما فيك بإذني، فأخرجت الأنهار والثمار).

ح ـ قال ص٧٠: (إذا جلس الرب على الكرسي سمُع له أطيط كأطيط الرَّحل الجديد).

خ ـ قال ص٧١: (إنه ليقعد على الكرسي فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع)..



د ـ قال ص٧٧: (ينـزل الله في ظل من الغمام، مـن العـرش إلى الكـرسي... فيتمثل الرَّب فيأتيهم... والرَّب أمامهم حتى يمر)[1].

ذ ـ قال ص١٤٩: (أبدى عن بعضه).

ر ـ قال ص١٤٩: (وأوحى إلى الجبال أني نازل على جبـل منـك، فتطاولـت الجبال، وتواضع طور سيناء وقـال: إن قُـدر لي شيءٌ فـسيأتيني، فـأوحى الله أني نازل عليك لتواضعك، ورضاك بقدري).

ز ـ قال ص١٥٦: (فأصبح ربك يطوف في الأرض)[2].

س ـ قال ص١٦٤: (ويده الأخرى خلو ليس فيها شيء).

ش ـ قال ص ١٦٥: (يمس بعضه).

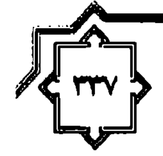
ص ـ قال ص١٦٧: (حتى يضع بعضه على بعض.. وحتى يأخذ بقدمه).

ض ـ قال ص١٨٢: (إن لجهـنم سـبع قنـاطر، والـصراط علـيهن، والله في الرابعة منهن، فيمر الخلائق على الله عز وجل وهو في القنطرة الرابعة).

---

١ . بل إن ابن القيم يذكر في (اجتماع الجيوش الإسلامية) ص (١٠٩) تحقيق عواد المعتق، وفي طبعـة دار الكتب العلمية (ص٥٥) يقول: (وله في كل سماء كرسي، فإذا نـزل إلى الـسماء الـدنيا جلـس على كرسيه ثم يقول من ذا.. فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه)!! وقبل هذا استدل من غير إنكار بقصة الـشفاعة الواهيـة (.. فـآتي ربي عـزَّ وجـل فأجـده عـلى كرسـيه أو سريـره جالساً)!! ولم يفت ابن القيم أن يبارك عقيدة الهندوس فـذكر حـديث (أكرمـوا البقـر) في كتابـه هذا! ثم بعد هذا يقول الوهابية أتباع الشيخ بأنهم ليسوا مجسِّمة! حاشاكم!

٢ . وهو مما تبناه ابن قيم الجوزية أيضاً في زاد المعاد (٣/ ٦٤) (شركة مكتبة ومطبعة مـصطفى البـابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٠هــ وفي طبعـة الأرنـاؤوط المجلـد الثالـث ص ٦٧٤ سـطر ١٨) حيث ذكره في وفد بني المنتفق (.. فأصبح ربك يطوف في الأرض وخلت عليه الـبلاد) ثـم قـال (٣/ ٦٦): (هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنـه خـرج مـن مـشكاة النبوة..)!! وكان قصارى جهد الحشوية اليوم أن حكموا على الرواية بالضعف ولو قـالوا الحـق لوجب عليهم أن يعترفوا بأنه باطل موضوع منقول عن التلمود، ومشكاة النبوة بريئـة مـن هـذا التجسيم والباطل الشنيع.



فأنت عزيزي القاريء رأيت من قبل ما في كتاب سعيد الدارمي من الكذب؛ وقد رأيت الآن ما في هذا الكتاب المنسوب إلى عبدالله بن الإمام أحمد أليس هذا من الكذب على الأمة والافتراء على العلماء؟!

هذا ويروِّج الحشوية لكثير من الكتب البائرة لأرباب نحلتهم المجسمة ككتب القاضي أبي يعلى وكتب الشيخ الحراني وأذياله كابن القيم وشارح الطحاوية... وغيرهم كثير من أمثال هذه المسائل التي نستغفر الله من كتابتها، فضلاً من أن ندين لله بها، والتي هي ببساطة ترديد لمعتقدات اليهود[1].

أقول: العجب أن الوهابية استطاعوا تمرير كثير من هذه المعتقدات الفاسدة لبعض الحركات الإسلامية، وأحسب أن سبب اغترار كثير من هؤلاء بالحشوية سماع تشدقهم بالحديث وجرأتهم بالحكم عليه فاعتقدوا أنه لن يأتيهم من قبلهم إلا السلسبيل العذب، بينما الحقيقة ما نقلناه بهذا الكتاب موثقاً من فساد عقيدة هؤلاء وقلّة بضاعتهم.

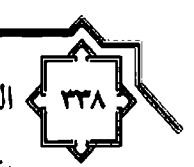
الحشوية والعقيدة الطحاوية[2]

متن الطحاوية في التوحيد للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي ذاع صيتها بين مذاهب السنَّة وتناولها أحد عشر عالماً من الأحناف بالشرح، وتداولها الناس، فما كان من أحد الحشوية ـ واسمه علي بن علي بن محمد بن محمد[3] بن صالح بن أبي العز ـ بعد أن رأى هذا الإقبال إلا أن هجم على المتن فاعتدى عليه فزيَّف بعض كلام الإمام الطحاوي، وشرحه حسب أهواء الحشوية، وأدخل بها عقيدة

١ . هذا المقال نقل عن بعض مؤلفات الشيخ سعيد القنوبي مع بعض التصرف.

٢ . مختصر من كتاب التنديد بمن عدد التوحيد للشيخ حسن بن علي السقاف.

٣ . هكذا اسمه بهذا التكرار، وقد توفي سنة ٧٩٢هـ.



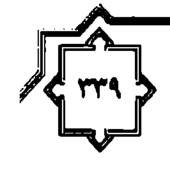
التجسيم، ظاهراً بثوب الدعوة إلى مذهب السلف الصالح، وهو في الحقيقة لا ينقل إلا من كتب الشيخ الحراني كمنهاج السنة وموافقة صريح المعقول، فخالف حقيقة صريح الكتاب والسنة والإجماع وما قاله الإمام الطحاوي من عقيدة أهل السنة. وقد اهتم المجسمة في هذا العصر بشرح ابن أبي العز فقام بتحقيقه وتخريج أحاديثه الشيخ المتناقض الألباني واهتم بتوضيحه ونشره تلميذه زهير الشاويش[1]، وطبعوها عدَّة طبعات ووزعوها على أهل المذاهب الأربعة أملاً في أن تكون هذه العقيدة الجديدة المجسِّمة هي عقيدة أهل السنَّة، فماذا تجد بهذا الشرح:

أولاً: عقائد فاسدة، وأمثلتها:

إثبات قدم العالم بالنوع وتسلسل الحوادث من غير أن يكون لها أول. يقول ابن أبي العز في صفحة (ص ١٢٩): (فالحاصل أن نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا؟ أو في المستقبل فقط؟ أو الماضي فقط؟ فيه ثلاثة أقوال معروفة لأهل النظر من المسلمين وغيرهم: أضعفها قول من يقول: لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل، كقول جهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف. وثانيها قول من يقول: يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي، كقول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم. والثالث: قول من يقول: يمكن دوامها في الماضي والمستقبل كما يقوله أئمة الحديث)اهـ. فانظر كيف ينسب الحشوية الكفر الصريح إلى أئمة الحديث، فيدَّعي ابن أبي العز إنهم يقولون إنّ الحوادث وهي المخلوقات يمكن أن تكون دائمة في الماضي، معناه قديمة النوع حادثة الأفراد وأهل الحديث براء من ذلك بلا شك، وقد نص

---

١ . والمعتمد هنا في النقل على الطبعة الثامنة، الصادرة عن المكتب الإسلامي بتحقيق الألباني.



القرآن الكريم على بطلان ذلك في آيات كثيرة كما لا يخفى ومنها قوله سبحانه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾، وكذا السنة المطهرة نص فيها سيدنا رسول الله ﷺ على بطلان ذلك، ففي البخاري: «كان الله ولم يكن شيء غيره».

إثبات الحرف والصوت لكلامه سبحانه، يقول (ص١٩٦): (وهو يتكلم بصوت يسمع) وقد بيّن هذا الصوت ابن تيمية بأنه يشبه صوت الرعد (موافقة صريح المعقول المطبوع على هامش منهاج السنة ٢/ ١٥١)!!

قيام الحوادث بذاته سبحانه. فهو يمشي ويسلم على الناس!! يقول (ص ١٧٧): (فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم أن تكون الحوادث قامت به، قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى من الأئمة؟) واستدل لهذه العقيدة الفاسدة بحديث موضوع سنناقشه لا حقاً، وهو (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع نور).

إثبات الحدِّ لذاته تعالى. قال (ص ٢١٩): (فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في الأمر أصلاً، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته) وهذا ضلال وزيغ لأن عقله المريض أجرى أحكام الأجسام على الذات العلية، وقد ردَّ هذا الباطل الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٥/ ١١٤) حيث بيَّن أن قول المجسمة هذا نازل ساقط لا عبرة به فقال: (لا نسلم أن القول بعدم الحدّ يفضي إلى مساواته بالمعدوم بعد تحقق وجوده)اهـ. وقال الإمام أبو منصور البغدادي في كتابه الفرق (٣٣٢): (إن أهل السنة اتفقوا على نفي النهاية والحد عن صانع العالم خلافاً للهشامية والكرامية المجسمة)اهـ. هذا ومن المعلوم أن ابن تيمية يكفِّر من لا يقول بالحدّ حيث يقول في (موافقة صريح المعقول ٢/ ٢٩): (فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد، ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد بآياته)!! فيكون بذلك المسلمون ومعهم تلميذه الذهبي

كفاراً لأنهم لا يؤمنون بمسألة الحدّ، يقول الذهبي في (ميزان الاعتدال) (٣/ ٥٠٧): (إن الاشتغال بمسألة الحد اشتغال بفضول الكلام) ويقول في (سير أعلام النبلاء) (١٦/ ٢٧): (وتعالى الله أن يحدَّ أو يوصف إلا بما وصف به نفسه..)

يثبت ابن أبي العز الجهة لله عز وجل ويقاتل من أجلها، حيث قال في صفحة (٢٢١) من شرح الطحاوية: (وأما لفظ الجهة، فقد يراد به موجود، وقد يراد به معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق)اهـ. وهذا الروغان هو أسلوب الحشوية كما رأيت أخي القارئ في أسلوب ابن القيم ساعة أن أراد أن يقول بفناء النار! وانظر إلى ابن أبي العز كيف قاس الخالق بالمخلوق، ومعنى كلامه: أي كما أن المخلوق في جهة فكذا الخالق في جهة بجامع الوجود لكل منهما، ولا شك أن هذا قياس وثني فاسد قطعاً. ثم قال ابن أبي العز في نفس الصفحة: (وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح)اهـ. فقد قرر بأن الله تعالى في جهة ما فوق العالم، وقد سماه بالمكان العدمي أو بالأمر العدمي!! أليس من الغرابة بعد هذا أن يكون لمعبوده مكان يشار إليه بالإصبع كما في حديث الجارية الذي يتشدقون به ثم كيف يكون هذا المكان عدما؟ وهل يشار إلى العدم؟! ومن العجب أن ابن أبي العز خلال هذيانه زاد في نغمة طنبوره فقال في صفحة (٢٢١): أن الجهات لا نهاية لها. اهـ ومعنى ذلك أنه لا حدّ لها، فجعل للخالق حداً ونـزَّه المخلوق عن الحد فسبحان قاسم العقول الوهاب!!

ويصرح بدنو المولى من بعض أجزاء العالم!! قال في صفحة (٢٨٢): (فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سماواته؟ أو يدني إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفى ذلك لم يقدّره حق قدره)اهـ!!



١ ـ ويصرح بالنـزول كل ليلة إلى السماء الدنيا[1]، يقـول في صـفحة (٢٨٦): (الثاني عشر: التصريح بنـزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا، والنـزول المعقـول عنـد جميع الأمم من علو إلى سفل، الثالث عشر: الإشارة إليه حساً إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه)اهـ. وأين ذهب بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَا تُبْصِرُونَ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، ومن الحديث «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**» رواه مسلم وقوله أيضا: «**اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الأهل**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. وقد أول الإمام مالك النـزول في الحديث بنـزول أمره فقال: «**يتنـزل ربنا تبارك وتعالى أمرُهُ، فأما هو فدائم لا يزول**»[2].

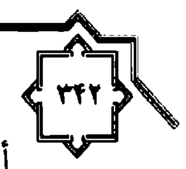
ثانياً: الافتراء، حيث يوهم الشارح والمحقق أن هذه العقيـدة الفاسـدة هـي عقيدة الإمام الطحاوي التي يقول فيها ابن أبي العـز صـفحة (١٣٣): (والقـول بأن الحوادث لها أول، يلزم منه التعطيل قبل ذلك وأن الله سبحانه وتعالى لم يـزل غير فاعل ثم صار فاعلاً)اهـ وهذا هذيان ما بعده هـذيان يـرده صريـح القـرآن القائل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ والحديث المصرح «**كان الله ولم يكن شيء معه**» وروايـة «**ولم يكن شيء غيره**».

ولو خجل ابن أبي العز لما جعل ذلك في الكتاب مع متن الإمـام الطحـاوي القائل في صفحة ٢٣٨: (وتعالى الله عن الحدود والغايات والأركـان والأعـضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الـست كـسائر المبـدعات)اهــ. أقـول: ألا يخجـل الألباني والشاويش من وضع أسمائهما على فضيحة كهذه!

---

١ . وليل أي دولة هذا؟ فالليل لا ينـزاح عن الكرة الأرضية!

٢ . يراجع ابن عبدالبر، التمهيد، ٧/ ١٤٣، والحافظ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨/ ١٠٥.



ثالثاً: الاستشهاد بالموضوعات[1] في إثبات العقيدة: ومن ذلك استشهاد ابن أبي العز بالحديث الموضوع: (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع نور، فرفعوا أبصارهم، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال السلام عليكم..) وفي إسناده أبو عاصم العبّاداني واسمه عبدالله بن عبيدالله، قال عنه الذهبي في الميزان (٢/ ٤٥٨/ ٤٤٣٧): (واهٍ)، وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٣/ ٣١٤): (وأورد له العقيلي عن روايته عن الفضل الرقاشي عن ابن المنكدر عن جابر: (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع نور) الحديث، وقال: لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به)اهـ. وانظر الضعفاء الكبير للعقيلي (٢/ ٢٧٤)، وأما الفضل الرقاشي الذي يروي عنه أبو عاصم فهو منكر الحديث كما قال الحافظ في التقريب برقم (٥٤١٣) وفي الكامل في الضعفاء لابن عدي (٦/ ٢٠٣٩): (قال البخاري عن ابن عيينة ليس أهلا أن يروى عنه)اهـ[2]. فانظر كيف يستدل الحشوية على عقيدتهم بالموضوعات!!

هذا هو ابن أبي العز، وهذه عقيدته التي يعتمدها الوهابية ويوزعونها على الناس، فهل من غرابة أن يقول فيه بعد هذا العلامة علي القاري الحنفي في شرح الفقه الأكبر ص (١٧٢) بأنه: (صاحب مذهب باطل، تابع لطائفة من المبتدعة).

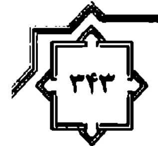
من فضائح كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب

الشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدي ذكر عن أخيه محمد بأنه ليس أهلاً

---

١ . قام الوهابية بتكليف الشيخ شعيب الأرناؤوط ود. عبدالله التركي ود. علي فقيهي ود. أحمد الغامدي وصالح بن عبدالرحمن بمهمة الستر على طامات ابن أبي العز، فقام هؤلاء بحذف الكثير من الأحاديث الموضوعة من كتابه وأخرجوه للناس تحت اسم (مهذب شرح العقيدة الطحاوية) فخرجت الطبعة الأولى عن دار ابن رجب بالمدينة المنورة سنة ١٤١٣هـ.

٢ . حسن السقاف، التنديد بمن عدد التوحيد، ص٥٩.



للاجتهاد بل ولم يصل عشرَ الأهلية، ولنبرهن على ذلك فسنأخذ مثالاً من كتاب من كتب الشيخ محمد، فإن لسان المرء مقياس عقله؛ وما يكتبه هو حصيلة فكره، والكتاب هو (**كتاب التوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد**) للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذا الكتاب له تقديس خاصٌ عند الحشوية؛ يقدسونه ويوزعونه بالمجان، وهو كُتيب إذا قرأته فلن تجد فيه تجديداً يستأهل هذا الاهتمام، بل لا أظنك تتصور أنَّ كتاباً هذا عنوانه قد يحوي أحاديث ضعيفة، لأنه كتاب عقيدة؛ وكتب العقيدة يجب أن تنزَّه عن الأحاديث الضعيفة؛ فأقول لك هوِّن عليك يا أخي فالشيخ القدوة المجدد!! لا يستدل بالأحاديث الضعيفة فحسب بل وبالموضوعة كذلك في أمور العقيدة، ويهِم فيه أوهاماً كثيرة؛ فيزيد في الأحاديث من عنده؛ وينسب الحديث إلى غير مصادره وإليك الأمثلة:

(١) في باب: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ أورد في تفسير هذه الآية قصة تقدح في عصمة أبينا آدم عليه السلام وترميه وأمنا حواء بالشرك؛ وهي قصة واهية، ذكر أنه رواها ابن أبي حاتم عن ابن عباس، يعلم بطلانها صغار الطلبة النافرين للتفقه في الدين؛ فقال: (لما تغشاها آدم حمَلَت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلنَّ له قرنيَ أيِّل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن ـ يخوفهما ـ سمِياه عبدالحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله: فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حبُّ الولد، فسمياه عبدالحارث فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾).

وأبلغ ردٍّ على شيخ الوهابية يأتي من ألسنة أهل تقديسهم من العلماء؛ فهذا ابن كثير يقول في تفسيره (٢/ ٢٨٧): (**هذه الآثار متلقاة عن أهل الكتاب**[١])!!

---

١ . العجب من ذرية ابن عبدالوهاب ودفاعهم عن أبيهم بالباطل؛ فبعد أن اطلع الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) على قول ابن كثير هذا وتعليله لضعف

←

وهذا ابن حزم يقول في (الفِصَل في الملل والأهواء والنحل): «**وهذا الذي نسبوه إلى آدم من أنه سمى ابنه عبدالحارث خرافة موضوعة مكذوبة... ولم يصح سندها قط، وإنما نزلت الآية في المشركين على ظاهرها**».

ونحن نعلم أن ابن عبدالوهاب مغرور يظن نفسه عالما وقد نفخ فيه ذلك طبعه أولا، وأساتذته المستشرقون ثانياً؛ حيث أرادوا منه أن يكون حربة يشوهون بها الإسلام، وشاغلاً للمسلمين عن جهاد اليهود والنصارى بفقهه الهزيل الأعوج، وفقه قومه خوارج نجد ـ فيشتغل المسلمون بأنفسهم ويستبدلون ذروة سنام الإسلام بدعوى الشرك وعبادة القبور ومحاربتها رغم أن الرسول الكريم قد نص بأن الشيطان أيس أن يعبده المسلمون ـ وإلا فإن الشرك لا يجوز اعتقاده في الأنبياء عليهم السلام ولا يقع منهم على أي حال، فهم مبرأون منه باتفاق الأمة، والقصة قد ردّها علماء الأمة، وهي كما قال عنها الإمام القرطبي في تفسيره (**لا يعوّل عليها من كان له قلب**)[1] ولكن لا أظن أن ابن عبدالوهاب وجد الوقت ليقرأ هذا! فكيف لكُتَيِّب كهذا يحمل مثل هذا الخطأ الفاحش أن يسمى بكتاب التوحيد؟.

الرواية بثلاث علل (تفسير ابن كثير ٢/ ٢٨٦)، فقال الشيخ عبدالرحمن بعد كل هذا: (وهذا بعيد جداً) هكذا ومن غير دليل!! (فتح المجيد ص ٤٥٤) فيرضى برمي الأنبياء بالشرك، ويرد أقوال العلماء من غير دليل حتى يسلم جدّه من الخطأ!! هذا ويجب أن يُعلم أن ما أخرجه الترمذي (٣٠٧٧) وأحمد (٥/ ١١) والحاكم (٢/ ٥٤٥) والطبري (١٥٥١٣) والديلمي ٥٣٠٨) عن الحسن عن سمرة مرفوعاً هي رواية ضعيفة أنكرها الذهبي في الميزان، فالحسن أحد رواة الحديث مدلس عنعن روايته، وهو لم يسمع من قتادة إلا حديث العقيقة وهو ما عليه الجمهور، وقد صحّ عنه غير هذا في تفسير الآية وفيها عمر بن إبراهيم البصري قال عنه ابن عدي: (يروي عن قتادة ما لا يوافق عليه) وقد روى هذا عن قتادة، وقال عنه أبو حاتم: (لا يحتج به) وقال عنه أحمد: (له مناكير)..

١ . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة الأعراف، آية ١٩٠.



فهذا الخبر خرافة موضوعة مكذوبة في كتاب العقيدة هذا!

(٢) فهل من الغرابة على من يلمز الأنبياء بالشرك أن يلمز بعد ذلك العلماء، كما فعل محمد بن عبدالوهاب في كُتيبه هذا مع الشيخ البوصيري في باب قول: ما شاء الله وشئت، وذلك لأنه قال في قصيدته العظيمة البردة مخاطباً الرسول الكريم:

يا سيد الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

ولو كان الشيخ فقيها لعلم أن هذا ليس بشرك إلا في فقه الخوارج الأعوج، فقد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن الناس يوم القيامة يتدافعون إلى الأنبياء عليهم السلام ليشفعوا لهم، فيتدافعها الأنبياء إلى رسول الله محمد ﷺ فيتقدم فيقال له «**اشفع تشفَّع وسل تعطه**» رواه أغلب أهل الحديث عن عدد من الصحابة، فهل يكون البوصيري الفقيه مشركاً بقوله إنه ليس له من يلوذ به يوم القيامة إلا رسول الله ﷺ؟!

فهذا حكم باطل بالشرك على عالم مسلم في كتاب العقيدة هذا!

(٣) في (باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ..﴾) استدل محمد بن عبدالوهاب بالرواية التالية عن أبي ذر: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**» لفظ (من الأرض) زيادة من الشيخ حيث أنه يميل للزيادة في الروايات!

(٤) والحديث أخرجه الطبري ٥٧٩٥ عن ابن زيد وهو واهٍ، وأخرجه البيهقي في الصفات ص ٤٠٤ وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٨) وفيه يحيى بن سعيد القرشي السعدي ذكره ابن حبان في المجروحين (٣/ ١٢٩) وقال: (شيخ يروي عن ابن جريج المقلوبات، وعن غيره من الثقات الملزقات، لا يحل الاحتجاج به إذا انفرد)، وقال العقيلي: لا يتابع على هذا الحديث، يراجع الميزان.



(٥) ويكفي دليلاً على بطلان هذه الرواية أنَّ فيها الكذَّاب إبراهيم ابن هشام بن يحيى الغسَّاني الذي بيَّن كذبه ابن أبي حاتم بما لا يدع مجالاً للارتياب ثم ختم قوله بالتالي (.. وهو كذَّاب)، وقال علي بن الحسين بن الجنيد (صدق أبو حاتم ينبغي ألا يحدَّث عنه)، وقال أبو زرعة (كذّاب)، وقال الذهبي (إبراهيم هذا متروك)

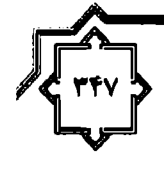
راجع لسان الميزان للذهبي ١/ ١٢٢ رقم ٣٧٢، والجرح والتعديل ٢/ ١٤٢ رقم ٤٦٩.

ولهذا لم يجد الشيخ شعيب الأرناؤوط مندوحة من أن يقول في هذا الحديث: إسناده ضعيف جداً. والحق كما ترى أن: **الحديث موضوع**

(٦) وفي باب (من الشرك أن يستغيث بغير الله..) استعان بما رواه الطبراني من طريق ابن لهيعة: (أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي: **إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**) وهو حديث باطل من تخليطات ابن لهيعة اضطرب في متنه فأخرجه أحمد (٥/ ٣١٧) من طريقه عن رجل سمع عبادة بن الصامت وفي عجزه (إنه لا يقام لي. إنما يقام لله تعالى) ومتى كان الصحابة ضعفاء أمام المنافقين يستغيثون منهم؟![١]

(٧) وفي باب: (من الشرك لبس الحلقة والخيط...) استدلَّ بحديث (من

١ . كيف لا يطلب الغوث والعون والنصر من النبي ﷺ وهو حي، مع أن إمامهم ابن تيمية يقول في التوسل والوسيلة ص ١٤٥: (وقد مضت السنة أن الحيّ يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه)! واستناد الشيخ إلى مثل هذه الروايات الباطلة هو دليله لاستحلال دماء الموحدين، وقد بوَّب باباً كاملاً في كتابه هذا بعنوان (ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) ليكون ذلك مستنده في إباحة دماء المسلمين فليتنبّه!



تعلّق بتميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعةٍ فلا ودع الله له)[1] وهذا الحديث فيه (مشرح بن عاهان) الذي قال فيه ابن حبان (يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليها) وهذا الحديث قد رواه عن عقبة!! قال السيوطي في الحديث (ضعيف)[2]

(٨) وقد اعتمد الشيخ في (باب التنجيم) من كتابه على حديث رواه أحمد وابن حبان وفي إسناده (أبو حريز)، وهو (منكر الحديث) كما قال عنه أحمد بن حنبل، وقال النسائي (ضعيف)، وليته اطلع على أحاديث صحيحة ليستدل بها في هذا الباب!

(٩) وفي باب: (ما جاء في الرقى والتمائم) أورد حديث (من تعلّق شيئاً وكل إليه) وفيه (ابن أبي ليلى) عند أحمد وقد قال فيه نفسه: (سيء الحفظ مضطرب الحديث)، وقال شعبة: (ما رأيت أحداً أسوأ حفظاً منه)، وقال يحيى بن معين: (ليس بذاك)، وقد ضعّفه يحيى بن سعيد القطّان.

أما رواية النسائي ففيها (عبّاد بن ميسرة المنقري) قال فيه أحمد بن حنبل (ضعيف)، وقال أبو داود (ليس بالقوي).

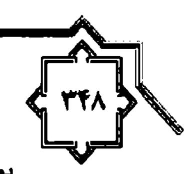
(١٠) وفي نفس الباب أيضا: أورد حديث (يارويفع لعل الحياة تطول بك... الخ)[3] والحديث فيه (شيبان القتباني وهو مجهول) وفي الرواية الأخرى (ابن لهيعة) الذي قال فيه ابن مهدي (ما أعتد بشيء سمعته من حديثه)، وقال أحمد (ما حديثه بحجّة وإني أكتبه أعتبر به) وقال يحيى بن معين (في حديثه كله ليس بشيء)، وفي رواية النسائي رجل مبهم حيث قال في الإسناد (وذكر آخر قبله)!

---

١ . رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني.

٢ . جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير، المجلد السادس، حديث رقم (٨٨٥٨).

٣ . رواه النسائي وأبو داود وأحمد.



(١١) وفي باب (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) استعان بحديث (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) وهو حديث ضعيف أخرجه أبو داود (١٦٧١) والديلمي (٧٩٨٦) كلاهما من حديث جابر، قال في المهذب: فيه سليمان بن معاذ قال يحيى: ليس بشيء، وقال عبدالحق وابن القطان: ضعيف. وقد ضعفه حتى الألباني (المشكاة ١٩٤٤).

(١٢) وفي باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ..﴾ ذكر الرواية التالية «**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم! قال: بينهما مسيرة خمسمائة عام، ومن مسيرة سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر. بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين وركهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه ما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى علمه[1] فوق ذلك، وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء**»[2].

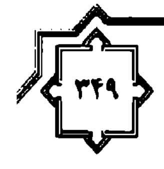
وإليك تجريح أهل الحديث في رواة هذا الحديث:

ـ يحيى بن العلاء. قال عنه وكيع بن الجراح (يكذب)، وقال عنه أحمد بن حنبل (كذاب يضع الحديث) ومن عجب أن يروي عنه أحمد بعد ذاك! وقال عنه

---

١ . يفهم الحشوية من هذا الحديث وأمثاله التجسيم وحد الله سبحانه وتعالى في جهة بينما اللفظ لا يشير إلى ذلك من قريب أو بعيد بل ينص على أن علم الله سبحانه فوق ذلك (علمه فوق ذلك).

٢ . أخرجه أحمد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية وابن أبي الدنيا في كتاب المطر وابن أبي عاصم في السنة وأبو يعلى وابن خزيمة في التوحيد وابن أبي حاتم وأبو أحمد والحاكم في الكنى والطبراني في الكبير وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه!! واللالكائي في السنة والبيهقي في الأسماء والصفات عن العباس بن عبدالمطلب، ومداره على سماك بن حرب.



يحيى بن معين (ليس بثقة)، وقال عمرو بن الفلاس والبخاري (متروك الحديث) وقال إبراهيم الجوهري (شيخ واهٍ) راجع مثلاً الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ١٩٨) برقم (٢١٠٤) و (الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث) (ص ٢٨٠) برقم (٨٤٠).

- سماك بن حرب. قال عنه عبدالله بن المبارك (ضعيف الحديث)، ومع أنّ ابن حبان وثّقه فقد قال عنه (يخطئ كثيراً!)، وقال سفيان الثوري (ضعيف)، وقال جرير (أتيت سماك بن حرب فرأيته يبول واقفاً) وكان شعبة يضعفه راجع مثلاً الكامل في ضعفاء الرجال (٣/ ٤٦٠) برقم (٨٧٥). وقد ذكره ابن الجوزي في (الضعفاء والمتروكين) (٢/ ٢٦) برقم (١٥٥٢) وقال عنه هناك (كان شعبة، وسفيان الثوري يضعّفانه). قال ابن عمّار: (كانوا يقولون إنه يغلط ويختلفون في حديثه). قال ابن معين: (أسند أحاديث لم يسندها غيره...). وقال صالح بن محمد (يُضعَّف...). وقال عبدالرحمن بن يوسف بن خراش: (في حديثه لين). وسماك هذا أحد ضعفاء البخاري ومسلم.

- عبدالله بن عَمِيرة الكوفي. شيخ سماك بن حرب قال عنه الذهبي في الميزان: (فيه جهالة)، وقال في المغني: (لا يُعرَف)، وقال إبراهيم الحربي (لا أعرفه)، وفي لسان الميزان (مجهول) (٧/ ٢٦٧) برقم (٣٥٨٨)، وقد ضعَّفه العقيلي وابن عدي، وقد روى هذا الحديث عن الأحنف بن قيس مع أن البخاري يقول: (لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس)!

فرواة هذا الحديث بين مجهول وكذّاب وضعيف

(١٣) وفي نفس الباب استدل بحديث: (ما بين سماء إلى سماء خمس مائة عام) أخرجه الترمذي (٣٢٩٨) وقال (قالوا: لم يسمع الحسن - راوي الحديث -

من أبي هريرة) والحسن مدلِّس عنعن الرواية عن أبي هريرة، وقد جاء في الميزان: (كان كثير التدليس، وعدّوا ما كان له عن أبي هريرة من جملة المنقطع) والخبر غريب وفيه ذكر سبع أرضين بين كل أرض وأرض خمس مائة سنة، ومعلوم اليوم بطلان هذا الأمر، فالأرض متصلة ببعضها وقطرها كله لا يحتاج قطعه مشياً لمثل هذه المدة الزمنية، فالخبر منكر متناً وسنداً **فالرواية موضوعة.**

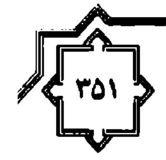
(١٤) وفي الكتيِّب هذا أحاديث لم يذكر من أين أتى بها!! وقد تفادى شرَّاح كتاب الشيخ تخريج هذه الأحاديث أو التعليق عليها علماً أنهم يسارعون إلى ذلك متى ما علموا أنَّ للحديث ولو بعض أصل في كتب الحديث! وقد ضربت عن البحث عنها صفحاً لأنَّ فيما ذكرت كفاية لإثبات مقولة الشيخ سليمان ابن عبدالوهاب بأنَّ محمداً هذا لم يبلغ معشار أهل العلم[١]!

هذا ولا بدّ أن نشير إلى أن بعض مؤلفات الشيخ المطبوعة مؤخراً تعرضت لكثير من عمليات التجميل؛ زيادة ونقصاناً من المحققين والمراجعين، وعسى أن يتمكن بعض المخلصين من إخراج ذلك في دراسة وافية.

وبالله عليكم أيها الوهابية هل تبنون عقيدتكم على أحاديث الكذَّابين والوضَّاعين، والضعفاء والمتروكين، والمجهولين، بل وروايات ليس لها أصل في كتب الحديث، وتتركون المحكم من كلام ربِّ العالمين والثابت الشهير من كلام سيِّد المرسلين!!

---

١ . في هذا الكتيب أيضاً إعجاب الشيخ بفكر اليهود حين ذكر قول الحبر اليهودي (يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع.. الخ) فقال الشيخ في المسألة الثانية: «إن هذه العلوم باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها» فانظر بين هذا المنطق المعجب بعدم إنكار اليهود وتأويلهم على حد زعمه، وأمر الرسول الكريم لنا بعدم تكذيب اليهود أو تصديقهم!



الوهابية والصليب

سئل الشيخ ابن باز عن لبس الصليب وتعليقه: هل يصل إلى الكفر؟ فأجاب في شريط مسجل بقوله: (لا هذه أمور عادية، ينظر فيها أولي[1] الأمر بما تقتضيه المصلحة، إذا كان من المصلحة الإسلامية قبول هذه المجاملة أو هذه الهدية كان جائزاً... الخ) ولما أنكر عليه بعض الحضور وقالوا: (صليب يا شيخ!!) قال (ولو كان صليباً)[2].

وهكذا أخي المسلم ترى وبكل وضوح كيف يتوارث علماء الوهابية مخطط القضاء على الإسلام بحجة حمايته، فاليهود والنصارى الذين أمرنا الله ورسوله بمخالفتهم وعدم موالاتهم يرى كبير الوهابية أن لبس صلبانهم والتزلّف إليهم فيه مصلحة الإسلام، بينما في المقابل يرى وجوب قتل العراقيين وإن كانوا في الصلاة، كما يفتي بأن قتل المسلمين الإباضية قربة إلى الله.!

وهذا الشيخ محمد بن صالح العثيمين يقول في مقابلة مع جريدة «المسلمون» العدد٦٠٢ الصادر بتاريخ ٢/ ٤/ ١٤١٧ هـ «وإذا فرضنا على التقدير البعيد أن ولي الأمر كافر فهل يعني ذلك أن نوغر صدور الناس عليه حتى يحصل التمرد والفوضى والقتال»!! وهو يوضح تماماً الشريعة الوهابية القائمة على عدم إيغار الصدور ضدَّ الكفَّار، ونقول سخرية كلا يا شيخ، وإنما عليك تقبيل يد هذا الكافر وأنت تقنت لأحمره الرنّان في صلاتك تدعو له!!

---

١ . هذا لحن من الشيخ والصواب (أولوا) لأنها في موقع رفع فاعل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾.

٢ . المصدر د. محمد بن عبدالله المسعري، الأدلة القطعية على عدم شرعية الدولة السعودية، ص ١٦٧، مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع. وقد كتب المدعو مقبل بن هادي الوادعي اليمني أحد تلاميذ ابن باز المنشقين عليه كتاباً يرد فيه على فتوى شيخه.

أحرامٌ على بلابله الدَّوح..؟

يرى الوهابية القصد لزيارة قبر النبي ﷺ الشريف غير جائزة، ونظرتهم هذه مبنية على زعم شيخهم ابن تيمية بأن زيارة قبر النبي ﷺ والأنبياء عامة حرام[١]، ويراها شركاً زيَّنه الشيطان للناس[٢]، وأن اللات وهي صنم كان سبب تعظيمها عبادة رجل صالح[٣]، وهذا أحد أسباب استحلالهم دماء المسلمين.

وكيف لا تجوز زيارة قبره الشريف ﷺ مع أن زيارة القبور مأمور بها في قوله ﷺ «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا...**» رواه مسلم والنسائي والترمذي وأبو داود وأحمد.

وروى النسائي بإسناد قوي: «... **وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ فَلْيَزُرْ وَلا تَقُولُوا هُجْرًا**» وروى مالك قريباً من لفظه. وقوله ﷺ: «**إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلاثٍ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلْتَزِدْكُمْ زِيَارَتُهَا خَيْرًا...**»[٤]، وقد كان الرسول الكريم ﷺ يزور قبر أمه مع أنه لم يؤمر بالاستغفار لها كما ثبت في الحديث: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**»[٥].

فإذا كان أمر الزيارة والترغيب فيه عاماً لجميع القبور، فكيف يستثنى خير قبر في الوجود؛ ألا وهو قبره ﷺ ؟!

---

١ . ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ١/ ١٤٢، مجموع الفتاوى ٤/ ٥٢٠

٢ . يراجع ابن تيمية (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم) ص ٤٥٧

٣ . نفس المصدر ص ٣٣٣

٤ . رواه مسلم والنسائي وأبو داود وأحمد والترمذي.

٥ . رواه مسلم والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد.



وهذا بلال بن رباح ﷺ يرى الرسول الكريم ﷺ في منامه وهو بالشام يقول له «ماهذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورنا؟» فانتبه حزيناً فركب إلى المدينة في خلافة عمر ﷺ، لا يقصد إلا زيارة قبر النبي ﷺ، فما إن يصل حتى يقصده ويجعل يبكي عنده ويتمرَّغ عليه[١].

وقد أورد أحمد بن حنبل في مسند الأنصار بسند صحيح ما يدل على ترغيب الرسول الكريم لمعاذ بن جبل في زيارة قبره ﷺ ساعة وداعه له عند خروجه إلى اليمن حيث قال له «يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَـذَا أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أَوْ قَبْرِي فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ الْتَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا».

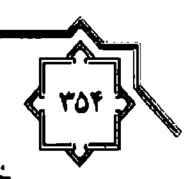
و (لعلَّ) في أغلب أحوالها للرجاء، وإذا دخلت (أن) على خبرها تمحَّضت للعرض والرجاء، فالجملة تنطوي بصريح البيان على توصية معاذ بأن يعرج عند رجوعه إلى المدينة على مسجده ﷺ وقبره للزيارة ليسلم عليه[٢].

أما الاحتجاج بحديث «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى» فليس فيه حجّة على منع شدِّ الرحال إلى قبره ﷺ البتّة، فهو خاصٌّ بالمساجد، وإلا لامتنع قياساً على هذا القول شدُّ الرحال لزيارة الأرحام وطلب العلم والجهاد وطلب الرزق وهذا ما لم يقل به عاقل، وهذا الاحتجاج دليل على قصور التأمل والقياس عند الحشوية.

---

١ . ابن الأثير، أسد الغابة، ج١ ص ٢٠٨، وقد ذكر هذه الزيارة أيضاً ابن عساكر بإسناد جيد.

٢ . للرد المفصل على دعوى ابن تيمية وحزبه التنفير من السفر للسلام عليه ﷺ راجع د. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السير النبوية، ص ٥٦٠ وما يليها، ط ١٠. ولكني أحسب أن بعض ما جاء في هذا المقال خصوصاً أمنية الصحابة وعمر في الدفن قربه ﷺ هي أفكار لم تطرح من قبل.



وللعلماء آثار عظيمة في فضل زيارة المصطفى منها (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) للإمام السبكي، و (خلاصة الوفاء) للسمهودي، و (المواهب اللدنية) للقسطلاني، و (تحفة الزوار والجوهر المنتظم) لابن حجر، وقد جاء عند الترمذي بعد ذكره لأحاديث الزيارة «**وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لا يَرَوْنَ بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ بَأْسًا وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَقَ.**»اهـ. ولكن لا أظن خوارج العصر يقنعون بهؤلاء لأن ابن تيمية وابن القيم لم يحشرا بين هؤلاء العلماء!

هذا ومن عجائب ضلال الوهابية وتناقضهم ما يلي:

أولاً: أن الأب الروحي الأول لهؤلاء هو ابن تيمية، الذي اشتهر التبرك به فقد جاء في العقود الدريّة للحافظ ابن عبدالهادي ص ٣٦٩ ـ ٣٧١ أنه قد (حضر جمعٌ إلى القلعة (عند وفاة ابن تيمية) فأذن لهم بالدخول، وجلس جماعة قبل الغسل، وقرأوا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ثمَّ انصرفوا.

وحضر جماعة من النساء ففعلن ذلك ثمَّ انصرفن، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك، وشرب جماعة الماء الذي فضل عن غسله واقتسم جماعة السدر الذي غسل به.

وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم، وقيل إن الخيط الذي فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل، دفع فيه مائة وخمسون درهما.

ويضيف: وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلاً ونهاراً)

فهل يستثنى ابن تيمية في نظر أتباعه الجدد أم أنهم يتهمون أتباعه القدامى بالشرك؟!



ثانياً: الأب الروحي الحديث لهؤلاء الحشوية هو محمد بن عبدالوهاب، والكثير من الناس يظن غافلاً أن هؤلاء القوم بتشريكهم للمسلمين إذا ما رأوهم يزورون قبراً ستكون قبورهم دارسةً ليس عليها بناءٌ ولا علامات اتباعاً للهدي النبوي، ولكن ماذا لو كان قبر محمد بن عبدالوهاب مزاراً رسمياً للوهابية بنجد؟!

نعم إن قبر محمد بن عبدالوهاب عليه بناء شامخ وقد جُصِصَ بالرخام، وفي داخل المعبد بالرياض نقشت البيعة التي تمت بينه وبين محمد بن سعود للتبرك والتمسح ومن أراد الدخول فعليه خلع حذائه أما في المساجد فلا يلزمهم ذلك وإن كانت تحمل أقذار الدنيا!

فانظر هداني الله وإياك كيف يحارب الوهابية الناس لزيارتهم قبر المصطفى ﷺ، بل ويرون وجود قبره الشريف داخل المسجد النبوي خطيئة من الخطايا!! وهم في المقابل يتخذون رموزهم كمحمد بن عبدالوهاب آلهة تعبد من دون الله، فيا سبحان الله:

أحرامٌ على بلابله الدَّوح   حلالٌ للطَّير من كلِّ جنسِ

من ضلالات الحشوية

الوهابية خوارج العصر أصحاب فقه سطحي عقيم في الدين وغيره، وذلك لضيق أُفقهم وقلة معرفتهم، فالجهاد لديهم قتال المسلمين بحجة أنهم أهل شرك وبدعة، والعقيدة عندهم تتمحور حول القبور وتفسيق من يزورها ووصمهم بجريمة الشرك، وأن الله موجود في السماء، وبناء عليه فمن قال بدوران الأرض فهو ضال مضل يريد تخريب العقيدة السلفية! فيتأولون العرش والكرسي تأولاً حسيا، ولو وافقنا هؤلاء جدلاً على ما يقولون، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يقول في

آية يرددونها ليل نهار ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ فكيف إذا كان الكرسي حسياً يُحَدُّ الله سبحانه وتعالى بالسماء وكرسيُّه قد وسع السماوات والأرض بنصِّ الكتاب العزيز؟! ولولا أن هؤلاء ينمِّقون كلامهم بشيء من القرآن لما اكترثنا بالرد عليهم، ولكن لنبعد كتاب الله سبحانه وتعالى عن تأويلات المبطلين فإننا نورد ههنا جواباً مقتضباً واضح الحجة ناصع البرهان لسماحة الشيخ أحمد ابن حمد الخليلي لسؤال هذا نصه:

س. ما قولكم فيمن احتج بقوله تعالى ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ كدليل على أن الله موجود في السماء؟

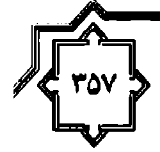
ج. ليس قوله هذا من الصحة في شيء فإن إبراهيم عليه السلام حكى الله عنه قوله ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ مع أنه هاجر إلى بلاد الشام، فهل معنى ذلك أن الله كان ببلاد الشام مستقراً؟ وكذلك جاء في الحديث الصحيح «**إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق أمام وجهه فإن الله بينه وبين قبلته**»[1] وهل معنى ذلك أن الله مستقر بين يدي كل مصلٍّ؟ كلا وإنما كلام العرب فيه الحقيقة والمجاز، وقد أنزل الله بهما القرآن ووردت بهما السنة، فقوله تعالى ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ يدل على التقريب والتكريم، وهذا كما يقال في الذي يموت من الصالحين نَقَلَه الله إليه، والله أعلم.

التناقض العقائدي

الحشوية أعداء التأويل عموماً وتأويل الصفات خصوصاً، مختلطون كثيرا عندما تقرعهم الحجج، فالشيخ ابن باز الذي يقول في فتاويه ج٤ ص ١٣١: «التأويل في الصفات منكر ولا يجوز» هو عينه الذي أوَّل صفة المعية بالعلم!!!

---

١ . رواه الربيع بن حبيب في الجامع الصحيح من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد ومالك وغيرهم بألفاظ متقاربة من طريق ابن عمر رضي الله عنهما.



ففي نفس الكتاب ج٢ ص ٨٩: يقول محتجاً بقول السلف!!: «إن هذه المعية تقتضي علمه بأحوال عباده وإطلاعه عليهم..» فأول المعية بالعلم كما ترى لا بالمرافقة الحسية! ويقول في ج١ ص ١٤٨ من نفس الكتاب محتجاً بقول الطلمنكي: «أجمع المسلمون من أهل السنّة على أن معنى قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ونحو ذلك من القرآن أنه علمه..» فلماذا يتناقض ابن باز؟!

إن ابن باز مقتدٍ في هذا التناقض بسلفه ابن تيمية الذي يحرِّم التأويل ثمَّ يأوِّل؛ فابن تيمية قد أوَّل المعيَّة ونسب ذلك إلى سلف الأمة[1]، وأول السمع والرؤية المضافين لله بأنه إثبات علمه بذلك، ومجيء البقرة وآل عمران بثواب القراءة كما في فتاواه[2] وغير ذلك[3]، والمضحك أن أدعياء السلفية عموماً كثيراً ما يرددون أن السلف وسائر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم أئمة المسلمين لا يؤولون!! والشيخ ابن باز نفسه قد نصَّ على هذا في فتاواه (ج ٤ ص ١٣١) فانظر لهؤلاء ـ حفظ الله عقلك ـ لتذكر نعمة الله عليك، ولتتأكد أن لا قاعدة للقوم غير الهوى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

وقول الحشوية بأن علماء السلف لا يؤولون ناجم إما عن عدم اطلاعهم وقراءتهم كما صرَّح ابن باز عن نفسه بأنه لم يكمل حتى قراءة كتب الحديث، وإما عن تعصبهم لرأيهم الخاطيء وانتصارهم له ولو بالكذب، وإلا فإن السلف قد تأولوا تأويلات كثيرة، ونذكر هنا بعض الأمثلة التي لا يستطيع الحشوية الفكاك منها، فهذا الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال في تأويل قوله تعالى

---

١ . ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥/ ٢٣١

٢ . المصدر السابق، ٥/ ٢٣٢

٣ . للتوسع يراجع د. عبدالعظيم المطعني، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع، مكتبة وهبة، ٢/ ٨٣٠ وما بعدها.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أي عن شدة من الأمر[١]، وقال مجاهد في تأويل قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ أي قبلة الله[٢]، وتأول أحمد بن حنبل قوله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أنه جاء ثوابه[٣]، وأول البخاري قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال: إلا ملكه[٤]، وأول البخاري أيضاً (الضحك) في الحديث بالرحمة[٥]، فأين المهرب من الحق يا مشائخ التجسيم؟!

استحلالهم الكذب

الكثير من المسلمين يصابون بالدهشة البالغة عندما يسمعون الحشوية يرجمونهم بباطل القول وشنيع الاتهام، وكم من مذهب إسلامي رموه بأكاذيب وافتراءات ليس عليها من دليل؛ فليس بعجيب أن تسمع الوهابي يقذف كذباً أهل مذهب إسلامي بأنهم يستحلون اللواط ولكنهم لا يجاهرون بحليّته[٦]! أو أن المذهب الفلاني الذي لا يقول برؤية الباري دنيا وأخرى هو مذهب إلحادي لا يؤمن أصلاً بوجود الله ولكنه يتخفى تحت ستار القرآن! ويقذفون أفراد علماء المسلمين إفكاً وكذباً لمواقفهم ضدّ الوهابية[٧]، وهذا من أساليبهم اللئيمة التي ينشرونها بين العامة كي يخلو لهم الجو، ويفرقوا شمل الأمة!

---

١ . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٣/ ٤٢٨.

٢ . البيهقي، الأسماء والصفات، ص٣٠٩.

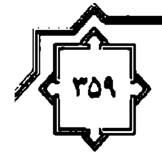
٣ . ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/ ٣٢٧.

٤ . البخاري، صحيح البخاري، المجلد الثالث/ كتاب التفسير/ تفسير سورة القصص/ ص١٧١.

٥ . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٦/ ٤٠.

٦ . ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾.

٧ . وليس من آخر ذلك اتهامهم الأستاذ صلاح مندكار بالفحاشة لأنه تحدث عن ظاهرة التكفير عند الوهابية، وهذا عين ما فعلوه مع الشيخ الهندي نور الحق لكتابته مقالاً عن دور الوهابية في تفريق صفّ مسلمي الهند!



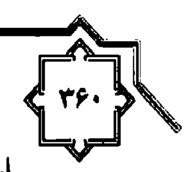
ومثال قذفهم لمذاهب المسلمين: موقف الدكتور السلفي عمر الأشقر بإحدى محاضراته في الجامعة الأردنية، فكان مما قاله فيها إن الإباضية يجيزون نكاح المرأة وعمتها أو خالتها، فقام إليه الأستاذ أمين نايف وقرأ له من مسند الإمام الربيع ابن حبيب حديث النهي عن الجمع بين المرأة أو خالتها، وأخزاه على رؤوس الأشهاد، وأمام جميع الطلبة الحضور، فهل تراه رجع عن هذا البهتان؟!

ـ ومثال قذفهم لأفراد العلماء: ما فعله زهير الشاويش في تحقيقه لكتاب (الرد الوافر) لابن ناصر الدين الدمشقي، أفرط في ذم الإمام العلاء البخاري، وكذب على الحافظ السخاوي بزعمه أنه قال في العلاء البخاري في (الضوء اللامع): (وكان شديد الالتصاق بالحكّام)!! ولبيان كذبه عليهما، فهذا نص كلام السخاوي في كتاب الضوء اللامع (٩/ ٢١٩): (وإذا حضر عنده أعيان الدولة بالغ في وعظهم والإغلاظ عليهم بل ويراسل السلطان معهم بما هو أشد وأغلظ ويحضُّه على إزالة أشياء من المظالم)اهـ. وقد ذهب الشيخ حسن بن علي السقاف إلى زهير الشاويش المجسّم هذا وبيَّن له افتراءه، فما كان من الشاويش إلا أن وعده بحذفه في الطبعة القادمة، وقد خرجت الطبعة الموعودة وما يزال كذبه فيها، وهذا مما يدل على إصرار أهل هذه النحلة على الباطل[1].

وإن كان هذا من شنائع الصفات التي لا يبقى المرء معها مؤمنا؛ لأن المؤمن يُطْبَعُ عَلَى الْخِلالِ كُلِّهَا إلا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِب، وهذا الفعل الشنيع من الخيانة للأمة المؤدي إلى تمزيق صفها، ومن الكذب والبهتان المبين على المؤمنين الصادقين، وقد توعد المولى جل جلاله الكاذبين باللعنة في قوله ﴿لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

---

١ . يراجع الشيخ حسن السقاف، التنديد بمن عدد التوحيد، ص٢٧ ـ ٢٨.



هذا والمتابع للحركة الحشوية يرى أنهم رضعوا لبان هذا المنهج القبيح من استحلال الكذب على المخالفين على مدار التاريخ الإسلامي، فهذا الإمام السبكي الشافعي يفضح بعض المجسمة من الذين يدَّعون اتباع الإمام أحمد بقوله (.. **فصاروا يرون الكذب على مخالفيهم في العقيدة، لا سيما القائم عليهم بكل ما يسوؤه في نفسه وماله.. وبلغني أن كبيرهم استفتي في شافعي أيشهد عليه بالكذب فقال ألست تعتقد أن دمه حلال؟ قال: نعم. قال: فما دون ذلك دون دمه فاشهد وادفع فساده عن المسلمين**) ثم قال (فهذه عقيدتهم يرون أنهم المسلمون وأنهم أهل السنة، ولو عدوا عددا لما بلغ علماؤهم لا عالم فيهم على الحقيقة مبلغاً يعتبر، ويكفرون علماء الأمة، ثم يعزون إلى الإمام أحمد بن حنبل، وهو منهم بريء..)[1]

وقد ذكرنا طرفاً من كذبهم على الأئمة الأربعة، وكذلك كذبهم خلال تشويههم للفكر الإسلامي المتمثل في إعادة طباعة الكتب وتحريفها أدلة واضحة على استمرار أهل هذه النحلة على نفس المنهاج؛ فمن يعيد طباعة تفسير الكشَّاف مثلاً ويحذف منه ما قاله الإمام الزمخشري صاحب التفسير في تفسير بعض الآيات التي لا يتناسب تفسيرها والفكر الحشوي ثم يضعون عباراتهم الخاصة حتى من غير إشارة للتبديل والتحريف، أليس هذا من الكذب الصريح بل من أقبح أشكاله[2]؟!

وهذا الديدن في الإفساد في الأرض من أدعياء اتِّباع أحمد هو ما لاحظه الدكتور عبدالمجيد بدوي، حين تحدث عن وقوفهم خلف كثير من الفتن في

١ . طبقات الشافعية ١/ ١٩٣

٢ . تناولنا الموضوع بشيء من التفصيل في مكان آخر.



العالم الإسلامي منذ أمد بعيد، فقال (وهـذه الثـورات[1] كثـيراً مـا كـان يوجههـا المفكرون السنيون المحافظون وعلى رأسهم فقهاء الحنابلة ورجال الحديث)[2] بـل وطالبوا بتكفير من لا يكفر الشيعة[3]! ويشهد عليهم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي قائلاً (.. ولكن أمانة الله والعلـم والخلـق تـدعوني إلى أن أنبـه جماعـات المسلمين إلى هذا الصنيع العجيب الذي يتلبس به من يدعون الناس إلى اتباعهم، وإلى ائتمانهم على دينهم، ورواية الأحاديث عن نبيهم)[4] ثم ذكر مثالاً موثقـاً مـن كذبهم عليه شخصياً.

وإثارتهم للفتن ماثلة اليوم في كل صقع إسـلامي وافـترائهم عـلى كـل عـالم يخالفهم[5]، لأنهم ببساطة كما يقول العلامة أبو زهرة (يفرضون ـ أي الوهابية ـ في

---

١ . يقصد بالثورات هنا الثورات على مخالفيهم من الشيعة والمعتزلة، وإبادة خضرائهم، وذلك عندما تحدث عن ما فعله القادر بتحريض من أتباع أحمد سنة ٤٠٨ هـ. وقد فعلوا العجب بمخـالفيهم منذ موت الواثق سنة ٢٣٢هـ فقد حكموا أيام المتوكل على كل من يقول بخلق القـرآن بـالكفر واستباحوا دمه، وبذلك ردوا الصاع صـاعين للمعتزلـة فبعـد أن كـان الحنبلي يـضرب المعتزلـة بالعصا أصبح الحنابلة يستعرضون الناس بالسيف. يقول الأستاذ ثابت عيد (باحث مصري مقيم في زيورخ) عن هؤلاء والتبلور العجيب لعقيدتهم: «أصيبوا بها يشبه العقـدة النفـسية تجـاه المعتزلة، فأصبح كل شيء معتزلي، أو فيه رائحة الاعتزال مكروهاً غير محبب إلى نفوسـهم، وكـل شيء خالف المعتزلة وأصولهم هو العقيدة الصحيحة والإسلام الحق» ثـم ذكـر الأسـتاذ أمثلـة ذلك، إلى أن قال: «معظم عقائد الحنابلة ما هي إلا تعبير عن سـخطهم وغـضبهم مـن المعتزلـة» (تراجع جريدة الحياة عدد١٣٢٦٢ الأربعاء ١٧ ربيع الأول ١٤٢٠هـ ٣٠ يونيو ١٩٩٩ صفحة ٢٣ مقال بعنوان المعتزلة وأصحاب الحديث).

٢ . د. عبدالمجيد بدوي، التاريخ السياسي والفكري، ص ١٨٩

٣ . المصدر السابق.

٤ . البوطي، اللامذهبية، ص ١٣٤ وذكر مثالاً على كذبهم عليه.

٥ . ومن الأمثلة البسيطة جداً على ذلك ما ذكـره العلامـة البـوطي، اللامذهبيـة أخطـر بدعـة تهـدد الشريعة الإسلامية، ص ١٣١ كذب أحـد علـماء الحـشوية عـلى الـدهلوي فيقـول (إن مـا نقلـه المعصومي عن الدهلوي في كتابه الإنصاف، كلام مكـذوب عليـه، لم يثبـت لا في الإنـصاف ولا غيره).

آرائهم الصواب الذي لا يقبل الخطأ، وفي آراء غيرهم الخطأ الذي لا يقبل التصويب)[١] فيستحلون على إثر ذلك حتى الكذب على غيرهم، يقول العلامة البوطي (حاذر أن يستزلك هؤلاء إلى مستواهم المعروف في الجدل فإن في أفئدتهم من الحقد على جمهور المسلمين سلفهم وخلفهم ما يجعلهم ينهشون في عرض كل من يخالفهم)[٢] فهم لا يعرفون مع مخالفهم سوى (السباب والشتائم المستعرة المحمومة)[٣] ومن كان هذا حاله فلا بدَّ أن يركب مطية الكذب في سبيل بلوغ مآربه الشيطانية. وفي الفصل القادم سترى ـ بإذن الله ـ نماذج من فكرهم وفي مقدمة ذلك الكذب على الأئمة الأربعة، إن كان الكذب يُعدّ فكرا...

---

١ . محمد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية، ص ٣٥٥

٢ . البوطي، اللامذهبية، ص ١١٠

٣ . المرجع السابق ص ١٠٩



الفصل الخامس: الفكر الوهابي الجانح

أن نسمِّي هرطقة الوهابية فكراً فذاك المجاز عينُه، وفي هذا الفصل عبرة! وفيه صفاتهم التالية متجلية:

- (يسيئون الأعمال)
- (يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم)

كذب الحشوية على الأئمة الأربعة

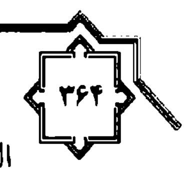
لا يخفى على كل عاقل منصف مطلع على كتب المجسِّمة تجرؤهم في الكذب على الله ورسوله فمن طالع كتبهم وجد ذلك ككتب ابن تيمية وابن القيم وأبي يعلى المجسم والدارمي... وغيرهم من أرباب هذه النحلة الخاسرة ونقدم ههنا لمحةً من كذبهم على أئمة المذاهب الأربعة وذلك لأننا وجدنا البعض يجلون علماء الحشوية لالتباس الأمر عليهم ويحسبونهم من أهل السنة وما هم إلا من أهل الباطل أخزاهم الله تعالى وإليكم بيان ذلك[١]:

١ ـ الإمام أبو حنيفة:

نسبوا إليه أنه قال: «من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سبع سموات...»

---

١ . هذا الموضوع نقل من مقدمة الشيخ حسن بن علي السقاف لكتاب الإمام العلامة الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي الحنبلي المتوفي سنة ٥٩٧هـ الموسوم بـ: (دفع شبه التشبيه بأكفِّ التنزيه) طباعة دار الإمام النووي ط٢، ١٤١٢هـ عمان ـ الأردن، ص٦٩ ـ ٧٤، وكذلك عن الشيخ سعيد بن مبروك القنوبي، كتاب (السيف الحاد)، ص ١٢ ـ ١٤ باختصار غير مخل.



والجواب: أن هذا الكلام كذب باطل مصنوع على أبي حنيفة وذلك لأن الراوي لهذا الكلام هو أبو مطيع البلخي وهو كذاب دجال، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال مرة ضعيف، وقال أحمد: لا ينبغي أن يروى عنه شيء، وقال البخاري: ضعيف صاحب رأي، وقال النسائي: ضعيف، وقال أبو حاتم: كان مرجئا كذابا، وقد جزم الذهبي بأنه وضع حديثا كما في ترجمة عثمان بن عبدالله الأموي، قال ابن أبي العز شارح الطحاوية الحشوي المجسم ج٢ ص٤٨٠ نقلاً عن ابن كثير: وأما أبو مطيع فهو الحكم بن عبدالله ابن مسلمة البلخي، ضعفه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعمرو بن علي الفلاس والبخاري وأبو داود وأبو حاتم الرازي وأبو حاتم محمد بن حبان البستي وابن عدي والدار قطني وغيرهم اهـ.

هذا ما قاله هنا بينما قال بعد ما أورد الأثر السابق ص٣٧٨: ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك... فتأمل في كلامه واحكم عليه بما شئت. وأبو إسماعيل الأنصاري الملقب بشيخ الإسلام الراوي لهذا الأثر لا يحتج بنقله ولا كرامة لأنه مجسم خبيث قائل بالحلول والاتحاد كما قال ابن تيمية ونقله الإمام ابن السبكي في الطبقات الكبرى ج٤ ص٢٧٢ نقلا عن الحافظ الذهبي. اهـ

وعلى تقدير صحة هذا الكلام فقد أجاب عنه الإمام ابن عبدالسلام في حل الرموز كما نقله علي القاري في شرح الفقه الأكبر ص٢٧١ قال: من قال لا أعرف الله تعالى في السماء أم في الأرض كفر، لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانا ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه. اهـ.

قال القاري: ولا شك أن ابن عبدالسلام من أجل العلماء وأوثقهم فيجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح ـ يعني شارح الطحاوية المجسِّم ـ مع أن أبا مطيع رجل وضّاع عند أهل الحديث كما صرح به غير واحد. اهـ كلام القاري.



على أن الإمام أبا حنيفة قد صرح بنفي الاستقرار على العرش في كتابه الوصية كما في شرح الفقه الأكبر ص٦١ حيث قال: نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه، واستقراره عليه وهو الحافظ للعرش وغير العرش فلو كان محتاجا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق ولو صار محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى فهو منزه عن ذلك علوا كبيرا. اهـ.

٢ ـ الإمام مالك بن أنس:

فإنهم يروون عنه أنه قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة».

والجواب: أن هذا لم يثبت عن مالك من رواية صحيحة ولا حسنة ولا ضعيفة خفيفة الضعف، ومن يدعي خلاف ذلك فعليه أن يوضح لنا ذلك ونحن بحمد الله على أتم الاستعداد لنجيب عليه وندحضه بالحجة والبرهان، وإنما جاء عنه بلفظ: **(الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة)** وهذه قاصمة لظهور المجسمة.

قال ابن اللبان في تفسير قول مالك هذا كما في إتحاف السادة المتقين ج٢ ص٨٢ قوله: كيف غير معقول أي كيف من صفات الحوادث وكل ما كان من صفات الحوادث فإثباته في صفات الله تعالى ينافي ما يقتضيه العقل فيجزم بنفيه عن الله تعالى، قوله: والاستواء غير مجهول أي أنه معلوم المعنى عند أهل اللغة، والإيمان به على الوجه اللائق به تعالى واجب؛ لأنه من الإيمان بالله وبكتبه، والسؤال عنه بدعة؛ أي حادث لأن الصحابة كانوا عالمين بمعناه اللائق بحسب وضع اللغة فلم يحتاجوا للسؤال عنه، فلما جاء من لم يحط بأوضاع لغتهم ولا له

نور كنورهم يهديه لصفات ربه يسأل عن ذلك، فكان سؤاله سببا لاشتباهه على الناس وزيغهم عن المراد اهـ.

وقال مالك: (الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع...)، وفي هذا ردٌّ صريح على عقيدة المجسمة الذين يقولون بإثبات الكيف وبيان المعنى.[1]

٣ ـ الإمام الشافعي:

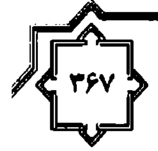
نقل المجسمة عنه أنه قال: «القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بالشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وأن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء... وذكر سائر الاعتقاد» اهـ قلت (محقق الكتاب): هذا مذكور في (مختصر العلو) ص١٧٦ وقال هناك: «روى شيخ الإسلام أبو الحسن الهكاري، والحافظ أبو محمد بن إدريس الشافعي» به.

جوابه: هذا الكلام كذب محض، وهو مدسوس على الإمام الشافعي رحمه الله، ومختصر العلو المتناقض[2]!! إما أنه يعلم ذلك أو لا يعلم، وأحلاهما مُرّ أو حنظل معصور في فمه، وإليك بيان ذلك:

أما الملقب بشيخ الإسلام أبي الحسن الهكاري فهو أحد الكذابين الوضاعين قال عنه الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) ج٣ ص١١٢ في ترجمته: (قال أبو

١ . انظر إتحاف السادة المتقين ج٢ ص ٨٢، وكتاب دفع شبه التشبيه ص ٧١ ـ ٧٢ وكتاب عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ حسن السقاف ص ٢٩ ـ ٣٠.

٢ . وهو ناصر الألباني.



القاسم ابن عساكر: لم يكن موثوقاً به، وقال ابن النجار: متهم بوضع الحديث وتركيب الأسانيد) اهـ وقال الحافظ ابن حجر في ترجمته في (لسان الميزان) ٤/ ١٥٩ من الطبعة الهندية): (وكان الغالب على حديثه الغرائب والمنكرات، وفي حديثه أشياء موضوعة ورأيت بخط بعض أصحاب الحديث أنه كان يضع الحديث بأصبهان) قال السقاف تعليقا: وقد مجده وعظمه الشيخ الحراني في رسالته المسماة (الوصية الكبرى في العقيدة والدعوة) ووصفه بشيخ الإسلام!! وهو كذاب وضاع كما ترى. وأما أبو محمد المقدسي: فهو ممن أباح العلماء دمه كما يجد ذلك من طالع ترجمته لكونه مجسما صرفا انظر كتاب (الذيل على الروضتين) المسمى أيضا تراجم رجال القرنين للحافظ أبي شامة المقدسي هذا حتى نحكم عليه أيضا؟؟!!!

ثم اعلم أن أبا شعيب الذي زعموا أنه روى تلك العقيدة عن الشافعي وُلِدَ بعد وفاة الشافعي بسنتين كما تجد ذلك في (تاريخ بغداد) ٩/ ٤٣٦. وأما هذه العقيدة المروية عن الإمام الشافعي ﷺ فهي مدسوسة عليه كما نقل ذلك الذهبي نفسه في (لسان الميزان) ٥/ ٣٠١: (أدخلوا عليه أشياء فحدث بها بسلامة باطن، منها: حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء، ومنها عقيدة الشافعي...)اهـ فاستيقظوا!!!

قلت (السقاف): ولعل هذا العشاري في سند عقيدة الشافعي التي يرويها الهكاري الوضاع والمقدسي المجسم، وكذلك في سندها ابن كادش الوضاع، ثم اطلعت على (تبديد الظلام المخيم) للمحدث الكوثري ص١٠٨ فوجدته يقول: (واعتقاد الشافعي المذكور في ثبت الكوراني كذب موضوع مروي بطريق العشاري وابن كادش) وبذلك يتم إسقاط ما احتج به المجسمة من تأييد الإمام الشافعي لآرائهم الفاسدة ولله تعالى الحمد. انتهى النقل

٤ ـ الإمام أحمد بن حنبل:

رغم أن الوهابية انتسبوا إلى الإمام أحمد زوراً وبهتاناً فإنه لم يسلم هـو أيـضا من كذبهم عليه، وهم لم يتبعوه أصـلا، فالإمـام أحمـد لم يفـت باسـتحلال دمـاء مخالفيه بل ولا أهل البدع فقد جاء في مختصر الروضة: (الصحيح أن من كان من أهل الشهادتين فإنه لا يكفر ببدعة على الإطلاق ما استند فيها إلى تأويـل يلتـبس به الأمر على مثله وهو الذي رجحه شيخنا أبو العباس ابـن تيميـة)[١]، وقـد جـاء هؤلاء يسفكون دماء الموحدين لأنهم أهل بدعة في رأيهم، ويكذبون على الإمـام أحمد كما فعل بعض أسلافهم، يقول العلامة القنوبي: (وقد ابتلي الإمام أحمـد بـن حنبل بأصحاب جهلة كذبوا عليه ونـسبوا إليـه مـا لم يقلـه مـن العقائـد والآراء الكاسدة؛ كما ذكر ذلك جماعة كبيرة من العلماء منهم ابن الجوزي وابن الـصلاح وابن عبدالسلام والإمام السبكي وابنه التاج والذهبي وآخرون.)[٢] اهـ

ومما نسبوه إلى الإمام أحمد كذلك الرد على الجهمية؛ قال الإمام الذهبي بعـد كلام: (.. لا كرسالة الاصطخبري، ولا كالرد عـلى الجهميـة الموضـوع عـلى أبي عبدالله) يعني الإمام أحمد، وقال بعد أن أورد شـيئا مـن هـذه العقيـدة الفاسـدة الكاسدة: (والله ما قالها الإمام أحمد، فقاتل الله واضـعها)، ثـم قـال: (فـانظر إلى جهل المحدثين كيف يروون مثل هذه الخرافة ويسكتون عليها[٣]). اهـ

الحشوية وتشويه الفكر الإسلامي

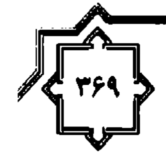
مع أن الحشوية ممن لا يجيدون القراءة، ومن ذلك مـشاركتهم في حـج عـام

---

١ . سليمان بن عبدالوهاب، الصواعق الإلهية، ص ٤٧، نقلاً عن مختصر الروضة.

٢ . الشيخ سعيد بن مبروك القنوبي، السيف الحاد، ص١٩٢

٣ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١ ص٢٨٦



١٤١٩هـ في توزيع هذا الكتاب الذي بين يديك ـ أيها القارئ الكريم ـ في طبعته الأولى، إلا إنهم ما إن يكتشفوا أمراً يخالف ما هم عليه من باطل إلا ويسعوا على أصعدة عديدة للقضاء عليه. ومن أساليبهم في محاربة الفكر الإسلامي:

أولاً: مصادرة الكتب وحرقها، فيحرقون كتب مذاهب المسلمين الذين يخالفونهم في التوجه، ومن ذلك حرق المكتبة العربية، وشراؤهم لكتاب الحق الدامغ من معارض الكتب لغرض حرقه، ومنع مؤلفات سيد قطب وغيره من الأعلام!

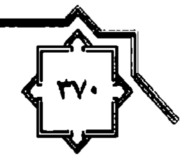
ثانياً: تحريف الكتب بإعادة طباعة الكتب النفيسة بعد أن يشوهوها بالحذف والإضافة ومن ذلك:

١ ـ طباعتهم لصحيح البخاري في أجزاء صغيرة مع حذف بعض أحاديثه من غير إشارة!

٢ ـ ويقول الشيخ محمد نوري الديثوري في (ردود على شبهات السلفية)، ص٢٤٩: (التحريف وحذف الأحاديث شأن السلفية وديدنهم؛ إن نعمان الألوسي حرف تفسير والده المكرم شيخ العراق الشيخ محمود الألوسي (تفسير: روح المعاني) ولولا تحريفه لكان التفسير الفريد وجامع الجوامع.

٣ ـ ومن ذلك أيضا تحريف تفسير (الكشَّاف) للإمام الزمخشري، حيث أعيدت طباعته بمكتبة العبيكان بالرياض، مع الكثير من التحريف، ولترى شيئاً من ذلك فانظر لتفسير قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ في سورة القيامة آية (٢٢ ـ ٢٣) حيث حذف تفسير الإمام الزمخشري لهذه الآية تماماً ووضعوا بدلاً منه ما يتوافق ومذهبهم، فأصبح بذلك تفسير الوهابية لا تفسير الزمخشري

٤ ـ وطبعوا المغني لابن قدامة الحنبلي فحذفوا منه مبحث الاستغاثة.



٥ ـ وطبعوا شرح صحيح مسلم فسلخوا منه أحاديث الصفات.

٦ ـ وطبعوا كتاب (الأذكار) للإمام النووي بدار الهدى بالرياض، تحت إشراف (إدارة البحوث والدعوة والإرشاد) سنة ١٤٠٩هـ فبدَّلوا في كلام الإمام النووي، وحرفوا منه قسماً، كما حذفوا منه ما لم يمكنهم تحريفه مما لا يوافق أهواءهم ومشربهم! وذلك في كتاب الحج من (الأذكار) في فصل ما يتعلق بزيارة سيدنا محمد ﷺ[١].

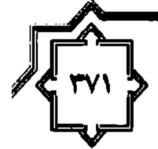
٧ ـ وعبثوا بكتاب (الإبانة في أصول الديانة) للإمام أبي الحسن الأشعري فحذفوا منه ما لا يتوافق وعقيدتهم الفاسدة، ومن ذلك قوله في الاستواء: (وأن الله استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواءً منزَّهاً عن المماسَّة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقيَّة لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنّه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد)اهـ فهذا كله محذوف وأين هذا القول المنير من قول ابن أبي العز في شرحه المظلم[٢]!

٨ ـ ومن ذلك تلاعب زهير الشاويش وناصر الألباني بكلام الإمام السبكي ليجملوا به الوجه القبيح لشرح ابن أبي العز للعقيدة الطحاوية، علماً بأن السبكي هو من ألد أعداء عقيدة التجسيم فقطعوا شيئاً من كلامه في كتابه (معيد النعم)

---

١ . والذي تولى كبر ذلك الشيخ شعيب الأرناؤوط محقق الكتاب ومخرِّج أحاديثه. يراجع الشيخ حسن السقاف، التنديد بمن عدد التوحيد، ص٢٨.

٢ . نقلاً عن الشيخ حسن السقاف خلال تعريفه بالحافظ ابن الجوزي، دفع شبه التشبيه، ص١٩.



ووضعوه في شرح ابن أبي العزِّ محرفاً هكذا: (وهذه المذاهب الأربعة ـ ولله تعالى الحمد ـ في العقائد واحدة، إلا من لحق منها بالاعتزال والتجسيم، وإلا فجمهورها على الحق يُقرُّون عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول)اهـ بينما حقيقة ما قاله الإمام السبكي في كتابه (معيد النعم) ص (٦٢) نصه كالتالي: (وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ـ ولله الحمد ـ في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري ﷺ، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية، لحقوا بأهل الاعتزال ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية فلم نر مالكيا إلا أشعرياً عقيدة، وبالجملة عقيدة الأشعري هو ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة..)اهـ فتأمل النصين لتدرك تلاعب المتمسلفين وعبثهم بكتب التراث وعبارات العلماء![1]!

ثالثاً: اختصار أمهات الكتب بحجة تسهيلها للناس على حد زعمهم مع حذف مباحث هامة فيها، وغير ذلك كثير من أمثال هذه الخيانات العلمية الكبيرة، وسيحاسبهم الله على سوء صنيعهم وهو مطلع عليهم وإن خفي عنا[2].

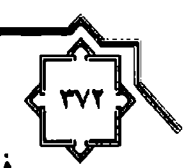
رابعاً: طباعة الكتب بحذف شروح العلماء منها كما فعلوا مع (كتاب الأسماء والصفات) للحافظ البيهقي، حيث حذفوا منه في إحدى الطبعات كتاب (فرقان القرآن) للشيخ العزامي، وحذف منها مقدمة العلامة الكوثري، والثانية: لم يكتب عليها أن التعليقات التي في الكتاب هي للعلامة الكوثري، والثالثة الأخيرة: حذفوا منها تعليقات الكوثري تماماً[3]!!

---

١ . منقول باختصار عن الشيخ حسن السقاف، التنديد بمن عدد التوحيد، ص ٢٦ ـ ٢٧

٢ . لتفاصيل أخرى يراجع محمد الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ص ٤٨٨ ـ ٥٠٨

٣ . تهيئة نفسية!



خامساً: نفخ علمائهم بتأليف كتب بأسمائهم ليضاهوا بها كتب المسلمين، فمن ذلك تأليفهم لكتاب أسموه (الأسماء والصفات) ونسبوه لابن تيمية؛ مع أن ابن تيمية ليس له كتاب بهذا الاسم، وإنما هي منافسة لكتاب (الأسماء والصفات) للإمام البيهقي، وألفوا كتاباً آخر باسم الشيخ الحراني أيضا وأسموه (دقائق التفسير) وكلا الكتابين ليسا إلا تقطيعاً من فتاواه، وانتظروا الباقي بأسماء جديدة!

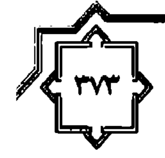
سادساً: الإرهاب، فاختطافهم لناصر السعيد من لبنان، ومحاربتهم للشيخ المحدث عبدالله الحبشي وكذبهم عليه بأنه صاحب مذهب جديد ويسمونهم (الأحباش) وهم كاذبون، فالرجل أشعري لا يدعو إلا إلى عقيدة الأشاعرة، ومحاربتهم للشيخ المكي محمد العلوي المالكي وفصله له من عمله أمثلة على إرهابهم للعلماء كي لا يظهر الحق.

سابعاً: محاربة دور النشر المخلصة إذا لم تستجب لرشواتهم، ومن ذلك محاربتهم لدار الإمام النووي بالأردن حتى ركّعوها، ولذلك ترى الكثير من الكتب تخرج من غير ذكر اسم دار النشر عليها!

ثامناً: سرقة أمهات الكتب والمخطوطات وتقطيعها، والأمثلة على ذلك:

١ ـ كتاب (سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبي، طبع منه ثلاثة وعشرون جزءًا والجزء الأخير الذي فيه ذم الشيخ ابن تيمية لم يطبع! ويقال إنه مفقود، وهذا ما يصرح به ابن الوزير المجسّم!! فأين ذهبت هذه الوثيقة التاريخية الهامّة؟ لا شكَّ أنَّ يد العبث الحشوية قد أخفتها عن الأنظار.

الحشوية أصحاب عقول هزيلة يظنون أنهم بتشويههم للكتب يستطيعون أن يخفوا عورات الفكر الحشوي الجانح، فمنذ فترة ليست بالبعيدة، وقعت حادثة مثيرة بإحدى الجامعات الأردنية العريقة، حيث اندسَّ أحد الطلبة الحشوية ذات



مساء بمكتبة الجامعة، مستغلاً اشتغال أمينها، فأُغلِق عليه الباب حتى الصباح، فأخذ يقصّ أوراق الكتب التي لا تتماشى وفكر الحشوية العقيم، ولا ريب إنه شوّه الكثير من أمهات الكتب النفيسة بالمكتبة، حالماً بأنه سيخفي عوراتهم التي كشفها الله، وأنى لهم ذلك فالحقيقة كنور الشمس لا تحجبها أجنحة البعوض، ولا يبعد أن يكون هذا الطالب موجَّهاً للتخريب.

تاسعاً: دعم إعلامهم المقروء مادياً؛ فينشرون أفكارهم بثمن بخس كي تغطي على الفكر النقي.

لقد افترى الحشوية على كثير من أئمة المسلمين فنسبوا إليهم ما لم يقولوه، وحذفوا وأخفوا من كلامهم مالا يتناسب مع معتقداتهم الكاسدة، ونفخوا أئمتهم بالباطل لينافسوا بهم علماء الأمة، وما فتئوا ينفقون الأموال ليل نهار في تسويق بضاعتهم الكاسدة فهل تراهم أفلحوا؟! كلا فهم ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ**﴾ ولكن مع هذا فلا بدَّ لنا أن نهيب بالهيئات العلمية الحكومية والأهلية للمسارعة إلى طباعة كتب التراث الإسلامي الموثّقة خشية أن تنالها يد العبث الحشوية.

كره ابن تيمية لآل البيت

ابن تيمية بذل الغالي والنفيس كي يدافع عن شرعية الدولة الأموية، فألف الكتب في فضلهم، وفي سبيل ذلك شنَّ هجمة على الإمام علي بن أبي طالب فخطأه في سبعة عشر موضعاً يرى أنه خالف فيها نص الكتاب، وقال عنه: إنه كان **مخذولا، وإنه قاتل للرئاسة لا للديانة** وقد ذكر ذلك في كتابه المنهاج[1] ومما قاله (**وليس علينا أن نبايع عاجزاً عن العدل علياً ولا تاركاً له، فأئمة السنة**

---

١ . ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤، و٣/ ١٥٦

يسلمون أنه ما كان القتال مأموراً به ولا واجباً ولا مستحباً) ويقول (ولا رأي أعظم ذماً من رأي أريق به دم ألوف مؤلفة من المسلمين، ولم يكن في قتلهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا دنياهم بل نقص الخير عمّا كان وزاد الشر على ما كان)، وهو في قوله الأخير هذا لا يقول ما يقوله إلا دفاعاً عن الذين بغوا على الخليفة المبايَع للاستئثار بالحكم في بلاد الشام؛ فقاتلهم الإمام علي تنفيذا لحكم الله بعد أن أبوا الانصياع إلى الحق لقوله سبحانه ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾، بل إن ابن تيمية يذهب أبعد من ذلك فيصور الإمام عليّاً ـ تنظيراً للنواصب ـ بأنه يريد العلو في الأرض والفساد (.. وهذا حال فرعون!) (.. فمن أراد العلوّ في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الآخرة)[1]!!

إن ابن تيمية مستعد لفعل أي شيء لإضفاء الشرعية على مغتصبي الخلافة من بني أمية، الذين حوَّلوها إلى ملك عضوض وهدموا بذلك الخلافة الراشدة إلى يومنا هذا، حتى ولو كان السبيل إلى ذلك تضعيف أحاديث متواترة!!

اسمع إلى ابن تيمية يقول في منهاجه عن الحديث المتواتر في عمّار «تقتلك الفئة الباغية»: (فههنا للناس أقول: منهم من قدح في حديث عمّار)[2] اهـ. وقال: (فبعضهم ضعَّفه)[3] اهـ.

وابن تيمية كالعادة غير صادق فيما يدَّعيه[4]؛ لأن هذا الحديث ثابت متواتر جاء من طريق أربعة وعشرين صحابياً! نصَّ على تواتره الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى (٢/ ١٤٠)، والحافظ مرتضى الزبيدي في لقط اللآلي (٢٢٢ ـ

---

١ . المصدر السابق ٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥، ٢٣٢ ـ ٢٣٤

٢ . منهاج السنة، ٢/ ٢٠٤

٣ . المصدر السابق، ٢/ ٢٠٨

٤ . انظر ادعاءه الإجماع في كثير من المسائل التي لم يكن فيها إجماع البتّة وذلك خلال تعريفنا لابن تيمية بأول الكتاب.



٢٢٣)، والمناوي في شرح الجامع الصغير (فيض القدير ٦/ ٣٦٦)، وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب بهامش الإصابة (٢/ ٤٨١): (وتواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**» وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ وهو من أصح الأحاديث)اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١/ ٥٤٣) بعد أن ذكر بعضاً من أسماء الصحابة والصحابيات الذين رووا حديث عمار: (.. وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلي وعمّار، وردٌّ على النواصب..)[1].

و مما قاله ابن تيمية في منهاجه (٢/ ٢١٩) معرضاً بالإمام علي: (**ولم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداءً بل كان من أشد الناس حرصاً على أن لا يكون قتال، وكان غيره أحرص على القتال منه**)!!! بل وأشار إلى أن الإمام علي كان خائناً للأمة حينما قال في (منهاج السنة ٣/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) بأسلوبه الملتوي: (**كما أننا لا ننكر أن علياً ولّى أقاربه وقاتل وقتل خلقاً كثيراً من المسلمين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون ويصلون**) ثم لماّ رأى ابن تيمية أن الدفاع سيشمل الصحابة من أهل النهروان قال مستثنياً البعض فقط: (لكن من هؤلاء من قاتله بالنص والإجماع)اهـ.

إن ابن تيمية مستعد لفعل أي شيء للحط من قدر الإمام علي حتى كاد أن ينكر علمه فهو يقول: (ليس في الأئمة الأربعة ولا غيرهم من الفقهاء من يرجع إلى علي في فقهه.. فمالك أخذ علمه عن أهل المدينة، وأهل المدينة لا يكادون يأخذون عن عليّ! وأبو حنيفة والشافعي وأحمد تنتهي طرقهم إلى ابن عبّاس،

---

١ . وبعد هذا يأتي أحد الحشوية اليوم ليؤلف (ابن تيمية ليس ناصبياً) فقلنا: (كاد المريب أن يقول خذوني)!

وابن عبّاس مجتهد مستقل، ولا يقول بقول عليّ!!)[١] هذا هو قدر الإمام علي عند ابن تيمية، رجل مغمور لم يأبه بعلمه أحد من أئمة المذاهب[٢]!

ولتعلم الأقبح فإن ابن تيمية قد اعتدى على ريحانة رسول الله ﷺ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وأشار إلى أنَّ فيها شبهاً من المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بقوله ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ وقال ـ عليه من الله ما يستحق ـ بطريقة ملتوية: فكذلك فعلت هي إذ لم يعطها أبو بكر رضي الله عنه من ميراث والدها ﷺ[٣]

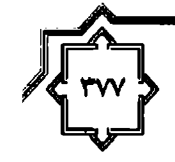
فانظر هداني الله وإياك إلى كلامه الخطير هذا، وجرأته على فاطمة الزهراء وعلى أبي الحسن كرّم الله وجهه بكلام لم يقله عنه حتى اليهود أعداء الأمة البارزون، فليس هناك من أحد سمى الإمام علياً بالمقاتل للرئاسة لا للديانة إلا ابن تيمية، وليس من أحد سماه بالمخذول إلا ابن تيمية، وليس من أحد سماه بالعاجز عن العدل إلا ابن تيمية، وليس من أحد أشار إلى أنه باغٍ في قتاله لمعاوية وأنه هو المعتدي إلا ابن تيمية؛ وليس من أحد تحدث بلسان النواصب فشبه علياً بفرعون وقرر حرمانه من الجنة إلا ابن تيمية عامله الله بما يستحق. وكيف لعلي

---

١. منهاج السنة، ٤/ ١٤٢ ـ ١٤٣.

٢. بل هناك ما هو أبشع، فالشيخ المحدِّث عبدالله بن الصديق الغماري كتب في الصبح السافر معرِّفاً بالقاضي عياض ص ٥٤ فقال هناك عن ابن تيمية: (ويسميه بعضهم شيخ الإسلام، وهو ناصبي عدو لعلي عليه السلام، واتهم فاطمة عليها السلام بأن فيها شعبة من النفاق) فانظر بالله عليك إلى شيخ إسلام الحشوية!!

٣. ابن تيمية، منهاج السنة، ٢/ ١٦٩. ويراجع الحافظ أحمد الغماري، علي بن أبي طالب إمام العارفين، ص ٥٣ ـ ٥٧ وقد ذكر الشيخ الغماري هنا أن ابن تيمية قد حكى عن بعض إخوانه!! أن علياً حفيت أظافره من التسلق على أزواج رسول الله ﷺ!!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم..



أن يبغي ويكون فرعوناً وهو الخليفة المبايع وأصحاب رسول الله ﷺ من السابقين واللاحقين يقاتلون تحت لوائه جنودا!

هذا ولترى مدى التناقض عند ابن تيمية المنافح عن الأمويين تراه لا يطبق منهجه هذا على من قتل سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي فهو لا يقول إن قتله لم يكن فيه مصلحة للإسلام بل قال مدافعا عن يزيد الخمر (**ويزيد ليس بأعظم جرماً من بني إسرائيل!! كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء، وقتل الحسين ليس بأعظم من قتل الأنبياء**)[١] إن ابن تيمية لا يرى بأساً في قتل يزيد للحسين ومن باب أولى أنه لا يرى بأساً في تسميم معاوية للحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ، لأن بني إسرائيل فعلوا أشد من ذلك ولم يفعل الله بهم من شيء سوى أنه ضرب عليهم الذلة ولعنهم وباءوا بغضب من الله ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾[٢].

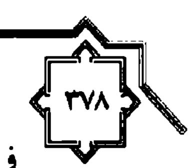
إن ابن تيمية يرى الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة على ضلال في خروجه على يزيد بن معاوية فيقول في منهاج ضلالته: (هذا رأي فاسد، فإن مفسدته أعظم من مصلحته، وقلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فعله من الشرّ أعظم ممَّا تولد من الخير)[٣]!!

---

١ . منهاج السنة، ٢/ ٢٤٧

٢ . لا أشك أن وهابيا سيخرج ليدافع عن ابن تيمية في مقولته هذه ويقول، نعم الفرق بين يزيد واليهود أنهم لم يقتلوا الأنبياء فقط بل كفروا بآيات الله أيضا، فالفقه الخارجي الأعوج من مميزات الوهابية.

٣ . منهاج السنة، ٢/ ٢٤١.



ولا غرو أن يتسائل كل مخلص: لماذا يفعل ابن تيمية والوهابية من بعده هذا في آل بيت النبي ﷺ؟! أقول: لعل في إجابة الأستاذ العقاد شفاء لما في الصدور، حيث يقول: (إنّ القول بصواب الحسين معناه القول ببطلان تلك الدولة.. والتماس العذر للحسين معناه إلقاء الذنب على يزيد، وليس بخافٍ كيف ينسى الحياء وتبتذل القرائح أحياناً في تنزيه السلطان القائم وتأثيم السلطان الذاهب)[1].

ألا إن ابن تيمية في ضلال مبين، وما لهؤلاء الذين يتشدقون بمحبة أصحاب رسول الله ﷺ من أدعياء السلفية اليوم يصرون على متابعة ابن تيمية وهذه هي أقواله وتناقضاته وميله لفريق البغاة الفاسقين؟! وكيف يثنون عليه بمديح لا يثنون به على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ؟! وماذا عساهم أن يقولوا في أقواله هذه، أهو أيضاً من كذب ابن بطوطة عليه وهو مسطور في كتبه، أم إن هذا التجني على آل بيت رسول الله ﷺ هو من الخطأ المغفور له لأنه أجل من كل خطأ وفوق كل حساب؟!! ألا إن الوهابية في ضلال مبين[2].

بقي أن نذكر أن الوهابية ينهون عن قول (كرّم الله وجهه) عند ذكر الإمام علي بحجة أنه بدعة، وأنه ليس الوحيد الذي لم يسجد لصنم فالوهابية أيضاً لم يسجدوا لصنم! لا تعليق.

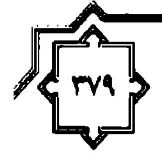
أهل السنة أهل ضلال عند الوهابية!

عندما تسمع الوهابية يتحدثون عن السلف يتبادر إلى ذهنك أنهم يتحدثون عن أصحاب رسول الله ﷺ، ولكن المؤسف أنهم يقصدون بالسلف ابن تيمية

---

١ . عباس محمود العقاد، أبو الشهداء، ١٠٦.

٢ . هل أدركت عزيزي القارىء سر تزهيد الوهابية للناس في زيارة القبر الشريف قبر النبي ﷺ؟ لا لشيء إلا لأن ابن تيمية قال ذلك!



ومن دار في فلكه، ويرون أتباعه هم أهل السنة لا غيرهم ويُخرِجون أتباع أحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة من هذا (الشرف) كما أخرجوا قبل ذلك زوراً باقي أتباع أئمة المذاهب الإسلامية من ذلك، ونحن ههنا سننقل آراء زعمائهم من السابقين واللاحقين ونبدأ بالشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين (ت ١٢٨٢هـ)حيث يقول **(إذا عرفت ذلك عرفت خطأ من جعل الأشعرية من أهل السنة كما ذكره السفاريني في بعض كلامه ويمكن أنه أدخلهم في أهل السنة مداراة لهم لأنهم اليوم أكثر الناس[1]، والأمر لهم، والله أعلم مع أنه قد دخل بعض المتأخرين من الحنابلة في بعض ما هم عليه)**[2] فالشيخ يؤمن أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة مطلقاً.

أما حديثاً فيقول الشيخ ابن باز: (ومن العقائد المضادة للعقيدة الصحيحة في باب الأسماء والصفات عقائد أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عزَّ وجل وتعطيله سبحانه من صفات الكمال... ويدخل في ذلك من نفى بعض الصفات وأثبت بعضها كالأشاعرة[3]... أما أهل

---

١ . أي تقيّة!!

٢ . (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، رسائل وفتاوى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين) ص ١٧٩ وقد ذكر هذا بعد كلام طويل (ص١٧٧)ذكر فيه ما ينتقده الوهابية على الأشاعرة ومنه أن الأشاعرة يؤلون رؤية الباري بأنها زيادة علم يخلقه الله في قلب الناظر ببصره، لا رؤية البصر حقيقة عيانا.

٣ . بطبيعة الحال هذا الحكم وما سبقه يشمل الماتريدية لأن الاتجاهين متقاربان في النتائج حتى ظن الكثيرون بأن الخلاف بينهما لا يتعدى الخلاف اللفظي كما ذكره الإمام محمد عبده في تعليقاته على العقائد العضدية. بل لا أستبعد أن يكون الوهابية يرون الماتريدية ليسوا من الإسلام في شيء لأنهم يقدمون العقل كثيراً فمثلاً هم يعتبرون معرفة الله واجبة بالعقل تمسكاً بمنهج الإمام أبي حنيفة بينما يعتبرها الأشاعرة واجبة بالنقل ولا يعتبرون للأشياء حسناً ذاتياً يدركه العقل.

السنَّة والجماعة فقد أثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه)[١] اهـ باختصار، وتلاحظ أن الشيخ ابن باز قد أخرج الأشاعرة من حظيرة أهل السنَّة وقد خصَّ بهذه التسمية أتباع ابن تيمية فقط[٢]!! علماً أنَّ مقصوده من نفيهم وتعطيلهم للصفات ما هو إلا وصفهم للذات العلية بما يتناسب وقدسية الذات الإلهية وانتفاء المشابهة لشيء من الخلق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فهم يؤولون اليد في قوله سبحانه ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بالقدرة لأنه لا يتناسب والذات العلية ولا اللغة العربية أن تكون اليد هنا حسيَّة، وقوله سبحانه ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي أن سفينة نوح كانت تجري تحت عناية الله ولطفه ولا يمكن بحال أن تكون العين حسيَّة فانظر إلى موقف الشيخ ابن باز من المسلمين عموماً ومن أهل السنَّة والجماعة خصوصاً حيث حكر هذا الوصف عليه وحده وقومه.

وكي لا تظننَّ أن الشيخ ابن باز يجري وحده في هذا المجرى التقليدي لسابقيه فإننا سننقل عن زعيم آخر من زعماء أدعياء السلفية؛ يوصف بالعقلية والتسامح، وهو الشيخ محمد بن صالح العثيمين من كتاب حيث يقول[٣]: (نجيب على ما طُلب، وهو تقسيم أهل السنة إلى طائفتين في مدرستين:

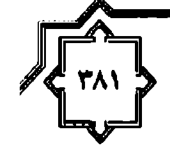
إحداهما: مدرسة ابن تيمية وتلاميذه المانعين لصرف النصوص عن ظواهرها.

---

١ . ابن باز، العقيدة الصحيحة وما يضادها، مكتبة ابن تيمية، ص٢٠.

٢ . وللشيخ سفر الحوالي كلام كثير يفرق فيه بين من يعتقد أنهم أهل السنة وبين الأشاعرة ولكني لم أتمكن بعد من الحصول على الكتاب الذي جمعه فيه، ولكن لا بأس فسوف يأتيك قول العثيمين مفصلاً بعد صفحات.

٣ . مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج٣ ص ١٨ وما بعدها، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، ط١، سنة ١٤١٢ه، طبعة دار الوطن للنشر بالرياض، وقد وقَّع الشيخ العثيمين الكتاب دليلاً على إقراره بما فيه



الثانية: مدرسة الأشاعرة[١] والماتريدية[٢] الموجبين لصرفها عن ظواهرها في أسماء الله وصفاته.

فنقول: من المعلوم أن بين هاتين المدرستين اختلافاً بيِّناً في المنهاج فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، فالمدرسة الأولى يقرر معلموها وجوب إبقاء النصوص على ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، مع ما يجب نفيه عن الله تعالى، من التمثيل أو التكييف[٣]، والمدرسة الثانية يقرر معلموها وجوب صرف النصوص عن ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

وهذان المنهاجان متغايران تماماً...)

ثمَّ يقول بعد أن أورد مثالاً يبين فيه تأويل الأشاعرة والماتريدية لليد بالقدرة في قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وتجسيم أتباع ابن تيمية لها: (**وعلى هذا فيتعين أن يكون وصف أهل السنة خاصاً بهم[٤] لا يشاركهم فيه أهل المدرسة الثانية، لأن الحكم بمشاركتهم إياهم جور، وجمع بين الضدَّين، والجور ممتنع شرعا، والجمع بين الضدين ممتنع عقلاً**)[٥]

---

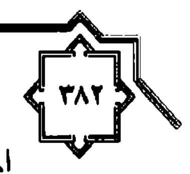
١ . سبق تعريفها.

٢ . الماتريدية هم أتباع أبي منصور السمرقندي الماتريدي (ت٩٤٤م) عاصر الأشعري، والطهاوي. كان عالماً من علماء الكلام، ويتبعه الأحناف في أمور الخلاف العقائدية.

٣ . الشيخ من أتباع هذه المدرسة بلا ريب، وهو مثال جيد على التجسيم فهو يقول في نفس هذا الكتاب ص٤١، عندما سئل عن إثبات العينين لله: (إن لله تعالى عينين)! أليس هذا تمثيلاً وتكييفاً وتشبيهاً لله تعالى الذي ليس كمثله شيء بعباده، ولا نستغرب من الشيخ وأمثاله غداً إذا عرفوا أن للذبابة أعيناً أن يقول بأن لمعبوده أعين لأن الله يقول في كتابه ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾.

٤ . أي أتباع ابن تيمية.

٥ . حديث الوهابية عن العقل هنا مضحك، فهم ما إن يستدل عليهم أحد بدليل عقلي إلا واجهوه بالتشنيع، فلا مجال للعقل لديهم، إلا في مواضع يتخيلون العقل فيها لصالحهم وحاشا!



ويقول: (ولا ريب أن أهل المدرسة الأولى غير المؤولين أحق بالوصف المذكور ـ أهل السنة ـ من أهل المدرسة الثانية المؤولين، لمن نظر في منهاجيهما بعلم وإنصاف)[1]

بل إن أدعياء السلفية ونتيجة للعمه الذي يتخبطون فيه فإنهم وصلوا لأبعد من ذلك حيث يطالبون أهل السنة بترك هذه التسمية (أهل السنة والجماعة) وعليهم إن أرادوا النجاة بأن يتسموا بالسلفية[2]!!! وقد ذكر ذلك أحد كتابهم في كتاب له بعنوان (رؤية واقعية) ص ٢١، وقد رد عليه ليبين عوار رأيه الشيخ خالد بن حامد الأضم العسقلاني في كتابه (الردود السلفية على دعاة السلفية)[3] ونحن نتساءل إن كان هناك غرور أو تعصب للرأي وللعلماء أكبر من هذا، فابن تيمية لا يمكن أن يقال بأنه يمثل السلف؛ فأين هو عن عصر الصحابة، بل وأي تجديد أتى به حتى تضفى عليه هذه الهالة، إلا عقيدة التجسيم بطبيعة الحال؟! وأي تعصب للحزب أكبر من هذا، حتى أنهم يطالبون الناس بترك مذاهبهم واتباع رأيهم وطريقتهم، وكأن الله لم يخلق للناس عقولاً؟!

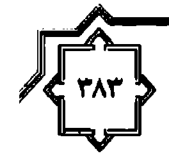
فمتى يعي هؤلاء أن اتباع السُّنة وسبيل السلف الصالح لا تكون بالأحزاب ولا بالادعاء، وإنما هي بالعمل الصالح الذي يطاله كل مسلم يتمسك بأهداب السنة النبوية الشريفة أياً كان المذهب الإسلامي الذي يتعبدالله سبحانه وتعالى به!

---

١ . مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج٣، ص ١

٢ . ولعل هذا عائد إلى أن أول من تسمَّى بأهل السنة هم الأشاعرة كما يذكر ذلك د. مصطفى الشكعة في كتابه إسلام بلا مذاهب ص٤٨٩ ـ ٤٩١، ط١٣، ولذلك لا يريد السلفية أن يكون للأشاعرة عليهم فضل.

٣ . ج١، الفصل الثاني (بين السلفية وأهل السنة) ص٢٥، وخشية من الإرهاب الوهابي فإن دار النشر لم تذكر في هذا الكتاب، ط ١٤١٣هـ.



دوران الأرض يفسد العقيدة الوهابية

الوهابية يعيشون في حيرة فكرية، حيث وصل بهم التناقض إلى أن العلوم العصرية التجريبية قد تسبب فساداً لعقيدتهم، فهم معادون لكل علم عصري، ولو كان الأمر بأيديهم لما تعلَّم مسلمٌ في بلاد الحرمين شيئاً من العلوم العصرية، ولِتعلم ذلك من أقوالهم فهذا نقل حرفي من كتاب (**هداية الحيران في مسألة الدوران**) لمؤلفه عبدالكريم بن صالح الحميد، مطبعة السفير ـ الرياض، وقد طبع طباعة فاخرة، ويباع بثمن بخس (٥ ر.س)[١]، وسترون فيه دفاع الوهابية المستميت عن القول بأن الأرض لا تدور، لأن ذلك يفسد عقيدتهم المبنية على تجسيم الله ـ أستغفر الله العظيم ـ وأنه جالس في السماء فوق العرش، وقد ضللوا الشيخ الزنداني علناً في هذا الكتاب، وكأنَّ الشيخ الزنداني هو الوحيد الذي يقول بهذا القول[٢]، وإليكم مقاطع من الكتاب، وأترك ذلك لحكمكم أيها القراء:

من الصفحة (١٠): (فإن مما عمت به البلوى في هذا الزمان: دخول العلوم العصرية على أهل الإسلام، من أعدائهم الدهرية المعطلة، ومزاحمتها لعلوم الدين، وهذه العلم قسمين[٣]:

القسم الأول:

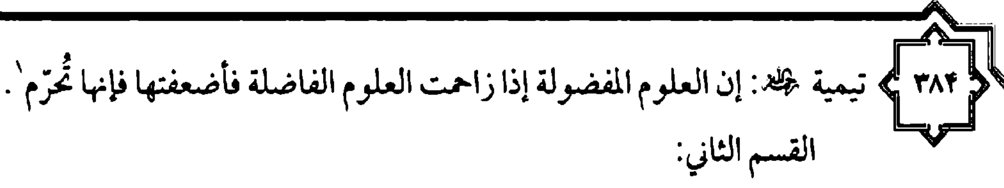
هو علوم مفضولة، زاحمت الشريعة وأضعفتها. وقد قال شيخ الإسلام ابن

---

١ . الكتب والمؤسسات الوهابية مدعومة كي تنال أفكارهم المتطرفة أكبر قدر من التسويق والنشر، فموازنة هيئة الدعوة والإرشاد تبلغ مليار دولار سنوياً. يراجع رياض نجيب الريّس، رياح السَّموم، السعودية ودول الجزيرة بعد حرب الخليج ١٩٩١ ـ ١٩٩٤، ط٣، ص١٦١.

٢ . الوهابية يرون ضلال أغلب المفكرين الإسلاميين أصحاب اليد الطولى في العلوم العصرية الحديثة كابن سينا وابن رشد، وهذا يذكرنا بالكنيسة في أوربا إبان الثورة الصناعية حيث حكموا بكفر جاليليو القائل بدوران الأرض!

٣ . الرجاء عدم مؤاخذة اللغة والنحو فالشيخ وهابي!!



تيمية ﷺ: إن العلوم المفضولة إذا زاحمت العلوم الفاضلة فأضعفتها فإنها تُحرّم[١].

القسم الثاني:

علوم مفسدة للاعتقاد مثل: القول بدوران الأرض، وغيره من علوم الملاحدة)

ثمَّ أفصح بأن القول بدوران الأرض يفضي إلى بطلان عقيدتهم فجعل عنوان المقال (**القول بدوران الأرض يفضي إلى التعطيل**)صفحة (١٣) والعنوان كاف عمّا يليه من تهريج.

ثمَّ بدأ يتحدث عن علم الجيولوجيا صفحة (٢٥) فقال: (من هنا ضلَّ القوم وأضلوا غيرهم)!!

وقال مضللاً الشيخ الزنداني في صفحة (٢٦): (ولما كان الزنداني ممن غرتهم علوم الملاحدة، وأرادوا أن يوفقوا بينها وبين علوم الشريعة المطهرة، ولم يوفقوا...) ثم يقول: (قال ابن القيم ﷺ..) وكأنه إذا قال ابن القيم فلا يجوز لأحد غيره أن يخالفه!!

ويقول ص (٣٢): (واعتقاد دوران الأرض أعظم من اعتقاد تسلسل الإنسان من القرود بكثير) لا تعليق!!

ثمَّ كان العنوان ص (٣٣) كالتالي: (كل دليل من الكتاب والسنة على دوران الأرض فهو تأويل باطل) ولكنه لم يذكر آية واحدة ولا حديثاً نبويا يؤيد ما يزعم؛ وإنما كان الدليل: قال شيخ الإسلام!

وقال في ص (٣٦) تحت عنوان (ماذا يعني القول بدوران الأرض): (هذا الاعتقاد ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو مقصود لغيره، إذ هو حلقة من سلسلة

---

١ . ونقول: سبحان الله إنهم يرون العلم يتصادم مع الشرع وهذا اعتقاد أهل الكنيسة تماماً في نصرانيتهم، وكما ترى فإن دليلهم ليس قرآناً ولا سنة بل قول أحد أساطينهم!



تبدأ من التعطيل وتنتهي إليه، ومُعتقِده يلتزم من أجله لوازم في غاية الخطورة، حيث يلتزم أن ما فوق الأرض من كل جانب فضاء لا نهاية له) وهنا مربط الحمار[1]!

فنقول: أيها الناس لقد حكم هؤلاء القوم ببطلان عقيدتهم، فدوران الأرض وكرويتها لا يحتاج اليوم إلى دليل؟!

ملاحظة: كبيرهم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز يرى أيضاً هذا الرأي، مع زيادة بسيطة وهي أن من أصرّ على القول بدوران الأرض فهو مرتد يستباح دمه، وماله فيء لبيت مال المسلمين[2]! أما العثيمين الأكثر تفتحاً فإنه ينصح مدرسي مادة الجعرافيا بعدم تدريس دوران الأرض للطلبة[3]

ولقد تجرأ الكاتب ص (٤١ ـ ٤٥) وبكل وقاحة على رجل بذل روحه رخيصة في سبيل الله، إنه صاحب (معالم على الطريق) شهيد الإسلام سيد قطب، وإن يدي لا تستطيع الخوض فيما كتبه هذا الجريء على أعلام الإسلام، وقد ألفَّ كتاباً آخر سماه (إنارة الدرب لما في تفسير قطب من آثار الغرب)[4] فإنا لله وإنا إليه راجعون، وسبحان من ابتلى المسلمين باستيلاء اليهود على بيت المقدس، وهؤلاء على الحرمين الشريفين.

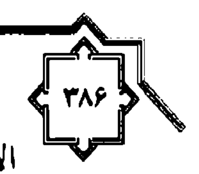
---

١ . والله لا يتناسب أن نذكر الفرس مع أصحاب هذا الفكر؛ خصوصاً إذا علمنا بأنهم يبيحون دم من يقول بدوران الأرض كما سيأتي.

٢ . تطالع التفاصيل بموضوع (ابن باز ودوران الأرض) في فصل الفقه.

٣ . مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج ٣، فتوى رقم ٤٢٨، ص١٥٣

٤ . وللحشوية مؤلف آخر في محاربة شهيد الإسلام وهو (المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال) للمدعو عبدالله بن محمد الدويش، يصف فيه سيد قطب بالابتداع وأنه جهمي أشعري معتزلي، يراجع مثلاً ص (١٠ و١٩)



أيها الاخوة إنني أحس بألم شديد يعتصرني على جرأة هؤلاء على أعلام الأمة، الأحياء منهم والأموات، ولكنني عندما أذكر جرأتهم على الله بتجسيمه، وتشبيهه بخلقه يهون عليَّ ما نلقاه نحن البشر، من كل المذاهب الإسلامية، وأنا موقن بنهاية هؤلاء قبل انتهاء النفط؛ فالله سريع العقاب، والله أكبر، والنصر للإسلام.

الهزال الفكري عند الوهابية

ليس بغريب أن يتميز من يحارب العقل بعدم اتزان الفكر، وهذا حال الوهابية حيث أضفوا على كتابات ابن تيمية وأشياعه هالة القداسة، وأنها هي المنهج السلفي الحق الذي يجب اتباعه، ولا يجوز إعمال العقل فيما قالوه فهو الحق الصراح الذي يجب التسليم له، وإن قال بفناء النار، لذلك ترى الوهابية اليوم يهاجمون علماء المسلمين بكل ما أوتوا من قوة في كتاباتهم التي سخروها لهذا الغرض لا غير، دفاعاً عن كلِّ باطل يتبنونه، وإن كان بأساليب غاية في الركاكة، ومن هؤلاء الدكتور صالح بن فوزان الفوزان الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حيث هاجم العلامة الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي الذي عرفه العالم الإسلامي بقوة حجته، وإخلاصه في الدعوة، ومن فاته قراءة مؤلفاته القيمة، فبالتأكيد لم تفته مواعظه ودروسه الإعلامية؛ كبرنامجه الدعوي الشهير (يغالطونك إذ يقولون) الذي يرد فيه على الملاحدة وأمثالهم بالحجة البينة والبرهان الناصع.

العلامة البوطي كتب كتاباً بعنوان **(السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي)**[1] بين فيه أن الوهابية ما هربوا إلى هذه التسمية إلا بعد أن سئموا

---

١ . وله كتب أخرى منها كتابه الشهير (فقه السيرة) وكتاب (ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية).



تسميتهم الأولى (الوهابية)، ودافع عن كثير من علماء المسلمين الذين يصفهم الوهابية بالضلال كالعلامة الكوثري، والقشيري، ومحمد العلوي المالكي[1]، وبين شيئاً من ضلالات ابن تيمية بأسلوب مهذَّب علمي، فما كان من الدكتور الفوزان إلا أن انبرى للرد عليه في كتيب له بعنوان (نظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان.. من الهفوات)[2] وهذه عادة الوهابية فمكتباتهم ملأى بالتعقيبات بالشتم لعلماء المسلمين، فاتهم العلامة البوطي بأنه لم يقرأ التاريخ (ص٧٢)، وأنه لا يحترم ما يقول (ص ٧٣)، ولكي نرى الخواء الفكري عند هؤلاء ولنبين للناس جلياً مَن الذي لا يحترم ما يقول فإننا سنتعرض للمنهج العلمي عند هذا الأستاذ الجامعي في الرد حيث يقول:

- ص ٤٤ (البيهقي ﷺ عنده شيء من تأويل الصفات فلا يوثق بنقله في هذا الباب)

- ص٤٥ (الحافظ - أي ابن حجر العسقلاني - متأثر بمذهب الأشاعرة فلا عبرة بقوله في هذا) ويشير بهذا إلى العقيدة.

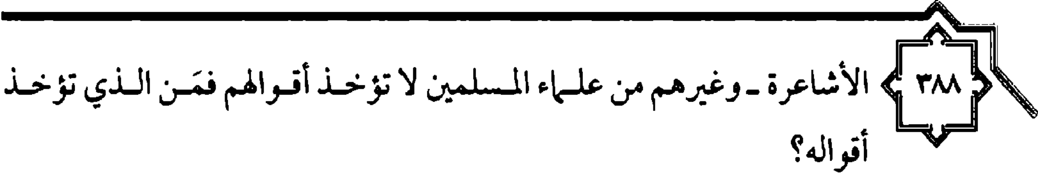
- ص ٤٧ (الخطابي ﷺ ممن يتأولون الصفات فلا اعتبار بقوله، ولا حجة برأيه، وله تأويلات كثيرة)

ونحن نقول أي منهجية علمية هذه التي ترفض أقوال العلماء ولا ترى فيها حجة، فهل الحجة في الفريق الذي تنتمي إليه أم في البرهان العلمي الذي تثبته، فإذا كان البيهقي والخطابي وابن حجر - الذي كانت جريمته التأثر بمذهب

---

١ . هذا الرجل من علماء المذهب المالكي، ينتمي لآل البيت، من أهل مكة المكرمة، يفند أباطيل الوهابية مما حدا بهم لمحاكمته و فصله من عمله بعد أن رموه بفرية نشره للشرك الأكبر!! والاتصال بالصوفية في مصر، فمنع من السفر خارج السعودية كما جاء في قرار هيئة كبار العلماء رقم ٨٦ في ١١/ ١١/ ١٤٠١هـ. هكذا يتعامل الوهابية مع مخالفيهم!!

٢ . الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، دار الوطن للنشر بالرياض.



الأشاعرة ـ وغيرهم من علماء المسلمين لا تؤخذ أقوالهم فمَن الذي تؤخذ أقواله؟

إننا نعلم الجواب الوهابي المعلَّب؛ إن من يجب تلقّي قوله بالقبول لديهم هو ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأتباعهما، وليُضرب بأقوال باقي علماء المسلمين عرض الحائط، فالفوزان يرى أن العقيدة يجب أن تؤخذ من كتب الحشوية نحو الكتاب المنتحل (كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد) ص ١٧[١]

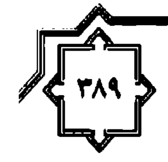
ويدافع الفوزان بباطل في كتابه هذا عن عقيدة فناء النار[٢] وأنها ليست بدعة بغضّ النظر عن صحتها (ص ٤٩) لأنها نابعة من الكتاب والسنة على حدِّ زعمه!! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

على كل حال فإن تدني المستوى الفكري لدى أدعياء السلفية أصبح يتحدث به الرائح والغادي، حيث إن كتاباتهم جامدة على محور الشرك المتمثل بعبادة القبور على حدِّ زعمهم، ولا مساهمة لهم في بعث الأمة الحضاري، إلا الهجوم على أقطاب هذا البعث ـ بطبيعة الحال ـ كالهجوم على الإمام محمد عبده وحسن البنا وسيد قطب ومحمد الغزالي وغيرهم، ونحن عندما نتحدث عن إسفافهم الفكري فإننا لا نبني أحكامنا على خطبائهم وصغار كتابهم، بل نتحدث عن كبار العلماء والأساتذة الجامعيين لديهم، واقرأ إن شئت كتابات الدكتور عمر الأشقر الذي يعيش في بيئة علمية متفتحة، ولكن انتماءه الوهابي أبى عليه إلا الانغلاق، فترى كتاباته هزيلة متهالكة، لا يقوم لها في سوق العلم ميزان.

---

١ . لتعلم كذب نسبة هذا الكتاب لابن الإمام أحمد وما فيه من الترهات، فما عليك إلا مراجعة مقالنا: كتاب السنة المفترى

٢ . اقرأ موضوعنا: ابن القيّم الشفيق بإبليس



كيف يتعامل الحشوية مع العلماء

لا يعرف الحشوية وسطية في أمر من أمورهم، فإذا أحبوا قدّسوا وإذا خاصموا فجروا. يتعصبون لعلمائهم تعصباً لا يتعصبونه لأصحاب الرسول ﷺ، ويكيلون لهم عبارات التزكية والتقديس إلى حدِّ العصمة، واصغِ إليهم عند ذكرهم لابن تيمية أو ابن القيّم أو ابن كثير ومن سار على نهجهم، وكأنهم يتحدثون عن أنبياء ومرسلين؛ إلى درجة تنفر الناس منهم.

وهذا الأسلوب قديم متأصل لدى الحشوية، ألم يقل علي بن المديني «بأن الله أيد هذا الدين باثنين لا ثالث لهما هما أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة»[١] فأين قتال المرتدين وأثره في استقرار الدولة الإسلامية من موقف أحمد بن حنبل في مسألة خلق القرآن!! بل إن ابن المديني بلغ في تعصبه أبعد من ذلك حين يروي الميموني على لسانه أنه «ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ ما قام أحمد بن حنبل. فقال له: يا أبا الحسن ولا أبو بكر الصديق؟! قال: ولا أبو بكر الصديق. إن أبا بكر كان له أعوان وأصحاب وأحمد لم يكن له أعوان وأصحاب»[٢]. بل إنهم لا يترددون عن الكذب في سبيل تمجيد أئمتهم، ومن ذلك ما نقله علي بن الموفق المعروف بأبي الحسن العابد من أنه قرأ «أن أحمد بن حنبل حج ستين حجة»[٣]، يقول الدكتور مصطفى الشكعة تعليقاً: «ومن المعروف أن أول حجة حجها ابن حنبل كانت سنة مائة وست وثمانين وأنه مات سنة مائتين وواحد وأربعين، فلو أن ابن حنبل أدى الفريضة كل سنة منذ أول

---

١ . ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة ١/ ١٣

٢ . المصدر السابق ١/ ١٧

٣ . المصدر السابق ١/ ٣٣١



حجة حتى يوم وفاته، وهو ما لم يحدث، لما وصلت عدد المرات التي حج فيها كل هذا القدر»[1]. وعلى درب هذا اللون ما ينسبه صاحب الطبقات إلى الربيع بن سليمان أنه سمع الشافعي يقول: «من عاند أحمد بن حنبل فهو كافر»[2]. وهذا بلا ريب كذب على الإمام الشافعي»، وقالوا: «أنه يوم موت ابن حنبل وقع النوح في المسلمين واليهود والنصارى والمجوس وأسلم عشرون ألفاً منهم»[3] الأمر الذي جعل الذهبي يعلق على ذلك وينكره قائلاً: (لو أسلم عشرة لكان عظيماً ولرواه أكثر من عشرة).

ولترى مبلغ التعصب عند الحشوية فإن فريقاً منهم ذهب إلى إمام المفسرين ابن جرير الطبري منكراً عليه عدَّ ابن حنبل محدِّثاً لا فقيهاً في كتابه (اختلاف الفقهاء) فلما أجابهم بقوله:«ما رأيته رُويَ عنه ولا رأيت له أصحاباً يعوَّل عليهم»، وثبوا عليه ورموه بمحابرهم، ثم قذفوا داره بالحجارة، إلى أن تدخلت الشرطة، واضطر الرجل حفاظاً على نفسه أن يعتذر لهم.

وماذا بعد؟ هل اكتفى الحشوية بذلك؟ كلا، فهم أعداء من يقول الحق حتى بعد موته، ولو استطاعوا لرموا من يقول الحق جيفةً للكلاب؛ **فعندما مات الإمام الطبري منع الحشوية خروج جنازته حتى اضطر أهله لدفنه في داره ليلاً!!** يقول الذهبي: «ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة»[4] لقد رموه بالرفض[5] وأثاروا عليه العامة يوم وفاته، يقول ابن الأثير:

١ . د. مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب ٤٦٧ ـ ٤٦٨ وكثير من التعليقات اللاحقة هي له.

٢ . المصدر السابق ١/ ١٣

٣ . المصدر السابق ١/ ١٨

٤ . العبر للذهبي ٢/ ١٤٦

٥ . قارن هذا الافتراء بقول أبي حامد الإسفرائيني الفقيه: «لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً».



«في هذه السنة توفي محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ببغداد، ودفن ليلاً بداره، لأن العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً، وادعوا عليه الرفض، ثم ادعوا عليه الإلحاد، وكان علي بن عيسى يقول: «والله لو سئل هؤلاء عن الرفض والإلحاد ما عرفوه ولا فهموه»[1].

مثال آخر ما قاله أبو بكر الخلال[2] في سنته التّالفة ج١ ص٢٤٣ عن الحافظ أبي الحسن أحمد بن الحسن بن جنيدب الترمذي[3]، والذي كان أحد أوعية الحديث[4]، روى عنه البخاري والترمذي: (وقال محمد بن يونس البصري: إن هذا الرجل المعروف بالترمذي قد تبيّن لنا ولأصحابنا **بدعته وإلحاده في الدين**، وردّ الآثار التي يحتج بها على الجهمية... الخ).

وقال ناقلاً: (إن هذا الترمذي **الجهمي الرّاد لفضيلة الرسول ﷺ**... الخ).

وقال ص٢٣٧: (وقال أبو علي إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي إن هذا

---

١ . مجير الدين العليمي، النهج الأحمد في تراجم أصحاب أحمد، ١/ ٣٨.

٢ . وهذا الخلال من المؤسسين الكبار للمذهب الحشوي فهو قد جمع الغث والسمين من أفواه أصحاب أحمد وأصحاب أصحابه وبعضه عن رجل عن آخر عن آخر عن أحمد جمع كل ذلك في كتبه (العلم) و (العلل) و (السنة) كل كتاب في ثلاثة أجزاء (انظر العواصم من القواصم (٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣)، وافتروا على أحمد الشيء الكثير في هذه الكتب خصوصاً في العقائد، وما الذي سيمنعهم من ذلك وقد افتروا الحديث على رسول الله ﷺ؟ وهذا الأسلوب هو الذي جعل الفقه المنقول عن أحمد مضطرباً حيث تجد رواية في مسألة تفيد النفي المجرد وتجد رواية أخرى تفيد الإثبات المجرد حتى قال الشيخ أبو زهرة (ذلك من شأنه ان يثير الريب حول النسبة)! يراجع محمد أبو زهرة، في كتابه (أحمد بن حنبل)، ص ١٦٨ ـ ١٧٠.

٣ . وهو أحد تلاميذ أحمد وأصحابه، روى له البخاري والترمذي صاحب السنن. راجع تعريفه في تهذيب الكمال ١/ ٣٥ ـ ٣٦ برقم٢٤.

٤ . وصفه بذلك ابن خزيمة، ولا داعي لإيراد أقوال العلماء في الثناء عليه فهو أعلى من قدح أدعياء السلفية، وليموتوا بغيظهم.

المعروف بالترمذي عندنا مبتدع جهمي... ومن رد فضيلة الرسول ﷺ فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام).

ولكن هل تدرون أيها الإخوة ما هي الفضيلة التي ردَّها الحافظ الترمذي ولم يعترف بها وصار بذلك مبتدعا، كافرا، مرتدا، ملحدا، جهميا، راداً لفضيلة الرسول ﷺ عند هؤلاء الحشوية أخزاهم الله؟!! إنها ـ بحسب زعمهم السقيم ـ جلوس النبي ﷺ بجنب الله تعالى على العرش، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

هكذا يتعامل الحشوية مع العلماء إن لم يكونوا عبيداً لأهوائهم وتعصبهم الأعمى، ورحم الله علماء الأمة الأعلام، الذين لم يسلموا من ألسنة الحشوية وشرِّهم لا في القديم ولا في الحديث، والله المستعان.

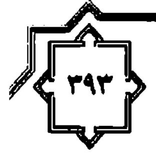
بين مفتيين

قلنا إن من طبيعة الحشوية إضفاء هالة القداسة على علمائهم، ومنحهم ألقاباً فضفاضة لا تتناسب وأحجامهم، من ذلك ما فعلوه مع الشيخ ابن باز بعد وفاته، فقد أنشأوا موقعاً على الإنترنت أسموه (شيخ الإسلام ابن باز)!! ولو تحدثوا عن الرجل وما يتناسب ومقامه من أنه شيخ عالم ساهم بدلوه في السعودية لما قلنا شيئاً، أما والأمر هكذا فإنه لا بد أن نبين المقام الحقيقي للشيخ بين العلماء؛ لا لشيء سوى أن لا تخلط الحقيقة بالهوى ويغتر الناس بكثير من أحكامه الباطلة، وأفضل من يتحدث عن الشيخ لسانه، فقد قال في مقابلة مع مجلة (المجلة)[١] إجابة على سؤال هذا نصه:

ـ «تحفظون عن ظهر قلب عدداً من أمهات الكتب؟

---

١ . أعيد نشرها في عدد (١٠٠٦) ٢٣ ـ ٢٩/ ٥/ ١٩٩٩، صفحة ٢٨، والمجلة تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق.



فقال الشيخ: لا، لا أحفظها. قرأنا الكثير ولكن لا أحفظ منها الشيء الكثير، قرأنا البخاري ومسلم مرات، قرأنا سنن النسائي وسنن أبي داود وما أكملناهما. قرأنا سنن ابن ماجه لكن ما أكملناه. قرأنا جملة كبيرة من المسند (أي مسند أحمد) والدارمي وصحيح ابن قتيبة، نسأل الله أن يتقبل وينفع بالأسباب».

هذا هو الشيخ ابن باز بلسانه ـ وحاشاه عن الكذب في سبيل التواضع ـ لا يحفظ شيئاً من أمهات الكتب، بل ولم يكمل قراءة أغلب كتب الحديث حتى مسند إمام مذهبه أحمد بن حنبل، في الوقت الذي يفترض فيه أن يكون المفتي قد أحاط بما في كتب الحديث علماً؛ يحفظ ما فيها من الأحاديث عن ظهر قلب ويعلم صحيحها من سقيمها، وإلا فكيف سيتمكن من استنباط الفتاوى والأحكام!

هذا هو الشيخ ابن باز يعرف القليل ويحكم في الكثير، ومن أمثلة ذلك حكمه على جماعة الإخوان المسلمين بالتقصير في العقيدة ونشرها، في كثير من أقواله مع أنه يعترف في هذه المجلة وفي نفس الصفحة بالتالي: (لم أقرأ قراءة كافية في كتبهم وما جمعوا لا من جهة الشيخ حسن ﷺ ولا غيره) فهو يحكم على قوم لم يقرأ قراءة كافية في كتبهم! وبمثل هذا أفتى بعدم جواز الصلاة خلف الزيدية وذلك في فتواه الصادرة عن مكتب رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتاريخ ٣/ ٩/ ١٣٩٥هـ برقم (٢١٤٣) والموجهة إلى أعضاء البعثة التعليمية السعودية في اليمن، قال فيها: (أما الصلاة خلف الزيدية فلا أرى صحتها خلفهم)، ولكن علماء اليمن من زيدية وشافعية وقفوا في وجه فتواه صفاً واحداً فتراجع تراجعاً متحفظاً عن الفتوى بعد سنة من تاريخه وتحديداً في ٢٤/ ٩/ ١٣٩٦هـ، فكتب في فتوى صادرة عن إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مكتب الرئيس (غير مرقَّمة) قائلاً: (بلغني استغراب كثير

من أهل العلم في اليمن[١] هذه الفتوى.. وبناء على هذا وجب عليّ أن أعيد النظر في هذه الفتوى.. فأقول إن هذه الفتوى التي سبق ذكرها قد رجعت عنها بالنسبة إلى ما فيها من التعميم والإطلاق) وقال بعد ذلك كلمة ليته عرف كيف يطبقها خلال مشواره في الفتوى نصها: (والواجب أن يؤخذ كل إنسان بذنبه وأن يحكم عليه بما ظهر من أقواله وأعماله.. والأصل سلامة المسلم مما يوجب منع الصلاة خلفه) هذا هو الشيخ ابن باز شخص أقل ما يقال فيه إنه يستعجل الفتوى بكفر المسلمين من غير تبصر ويقين!! علماً أن طبعه المتعطش للتكفير لم يمهله طويلاً بعد ذلك رغم كل ما قاله في نهاية فتواه السابقة؛ فحكم على مذهب آخر وهو المذهب الإباضي بعدم جواز الصلاة خلف أتباعه لا لشيء إلا لا يؤمنون برؤية الباري سبحانه دنيا وأخرى ويؤمنون بتخليد أهل الكبائر المصرين عليها من غير متاب في النار[٢]، ونادى في فتواه مردداً: (السيف السيف) وذلك في فتواه رقم: (٧١٧/ ٢ بتاريخ ٨/ ٣/ ١٤٠٧هـ) علماً أن هذه الأمور العقائدية يشاركهم فيها تماماً الزيدية، فهل من تناقض بعد هذا!! وأي تبرير يجده أنصار الشيخ لشيخهم[٣]؟!

لقد اشتهر الشيخ برفضه الحوار مع المسلمين جملة وتفصيلاً[٤] وعُرف

---

١ . وقد رد عليه الشيخ عبدالرحمن الخيِّر في رسالة طبعت بعد موته بعنوان (الرد على ابن باز رئيس هيئة كبار العلماء في السعودية وحول مقال غلاة الشيعة لم ينقرضوا بعد).

٢ . يراجع كتاب (الحق الدامغ) لسماحة الشيخ أحمد الخليلي لمناقشة أدلة الفريقين.

٣ . ببساطة كان الشيخ يقف ضدَّ الإسلام الذي يستحيل أن يتوافق مع الشريعة الوهابية ونظامها، ومن آخر ذلك فتواه ضدّ الشيخ إسامة بن لادن.

٤ . كما فعل أمام سماحة الشيخ أحمد الخليلي مفتي عام سلطنة عمان، وقد كفَّر الشيخ ابن باز الإباضية وأفتى بعدم جواز الصلاة خلفهم، ودعاه الشيخ الخليلي للحوار والمناظرة أمام الكعبة المشرفة بحضور جمع غفير من المسلمين على أن تنقل المناظرة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة فأبى الشيخ أيما إباء.



بتشنيعه عليهم وعُرف بتكفير أهل القبور وإغفال أهل القصور[١]، وعرف بضيق عطنه وسرعة غضبه في النقاش مع المسلمين كما اعترف في مجلة المجلة سابقة الذكر، هذا في الوقت الذي يحترم فيه النصارى ولا ينكر وجودهم بأرض الحجاز ويرى إمكانية الحوار معهم فيقول رداً على سؤال هذا نصه بنفس المجلة والصفحة التي نقلنا منها أول الأمر:

ـ ما رأيكم في الحوار الإسلامي المسيحي الآن؟

فأجاب قائلاً: (إذا دعت له الحاجة فلا مانع منه، إذا كان المحاور عنده علم وبصيرة بالكتاب والسنة فلا مانع من الحوار لإظهار الحق والدعوة إليه وكشف الباطل). فليت الشيخ رضي التعامل مع مذاهب المسلمين بنفس الانفتاح[٢]!!

هذا هو الشيخ ابن باز مفتٍ لا ينقصه سوى قراءة كتب الحديث والرفق بالمسلمين. متشدد في وجوههم، يكفِّرهم وينادي بتجريد السيف عليهم؛ ولا يعاملهم حتى بما يرضى أن يعامل به النصارى من حوار! فمن أين أتت مشيخة الإسلام أيها الوهابية؟

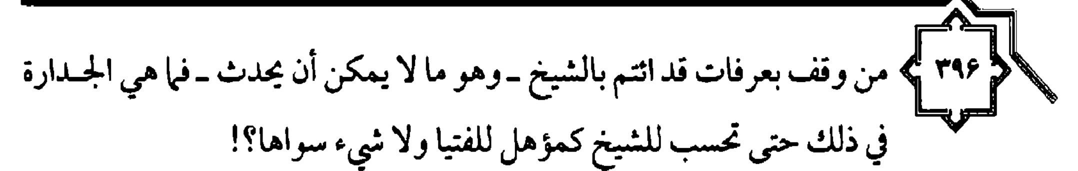
ولأن الحديث بمثله يذكر فإن المفتي الجديد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ ميَّزته مجلة (المجلة) بمؤهل علمي طريف لإثبات جدارته لمنصب الفتيا وهو على غلاف المجلة كالتالي (قصة مفتي السعودية الذي صلى وراءه ٣٤ مليون مسلم[٣]) لأنه كان إماماً بمسجد نمرة بعرفات!! فإذا افترضنا جدلاً أن كل

---

١ . كما قال عنه قريباً من ذلك الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني في مقابلة مع قناة MBC بعد وفاة ابن باز.

٢ . لا غرابة فقدوته ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) تساهل كبير مع النصارى يناقشهم بكل هدوء وعقل، بينما يشنع على المسلمين في كتبه!

٣ . راجع ص ٢٢ من العدد المذكور من مجلة (المجلة).



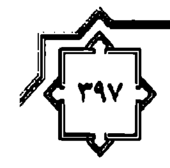
من وقف بعرفات قد ائتم بالشيخ ـ وهو ما لا يمكن أن يحدث ـ فما هي الجدارة في ذلك حتى تحسب للشيخ كمؤهل للفتيا ولا شيء سواها؟!

نعم هناك ميزة غريبة ذكرتها (المجلة) للمفتي الجديد، وهي إنه كان يناقش رسائل الماجستير والدكتوراه[1] مع أنه لا يحمل سوى شهادة الليسانس في العلوم الشرعية واللغة العربية!! سبحان الله! فلعلَّ ليسانس آل الشيخ تعادل رتبة (أستاذ دكتور) عند غيرهم من الوهابية!

رحم الله العلم في بلاد الحرمين.

---

١ . آخر رسالة للدكتوراه ناقشها يوم الأربعاء ١٢ مايو ١٩٩٩ بكلية أصول الدين في الرياض كما ذكرت (المجلة).



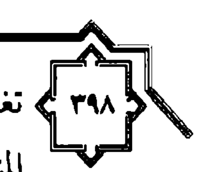
الفصل السادس: الفقه الحشوي

الفقه الحشوي عامة؛ والوهابي خاصة يمتاز بالسطحية وقصر النظر على القشور فلا يصل إلى الجوهر، يتمسحون بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ فيقولون بقول خير البرية ولكنهم يقلبون معناه، و يقرأون القرآن فلا يجاوز حناجرهم كما ورد في الحديث وإليك الأدلة:

هلال الوهابية

أبى الله أن يجعل أمراً من أمور الوهابية مستقيماً؛ فحتى شهر رمضان المبارك في الشرعة الوهابية يجوز أن يكون ثمانية وعشرين يوماً!! والوقوف بعرفة في شرعتهم يجوز أن يكون يوم الثامن أو العاشر من ذي الحجة!! لقد حدث وأن أفطر الوهابية ولم يكملوا بعد من صيامهم إلا ثمانية وعشرين يوما، وفي يوم السادس من ذي الحجة عام ١٤١٥هـ بالتقويم الوهابي فوجئ الحجيج بتغيير التاريخ وإرجاعه للوراء يوماً؛ فبقرار وهابي أصبح ذلك اليوم الخامس من ذي الحجة!! وتتكرر المآسي في كثير من الأعوام والأشهر العظام منها ما يُعلن فيه الخطأ ومنها ما يُتَستَّر عليه؛ مع أن بطلانه واضح وضوح الشمس، وسنذكر من آخر ترهاتهم ما فعلوه بالناس من لعب بصيامهم وحجهم عام ١٤١٩ للهجرة الشريفة:

أ. ففي رمضان ١٤١٩هـ صرّح الفلكيون الأكفاء بأن رؤية هلال شوال مستحيلة مساء ١٧ يناير ١٩٩٩م لأن الهلال لا يولد إلا في الساعة ١٨:٤٨ بينما



تغرب الشمس بالسعودية قبل ذلك بكثير[١] حيث كانت تغرب يومها بالمدينة المنورة ١٧:٥٦ وزد على ذلك أو أنقص بضع دقائق لباقي مدن المملكة، فكيف للوهابية أن يفطروا في غدهم؟! وقد أعلنها الشيخ يوسف القرضاوي على الملأ أن من أفطر يوم الاثنين فإنما يفطر يوماً من رمضان، وصرَّح متهكماً بأنه إن جاز صيام رمضان ثمانية وعشرين يوماً فإنه يجوز أن يُصام واحد وثلاثون عند الخطأ، وهي ضربة متعمَّدة منه لأدعياء السلفية[٢].

ومن حاول رؤية هلال ليلة الثاني من شوال ـ بحساب الوهابية ـ فإنه يعلم دقة كلام الشيخ وعلماء الفلك، فإن رؤية الهلال كانت عسيرة! بينما المعلوم أنَّ هلال ليلة الثاني رؤيته سهلة يسيرة لمن مَنَّ الله عليه بصحة البصر.

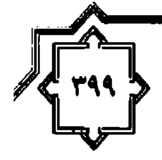
ب. وفي الحج ١٤١٩هـ أيضاً قرر الوهابية أن غرة ذي الحجة توافق الخميس ١٧ مارس ١٩٩٩ أي بعد تسعة وعشرين يوماً من شهر ذي القعدة، وهذا غير ممكن إطلاقاً لأن «القمر الجديد» لا يولد يومها إلا الساعة ٢١:٥٠ بتوقيت المملكة[٣]؛ أي بعد ثلاث ساعات ونيف من غروب الشمس هناك، وقد

---

١ . هذا ومما يجب أن يعلم أن ميلاد الهلال لا يعني إمكانية رؤيته كما يتوهم الوهابية، وسنوضح ذلك.

٢ . قناة الجزيرة، برنامج الشريعة والحياة، ليلة ١٧ يناير ١٩٩٨م، ولكنه أوضح أن المسلمين في القطر الواحد يجب أن يكون صيامهم وفطرهم متلازماً كجماعة واحدة وإن اجتمعوا على الخطأ وأبدلوا يومهم، فسبحان الله.

٣ . ودقة علماء الفلك في حساب حركة الشمس والقمر ليس في مصداقيتها نقاش عند من يدرك حقائق الأمور ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، ونذكُر أولئك المتشككين بمثال قريب محسوس؛ وهو كسوف الشمس الكلي الأخير الذي وقع يوم ١١/ ٨/ ١٩٩٩، حيث حسب علماء الفلك منذ عشرات السنين أماكن وأوقات وقوعه باليوم والدقيقة والثانية وصرحوا بذلك من دون تردد، ومن المعلوم إنه لابد لمعرفة الكسوف للفلكي حساب حركة القمر بدقة متناهية، فهل كان حساب علماء الفلك رجماً بالغيب؟! كلا، فقد وقع ما فصلوه في الخارطة التي نشروها لتبيان المناطق التي سيقع فيها الكسوف وحجمه. فهل ما يزال البعض يربط الحساب الفلكي بالتنجيم؟!



بحثت إمكانية رؤية الهلال ـ لو فرضنا جدلاً بأن هذا هلال مرئـي ـ في أيـة بقعـة من العالم الإسلامي فظهر بأنها غير ممكنة حتى في دكّار عاصمة السنغال في أقصى مغـرب العـالم الإسـلامي لأنـه أولاً يغـرب الـساعة ١١:١٨ أي قبـل الـشمس بدقيقة، وثانياً: هو لا يزال قرصاً أسوداً بين الأرض والشمس؛ **فمصطلح «قمـر الجديد New Moon» لا يعني سوى وقوع القمر بين الشمس والأرض بزاوية انحناء مقدارها خمس درجات[1] ويسمَّى خلال هذه الفترة (قمراً معـتماً)؛ ورؤيتـه كهلال مستحيلة خلال هذه الفترة، حيث لا تتم رؤية الهلال إلا بعد مـرور مـا لا يقل عن ١٨ ساعة بعـد ولادة القمـر الجديـد**[2]، فـأين للوهابيـة أن يـروه؟ أم أن السنن الكونية الثابتة الدقيقة تتحول إلى فوضى فتحدث عند الوهابيـة الخـوارق فيرون ما لا يمكن أن يُرى؟!

ما سِرّ هذه الفوضى وما سرّ الصيام على غير رؤية صحيحة، وتغيير التـأريخ في منتصف الشهر يا ترى؟

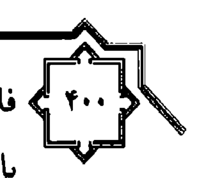
إن السرَّ ـ والله أعلم ـ قد يكمن في أكثر من أمر أهمها:

الأمـر الأول: يعتمد الوهابية على فلكيين غير أكفاء لا يحـسنون فهـم معنـى (ولادة الهلال) التي يطلقها الفلكيون؛ فيعتقد الوهابية أن الولادة تعني إمكانيـة الرؤية، وهذا خطأ فاحش كما بيَّنا. وهناك حقيقة هامة أيـضاً وهـي أن الوهابيـة يعتمدون في بعض الأحيان على الفلك في إثبـات الرؤيـة لا نفيهـا، وهـذا خطـأ

---

١ . أما إذا كان الخط مستقيماً (على درجة الصفر أو قريباً منها) وقع الكسوف.

٢ . ولهذا فولادة القمر في صباح أحد الأيام تعني حتماً رؤية الهلال كبير الحجـم باقيـاً في الأفـق فـترة طويلة نسبياً ليلة الغرة من الشهر، بسبب الفترة الطويلة التي مرَّت عليه مـن بعـد الـولادة حتـى إمكانية الرؤية، وهذا ما يقود الكثير من الذين يجهلون الحقيقة إلى الظن بأن هناك خطأ في الرؤيـة إذا ما رأوا ذلك. لمعرفة المزيد عن المطلع «قوس الضوء» وأهمية وقـوع القمـر فيـه قبـل إمكانيـة الرؤية يراجع خالد شوكت (FAQجواب ١٤) على موقعه www.moonsighting.com



فاحش كذلك؛ فالفلك يحسن الاعتماد عليه إذا قال باستحالة الرؤية، أما إذا قال بإمكانيتها فلا تثبت شرعاً إلا بالرؤية البصرية، وسننقل بنهاية هذا المقال وثيقة وهابية سوء استخدامهم لعلم الفلك.

الأمر الثاني: الفقه الخارجي الأعوج، فهم يقبلون شهادة الرؤية من أي مسلم كان؛ حتى من الأعراب الذين لا يحسنون الوضوء وأهل الفسوق والمعاصي من غير تحرٍ عن أحوالهم، فمن أتاهم زاعماً رؤية الهلال قبلوا شهادته مادام ينطق بالشهادتين وإن كان العلم الفلكي يقطع باستحالة ولادة الهلال ذلك المساء، وإذا تضافر اثنان على الكذب برؤية الهلال أفطر الوهابية وفطّروا الناس معهم، مدَّعين بأن الرسول الكريم أفطر بشهادة الاثنين!

ولعمر الحق فإن هذا من السطحية في الدين والتمسك بالقشور حتى تسببوا في فساد الدِّين، وإلا فإن الرسول الكريم عليه صلوات ربي وسلامه لم يقبل الشهادة من كل من نطق بالشهادتين، بل نظر إلى مطالب وموانع أخرى تحدد أهلية الشاهد للإدلاء بشهادته، ومن أوضح ذلك ما أمره به ربه في أناس فعلوا كبائر من الذنوب فقال له وللمؤمنين: ﴿**وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلا الَّذِينَ تَابُوا**﴾، وصحابته والتابعون لم يقبلوا شهادة الناس لمجرد إعلانهم الإسلام، بل نظروا في عدالتهم[1]. هذا من باب ومن باب آخر فإنَّ

---

١ . بل قد اختلفوا في مسألة قَبول شهادة المحدودين من بعد توبتهم وإنابتهم! حتى أن أهل الحديث قد أوردوا روايات تريك أن البحث في التوبة والعدالة أمر له شأن عظيم في الإسلام فقد: (جَلَدَ عُمَرُ أَبَا بَكْرَةَ وَشِبْلَ بْنَ مَعْبَدٍ وَنَافِعًا بِقَذْفِ الْمُغِيرَةِ ثُمَّ اسْتَتَابَهُمْ وَقَالَ مَنْ تَابَ قَبِلْتُ شَهَادَتَه، وَأَجَازَهُ عَبْدُالله بْنُ عُتْبَةَ وَعُمَرُ ابْنُ عَبْدِالْعَزِيزِ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَطَاوُسٌ وَمُجَاهِدٌ وَالشَّعْبِيُّ وَعِكْرِمَةُ وَالزُّهْرِيُّ وَمُحَارِبُ بْنُ دِثَارٍ وَشُرَيْحٌ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ وَقَالَ أَبُو الزِّنَادِ الأَمْرُ عِنْدَنَا بِالْمَدِينَةِ إِذَا رَجَعَ الْقَاذِفُ عَنْ قَوْلِهِ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَقَتَادَةُ إِذَا أَكْذَبَ نَفْسَهُ جُلِدَ وَقُبِلَتْ شَهَادَتُهُ وَقَالَ الثَّوْرِيُّ إِذَا جُلِدَ الْعَبْدُ ثُمَّ أُعْتِقَ جَازَتْ شَهَادَتُه، وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لا تَجُوزُ

←



شهادة الصحابي الذي فارق مِلَّة الكفر التي نشأ عليها ودخل ملَّة الإسلام طائعاً مختاراً لا تقارن أبداً بأناس ورثوا من الإسلام اسمه ومن القرآن رسمه، بل كيف تقارن بشهادة أعراب نجد الذين اشتهرت ردَّتهم أكثر من مرَّة! وهـذا المنهج في قبول شهادة الصحابي واضح المعالم في منهج أهل الحديث الذين إن أتاهم الصحابي بحديث لم يمتحنوه، وإذا أتاهم غيره نظروا في أمره وتحققوا من سيرته وخبره.

إن اليمين ـ إن كانت هناك يمين ـ لا تكفي وحدها لقبول الشهادة، من غير معرفة بالشاهد وعدالته وبعده عن الفسوق بأن يشهد له غيره من الأكْفاء وأهل الرأي والمشورة والصلاح؛ فشعائر الدين يجب أن تكون من أول ما يُحمى من تلاعب الفُسَّاق والمستهترين.

لقد حاول فضيلة الشيخ القرضاوي حديثاً أن يُنقِذ الناس من دائرة هذه الفوضى الوهابية بتبنيه لمنهج الإمام أبي حنيفة بأن شهادة رؤية الهلال لا تقبل إلا من الجمِّ الغفير من الناس[1]، وأضاف إلى ذلك ضرورة ربط الرؤية بقطعية ولادة

شَهَادَةُ الْقَاذِفِ)اهـ. راجع باب الشهادات عند البخاري وجاء في باب الحدود عنده أيضاً قوله: (إِذَا تَابَ السَّارِقُ بَعْدَ مَا قُطِعَ يَدُهُ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ وَكُلُّ مَحْدُودٍ كَذَلِكَ إِذَا تَابَ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ) وعند مالك في كتاب الأقضية (أَنَّهُمْ سُئِلُوا عَنْ رَجُلٍ جُلِدَ الْحَدَّ أَتَجُوزُ شَهَادَتُهُ فَقَالُوا نَعَمْ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْهُ التَّوْبَةُ..) مما يدلك بوضوح أن ردَّ كثير من الشهادات ليس محل بحث وتأمل وإنما في قبول الشهادة بعد التوبة، وانظر في المقابل إلى فقه الوهابية!

١ . هذا الرأي قابل للنقاش حيث ثبت أن الرسول الكريم قبِل شهادة الواحد لدخول الشهر واثنين لخروج الشهر الفضيل. ولكننا نعود إلى القول إلى ضرورة معرفة حسن إسلام الشاهد وعدالته، وهو المسلك الذي تقوم عليه الرؤية والشهادة في عُمان لذا فلا تجد مجالا للفوضى في الرؤية لديهم، وانظر مصداق هذا الكلام في كتاب (إسلام بلا مذاهب) للدكتور مصطفى الشكعة حين قال: «**أما وقد ثبت لسنوات عدة أن أكثر أهل السنة في المشرق كانوا يستعجلون مقدم رمضان فيصومون يوماً قبل مجيئه، فإن الإباضية ومن صام معهم من بقية المذاهب الإسلامية كانوا هم أصحاب الصواب، لالتزامهم النص حيال ابتداء رمضان ومنتهاه، والله أعلم**» ص١٤١، ط١٣.



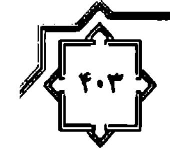
الهلال فلكياً؛ فعلم الفلك ليس من التنجيم في شيء ولكنه علم ثابت الأركان دقيق الحساب، فلا تعقد لجان استطلاع الهلال إن قال الفلكيون الثقات باستحالة الرؤية لأنه وببساطة لن يكون هناك هلال[١].

بعد كل هذا فإن على الدول الإسلامية أن تحذر من متابعة الوهابية في فوضاهم هذه للأسباب التي ذكرت، ولأنه من الثابت في السنة أن لكل قوم هلالهم[٢] نتيجة لاختلاف المطالع؛ فقوانين القمر التي فطره الله عليها في حركته وطلوعه وغروبه مماثلة لقوانين الشمس، فهو ثابت السرعة والمدار، وحيث لا يجوز أن تفطر في القاهرة أو الرباط بحجة أنَّ الوقت قد حان في مكة المكرمة أو المدينة المنوَّرة فكذلك وقت ابتداء الشهر وختامه فتأمل.

---

١. وهذا الرأي في ربط الرؤية بالحساب الفلكي قد سبق إليه كثير من فطاحل العلماء كالإمام بيوض إبراهيم بن عمر رحمه الله (ت ١٤٠١هـ)، حيث يقول في رسالته إلى وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر (فإن جاءت الشهادة بالرؤية ـ وقد أثبت الحساب ولادته وبقاءه بعد غروب الشمس بحيث تمكن رؤيته ـ قُبِلت الشهادة وأُعلن دخول الشهر، وإن جاءت شهادة بالرؤية ـ والحساب يثبت أن الهلال لم يولد بعد، أو أنه مولود ولكنه يغرب قبل غروب الشمس أو مع غروبها أو بعده بقليل جداً بحيث تستحيل رؤيته ردَّت الشهادة) ومن السابقين إلى هذا الرأي كذلك الإمام تقي الدين السبكي كما ذكر الشيخ بيوض في رسالته. المرجع: ثبوت الهلال بين الرؤية البصرية وحساب المراصد الفلكية للفقيه العلامة النزيه الإمام الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر، نقله من الأشرطة عمر إسماعيل، راجعه وقدم له وعلّق عليه د. محمد صالح ناصر، مطبعة الألوان الحديثة، مسقط، ص ٨٢ـ ٨٣.

٢. عَنْ كُرَيْبٍ أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ بِنْتَ الْحَارِثِ بَعَثَتْهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ قَالَ فَقَدِمْتُ الشَّامَ فَقَضَيْتُ حَاجَتَهَا وَاسْتُهِلَّ عَلَيَّ رَمَضَانُ وَأَنَا بِالشَّامِ فَرَأَيْتُ الْهِلَالَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَسَأَلَنِي عبدالله بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ثُمَّ ذَكَرَ الْهِلَالَ فَقَالَ مَتَى رَأَيْتُمْ الْهِلَالَ فَقُلْتُ رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ أَنْتَ رَأَيْتَهُ فَقُلْتُ نَعَمْ وَرَآهُ النَّاسُ وَصَامُوا وَصَامَ مُعَاوِيَةُ فَقَالَ لَكِنَّا رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ فَلا نَزَالُ نَصُومُ حَتَّى نُكْمِلَ ثَلاثِينَ أَوْ نَرَاهُ فَقُلْتُ أَوَ لا تَكْتَفِي بِرُؤْيَةِ مُعَاوِيَةَ وَصِيَامِهِ فَقَالَ لا هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ. رواه مسلم، وروى نحواً منه الترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد بأسانيد عالية.



وسأثبت هنا بعضاً مما قاله علامة الفلك الدكتور (خالد شوكت) عن ضلال الوهابية في ادعائهم رؤية الهلال في كل مرة وهم واهمون، إجابة منه على الأسئلة التالية[١]:

.. السؤال٩: لقد بلغتني للتو أخبار بأن العربية السعودية قد أكدت رؤية هلال رمضان في يوم ٢٩/ ١٢/ ٩٧. أي أن صيامهم سيبدأ يوم ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٧. بعض البرامج الفلكية أظهرت أن القمر والشمس يغربان معاً، تقريباً في نفس الوقت لأغلب أجزاء الشرق الأوسط، واقتران القمر حدث تقريباً بعد ساعة من غروب الشمس في العربية السعودية. لذا فإن الحيرة تقود للظن بأنهم قد رأوا هلالاً وهمياً. أتمنى أن تسلط بعض الضوء على هذا. شكراً

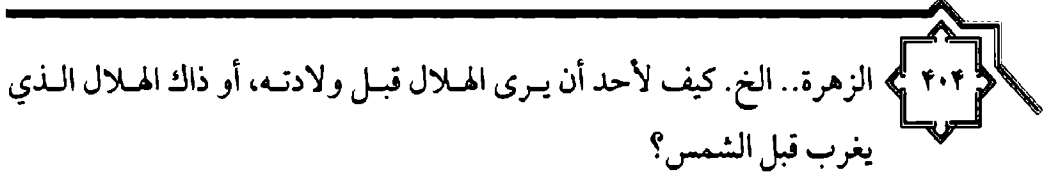
جواب٩: الآن رأيت بنفسك مدى مصداقية الإعلان السعودي برؤية القمر. نحن ما برحنا متابعة إعلاناتهم قرابة العقدين من الزمن. وباستمرار فإن شهرهم يبدأ قبل كل مكان آخر على الأرض كل شهر. كيف يمكن أن يكونوا أول من يرى القمر في كل شهر. أظن أن السبب يعود إلى استخدامهم تقويماً أعدَّ مسبقاً يعتمد على ولادة «قمر جديد» لا يمكن رؤيته.

لدي نسخة من تقويمهم خلال ٣٠ عاماً، كل شهر يبدأ يوماً واحداً بعد ولادة الهلال[٢] بتوقيت جرينتش (يدعى الآن: التوقيت العالمي UTC). أنا لا أظن أن الذي يرونه الهلال الحقيقي. قد يرى الناس أشياء يخيّل إليهم أنها الهلال، بعض الأحيان بقايا الهواء المنبعث من محركات الطائرات النفاثة، أو كوكب

---

١ . لمزيد من المعلومات يراجع موقع http://moonsighting.com باللغة الإنجليزية، وقد ترجمت النص. ويعيش الأستاذ في الولايات المتحدة باكستاني الأصل.

٢ . أي أنهم ما إن يسمعوا بولادة الهلال في ليلة حتى يسارعوا إلى اعتبار اليوم الذي يلي تلك الليلة غرة الشهر القمري.



الزهرة.. الخ. كيف لأحد أن يرى الهلال قبل ولادته، أو ذاك الهلال الذي يغرب قبل الشمس؟

السؤال ١٠: هل حاول أحد إبلاغ السلطات السعودية[1] بأن تقويمهم خاطئ تماماً؟ إنهم يسببون فوضى (بين المسلمين) بالولايات المتحدة. أعرف مساجد عدّة أعلن الثلاثين من ديسمبر ١٩٩٧م غرّة رمضان. إذا لم يُصلح الخلل في العربية السعودية فإننا سنستمر في الاحتفال بعيدين (في كل مناسبة).

جواب ١٠: جماعات عديدة كتبت للسلطات السعودية بهذا الشأن. جماعات من الباكستان ذهبت للحديث معهم وجها لوجه. مسلمون من الهند ذهبوا للحديث لمناقشة الأمر. ممثلون من ISNA (بأمريكا الشمالية) ذهبوا إليهم. الظاهر أنهم لا يريدون الإصغاء لأي أحد. ISNA ومجلس الشورى بأمريكا الشمالية أعلنا أن الهلال لم تثبت رؤيته بأمريكا الشمالية يوم ٢٩/ ١٢/ ١٩٩٧. أي أن يوم ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٧ هو ٣٠ شعبان. يوم العيد هو ٣١/ ١٢/ ٩٧[2].

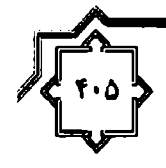
السؤال ١١: كل دول الشرق الأوسط، باستثناء عمان وتونس، أعلنت أن رمضان يبدأ بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ٩٧. في سنّة الرسول ﷺ أنه إذا ثبتت الرؤية بشهادة اثنين، فعلى كل الأمة أن تصوم[3]. والذي يصلح لبعض الأمة يصلح

---

١ . عند الحديث عن السلطات السعودية فإن الأمر لا يعني سوى مشائخ الوهابية فهم القائمون على هذا الأمر.

٢ . إذا استحالت رؤية الهلال بأقصى الغرب، فإنها مستحيلة الحدوث بالمشرق، وإذا ما ثبتت الرؤية لدينا بالمشرق فإن سكان أمريكا الشمالية سيرون الهلال واضحاً إن لم يغم، لأن الهلال يكون قد مرت على ولادته ٨ ساعات وأكثر. (المؤلف)

٣ . هناك أكثر من مؤاخذة على السؤال، وقد وهم السائل في عدد الشهود؛ لأنه يكفي شاهد واحد في الصيام أما الإفطار فاثنان على الأقل. (المؤلف)



لبعضها الآخر. هلال رمضان أعلنت رؤيته، وفي هذه الحالة، فإن كل الحسابات الفلكية لا يؤبه بها. إذا ثبت أن هذا البلاغ (عن الرؤية) خاطئ في كل بلدان الشرق الأوسط، فإن الشهود هم من سيحمل وزر صومنا في غير أوانه.

جواب ١١: عبارتك الأخيرة مصادمة لصريح آي الكتاب، ففي مواضع عديدة في القرآن يقول المولى سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فلا أحد سيحمل ذنب غيره. إن هذه الآية تكررت خمس مرات في القرآن الكريم. ولإرضائك راجع المواضع التالية في القرآن: سورة الأنعام (٦)آية ١٦٤، سورة الإسراء (١٧) آية ١٥، سورة فاطر (٣٥) آية ١٨، سورة الزمر (٣٩) آية ٧، سورة النجم (٥٣) آية ٣٨[١]

من أدلة التخبط الوهابي في مسألة الهلال:

في تلغراف صادر من مجلس الإفتاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية، مستلم عبر شركة الاتصالات الأردنية بتاريخ ٢٣ رمضان ١٤١٨هـ (٢١/ ١/ ١٩٩٨م)، الرقم الأصلي ٢٥٩ التالي:

(إلى الأردن/ اليادودة / م.خ / السوق / السيد هايل ممدوح أبو زيد

نشكركم على تهنئتكم بحلول شهر رمضان المبارك، وبتذكيرنا بموعد ولادة هلال شوال لعام ١٤١٨هـ ونذكركم بأن إثبات غرة الشهر هو كإثبات مواقيت الصلوات، وغرض الشارع عز وجل العلم بهذه الأوقات، لا التعبد برؤيتها. ويعتمد في تقويم أم القرى، أنه إذا كان عمر الهلال لحظة غروب الشمس ١٢

---

١ . في كل السور المذكورة بدأت الآية بالواو: ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ إلا في سورة النجم حيث بدأت ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾.

ساعة فأكثر، بعد الاجتماع، فيكون اليوم السابق[١] له هو غرة الشهر، لابتداء اليوم الهجري من غروب الشمس، وأن الليل سابقاً[٢] للنهار ولدخول فترة الإمساك العبادة في نهار اليوم المدني. تقبل الله طاعتكم. أعاده الله علينا وعلى الأمة الإسلامية بالخير والعزة والرفعة، وكل عام وأنتم بخير، شاكرين لكم حسن تعاونكم معنا.

من المملكة العربية السعودية/ الرياض/ مجلس الإفتاء الأعلى/ محمد ابن احميد[٣])

الأستاذ هايل أبو زيد عضو بالمجمع الفلكي الأردني JAS، استلم رسائل أخرى من الوهابية بنفس الموضوع. ولإيضاح النظام الوهابي لبداية الشهر الهجري نأخذ هذا المثال:

لو كان ٢٩ من ديسمبر هو ٢٩ من شعبان، وبداية مرحلة الهلال تبدأ بعد الغروب في الرياض، الساعة ١١ مساء ٢٩ ديسمبر، إذن فاليوم التالي (٣٠ ديسمبر) وقت الغروب (على سبيل المثال ٥ مساء). عمر القمر يكون ١٨ ساعة والتي هي أكثر من المطلوب (١٢ ساعة)، لذا فإن ذلك اليوم (٣٠ ديسمبر) سيكون غرة رمضان، مع أن الهلال الحقيقي لم يولد بعد مع الغروب يوم ٢٩

---

١ . أأدركت الآن سبب تبديل الوهابية للتاريخ في كثير من السنوات بعد مرور يوم أو أيام! الوهابية يحسبون بالمقلوب!!

٢ . فضيلة المفتي لا يتقن حكم خبر إن وأخواتها.

٣ . هكذا. وآثرنا أن ننقل الرسالة حرفاً حرفاً من غير تصحيح. للاطلاع على صورة من التلغراف وتفاصيل إضافية يراجع موقع www.moonsighting.com، موضوع The actual Saudi dating system، علماً أن حقوق نشر وتوزيع صورة الرسالة هي ملك للأستاذ محمد عودة من المجمع الفلكي الأردني: العنوان (المجمع الفلكي الأردني، ص.ب. ١٤١٥٦٨، عمّان ١١٨١٤، الأردن).



شعبان (٢٩ ديسمبر)، وعموماً في أحوال كهذه فإن الهلال يغرب قبل غروب الشمس!! هؤلاء هم الوهابية وهذا هلالهم.

البدعة

أدعياء السلفية اليوم يزعمون أن كلَّ محدثٍ من الأعمال والأقوال لم يصدر عن رسول الله ﷺ فهو بدعة ضالَّة، ويحتجون في ذلك بحديث الرسول ﷺ: «... **وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[١] وهذا القول يدل على سطحيتهم وهزال نظرتهم في الدين، وإليك البيان من كتاب (الرأي المعتبر في حكم صلاة السفر) للعلامة سعيد بن مبروك القنوبي:

فحديث: «**إنَّ أصدق الحديث كتاب الله عزَّ وجل، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، عامٌّ أُريد به الخصوص، أو أنه عامٌّ مخصوص بحديث «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[٢]، وهو حديث صحيح ثابت رواه مسلم والنسائي

---

١ . هذا لفظ الرواية عند النسائي وقد رواه مسلم وغيره مع اختلاف بسيط في الألفاظ.

٢ . يدعي الوهابية أن حديث «من سنَّ سنَّة حسنة» مقصور على سبب قوله في الحثّ على التصدق على القوم الذين جاءوا من مضر، كما تجد ذلك منصوصاً عليه في (مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين)، التي جمعها فهد بن ناصر السليمان، ج٣، ص١٤، دار الوطن للنشر، الرياض، وهذا كما ترى مخالف لمنهج السلف الذي يدَّعون استنانه. وإلا فإن الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرنا باتباع سننهم قد استحدثوا أموراً لم تكن على عهده ﷺ كجمع عمر الناس على صلاة التراويح وزيادته وقبله أبو بكر في عدد ركعاتها، وهم كما تعلم أبعد الناس عن الابتداع في الدين، ولكنهم علموا أن ما فيه صلاح الأمة ويتسق وروح الإسلام من غير تعارض معه ولا زيادة في شرائعه ليس من محدثات الأمور.

والترمذي وابن ماجه والطيالسي وأحمد وابن حبان وابن أبي شيبة والطحاوي في مشكل الآثار وابن جعد في مسنده والطبراني والبيهقي والبغوي في شرح السنَّة، فإنه ـ أعني حديث **«من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة..»** الخ ـ يدل دلالة واضحة جلية على أن ما يأتيه الناس من أقوال وأفعال بعد وفاة النبي ﷺ ليس كله من البدع السيئة، كما يزعم بعض المبتدعة، بل منه ما هو حسن يؤجر قائله وفاعله عليه، وإن اختلف في إطلاق اسم البدعة عليه، ومنه ما هو سيئ يؤثم قائله وفاعله، وللعلماء كلام طويل في ذلك لا تتحمله هذه العجالة، وخلاصته أن محدثات الأمور ضربان: ـ

أحدهما: ما أحدث مما خالف كتاباً أو سنَّة أو إجماعاً صحيحاً فهذه البدعة هي الضلالة التي يحكم بإثم قائلها أو فاعلها وعليها يُحمل حديث **«وكل بدعة ضلالة»**.

والثاني: ما أُحدث من الخير وهذه غير مذمومة بل محمودة يؤجر قائلها أو فاعلها وعليها يحمل قوله: **«من سنَّ سنَّة حسنة»**.

وقد ذهب إلى ذلك الإمام الشافعي كما رواه عنه أبو نعيم في (حلية الأولياء) والبيهقي وغيرهما، وعز الدين بن عبدالسلام في القواعد وفي الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة، والنووي في (شرح صحيح مسلم) وفي (تهذيب الأسماء واللغات)، وابن حزم، والغزالي في (إحياء علوم الدين)، وابن الأثير في (النهاية) وأبو شامة في (الباعث على إنكار البدع والحوادث) والعيني في (شرح عمدة القاري)، والخطابي في (معالم السنن) والسيوطي في (الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع) وفي (حسن المقصد) وفي (المصابيح في صلاة التراويح)، والقسطلاني في (إرشاد الساري)، وابن ملك في (مبارق الأزهار شرح مشارق الأنوار)، وعلي القاري في (شرح المشكاة)، والزرقاني في (شرح الموطأ)، والحلبي



في (إنسان العيون)، وابن عابدين في (شرح المشكاة)، والشنقيطي المالكي في (زاد المسلم)، والإمام السالمي في (معارج الآمال)، وغيرهم.

ونصَّ على ذلك الحافظ ابن حجر في موضع من (فتح الباري) حيث قال: (والتحقيق أنها ـ البدعة ـ إن كانت مما يندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وإن كانت مما يندرج تحت مستقبح في الشرع في مستقبحة، وإلا فهي من قسم المباح وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة) اهـ.

وقد نصَّ على مثل ذلك ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) ج٢٤، ص ٢٤٣ حيث قال هناك بعد كلام: (... وإنما كان يقول هذا تارة وهذا تارة إن كان الأمران ثابتين عنه فالجمع بينهما ليس بسنَّة بل بدعة وإن كان جائزاً) اهـ.

وقال ج٢٤، ص ٢٥٣ بعد كلام: (... وأما الابتداء فليس سنَّة مأموراً بها، ولا هو أيضاً مما نهي عنه، فمن فعله فله قدوة ومن تركه فله قدوة) اهـ.

هذا: وقد ذهب بعض العلماء إلى أن حديث (كل بدعة ضلالة) باق على عمومه، وأن المراد به البدعة الشرعية وهو مالم يوجد له أصلٌ من الأصول الشرعية، وإلى هذا القول مال السيد السند في (شرح المشكاة) وابن رجب في (جامع العلوم والحكم)، وابن حجر الهيتمي في (التبيين بشرح الأربعين)، والزركشي في (الإبداع)، واللكنوي في (تحفة الأخيار)، ومحمد بخيت المطيعي في رسالة له عن البدعة.

وقد ذهب إلى ذلك الحافظ ابن حجر في أكثر من موضع من (فتح الباري) حيث قال في أحد المواضع: (والمحدثات جمع محدَثَة، والمراد بها أي في حديث (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة) اهـ.



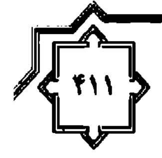
وقال في موضع آخر: (والبدعة ما أُحدِث على غير مثال سابق، وتطلق في الشرع في مقابل السنَّة فتكون مذمومة)اهـ.

وهذا الخلاف كما تراه أقرب إلى اللفظ منه إلى المعنى، فإن الكل متفقون على أن ما كان مخالفاً لنص من النصوص بدعة سيئة، وأن ما كان له أصل صحيح أو كانت فيه مصلحة راجحة ولم يعارض نصاً من النصوص مطلوب فعله، وقد يكون مباحاً على اختلاف المصالح، وهذا بنوعيه لا بدَّ أن يكون مندرجاً تحت أصل من الأصول المعتبرة عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله بسبب جهله لا بسبب عدم وجود النص الدال على ذلك، وبذلك تعرف أنه لا فائدة من ترجيح أحد القولين على الآخر ما دامت النتيجة التي تحصل من ذلك واحدة.

هذا ومن الجدير بالذكر أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم قد أحدثوا بعد رسول الله ﷺ بعض الأمور التي لم تكن معهودة في عصره ﷺ، وذلك كتمصير الأمصار وتدوين الدواوين وكتابة التاريخ الهجري وزيادة الأذان الأول لصلاة الجمعة وكتابة القرآن الكريم وجمع الناس على مصحف واحد إلى غير ذلك.

ولم يقل أحد منهم ولا ممن جاء بعدهم ممن يعبأ بقوله إن هذه الأمور ونحوها بدع غير جائزة، فافهم ذلك والله أعلم. اهـ بتصرف.

هذا ومن غرائب أدعياء السلفية أنهم ينكرون على القراء قول (صدق الله العظيم) لأنه لم يرد بها أثر من السنة! وهل السنة تمنع ما أمر الله به في كتابه حيث يقول: ﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ﴾ والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فنقول صدق الله وصدق رسل الله رغم أنف من يأبى. وإذا كان الأمر كذلك فنحن نسألهم بأن يأتوا بدليل من السنَّة على قول (قدَّس الله روحه) عندما يذكرون



إمامهم ابن عبدالوهاب[1]. والحق أن الوهابية ليس لهم قاعدة ثابتة يسيرون عليها حتى في أمر البدعة؛ فهم مع غلوِّهم المقيت يشاركون المسلمين في أمور يراها الناس سنناً حسنة كتنقيط المصحف وتشكيله؛ وإلا فإن هذه أمور مبتدعة بعد العصر النبوي، ويوم أن كتب الصحابة القرآن من لسان النبي ﷺ كتبوه غير منقوط ولا مشكول! فلماذا يتناقضون ويعملون بهذه البدعة إن كان كل أمر حادث بعد العصر النبوي لا يمكن أن يكون سنة حسنة؟! ويعملون المحاريب لمساجدهم والرسول ﷺ ما عمل محراباً لمسجده، بل عُمِل لمسجده محراب بعد تسعين عاماً!! فأين القاعدة الثابتة التي يسير عليها الوهابية؟!!

ولا يخفى أيضاً أن الوهابية يرون الاحتفال بمولد النبي ﷺ بدعة ضالة، ويعدون هذا إعراضاً عن هدي النبي (وكرهِه وكره ما جاء به من الحق لصلاح الناس من عند ربه، والمسارعة إلى الوثنية واليهودية والنصرانية)[2]!! مع أن الحافظ ابن حجر العسقلاني استدل على أن المولد بدعة حسنة بخبر الصحيحين أنه ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجّى موسى، فنحن نصومه شكراً لله تعالى، فقال ﷺ: أنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه. فقال ابن حجر: يستفاد منه فضل الشكر لله تعالى بأنواع العبادات على ما من به في يوم معيَّن، من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في كل سنة في مثل ذلك اليوم. وأي نعمة أفضل وأعظم من نعمة بروز النبي ﷺ في ذلك اليوم نبي الرحمة ﷺ. ووافقه على هذا الاستدلال كثير من العلماء، منهم الحافظ ابن الحنبلي. وقال ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) بعد أن ذكر محبة النبي ﷺ والاقتداء بهديه وأطال في هذا

---

١ . يراجع عنوان المجد ١/ ٢٦ و٢/ ٢٠ و٢/ ١٣٤ وأمثال ذلك كثير.

٢ . تعليق للشيخ محمد حامد الفقي على اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ص ٣٢٨.

الكلام: (**فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجرٌ عظيمٌ لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله ﷺ**)[١] وقال قبل ذلك بصفحات: (**والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد**)[٢].

من بدع الوهابية

أمام مقام إبراهيم عليه السلام يوم الأحد الموافق ٢٣ من رمضان ١٤١٩ للهجرة، وفي درسه اليومي بعد صلاة الفجر ألقى أحد أئمة الحشوية ممن يطلق عليه لفظة (سماحة) وأحسبه الشيخ محمد صالح العثيمين[٣] درساً حول موجبات استحلال دم المسلم[٤]، وكان الأطرف في محاضرته هو تحديده مدة البقاء في النار لأهل الكبائر، **حيث حددها بخمسمائة عام**[٥]!

وبما أن الأمر محتاج إلى دليل فقد استدل الشيخ على قراره! بحقيقة أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام[٦] وهي مدة كافية لذهاب أهل الكبائر إلى النار لتلقي عقوبتهم ثم العودة لملاقاة المؤمنين الذين لم يدخلوا الجنة بعد فيدخلوا معهم!

---

١ . ابن تيمية، اقتضاء الصراط، ص ٣٣٠

٢ . نفس المصدر، ص٣٢٧، وهو ما أثار حنق الشيخ محمد حامد الفقي ـ ولسان حاله يقول كيف يقول ابن تيمية هذا ونحن قد قتلنا مئين من الناس لهذا السبب ـ فقال: (كيف يكون لهم ثواب على هذا؟.. فإن قيل إنهم اجتهدوا فأخطأوا فنقول: أي اجتهاد هذا.) فانظر هداني الله وإياك إلى الدليل والبرهان!!

٣ . لم أتمكن من رؤية وجه الشيخ لكثرة مريديه والمتبركين به! ولكنه الوحيد في تلك الفترة الذي كان يلقي دروسه في ذلك الموضع فبالإمكان السؤال عنه.

٤ . من وجهة نظر وهابية طبعا، انظر إلى شغلهم الشاغل، ثم يتكلمون عن خطر التطرف!

٥ . ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٦ . لحديث «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ».



أدع الأمر للقارئ الكريم ليحدد إن كان هذا دليلاً كافياً على زعم سماحته! ولكن سؤالنا البسيط هو عن سبب هذه الواسطة لأهل الكبائر[١] حتى يدخلوا الجنة مع عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وأمثاله من أغنياء الصحابة أهل الفضل والثناء؟

اللهم إنَّا نشهد بصدق مَن سمَّى هؤلاء القوم حشوية فهم قد حَشَوا في دينك ما ليس منه، ولم يأت به قرآن أو سنَّة، وما ذلك إلا لتهوين المعاصي على الناس. وصدق الشيخ محمد قطب الذي سمَّاهم مرجئة العصر.

وتأمل رحمك الله في ادعاء هؤلاء القوم محاربةَ البدع، في الوقت الذي يبتدعون فيه عظائم الأمور ويهونون فيه كبائر الذنوب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

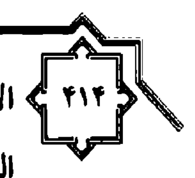
ابن باز ودوران الأرض

الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، رائد المنافحين عن الحركة الوهابية، بذل قصارى جهده لإبقاء عقيدة التجسيم حية، أكان ذلك بالتهريج أو بلَيِّ أعناق الآيات والأحاديث النبوية مثله في ذلك مثل أسلافه الذين يقتدي بهم. وهو جريء في ذلك، فلا يتردد في تكفير المسلمين، وتراه لا يتردد في أن يسوق حتى ما لا تستسيغه العقول لنصرة عقيدتهم الفاسدة، ومن هذه الفتاوى، فتواه التي نشرتها الرئاسة العامة عام١٩٧٦م: «**إنَّ القول بأن الشمس ثابتة**[٢] **وأن**

---

١ . وكأنه يقول وإن قتلت من قتلت فلا تخف عقاب الله فإنك ستدخل الجنة مع الأغنياء!

٢ . حديث الشيخ عن ثبوت الشمس دليل على عيشه خارج إطار عصره، وهذا من باب إصدارهم الأحكام التكفيرية على المخالفين بسبب سوء فهمهم؛ كمثل تشنيعهم على من يؤول الصفات لأنها في فهمهم السقيم تؤدي إلى التعطيل، وهكذا الأمر هنا فلا ريب إن علماء الفلك أول من ←



الأرض دائرة هو قولٌ شنيعٌ ومنكر، ومن قال بدوران الأرض وعدم جريان الشمس فقد كفر وضل، ويجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتدا، ويكون ماله فيئاً لبيت مال المسلمين».

وقد نشرت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض في عام ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م كتاباً من تأليف سماحته! جمع فيه ما يخيَّل إليه أنه أدلة نقلية على سكون الأرض فقال: (**أجمعت آراء السلف من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن كثير وابن القيم الذين أجمعوا على ثبوت الأرض**) فهذا هو الدليل الأول! أما الأسلوب البلاغي الركيك السالف فليس بالغريب عليهم، ولكن الغريب أنهم يتصدَّون لكتاب الله وسنة رسوله وهذا حالهم.

وأضاف سماحته أنه كان من جملة الناس الذين شاهدوا بعيونهم وأبصارهم سير الشمس وجريانها في مطالعها ومغاربها قبل أن يذهب نور عينيه وهو دون العشرين، وأكد أن الشمس سقفها ليس كروياً كما يزعم كثير من علماء الهيئة الضالين، وإنما هي قبة ذات قوائم تحملها الملائكة وهي فوق العالم مما يلي رؤوس الناس[1]، و أنه لو كانت الشمس ثابتة لما كان هناك فصول أربعة ولكان الزمان في كل بلد واحد لا يختلف[2].

ينادي بحتمية حركة النجوم بل والمجرات، ولكن مراد الشيخ هنا تكفير من يقول بأن دوران الأرض حول نفسها هو سبب اختلاف الليل والنهار، ودوران الأرض حول الشمس هو سبب اختلاف الفصول الأربعة، بينما الليل والنهار والفصول الأربعة في رأيه تحدث بسبب حركة الشمس، وسترى ذلك خلال متابعة حجج الشيخ العلمية! فتأمل.

١ . حاول أن تأخذ ورقة وقلماً وصوِّر ما يقوله العلامة الشيخ لتخرج بصورة إبداعية عن الكون!

٢ . هذا هو الدليل الثاني، وهو باطل لأن الفصول الأربعة سببها دوران الأرض حول الشمس.



وقد نصَّ في كتابه على (أن كثيراً من مدرسي علوم الفلك ذهبوا إلى القول بثبوت الشمس ودوران الأرض وهذا كفرٌ وضلال وتكذيبٌ للكتاب والسنة وأقوال السلف، وقد اجتمع في هذا الأمر العظيم النقل والفطرة وشاهد العيان فكيف لا يكون مثل هذا كافراً)، وقد حجَّهم بقوله (لو أن الأرض تتحرك لكان يجب أن يبقى الإنسان على مكانه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد، لذلك فالقول بهذه المعلومات الطبيعية وتدريسها للتلاميذ على أنها حقائق ثابتة يؤدي إلى أن يتذرع بها أولئك التلاميذ على الإلحاد حتى أصبح كثير من المسلمين يعتقدون أن مثل هذا الأمر من المسلمات العلمية)!!

وكذلك استدل سماحة العلامة بأنَّه (لو كانت الأرض تدور كما يزعمون لكانت البلدان والأشجار والأنهار لا قرار لها، ولشاهد الناس البلدان المغربية في المشرق والبلدان المشرقية في المغرب، ولتغيرت القبلة على الناس لأن دوران الأرض يقتضي تغيير الجهات بالنسبة للبلدان والقارات هذا إلى أنه لو كانت الأرض تدور فعلاً لأحسَّ الناس بحركة كما يحسون بحركة الباخرة[1] والطائرة وغيرها من المركوبات الضخمة)[2].

ووصف المسلمين الذين يؤمنون بكروية الأرض بأنهم يتبعون كلَّ ناعق يريد أن يفسد عقيدة المسلمين وبأنهم بعيدون عن استعمال عقولهم وأنهم أعطوا قيادهم لغيرهم فأصبحوا كبيهمة الأنعام العجماء بعد أن فقدوا ميزة العقل.

وقد خلص الشيخ ابن باز إلى أن (القائل بدوران الأرض ضال قد كفر وأضل كذَّب القرآن والسنة، وأنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً ويكون

---

١ . باللغة العربية: السفينة.

٢ . اللهم يا مثبت العقول ثبت عقولنا.

ماله فيئاً لبيت مال المسلمين.)[1]

وهذا التهريج يسوقه الوهابية عموما، فالشيخ عبدالكريم بن صالح الحميد ألَّف كتاباً في هذا الموضوع عنوانه (هداية الحيران في مسألة الدوران) وقد تعرضنا له في مقال آخر.

لماذا ينادي الوهابية بعدم دوران الأرض؟

الوهابية في الحقيقة يرون العلوم العصرية عامة علوماً عمَّت بها البلوى! منها (علوم مفسدة للاعتقاد كالقول بدوران الأرض، وغيره من علوم الملاحدة) (هداية الحيران ص ١١). وهذا هو بيت القصيد (فالقول بدوران الأرض يفضي إلى التعطيل) (ص١٣)، فعقيدة التجسيم، والعلو الحسي تنهدم إذا ثبت دوران الأرض، لذا فهم يرون أن (القول بدوران الأرض أعظم من اعتقاد تسلسل الإنسان من القرود بكثير)! (ص٣٢).

نقول: عسى أن يكون في فتاويهم هذه فرصة لكثير من الناس لمراجعة أنفسهم، وعدم اتباع خطوات هؤلاء في عقائدهم المنحرفة التي ليس لها قرار.

حرمان الجنة لمقتني الدش

وفيه برهان على تناقضهم عقائدياً

الوهابية مذهبهم التكفير والتحريم وتوزيع الناس بين الجنة والنار، وهم

---

١ . هذا بيان صريح من الشيخ نرد به على المنافحين عنه، فنحن لا نتصيد هفوات العلماء وإلا لملأنا الكتب بأخطاء الحشوية، ولكن استحلال دماء المسلمين لا يمكن بحال أن يعده عاقل هفوة، فأحكام الدماء والولاية والبراءة لا تبنى إلا على العلم اليقيني، ونحن نعلم يقيناً أن الشيخ يتلاعب به صبيان الوهابية فمثلاً يأتونه بمقاطع من كتب سيد قطب ليحكم من خلالها بعدم جواز الترحم عليه ومنع كتبه، وكثيراً ما يحدث منه مثل ذلك، والعالم العالم هو الذي يوجه العالَم لا ذلك الذي يسيره الناس كيفما أرادوا..



أعداء ما يجهلون؛ فما إن يظهر جديد حتى يسارعوا إلى تحريمه، فسارعوا إلى تحريم السيارات والتلغراف والهاتف[1] ساعة وصولها بلادهم وحرّموا استخدامها، وهاهم اليوم يحرمون الصحون الهوائية (الدش)!

وبين أيدينا فتوى لأحد أساطين الوهابية المتخصصين في تكفير المسلمين، يكفر فيها من اقتنى الدش ويجزم بحرمانه من الجنة، هكذا! وإليكموها:

هل يحرم من الجنة من مات وقد خلف في بيته جهاز الاستقبال (الدش)؟

نص كلام الشيخ: قال ﷺ **«ما من عبد يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»** وهذه الرعاية تشمل الرعاية الكبرى الواسعة والرعاية الصغرى، وتشمل رعاية الرجل في أهله، لقول النبي ﷺ **«الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته»**.[2]

وعلى هذا فمن مات وقد خلف في بيته شيئاً من صحون الاستقبال (الدش) فإنه قد مات وهو غاش لرعيته وسوف يحرم من الجنة كما جاء في الحديث!! اهـ.

هكذا وبكل جرأة قرر المفتي وبفهم أعمى للنص حرمان أغلب المسلمين في هذا العصر من دخول الجنة، بلفظة سوف يحرم من الجنة، وكأن مفاتيحها بيده؛

فأولاً: ما ذا سيكون جوابه لمن اشتراها لمشاهدة البرامج الإسلامية؟ ولمتابعة الصلاة في الحرمين الشريفين ويتحكم في استخدامها؟!

ثانياً: هذه الأقمار الصناعية تعطي المسلم حرية أكبر للهرب من الضار والبحث عن النافع، فينتقل المشاهد من قناة فضائية إلى أخرى بحثاً عن كل

---

١ . رياض نجيب الريّس، رياح السَّموم السعودية ودول الجزيرة بعد حرب الخليج ١٩٩١ ـ ١٩٩٤، ط٣، ص٢٠٢

٢ . هذا من الأمثلة التي تريك كيف يقول الوهابية بقول خير البرية ثم يزيغون في الأحكام!

برنامج ملتزم، وهرباً من أن يكون أسير برامج فيها ما يكره لأبنائه مشاهدته، وفوق هذا فقد علمهم حسن استغلاله وتوظيفه.

ثالثاً: ماذا سيقول للمسلم في بلاد الغرب الذي يشتري الصحن الهوائي ليصل أبناءه بلغة القرآن الكريم، ومتابعة أخبار المسلمين؟!

سبحان الله كم هو سهل لدى هؤلاء القوم تكفير الخلق، وتقرير حرمانهم من الجنة، من غير دراسة للذي يفتون فيه وحسن تمعن؛ فشبكة عربسات (مثلاً) ما الفرق بين ما يعرض فيها وبين ما يعرض في التلفزيون الذي يرضى عنه الشيخ المفتي (ستعرفونه عما قريب)، والذي لم نسمع منه تكفيراً لمن يشاهده.

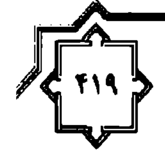
رابعاً: هذه مخالفة صريحة لعقيدة الشيخ الذي لا يقر بتخليد من مات مُصِرّاً على كبيرة في النار، فهم يكفِّرون الإباضية بسبب ذلك، وهو ههنا يقرر حرمان مرتكب الكبيرة ـ على حسب ظنه ـ من الجنة.

ليت شعري أليس هذا عين التناقض لدى أصحاب العقائد الباطلة؟! فالحديث الذي أساؤوا تأويله لهو حجةٌ واضحةٌ عليهم كما هو جليٌّ لكلِّ بصير.

خامساً: أما من اشترك في الإنترنت فعقابه ـ بناءً على فتوى الشيخ ـ ليس بالأهون، ففي الإنترنت الإباحية أبشع من الدش لمن أراد الفساد!

سادساً: يلزم الشيخ بناء على فتواه أن يكون اقتناء الهاتف في البيت غير جائز ومقتنيه محروم من الجنة؛ لأن الرعية قد تستخدم هذا الجهاز فيما لا يرضي الله، وقِس على ذلك غيره من الأجهزة.

سابعاً: فوق هذا فهؤلاء الوهابية يحاربون الهواء، فأجهزة البث في تطور مستمر، ولعل القنوات الفضائية ستصل غداً من غير دش، والمخرج من هذا ليس إلا المسارعة إلى حسن استغلالها وتوظيفها فيما يرضي الله وينفعنا، مع حسن تربية أبنائنا على التقوى التي تمنع المسلم الصائم من الأكل والشرب مع توفُّره



وإنْ لم يكن عليه رقيب من الخلق، أما أن ننصح الناس بدفن رؤوسهم في الرمل، وتكفيرهم إن لم يفعلوا ما نقرر نحن لهم فهذا ـ وايم الحقِّ ـ جهل بروح الإسلام وجوهره.

ثامناً: نعم إن المسلم سيكون غاشاً لرعيته إذا رباهم على الانحلال، ووفر لهم وسائل الضلال وتركهم من غير توجيه، فليت فضيلة الشيخ حضَّ النَّاس على تقوى الله وغرسها في الناشئة، فهي مِلاكُ ذلك كلِّه.

تاسعاً: ألم يكن الأولى بالشيخ ـ لو لم تُعْمِه العقيدة الوهابية ـ أن يفتي بأنَّ صحن الاستقبال الهوائي جهاز كغيره من الأجهزة، طريقة استخدامه هي مناط الحِلِّ والحرمة فيه، فما يباح على الطبيعة فعرضه مباح فيه، وما يحرم على الطبيعة فهو حرام، وعلى المسلمين المسارعة إلى السيطرة عليه لتقديم النافع المفيد، ونشر الدعوة الإسلامية.

عاشراً: لقد أدت هذه الفتوى إلى الكثير من الإشكال حيث حكم أحد أبواقهم في مكان مجاور لهم بعدم جواز تزويج من لديه دش! ولقد بلغ الحال بالهيئة المسماة مجازاً بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صاحبة الجرأة البلهاء والتدين الأعمى برشق الصحون الهوائية على بيوت الناس ببنادق الصيد! فيا سبحان الله من أين استحل الوهابية الاعتداء على ممتلكات الناس!

نعم إنها الفتوى الجائرة تُحِلُّ وتُحَرِّم متى شاءت من غير رادع ولا برهان.

ختاما إنَّ المفتي هو فضيلة الشيخ **محمد بن صالح العثيمين** الرجل الثاني لدى الوهابية، قال هذا في الخطبة الثانية يوم الجمعة ٢٥/ ٣/ ١٤١٧هـ والفتوى بين أيدينا مطبوعة، وقد علَّق عليها الشيخ بخط يده، لا يمانع من نشرها ووقَّعها بتأريخ ٢٨/ ٣/ ١٤١٧ للهجرة الشريفة.

الحركة في الصلاة

في البرنامج الإذاعي (نور على الدرب) سُئل الشيخ ابن باز عن حكم النظر إلى الساعة في الصلاة، فظننا بأن الشيخ سيغضب لسخافة السؤال، واستهتاره بعظمة الصلاة، ووجوب الخشوع فيها لأن العبد يكون فيها مخاطباً مالك الملك قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، فالحركة إن لم تكن لإصلاح الصلاة فأمرها جليل، ولكن فاجأنا الشيخ بجوابه حيث قال (**لا بأس بها إن كانت لمعرفة الوقت**)[١] ونحن نقول ـ والعجب يأخذ منا كلَّ مأخذ ـ متى كان النظر إلى الساعات للتغزّل؟!

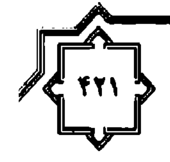
هذا الفقه الوهابي الأعوج تراه متمثلاً في أئمة الحرم الوهابية فعلى الرغم من حفظهم لكتاب الله، وترنمهم به، فإنك تستطيع أن تحصي لأحدهم أكثر من حركة في كلِّ ركعة من ركعات صلاته؛ ليست من إصلاح الصلاة في شيء، بل هي العبث عينه؛ كالعبث (بالشماغ) الذي هو عائق في الصلاة بحدِّ ذاته، لتركهم لبس العمائم التي هي سنة نبوية شهيرة ورأوها من رواسب العادات[٢]؛ رغم أنهم أدعياء السلفية[٣]!، وكالعبث بالعباءة، واللحية والشارب، بل ورأينا في قيام

---

١ . حين قرأ بعض المتعصبين للشيخ ما دوَّناه ونشهد عليه أمام الله، قال لا يمكن أن يكون هذا صادراً عن الشيخ ابن باز، فدعوناه في حياته لإعادة سؤاله، أما الآن فندعوه لمتابعة فتاويه المسجَّلة.

٢ . وسمعت حديثاً للأستاذ الوهابي أحمد سيف الدين بتاريخ الجمعة ٢٤/ ١١/ ١٤١٩هـ، في برنامجه (Issues and answers) الذي تبثه القناة الثانية بالتلفزيون السعودي يقول ما معناه بالعربية (نحن نشعر براحة أكبر عند لبسنا للغترة بدلاً من العمامة أما من أراد تطبيق السنة فعليه بالعمامة!).

٣ . الحق أن سلفيتهم لا ترقى إلى عصر الإسلام الذهبي، عصر النبوة الطاهر والصحابة الأبرار، وإن ضللوا الناس بذلك، بل تنحصر في ابن تيمية وأتباعه، ويأبون كل ما يخالف ذلك، ويقولون (لا خير في قرآن ولا سنة إن لم يكن على منهج السلف)



رمضان سنة ١٤١٨هـ سترة الإمام الحافظ للقرآن يجلس في وسط الصلاة ليشرب القهوة، وساقيهم يمر بين أيدي المصلين.

ومن فقه الوهابية في الصلاة أنهم يدخلون المساجد يدوسون بأحذيتهم فوق فراش الصلاة؛ بحجة أنهم يمسحون على الخفين، وقد غاب عن ألبابهم أن المساجد في زمن الرسول الكريم ﷺ كان فراشها الحصباء، لا الفراش الوثير الذي تنطبع به القاذورات. وفعلاً قد يترك أحدهم قاذورات حذائه منطبعة في فراش المسجد ثمَّ يضحك ويقول: هكذا السنَّة يا شيخ!

نعم هذا هو الفقه الوهابي في الصلاة.

أسعار النساء

الفقه الوهابي وصفناه بأنه سطحي، نتيجة لما نراه من فتاوى هزيلة عمياء، ومنها هذه الفتوى المضحكة، فقد ذكرت صحيفة الرياض بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ١٤٠٥ هـ قرار تحديد مهور النساء في بعض مناطق الوهابية كما يلي:

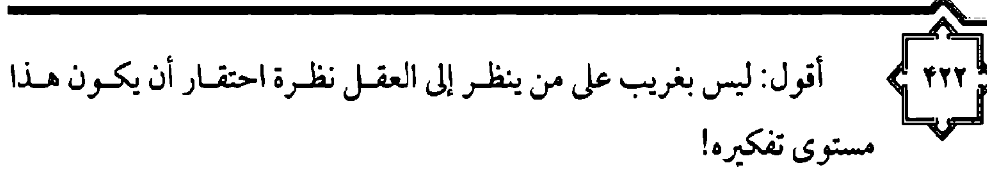
خمسون ألف ريال للمرأة البكر.

خمسة وثلاثون ألف ريال للثيب بدون أولاد.

خمسة وعشرون ألف ريال للثيب التي لها أولاد.

والغريب أن هذه البدعة الوهابية أغفلت أسعار السمينة والهزيلة، والطويلة والقصيرة، والولود والعاقر... الخ!!

وسبحان الله، أهذه قيمة الإنسانية لدى هؤلاء؟! إنهم جهلة بمقاصد التشريع؛ حتى بمعنى المهر، فهم ينظرون إليه كقيمة، مع أن المهر ما كان لتحديد أسعار النساء المؤمنات، فهنَّ في شرع الله ضنائن مصونات، نفوس الرجال تنفق في سبيل الله لحمايتهن، وإنما كان المهر شعاراً رمزياً لبناء عشِّ الزوجية الطاهر، وإلا لكان مهر فاطمة بنت محمد ﷺ أغلى مهر يدفع.



أقول: ليس بغريب على من ينظر إلى العقل نظرة احتقار أن يكون هذا مستوى تفكيره!

الوهابية وإظهار العورات

في برنامج (نور على الدرب)[١] سمعت باستغراب لأحد كبار علماء الوهابية يفتي بأن فخذ الرجل ليست بعورة وأنه يجوز للرجل أن يظهر وفخذه عارية!! محتجاً فضيلته بأن الرسول الكريم قد ظهرت فخذه مرة!! استغفر الله العظيم.

ساعتها وعيتُ سرَّ لبس كثير من الوهابية للسراويل القصيرة التي تظهر منها الأفخاذ تحت ملابسهم الرقيقة حتى إذا ركع أو سجد شفَّت عورته من تحت الثياب!

وهذا مثال على مستوى الوهابية في الفقه، حيث يعتمدون هذه الرواية كقول راجح في المسألة، ولو رجعوا إلى كتب الحديث لعلموا أن النبي ﷺ قد قال بصريح العبارة: «**الْفَخِذُ عَوْرَةٌ**»[٢] ولا يصح بعد هذا القول الصريح استدلال بجواز كشف الفخذ بانكشاف فخذه ﷺ، واسمع إلى العلماء في كلامهم الواضح يقولون رداً على مسألة انحسار إزاره ﷺ يقول البيهقي: (.. في قوله انحسر أو انكشف دليل على أن ذلك لم يكن بقصده ﷺ، وقد ينكشف عورة الإنسان بريح أو سقطة أو غيرهما فلا يكون منسوبا إلى الكشف، وقوله في الرواية الأولى ثم حسر الإزار عن فخذه يحتمل أن يكون أراد حسر ضيق الزقاق

---

١ . وهو البرنامج الذي لا يفتي فيه إلا كبار رجالات الوهابية (هيئة كبار العلماء على زعمهم)

٢ . وهو حديث صحيح رواه البخاري في تاريخه تعليقاً والترمذي وأبو داود وأحمد والدارمي وابن أبي عاصم والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي والدارقطني والحميدي وأورده الطحاوي في شرح معاني الآثار.(وحتى الألباني المتناقض صححه!)



الذي أجرى فيه مركوبه إزاره عن فخذه فيكون الفعل لجدار الزقاق لا للنبي ﷺ ويكون موافقا لرواية غيره عن إسماعيل موافقا لما مضى من الأحاديث في كون الفخذ عورة غير مخالف لها وبالله التوفيق رواه حميد الطويل عن أنس وقال في إحدى الروايتين عنه وإن ركبتي لتمس ركبة رسول الله ﷺ ولم يذكر انكشاف الفخذ)[١]

واسمع إلى الطحاوي في شرح معاني الآثار حين نقل رد العلماء على حديث مسلم الذي ذكر تستر النبي ﷺ عندما دخل عليه عثمان بينما لم يستتر من أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين فقال: (قد روى هذا الحديث جماعة من أهل البيت على غير ما رواه الذين احتججتم بروايتهم)[٢]، وقال أيضا (فهذه الآثار المروية عن رسول الله ﷺ تخبر أن الفخذ عورة ولم يضادها أثر صحيح، فقد ثبت بها أن الفخذ عورة تبطل الصلاة بكشفها كما تبطل بكشف ما سواها من العورات)[٣] وهذا سرّ تشدد علماء الأمة في الأمر؛ حتى قال الإمام مالك: أكره للرجل أن يكشف فخذه بحضرة زوجته[٤].

أقول وماذا نفعل إن أصر الوهابية على إبطال صلواتهم بكشف عوراتهم!!

الوهابية يحلون أكل الميتة

الوهابية استحلوا أكل اللحوم القادمة من البلاد النصرانية، وإذا ما سافروا إلى أوربا وغيرها من بلاد الكفر فهم لا يعنيهم البحث عن الذبيحة الحلال؛ لأن فقههم الضيق لا يرى إلا أن أهل تلك البلاد أهل كتاب لذا فطعامهم حلال

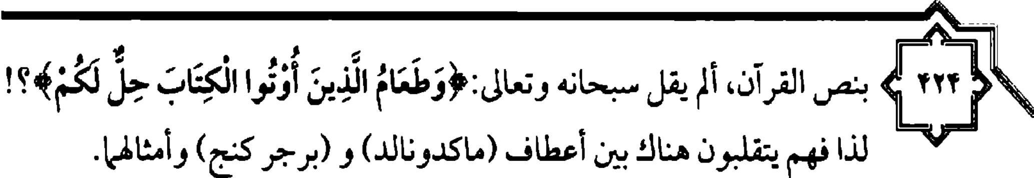
---

١ . البيهقي، السنن، ٢/ ٢٣٠ رقم ٣٠٥٦

٢ . الطحاوي، شرح معاني الآثار ١/ ٤٧٣

٣ . المصدر السابق، ١/ ٤٧٥

٤ . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، سورة الأعراف. الآية: ٢٦



بنص القرآن، ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾؟! لذا فهم يتقلبون هناك بين أعطاف (ماكدونالد) و (برجر كنج) وأمثالها.

وهذا فقه يجهل الواقع أو يتجاهله، فالكل يعلم أن النصارى اليوم في الغرب وغيره لا يذبحون الأنعام بل يأكلونها ميْتة مصعوقةً بالكهرباء، زاعمين أنَّ في الذبح تعذيباً للحيوان، فمن أين للوهابية الدليل على حلِّية أكل الميتة؟! أم أن الميتة تحل إن أتت من يد نصراني؟! علماً أن اللحم الحلال قد هيأه المسلمون في بلاد الغرب، ولكن الوهابية لا يستسيغون ذبائحهم فهم ـ في نظرهم ـ إما أن يكونوا أهل ضلال أشاعرة، وقد حرَّم ابن تيمية ذبائحهم[١]! أو مشركين شيعة!

نعم إن الوهابية ينظرون إلى الشيعة الذين يعلنون البراءة من المشركين في كل حج، والذين أعلنوا محاربة الشيطان الأكبر ـ أمريكا ـ وأرسلوا إلى جورباتشوف رسالة قالوا له فيها (أسلم تسلم) والذين أذاقوا إسرائيل الأمرَّين في جنوب لبنان ينظرون إليهم على أنهم مشركون، لا تحل ذبائحهم بل تحل دماؤهم!! ومن ذلك هذه الفتوى لأحد كبار رجالاتهم، أحد أعضاء هيئة كبار العلماء رداً على السؤال التالي:

(فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

يوجد في بلدتنا شخص رافضي يعمل قصاب[٢] ويحضره أهل السنة كي يذبح ذبائحهم وكذلك هناك بعض المطاعم تتعامل مع هذا الشخص الرافضي وغيره

---

١ . تعليق الشيخ السقاف على كتاب العلو للذهبي ص ٧٨.

٢ . الصواب قصاباً، وانظر إلى التهالك في تكرار كلمة (رافضي) يقصد شيعياً، وينظرون لهم على أنهم رافضة لا لما يعلنه الوهابية وإنما لأن الشيعة رفضوا لعن الإمام علي كرم الله وجهه على منابر معاوية وبني أمية.

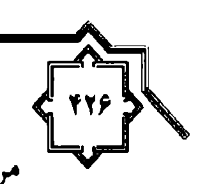


من الرافضة الذين يعملون في نفس المهنة... فما حكم التعامل مع هذا الرافضي وأمثاله؟ وما حكم ذبحه؟ وهل ذبيحته حلال أم حرام؟

أفتونا مأجورين والله ولي التوفيق.

الجواب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. **وبعد فلا يحل ذبح الرافضي ولا أكل ذبيحته، فإن الرافضة غالبا مشركون**، حيث يدعون علي بن أبي طالب دائما في الشدة والرخاء، حتى في عرفات والطواف والسعي، ويدعون أبناءه وأئمتهم كما سمعناهم مرارا، **وهذا شرك وردة عن الإسلام يستحقون القتل عليها**، كما يغلون في وصف علي ﷺ، ويصفونه بأوصاف لا تصلح إلا لله كما سمعناهم في عرفات، وهم بذلك مرتدين (كذا يقول عضو هيئة كبار العلماء، والصواب مرتدون) حيث جعلوه ربا وخالقا ومتصرفا في الكون ويعلم الغيب ويملك الضر والنفع ونحو ذلك... الخ الفتوى المؤرخة بتاريخ ٢٢ ـ ٣ ـ ١٤١٢هـ)

أما اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز وعضوية كل من عبدالله بن قعود وعبدالله بن غديان ونائب الرئيس عبدالرزاق عفيفي في (**فتوى رقم ١٦٥٣ في ٢٢/ ٨/ ١٣٩٧هـ**) **فقد أفتوا رداً** على السؤال التالي: (ما حكم الذبائح التي تباع في الأسواق من البلاد التي لا يسلم أهلها من الشرك، مع دعواهم الإسلام لغلبة الجهل والطرق البدعية عليهم كالتيجانية) فجاء الجواب: (**ذبيحته كذبيحة المشركين والوثنين عبّاد اللات والعزى ومناة وود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا، لا يحل للمسلم الحقيقي أكلها لأنها ميتة، بل حاله أشد من حال هؤلاء لأنه مرتد عن الإسلام الذي يزعمه**)اهـ.



أقول سبحان الله، الشيعي لا تحل ذبيحته ولكن يحل أن يذبحه الوهابي! لأنه مرتد عن الإسلام في الشريعة الوهابية ـ الزاعمة كذباً أنه اتخذ علياً إلهاً من دون الله ـ والسُّني الصوفي[1] والمسلم الجاهل ذبيحته كذبيحة المشركين والوثنيين بل حاله أشد ـ على حدِّ زعمهم ـ أما النصراني الذي ينادي جهاراً بأن عيسى ابن الله وشريكه في الألوهية[2] فأخ عزيز يأكل الحشوي ميتته، ويفتح له أرض الحرمين على مصراعيها، وإن قال النبي ﷺ **«لا يترك بجزيرة العرب دينان»**[3].

هذا ولترى الفرق بين هيامهم برمي المسلمين بالشرك الأكبر وحذر علمائنا من الاقتراب من هذا الأمر فاسمع لما قاله العلامة المجاهد سعيد بن خلفان الخليلي[4] لسائله: **(إياك ثم إياك أن تعجل بالحكم على أهل القبلة بالإشراك من قبل معرفة بأصوله، فإنه موضع الهلاك والإهلاك[5])**

---

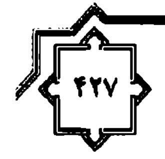
١ . الوهابية يرون السُّنة من أصحاب الطرق الصوفية أهل كفر وضلال وشرك، ينظر مثلاً كتاب: (كيف نفهم التوحيد؟) لمحمد أحمد باشميل، الجامعة الإسلامية مركز شؤون الدعوة، المملكة العربية السعودية.

٢ . هذا من باب إلزام الخصم بما يلتزمه ـ والنقاش عن النصراني الذي يأكل الوهابية ميتته ولا يأكلون ذبيحة الشيعي الذي ينطق بالشهادتين ويذكر اسم الله على ذبيحته ـ وإلا فإن غالبية النصارى الغربيين اليوم لا يؤمنون بوجود الله أصلاً.

٣ . هذا آخر ما أوصى به النبي ﷺ قبل موته وممن أخرجه بلفظه أو قريباً منه مالك وأحمد والطبراني في الأوسط وعبدالرزاق في المصنف وابن راهويه في مسنده وذكره الشوكاني في نيل الأوطار والكتاني في (نظم المتناثر من الحديث المتواتر) والمتقي الهندي في كنز العمال والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد والزيلعي في نصب الراية وقال: (قال الدارقطني في «علله»: وهذا حديث صحيح).

٤ . هذا الرجل أقض مضجع الإمبراطورية البريطانية بإقامته حكم الله في الأرض وما إن تمكنت القوات البريطانية من أسره بعد جهاده الطويل مع الإمام الشهيد عزان بن قيس حتى دُفن حياً، رضوان الله عليه.

٥ . كتاب تمهيد قواعد الإيمان ج١ ص٢٢٤ ط وزارة التراث، سلطنة عمان



فهل بقي بعد هذا من شك في أن هؤلاء هم الخوارج الذين يلبسون مسوح الإسلام وهم على أهله حرب. غلو في الفقه وفساد في العقيدة وتطرف في الأحكام ووقاحة في المعاملة واستحلال لدماء الأبرياء. ألا هل من مدَّكر!

التحايل على الزنا

يحارب الوهابية زواج المتعة، الذي قال بنسخه طائفة من الأمة، وعارض النسخ آخرون هم الشيعة، وهو زواج مؤقت باتفاق الطرفين، ويشنِّع الوهابية على الشيعة في ذلك تشنيعاً كبيرا، ويتهمونهم بإشاعة الفاحشة في الأمة، ولكن الذي يجهله كثيرون خارج ديار الحرمين أن الوهابية بل كبار علمائهم يحِلُّون بدعة جديدة يسمونها زواج المسيار [1]، وقد تداولت ذلك وسائل إعلامهم المختلفة، ونشرت فتوى جوازه أيضا ـ وعلى لسان الشيخ ابن باز في باب (واسألوا أهل الذكر) ـ المجلة العربية، الرياض، عدد ٢٣٢، جمادى الأولى ١٤١٧هـ.

وطريقة هذا النكاح أن يتزوج رجل امرأة بعقد شرعي؛ ولكن تخالطه الأمور التالية أو بعضها:

السرِّيَّة؛ فيكون الزواج غير معلَن.

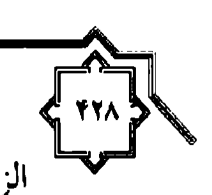
أن يشترط فيه عدم الإنفاق.

أن لا يكون فيه مبيت.

عدم اشتراط الولي.

---

١ . المؤسف أنَّ إباحة هذا النكاح قد تابعهم فيه مشائخ أمثال الشيخ يوسف القرضاوي، لأنه يحلُّ مشكلة العنوسة في رأيه؛ هذا في الوقت الذي تاب فيه بعض زعماء الوهابية عن إباحة هذا النكاح الباطل؛ حيث تراجع الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن فتواه بالإباحة وأعلن ذلك في فتوى له قائلاً بأنه زواج غير موافق لمقاصد الشريعة الإسلامية الغراء؛ وقد يكون هذا أحد أسباب استبعاده مؤخراً من هيئة كبار العلماء!



في نية الرجل المسبقة خلال العقد أنْ يطلِّق بعد أمد، من غير أن تدري الزوجة بذلك[١].

نقول:

أولا: النكاح سراً قد يعني خروج امرأة وأبناء يطالبون بميراث بعد موت أبيهم لا تدري بهم الزوجة الأولى ولا أبناؤها مما يعني الشقاق والخلاف، ولا يخفى أن من مقاصد التشريع إشاعة الإخاء والمودة في المجتمع، لا الشقاق والنزاع، كما أن عدم إعلان النكاح كفيل بجعل العقد باطلاً عند كثير من الفقهاء (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢/ ٢٣٦ ٢٣٧).

والراجح أن الإعلان شرط للأحاديث الواردة في الأمر بإعلان النكاح بالدفوف ونحوها، فقد قال ﷺ: (فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح) رواه النسائي وابن ماجه وأحمد، وعن عائشة ؓ عن النبي ﷺ قال: (أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال) رواه ابن ماجه، والأمر بالإعلان ورد في أحاديث أخرى رواها أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي.

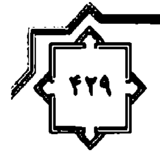
ومسألة أخرى هي إثبات الفراش عند التجاحد لحفظ النسب، وكيف يحصل هذا إلا في نكاح معلن؟! لذا قالت المالكية «نكاح السر أن يتواصوا مع الشهود على كتمانه وهو باطل. فالإعلان عندهم فرض ولا يغني عنه الاشهاد»[٢].

وقد جاء في (كشف الخفاء)، للعجلوني، الحديث رقم: ٤٢٢ ــ (أعلنوا بالنكاح واجعلوه في المساجد اضربوا عليه بالدف ـ وفي رواية بالدفوف). رواه الترمذي عن عائشة وضعفه، لكن له شواهد فيكون حسنا لغيره بل صحيحا

---

١ . تبين في استفتاء جرى في دولة الكويت أن له تسعة مفاهيم لدى الناس، ولا شك أن الوهابية يعمدون إلى تركه مطاطياً هكذا حاجة في نفوسهم!!! ولهذا لزمنا أن نناقش الموضوع بتوسع.

٢ . المناوي، فيض القدير، ج١، حديث رقم ١٠٧٧

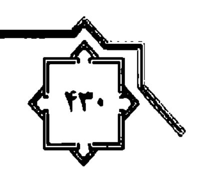


على ما سيأتي، فمن الشواهد ما رواه ابن ماجه وابن منيع من حديث أنس وعائشة كما في اللآلئ والمقاصد وغيرهما وما في مسند أحمد عن ابن الزبير أن رسول الله ﷺ قال (أعلنوا النكاح)، قال السخاوي وفي لفظ (وأخفوا الخطبة)، وبه تمسك من أبطل نكاح السر، ومن الشواهد ما رواه ابن حبان والحاكم وصححاه والطبراني وأبو نعيم عن ابن الزبير، ومنها ما رواه الطبراني عن هبار بن الأسود بلفظ (أشهروا النكاح وأعلنوه)، وما رواه الديلمي عن أم سلمة بلفظ أظهروا النكاح وأخفوا الخطبة، وقال النجم ومن شواهده ما أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه عن محمد بن حاطب بلفظ (فصل ما بين الحلال والحرام ضرب الدف والصوت في النكاح).

ثانياً: لا يكفي في صحة عقد النكاح مجرد توافر الأركان والشروط الظاهرة، بل لابد من انتفاء الموانع والمفسدات، ولذلك حكم المحققون من الفقهاء ببطلان نكاح التحليل ولو لم يذكر فيه شرط التحليل، وأجمعوا على بطلانه إذا ذكر الشرط في العقد نفسه (يراجع مبدأ الرضا في العقود (٢/ ١٢٣٨ ١٢٥٤) وهذا النكاح تقليد لليهود والنصارى في اتخاذ العشيقات مع الزوجات، قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾: كانت المرأة تتخذ صديقاً تزني معه، ولا تزني مع غيره... فلهذا كان عمر بن الخطاب يضرب على نكاح السر، بل يقول (لو تقدمت فيه لرجمت[1])، فإن نكاح السر من جنس اتخاذ الأخدان، والمرأة المحصنة تتميز عن المسافحة بإعلان النكاح.

---

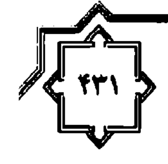
١ . موطأ مالك، باب نكاح السر. ومسند الإمام الشافعي بترتيب السندي، ج٢ حديث رقم ٢٣. وكنز العمال للمتقي الهندي، مجلد ١٦، نكاح السر. ونيل الأوطار للشوكاني، ج٦، كتاب النكاح، باب العضل.



جاء في الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي المجلد الخامس. باب «كان» وهي الشمائل الشريفة. الحديث رقم: ٧١٤٣ - «كان يكره نكاح السر حتى يضرب بدف» خرجه ابن الإمام أحمد في زوائده عن أبي حسن المازني، والمتقي الهندي في كنز العمال وحسنه السيوطي.

ثالثا: العدل مقصد أساسي للشريعة في كل شيء، بل عليه قامت السماوات والأرض، وقام التشريع الإسلامي، ولذلك فحكم الله تعالى واضح فيمن لا يستطيع العدل بين الزوجتين أن يكتفي بواحدة قال تعالى **﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾** وجاءت السنة المشرفة لتبين خطورة عدم العدالة، فقال ﷺ: (من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط) رواه الترمذي والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي (٢/ ١٨٦).

وقوله تعالى **﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾** أي إن خفتم أن لا تعدلوا في القسم والنفقة في نكاح المثنى والثلاث والرباع فواحدة.. فدل على أن العدل بينهن في القسم والنفقة واجب، وإليه أشار في آخر الآية بقوله **﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾** أي أن لا تجوروا، والجور حرام فكان العدل واجبا ضرورة (بدائع الصنائع (٣/ ١٥٤٨). وقال تعالى في بيان حقوق الزوجة **﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾** سورة البقرة، وبينت السنة المطهرة أن هذه الحقوق العامة للزوجات مطلقا فقال النبي ﷺ: «**ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقاً.. ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**» رواه ابن ماجه والترمذي، وقال حديث حسن صحيح، كما أن الزوجة في الإسلام لا تهجر إلا في البيت فحق المبيت ثابت، ونكاح يخلو من شروط الإسلام فهو باطل.



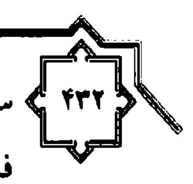
رابعاً: الهجران في البيت من أساليب الشرع الشريف في تأديب المرأة الناشز، وهو مستحيل التطبيق عند الحاجة هنا؛ فهل ترون الخلل في شرع الله أم في تشريعكم أيها الوهابية؟!

خامساً: النفقة والسكنى من حقوق الزوجة بنص الكتاب قال تعالى ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وقوله تعالى ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾ وقوله تعالى ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ وقوله تعالى في حق المطلقات ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ فقد أثبت الله تعالى للمرأة حق النفقة والسكنى بصيغ متعددة آمراً بها، وجعل ذلك من حدود الله تعالى التي لا يجوز تجاوزها، ومن تعدّاها فقد ظلم نفسه بارتكاب هذا المنكر. ولذلك قال الفقهاء بأن من مقتضيات عقد الزواج حِلاً: الاستمتاع والمبيت والنفقة والمهر ونحو ذلك، وأن من اشترط شرطا يخالف مقتضى العقد فإن العقد باطل[١].

سادساً: أما الاستدلال بما كان من أمر أم المؤمنين سودة بنت زمعة، وما جاء من خبر خولة بنت محمد بن مسلمة زوجة رافع بن خديج من أنهما تنازلتا عن حقهما من المبيت فهذا كان بعد الزواج لا قبله. روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حل؛ فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن جرير عن عمر أن رجلا سأله عن آية، فكره ذلك وضربه بالدرة، فسأله آخر عن هذه الآية ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً﴾ فقال: عن مثل هذا فسلوا، ثم قال: هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا من

---

١ . الماوردي، الحاوي (٩/ ٥٠٣)، (٩/ ٥٠٧)، (٢/ ٥٠٨)، والكاساني، البدائع (٣/ ١٥٤٤).



سنها، فيتزوج المرأة الثانية يلتمس ولدها، فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. فليس في هذا الأمر دليل على جواز التنازل قبل الزواج فأنت ترى أن هناك أكثر من فارق عند القياس وذلك:

١ ـ فالتنازل هنا يكون بعد الزواج لا قبله: فهناك فرق بين شرط التنازل عن الحقوق في العقد، أو بعده ولقد فرق الفقهاء بين اشتراط شروط تخالف مقتضى العقد فتجعله فاسدا، وبين أن يتم العقد ثم تتنازل المرأة عن حقها كاملاً من النفقة، أو المبيت، أو هي تنفق، ومثال ذلك المهر فقد ذهب الجمهور إلى بطلان العقد المشروط فيه نفي المهر، وبين أن يتم العقد ثم تطيب نفس المرأة بالمهر.

وهذا يكون مع المرأة التي خلا سنها (عجوز عقيم)؛ وذاك لا يكون إلا مع امرأة مالت إليها النفس؛ لها مؤهلات ضرتها.

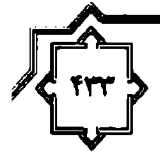
سابعاً: إن عدم وجود الولي في النكاح يبطل العقد عند جمهور الفقهاء، قال تعالى ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾، وقال النبي ﷺ: «**لا نكاح إلا بوَلّي**»[1]، ومعناه النفي لحقيقة النكاح الشرعية بدليل حديث عائشة ﵂: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، باطل، باطل..**»[2] وعدم اشتراط الولي ثابت في بعض صور زواج المسيار!

ثامناً: إنَّ الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وأي سكن ذلك الذي بُيِّتتْ له نيةُ الهدم!، وأية مودة ورحمة تلك التي يكِنُّها من يعبث بشرف النساء ليستمتع بهن وهو لهنَّ خادع، وأية وسيلة لقضاء الوطر أسهل من التواطئ مع امرأة على ذلك وليسمّه الناس باسم الزواج!

---

١ . رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه ابن المديني، والترمذي

٢ . رواه أحمد والأربعة إلا النسائي، وصححه الترمذي وأبو عوانة وابن حبان والحاكم.



تاسعاً: أبغض الحلال عند الله الطلاق[١]، وهو وسيلة إنهاء العلاقة الزوجية عند فشل جدوى باقي السبل فقط، وهذا الزواج إن لم نقل إنه مبني على الطلاق فهو مآله المعلوم، فهؤلاء القوم لم يتزوجوا إلا ليذوقوا عسائل النساء، فهو استخدام غير شرعي للطلاق.

عاشراً: هذا غشٌ للمرأة الحالمة بالبيت الهانئ المستقر، في ظل الزواج الشرعي الصحيح، فهذا الزوج قد غشَّها بزواج حدَّ له أمداً معلوماً قبل أن يكون وهي لا تدري به؛ والرسول ﷺ يقول: «**من غشَّ فليس مني**»[٢].

حادي عشر: فوق أنَّ هذا الزواج غش، وهو كافٍ لحرمته؛ فهو كذلك استغلال بشعٌ أناني للمرأة الغافلة العفيفة، التي لا تدري بأن هذا الزوج ما هو إلا ذئبٌ جاء لينهش لحمها ثمَّ يرميها هيكلاً محطماً لينزو على أخرى.

ثاني عشر: هذا تشويهٌ لصورة الزواج الشرعي، الذي هو رباط قدسي، جعل الله فيه حماية للمرأة وصيانةً لها، وهذا التلاعب سيسقط هيبته عند الآباء وعند النساء، ويجعلهم يتوجسون الغدر في كل متقدمٍ للزواج. وزواج المسيار لا يتفق مع كرامة النساء، بما يجعلهن كالسلعة الرخيصة المخلوقة للاستمتاع الشهواني بعيداً عن المعاني السامية الكريمة التي يحملها الإسلام لهن، والأهداف النبيلة التي تصبو إليها شريعتنا الغراء.

ثالث عشر: نكاح التحليل محرم بالسنَّة الشريفة وإن كان له مهر وشهود وإعلان وسمي المحلل تيساً مستعاراً لأسباب منها أنه تزوج المرأة لأمدٍ معلوم، وهذه تسمية نبوية لهذا الزوج، وقد أفتى العقلاء من الأمة بأن كلَّ نكاح وقِّت

---

١ . أصله حديث ضعيف الإسناد، ولكن نصوص الشرع العامة تؤيد هذا المعنى.

٢ . صحيح مسلم

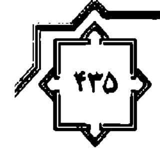
بوقتٍ فهو نكاحٌ باطل[١].

رابع عشر: هذا تحايلٌ على ما حرَّم الله، وهو نفس أسلوب اليهود الذين حذَّرنا القرآن من اتباع خطواتهم، والذين رمَوا شباكهم يوم الجمعة ليلتقطوها يوم الأحد، ظانين بذلك أنهم قد تحايلوا على الله الذي حرَّم عليهم الصيد يوم السبت، وسبحان الله! لكأن الوهابية لم يكتفوا بتقليد اليهود في العقائد فهاهم يقلدونهم حتى في الفقه، ولكن لا عجب فالمقصد متفِق وهو خراب ديار الإسلام، فعقيدتهم لسان حالها يقول: أيها الناس اسرقوا وازنوا واشربوا الخمر بل وافعلوا كلَّ موبقة ولكن قولوا فقط لا إله إلا الله وستدخلون الجنة بعد عذاب قليل إن عذبتم، فيا بشرى المنافقين عند هؤلاء، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، ذاك في العقيدة أما في الفقه فهاهم يتحايلون على الحرام ليحلُّوه!

خامس عشر: إنَّ هذا السِّفاح الذي يدعونه زواجا لَيدلُّ على الفهم الأحمق لدى هؤلاء المتعفنة فطرهم لمفهوم الزواج، فهو يدلُّ بوضوح على أنهم يفهمون الزواج على أنه متعة جنسية للرجل، متى ما تحققت وشبع من المرأة فله أن يرمي بها ويذهب إلى أخرى يتلذذ بها وهكذا دواليك، وليس الزواج الإسلامي كذلك، فهو علاقة مقدسة بين الرجل والمرأة فيه السكن والمودة، وبناء الأسرة الصالحة وإنجاب الذرية الصالحة التي هي أساس المجتمع الصالح، وانظر بنفسك لترى إن كان زواج الوهابية هذا يحقق شيئاً من تلك المطالب!

---

١ . أشار الشيخ قره داغي الأستاذ بجامعة قطر لحرمة هذا المسيار من هذا الباب عند رده على الشيخ القرضاوي على قناة الجزيرة (برنامج الشريعة والحياة) خلال محادثة هاتفية له، فلتراجع على موقع قناة الجزيرة على الشبكة العالمية.



سادس عشر: مع أننا نؤمن بأنَّ زواج المتعة منسوخ، فإنَّه خيرٌ ألف مرَّة مقارنةً بزواج الوهابية هذا، فليس فيه غِشٌّ للمرأة ولا استغلال، فهو لا يكون إلا برضا الطرفين، وزواج الوهابية تكون فيه المرأة آمنة تحلم بالمستقبل السعيد مع من تظنه شريك عمرها، مخلصةً له، ثمَّ لا تتبين إلا وكلمة طالق تحلُّ على مسامعها كالصَّاعقة المدوِّية من دون سبب تعلمه، أو جرمٍ ترتكبه!

سابع عشر: هذا المسيار لا يحل مشكلة العنوسة بحال؛ بل يزيد المجتمع تعقيداً ومشاكل أسرية وخصوصاً في مسألة الذرية. وقد أظهر استبيان في في دولة الكويت أن غالبية النساء لا ينظرن إليه كحل، ولكن الحل يكمن في إزالة القيود الاجتماعية، والقبلية، والإقليمية، والقضاء على الفوارق الطبقية، وإزالة مظاهر الترف والبذخ والإسراف والتبذير التي تثقل كاهل الرجل وأهله، والتخفيف من المهور مع عناية الدولة بالموضوع من خلال تشكيل هيئة مختصة لها صلاحيات وإمكانات كبيرة تعنى بحلِّ الأزمة من جذورها.

هذا وقد حلَّ الشرع الشريف مشكلة العنوسة بتشريع واضح في أول سورة النساء بالزواج الطبيعي حتى من أربع؛ وفي السنة الغراء بعدم المغالاة بالمهور، فلماذا الصدود عن شرع الإسلام والتشبه بالنصارى واليهود في اتخاذ خليلات يلجأون إليهن من غير نفقة ولا اشتراط مبيت؟! ووالله إن هي إلا بدعةٌ عليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

ثامن عشر: هؤلاء الحشوية يدَّعون السلفية، وحاشا السلف الصالح عنهم، فمن أين لهم بالدليل من السُّنَّة على جواز فعلتهم؟! بل ولا دليل حتى من كلام أئمتهم فقد نقل ابن قدامة (٦/ ٥٥١) في زواج النهاريات والليليات أي اشتراط أن يأتيها في النهار فقط، أو في الليل فقط، نقلاً عن المروزي عن أحمد بن حنبل أن ليس هذا من نكاح أهل الإسلام، ثم ذكر ابن قدامة أن زواج السر منهي عنه،

وأن الشروط التي تخص تحديد الوضع تفسد العقد، لأنه شرط ينافي المقصود من النكاح وهو مذهب الإمام الشافعي.

إن الزواج الإسلامي ليس زواج المتعة، ولا المؤقت، ولا التحليل، ولا المسيار، وإنما الزواج على سنة الله ورسوله من توافر الأركان والشروط وعدم وجود الموانع والشروط المخالفة لمقتضى العقد فمن استطاع ذلك فله أن ينكح ما طاب له من النساء مثنى وثلاث ورباع، وإلا فعليه الاكتفاء بواحدة كما أمر القرآن الكريم، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء.

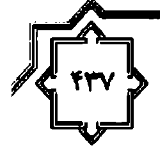
إن فهم الوهابية للدين فهمٌ سطحي، ولا غرو فقول الله سبحانه وتعالى في أمثالهم بيّن ﴿**الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَاأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ إنهم يقلبون المفاهيم، ولا تنفعهم المواعظ، ويشوهون الحدود والشريعة الغراء، فكان الأجدر أن لا يعلموا الشريعة السمحة والدِّين الحنيف. إنّهم يقرأون القرآن فلا يجاوز حناجرهم!

تاسع عشر: اشتهر أهل نجد بالشبق الجنسي، حتى يكاد يكون حديث المجالس لديهم[1]، ولكنهم يجبنون أمام نسائهم فلا يجرؤ غالبهم على الزواج من الثانية وإن كان مقتدرا، لذا احتالوا على الزواج الشرعي بزواج عجيب سمَّوه المسيار، وقد صدق الشيخ الفقيه نوح القضاة السفير الأردني بإيران عندما سمّاه (زواج الجبناء) وواجه بهذه المقولة أحد العلماء القائلين بحله فلم يجد الأخير محيصاً عن الاعتراف بصدقها!

نعم إنه زواج جبناء ذلك الزواج الخالي من القوامة التي شرعها الله في كتابه الكريم للرجل حين قال ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَىٰ النِّسَاءِ**﴾ فأتى هؤلاء القوم ليميتوها لهوى في أنفسهم.

---

١ . أبدى استطلاع أن أغلب متابعين قناة LBC هم من الشباب الوهابي، وهم غالبية المتصلين بالبرامج الهابطة بها، لدرجة أن الشركات السعودية فضلت نشر إعلاناتها الدعائية بهذه القناة!!



إنَّ امتهان شقائق الرجال بما يسمى بزواج المسيار، ما هو إلا دليلٌ على خِسَّة طباع هؤلاء القوم المتعطشين إلى سفك الدماء وانتهاك الأعراض، وتأملوا ـ هداكم الله ـ كم من فتاة محطمة سيترك هؤلاء الوحوش بأفعالهم هذه، وفتاويهم الضالَّة، وأية ثقة تلك التي ستبقى للرجال في قلوب النساء؟

ومن المضحكات المبكيات التي أذكرها أنه عندما حاصرت الحجة أحدهم ـ وهو في أوربا ـ قال: دعنا **نخرِّب**[١] بيوت اليهود والنصارى! وهو عذرٌ أقبح من ذنب، فلقد جاء الإسلام رحمةً للعالمين؛ لينقذ الإنسانية من ضيق الدنيا فيخرجها إلى سعة الدنيا والآخرة، وأية حضارة بل وأي دين سيقدِّم هؤلاء لإنقاذ الإنسانية المتلهفة للمنقذ؟! إنَّ هؤلاء يرون جهادهم في الحرب: قتل المسلمين، فهم يفتون بقتال مخالفيهم ليل نهار وينادون بأن ذلك مقدم على قتال اليهود والنصارى، أما جهادهم في السلم فكما ترون: الزِّنا المقنَّع والعياذ بالله!

إنها وايم الحق لنظرة ضيِّقة حتى لو حسبناها بالمقياس المادي البعيد عن الإسلام، فالطلاق إن كانت له تبعاته في مجتمعاتنا المسلمة، فتبعاته شاقَّة في المجتمعات الغربية، ويكفي أَنَّهُ لِزامٌ على المطلِّق أن ينفق على مطلقته مدى حياتها إن لم تتزوج من بعده، وهو الأمر الشائع الآن مع الغربيين قاتلهم الله حيث تعترف دولهم رسمياً بما يسمَّى (أسرة العائل الواحد) فتعيش المرأة وعشيقها وتنجب من غير زواج، وعلى مطلِّقها أن يدفع لها من المال ما يكفل لها عيشاً رغيدا، فأبشروا أيها الوهابية بالإنفاق على اليهود والنصارى في أوربا وأمريكا، وأبشروا داخلياً بخراب مجتمعكم، وتحطُّم قلوب نسائكم.

أيها الناس هؤلاء هم الوهابية فقها، وقد رأيتم من هم عقيدة، هؤلاء المجسِّمة لربِّ السماوات والأرض، تعالى الله عن تشبيههم. صوروه مثلهم له

---

١ . هو اعتراف منهم بأنه تخريب!.. إنه أسلوب وهابي جديد لنشر الإسلام!

رجل وقدم وجوارح يضحك ويهرول، قاعد في السماء على العرش وقد أبقى محلَّ أربع أصابع ليجلس معه رسول الله، بل وصوروه أنه قاعدٌ في النار والملائكة حوله!! إنهم ببساطة يسمعون الكلمات فلا يفهمون منها إلا ما هو قريب متناسبٌ مع أفهامهم السفيهة، وليزدادوا شناعةً في أذهان الناس فقد أفتوا بأنَّ الأرض ليست كروية تدور، وإلا فكيف يكون ربّهم قاعداً فوقهم!! وأفتوا باستباحة دم من يقول بغير ذلك من المسلمين. إنَّ النهار محتاجٌ إلى دليل في أذهان هؤلاء! وسبحانك اللهم يا من أنت في السماء إله وفي الأرض إله، ليس كمثلك شيء، لا تحيط بك الأقطار ولا بذاتك العليةِ الأفهام.

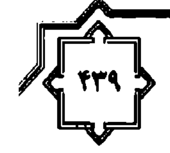
إنَّ المسلم مطالب باتخاذ موقف واضح من أعداء الأمة، وأن ينبّه الناس ويحذِّرهم منهم، كما أننا ننادي منظمات حقوق الإنسان، والمنظمات النسائية بالوقوف في وجوه هؤلاء الزناة الذين لا يقيمون احتراماً لدينٍ ولا لعرف، وأن يُحذِّروا العالم منهم، فهم لا يُمثِّلون الإسلام وإن ادَّعوا ذلك، إنهم يلبسون مسوحَ النُّساك وقلوبهم قلوب الذئاب، تُلقلق ألسنتهم بالقرآن ليل نهار وقد جعل الله على قلوبهم سداً فهم لا ينتفعون به، إنهم أولئك الشرذمة الذين خرجوا في هذا العصر فكفَّروا من خالفهم في الرأي، وقتَّلوا المسلمين وتفاخروا بقتل أهل الجزيرة العربية في مؤلفاتهم، وأفتوا بقتل العراقيين وإن كانوا في الصلاة بين يدي الله سجداً وركوعا[1].

اقرأ وتأمل!

قالَ رَسُولَ الله ﷺ: يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لا

---

١ . والمفتي هو سماحة الشيخ ابن باز.



يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. صحيح البخاري

وقال ﷺ: يَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يُسِيئُونَ الأَعْمَالَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ قَالَ يَزِيدُ لا أَعْلَمُ إِلا قَالَ: يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ عَمَلَهُ مِنْ عَمَلِهِمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ فَإِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ فَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَطُوبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ كُلَّمَا طَلَعَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قَطَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَرَدَّدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِشْرِينَ مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ وَأَنَا أَسْمَعُ. رواه أحمد.

كيف تكون وهابياً؟

وهذه مقالة لأخ كريم يرمز لنفسه بأبي مالك[1]، نشرت بتاريخ: ٢٢/ ١١/ ٩٨ على شبكة الجارح، رأيت إدخالها بأسلوبها الساخر لأنها تمثّل أدعياء السلفية خير تمثيل.

«على جميع الأخوة الذين يودون الالتحاق بنادي الوهابية قراءة هذا المقال، حيث سنوضح بعض الأمور التي لا بد للأخ الوهابي، أو الأخت الوهابية من اتباعها ليكون وهابياً حشوياً صادقاً... ومقالنا هذا هو عن كيفية الصلاة لدى الوهابي.. فعندما تقام الصلاة تتقدم إلى الصف الأول... وتحاول أن تكون وراء الإمام مباشرة... فإذا ما وقفت وراءه، أخرج سواكاً لا يقل طوله عن خمسين سنتيمتراً.. أقل أو أكثر بقليل لا بأس.. ثم تبدأ في الاستياك.. وتطلق لسواكك العنان جيئة وذهاباً.. ومهما خرج من فمك من أقذار وأوساخ فابتلعها ولا تبالي.. وحتى لو خرج من بين أسنانك الدم.. فهو جائز على أصح أقوال

١ . وهو من الإخوة الأشاعرة الذين شرفني الله بالتعرف بهم عبر الإنترنت وزرته في بلاده حفظه الله.

العلماء.. على ما قاله الشيخ (سند الدين أبو جلمبو) ودعك ممن يحملون الحديث على أن الاستياك لا يكون عند القيام للصلاة مباشرة، بل قبلها قليلاً ليتسنى له غسل ما يخرج من فضلات الفم، فهؤلاء مبتدعة، بدلوا دينهم، وسيلقون جزاءهم يوم القيامة على بدعتهم وتحريفهم لأحاديث الرسول ﷺ... فقط اتبع ما نقول لك فنحن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.. مهما فعلنا لن يضرنا.. فقد حُزْنا مفاتيح الجنة بأيدينا... ولا تنس أن تلتفت يمنة ويسرة ليتسنى لباقي المصلين رؤيتك والتعلم منك... ولا يهم إذا فقأت عين أحدهم.. فالعلم أيها الأخوة أعظم مطلوب.... وبعد أن يستوي صف المصلين تُفَرْشِخ قدميك قدر استطاعتك.. حتى تصبح قاب قوسين أو أدنى من السقوط... وتصبح هيئتك على شكل حرف (الواي) باللغة الإنجليزية (لعنة الله عليها) أي عندما يكون الحرف مقلوباً عندها تكون قد أتيت بالسنة، وضيقت على الشيطان وعلى من يصلون بجانبك، وكلما حاول أحد المصلين الفرار من رجلك الجاثمة على قدمه فلاحقه وضيق عليه، وأشعره أنك تفعل ذلك عن قصد، وأن صلاتك بجانبه ليست للصلاة بحد ذاتها بل لتعلمه كيفية الصلاة.. فتوقع أيها الأخ الوهابي أن يثور عليك هذا المصلي المبتدع بعد الصلاة.. ويسألك عن سبب ملاحقتك له بقدمك.. عندها تكون قد أتيحت لك الفرصة لتعليمه كيفية الصلاة؛ فتنال الأجر والثواب الجزيل من الإخوة الوهابية ـ وهذا لأنهم نصبوا أنفسهم نواباً عن رب العزة يعطون الجنة والنار لمن شاءوا ـ وعندما تهوي للسجود فحاول أن ترسل رأسك إلى أبعد نقطة يمكن أن يصلها، وإذا كان أمامك مصلون آخرون فحاول أن تجد فرجة بين أرجلهم وسيقانهم فتحشر رأسك بينها، فيكون جسمك منفرج الزاوية بحيث يكاد بطنك أن يمس الأرض، وباعد بين ذراعيك وجنبيك بحيث يرى بياض إبطيك.. ولا تبالي بمن يصلي بجوارك... ولا تنس

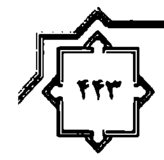


أخي الوهابي أن تخبط رأسك على أرضية المسجد حتى يوشك أن ينفلق.. ولا تنس أن تحدث الجلبة أثناء قراءتك بحيث يسمع من حولك فيتعلمون منك ما يقال في الصلاة.. وإذا كنت تصلي وبجانبك أحد المبتدعة كالأحناف مثلاً الذين لا يرفعون أيديهم قبل وبعد الركوع ولا يضعونها على صدورهم بعد رفعهم من الركوع، أو كالمالكية الذين يزيدون عليهم بسدل أيديهم في الصلاة.. فعليك أن تقف معه وقفة حازمة بعد الصلاة ـ هذا بعد أن تكون راقبته في أثناء صلاتك ـ وتؤنبه على تركه للسنة وتوبخه لأنه لم يأخذ بما قاله الشيخ (ابن بَزْرَمِيط) في كتابه الماتع «نور المخلاة في أحكام الصلاة»... ولكن لا تنس أن تستعمل معه بعض اللين في البداية؛ فتحدثه بصوت ناعم يخرج من خياشمك كأصوات علماء نجد، وبابتسامة صفراء، أو بلهاء، فإذا لم يستجب لتوجيهاتك فأقم عليه الحجة.. واسأله من منكم يعرف الدين أكثر أنت أم هو؟؟؟ فإن أجابك بأنك تعرف أكثر فقد انحلت المشكلة، وإلا فوجه إليه الأسئلة التالية: ما هي قوادح العلة؟؟؟ ما أنواع التدليس؟؟؟ ما أنواع القياس؟؟؟ ما هو سن التحمل وسن الأداء؟؟؟ وكن على ثقة بأنه لن يعرف الإجابات... ولكن احذر من توجيه الأسئلة لمن تشك أنه يعرف إجاباتها... عندها يمكن أن تعتذر بأي عذر.. رأسك يوجعك ـ بعد الخبط والرزع ـ... بطنك... عينك... فالكذب جائز إذا كان بعذر شرعي... وبعد أن تنقضي الصلاة على هذا الحال تتوجه إلى إخوتك الطيبين ـ نحسبهم كذلك والله حسيبهم ـ فتحكي لهم عن تجربتك التي خضتها مع هذا المبتدع وكيف رددت عليه وأفحمته... إلى هنا تكون قد أديت الصلاة حسبما قاله علماؤنا الأفاضل...».

أقول: والاستياك بعد الوضوء خلال الوقوف في الصف للصلاة هو من بدع الوهابية الدَّالة على سذاجتهم، لخطره على الوضوء أولاً حيث يمكن أن

يتسبب في خروج دم من اللثة، وكذلك هو مصدر تنفير للناس حيث يخرج أوساخ فمه بينهم وهذا ليس من أخلاق الإسلام في شيء ثمَّ إنه بعد ذلك يبتلع قاذوراته.

ولي ملاحظة طريفة على أخي أبي مالك سلَّمه الله وهي خلو مقاله من الركاكة اللغوية والأخطاء النحوية وهذا ما لا يتناسب والأدب الحشوي الذي لا تكاد تستقيم له عبارة!



الفصل السابع: أهل السنة يجابهون الحشوية

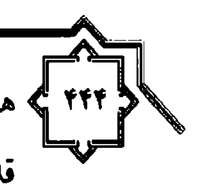
الإسلام دين الحجة والبرهان، لا إكراه فيه ولا إجبار، أمرنا بمواجهة الحجة بالحجة، لا بالسيف، فلا إكراه في الدين، وما إن ظهرت نابتة الحشوية حتى انبرى لها علماء المسلمين من كل صقع وقطر يبينون عوارها وتهافت حججها، وسقم منطقها، وخطر مرماها، وفي مقدمة هؤلاء العلماء علماء الحنابلة؛ لأن هؤلاء الحشوية يلزُّون أنفسهم زوراً بمذهب الإمام أحمد، وسنذكر ههنا ردود بعض العلماء من المذاهب الأربعة فقط على هؤلاء المفترين، ولأن أستاذهم الذي يدورون حوله هو ابن تيمية الحراني فإننا سنفسح المجال لذكر ستين عالماً ممن ردوا عليه مع أسماء كتبهم مقتصرين في كل ذلك على علماء أهل السنة. وصدق رسول الله ﷺ في كل قوله؛ وحين قال: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمِيَّة**».

قراءة في كتاب شقيق محمد بن عبدالوهاب

هذه قراءة في كتاب «الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية» للعلامة الشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدي شقيق الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1]، نقتبس منه

---

١ . يذكر ابن بشر أن وفاته كانت سنة ١٢٠٨هـ حيث يقول: (وفي سابع رجب توفي الشيخ العالم الفقيه سليمان بن عبدالوهاب أخو الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودفن في الدرعية) عنوان المجد، ١/ ١٠٢، وبهذا يكون الشيخ سليمان قد توفي بعد أخيه بسنتين، ولا يذكر من أمره شيئاً سوى حرباً أسعرها على الوهابية حيث يقول في عنوان المجد ج١ ص ٢٦: (وفيها قام أناس من رؤساء ←



ههنا، وذلك هدية لطلاب الحقيقة من المسلمين، خصوصاً أولئك الذين كان قدرهم العيش في مجتمعات منغلقة، حُجبت فيها أنوار الحقيقة، آملين من الله العظيم أن ينير قلوبهم.

تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب نابع من خضم المعركة. كتبه عالمٌ رأى خطورة فكر أخيه الجانح، فقام بالرد عليه ونقض مزاعمه. طبع الكتاب عدة طبعات بمصر والشام وغيرها... نفدت جميعها، ومن أجودها طبعة الكمال بمصر ١٣٤٦ ـ وطبعة الفتوح١٩٢٣ مع تعليق للشيخ محمد حسنين مخلوف مدير المعاهد الأزهرية، كما أنَّ للمؤلف كتاباً آخر هو «فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبدالوهاب».

الكتاب الذي بين أيدينا هو طبعة دار الإنسان بمصر، حققه وقدم له وعلَّق عليه إبراهيم محمد البطاوي، ويقع في ١٦٥ صفحة.

من التصدير:

«في الوقت الذي صعد فيه الكفار إلى القمر والمريخ، لاستكشاف منافع في ملك الله، نجد شيخ أدعياء السلفية بيننا يصدر فتواه الشهيرة بإيقاف دوران الأرض، وكفر من يقول بأنها حول نفسها تدور؟؟ لأن العلو الجهوي أساس في عقيدتهم تعالى الله عمّا يقولون. يزعمون أي ظاهرية السلفية ـ أنَّ العصاة كفار،

أهل بلد «حريملا» وقاضيهم سليمان ابن عبدالوهاب في نقض عهد المسلمين ومحاربتهم، وأجمعوا على ذلك فعزلوا أميرهم محمد بن عبدالله ابن مبارك وأخرجوه من البلد..) وهذا مما يدل على محاولة الشيخ سليمان الجهادية لإصلاح ما يستطيعه من أمر، ولكن مشيئة الله غالبة، له الحكم وله الأمر.



ففيم التوبة إذن؟ ومن يخالفهم من المسلمين فهو كافر يستحق الذبح![1] فلمن النجاة يا ترى؟

ويحذرون من زيارة قبر الرسول ﷺ، فإنه قد مات، وأولى منه ـ عندهم ـ زيارة مسجده إن كان ولا بد! ويقولون: لا تخاطبوا النبي ﷺ بالسيادة! ولا تتوسلوا به إلى ربكم[2]!».

من مقدمة محقق الكتاب:

«المعركة التي يخوضها مؤلف هذا الكتاب الشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدي ضد أوهام شقيقه مؤسس الحركة الوهابية الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي المولود في إقليم نجد حيث ظهر مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في اليمامة من نجد، وفتن بعض المسلمين من إقليمه فاتبعوه، ومنعوا الزكاة، وقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه حتى قتل مسيلمة في آخر حملة بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وكان النبي ﷺ تنبأ بظهور الفتن في إقليم نجد حيث روت الصحاح أنه ﷺ أشار بإصبعه للرجل النجدي ـ نحو نجد قائلاً: «**هناك الزلازل والفتن، ومنها يطلع قرن الشيطان**»!

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «**رأس الكفر نحو المشرق**» مشيراً إلى نجد.

وظهرت الدعوة الوهابية أيضاً في إقليم نجد، وتشددت في إحياء الفكر

---

١ . تلك العصا من هذه العُصيَّة.. ما يكتبه الحشوية اليوم على الساحة الإسلامية! وأضرابها ليس إلا من هذا القبيل.

٢ . رددنا على هذا القول في مقال (أحرام على بلابله الدوح).

الظاهري ومقولات ابن تيمية في إنكار الوسيلة مع ثبوتها لحضرة النبي ﷺ، والقول بالعلوية المادية لذات الحق سبحانه..».

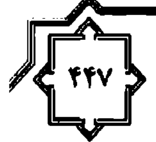
ويقول: «.. ومع أن المذهب السائد في تلك البلاد هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل إلا أنهم أخذوا عنه في الفقه فقط ولم يأخذوا عنه في أمر العقيدة... بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث حكموا بالكفر على مخالفيهم في الرأي فإن لم تكن معهم فأنت والعياذ بالله كافر».

ويقول مخاطباً الوهابية: «إن الإسلام رحمة الله على العالمين؛ فكيف تبيحون لأنفسكم أن تلصقوا به أحقاداً وبذاءات وقذفاً بالباطل لمخالفيكم بالكفر والشرك متأولين معتدين مع أنهم إخوة لكم مؤمنون ولدينهم غيورون ولربهم عابدون، إن الدليل الذي تقيمونه على خصومكم متأولين هو ذاته الدليل الذي يقام عليكم بهذا الاتهام!».

نماذج من الكتاب:

في أول الكتاب ذكر الشيخ سليمان شروط الإمامة في الدين، ونتيجة لمعرفته بأخيه فقد قال بعد ذلك ص ٢٥ ـ ٢٦ (ابتلي الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومها ولا يبالي من خالفه. وإذا طلبت منه أن تعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه ومن خالفه فهو عنده كافر. هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال الاجتهاد، ولا والله ولا عُشر واحدة، ومع ذلك راج كلامه على كثير من الجهال)

ويثبت أن أتباع أخيه هم الخوارج عن الدين حيث بيّن ذلك تحت عنوان (**عقيدة الخوارج عقيدتهم**) ص٢٦، ويتوسع في ذلك ص ٤٣ وما بعدها، ثم يقول مخاطباً أخيه ص ٤٥ (فانظر رحمك الله إلى طريقة أصحاب رسول الله ﷺ

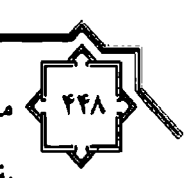


في الإحجام عن تكفير من يدَّعي الإسلام هذا وهم الصحابة ﷺ الذين يروون الأحاديث عن رسول الله ﷺ... فانظر إلى هدي أصحاب رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين لعل الله يهديك إلى اتباع سبيل المؤمنين، وينبهك من هذه البلية التي تزعمون الآن أنها السنة) وهذه شهادة من عالم شفيق بأخيه من البلية التي هو فيها؛ ألا فلينتبه الذين جعلوا على أعينهم عصائب وساروا خلف هذا المستحل لدماء المسلمين المبتدع في الدين بشهادة أهله وبدليل سوء عمله[1]!

ويقول مخاطباً الوهابية ص ٧٧ (يا عباد الله اتقوا الله وخافوا ذا البطش الشديد، لقد آذيتم المؤمنين والمؤمنات ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ والله ما لعباد الله ذنب إلا إنهم لم يتبعوكم على تكفير من شهدت النصوص الصحيحة بإسلامه، وأجمع المسلمون على إسلامه فإن تبعوكم أغضبوا الله تعالى ورسوله ﷺ، وإن عصوا آراءكم حكمتم بكفرهم وردتهم، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (لست أخاف على أمتي غوغاء تقتلهم، ولا عدواً يجتاحهم، ولكن أخاف على أمتي أئمة مضلين إن أطاعوهم فتنوهم وإن عصوهم قتلوهم) رواه الطبراني من حديث أبي أمامة. ثم يذكر له ما فعل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأقوالهم وغيرهم من سلف الأمة حيث إنهم لا يلزمون الناس بأخذ أقوالهم، ثم يخاطب أخاه وحزبه قائلاً ص ٧٩ (وأنتم تكفرون من لا يقول بقولكم ويرى رأيكم، سألتكم بالله هل أنتم

---

١ . ومن أفعال هؤلاء الغوغاء الذين أعماهم تقليد هذا المبتدع في الدين ما فعله أحدهم حين أخذ خطبة الجمعة التي لم يلزم أصلاً بالخطابة منها فداسها برجله زاعماً أنها من خطب الكفار (يقصد مخالفي الوهابية!) وهي مليئة بآيات القرآن الكريم وأحاديث خير البشر ﷺ. فانظر رحمك الله كيف يعمي هذا الفكر معتنقيه حتى يزول عنهم الأدب حتى مع كلام الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ﷺ.



معصومون فيجب الأخذ بقولكم؟ فإن قلت لا فلم توجبون على الأمة الأخذ بقولكم أم تزعمون أنكم أئمة تجب طاعتكم فأنا أسألك بالله هل اجتمع في رجل منكم شرط من شروط الإمامة التي ذكرها أهل العلم أو حتى خصلة واحدة من شروط الإمامة، بالله عليكم انتهوا واتركوا التعصب، هبنا عذرنا العامي الجاهل الذي يمارس شيئاً من كلام أهل العلم فأنت ما عذرك عند الله إذا لقيته؟ بالله عليك تنبه واحذر عقوبة جبار السماوات والأرض)

أيها الاخوة: إن النصائح المخلصة التي يوجهها الشيخ سليمان لأخيه، والتصوير الصادق للحال التي عليها أئمة الوهابية من ضحالة العلم والسطحية والتعصب الأعمى ما تزال ماثلة حتى هذه الساعة في كبار علمائهم، والأمثلة على ذلك بينة ولعل فيما ذكرناه في كتابنا هذا كفاية لمن أراد الله له الهداية.

ومع أن الشيخ سليمان من بلاد نجد فإن ذلك لا يمنعه من ذكر الحقيقة النبوية بأن الفتنة في نجد فنراه يبوب باباً في كتابه بعنوان (**الشيطان في نجد**) ص١١٢ وما يليها يذكر فيه الأحاديث النبوية الصحيحة التي ذكر فيها أن رأس الكفر فيها، وأن بها الزلازل والفتن، فكيف لتجديد الدين أن يخرج بها؟! أليس في هذا مناقضة للأحاديث الصحيحة؟!

ويبين في باب (**بدعة الفتن النجدية**)ص ١١٦ وما بعدها ما يدل على بطلان مذهب الوهابية وهذا أكبر أبواب الكتاب حيث إنه ينقسم إلى عدة فصول يبين في كلٍّ فصل إحدى الفتن النجدية ويبطلها بكتاب الله والثابت الصحيح من سنة المصطفى ﷺ.

إن هذا الكتاب يتميز بعدة مميزات أهمها المنهج العلمي في الرد، والإخلاص في النصيحة؛ كيف لا وهو ينصح أخاه الذي يرجو هدايته، ولكنها المشيئة الإلهية ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾.

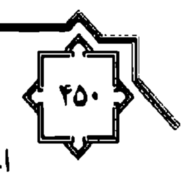


ختاماً لقد اقتبسنا من هذا الكتاب القيِّم بعض الردود على هذه الفرقة ستجدها في بعض مقالاتنا، واقرأ مثلاً موضوع *أسئلة تبحث عن جواب*، ولا يقدح في قيمة هذا الكتاب دعوى الوهابية ندمَ الشيخ سليمان على كتابه قبل موته فهذه دعوى يرددونها عن الكثير من العلماء الذين يكشفون باطلهم، فمع التسليم جدلاً بصحة دعواهم فهي لا تقدح في الكتاب مادام واضح الحجة، ناصع البرهان.

من أقوال علماء المذاهب الأربعة في الحشوية

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جبل الخلق على عمق الارتباط النفسي مع ما تكون عليه النشأة؛ فترى الأعرابي لا يرى لصحرائه بديلا بينما الحضَري لا تروق له الحياة إلا في صخب المدينة، وقس على ذلك من يعانق شاهق الجبال أو يلتحف ثلوج القطبين. وبهذا تستقر الشعوب وتعمر البلدان، ولكن ما إن يقارن هذا الارتباط تقوقع مع الذات وجهل بالمحيط إلا وينتقل الحال ـ بلا ريب ـ إلى ظلمة التقديس للواقع المُعاش والمعاداة المستميتة لكل جديد ولو كان النور الأبلج الوهَّاج، فردّة الفعل التي تظهر عند سطوع الحق على العقول التي عشَّش فيها الجهل، هي تماماً كردّة الفعل التي تظهر عند انبلاج النور على العيون التي اعتادت الظلمة، وقد قيل قديما: المرء عدو ما جهل.

ولعمر الحق إنها لنظرة مغلوطة تلك التي ينظر بها امرؤ لا يرى الأمور إلا من ثقب ضيق، فيعتقد أن ليس في الوجود إلا ما رأى وليس من منظار أفضل من الثقب الذي يرى منه، فيؤمن أن ما يراه هو الحق الذي لا يقبل أدنى نقاش! وأنى لمثل هذا أن يستجيب لداعية خير ولو صرخت الدنيا بأسرها في مسامعه؟!



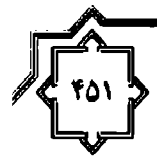
إن هذا الحال هو تماماً حال أدعياء السلفية اليوم، كما كان حال أسلافهم الحشوية من قبل؛ فهم يؤمنون أنهم على الحق الصراح؛ ولا تخالنَّ أن يراجعوا أنفسهم يوماً ليروا أنهم في غيٍّ يعمهون!

لذا فلا غرابة في إصرار الحشوية على دعوة الناس إلى منهجهم السقيم ومحاربتهم للحق القويم؛ فهم يرون ما سِوى منهجهم الخسران المبين!

ولو كانوا يعقلون لثابوا لعلماء المذاهب الأربعة ـ وخصوصاً الحنابلة الذين يدَّعون هم الانتساب إليهم ـ ينادونهم أن عودوا إلى الحق ولكنهم لا يرعوون!

وللذكرى فإننا ندوِّن بعضاً من هذه النداءات السُّنِّيَّة، بعد أن آذت المسامع أبواق الوهابية، تنادي الناس بالانخراط في الديانة الحشوية، بينما أهل السنة يتبرأون من الحشوية وينسبونهم للمشركين تارة ولليهودية تارة أخرى ومنهم من يقول إنهم أخطر من اليهود، وإليكم الأمثلة:

ـ المحضر الذي كتبه جماعة من أئمة الشافعية منهم الشيخ أبو اسحاق الشيرازي والإمام أبو بكر الشاشي وغيرهما، كما في (تبيين كذب المفتري) لابن عساكر ص ٣١٠ ونصه: (بسم الله الرحمن الرحيم. يشهد من ثبت اسمه ونسبه وصح نهجه ومذهبه واختبر دينه وأمانته من الأئمة الفقهاء والأماثل العلماء أهل القرآن المعتدلين الأعيان وكتبوا خطوطهم المعروفة بعباراتهم المألوفة مسارعين إلى أداء الأمانة وتوخوا في ذلك ما تخطره الديانة مخافة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ﴾ أن جماعة من الحشوية الأوباش الرعاع المتوسمين بالحنبلية أظهروا ببغداد من البدع الفظيعة والمخازي الشنيعة ما لم يسمح به ملحد فضلا عن موحد، ولا تجوَّز به قادح في أصل الشريعة ولا معطل، ونسبوا كل من ينزه الباري ـ تعالى وجل ـ عن النقائص والآفات، وينفي عنه الحدوث والتشبيهات، ويقدسه عن الحلول والزوال ويعظمه عن التغير من حال إلى



حال، وعن حلوله في الحوادث، وحدوث الحوادث فيه، إلى الكفر والطغيان، ومنافاة أهل الحق والإيمان، وثلب أهل الحق وعصابة الدين، ولعنهم في الجوامع، والمشاهد، والمحافل، والمساجد، والأسواق، والطرقات، والخلوة والجماعات، ثم غرَّهم الطمع والإهمال، ومدهم في طغيانهم الغي والضلال... وتمادت الحشوية على ضلالها والإصرار على جهالتها وأبوا إلا التصريح بأن المعبود ذو قَدم وأضراس ولهوات وأنامل وأنه ينزل بذاته ويتردد على حمار في صورة شاب أمرد بشعر قطط وعليه تاج يلمع وفي رجليه نعلان من ذهب... الخ)!!!

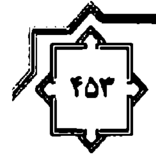
ـ المرسوم الذي أصدره الراضي بموافقة جماعة من العلماء في حق جماعة من أرباب هذه الطائفة قال فيه بعد كلام: (.. وتارة أنكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين، وهيئتكم الرذلة على هيئته، وتذكرون الكف والأصابع والرجلين والنعلين المذهبين والشعر القَطط، والصعود إلى السماء، والنزول إلى الدنيا ـ تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ـ فلعن الله شيطانا زين لكم هذه المنكرات وما أغواه، وأمير المؤمنين يقسم بالله قسماً يلزمه الوفاء به، لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ليوسعنكم ضرباً وتشريداً، وقتلا وتبديدا، وليستعملن السيف في رقابكم، والنار في منازلكم ومحالِّكم) اهـ.

ولكن هل يستجيبون؟! كلا فهم يصدرون عن عقيدة راسخة عمودها التعصُّب الجاهلي وطلاؤها الغرور الأحمق! ولو كان أمرهم غير ذلك لما انطبق عليهم قول النبي ﷺ (إذا خرجوا فاقتلوهم)!

ـ قال الإمام ابن القشيري في (**إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين** للعلامة الزبيدي ج٢ ص١٠٩) عن أرباب هذه الطائفة: «وقد نبغت نابغة من

الرعاع، لولا استزلالهم للعوام بما يقرب من أفهامهم، ويتصور في أوهامهم، لأجللت هذا المكتوب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون نحن نأخذ بالظاهر، ونجري الآيات الموهمة تشبيها والأخبار المقتضية حداً وعضواً على الظاهر، ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك، ويتمسكون بقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ وهؤلاء ـ والذي أرواحنا بيده ـ أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون، وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغتر به المستضعفون، فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع، وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود ـ سبحانه ـ بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم بادر بوهمه إلى تخيل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدري) اهـ.

ـ قال العلامة التقي الحصني الشافعي في مقدمة كتابه (**دفع شُبه من شَبَّه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد**): (وبعد: فإن سبب وضعي لهذه الأحرف اليسيرة؛ ما دهمني من الحيرة من أقوام خبث السريرة؛ يظهرون الانتماء إلى مذهب السيد الجليل الإمام أحمد؛ وهم على خلاف ذلك والفرد الصمد، والعجب أنهم يعظِّمونه في الملأ ويتكاتمون إضلاله مع بقية الأئمة، وهم أكفر ممن تمرَّد وجحد، ويضلِّون عقول العوام وضعاف الطلبة بالتمويه الشيطاني وإظهار التعبد والتقشُّف وقراءة الأحاديث ويعتنون بالمسند، وكل ذلك خزعبلات منهم وتمويه... فالحاصل من كلام ابن حامد والقاضي وابن الزاغوني من التشبيه والصفات التي لا تليق بجناب الحق سبحانه وتعالى... هي نزعة سامرية في التجسيم، ونزعة يهودية في التشبيه، وكذا نزعة نصرانية... وبالغوا في الافتراء إما لجهلهم وإما لضغينة في قلوبهم لأنهم أفراخ السامرة في التشبيه ويهود في التجسيم.)



ـ قال العفيف اليافعي في (مرهم العلل المعضلة في دفع الشبه والرد على المعتزلة): (ومتأخرو الحنابلة غلوا في دينهم غلواً فاحشاً، وتسفّهوا سفهاً عظيماً، وجسّموا تجسيماً قبيحاً، وشبّهوا الله بخلقه تشبيهاً شنيعاً، وجعلوا له من عباده أمثالاً كثيرة؛ حتى قال أبوبكر ابن العربي في (العواصم): «أخبرني من أثق به من مشيختي، أن القاضي أبا يعلى الحنبلي كان إذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هذه الظواهر في صفاته تعالى: ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة. قال أئمة بعض أهل الحق: وهذا كفر قبيح، واستهزاء بالله تعالى شنيع، وقائله جاهل به تعالى، لا يُقتدى به ولا يُلتفت إليه، ولا هو متَّبع لإمامه الذي ينتسب إليه ويتسترَّ به؛ بل هو شريك للمشركين في عبادة الأصنام؛ فإنه ما عبدالله ولا عرفه، وإنما صور صنماً في نفسه، فتعالى الله عما يقول الملحدون والجاحدون علواً كبيراً.)

ثم قال: (ولقد أحسن ابن الجوزي من الحنابلة، حيث صنَّف كتاباً في الرد عليهم، ونقل عنهم أنهم أثبتوا لله صورة كصورة الآدمي في أبعاضها، وقال في كتابه: هؤلاء قد كسوا هذا المذهب شيناً قبيحاً؛ حتى صار لا يقال عن حنبلي إلا مجسّم.)

وقال: (وهؤلاء متلاعبون، وما عرفوا الله، ولا عندهم من الإسلام خير، ولا يحدثون فإنهم يكابرون العقول وكأنهم يحدّثون الصبيان والأطفال.) وقال: (وكلامهم صريح في التشبيه، وقد تبعهم خلق من العوام، وفضحوا التابع والمتبوع) اهـ.

ـ قال ابن عبدالسلام كما في (طبقات الشافعية) ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣: (والحشوية المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ضربان: أحدهما لا يتحاشى من

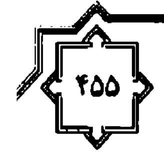
إظهار الحشو ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، والآخر يتستر بمذهب السلف، لسحت يأكله أو حطام يأخذه.

أظهروا للناس نسكا وعلى المنقوش داروا

﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾، ومذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه، ولذلك جميع المبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف فهم كما قال القائل:

وكل يدّعون وصال ليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

وكيف يُدَّعى على السلف أنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه، أو يسكتون عند ظهور البدع ويخالفون قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾، وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ والعلماء ورثة الأنبياء، فيجب عليهم من البيان ما وجب على الأنبياء، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، ومن أنكر المنكرات التجسيم والتشبيه، ومن أفضل المعروف التوحيد والتنزيه وإنما سكت السلف قبل ظهور البدع، فورّب السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع لقد شمر السلف للبدع لما ظهرت، فقمعوها أتم القمع، وردعوا أهلها فردوا على القدرية والجهمية والجبرية وغيرهم من أهل البدع، فجاهدوا في الله حق جهاده. والجهاد ضربان: ضرب بالجدل والبيان وضرب بالسيف والسنان، فليت شعري فما الفرق بين مجادلة الحشوية وغيرهم من أهل البدع؟! ولولا خبث في الضمائر وسوء اعتقاد في السرائر ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وإذا سئل عن غير الحشو من البدع أجاب فيه بالحق، ولولا ما انطوى عليه باطنه من التجسيم لأجاب في مسائل الحشو



بالتوحيد والتنـزيه، ولم تزل هذه الطائفة المبتدعة قد ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا تلوح لهم فرصة إلا طاروا إليها، ولا فتنة إلا أكبوا عليها) اهـ

ـ ومثله لابن جهبل في رده على ابن تيمية كما في «الطبقات الكبرى» للتاج السبكي.

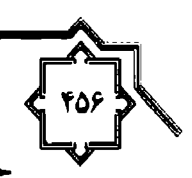
ـ وقال العلامة التاج السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» ج٢ ص١٧ عن هؤلاء الحشوية بعد كلام: (فهذه عقيدتهم ويرون أنهم مسلمون؛ وأنهم أهل السنة، ولو عدوا عدداً لما بلغ علماؤهم ولا عالم فيهم على الحقيقة مبلغاً يعتبر، ويكفِّرون غالب علماء الأمة ثم يعزون إلى الإمام أحمد بن حنبل وهو منهم بريء) اهـ.

ـ أما عن الوهابية نابتة الحشوية الحديثة؛ فإن ابن عبدالوهاب بعث علماءه لمناظرة علماء مكة والمدينة (فلما وصلوا إلى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تمسكوا به، رد عليهم علماء الحرمين، وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها، وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم ووجدوهم مسخرة، كحمر مستنفرة فرت من قسورة، ونظروا إلى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم حجة عند قاضي الشرع بمكة تتضمن الحكم بكفرهم)[1] وهذا الذي دعا حكام الحجاز من الأشراف إلى تعليق رؤوس الوهابية الذين يغيرون على مكة في مداخلها على اعتبار أنها رؤوس الخارجين عن الملة[2].

---

١ . أحمد بن زيني دحلان، فتنة الوهابية، ص ٣

٢ . محمد الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ص ٣٤٠



ـ ويقول عنهم الشيخ سلامة القضاعي الشافعي (.. واستغل أولئك النفر جهل كثير من أهل العصر بتاريخ هذه الفرقة الجاهلة، فأوهموا الناس أنهم يمثلون السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان، والتاريخ يشهد والعلم بكتاب الله ينادي أنهم ما مثَّلوا إلا سلف سوء من أشياخ المشبِّهة وأئمة المجسمة، الذين يفسرون الكتاب بأهوائهم، ويحملون السنة على آرائهم، ويتقولون على معاني كتاب الله، ويضعون على رسول الله، ويأخذون بالضعيف إذا وافق منهم هوى، ويردون الصحيح أو يشككون في صحته إذا كان حجة عليهم...)[١]

ـ ويقول فيلسوف الإسلام الإمام محمد عبده (إن هذه الفئة أضيق عطناً، وأحرج صدراً من المقلدين.. ترى وجوب الأخذ بما يفهم من اللفظ الوارد، والتقيد به دون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين) وعلق الأستاذ محمد رشيد رضا على هذا الكلام بقوله (يعني فئة أهل الحديث، ومن يسمونهم بالوهابية)[٢]

هذه أقوال علماء أهل السنة ونداءاتهم فهل يصغي الحشوية لو لساعة، ليروا أنهم على ضلالة، وليعودوا إلى الحق وإلى الصراط المستقيم.

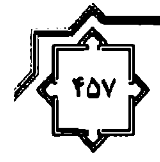
علماء السنَّة يردّون على ابن تيمية

هذه أسماء بعض من ناظر ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ أو ردّ عليه من المعاصرين له والمتأخرين عنه من شافعية وحنفية ومالكية وحنابلة، مع ذكر طائفة من رسائل بعض هؤلاء العلماء وكتبهم التي ردوا عليه فيها؛ فمنهم:

---

١ . سلامة القضاعي، فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان، ص ١٥.

٢ . محمد عبده، الإسلام والنصرانية، ص ٩٧.



١ ـ القاضي المفسر بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي

٢ ـ القاضي محمد بن الحريري الأنصاري الحنفي

٣ ـ القاضي محمد بن أبي بكر المالكي

٤ ـ القاضي أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي

وقد حبس بفتوى موقعة منهم سنة ٧٢٦ هـ. انظر عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي، ونجم المهتدي لابن المعتم القرشي.

٥ ـ الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ.

الاعتبار ببقاء الجنة والنار.

الدرة المضيَّة في الرد على ابن تيمية.

شفاء السقام في زيارة خير الأنام.

النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلق.

نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطلاق.

٦ ـ ناظره الفقيه محمد بن عمر بن مكي المعروف بابن المرحل المتوفى سنة ٧١٦ هـ.

٧ ـ قدح فيه الحافظ صلاح الدين العلائي المتوفى سنة ٧٦١ هـ.

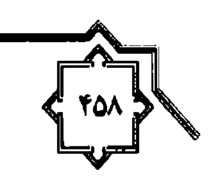
٨ ـ معاصره الشيخ أحمد بن يحيى الكلابي الحلبي المعروف بابن جهبل المتوفى سنة ٧٣٣ هـ.

رسالة في نفي الجهة.

٩ ـ القاضي كمال الدين بن الزملكاني المتوفى سنة ٧٢٧ هـ.

ناظره وردّ عليه برسالتين، واحدة في مسألة الطلاق، والأخرى في مسألة الزيارة.

١٠ ـ ناظره القاضي صفي الدين الهندي المتوفى سنة٧١٥ هـ.



١١ ـ الفقيه المحدّث علي بن محمد الباجي الشافعي المتوفى سنة ٧١٤ هـ.

ناظره في أربعة عشر موضعا وأفحمه.

١٢ ـ المؤرخ الفخر بن المعلم القرشي المتوفى سنة٧٢٥ هـ.

نجم المهتدي ورجم المعتدي.

١٣ ـ مرسوم السلطان ابن قلاوون المتوفى سنة ٧٤١ هـ بحبسه.

١٤ ـ معاصره الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.

بيان زغل العلم والطلب.

النصيحة الذهبية.

١٥ ـ المفسر أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة٧٤٥ هـ.

تفسير النهر الماد من البحر المحيط.

١٦ ـ الفقيه الرحّالة ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هـ.

رحلة ابن بطوطة.

١٧ ـ الفقيه تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ.

طبقات الشافعية الكبرى.

١٨ ـ تلميذه المؤرخ ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ.

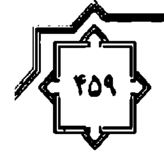
عيون التواريخ.

١٩ ـ الشيخ عمر بن أبي اليمن اللخمي الفاكهي المالكي المتوفى سنة ٧٣٤هـ.

التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة.

٢٠ ـ القاضي محمد السعدي المصري الأخناني المتوفى سنة٧٥٥ هـ

المقالة المرضية في الرد على من ينكر الزيارة المحمدية، طبعت ضمن «البراهين الساطعة» للعزامي.



٢١ ـ الشيخ عيسى الزواوي المتوفى سنة ٧٤٣ هـ.

رسالة في مسألة الطلاق.

٢٢ ـ الشيخ أحمد بن عثمان الجوزجاني الحنفي المتوفى سنة ٧٤٤ هـ.

الأبحاث الجلية في الرد على ابن تيمية.

٢٣ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

لسان الميزان.

٢٤ ـ الحافظ ولي الدين العراقي المتوفى سنة ٨٢٦هـ.

الأجوبة المرضية في الرد على الأسئلة المكية.

٢٥ ـ الفقيه المؤرخ ابن قاضي شهبة الشافعي المتوفى سنة ٨٥١ هـ.

تاريخ ابن قاضي شهبة.

٢٦ ـ الفقيه أبو بكر الحصني المتوفى سنة ٨٢٩ هـ.

دفع شبه من شُبه من شبَّه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد.

٢٧ ـ رد عليه شيخ إفريقيا أبو عبدالله بن عرفة التونسي المالكي المتوفى سنة ٨٥٣ هـ.

٢٨ ـ العلامة علاء الدين البخاري الحنفي المتوفى سنة ٨٤١ هـ وكفره وكفر من سمَّاه شيخ الإسلام، ذكر ذلك الحافظ السخاوي في الضوء اللامع.

٢٩ ـ رد عليه الشيخ أحمد زروق الفاسي المالكي المتوفى سنة ٨٩٩ هـ.

٣٠ ـ الحافظ السخاوي المتوفي سنة ٩٠٢ هـ.

الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التأريخ.

٣١ ـ القاضي البياضي الحنفي من علماء القرن الحادي عشر.

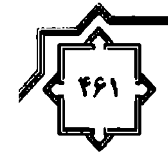
إشارات المرام من علم الإمام.



٣٢ـ الشيخ أحمد بن محمد الوتري المتوفى سنة ٩٨٠ هـ.
روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين.
٣٣ـ الشيخ ابن حجر الهيثمي المتوفى سنة ٩٧٤هـ.
الفتاوى الحديثية[1].

---

١ . ومما قاله ابن حجر الهيتمي في ابن تيمية:
ـ قال في (الفتاوى الحديثية) ص١١٤ «ابن تيمية عبد خذله الله تعالى وأضله وأعماه وأذله، بذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغ مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية والحاصل أنه لا يقام لكلامه وزن بل يرمى في كل وعر وحَزن، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ومُضلٌ جاهل غالٍ، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته».
ـ ونقل في نفس المصدر ص١١٦ المسائل التي خالف فيها ابن تيمية إجماع المسلمين ومنها: «.. وأن العالم قديم بالنوع، ولم يزل مع الله مخلوقاً دائماً، فجعله موجباً بالذات لا فاعلاً بالاختيار، تعالى الله عن ذلك وقوله بالجسمية والجهة والانتقال، وأنه بقدر العرش لا أصغر ولا أكبر، تعالى الله عن هذا الافتراء الشنيع القبيح والكفر البواح الصريح».
ـ وقال في ص٢٠٣ «وإياك أن تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما ممن اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله، وكيف تجاوز هؤلاء الملحدون الحدود وتعدوا الرسوم وخرقوا سياج الشريعة والحقيقة فظنوا بذلك أنهم على هدى من ربهم، وليسوا كذلك... الخ.
ـ وقال في حاشيته على مناسك النووي ص٤٨٩ طبعة المكتبة السلفية «ولا يعتبر بإنكار ابن تيمية لسن زيارته ﷺ، فإنه عبد أضله الله كما قال العز بن جماعة، وأطال في الرد عليه التقي السبكي في تصنيف مستقل، ووقوعه في حق رسول الله ﷺ ليس بعجب، فإنه وقع في حق الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا؛ فنسب إليه العظائم؛ كقوله: إن لله تعالى جهة ويداً ورجلاً وعيناً وغير ذلك من القبائح الشنيعة ولقد كفَّره كثير من العلماء، عامله الله بعدله وخذل متبعيه الذين نصروا ما افتراه على الشريعة الغراء».
ـ وقال أيضا في (الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي المكرم) عن ابن تيمية: «وما زال يتلاعب به ←



الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظم.

حاشية الإيضاح في المناسك.

٣٤ ـ الشيخ محمد بن علي بن عراق الدمشقي المتوفى سنة ٩٣٣ هـ.

٣٥ ـ الشيخ جلال الدين الدواني المتوفى سنة ٩٢٨ هـ.

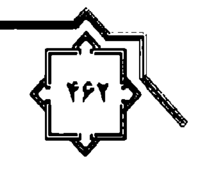
شرح العضدية.

٣٦ ـ القاضي أبو عبدالله المقري.

الهوى حتى كان مجموعة بدع شنعاء ودائرة جهالات وأباطيل شوهاء، منها ما سبق ومنها ما لم يسبق إليه فنجده في مسائل من علم التوحيد حشوياً كرامياً يقول في الله بالأجزاء والجهة والمكان والنـزول والصعود الحسيَّين وحلول الحوادث بذاته تعالى، ومن ناحية أخرى نجده في حضيضة الخوارج يكفر أكابر الأمة ويخطئ أعاظم الأئمة... الخ».

ـ وقال عنه أيضا في نفس الكتاب: «فإن قلت كيف تحكي الإجماع السابق على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها، وابن تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كله، كما رآه التقي السبكي بخطه وأطال ـ أعني ابن تيمية ـ في الاستدلال لذلك بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع بل زعم حرمة السفر إليها إجماعا، وأنه لا تقصر فيه الصلاة، وأن جميع الأحاديث الواردة فيه موضوعة وتبعه بعض من تأخر من أهل مذهبه قلت ـ الهيثمي ـ من هو ابن تيمية حتى ينظر إليه أو يعول في شيء من أمور الدين عليه، وهل هو إلا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهروا عوار سقطاته، وقبائح أوهامه وغلطاته كالعز بن جماعة «عبد أضله الله تعالى وألبسه رداء الخزي وأرداه وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان وأوجب له الحرمان».

ـ وقال عنه في شرح الشمائل «قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: أنه ذكر شيئا بديعاً؛ وهو أنه ﷺ لما رأى ربه واضعاً يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة، قال العراقي: لم نجد لذلك أصلا ـ يعني من السنة ـ قال ابن حجر الهيثمي» بل هذا من قبيل رأييهما وضلالهما، إذ هو مبني على ما ذهبا إليه وأطالا في الاستدلال له والحط على أهل السنة في نفيهم له، وهو إثبات الجهة والجسمية لله تعالى، ولهما في هذا المقام من القبائح وسوء الاعتقاد ما تصم عنه الآذان ويقضى عليه بالزور والبهتان، فقبحهما الله وقبح من قال بقولهما، والإمام أحمد وأتباع مذهبه مبرأون عن هذه الوصمة القبيحة، كيف وهي كفر عند كثيرين».



نظم اللآلي في سلوك الأمالي.

٣٧ـ علي القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤هـ.

شرح الشفا للقاضي عياض.

٣٨ـ المحدِّث محمد بن علي بن علان الصديقي المكي المتوفى سنة ١٠٥٧هـ.

المبرد المبكي في رد الصارم المنكي.

٣٩ـ الشيخ عبدالرؤوف المناوي الشافعي المتوفى سنة ١٠٢٩ هـ.

شرح الشمائل للترمذي.

٤٠ ـ الشيخ أحمد الخفاجي المصري الحنفي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ.

شرح الشفا للقاضي عياض.

٤١ ـ المؤرخ أحمد أبو العباس المقري المتوفى سنة ١٠٤١ هـ.

أزهار الرياض.

٤٢ ـ الشيخ محمد الزرقاني المالكي المتوفى سنة ١١٢٢ هـ.

شرح المواهب اللدنية.

٤٣ ـ الشيخ عبدالغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣هـ.

ذمه في أكثر من كتاب.

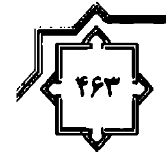
٤٤ ـ ذمه الفقيه الصوفي محمد مهدي بن علي الصيادي الشهير بالرواس المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ.

٤٥ ـ السيد محمد أبو الهدى الصيادي المتوفى سنة ١٣٢٨هـ.

قلادة الجواهر.

٤٦ ـ المفتي مصطفى بن أحمد الشطي الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ١٣٤٨هـ.

النقول الشرعية في الرد على الوهابية.



٤٧ ـ محمود خطاب السبكي المتوفى سنة ١٣٥٢هـ.

الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق.

٤٨ ـ مفتي المدينة المنورة الشيخ المحدث محمد الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٥٣هـ.

لزوم الطلاق الثلاث دفعة بما لا يستطيع العالم دفعه.

٤٩ ـ الشيخ سلامة العزامي الشافعي المتوفى سنة ١٣٧٦هـ.

البراهين الساطعة في ردّ بعض البدع الشائعة.

مقالات في جريدة المسلم (المصرية).

٥٠ ـ مفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعي المتوفى سنة ١٣٥٤هـ.

تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد.

٥١ ـ وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانية الشيخ محمد زاهد الكوثري المتوفى سنة ١٣٧١هـ.

كتاب مقالات الكوثري، وغيره من كتبه.

٥٢ ـ إبراهيم بن عثمان السمنودي المصري، من أهل هذا العصر.

نصرة الإمام السبكي برد الصارم المنكي.

٥٣ ـ عالم مكة محمد العربي التبَّاني المتوفى سنة ١٣٩٠هـ.

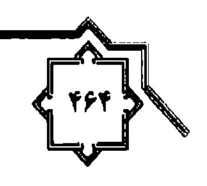
براءة الأشعريين من عقائد المخالفين.

٥٤ ـ الشيخ محمد يوسف البنوري الباكستاني.

معارف السنن شرح سنن الترمذي.

٥٥ ـ الشيخ منصور محمد عويس، من علماء الأزهر المعاصرين.

ابن تيمية ليس سلفياً.



٥٦ ـ الشيخ عبدالله الغماري المحدِّث المغربي، من أهل هذا العصر.

إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة.

الصبح السافر في تحقيق صلاة المسافر.

الرسائل الغمارية، وغيرها من الكتب.

٥٧ ـ المسند أبو الأشبال سالم بن جندان الأندونيسي كان حيا سنة ١٣٨٣هـ.

الخلاصة الكافية في الأسانيد العالية.

٥٨ ـ حمد الله البراجوي عالم سهارنبور.

البصائر.

٥٩ ـ وقد كفَّره الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي في كتابه غوث العباد ببيان الرشاد، وقرَّظه له جماعة وهم الشيخ محمد سعيد العرفي، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمود أبو دقيقة، والشيخ محمد البحيري، والشيخ محمد عبدالفتاح عناتي، والشيخ حبيب الله الجكني الشنقيطي، والشيخ دسوقي عبدالله العربي، والشيخ محمد حفني بلال.

٦٠ ـ الحافظ أحمد بن الصديق الغماري وقد ذمَّه وبين أنه كذاب في كتابيه

هداية الصغراء

القول الجلي.

٦١ ـ محمد بن عيسى بن بدران السعدي المصري

٦٢ ـ علوي بن طاهر الحداد الحضرمي

٦٣ ـ فضيلة الشيخ عيسى المانع علامة دبي بالإمارات العربية المتحدة في كثير من محاضراته ودروسه.

٦٤ ـ الشيخ عبدالله بن محمد الهرَري الحبشي



المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، وهو مصدر أغلب هذا المقال، ط دار المشاريع، وله كتب كثيرة تفضح الفكر التيمي

إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.

فانظر أيها الطالب للحق وتمعن، فكيف يلتفت إلى رجل تكلم فيه كل هؤلاء الأعلام منكرين عليه ومحذرين منه، وهل يصلح من كان فيه كل هذا القدح من علماء الأمة ـ بل ومن نفس مذهبه ـ أن يتخذ إماما؟! وهل من العقل والحكمة أن يقدّم كلامه الفاسد حتى على قول الله ورسوله ﷺ؟!

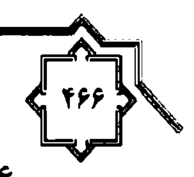
البخاري الهندي يحذِّر من أدعياء السلفية

حذَّر مرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند الشيخ العلامة عبدالله البخاري المسلمين من فتنة الوهابية وأدعياء السلفية في مقابلة أجرتها معه مجلة «منار الهدى»[1] اللبنانية فقال: (ظهرت في بلاد المسلمين فرقة شاذة تسمي نفسها بالسلفية، وتدّعي أنها تتبع السلف الصالح، وهم في الحقيقة ليسوا على منهج السلف لأنهم لو كانوا كذلك لما شذوا عن إجماع المسلمين. هم يدَّعون أنهم جاؤوا ليخرجوا الناس من الوثنية، من عبادة القبور إلى عبادة الله، ولكن المسلمين لا يعبدون القبور، فكيف يتهمون المسلمين بأنهم وثنيون؟! هذا كلام باطل، وفتنة كبيرة علينا أن نواجهها ونحاربها حتى لا تنتشر وتتوسع).

وقال مبيناً سبب تسللهم إلى الهند:(لقد دخلوا إلى الهند عن طريق الإنجليز الذين زرعوهم في بلادنا لتفريق المسلمين، ونحن أدركنا خطرهم منذ زمن بعيد، وقد ألف علماء الهند مئات الكتب في الرد عليهم وبيان مخاطرهم ومفاسدهم).

---

١ . عدد ٥٧، أغسطس ١٩٩٧م



وهذا الوعي التأريخي من الشيخ ليس بعجيب على مثله، فدعوة محمد ابن عبدالوهاب كان يقف وراءها الإنجليز بكامل ثقلهم، متمنين بذلك هدم الإسلام من الداخل، وقتل روح الجهاد بعد أن ذاقوا الأمرَّين من جهاد مسلمي شبه القارة الهندية لتحرير أوطانهم من الاستعمار النصراني.

وقال: (إنَّ التحذير منهم[١] ليس فيه تفريق للمسلمين بل فيه إنقاذٌ لهم وتنبيه من مخاطرهم، لأنك إذا علمت أن هناك لصاً يريد أن يدخل دار جارك هل تسكت أم تحذِّره؟!)

وهكذا أيها الإخوة ترون تحذير علماء الأمة في كل أرض من فتنة السلفية الوهابية، الذين يحاولون شغل المسلمين بأنفسهم، وتكفيرهم بل ورميهم بالشرك وفي طليعتهم شيخهم محمد بن عبدالوهاب الذي رمى سيدنا آدم بالشرك في كتابه (التوحيد).

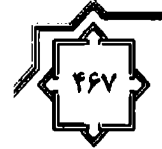
إن الشيخ عبدالله البخاري هو مرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند وعميد كلية (سيد مدني) في ناحية (منغلور) بالهند.

أسود البنغال تجابه الحشوية

الشيخ محمد بن عبدالسلام الكاظمي الحسيني أحد علماء بنجلاديش المخلصين، وقد كان أحد المغرورين بالوهابية التي طال أذاها بلاد البنغال، ولكن ما إن تكشفت له حقيقتهم حتى شمَّر عن ساعد الجد لإنقاذ بلاده من شرِّهم فجابههم بالسلاح النافع في مثل هذه المواقف: العلم والحجة. وما فتئ الشيخ يناظرهم فيخنسون.

---

١ . أي أدعياء السلفية



التقته مجلة منار الهدى[1] بالجامعة الغوثية بالعاصمة (دكا)، فصرَّح خلال اللقاء بأنه رافق الوهابية طيلة ثلاث سنوات، حتى أراد الله سبحانه له الهداية منذ واحد وثلاثين عاماً حيث ناظره وهو ما يزال وهابياً عالم بنغالي كبير هو الشيخ عزيز الحق القادري المعروف بأسد البنغال، فأقام الأسد عليه الحجة في مسائل العقيدة، وكان ذلك سبباً في هدايته، ومنذ ذلك الحين والشيخ يبذل قصارى جهده لإنقاذ الآخرين؛ فمما قاله الشيخ الكاظمي في لقاء المجلة معه: «خلال السنوات الماضية حصلت بيني وبين بعض الوهابية مناظرات عديدة؛ خاصة مع عميد الجامعة الأهلية التابعة للوهابية واسمه شفيق محمد، وقد تمكنت بفضل الله من إقامة الحجة عليه وبيان فساد معتقداته وهو ما زال حياً. وللأسف الشديد إن الوهابية يقولون بألسنتهم إنا نتبع القرآن والسنّة، ولكنهم في الواقع يتبعون الشيطان، والسلف ﷺ بريئون منهم».

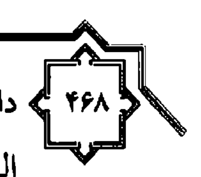
ويقول الشيخ الكاظمي ناصحاً: «عقيدة الوهابية تخالف ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، ومما كان عليه السلف الصالح والخلف ﷺ وما عليه جمهور الأمة المحمدية إلى يومنا هذا، لذلك فإنني أحذر المسلمين من المبتدعة الوهابية ومن أمثالهم، وأنصح العلماء والمشائخ أن يجدُّوا ويجتهدوا لنشر العقائد السليمة خاصة أننا في عصر كثر فيه الفساد في المعتقد. فما أحوج المسلمين إلى أن يحذروا من كل فتنة سواء أتت إليهم من داخل صفوفهم أو من خارجها».

نسأل الله أن يحفظ الشيخ الكاظمي من شر الوهابية، فهم يتبعون أسلوب اليهود في اغتيال مخالفيهم والتضييق عليهم ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ فقد نشرت مجلة «منار الهدى»[2] خبر قتل أدعياء السلفية لمفتي

---

[1] . العدد ٦٨

[2] . العدد:٦٩ / جمادى الأولى ١٤١٩هـ/ سبتمبر ١٩٩٨م



داغستان الشيخ محمد سعيد أبو بكروف وأخوه في انفجار عبوة ناسفة في العاصمة الداغستانية (محج قلعة)، ونقلت وكالة (إنتر فاكس) الروسية عن وزارة الداخلية في الجمهورية القوقازية أن مفتي الجمهورية وأخاه كانا في سيارتهما لحظة وقوع الانفجار [١].

وكان المفتي معروفاً بمواقفه التي تنتقد الوهابيين في داغستان حيث اتهمهم بالانحراف العقائدي ووصفهم «بالمخربين» [٢]. يذكر أن عدة حوادث تورَّط فيها الوهابيون حدثت مؤخراً في داغستان الواقعة على حدود الشيشان، كما اتخذ الرئيس الشيشاني أصلان مسخادوف عدة إجراءات ضد الوهابيين المشتبه بتورطهم في محاولة اغتياله [٣] وافتعال اشتباكات مع القوات الحكومية، وقريباً قتل جملة من المصلين بأحد المساجد بالباكستان بأسلحة أدعياء السلفية ليس لشيء سوى أنهم من المسلمين الشيعة [٤]، وأعلل ذلك بأنه

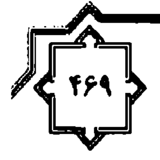
١ . وبهذا صرح قربان خادجي عمر صخابوف رئيس القسم الدولي بالإدارة الدينية لمسلمي داغستان، لصحيفة (فيرسيا) الروسية الأسبوعية في عددها ٣٣ في الفترة ٣١ اغسطس ـ ٦ سبتمبر والتي ترجمها لوكالات الأنباء العربية الصحفي هاني شادي المقيم بموسكو، قال فيها: (.. **في كل مكان يظهر فيه الوهابيون تبدأ التناقضات والهجمات المسلحة وسفك الدماء**) وقال عنهم وعن أسلوبهم في بلاده: (**هم بكل بساطة يشترون الناس**)اهـ. ومن المعلوم أن أعمال الإرهاب في مصر والجزائر والباكستان وغيرها من البلاد الإسلامية يقف وراءها أدعياء السلفية بفقههم الأعوج، حيث تبنوا عقيدة مؤداها أن مخالفهم مشرك حلال الدم!

٢ . سبحان الله العظيم، لا يدخل هؤلاء القوم بلداً إلا كانوا سبباً في أذاها، وما أفغانستان عنا ببعيد!

٣ . مذهبهم إمّا أن تتبعنا كالنعاج أو السيف!

٤ . خصصت قناة الجزيرة برنامج (قضايا) في يوم الجمعة ٢٤/ ١١/ ١٤١٩ (١٢/ ٣/ ٩٩) لمناقشة العنف الطائفي في الباكستان، وأجرت لقاءات مع مسؤولين بالحكومة والأحزاب كلهم مجمع على أن الباكستان كان بلداً مؤتلفاً شيعة وسنة قبل دخول الوهابية إليهم، ممثلين في مؤسستين هما (جماعة علماء الإسلام) و (جماعة أهل الحديث) وقد أجري لقاء مع زعيم جيش الصحابة

←



قد يكون انتقاماً من الشيعة بسبب دورهم البارز في تمريغ أنوف اليهود بالوحل بجنوب لبنان! وكيف لا يقتلون الشيعة وهم أتباع ابن تيمية الذي تغلغل بين أمراء المماليك واستمال بعضهم إلى جنبه؛ حتى تمكن من إقناع السلطان بتسيير حملة عسكرية لمقاتلة الشيعة في جبل كسروان بلبنان، وأصدر فتوى تستحل دماءهم وأموالهم، وخرج مع عسكر السلطان، وقاتل معهم حتى تمت إبادة الشيعة هناك وتحولت منطقة كسروان على يد ابن تيمية إلى منطقة نصرانية منذ ذلك اليوم[١]!!

كنتُ وهّابياً

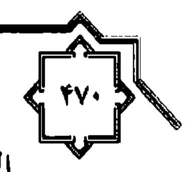
أدرى الناس بالناس أؤلئك الذين يخالطونهم؛ لذا سأذكر ههنا مقتطفات من رسالة لأحد الشباب المسلم الذين انطلت عليهم خرافات الحشوية حيناً من الدهر؛ لأنهم عندما فتحوا أعينهم لم يجدوا هواء غير هواء الوهابية ولا ماءً غير مائهم فما إن تنفسوا حتى شموا الخبائث وما إن شربوا حتى طعموا الأسن، فتبينت لهم الحقيقة فتركوهم. استمع إليه يقول في رسالة يعرفني فيها بنفسه عبر شبكة الإنترنت بعد أن كشف عوار الوهابية على (الساحة الإسلامية لفارس) فأجابني بعد أن قلت فيه قصيدة منها هذا البيت:

يا جَهبذاً أشْعَرِيّاً في طريقَتِه   بدَّدْتَ شُبْهَةَ حَشْوي قدِ افتخرا[٢]

الوهابي الذي يتولى قتل الشيعة وتفريق لحمة الباكستان ليقول (الشيعة كفار) فما كان من الشيخ نوراني ـ رئيس جمعية علماء السنة والذي يحاول وإخوانه من سنة وشيعة رأب الصدع بعقد اجتماعات يتبرأون فيها من هؤلاء الهمج ـ إلا أن سماهم بالشياطين!

١ . تنظر أحداث عام ٧٠٥هـ في البداية والنهاية لابن كثير

٢ . أثبتُّها في آخر الكتاب



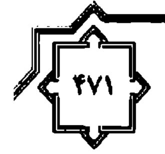
فقال لي: (... أنا شاب قطري، مالكي المذهب في الفروع أشعري في الأصول، ولست من جهابذة الأشاعرة كما ذكرتَ بل أنا مجرد متطفل على موائد العلماء، فلم يكن ردي على ذلك الزكي[1] الذكي إلا نقلا من كتب ساداتنا العلماء ﷺ واعتمادا على ما سطرته أياديهم فلم يكن لي إلا جمع تلك الأقوال ورميها في نحر ذلك الحشوي الجاهل، وكم تنطبق عليهم هذه التسمية فكلامهم حشو وكتبهم حشو ومشايخهم حشو، فأنت تعلم أنهم يضعون لكتاب واحد من كتب ابن زفيل المسمى بابن القيم أكثر من اسم وذلك تكثيرا لكتبه، وابن تيمية كذلك، فتطالعنا كل يوم عناوين جديدة لكتب ابن تيمية وعند خبرتها تجد أنها مستخلصة من كتاب آخر، فكأن أحدهم قرأ في الفهرس ـ وبالمناسبة فكل ما يقرأه هؤلاء هي فهارس الكتب فلا وقت لديهم للقراءة ـ فإذا أعجبه عنوان قطعه ودفع به إلى المكتبة ولا ينسى أن يكتب (تحقيق وتعليق ودراسة وتخريج) ـ وأقترح أن يضيف كلمة (وتشقيق)، لأنه شقه من الكتاب الأصلي ـ ثم يضع اسمه فلان بن فلان الفلاني السلفي الأثري الحشوي النحسكوري.. الخ من الألقاب التي يعطيها لنفسه، وأهم من ذلك أن يقرظ كتابه أحد المشايخ.

وقد اخترت اسم الأشعري[2] لشيء لا يخفى عليكم وهو إغاظة هؤلاء الرعاع الذين يظنون أنهم أخرسوا الجميع واكتسحوا الساحات، وهم في كل يوم يفقدون أنصارا وأتباعاً بسبب تحجر عقولهم وضعف حججهم وضيق أفقهم.

---

١ . هذا أحد أقزام الوهابية؛ ويدَّعي أنه عراقي في بعض الأحيان، فقلنا له الرئيس صدام ينتظرك مفتياً في العراق فالوهابية لديه أحباب فسارع لأنَّ مكانتك ستكون رفيعة!!

٢ . هذا الشاب المكتهل صاحب علم وتواضع، ويوقِّع في الساحة باسم الأشعري، ونحن على استعداد لتزويد أهل النيات الطيبة ممَّن نثق في أمانتهم ببريده الإلكتروني رعاه الله وسلَّمه من شرِّ الذين لا يرقبون في مسلم إلا ولا ذمَّة!



كما قد اخترت اسم المدينة للبريد إشارة وتبركا باسم مدينة المصطفى ﷺ التي ما برحوا يصدون الناس عنها منذ دانت لهم، فتراهم أقل الناس زيارة للمصطفى ﷺ، وأكثرهم صدا للناس عن ذلك، فتجد أحدهم يحج عشرات المرات ولا يفكر في زيارة المصطفى ﷺ، بحجة أنها «مجرد سنة»[1] هكذا!! وهم من أشد الناس بغضا لمن يمدحه ﷺ ويناصبون العداء كل من دعا لذلك، ويصمونه بالبدعة والشرك وغيرها من التهم المعلبة التي يستهلكونها صباح مساء.

لقد كنت أنا واحدا منهم، وكنت ممن ضللوه في بداية التزامه للشرع، فحالي في ذلك حال الكثرة الكاثرة من شباب هذه الأمة، فعندما يلتزم المرء تعاليم دينه ويلجأ إلى المسجد يجد هؤلاء يتلقفونه يحجبون عنه نور الله تعالى ويبغِّضونه في أمة محمد وعلماء أمة محمد منذ أقدم العصور إلى الآن، ويهولون له بألفاظ مخيفة (بدعة ـ شرك أكبر ـ عبادة القبور ـ دعاء غير الله) فتكون النتيجة أن يتكون هذا النمط من التفكير الذي يجعل الأصل في أمة محمد الشرك والكفر، وأن التوحيد هو الاستثناء، فيشك في كل أحد وحتى في نفسه.

وأحكي لك موقفا جرى لي شخصيا لعله يكون باعثا على الضحك، فقد كنت مع واحد منهم في زيارة لأحد زعماء الوهابية عندنا، فقال ذلك الرجل عند استقباله لنا: «حياكم الله»، وظل صاحبي هذا طوال الجلسة شارد الذهن، إلى أن حان موعد مغادرتنا فبادر الشيخ بالسؤال قائلا: «يا شيخ لقد قلت عند استقبالك لنا حياكم الله، فهل يجوز أن نقول إن الله تعالى يُحَيِّي؟؟؟) فأخذت ذلك الشيخ الحيرة والاضطراب، وأخذ يفكر بصوت عال: «حياكم الله... الله

---

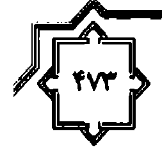
[1] . قولهم ببدعية زيارة قبر المصطفى أمر مضحك؛ فهل كانوا يتوقعون من النبي ﷺ زيارة قبر نفسه حتى تكون سنّة!

يحييكم... الله يحيي... والله يا أخي لا أدري ولكن ابحث فيها وعد إلى بنتيجة بحثك»!!! فهل رأيت هلوسة أكثر من هذه، وجهلا أقبح من هذا؟؟؟، وأبشرك يا أخ عبدالله فقد وجد الأخ بعد البحث أن كلمة حياكم الله جائزة وليس فيها وصف لله بما لا يليق، ألا فبشر من عندكم من الأخوة بأن لا حرج عليهم في هذه الكلمة!!!!

وبالمناسبة نفس هذا الشيخ الوهابي كنت قد سألته في بداية التزامي، عندما كنت مغرورا به عن حكم (الرعاف هل يبطل الوضوء) وكنت من شدة جهلي لا أعرف هذه المسألة،، فأخذ يفكر ويفكر ويفكر حتى ظننت أنني سألته في مسألة من عويصات الفقه المستشكلات، وفي النهاية قال لا أدري!! لا يدري وهو في منصب القضاء ونصب نفسه داعية في قطر إلى التوحيد، لا يعرف نواقض الوضوء، وهو يتكلم في نواقض الإيمان!! ولله في خلقه شؤون.

وقد جرت لي هذه القصة ـ أي القصة الأولى ـ عندما كنت لا أزال على صلة بتلك الجماعة المهلوسة مما جعلني أتبين حقيقتهم رويداً رويداً.

ولقد ابتليت بلدنا بهذه النحلة وأزكمت رائحتها المتتنة الأنوف ولا حول ولا قوة إلا بالله، فتجدهم في كل مكان قد استولوا على المساجد وجعلوها منابر لهم، وهم على هذا الحال منذ وقت ليس بالقصير بل منذ قرابة الخمسين عاما، ويحكي لي أحد مشايخنا الأفاضل أنهم عندما جاءوا إلى قطر على يد (محمد بن مانع) وهو من علماء نجد الوهابيين، كانوا إذا دخلوا على مجلس من مجالس أهل قطر يقولون: «السلام على من اتبع الهدى» كما لو أن أهل قطر كانوا كفارا حتى جاء إليهم الوهابية يعلمونهم التوحيد، وقد أحرقوا كتب المالكية أكثر من مرة في تلك السنين الغابرة، أحرقت بأيديهم وأيدي بعض القطريين الذين شربوا من مناهلهم العكرة، بل لقد ضيقوا على أحد علماء قطر في تلك الفترة وهو الشيخ



(يعقوب بن يوسف) ضيقوا عليه في عيشه ونكدوا حياته لا لشيء إلا لأنه أشعري لا يبيع دينه بدنياهم، إلى أن هاجر المسكين بلده وذهب إلى البحرين[1]، وأولاد هذا الشيخ الجليل ـ في البحرين الآن ـ مازالوا يذكرون كيف كان يتحرق شوقا قبل موته لرؤية بلده، ولكن أنى له ذلك وقد مكن ابن مانع لنحلته الخبيثة في البلاد وحرمه من دخولها وخفتت أصوات مؤيديه، ولا زال من كبار السن ممن عاشوا في بلدة (الوكرة) عندنا يذكرون هذا الشيخ الجليل، الذي تتلمذ على علماء الأزهر والعراق وغيرهم، وتتلمذ على يديه الكثير من أبناء قطر، وله عدد من الكتب ما زالت مخطوطة، وأعرف من يسعى في تحقيقها وطباعتها، لإزالة الوهم الذي نشره الوهابية بأن عقيدة أهل قطر هي عقيدة الحشوية المجسمة.

وعندما تعرفت إلى موقع الساحة ظننت أنها مفتوحة فعلاً، ولكنني فوجئت بأنها لم تسلم منهم هي الأخرى، فملئت بكلامهم الغبي الذي لا تجد للعقل أثرا عليه، شتم وصراخ وزعيق ونهيق، ويظنون إحجام الناس عن الرد عليهم عجزا، وليس ذلك بغريب علي فقد خبرتهم عن قرب وعرفت أساليبهم الغبية في الحوار، التي تعتمد على الاستفزاز، بل يكفي أن ألقي بالحجة وأتركهم يغلون ويحرقون أنفسهم، فقد مررت بمناقشات كثيرة معهم هنا في قطر، ولكنهم لا يعلمون أنني أشعري، وليس ذلك جبناً مني فأنا والحمد لله لا أخشاهم، ولكنها نصيحة أحد أشياخي الكرام، بالإضافة إلى أنهم لجهلهم لا يعرفون العقيدة الأشعرية ولا غيرها، فإذا كانوا لا يعرفون عقيدتهم التي يدَّعون الانتساب إليها

---

١ . العلاقة بين قطر والبحرين وعمان علاقة وطيدة تاريخية، فعندما قبض الوهابية على آل خليفة وسجنوهم في الدرعية وهاجموا المنامة سنة ١٢٢٥هـ، خرج منها أهلها إلى قطر (ابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٤٩ ـ ١٥٠)، ومن هناك نقلوا أكثر نسائهم وأموالهم في السفن إلى عمان مستصرخين لأهلها، فتمت بحمد الله تصفية الوهابية منها.

فأنى لهم معرفة عقائد غيرهم؟ فربما أقروا على مسألة هي من صميم العقيدة الأشعرية وعلى نقيض عقائد الحشوية فيسلمون بها، عندها عرفت مغزى نصيحة ذلك الشيخ لي..)

هذا وقد اقترحنا على الأخ الكريم هذا حفظه الله تدوين ذكرياته معهم عسى أن تجتمع يوماً ما تحت عنوان (كنت حشوياً) حتى يُبَصَّر الناس بهؤلاء الرعاع خوارج العصر فيحذروا شرَّهم:

عرفت الشرَّ لا للشَّرِ لكن لتوقِّيهِ ومن لا يعرف الشرَّ من الناس يقع فيهِ

رسالة إلى مدير الجامعة

إن الفرار من الفراغ الوهابي مستمر، لأن فكرة السلفية يجتمع فيها أمران خطيران ما اجتمعا في شيء إلا أتيا عليه أولهما الخواء الروحي وكفاهم خواء أن زعيمهم الكبير ابن عبدالوهاب كان يسمي الرسول الكريم ﷺ (طارش)، وثانيهما الخواء الفكري الذي حرمهم حتى من قراءة كتب أغلب أعلام الأمة الإسلامية لأنها لا توافق دعواهم السلفية كما يزعمون، وفي هذا المقال أذكر مقتطفات من رسالة كتبها أحد الفارين من فتنة الوهابية واسمه (وائل المسعري) موجهة للدكتور بكر بن عبدالله بن بكر فيها عبرة لكل مخدوع بدعوى السلفية، يقول في رسالته[١]:

«لقد نشأت في أسرة نجدية، حنبلية المذهب سلفية المعتقد، ولكني لم أقنع بالتقليد ومجرد الوراثة للفكر، وإنما حرصت على أن يكون تفكيري أممياً واسعاً، وليس ضيقاً، وإني لأحث الشباب في هذا المقام على محاولة التحرر من الجبرية التاريخية والتقليد الوراثي، وأن يبحثوا بعقل متفتح عن الحقائق أينما وجدت،

---

١ . ونشرت بأحد مواقع الحوار على الشبكة العالمية.



لأن هذه هي وصية الرسول الأعظم ﷺ بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها»[1].

ويقول عن ابن تيمية:

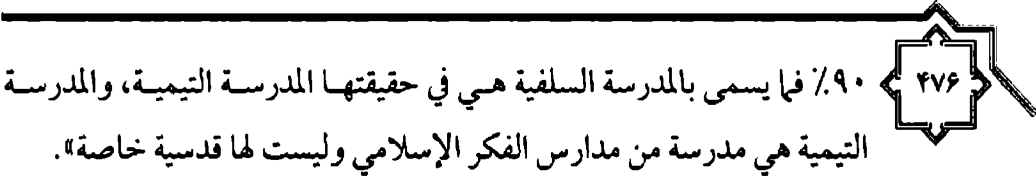
«مشيخة الإسلام لا تقتصر عليه، وهناك كثيرون غيره يستحقون لقب شيخ الإسلام، فهو ليس لقباً منزلاً من السماء ومفصلاً لهذا العالم بالذات، **وثم عامة الشباب الآن يعتقدون فيه عملياً العصمة، وإن لم ينطقوا بذلك**، والحق أنه عالم من العلماء يخطئ ويصيب، فما كان حقاً من كلامه أخذناه، وما كان خاطئاً رددناه ولا عتب، فالمقياس النهائي لجميع الأفكار هو الكتاب والسنة لا غير، وليس هنالك سلطة مقدسة على العقول غير هذين المصدرين، وقد اختلفتُ مع الشيخ ابن تيمية في عدة مسائل هي عندي وسوف تبيض وتخرج للناس قريباً إن شاء الله بالإضافة إلى أنه قد وجد الكثير من الاضطراب والتناقض في مجموع الرسائل والمسائل (وعل السبب هو أنها كتبت في أزمنة متباعدة) وسيبين ذلك الأخ الدكتور محمد عبدالله المسعري حفظه الله.

ويقول مفنداً للناس حقيقة السلفية بعد أن بان له عوارها بالممارسة:

«وحقيقة أخرى لا يلاحظها كثير من الناس وهي أن ما يسمى بالعقيدة السلفية والتراث السلفي هي عبارة عن أفكار الشيخ ابن تيمية واجتهاداته بنسبة

---

١ . أقول: لا شكَّ أن الكثير من الشباب في البلاد التي يسيطر عليها الوهابية قد بدأ يبحث عن الحقيقة؛ ومما بلغنا أن محاضرات سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي بلغ سعرها في السعودية ألف ريال للشريط الواحد، وقد فُصل بعضهم من الدراسة الجامعية لأن الأساتذة وجدوا في مكتبته شريطاً لسماحة الشيخ فتأمل للانفتاح والتسامح! في المقابل تعال معنا لترى كتب ابن باز وأشرطة وأضرابه في مكتباتنا العامة والخاصة لا نصادرها ولا نمزقها؛ لأن الفكر ببساطة لا يحارب بالإحراق والمنع، بل بالوعي والحجة والبرهان، ولكنه أسلوب المفلسين وكل إناءٍ بما فيه ينضح!!



٩٠٪ فما يسمى بالمدرسة السلفية هي في حقيقتها المدرسة التيمية، والمدرسة التيمية هي مدرسة من مدارس الفكر الإسلامي وليست لها قدسية خاصة».

ويقول في ختام رسالته واصفاً نتاج التحكم الوهابي في بلاده:

«لقد ارتقى العلم كثيراً في مجتمعنا، ومع ذلك فما زالت الحالة الفكرية راكدة ومتكلسة، ولاتوجد قنوات للتفاهم والنقاش بين الاتجاهات المختلفة، وتوجد قطيعة مزرية بين الشيعة والسنة، وهذا الوضع لا يرضى عنه الله ولا رسوله».

ويصف الشباب الذين تحكمت فيهم فكرة السلفية بقوله:

«إن هؤلاء الشباب الذين تناقشت معهم وأمثالهم لايعرفون ماذا يريدون بالضبط، وليس لديهم تمييز بين الأهداف والطريقة والفكرة والأسلوب، ولاتحديد لكل واحدة على حدة، والسبب في ذلك كله هو فقدان الأفكار وطريقة التفكير المنتجة في الحياة، فيظلون يدورون في حلقة مفرغة بدون نهاية ولا هدف محقق».

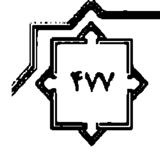
هؤلاء هم الوهابية وهذه صنيعة أيديهم؛ جيل تائه ضحل التفكير بشهادة رجل نشأ بين أعطافهم، فما بال هؤلاء الغافلين الذين يحاولون استيراد هذا الفكر العقيم، ألا هل من مدَّكر؟!

النصيحة الذهبية

نصيحة الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي الشافعي (ت٧٤٨هـ) لابن تيمية[1]:

---

١ . وتعرف أيضاً بـ(القبَّان) والأصل محفوظ بدار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ برقم (١٨٨٢٣ ب) بخط الفقيه المفسِّر المؤرخ أبي بكر ابن أحمد بن محمد الأسدي الدمشقي الشافعي؛ المعروف بابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ) صاحب (طبقات فقهاء الشافعية) و (تفسير القرآن الكريم) و (الذيل ←



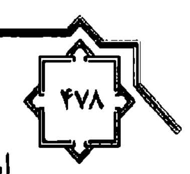
(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله على ذلتي، يا رب ارحمني وأقلني عثرتي، واحفظ عليَّ إيماني. واحزناه على قلّة حزني، وأسفاه على السنَّة وذهاب أهلها، واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء، واحزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات، آهٍ على وجود درهم حلال وأخ مؤنس.

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتبّاً لمن شُغله عيوب الناس عن عيبه، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك، وتذم العلماء وتتبع عورات الناس؛ مع علمك بنهي الرسول ﷺ: **«لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»**[1]، بلى أعرفُ إنك تقول لي لتنصُرَ نفسك: إنما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شمُّوا رائحة الإسلام، ولا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ وهو جهاد، بلى والله عرفوا خيراً مما إذا عمل به العبد فقد فاز، وجهلوا شيئاً كثيراً مما لا يعنيهم و: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[2]

على تاريخ الإسلام للذهبي) وغيرها، وقد نقل النصيحة عن خط قاضي القضاة برهان الدين المعروف بابن جماعة (ت٧٩٠هـ) عن خط الحافظ الفقيه الأصولي أبي سعيد العلائي الدمشقي (ت٧٦١هـ) الذي له من المصنفات ما يزيد على الثلاثين في الحديث وغيره، والذي نسخها عن خط الإمام الذهبي نفسه، وهناك نسخة أخرى من هذه الرسالة محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم (١٣٤٧)، وقد أوردها أيضاً الحافظ السخاوي في كتابه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) واعترف بالعداء بين ابن تيمية والذهبي مقدِّم (سير أعلام النبلاء) بشار عواد في السير ص (٣٨) واعترف بالعداء الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على السير أيضاً ص (٤٨٤ ـ ٤٨٥).

١ . أخرجه البخاري والنسائي.

٢ . أخرجه الترمذي.



يا رجل بالله عليك كفَّ عنَّا فإنك مِجاجٌ عليم اللسان لا تقرّ ولا تنام، إياكم والأغلوطات في الدين، كرِه نبيك محمد ﷺ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**»[١]، وكثرة الكلام بغير دليل تقسي القلب إذا كان في الحلال والحرام فكيف إذا كان في العبارات اليونسية والفلاسفة وتلك الكفريات التي تعمي القلوب؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود، فإلى كم تنبِّش الكفريات الفلسفية لنردَّ عليها بعقولنا، يا رجل قد بلعتَ سموم الفلاسفة ومصنفاتهم مرَّات، وبكثرة استعمال السموم يُدمن عليها الجسم وتكمن والله في البدن، واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر، وخشية بتذكر، وصمت بتفكر، واهاً لمجلس يُذكرُ فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، لا عند ذكر الصالحين يُذكرون بالازدراء واللعنة!

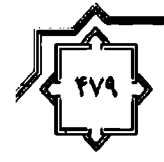
كان سيف الحجّاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخَيتَهما، بالله خلُّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب، وجدُّوا في ذكر بدع كنّا نعدّها رأساً في الضلال قد صارت هي محض السنّة وأساس التوحيد، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار، ومن لم يكفِّر فهو أكفر من فرعون، وتعد النصارى مثلنا، والله في القلوب شكوك إن سَلِمَ إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد.

يا خيبة من اتَّبعك فإنَّه معرَّضٌ للزندقة والانحلال، ولا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليَّاً شهوانياً لكنه ينفعك ويدافع عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه، فهل معظم أتباعك إلا قعيدٌ مربوط خفيف العقل، أو عاميٌّ كذَّابٌ بليد الذهن، أو غريب واجم قوي المكر، أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدِّقني ففتشهم وزنهم بالعدل[٢].

---

١ . أخرجه أحمد.

٢ . لعمري إن هذه أصناف أتباع ابن تيمية حتى اليوم، فما أدق وأبلغ وأشمل وصف الإمام الذهبي!



يا مسلم قدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار؟ إلى كم تصدِّقها وتزدري بالأبرار؟ إلى كم تعظِّمها وتصغِّر العباد؟ إلى متى تخاللها وتمقت الزُّهاد؟ إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح بها والله أحاديث الصحيحين؟ يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل في كل وقت تُغيرُ عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار[١].

أما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب؟ أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل؟ بلى والله ما أذكر أنك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت[٢]، فما أظنك تُقبل على قولي ولا تصغي إلى وعظي، بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلَّدات وتقطع لي أذناب الكلام، ولا تزال تنتصر حتى أقول لكَ: والبتة سكتت.

فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحبُّ الواد، فكيف يكون حالك عند أعدائك، وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء، كما أن أوليائك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر!!

قد رضيتُ منك بأن تسبني علانية، وتنتفع بمقالتي سرّا: (رحم الله امرءًا أهدى إليَّ عيوبي) فإني كثير العيوب غزير الذنوب، الويل لي إن أنا لا أتوب، ووافضيحتي من علام الغيوب، ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين). اهـ.

هذا وقد تأثر الذهبي كثيراً لمآل أستاذه ابن تيمية، وعدم رجوعه إلى الحق بعد إبانته له، وخشي أن تتكرر هذه المأساة في طلبة العلم، فكتب كتابه (بيان

---

١ . فلقد ردَّ ابن تيمية الكثير من أحاديث الصحيحين بحق أحياناً وبباطل أحياناً أخرى.

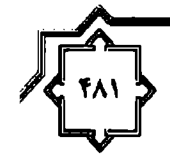
٢ . ويقول الذهبي هذا عن خبرة بالشيخ فقد كان أحد طلابه.

زغل العلم والطلب) المطبوع بتحقيق المحدث الكوثري[١]، ناصحاً لطالب العلم في صفحة ٢٣ ما نصّه: (فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة وآراء الأوائل ومجارات العقول واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة وأصول السلف ولفَّقت بين العقل والنقل فما أظنك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقاربها، وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وبباطل، فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة منّوراً مضيئاً على محياه سيما السلف ثم صار: مظلماً كسوفاً..)!!

هكذا أخي القارئ يأخذ الحافظ الذهبي العبرة من ابن تيمية ويلقنها لطلبة العلم خوفاً من تكرار المأساة، فهل من مدَّكر؟!

---

١ . الذي لا غرو أن يحاربه الحشوية ويكذبون عليه بعد أن أبان مخازيهم.



الفصل الثامن: الولاء الوهابي لمن؟!

الفرقة الوهابية معادية لكل مذهب إسلامي، ولا ترى مذهباً جديراً بالبقاء إلا أتباع الفرقة الوهابية، فليس لمسلم برقابهم ولاء، ترى ذلك في حروبهم للمسلمين، وتهجمهم على علماء الأمة تكفيراً وتفسيقا، بينما ولاؤهم مخلص لليهود والنصارى؛ فهم رحماء بالكفار أشداء على المؤمنين حيث:

- يقتلون أهل الإسلام
- ويتركون قتال أهل الأوثان
- ويسيئون الأعمال

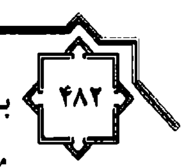
وهذا ما ستراه في هذا الفصل أضحى من الشمس في رابعة النهار.

شهادة من الداخل

حصدت سيوف الوهابية المسلمين بالأمس، وهاهي ألسنتهم تحصد العلماء اليوم تمهيداً لاستباحة دمائهم غداً، ولنترك المجال للشيخ خالد بن حامد العسقلاني في كتابه (الردود السلفية على دعاة السلفية)[1] للحديث عن عدائهم لكل ما هو إسلامي، حيث يقول ص ٦٦، ج١، متهكماً بهم: (ولا بد أن نشيد

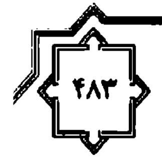
---

١ . هذا الكتاب منتشر في الخليج العربي بدون ذكر اسم دار النشر لأسباب نعلمها، يرد فيه على أشرطة الوهابيين وكتابين من كتبهم المغرضة وهي (فقه الواقع بين النظرية والتطبيق) و (رؤية واقعية في المناهج الدعوية).



بموقف إخواننا السلفيين العظيم تجاه إخواننا في الجزائر فإن لهم موقفاً لا يحسدون عليه فلم يعجبهم من جهاد الإسلاميين في الجزائر في سبيل نشر دين الله وإعلاء كلمته ولم يلفت انتباههم سوى الأخطاء[1]!! فيقولون: المظاهرات حرام ودخول البلديات باطل وفقط! أما أن ينصروهم بالوقوف إلى جانبهم والدفاع عن سمعتهم فلا، ويا ليتها توقفت عند هذا بل اتهموهم بتهم لم نسمعها من أعدائهم، ومن ذلك الترويج بأن الشيخ عباسي مدني (رئيس جبهة الإنقاذ) ما هو إلا (مرتزق)!!! يأخذ الرشاوي ويقبض الأموال من جهات متعددة، ويخبرني أحد الثقات أنه كان باستضافة جمع من الشباب السلفي في إحدى البيوت فجاءت سيرة الجزائر، وإمكان تسلم الإسلاميين فيها السلطة فأخذوا يتناقشون أيهما أفضل للإسلام والمسلمين إذا وصل (الإخوان) إلى السلطة أفضل أم إذا بقيت في يد الحكومة الحالية!!! سبحان الله لا قوة إلا بالله!!؟ فأقول لهؤلاء أنتم والله بدعوتكم وجماعتكم وأنشطتكم ومراكزكم وجمعياتكم لم تثيروا انتباه (رجل شرطة واحد) أتتحدثون هكذا عن الإسلاميين في الجزائر والذين تابع العالم كله أخبارهم باهتمام وتآمر ضدهم!!! **فوالله لا يدل هذا إلا على زبالات من الأخوة الحزبية الضيقة المقوتة**، ويهلك الحب في الله، ويحصد الأخوة الصادقة!! فهل بمثل هذا يرجع المجد؟! وهل بمثل هذا تكون الدعوة؟! وهل بمثل هذا ترشد الصحوة؟!!! ثم نقول لإخواننا السلفيين أنتم مختلفون في

١ . مع ما في المذابح الجزائرية من غموض؛ ولكن تبقى الحقيقة المرة أن بعض الذين يذبحون المسلمين اليوم في الجزائر يعترفون أنهم من أهل السلف أي الوهابية؛ حيث يقول أحد قيادييهم (الجبهة الإسلامية المسلحة سلفية عقيدة ومنهجاً وسلوكاً وموقفها من الشيعة معروف، وهو الحكم عليهم بالردة والخروج عن شرائع الإسلام)جريدة الحياة اللندنية، ٤/ ٩/ ١٩٩٤، ص ٤ وهذا الكلام يحمل حمّى التطرف المقيتة التي تنخر في الجسد الإسلامي المتهالك.



سلفيتكم هذه ولم تستقروا بها على قرار، فبينما قسم منكم يحرم (الجماعة) ويعد ذلك خروجاً على منهج السلف، نجد قسماً آخر يقول بأن (الجماعة) أمر لا بد منه في الدعوة السلفية ويوجبها! وبينما فئة منهم تحرم دخول المجالس والبرلمانات ترى فئة أخرى إباحتها، وتعد هذا من فقه الدعوة، ثم ترى جماعة منهم تقول إن الوجود الإمريكي مؤامرة، وفئة أخرى ترى أن الوجود الامريكي تسخير من رب العالمين!!؟ والحقيقة لقد ذبحتم السلفية من غير سكين باختلافاتكم هذه **ويبدو أنكم اتفقتم على أن لا تتفقوا!**) ويقول ص٦٨: (أما تعدي الكثير من المتسبين (للسلفي)! على الدعاة والعلماء فحدِّث ولا حرج، فبالإضافة لتعديهم (المباح شرعاً) على قيادات الجماعات الإسلامية!!؟ فإنهم ينتقصون أيضاً من كبار العلماء!!)

ألا يحق للناس بعد هذا أن تستنتج منطقياً بأن هذا الوقوف في وجه كل ما هو إسلامي غير وهابي من قبل هؤلاء ما هو إلا أمر مدبر، يقف في واجهته هؤلاء الذين يدَّعون حماية العقيدة وهم حملة معاول هدمها؟!

الوهابية والحركات الإسلامية

يعادي الوهابية كل الفرق الإسلامية علناً، فتراهم يتحاملون على أئمة المذاهب الأربعة فيكفِّرون كبار علمائهم وناهيك بتكفيرهم العلامة الكوثري الحنفي والعلامة السبكي الشافعي والعلامة ابن الجوزي الحنبلي وتطاولهم على رموز التجديد الإسلامي من أهل السنة كتطاولهم على العلامة محمد عبده والإمام المرشد حسن البنا وشهيد الإسلام سيد قطب، وذلك سيراً على منهاج ابن القيم في تكفير أهل المذاهب الأربعة حين قال في نونيته الشهيرة: إنَّ المُعطِّل

بالعداوة معلنٌ[١]. وما مراده بالتعطيل إلا ردهم للمتشابه من الآي والأحاديث إلى محكمها حرصاً على التنزيه، وحملاً لكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله على ما تقتضيه أساليب البلاغة عند العرب، ودفعاً لما قد يتوهم من التناقض والاختلاف.

ويعادي الوهابية اليوم الحركات الإسلامية قاطبة، يقول الشيخ الدكتور صالح ابن فوزان الفوزان متحدثاً عن أعداء الوهابية: (ومن آخر ذلك ما نعايشه الآن من وفود أفكار غريبة مشبوهة إلى بلادنا باسم الدعوة على أيدي جماعات تتسمى بأسماء مختلفة مثل: جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ، وجماعة كذا وكذا.. وهدفها واحد أن تزيح دعوة التوحيد وتحل محلها، وفي الواقع أن مقصود هذه الجماعات لا يختلف عن مقصود من سبقهم من أعداء هذه الدعوة المباركة، كلهم يريدون القضاء عليها ـ لكن الاختلاف اختلاف خطط فقط ـ وإلا لو كانت هذه الجماعات حقاً تريد الدعوة إلى الله فلماذا تتعدى بلادها التي وفدت منها وهي أحوج ما تكون إلى الدعوة والإصلاح[٢]؛ تتعداها وتغزو بلاد التوحيد تريد تغيير مسارها الإصلاحي الصحيح إلى مسار معوج وتريد التغرير بشبابها

---

١ . من قصيدته المسماة (الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية) وهي القصيدة النونية في العقيدة التي أقر فيها رأي أستاذه ابن تيمية بإنكار المجاز، وقد ردَّ عليها العلامة السبكي الشافعي في السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ص ١٨٢ وقال بعدما أورد البيت (ما لمن يعتقد في المسلمين هذا إلا السيف)، وهذا خط الحشوية المشهور، فأحد مشائخهم وهو الحسن بن العباس الرستمي ـ الذي قال عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ج٢٠ ص٤٣٥: (وكان من الشداد في السُّنة) أي في التشبيه والتجسيم، قال في الأشاعرة: ـ

الأشعرية ضُلالٌ زنادقةٌ	إخوان من عبدالعزى مع اللات
بربِّهم كفروا جهراً وقولهم	إذا تدبرته أسوا المقالات
ينفون ما أثبتوا عوداً لبدئهم	عقائد القوم من أوهى المحالات

٢ . هلا لنفسك كان ذا التعليم!



وإيقاع الفتنة والعداوة بينهم.. لأنهم رأوا ما تعيشه بلادنا من الوحدة والتلاحم بين قادتها ورعيتها، وبين أفرادها وجماعتها، رأوا في بلادنا دولة إسلامية في عقيدتها ومنهجها، تحكم بالشريعة، وتقيم الحدود، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر..)[١] فالوهابية يرون أن ما هم اليوم عليه هو الخلافة الراشدة، أما الإخوان فهم أصحاب فهم خاطيء وغلو متشدد[٢]، وخصوصاً فكر الإمام البنا مما قاد الإخوان إلى الانحراف في التصور[٣]! وكذلك حال باقي الحركات الإسلامية.

هذا ولقد حاولت الحركة الوهابية استخدام أسلوب جديد للالتفاف على الحركات الإسلامية كمحاولتهم احتواء الحركة العالمية للإخوان المسلمين لما تشكله من خطر على الاستكبار العالمي، واستخدم الوهابية عدة أساليب في احتوائها؛ منها أنهم آووا عدداً من أقطاب الدعوة مستغلين بذلك موقف جمال عبدالناصر تجاه الإخوان المسلمين في الستينيات، وعبثاً حاولوا آنذاك أن يطوعوا أولئك الأقطاب كالشيخ محمد قطب والشيخ محمد الغزالي، وعندما لم يجدوا منهم ما يودون[٤] بدأوا يشنون عليهم الحملات المغرضة، حيث انتشرت الكتب

---

١ . سعد بن عبدالرحمن الحصين، حقيقة الدعوة إلى الله تعالى. وما اختصت به جزيرة العرب وتقويم مناهج الدعوات الوافدة إليها.

٢ . رمتني بدائها وانسلّت!

٣ . سليم الهلالي، مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم، فصل (الإخوان المسلمون جماعة المسلمين). ص ١٣٨

٤ . ألقى الأستاذ محمد قطب في شهر سبتمبر ١٩٩٧م محاضرة بفندق (شيراتون الدوحة) بدولة قطر، بعنوان (القرآن طريقنا إلى البعث الحضاري) هاجم فيها تلك الدعوة التي يروج لها الوهابية بين أوساط المسلمين هذه الأيام، حيث تفتح لهم أبواب المنكرات، على أنهم سيعذبون في نار جهنم قليلاً ثمّ يخرجون إلى جنات النعيم، وأشار إلى أنها دعوة حكم عليها القرآن بأنها يهودية وحذّر المسلمين منها، وسماها بدعوة الإرجاء، وهذا مناقض تماماً للتوجه الوهابي الذي يدّعي السلفية!



المليئة بالطعن والشتم والتسفيه لرموز حركة الإخوان، ككتاب (الإخوان المسلمون في الميزان) الذي تناول قادة الفكر الإسلامي كسيد قطب والغزالي وأبي الأعلى المودودي بالسب، حتى أنه لم يسلم منهم حتى حسن البنا لأنه كان ينادي بالتقريب بين المذاهب الإسلامية[١]!!

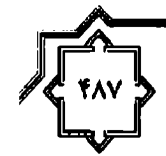
كما حاول الوهابية تطويق جهود المسلمين وبث الفرقة بينهم من خلال إنشاء المراكز الإسلامية في عدد من مدن العالم، ودعم المنظمات الإسلامية مالياً للدعاية أولا، ومن ثمَّ لغرض الهيمنة على تلك المنظمات بتمويلها وتحويلها إلى مراكز للدعاية الوهابية، ولتسويق فكرها في العالم، ومحاولة توجيهها الوجهة التي ترضي مخططيها، وبذلك فإن الوهابية امتطت الحركة العالمية للدعوة مستغلة ضعفها المادي، وحاجتها إلى الدعم.

المؤسف أن المراكز التي أنشأها الوهابية أو التي استولوا عليها قد أصبحت بالفعل عاملاً في فرقة المسلمين، حيث تهتم منشوراتهم وخطبهم بإذكاء نار الفُرقة الإسلامية، وهكذا كانت وما تزال سبباً في خلق الفتن والخلافات المذهبية.

وهذا الموضوع على العموم جدير بالدراسة المتعمقة والدراسات الجامعية العليا ما توافر مناخ الحرية الفكرية.

---

١ . يراجع مثلاً سليم الهلالي، مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم، شركة المطابع النموذجية.



دور الوهابية في ترسيخ الوجود الصهيوني في فلسطين[1]

تمهيد:

الوهابية وليدة مخطط نصراني إنجليزي محكم للقضاء على روح الإسلام، وتعمية عيون المسلمين بالزخارف والمظاهر لا غير، وقد كانت للوهابية أدوار بارزة في خيانة الإسلام وتشويه صورته، وسنركز في هذا المقال على القضية الفلسطينية وخدمة الوهابية لمصالح بريطانيا ومن ورائها الصهيونية وسندعم ذلك بأفعال الوهابية وأقوالهم، ونشرك القادة مع العلماء للترابط الوثيق بين القيادة والعلماء منذ ساعة نشأة هذه الحركة الخبيثة حيث لا انفصال بينهما في التوجُّه.

الوهابية عصا النصارى:

بعد ضرب حكم الشريف حسين وابنه علي بتحريض من الإنكليز لمعارضتهم منح فلسطين لليهود، أكدت الحركة الوهابية موقفها المنطبق مع الموقف الإنكليزي وذلك في المؤتمر الذي انعقد عام ١٩٢٦ «للنظر في أسلوب حكم الحجاز »؛ فعندما طرحت بعض الوفود الإسلامية اقتراحا يدعو إلى تطهير البلاد العربية من الحكم الأجنبي على أساس أن يشمل ذلك فلسطين وسوريا والعراق وسواحل الجزيرة العربية، احتج الوهابية على المشروع وأصروا على حذفه من جدول الأعمال.

---

١ . يراجع د. محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، ط دار المعراج للطباعة والنشر، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٨، وقد ذكر مصادره، مع ذكر أسماء الشخصيات صريحة. وكذلك يراجع د. زهير الغزاوي، المؤسسات الدينية الإسلامية والكيان الصهيوني (نظرة إلى فتوى ابن باز بجواز الصلح) ص ٢٠٥ ومابعدها، ط الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ١٤١٦هـ.

مساهمة الوهابية في سقوط الدولة العثمانية وأثر ذلك على سقوط فلسطين:

دور الوهابية مخلص في هذا السبيل، وكانوا لا يألون جهداً في عون النصارى على ذلك، فقد ساهموا في ذلك بأسلوبين الأول: المساهمة الفاعلة في تفكيك الدولة العثمانية، والأسلوب الثاني: المساهمة في اختراق النصارى واليهود ديار الإسلام، وإليك على ذلك الأمثلة:

المساهمة الفاعلة في تفكيك الدولة العثمانية: قاتل الوهابية الدولة العثمانية ومن يواليها قتالاً لا هوادة فيه، ويكفي أن نعلم بأن الوهابية قد قتلوا في موقعة واحدة ألفين وأربعمائة جندي مسلم من جنود الدولة العثمانية في وقعة واحدة، هم بين مصري ومغربي وقرشي وفي مقدمتهم الشريف مسعود بن يحيى بن بركات[١]!

المساهمة في اختراق ديار الإسلام: لقد نسّق الإنجليز مع الوهابية لمشاغلة آل رشيد عن نجدة المسلمين في البصرة ساعة هجوم الإنجليز عليها، وقد اعترفت بريطانيا رسمياً بهذا الجهد الوهابي[٢]، وقتالهم للأشراف في الحجاز، مما سبب اختراقاً استعمارياً في بلاد الإسلام، وهذا مطمح من مطامح الصهاينة فسقوط من يرفض تهويد فلسطين يعني التسلل إليها بعد ذلك بسهولة، واقرأ مذكرات حاييم وايزمان حين يقول (لن نستطيع اختراق العالم العربي للوصول إلى فلسطين ما دام طوق الخلافة العثمانية باقيا، لذلك تعاونا مع بريطانيا لاختراق هذا الطوق) وقد اخترق الطوق، وساهم الوهابية في ذلك وبإخلاص[٣].

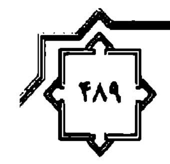
---

١ . ابن بشر، عنوان المجد، ١/ ١١٣

٢ . الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، ص ٢٢٦. يراجع مقالنا (الوهابية صنيعة اليهود والنصارى).

٣ . من المعلوم أن الوهابية حاربوا الدولة العثمانية على كل صعيد وجدوا إليه سبيلاً، فيكثر في عنوان المجد ذكر قتل الأتراك بما لا يتسع له هنا مجال (مثلاً راجع ج٢، ص ٧ ـ ٨) وقد كتب زعيم

←



تخدير المسلمين خدمة للنصارى واليهود:

عندما قامت الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ ضد بريطانيا التي كانت تمهد لتسليم فلسطين إلى اليهود الصهاينة، تدخل الوهابية خدمة للإنجليز لتخدير الأحرار، وتعهدوا للثوار بأن بريطانيا سوف تستجيب لمطالبهم إذا أوقفوا الثورة وذلك في (النداء) الذي وجهوه إليهم وجاء فيه:

«إلى أبنائنا عرب فلسطين لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين، فنحن بالاتفاق مع ملوك العرب والأمير عبدالله ندعوكم للإخلاد إلى السكينة وإيقاف الإضراب حقنا للدماء معتمدين على الله وحسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم».

ولقد أدى ذلك النداء الذي أشرك الاعتماد على الله بالاعتماد على النصارى! إلى شقِّ الصف الفلسطيني بين رفض وموافقة فانتصر موقف الموافقين.

ولم يكتف الوهابية «بالنداء» بل قدموا إلى فلسطين برأسهم سراً جون فيلبي، وعلانية أحد أمراء نجد، واجتمعوا بالقادة الفلسطينيين في القدس حيث خاطبهم ممثل الوهابية النجدي بقوله: «... بناء على ما عرفته من صدق نوايا بريطانيا أستطيع أن أقسم لكم بالله أن بريطانيا صادقة فيها وعدتنا به وأن بريطانيا تعهدت لوالدي أنها عازمة على حل القضية الفلسطينية» ولكن تأكيدات المبعوث الوهابي لقتل الجهاد، لم تقنع على ما يبدو، المتنورين من الفلسطينيين إذ

الوهابية إلى الشريف عبدالله بن الحسين في ١٤/ ١٠/ ١٩١٦ يقول (إن كل إنسان فيه حمية ودين وعربية إنه يجتهد في جهاد الأتراك وحلفائهم، لأن اليوم والله ما أخبر عدو للإسلام والعرب غيرهم) ولم ير في الإنجليز عدواً للإسلام. يراجع ناصر الفرج، قيام العرش السعودي، ص ٤٦ ـ ٤٧، المضحك اليوم أن أفراخ الوهابية يزعمون أنهم لم يخرجوا على الدولة العثمانية!

أجابه الشاعر عبدالرحيم محمود معبرا عن ريبة الجناح الرافض لوقف الإضراب، فقال:

المسجد الأقصى أجئتَ تزوره — أم جئتَ من قبل الضياع تودِّعه

حرمٌ تباع لكل أوكعَ آبقٍ — ولكل أفّاقٍ شريدٍ أربعه

وغداً وما أدناه لا يبقى سوى — دمع لنا يهمي وسنٍ نقرعه

خيبة ظن الفلسطينيين بهم قديمة:

عندما توجه فيما بعد، وفد فلسطيني لإطلاع القيادة الوهابية على مصير القضية الفلسطينية وكان أعضاؤه يحملون منشورات لإطلاع الشعب هناك على هذا المصير لم يسمح لهم بتوزيع تلك المنشورات بل أمر بجمعها لإحراقها.

بيع الوهابية لفلسطين:

لقد تآمر الوهابية على بيع فلسطين لليهود منذ أمد بعيد، وذلك في مؤتمر العقير سنة ١٣٤١هـ بمنطقة الإحساء، بين القيادة الوهابية والخارجية البريطانية في وثيقة رسمية تقول بقلم زعيم الوهابية (.. **أقر وأعترف ألف مرة للسير برسي كوكس مندوب بريطانيا العظمى لا مانع عندي من إعطاء فلسطين لليهود أو غيرهم كما تراه بريطانيا التي لا أخرج عن رأيها حتى تصيح الساعة**)[١] والرسالة

---

١ . كان الرأس المدبر لتوقيع الوثيقة هو الشيخ عبدالله فيلبي، وتمَّ ذلك بعد أن قطعت المخابرات البريطانية النفقة عن الزعيم الوهابي (٥٠٠ جنيه استرليني) وقد أثبت فيلبي ذلك في كتابه، وهدد بنشره من قبل في بيروت عام ١٩٥٢ إذا واجه معارضة لدخول وطنه نجد. بل إن آرثر لوري سفير إسرائيل في لندن قال في صحيفة التايمز مدافعا عن (حاييم وايزمن) بأن الذي قدم الرشوة للوهابية ومقدارها (٢٠) مليون دولار لتوقيع الاتفاقية ـ بعد أن أعلنت ذلك وثائق الخارجية الأمريكية ـ هو الكولونيل جون فيلبي، وأشار السفير بأنه يعلم ذلك من وايزمن شخصياً ومن مؤلفاته.



عليها خاتم الملك عبدالعزيز، كما وصل سمحا إيرلخ مندوب بن غوريون إلى الظهران في ١٣/ ٩/ ١٩٤٥ ومنها إلى الرياض لتوثيق العهود الموقعة مع بريطانيا واستقبله والوفد المرافق له الأمير فيصل ليوصلهم إلى والده عبدالعزيز، كما توجه وفد الوهابية إلى لندن لحضور مؤتمر لبحث موضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكان الممثل الحقيقي لهم شيخهم جون فيلبي[1] وحوله بعض الدُّمى الوهابية، فاقترح شيخهم فيلبي في المؤتمر «**إعطاء فلسطين لليهود**» مقابل استقلال البلاد العربية كلها[2].

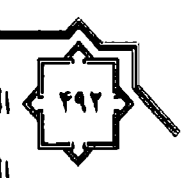
التثبيط:

بعد الحرب العالمية الثانية وعندما أخذت تتردد وجهات نظر عربية تطالب الجامعة باتخاذ موقف ضد تأييد أمريكا لليهود، أرسلت القيادة الوهابية بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٤٥ برقية إلى ممثلهم في الجامعة جاء فيها: «... أنا أسمع دندنة عند العرب قصدهم اجتماع هيئة الجامعة لأجل تبحث مسألة فلسطين فأنا هذا ما هو من رأيي ولا منه فائدة، لأنه إيش يبحث في المؤتمر؟ هل يعقد صلح أو يعلن حرب؟» ثم يقترح «أن ينتخبوا شخص يروح للندن وشخص يروح لأمريكا، ويكون أحد هذين الشخصين عبدالرحمن عزام ويكتب معه النقراشي كتبا للخارجية هناك ويقول فيه أنه بالنيابة عن مصر والبلاد العربية ويذكر الأمر

---

١ . كان فيلبي لا يتنازل مطلقاً عن حقيبة الخارجية لتمثيل الوهابية؛ بينما كان يدرب فيصل بن عبدالعزيز منذ أن كان عمره ١٢ عاماً ليصبح فيها بعد أول وزير خارجية بعد فيلبي، وكان عمره خلال هذه المفاوضات ١٤ عاما ومستشاره الداهية فيلبي!

٢ . يراجع فيلبي، ٤٠ عاماً في جزيرة العرب. خيري حماد، أعمدة الاستعمار. ناصر السعيد، تاريخ آل سعود. أبو العلى التقوي، الفرقة الوهابية في خدمة من؟ ولتفاصيل أخرى يراجع ناصر الفرج، قيام العرش السعودي، ص ٤٦.



اللائق والمناسب في الموضوع» وقبل سفر عبدالرحمن عزام وافقت القيادة الوهابية على إقامة مكتب صحافي تابع للجامعة العربية ولكنها أوصت أن لا يسيء المكتب لأمريكا وبريطانيا، بل يعمل على مدحهم واستعطافهم، «ولكن نرجوهم (الصحفيين) أن يتخذوا قاعدة يمشون عليها وهي قاعدة الاعتدال، ويكون لا يتحاملون على الإنكليز ولا على الأميركان، ولكن يشوفون الحجج القائمة ويعدونها لهم.. ويمدحونهم بأنهم أهل عدالة وإنصاف فستكون النتيجة أحسن إن شاء الله»[1].

---

١ . كتب شهيد الإسلام سيد قطب على إثر ذلك في مجلة «الرسالة» عام ١٩٤٦ م مقالاً بعنوان (**الكلمة اليوم للعرب فماذا هم صانعون؟**) قال فيه: (ومصيبتنا الكبرى أن فينا من «العقلاء» أكثر مما ينبغي، وهؤلاء «العقلاء» هم الذين يشيرون علينا دائماً أن نتريث و «نتعقل» ونسلك الطرق «السلمية» حتى لا نخسر عطف العالم المتمدن، أي العالم الأوربي والغربي على العموم! فماذا جنينا اليوم من الانتظار بعد الانتظار؟) وقال بعد أن وصف تخذيل البعض لنا (ثم جاء دور اليهود الإرهابيين، فجعلوا يخاطبون الإنجليز باللغة الوحيدة التي يفهمها الإنجليز، ولحسن حظهم لم يكن فيهم «عقلاء»، فراحوا ينفذون خطتهم في دأب وإصرار. ووقف عقلاؤنا يبسمون في دهاء ويقولون: «دعوهم في حماقتهم فإنهم يفقدون عطف العالم المتمدين. وسينقلب الشعور الإنجليزي ضدهم بسبب أعمالهم الإرهابية وجرائمهم المنكرة»! وكانت هذه سذاجة هي والقفة سواء! وفهم الإنجليز اللغة الوحيدة التي يفهمونها. وانتهزوا فرصة ضغط الولايات المتحدة في مصلحة اليهود، وأعلنوا إلغاء الكتاب الأبيض وتأليف لجنة للتحقيق، والسماح بالهجرة بعد انتهاء أجلها المحدود! وتحرك العرب، ولكن «العقلاء» قالوا لهم: «كونوا عقلاء أيها العرب، وانتظروا قرار لجنة التحقيق، ولا تقوموا بأية حركة الآن لئلا تفقدوا عطف العالم المتمدين، ودعوا اليهود الحمقى يرتكبون حماقاتهم ليفقدوا هذا العطف دونكم بما يرتكبون كل يوم من الإرهاب في فلسطين وغير فلسطين»! اهـ. بعد هذا التحذير الواعي من أفعال «العقلاء» وأقوالهم أقول: هل أدركت الآن ـ عزيزي القارئ ـ بعض السر لعداء الوهابية لشهيد الإسلام؟!

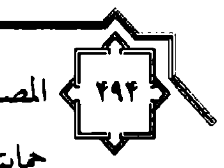


الخذلان:

عشية اتخاذ قرار تقسيم فلسطين رفضت القيادة الوهابية أن تقوم بأي دور جدي لإفشاله، علما بأنه كان بإمكانهم ذلك إذا ما هددوا بقطع البترول عن أميركا كما قال أحد الديبلوماسيين الأجانب، فقد جاء في العدد ٦٣٧ من مجلة (آخر ساعة) المصرية بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦٦ بقلم الكاتب الفلسطيني وجيه أبو ذكرى: انتقل الصراع إلى الأمم المتحدة، وبدأت أمريكا تلعب لعبتها القذرة لتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب. ونشط المندوبون العرب لمحاولة إحباط المشروع الذي عرض على الجمعية العامة للمنظمة الدولية، وكان بين العرب الأمير عادل أرسلان، وذهب إلى أحد الوفود يستعطفه ليقف بجانب الحق العربي؛ فقال له الرجل: (لديكم أيها العرب الورقة الرابحة ولكنكم تخشون اللعب بها) وأشار إلى ممثل الوهابية هناك، وقال له الرجل: (لو ذهب هذا الأمير إلى جورج مارشال وزير الخارجية الأميركية وهدد بقطع البترول إذا ناصرت أميركا اليهود لوجدت هذه القاعة كلها تقف بجانب العرب). وكلفته الوفود العربية بالنطق باسمها في الجمعية العمومية وأوصوه بالحزم والصرامة، ولكن كان موقفه أنه لا داعي ولا مبرر لقلقهم، وأخذ يؤكد لهم معارضة أميركا لتقسيم فلسطين وأنها ستقاوم بكل حزم فكرة خلق دولة يهودية.

وانخدع المندوبون العرب بكلامه على أساس أنه صديق حميم للسفير جورج ودزورت مستشار الوفد الأميركي إلى الأمم المتحدة.

ومن جهة أخرى فإن الوفود العربية أرسلت عشية الموافقة على قرار التقسيم برقية إلى زعيم الوهابية يلحون فيها عليه بإصدار تصريح يهدد فيه بقطع البترول إذا صوتت أميركا على قرار التقسيم، فما كان منه إلا أن قال: (إن



المصالح الأميركية في (بلاده)محمية وإن الأميركيين هم من أهل الذمة وأن حمايتهم وحماية مصالحهم واجب منصوص عليه في القرآن الكريم).

الجهد الوهابي لتحرير فلسطين:

عندما نشبت حرب فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨، اكتفى قادة الوهابية بإرسال عدد هزيل من الجنود غير المدربين قدر ما بين ٦٠ و ٢٠٠ جندي، وقد خلت الجبهة الشرقية منهم بحجة أن أمير شرق الأردن عبدالله بن الحسين رفض الموافقة على دخول جنودهم إلى أرضه، وكذلك خلت الجبهة الشمالية واقتصر الوجود الوهابي الرمزي على الجبهة الجنوبية، ولكن لما ثبت أن الجنود لا يجيدون القتال، أُدخلوا مدارس الجيش المصري بعد الهدنة للتدريب.

أما السلاح الوهابي فقد تحدث عنه القائد طه الهاشمي رئيس اللجنة العسكرية المنبثقة عن جامعة الدول العربية للإشراف على حرب فلسطين فقال واصفاً الأسلحة بعد أن أبرق الوهابية للجنة العسكرية عن أسلحة معدة لإنجاد فلسطين موجودة في سكاكا بالصحراء في شمال الجزيرة العربية: (أرسلت... طائرات فأحضرت تلك الأسلحة لدمشق وسلمتها إلى المصنع الحربي التابع للجيش السوري لفرزها وتبويبها، فإذا هي أسلحة عتيقة رديئة متعددة الأنواع والأشكال، فيها الموزر والشنيد والمارتيني، وفيها بنادق فرنسية وإنكليزية وعثمانية، ومصرية ويونانية ونمساوية، وكلها بدون جبخانة[1] ومصدئة خردة لا تصلح للقتال). وأضاف: (إنهم وجدوا بين هذه الخردة بنادق فتيل مما تعبأ بالكحل من فوهتها وتدك من الفوهة أيضا وأنها من مخلفات حملة الجيش المصري على الوهابيين في أوائل القرن التاسع عشر).

---

١ . مخزن البندقية الذي يوضع فيه البارود أو الطلقات.



الخيانة المبطَّنة:

خشية من أن يستمر القتال في فلسطين لتحريرها، فقد أخذ قادة الوهابية يتصلون سرا بأميركا وبريطانيا حاثين إياهما على دفع العرب والإسرائيليين إلى الصلح حتى ولو اضطروا إلى فرض عقوبات عليهم؛ جاء ذلك في وثيقة نشرتها وزارة الخارجية الأميركية بعد مرور ثلاثين سنة على تاريخها، وهي عبارة عن تقرير أرسله الوزير الأميركي المفوض في جدة بتاريخ ٨ كانون الثاني ١٩٤٩ حول حديث دار بينه وبين قائد الوهابية في حينه وبحضور الوزير البريطاني المفوض في جدة صباح السابع من يناير سنة ١٩٤٩، وقد ذكرت الوثيقة أن أمير الوهابية قال إنه يخشى أن يتطور الصراع العربي الإسرائيلي إلى درجة يمكن معها أن يهدد السلام والاستقرار؛ واقترح أن تهدد أمريكا وبريطانيا باستخدام مختلف الضغوط بما فيها فرض عقوبات اقتصادية وعسكرية على الطرفين.

القيمة الحقيقية لفلسطين عند الوهابية:

كشف جون فيلبي في كتابه: (٤٠ عاماً في جزيرة العرب) عن حقيقة موقف قائد الوهابية من القضية الفلسطينية وذلك بقوله: «إن مشكلة فلسطين لم تكن تبدو (لهذا القائد) أنها تستحق تعريض علاقاته الممتازة مع بريطانيا ومع أميركا للخطر».

ويضيف فيلبي: «وكان مستقبل فلسطين كله بالنسبة إلى (قادة الوهابية) كلهم، أمرا من شأن بريطانيا الصديقة العزيزة المنتدبة على فلسطين ولها أن تتصرف كما تشاء وعلى (قائد الوهابية) السمع والطاعة».

لا غرابة في الأمر:

لقد كان من شروط نشأة الوهابية ألا تتدخل بشكل من الأشكال ضد المصالح البريطانية والأميركية واليهودية في البلاد التي تحتلها بريطانيا ومنها فلسطين، وقد ذكرنا دلائل على ذلك في مقالنا (الوهابية صنيعة اليهود والنصارى).

ولقد بذل القادة الوهابية ما هو أكثر من عدم التدخل؛ فنصحوا للنصارى واليهود حين أشاروا مثلا على بريطانيا أن العرب المتعنتين سيذعنون إذا ما فرضت هي عليهم تقسيم فلسطين.

أين هؤلاء السماسرة من السلطان عبدالحميد:

كشفت الوثائق الأميركية والبريطانية وكتابات فيلبي عن أسرار في مواقفهم؛ فقد كتب آرثر لوري، سفير الكيان الصهيوني في لندن تعليقا في صحيفة التايمز اللندنية عام ١٩٦٤، دافع فيه عن حاييم وايزمان الذي أعلنت وثائق الخارجية الأميركية أنه قدم رشوة قدرها عشرون مليون جنيه إسترليني إلى قائد الوهابية في حينه ليعاونه على إنشاء دولة صهيونية في فلسطين، مؤكدا أن صاحب الفكرة كان الكولونيل جون فيلبي الممثل الشخصي لهذا القائد.

السياسة الوهابية ثابتة:

لم تتغير هذه السياسة الوهابية تجاه فلسطين؛ التزاما بمبادئهم تجاه اليهود والنصارى، فهم لم يدخلوا خلال تاريخهم كله في مواجهة مع النصارى، وكذلك الحال مع اليهود؛ فالوهابية لم يشاركوا في أية حرب عربية ضد العدو الصهيوني، بل كان موقفهم يتسم دائما بالانهزامية ونشاطاتهم موجهة إلى إقناع العرب بل ورشوتهم من أجل الصلح مع كيان العدو.

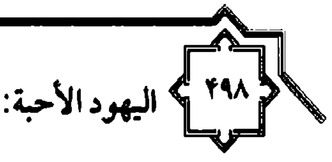


ويحاولون شراء الذمم:

فعندما نشبت حرب يونيو ١٩٦٧، التي شنها الكيان الصهيوني على بعض البلدان العربية بدعم من أميركا وأوروبا الغربية، وقف زعيم الوهابية القادم من تلك الدول خطيباً في مستقبليه يوم ٦ يونيو فقال: «أيها الإخوان لقد جئتكم من عند إخوان لكم في أمريكا وبريطانيا وأوروبا تحبونهم ويحبوننا...» ولكن الناس قاطعوه مطالبين بقطع البترول، فإذا بالهراوات تنهال عليهم من جماعته.. كما أنهم حاولوا إسكات الأصوات المطالبة بتحرير الأقصى والقدس؛ فقد روى الشيخ أسعد التميمي، وهو أحد تلك ـ الأصوات، وقد كان إمام المسجد الأقصى قبل هزيمة ١٩٦٧، أن الوهابية أرسلوا إليه في الأردن مليون دولار مقابل سكوته ولكنه رفضها.

ولماذا قتال اليهود؟

للإطلاع على شيء من الخبايا فإننا نذكر أنه في سنة ١٩٥٨، أرسل ضباط من الجيش الوهابي برقية إلى وزارة الدفاع تقول إن الزوارق الإسرائيلية ترسو في المنطقة الوهابية من خليج العقبة، (وينزل بحارتها إلى أراضينا ويتحرش جنود إسرائيل بجنودنا وينزلون كميات من الحشيش يستلمها بعض عملائهم لتصريفها في البلاد وعلى الجيش نفسه فأذنوا بإطلاق النار على الصهاينة الأعداء)، فكان جواب القيادة الوهابية التالي: «لا يمكن لليهود أن يعتدوا عليكم ما لم تتعدوا عليهم، واليهودي لا يساوي رصاصة نخسرها بإطلاقها عليه، وقد قال الله في محكم كتابه: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا﴾»، هكذا يلعب الوهابية بكتاب الله لتحقيق مآربهم الخبيثة.



اليهود الأحبة:

يكفي لإيضاح علاقة قادة الوهابية مع الشخصيات الصهونية هذا الخبر الذي نشرته الصحف الأميركية عن حفل استقبال قائد الوهابية في أميركا حيث ذكرت أنه دعي إلى حفل استقباله: (جمع من رجال الإعلام منهم فرانك المدير العام لمؤسسة هاآرست المؤسسة الصهيونية التي تصدر الصحيفة اليومية هاآرست في الأرض المحتلة)[١].

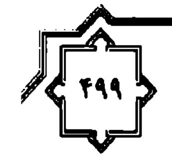
الصلح مع اليهود:

الكثير من الناس يجهل حقيقة أن السياسة الوهابية لها علاقات راسخة مع القيادة الصهيونية منذ أمد بعيد، ومن يتابع حفلات القادة الوهابية بالغرب وأسماء المدعوين لها يرى الساسة والإعلاميين الصهاينة في مقدمة الحضور، ولم يخفِ الوهابية الاستعداد للصلح مع العدو الصهيوني حتى قبل معاهدة «كامب ديفد» في ١٩٧٩م!![٢]؛ فقد قال زعيمهم للواشطن بوست سنة ١٩٦٩م (إننا واليهود أبناء عم خلّص، ولن نرضى بقذفهم في البحر كما يقول البعض، بل نريد التعايش معهم بسلام..)[٣]، وأكد ذلك أكثر من مرة ومنها في ١٥ يونيو ١٩٧٥ أنهم: (على أتم الاستعداد للاعتراف بإسرائيل... ولكن على إسرائيل أن تحل

١ . صحيفة سياتل بوست انتلجنس اليومية Seattle Post Intelligence بتاريخ ١٢ مارس ١٩٨٥

٢ . ومن ذر الرماد في العيون مشاركة الوهابية في مقاطعة مصر لمّا أبرمت اتفاقية السلام مع إسرائيل مع أنّ هذه أقوالهم وأفعالهم.

٣ . Washington posts ١٧/ ٩/ ١٩٦٩م وترجمت التصريح عدة صحف عربية منها صحيفة الحياة البيروتية.



مشاكلها مع جيرانها وتتدبر أمرها مع الفلسطينيين). ولما سُئل عن معنى (تدبر الأمر) قال: (إسرائيل أدرى بشؤونها).

فتاوى في خدمة اليهود

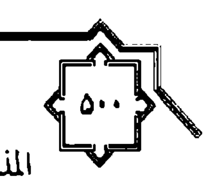
إن فكرة السلام مع اليهود هي فكرة شارك أحبار الوهابية في مَخَضها طويلاً حتى رابت، وعندما رأوا تعنّت العرب تجاه مصر حاولوا تغليف الفكرة بأغلفة أكثر لمعاناً وما لبثوا أن طرحوها في قمة (فاس) بالمغرب، في سبتمبر ١٩٨٢ وعرفت ساعتها باسم *«المشروع العربي لإيجاد تسوية شاملة وعادلة لمشكلة الشرق الأوسط»* وفعلاً أُقرَّت الفكرة واعتبرت أساساً للجهود العربية في سبيل البحث عن حل آخر غير الحل العسكري[١]، وما فتئ الوهابية يدبِّجون الفتاوى في سبيل الصلح مع اليهود للاستمرار في نفس المسلسل، وإليكم الأمثلة في ما يتعلق بموضوعنا:

أولا: أفتى الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز بجواز الصلح مع اليهود والتعامل معهم سواء أكان الصلح هدنة دائمة أم مؤقتة، بل أكثر من هذا حيث اعتبر زيارة المسجد الأقصى في هذه الفترة المؤسفة سُنَّة على المسلمين إتيانها!!

ونحن نؤمن أن هذه الفتاوى لا تصدر إلا عن استغفال وجهل، أو خدمة مخططة للمصالح اليهودية؛ فالصلح إذا رضي به المسلمون فإنه يعني الاعتراف بالاحتلال الصهيوني للمسجد الأقصى والأرض المباركة حوله، كما يعني التآمر على تضييع حقوق الفلسطينيين، كما أن في الزيارة تقوية للاقتصاد الصهيوني الغاصب. وقد تناقلت هذه الفتوى المأجورة وسائل الإعلام العالمية.

---

١ . يفاخر الوهابية بذلك والنص منقول عن مفكرة القوات المسلحة السعودية.



العجيب أن سماحته لا يرى في المقابل جواز التقارب أو الهدنة مع أيٍ من المذاهب الإسلامية!!

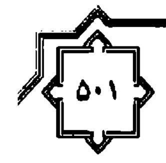
ما يلفت النظر أنه قد سبق لهذا المفتي الكبير تحريم الاستعانة بالخبراء الروس ضد اليهود الصهاينة عندما فعل ذلك جمال عبدالناصر، وأفتى بعد ذلك بجواز دخول النصارى واليهود لأرض الحرمين الشريفين ودعا لهم أعوانه على منابر الحرمين الشريفين، وقنتوا في كلِّ صلاة ليترضوا عليهم، وسموَّهم (جند الله)، وما ذلك إلا لقتل الأطفال والنساء والشيوخ العراقيين حتى في الملاجئ؛ بل وكل عراقي وإن كان في الصلاة، ويفتي ببغي أسامة بن لادن والمشائخ الذين فروا بأرواحهم من جحيم فتواه؛ لا لشيء إلا لأنهم يقولون بوجوب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب! وحاول بعض الناس الدفاع عن الشيخ ابن باز بكبر السن وعدم فهم الموضوع وأنه خدع من قبل الصحفيين مما حدا بالدكتور يوسف القرضاوي إلى أن ينشر ذلك في إحدى المجلات.. ولكن الشيخ ابن باز رد عليه بأن ذلك خرج عن وعي وفهم للواقع وبكل حرية!!

ثانياً: فتوى محدثهم المتناقض الشيخ ناصر الدين الألباني التي دعا فيها أهل فلسطين للخروج منها وتركها لليهود لقمة سائغة، وقد تناقلت هذه الفتوى وسائل الإعلام المختلفة، وقد نشرت مجلة المجتمع الكويتية تحليلا لهذه الفتوى الخبيثة وردود علماء الأمة عليها. ورد عليه الشيخ علي الفقير الأردني ردّاً قوياً في شريط مسجَّل.

وهكذا يتبين لكل مبصر الدور الذي يلعبه هؤلاء الذين يلبسون مسوح الرهبان في خدمة مصالح النصارى واليهود من وراء الستار ليل نهار[1].

---

١ . عندما نزلت الجنود الأمريكية بلاد الحرمين كان فيهم بعض حاخامات اليهود، ولما نزلوا على الأرض سجد أحدهم قائلا: (عدنا إليك يا خيبر) نقول: كل هذا من فضل الوهابية علينا وعلى الناس!!

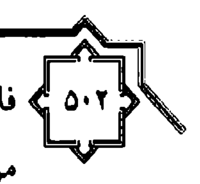


تحريم الدعاء على اليهود والنصارى!

في رحلة مباركة لحج بيت الله الحرام، وبعد نزولنا في مطار المدينة المنورة، أذهلتنا يد المفتشين تبعثر ما في حقائبنا، والتاعت أفئدتنا لظنّنا بأنَّ إخواننا يظنون أننا من مهربي الحشيش والأفيون، ولكننا سرعان ما رأينا أيديهم تتخطف كتاباً كنا نحمله واسمه (قواعد الإسلام) للشيخ الجيطالي، وقد كان ﷺ من كبار علماء المغرب العربي، وأخبرونا بأن الكتاب ممنوع! ولأنَّ اللحى تعمر وجوههم فقد ظننا أنَّ وراءها عقولاً مستنيرة، فأخبرناهم بالتي هي أحسن بأن الكتاب كتاب فقه مقارن، يقدم آراء كل مذهب من المذاهب الإسلامية في كثير من أبواب الفقه الإسلامي، وحاولنا أن نفتح لهم الكتاب، فقالوا إن الكتاب سيحرق! هكذا، فاسترجعنا وقلنا لعلّكم أخطأتم الكتاب المقصود فقالوا هذا أحد خمسة كتب بهذا العنوان وكلها في القائمة السوداء! ونحن لا نعلم صدق هذا الزعم من كذبه؛ ولكن يا سبحان الله حتى جهود علماء المسلمين أصبحت لدى هؤلاء تشملها القائمة السوداء، وتيقَّنا أن اللحى والأشكال لدى هؤلاء لا تعني شيئا، فالعقول محارَبة في الشريعة الوهابية، لأنها في نظرهم سبيل الضلال، وما على الإنسان في نظرهم إلا اتباع ابن تيمية وابن القيِّم وسيقاد إلى برِّ الأمان! فلا تنتظر تفكيراً منطقياً لدى هؤلاء.

على كلِّ حال لقد ذهب كتابنا للمحرقة، ونحن سنطالب آخذه وحارقه والآمر بذلك يوم القيامة بحقنا، ولا يضيع في عدل الله شيء، ونحن نعلم ما هو أدهى من ذلك، ولقد شاء الله أن نبين للناس من هم الوهابية على ساحة الشبكة العالمية للمعلومات (إنترنت).

ومن قبل حارب الوهابية دخول كتاب العلاَّمة السالمي (بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود)، واستغرب ساعتها الكثيرُ من الناس هذا التصرف،



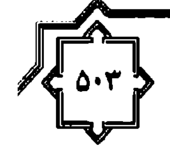
فالكتاب يُقرأ من عنوانه كما يُقال، وسبيله مخالفة اليهود والنصارى، فلماذا يمنع من الدخول ويُحرق بينما يباع كتاب الإمتاع والمؤانسة[١] لأبي حيان التوحيدي أمام المسجد الحرام؟!

لقد قلنا إن الوهابية في أحد مقوماتها هي صناعة إنجليزية، هدفها تخريب الإسلام من الداخل، وموالاة اليهود والنصارى، ولقد أثبتنا الكثير من ذلك في مقالات سابقة عندما تحدثنا عن نشأة هذه الفرقة، وتشريكها لمن لم يستسلم لمنهجها التكفيري للأمة، واستحلال دمه وماله، وأثبتنا كيف عاثوا في الأرض فسادا فقتّلوا الأبرياء من غير جريرة، وكيف أحيوا كلَّ الأفكار الهدامة كعقيدة فناء النار وخروج المشركين منها، وكذلك كيف شارك النصارى في قيادتهم عمليا، وضربنا أمثلة على ذلك، واليوم سنذكر ما هو أدهى وهو محاولاتهم اليائسة في منع الدعاء على اليهود والنصارى، وإلجام الخطباء عن فعل ذلك، فقد صدر تعميم على كافة الخطباء والوعاظ بتاريخ ١٣/ ٥/ ١٤٠٩ هـ من وزارة الحج والأوقاف معهم تحت رقم ٣٧١٩ وهذا نصٌ منه: (.. **لوحظ أن بعض الخطباء يضمنون خطبهم الدعاء والهلاك وما شابه ذلك على اليهود والنصارى وطوائف دينية أخرى، مع تسمية الدول بأسمائها، وليس هذا مما أرشدنا إليه القرآن الكريم!**)[٢] هذه هي العقيدة التي ينادي بها الوهابية، عقيدة المحبة لأعداء الله والدفاع عنهم، وفي المقابل تقتيل المسلمين والحضِّ على سفك دمائهم حتى في بيت الله الحرام، كما فعل خطباء الوهابية المخلصون ساعة هجوم دول النصارى على أهل العراق، فصدع الخطباء بالدعاء بالنصر لمن أسموهم جند الله، وليس ذلك بالجديد عليهم فقد أرسل أمير الوهابية في نجد ببرقية إلى

---

١ . هذا كتاب متهتك فيه إمتاع بما حرم الله من لواط وزنا وعهر.

٢ . د. محمد بن عبدالله المسعري، الأدلة القطعية، مؤسسة الرافد، ص ٦٧ ـ ٧٠ وبهذا الكتاب نص التعميم بكامله.



المندوب البريطاني السير برسي كوكس بمناسبة احتلال الإنكليز للبصرة وانتزاعها من أيدي المسلمين قال فيها:

(سيدي برسي كوكس مندوب بريطانيا العظمى دام عزها.

دخول جيوشكم الإنكليزية العظيمة للعراق نصر مبين للمسلمين، وعزٌ مكينٌ لنا.

عبوديتنا وخدمتنا لبريطانيا العظمى وولاؤنا لكم إلى الأبد)[١]

هذه هي الحقيقة المرَّة يا أبناء المسلمين الذين غررت بهم الدعوة الوهابية، وضربت عليهم حجاباً مظلماً من التعتيم، كي لا يطلع أحدهم على شيء من كتب المسلمين التي تخالف النهج الوهابي، وإذا وجدوا أن لا محيص من دخول كتاب من أمهات كتب المسلمين، فإنهم يعمدون إلى إعادة طباعته فيحذفون ويحرفون بما يناسب أهواءهم[٢].

نعم لقد حاول البعض مخالفة ذلك التعميم القاضي بعدم شتم النصارى واليهود ودولهم، ولكنهم تعرَّضوا للأذى والتعذيب، بل ولقد تعرض للأذى حتى من يسبُّ الشيوعية، فلقد تعرَّض صاحب كتاب (السيوف الباترة على إلحاد الشيوعية الكافرة)[٣] للأذى وطرد من المدينة المنورة إلى بلاده اليمن، لا

---

١ . د. محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، دار المعراج، ص ٩٨ وقد ذكر مصادره. وللاطلاع على شيء من النقل الموثق عن طاعة القيادة الوهابية العمياء للنصارى وتذللها لهم يراجع ناصر الفرج، قيام العرش السعودي، خصوصاً ص٦٩ ـ ٧٠ وص٨٩ ـ ٩٠

٢ . يراجع العلامة الكوثري، في تحقيقه لكتاب الأسماء والصفات للبيهقي، هامش ص ٣٥٦.

٣ . وهو المدعو مقبل بن هادي الوادعي، والعجيب أن هذا يتم في الوقت الذي يسمحون له بشتم المسلمين، ونسجِّل له هذا مع علمنا بعدائه الشديد الأرعن، وتحامله على أهل الحق والاستقامة وكل التيارات الإسلامية بالباطل وله بذلك كتيب سقيم مملوء بالكذب والسباب ليس إلا؛ ولكننا مع هذا لا نتجاوز قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾. أقول لو كان الوهابية أحياء القلوب لمنعوا كتبه التي تشتم المسلمين، وتركوه يحذِّر الناس من الإلحاد.

لشيء إلا لأنه كتب هذا الكتاب مع أنه من المخلصين للفكر الوهابي التيمي[1]، وكتابه ما يزال مُصادرا، ولا يتردد أهل الفتوى من أئمة هذه النحلة الحشوية كابن باز وأتباعه من رمي كلِّ مخالف له بالبدعة والفسوق من الدين.

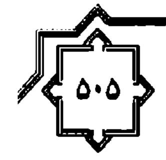
فهل ما يزال بعضنا يستغرب لماذا يحرق الوهابية كتب المسلمين؟!

القيادة النصرانية الوهابية المشتركة

كثير من البسطاء يناقشون مسألة تساهل علماء الوهابية اليوم في الاستعانة بالنصارى لقتل المسلمين وأنه لم يقع في التاريخ الإسلامي كله أن أجاز فقيه مسلم واحد جواز الاستعانة بكافر على مسلم بل كان النقاش في مدى جواز الاستعانة بكافر على كافر، ولكن إذا نظرنا أعمق من ذلك فإن الموضوع ليس ببدعة عند الوهابية، وابن باز ليس بخارج عن المخطط الوهابي مطلقاً فهو ومن معه سائرون على خطى قادتهم الأوائل الذين كانوا لا يستعينون بالنصارى فحسب بل يعرضون عليهم احتلال ديار المسلمين. فالإحساء مثلاً كانت تحت الإدارة السياسية للدولة العثمانية، وهي على أدنى تقدير دولة مسلمة، ووفقاً للعقيدة الوهابية فإن عليهم السمع والطاعة للخليفة ولي الأمر، ولكنهم في عام ١٢١٠هـ هاجموا الإحساء كما نقلنا عن مؤرخهم ابن بشر حين تفاخر بأنه قد وضعت ذوات الأحمال حملهن من الرعب الذي أدخله الجيش الوهابي على نساء الإحساء، وذبحهم للرجال في الطرقات، ولكن مع كل ذلك فقد بقيت الإحساء بيد أهلها لم يستطع الوهابية احتلالها.

---

١ . نسبة إلى ابن تيمية.



فكيف تمكن الوهابية من احتلال الإحساء؟

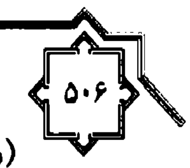
كان بقاء الشريط الساحلي ـ الممتد من الكويت إلى قطر ـ تحت السيطرة الفعلية للأتراك يشكل خطراً على النفوذ البريطاني في الخليج[١]، فعملت بريطانيا على تحريك عملائها في المنطقة للقضاء على الوجود العثماني، فما كان من الوهابية إلا السمع والطاعة فعلى مثل الأحساء يسيل اللعاب، فأبدى الوهابية استعدادهم لغزو الأحساء بعد معركة الروضة (روضة مهنا) التي قتل فيها أمير نجد عبدالعزيز بن رشيد[٢] عام ١٩٠٦؛ حيث أرسل الوهابية إلى الكابتن (بيردو) الوكيل السياسي المقيم في البحرين يستأذنونه في غزو الإحساء، ويستعينون بريطانيا أن تعينهم بسلاحها البحري، وليأخذ الإنجليز كل الساحل!، ولكن بريطانيا والتي تعرف متى تصطاد لديها خطة أعقد محبوكة مع شركائها الآخرين ـ لا يدرك الوهابية كل بعادها ـ لتدمير الدولة العثمانية والفرصة الأنسب لم تحن بعد، ولا تريد هي شخصياً أن تظهر على مسرح العمليات، فأجّلت العملية! فما كان من الوهابية إلا المسارعة للتحدث مع غير (بيردو) علَّ ذلك يعجِّل بموافقة السير برسي كوكس المقيم السياسي البريطاني في الخليج[٣]، فخاطبوا مندوبه في قطر في أكتوبر من نفس السنة ولكن كوكس أجَّل الطلب مجدداً.

---

١ . ناصر الفرج، قيام العرش السعودي دراسة تاريخية للعلاقات السعودية البريطانية، الصفا للنشر والتوزيع، لندن، ص ٣٣

٢ . لقد كان هذا الرجل من أحرار الرجال، وقد تنبَّه للمخطط البريطاني منذ مطلع القرن العشرين وأنذر الأتراك بما يخططه لهم الإنجليز، وقد أرفق نسخة من رسالته للأتراك السفيرُ البريطاني في استانبول في رسالة له إلى وزير خارجية بلاده بتاريخ ١٧/ ٦/ ١٩٠٢(يراجع المصدر السابق، ص ٣٤)

٣ . برمي زكريا كوكس هذا من أصل يهودي وقد كان مسئول المخابرات البريطانية في الجزيرة العربية.



ثم أعادوا الكرَّة في سنة ١٩١١ عبر المعتمد السياسي البريطاني في الكويت (ديكسون) فأفهمهم أن الحكومة البريطانية مهتمة بالأمر وسيوجهونهم في حينه لأن مصالح بريطانيا مع تركيا في تلك الآونة لا يصلح أن تتعرض للخطر!

وفعلاً تهيأت الأمور بعد عامين من حينه فالأرض من البلقان شمالاً حتى اليمن جنوباً قد أُشعلت بالثورات ضد الدولة العثمانية وتركيا أحوج ما تكون إلى جنودها على مثل هذه الجبهات، فرأى الإنجليز ساعتها أنه قد حان دور الإحساء. فصدرت تعليمات بريطانيا للوهابية بأن ساعة الصفر هي ١٣ أبريل ١٩١٣ (جمادى الأول ١٣٣١هـ) وتم الهجوم وسقطت الإحساء.

وهنا أمران للملاحظة: القيادة والسلاح.

فالقيادة كانت نصرانية حيث تولى خطة الهجوم الضابط الإنجليزي (ليتشمان) وذلك بالمباغتة من جهة الجنوب عبر (سمحان).

وأما السلاح وبما أن جيش الفتح الوهابي لا يصح إلا أن يفتك بالمسلمين وبأحدث الأسلحة، فقد تأكدت بريطانيا من تنفيذ ذلك على أحسن وجه حيث زوِّد كل جندي وهابي بالبندقية البريطانية الحديثة (أم ـ ١١) لأن بريطانيا ـ أعزَّ الوهابية جنابها ـ تحب إحسان القتلة!

الأمن الوهابي

لتأديب أهل الإحساء ومن جاورهم فقد انتخب الوهابية أسرة آل جلوي المعروفة بدمويتها لحكم الإحساء، وسقطت القطيف بعد شهر من احتلال الإحساء، وتفنن عبدالمحسن بن جلوي في تقتيل الناس بما عرف من بعد بسجن العبيد (المعروف سابقاً بقصر إبراهيم) فأخذ يقبر فيه أهل الإحساء أحياء.

ولكي لا يذهب التاريخ الوهابي الحافل طي النسيان فلا بد أن نذكر أن الذي تولى إدارة شؤون (الأمن!!) في البلاد الوهابية، يهودي خدم في المخابرات



الإنجليزية بالعراق ويدعى (مهدي بك) بعد أن أسلم طبعاً على يد سماحة الشيخ الكبير جون فيلبي! فقطع آلاف الأيدي والأرجل والرؤوس وبتر آلاف الأنوف والأصابع وخصى الكثير من الناس تحت مظلة (ترويض الرعية) وباسم الإسلام![1]

الوثائق:

ورد في المجلد رقم ٢١٣٩ بدار الوثائق البريطانية أنه وردت إلى لندن برقية من نائب الملك في الهند جاء فيها توجيهه للوهابية التعاون لطرد الأتراك من البصرة لتسيطر عليها حكومة الهند سلمياً وطرد الأتراك من الأحساء والقطيف.

وقد بعث قائد الوهابية برسالة إلى برسي كوكس بتاريخ ١٣ يونيو ١٩١٣ يشكره على دوره فيقول (وبالنظر إلى مشاعري الودية تجاهكم أود أن تكون علاقاتي معكم كالعلاقات التي كانت قائمة بينكم وبين أسلافي كما أود أن تكون قائمة بيني وبينكم)[2]. وقد أكد هذه الطاعة وهذا الولاء السفير البريطاني في

---

١ . ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، ص ٨٣٥. و التقوي، الفرقة الوهابية في خدمة من؟، ٣٥٧

٢ . ويقصد بالأسلاف محمد بن سعود بن مردوخ (مرخان حالياً)!! بل ويروي مشايخ نجد أن سليمان جد الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان اسمه الحقيقي شولمان قرقوزي (أي بائع البطيخ) من يهود الدونمة، خرج من بلدة بورصة بتركيا، مع زوجته إلى بلاد الشام، فأصبح اسمه سليمان بن علي، واستقر في ضاحية (دوما) في دمشق، وأخذ يتاجر بالدين هذه المرة لا بالبطيخ، فاكتشفه أهالي سوريا، ورفضوا تجارته، وربطوا قدميه، وضربوه ضرباً أليما، وبعد عشرة أيام أفلت من رباطه، وهرب إلى مصر، وما هي إلا مدة وجيزة وطرده المصريون، فسار إلى الحجاز واستقر في مكة، وأخذ يشعوذ فيها باسم الدين فاكتشفه أهالي مكة فطردوه، فسار إلى المدينة المنورة، لكنهم أيضا طردوه.. كل ذلك في مدة لا تتجاوز الأربع سنوات، فغادر إلى نجد واستقر في بلدة اسمها العيينة، وهناك وجد مجالا خصباً للشعوذة، فاستقر بنجد وادَّعى أنه من سلالة ربيعة، وأنه سافر به والده صغيراً إلى المغرب العربي. (السيد أبو العلى التقوي، الفرقة الوهابية في خدمة من؟ ص٢٩، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت.)

استانبول في رسالة له إلى وزارة خارجية بلاده بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩١٤ يقول فيها بأن زعيم الوهابية (يحترم موقفنا في الخليج ويحكم في الأحساء بما نريد)!

ويصرح العقيد لويس بيلي، المقيم السياسي في بوشهر (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) في كتابه: (رحلة إلى الرياض والأوراق الخاصة) بأن الإنجليز والوهابية يشتركون في الأهداف[١]، وإنه شخصياً بُعث إلى الوهابية ليناقش المساعدة في احتلال الدول الأخرى!! ومحاربة أعداء الوهابية، والتخطيط لحرب الأتراك في الشرق[٢].

هؤلاء هم الوهابية وهذه بريطانيا النصرانية من خلفهم؛ تخطط وتقود وتساند، وبعد ذلك كله يأنف الوهابية من تسميتهم بخوارج العصر؛ لأن المساكين لا يقتلون إلا أهل الإسلام ولا يتركون إلا عبدة الأوثان![٣]

الوهابية صنيعة اليهود والنصارى

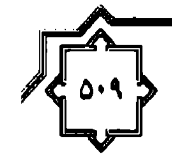
يصعب على المسلم أن يتصور لحىً طويلة، ومآزر إلى أنصاف الساقين تتباكى في حرم الله الآمن، بمكة المكرمة؛ وتكون في ذات الوقت صنيعة من صنائع اليهود والنصارى علمت بذلك أم لم تعلم، ولكنها الحقيقة المؤلمة المتمثلة في الوهابية، نعم نقول ذلك وبثقة كبيرة، وبأدلة مقنعة سنسرد شيئاً منها في هذا المقال، ونعتذر عن بعضها الآخر إذ ليس كل ما هو صحيح يمكن أن يقال، ونعلم في ذات الوقت أن هناك الكثير من أهل النيات الطيبة يسيرون في خطى

---

١ . بيلي، رحلة إلى الرياض والأوراق الخاصة، ترجمة: د. عيسى أمين، ص ٦٩

٢ . المصدر السابق، ص ٧٠

٣ . للتوسع يراجع ديكسون، الكويت وجاراتها، وناصر الفرج، قيام العرش السعودي دراسة تاريخية للعلاقات السعودية البريطانية، ص ٣٣ ـ ٣٥، وأبو العلى التقوي، الفرقة الوهابية في خدمة من؟، ٣٤٥ ـ ٣٥٧



الوهابية وقد غُرِّرَ بهم لسبب أو لآخر، وبعض جهدنا هذا هو لإنقاذ هؤلاء من براثن الفتنة الوهابية قبل أن تحتويهم بسرطانها الخبيث.

ـ **من حيث التنظير** فقد اهتمت العقيدة الوهابية اهتماماً كبيراً بعقيدة التجسيم، وهي عقيدة نصرانية محضة، استقاها ابن تيمية من خلال الترجمات للكتب النصرانية ولا غرو فقد كانت بلاده حران مركزاً شهيراً لترجمة كتب اليونان، ولقد حكم علماء أهل الشام بضلال ابن تيمية لعقيدته الفاسدة، وأودع سجن القلعة الشهير إلى أن مات؛ ولقد أحيا الوهابية هذه العقيدة النصرانية، وتم استعراض الناس في جزيرة العرب بالسيف لاعتناقها، واستحلوا دماء الموحدين وأموالهم في سبيل ذلك.

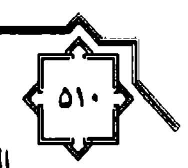
ـ **أما من حيث الواقع العملي** فقد كان الجيش الوهابي يلقى الدعم والتدريب مباشرة من وزارة المستعمرات بالهند، وقد سلَّم جون فيلبي إلى أمير الوهابية مبالغ طائلة من الجنيهات الذهبية، وريالات ماريا تريزا، كما كانت المساعدات السنوية للوهابية تبلغ ستين ألف ريال، ولدى بدء العدوان البريطاني على البصرة تم صرف مائة ألف ريال من بريطانيا للوهابية للبدء بتجنيد القبائل، لحرب ابن رشيد ومشاغلته عن نجدة قوات المسلمين بالبصرة، مع تعهد الإنكليز بتوفير المشورة[1]، ووصلت الأسلحة تباعاً بعد ذلك، ولما نشبت المعركة كان العميل البريطاني جون فيلبي الذي خطط للمعركة يراقب سير المعركة من برج قريب مخافة أن يصيبه ما أصاب سلفه شكسبير[2].

لماذا كل هذا الولع من بريطانيا بالوهابية؟!

---

١ . ديكسون، الكويت وجاراتها، وقد ذكر أن الكولونيل هاملتون والكولونيل كانليف أوين ممثلي المخابرات البريطانية قد انطلقا إلى نجد لهذه المهمة

٢ . خيري حماد، (عبدالله فيلبي)، ص ٢١٥



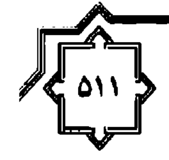
أولاً: لقد علمت بريطانيا أن لا حياة لها في جزيرة العرب ـ ذات المستقبل الزاهر بالذهب الأسود ـ إلا بقتل الجهاد؛ فهي ما تزال جراحها تنزف من سِهام مسلمي شبه القارة الهندية! أفتتركه يكون عائقاً أيضاً في جزيرة العرب؟!

إنَّ الإنجليز الذين لا تنقصهم دروس الدهاء والمكر رأوا في الحركة الوهابية الناشئة، المولعة بالتوسع خير من يشغل المسلمين عن الجهاد، فأمدتهم بريطانيا بالمال والسلاح والقادة النصارى، وأصبح الجهاد في العقيدة الوهابية حرباً طاحنة بين المسلمين بدعوى البدعة والشرك. ومن يقرأ حروب الوهابية في أرض الجزيرة العربية وما حولها يلاحظ ذلك بجلاء، فخلال تأريخ الوهابية كله لم يسجل لها التاريخ مواجهة واحدة مع اليهود أو النصارى، فيحني الوهابية للنصارى رؤوسهم حتى عندما يؤدبهم الإنجليز ساعة تجاوزهم الحدود المرسومة لهم[1]!! بل سِجلّهم حافل بقتل أهل مكة والطائف والمدينة المنورة وقطر والكويت وعمان والبصرة وبلاد الشام واليمن وكل من نالته أيديهم من المسلمين كالمغاربة والمصريين والإيرانيين والأتراك، وهم يتفاخرون بهذا التاريخ الدامي ـ من غير خجل ـ في مؤلفاتهم!

ثانياً: كانت الدولة العثمانية شجاً في حلوق النصارى واليهود، فكانت إحدى الخطط لهدمها استخدام الوهابية لتقليص نفوذهم في البلاد العربية، فكانوا سندهم المادي والمعنوي. ولما رأى النصارى واليهود انتصارات محمد علي على الوهابية وأنه قاضٍ عليهم لا محالة ـ مثلما كاد أن يقضي عليهم عام ١٨١٨م حين احتلت قواته الدرعية وأرسل أميرها إلى استنبول ليقطع رأسه هناك ـ

---

١. ومثال ذلك تصرف الوهابية عندما أدبهم الإنجليز بسبب قتل بعض رعاياهم الهنود في مدينة صور العمانية، فتذلل الوهابية للإنجليز مباشرة وأظهروا الندم، ولم تكترث بريطانيا قبل ذلك وبعده بقتل الوهابية لأهل الجزيرة!!



هرعت إنجلترا والنمسا وروسيا لعقد مؤتمر طارئ في صيف عام ١٨٤٠م دعو إليه تركيا لمناقشة الوضع والوصول إلى تسوية!

وقد قام الوهابية بدورهم المرسوم خير قيام فقد كانت معاركهم في شمال نجد ضارية ضد آل رشيد الموالين للسلطة العثمانية، وقد حاول العثمانيون إطفاء نار الفتنة سنة ١٩١٤م فاعترفوا بسلطة الوهابية على نجد، ولما طلب أنور باشا باسم الدولة التركية، وحسب اتفاق سابق بينه وبين الوهابية أن يشتركوا في الدفاع عن البصرة ضد الاحتلال الإنجليزي أجابوه بأنهم مشغولون بقتال ابن رشيد![1] ولقد علّقت وزارة الهند الإنجليزية بتاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩١٥م بالرضى على ذلك، والشكر لمشاغلة ابن رشيد عن نصرة العثمانيين، وأكثر من هذا فقد جاء في شهادة المستر كينيث توماس أن زعيم الوهابية كان حليفاً دائما لبريطانيا (**وساند البريطانيين وحلفاءهم، ودرَّب جيشاً في العمليات الحربية ضد الأتراك سنتي ١٩١٤ و١٩١٥م**)[2].

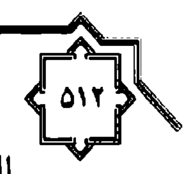
وعندما عجزت بريطانيا عن إكراه العراقيين على قبول الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٢ كما ذكر السيد عبدالرزاق الحسني في كتابه (تاريخ الوزارات العراقية) ما كان من بريطانيا إلا أن حركت عملاءها الوهابية للإغارة على أطراف عشائر المنتفق[3] ليلة ١١ مارس، ليرتمي العراقيون في أحضان بريطانيا كي لا تتكرر مآسيهم، فبعض الشرِّ أهون من بعضٍ. وفعلاً تمَّ ما أرادته بريطانيا بفضل الوهابية!

---

١ . الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة، دار المعراج ص ٢٢٦

٢ . المصدر السابق، ص ٢٢٦وقد ذكر نصوص الرسائل موثقة

٣ . وتنطق بالشين وهم كم سكاني كبير أغلبهم رعاة (شواوي) يقيمون بين السماوة وبحيرة حمار، وهم عدَّة قبائل أكبرها: البوعلي والأجوَد وبنو مالك وبنو حكيم، وإمارتهم كانت لآل السعدون (ينسبون أنفسهم للبيت النبوي) يراجع الشيخ صبغة الله الحيدري (عنوان المجد في أحوال بصرة وبغداد ونجد) والمحامي عباس العزاوي في كتابيه: (عشائر العراق) و (العراق بين احتلالين).



ولأن الشيء بالشيء يذكر فلا بدَّ أن نعيد هنا نشر برقية أمير الوهابية في نجد إلى المندوب البريطاني السير برسي كوكس ابتهاجاً بمناسبة احتلال الإنكليز للبصرة وانتزاعها من أيدي المسلمين قال فيها: (**سيدي برسي كوكس مندوب بريطانيا العظمى دام عزها.**

دخول جيوشكم الإنكليزية العظيمة للعراق نصر مبين للمسلمين، وعزٌّ مكينٌ لنا. عبوديتنا وخدمتنا لبريطانيا العظمى وولاؤنا لكم إلى الأبد)[١]

وقد حاول الوهابية خدمة الإنكليز حتى خارج إطار المنطقة العربية، وذلك بحل عقدتهم مع مسلمي شبه القارة الهندية، فقد ذكر الدكتور صلاح العقاد بأن أمير الوهابية أرسل ابنه لتشجيع مسلمي الهند للقتال في صفوف الإنكليز في معركة العلمين[٢].

لهذا فلا غرو أن يهتم النصارى الإنجليز بمساندة الوهابية في كل موقف، وحينما رأوا أن جيش الإخوان قد يقضي على آمالهم باكتشافه التواطؤ مع النصارى سارعت بريطانيا علناً لقصفهم والقضاء عليهم عام ١٩٣٠م.

قتل المسلمين ومناصرة المستعمرين

يجاهر الوهابية بتنكيلهم بالمسلمين في كلِّ أرض ومصر استطاعوا الوصول إليه بحجة انحراف المسلمين عن كتاب الله، في الوقت الذي يعطون فيه المواثيق للمستعمرين النصارى بأن لا يمسوهم بأذى؛ ففي كتاب وجهه أمير الوهابية سنة ١٨١٠م إلى حكومة الهند البريطانية قال: (إن سبب الخصومات المستمرة

---

١ . الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة، ص ٩٨ وقد ذكر مصادره

٢ . د. صلاح العقاد، جزيرة العرب في العصر الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ص ٨٥.



بيني وبين من يسمون أنفسهم مسلمين انحرافهم عن كتاب الخالق ورفضهم الامتثال لنبيهم محمد، فلست أشن حرباً على فرقة أخرى، ولست أتدخل في عملياتهم المعادية، ولا أساعدهم ضد أحد... **وفي هذه الظروف رأيت من الضروري أن أبلغكم بأني لن أدنو من شواطئكم، وأني منعت أتباع عقيدة محمد من أن يقوموا بأي تنكيل بسفنكم)**[1] نعم هذه هي الوهابية قتال المسلمين بداعي تصحيح انحرافهم! وترك الكافرين؛ بل والتعهد بحمايتهم، وهو عين ما أراده النصارى.

وفي تنكيل الوهابية بالمسلمين لم يكتفوا بجهودهم الذاتية في حرب المسلمين؛ بل استنصروا بالقوات البحرية البريطانية لإغلاق البحر في وجوه المسلمين!! فقد أرسل أميرهم كتاباً يتذلل فيه للمقيم البريطاني في البصرة يقول فيه (لقد أثبتنا لكم سلفاً بأننا نحترم كل المنتسبين إليكم ولم يَنَلْكم أي أذى مهما كان طفيفاً من أتباعنا، وعليه فإنه يتحتم عليكم في مقابل ذلك أن لا تصدروا تصاريح إبحار لأعدائنا)[2]!!

وقد بلغ الوهابية بالفتك بالمسلمين مبلغاً أثار حتى شفقة النصارى على الأبرياء؛ فطالبوا الوهابية بكفِّ أيديهم عنهم، ومن ذلك ما فعله المقيم البريطاني في البصرة عندما رأى مجازر أعراب نجد للناس وسلب أموالهم، فطلب منهم سنة ١٨١٧م تصحيح بعض الوضع بإعادة ما نهبوه إلى أصحابه فردَّ عليه أمير الوهابية برسالة يقول فيها: «كيف تطلب منا أن نردَّ ما غنمناه من أعدائنا من

---

١ . موجز تاريخي عن القبائل الوهابية العربية، في مجموعة: مختارات من سجلات بومباي، منشورات المكتبة السرية والسياسية بومباي ١٨٥٦، المجلد ٢٤، ص ٤٥٦ باللغة الإنكليزية.

٢ . كيللي: ج.ب، بريطانيا في الخليج الفارسي ١٧٩٥ ــ ١٨٨٠ ــ مطبوعات أكسفورد كلارندن ١٩٦٨، ص ١٣٤ بالإنكليزية، وهذه وثائق مصوَّرة عن الأصل الذي عليه شعار وخاتم زعيم الوهابية.

أهل مصر وجدة وشحر والمكلا ومسقط والبصرة وأهل فارس التابعين لسعيد بن سلطان! إنهم كلهم أعداؤنا، فسنقتلهم حيث ثقفناهم، تنفيذاً لأوامر الله فيهم، الله أكبر»[١]، هكذا وبكل وضوح: المسلمون أعداؤهم، والنصارى أولياؤهم!

لقد تمردت الدولة الوهابية الفتية على كل الثوابت الأخلاقية التي لا يرضى بتجاوزها حتى النصارى المستعمرون فأبادوا ألوفاً لا تحصى من أهل جزيرة العرب وما حولها وضربوا عليهم الجزية أخزاهم الله حتى اضطرت بريطانيا لتهديدهم في بعض المواقف ليكفوا عن الناس.

ويوم أن آذنت شمس الإمبراطورية البريطانية بالأفول تولت رعاية دولة الوهابية قوة جديدة هي الولايات المتحدة الأمريكية ليبدأ عصر جديد لا داعي فيه لجيش الإخوان!

فتاوى في خدمة الاستعمار

الكثير من مواقف علماء الوهابية الخاصة بقضايا الأمة المصيرية ووحدتها مثار تساؤل واستغراب، فما هي مصلحة كبار علماء الوهابية في فتواهم ضدَّ المجاهد أسامة ابن لادن؟! وهل من يقول بأن جزيرة العرب يجب ألا يجتمع فيها دينان، ويجب ألا تبقى فيها قاعدة للنصارى واليهود هو مجرم؟!

لقد أجاز كبار علماء الوهابية دخول اليهود والنصارى أرض الحرمين الشريفين لضرب أهل العراق المسلمين[٢]، بل وأفتى كبيرهم ابن باز بجواز قتل

---

١ . إبراهيم عبدالعزيز عبدالغني، صراع الأمراء، دار الساقي، لندن، ط١، ص ٧٦

٢ . بل وألف عالم الحديث الشيخ ربيع المدخلي في ذلك كتاباً يرى فيه أن أمريكا وبريطانيا خير من العراق وأهل العراق!!



العراقيين وإن كانوا في الصلاة أي أقرب ما يكونون إلى الله، مع أنه هو ذاته الذي حرَّم استعانة جمال عبدالناصر بالخبراء الروس في محاربة إسرائيل[١]!

ولقد أجاز رئيس هيئة كبار العلماء والمفتي العام للوهابية للملك لبس الصليب بدعوى أن في ذلك مصلحة للإسلام! وقد نشرنا نص الفتوى في هذا الكتاب.

وقد أفتى علماء الوهابية بمنع الدعاء على دول اليهود والنصارى بحجة أن ذلك ليس من أخلاق الإسلام!! وقد نقلنا التعميم الذي وُزِّع على الخطباء في هذا الكتاب.

ولقد وقف الوهابية ضدَّ كل حركة تحاول لمَّ شتات المسلمين، وموقفهم المفضوح ضدَّ الوحدة السورية المصرية عام ١٩٥٨ وتآمرهم عليها أحد الشواهد المنسية، حيث أنفقوا اثني عشر مليون جنيه من أجل إسقاطها في ٢٨/ ٩/ ١٩٦١.[٢]

ووقفوا ضدَّ الوحدة اليمنية الأولى بكل طاقتهم فقد ذكرت جريدة النداء اللبنانية، بتاريخ ٢٩/ ٦/ ١٩٧٣ أنه: (بعد التوقيع على اتفاقية الوحدة بين شطري اليمن أخذت السعودية تسرع في تجميع الهاربين منذ مدة من اليمن الديمقراطية وتقيم لهم المعسكرات وتسلحهم وتمدهم بالمال للقيام بنشاط

---

١ . الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، (نقد القومية العربية)، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة، ١٤٠٨هـ، ص ٢٩ وما بعدها. وقد غلا الشيخ غلواً شديداً في نقده هذا فحرم استخدام أفراد المشركين أو الاستعانة بهم في أعمال الهندسة والطب وغيرها ولم يأذن بذلك حتى في الضرورة! واليوم يبيح لليهود والنصارى جزيرة العرب! فسبحان الله الذي قضى أن يكون من علماء هذه الأمة من يحرف الكلم عن مواضعه كما فعل أحبار بني إسرائيل!

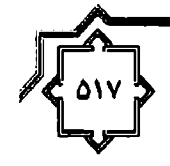
٢ . (بصراحة عن عبدالناصر) حوار مع محمد حسنين هيكل، تأليف فؤاد مطر. نقلاً عن عبدالرحمن الشمراني، فيصل القاتل والقتيل، ص٢٢١.

تخريبي ضد اليمن الديمقراطية كما قامت السعودية باستكمال تنظيم ما يسمى «بجيش تحرير جنوب الجزيرة العربية وحضرموت» بهدف فصل حضرموت والاستيلاء عليها)

نعم أيها المسلمون إنه الكره الشديد لأي وحدة صف بين المسلمين، إنه الولاء لليهود والنصارى، ولكن أخطر ما فيه أن أصحابه يلبسون مسوح أهل التقوى، وليس لهم همٌّ إلا قتال المسلمين وشغلهم ببعضهم!

إن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ملاحظة مهمة: رغم كلِّ ما أسلفنا فلا يدورنَّ بخلد من يقرأ عن الوهابية أن كلَّ من سار دربهم هو عميل لقوى الاستعمار أو أنه يتربصُ بالأمة الشَّر، كلا فأكثرهم أحد شخصين إما خارجي متطرف يظن أن الفكر الدامي الذي يعتنقه هو الإسلام الحق وهو معادٍ للنصارى واليهود وأعداء الدين، وإما شخص مخلص ما دخل في هذا التوجه إلا بحسن نيَّة يبتغي مرضاة الله ظناً منه بأن ما جاور البيت العتيق وقبر المصطفى من إسلام فهو الحق الذي لا محيص عنه ولا يدري بأن الوهابية قد جوَّعوا أهل الحرمين إلى قرابة الموت في حصارهم لهما حتى استولوا عليهما، ولا يدري من قريب أو بعيد بأن محمد ابن عبدالوهاب ما هو إلا هذا الذي ذكرنا وصفه، بل لقد صُوِّر للمخدوعين هذا الرجل مجدِّداً مصلِحاً أمات البدعة وأحيا السنَّة، لذا فهؤلاء بحاجة إلى من ينبههم إلى ما هم عليه من خطأ؛ ويوقظهم من غفلتهم خصوصاً وقد ضربت على أكثرهم ستائر من حديد كي لا يعلموا الحقيقة، ومهما يكن من أمر فإن هؤلاء المخدوعين قد أرادوا الحقَّ فأخطأوه فليسوا كمثل قادتهم الذين أرادوا الباطل فأصابوه، ولا بدَّ أن يُظهر الله الحقَّ ويجمع عليه الأمَّة طال الدهر أم قصُر ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾.



الفصل التاسع: الختام

المذهب الوهابي مذهب مغلق رافض لكل المذاهب الأخرى، ولا يتعايش مع أي منها. فهو الدين كاملا، وهو الإسلام نفسه كما يفهمه أصحابه. لا قبله ولا بعده. فإما أن تكون من أتباعه وإلا فهو يرفضك. وهذا سبب عدم انتشاره خارج نجد وبعض شواطئ الخليج[١].

إننا نؤمن أن الوهابية شجرة خبيثة، نبتت في ماء عكر، لا قرار لها، واجتثاثها أمر حتمي لا محالة بإذن الله، فأسباب زوالها كامنة فيها، وإن غدا لناظره قريب.

بعض الآثار الوخيمة للبدعة السلفية

العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، اضطر بعد تفاقم فتنة السلفية أن يتعامل معهم بمبضع الجراح النطاسي، وذلك في كتابه القيِّم (**السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**)[٢]، فأثبت أن الفكرة السلفية بدعة في ذاتها، وتحدث عن بعض الآثار مكتفياً بها عن الإطناب والاستقصاء، وهي كافية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فقال:

(الأمر الأول: الأذى المتنوع البليغ الذي انحط في كيان المسلمين من جراء ظهور هذه الفتنة المبتدعة، فلقد أخذت تقارع وحدة المسلمين، وتسعى جاهدة إلى تبديد تآلفهم وتحويل تعاونهم إلى تناحر وتناكر. وقد عرف الناس جميعاً أنه ما

---

١ . الإعلامي البارز رياض نجيب الريِّس، رياح السَّموم، ط٣، ص ٢٠١.

٢ . دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٩٦

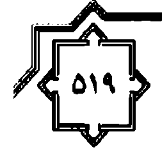
من بلدة أو قرية في أي طرف من أطراف العالم الإسلامي إلا وقد وصل إليها من هذا البلاء شظايا، وأصابها من جرائه ما أصابها من خصام وفرقة وشتات. بل ما رأيت أو سمعت شيئاً من هذه الصحوة الإسلامية التي تجتاح اليوم كثيراً من أنحاء أوربا وأمريكا وآسيا، مما يثلج الصدر ويبعث على البشر والتفاؤل، إلا ورأيت أو سمعت بالمقابل من أخبار هذه الفتنة الشنعاء التي سيقت إلى تلك الأوساط سوقا، ما يملأ الصدر كربا، ويزج المسلم في ظلام من الخيبة الخانقة والتشاؤم الأليم.

كنت عام ١٤٠٦هـ واحداً ممن استضافتهم رابطة العالم الإسلامي للاشتراك في الموسم الثقافي، وأتيح لي بهذه المناسبة أن أتعرف على كثير من ضيوف الرابطة الذين جاءوا من أوربا وأمريكا وآسيا وإفريقيا، وأكثرهم يُشرِفون في الأصقاع التي أتوا منها على مراكز الدعوة الإسلامية أو يعملون فيها. والعجيب الذي لابدَّ أن يُهَيِّج آلاماً ممزقة في نفس كل مسلم أخلَص لله في إسلامه، أنني عندما كنت أسأل كلاً منهم عن سير الدعوة الإسلامية في تلك الجهات أسمع جواباً واحداً يطلقه كل من هؤلاء الإخوة على انفراد، بمرارة وأسى، خلاصته:

المشكلة الوحيدة عندنا هي الخلافات والخصومات الطاحنة التي تثيرها بيننا جماعة السلفية..

ولقد اشتدت هذه الخصومات من بضع سنوات في مسجد واشنطن إلى درجة ألجأت السلطة الأمريكية إلى التدخل، ثم إلى إغلاق المسجد لبضعة شهور!

ولقد اشتدت هذه الخصومات ذاتها واهتاجت في أحد مساجد باريس منذ ثلاثة أعوام، حتى اضطرت الشرطة الفرنسية إلى اقتحام المسجد. والمضحك



المبكي بآن واحد أن أحد أطراف تلك الخصومة أخذته الغيرة الحمقاء لدين الله ولحرمة المسجد لما رأى أحد رجال الشرطة داخلاً المسجد بحذائه[١]، فصاح فيه أن يخرج أو يخلع حذائه. ولكن الشرطي صفعه قائلاً: «وهل ألجأنا إلى اقتحام المسجد على هذه الحال غيركم أيها السخفاء؟!»..

وفي إحدى الأصقاع النائية حيث تدافع أمة من المسلمين الصادقين في إسلامهم عن وجودها الإسلامي، وعن أوطانها وأراضيها المغتصبة، تصوَّب إليهم من الجماعات[٢] السلفية سهام الاتهام بالشرك والابتداع، لأنهم قبوريون[٣] توسليون، ثم تتبعها الفتاوى المؤكدة بحرمة إغاثتهم بأي دعم معنوي أو عون مادي!

ويقف أحد علماء تلك الأمة المنكوبة المجاهدة ينادي في أصحاب تلك الفتاوى والاتهامات:

يا عجباً لإخوة يرموننا بالشرك، مع أننا نقف بين يدي الله كل يوم خمس مرات نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾!.

ولكن النداء يضيع ويتبدد في الجهات دون أي متدبر أو مجيب!)[٤]

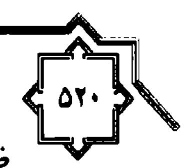
---

١ . الوهابية هم أول من يدخل المسجد بأحذيتهم المملوءة بالقاذورات إلى محاريب المساجد والصفوف الأولى منها بحجة المسح على الخفين. إنه الفقه الأحمق الذي لا يستطيع حتى على أقل تقدير أن يميِّز بين فراش وحصباء!

٢ . لاحظ دقة الأستاذ العلامة فهؤلاء جماعات كثيرة لا جماعة واحدة ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾، وليس آخرهم الجامية، شغلهم الله بأنفسهم.

٣ . وهذه الكلمة من أخطاء أدعياء السلفية، وقلة بضاعتهم في اللغة استخدمها الشيخ لأنها متداولة لديهم، فالنسبة تكون للمفرد لا للجمع. ثم يدَّعون أنهم أوصياء الله على خلقه لإفهامهم القرآن والسنة.

٤ . البوطي، السلفية مرحلة زمنية، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥



ثم يتحدث الشيخ عن الأمر الثاني وهو ما وجده أهل الفكر اليساري في ظهور جماعة تسمي نفسها بالسلفية من مرتع خصب في مجال تحليلاتهم الماركسية الجدلية للتاريخ والتراث[١] التي تعتمد على صراع التناقضات، حيث فتّشوا في تاريخ الإسلام فلم يجدوه إلا عند أدعياء السلفية مُشَكِّلاً في نظرهم العصب التناقضي الممتد منذ فجر الإسلام إلى اليوم[٢]، ويقول هناك حفظه الله: (شيء رائع حقاً هذا الذي عثر عليه منظرو المادية الماركسية بفضل مبتدعي المذهب السلفي، بل بالتعاون فيما بينهم! وهو وإن لم يكن تعاوناً مُبَرمجاً مقصودا ولكنه تعاون واقعي متناسق، فلقد كان على السلفية أن يبتدعوا هذا اللقب والمضمون والجماعة ويقحموه إقحاماً في مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي؛ وكان على دعاة المادية الجدلية أن يسرعوا فيصبغوا التاريخ الإسلامي كله منذ أول بزوغه بهذه البدعة الطارئة، ثم أن يقفوا يشرحون للناس في زهو وشعور بالانتصار، كيف تكوَّن الفكر الإسلامي مع حصيلته الحضارية من صراع الظروف والمصالح المتناقضة، وكيف أن الصراع (التاريخي) بين المذهبين السلفي والانفتاحي لم يكن إلا الأداة المادية الحتمية لهذه الصيرورة التاريخية المستمرة!)

ثم يصف جهل أدعياء السلفية، وغفلتهم[٣] عما يتسببون فيه من أذى قائلا: (والمصيبة الفادحة أن معظم هؤلاء الإخوة الذين يميِّزون أنفسهم عن عامة المسلمين بشارة السلفية لا يقرأون.. ولا يحركون عقولهم وأفكارهم إلا في دائرة الفكر (السلفي) التي حصروا أنفسهم وعقولهم فيها.. لذا فهم في غفلة تامة عما يفعله المبطلون من ورائهم..)[٤]

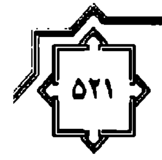
---

١ . يعنون بالتراث عندما يتحدثون عن الإسلام: القرآن والسنّة!

٢ . المصدر السابق، ص ٢٤٧ـ ٢٤٩

٣ . هذا من تمام أدب الأستاذ الشيخ، وإلا فإن كثيراً من هؤلاء يعملون مع سبق الترصد والإصرار.

٤ . البوطي، السلفية مرحلة زمنية، ص ٢٥٠



أقول إنه ليس من العجب أن لا يجد فكر ابن تيمية المتهالك رواجاً في بلاد الشام، وسورية على وجه الخصوص مع أنه خرج منها، لوجود علماء أفذاذ كهذا العلم البارز يرد عنها كيد المبطلين، وليس العجب أن يهاجر ذلك الفكر المريض فيجد ضالته في بلاد مسيلمة الكذاب فيعشش فيها، ولكن العجب أن يسيطر خوارج نجد على مهبط الوحي ومهاجر الرسول ﷺ فيغتر بوجودهم هنالك العامة فينساقون وراء تباكيهم في الصلوات مستقلين صلاتهم إلى صلاتهم! فسبحان من ابتلى أصحاب رسوله بمسيلمة وجيوش الردة، وابتلانا بأحفادهم أدعياء السلفية يمزِّقون أوصال الأمة!

أسئلة تبحث عن جواب

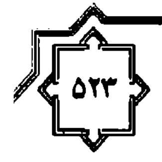
١. أيها الوهابية لقد بنيتم عقيدتكم الفاسدة على أن معبودكم يعلوكم مكانا، وحددتم هذا المكان بأنه السماء، وعليه فإن الأرض لا يمكن أن تكون كرة تدور، وألَّفتم في ذلك الكتب ومنها كتابكم (هداية الحيران في مسألة الدوران) وقد ضللتم العلماء كسيد قطب والشيخ الزنداني ـ وفي مقدمة المضلِلين مفتيكم ابن باز ـ ظانين أنهم وحدهم يقولون ذلك، بل وذهبتم أبعد من ذلك حيث أفتى إمامكم الأكبر بقتل من لم يتب عن القول بدوران الأرض واستحلال ماله، فماذا لو أثبت لكم ابنكم رائد الفضاء (سلطان) بأن الأرض تدور، ألن تنهدم عقيدتكم العجيبة على رؤوسكم المتحجرة؟!

٢. يقول مشايخكم ـ الذين تبنيتم آراءهم الشاذَّة وقدمتم كلامهم على كلام غيرهم ـ بأن النار ستفنى، ولا ندري أذلك من جهل بالقرآن الكريم المنادي في آيات كثيرة: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً**﴾، وقوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾ والآيات الناصة على أنَّ النار ساءت

مستقراً ومقاما، وأحاديث الرسول الكريم كهذا الذي رواه مسلم في كتاب صفة الجنة: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ [زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ] فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ وَيُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ قَالَ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا**»، أم أنَّ ذلك إشفاقٌ على إبليس وأبي جهل وأُبَيّ بن خلف، أم تعمُّد المناقضة لكلام الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ﷺ؛ فهل من دليل تنقضون به كتاب الله وسنة رسوله؟!

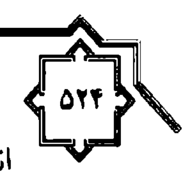
٣. عقيدة فناء النار مما يميِّز الجهمية عن غيرهم من فرق الإسلام وأئمتكم الكبار ممن يقول بنفس قولهم، ثم نراكم على المنابر تتنقصون بالمذاهب الإسلامية على أنهم جهمية معطلة؟! ألستم أنتم من تبنى آراء الجهمية، أم أنها رمتني بدائها وانسلَّت؟!

٤. طالبتم عند بزوغ دعوتكم الناس بالهجرة إليكم في نجد، كما ذكر ذلك شقيق محمد بن عبدالوهاب المعاصر للأحداث ومؤرخوكم كابن بشر، والكل يعلم أنه لا هجرة بعد الفتح أي لا هجرة من مكة المكرمة، وقد روى مسلم في كتاب الحج قوله ﷺ «**المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدله الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة**» فكيف طالبتم الناس بالهجرة إليكم علماً أن الرسول الكريم قال «**رأس الكفر نحو المشرق**» والمشرق بالنسبة للمدينة المنورة جهة نجد، وفي رواية «**الإيمان يمانٍ والفتنة من ههنا حيث يطلع قرن الشيطان**»



وفي الصحيحين أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال وهو مستقبل المشرق «إن الفتنة ههنا».. وللبخاري مرفوعاً في كتاب الجمعة: قَالَ «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ هُنَاكَ الزَّلازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**» وقد رواه في كتاب الفتن أيضا، كما رواه الترمذي في كتاب المناقب، ولأحمد من حديث ابن عمر مرفوعا: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي صاعنا وفي مدنا وفي يمننا وشامنا ثمَّ استقبل الشمس فقال ههنا يطلع قرن الشيطان» فلماذا ورب الكعبة ناديتم الناس للهجرة إلى نجد في بداية دعوتكم وهي شرُّ أرض الله مطالبين الناس بترك مكة والمدينة؟!

٥. تدَّعون بأنه لولا خروج دعوتكم لعادت جزيرة العرب إلى عبادة الأصنام. وقد روى مسلم في كتاب الفتن: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعبداللاتُ وَالْعُزَّى فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيَبْقَى مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ** وحَدَّثَنَاه مُحَمَّدُ بن الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُالْحَمِيدِ ابْنُ جَعْفَرٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَه، وفي كتاب الإيمان: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِالله وَحَجَّاجُ بن الشَّاعِرِ قَالُوا حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عبدالله يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** ﷺ **فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ الله هَذِهِ الأُمَّةَ**».



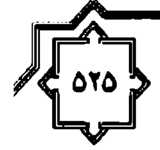
فهذه الأحاديث وغيرها مصرحة أن الأصنام لا تعبد في هذه الأمة إلا بعد انخرام أنفس جميع المؤمنين آخر الدهر وذلك أن النبي ﷺ ذكر عبادة الأوثان وأنها كائنة فعرضت عليه الصديقة مفهومها من الآية الكريمة أن دين محمد ﷺ لا يزال ظاهرا على الدين كله وذلك أن عبادة الأصنام لا تكون مع ظهور الدين فبين لها ﷺ مراده في ذلك وأخبرها أن مفهومها من الآية حق وأن عبادة الأصنام لا تكون إلا بعد انخرام أنفس جميع المؤمنين، وأما قبل ذلك فلا، وهذا بخلاف مذهبكم فإن اللات والعزى عبدت على قولكم في كل بلاد المسلمين من قرون متطاولة ولم يبق إلا بلادكم (نجد) فكيف تردون على النبي ﷺ في هذا؟!![1].

٦. كثير من كتب المسلمين تحذرون من قراءتها[2]، أما كتب الدعوة، والكتب الفكرية فممنوع دخولها إلى الديار التي تحكمون، وخاصة مؤلفات سيد قطب ورموز النهضة الإسلامية، فيها أيها الوهابية ما سرُّ ذلك؟! أهو كره لعظماء الأمّة أم خوفٌ على عقيدتكم، فصاحب البناء القوي المتين لا يخاف الرياح؟! ورسول

---

١ . الأسئلة الثالث والرابع منقولة من كتاب الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدي، ونقلناها باختصار، وإلا فإنه قد توسع في الأدلة في فضح الوهابية.

٢ . ككتب الإمام أبي حامد الغزالي فتحذرون منها اتباعاً لابن تيمية (شرح العقيدة الأصفهانية ص ١١٥) ونقم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن على من سمع أنه قرأ كتاب الإحياء فألف رسالة طويلة يشتم فيها الغزالي وكتابه (مجموع الرسائل والمسائل النجدية ج ٣ ص١٣٠ ـ ١٣١) لأن الذهبي قال فيه بأن بكتابه السموم والأضاليل (نفس المرجع ص ١٣٤)! أقول كم من الخير في الإحياء خصوصاً إذا ما قورن بكتب من يقولون بفناء النار، وقد غلب على الذهبي تأثره بشيخه السابق ابن تيمية في اللمز فهو يشير إلى كثير من العلماء بلفظ (حيوان)!! كما فعل مع عبدالوهاب بن موسى (الميزان ٢/ ٦٨٤) وكذلك مع موسى بن عبدالله الطويل (الميزان ٤/ ٢١٠) وسمى آخر كلباً!! (السّير ٢٠/ ٥١٦) ولا يتردد حتى في نعت الحاكم بالجهل فيخاطبه وهو في قبره بقوله (فما أجهلك) (تعليق الذهبي على المستدرك ٣/ ١٢٩)!.



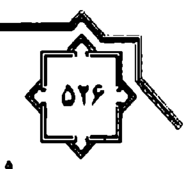
الله الكريم ﷺ لم يَخَف حتى من اليهود وعقيدتهم الفاسدة فعاشوا معه في المدينة المنورة، يجالسهم ويجالسونه وأصحابه، ولم يجلِهم بسبب عقيدتهم وإنما أجلاهم بسبب خيانتهم، وكتب المسلمين أولى من كتب اليهود وعقائدهم، أليس لكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة؟!

٧. مكتباتكم تطفح بكتب أنفقتم عليها جهدكم وأموالكم في سبيل الطعن في علماء المسلمين، نحو كتابكم المسمى (الإخوان المسلمون في الميزان) المليء بالسب والشتم والتسفيه لقادة الفكر الإسلامي من أمثال سيد قطب الذي حرمتم الترحم عليه!! ومحمد الغزالي، وأبي الأعلى المودودي، وغيرهم، وحتى الإمام حسن البنا لم يسلم من أذاكم حيث كانت جريمته في نظركم المناداة بالتقريب بين المذاهب الإسلامية، فلمصلحة مَن تُشوهون رموز الفكر الإسلامي الحديث، وتكرهون التقارب بين المسلمين؟!

٨. كنتم أيها الوهابية ولا تزالون وراء الكثير من المآسي، والحروب الأهلية في الدول الإسلامية، فأياديكم غير خفية في الساحة الأفغانية[1] حتى قبل إنشاء مجلتكم مجلة الضرار (المجاهد) التي ما قامت إلا للتشويش على الشيخ عبدالله عزام وإخوانه دعاة وحدة الصف الأفغاني أصحاب مجلة (الجهاد)، وبعد ذلك أيضاً بدعمكم لبعض الأطراف ضدَّ بعض، فلمصلحة أي دين تفعلون ذلك؟!

---

١ . دور الوهابية في الفتنة الأفغانية طاف على السطح، وخير من يتحدث عنه هم أطراف الصراع على الساحة الأفغانية، لذا راجع مواقع هذه الأطراف على الساحة العالمية للمعرفة (إنترنت) لترى ذلك، ولكنها باللغات الأجنبية، ومنها هذه الصفحة (بنية الحكومة الأفغانية والتفصيلات) Afghan Government Structure and Details؛ خصوصاً موضوع Let's share the loot (فلنقتسم الغنيمة) وراجع كذلك كتابات الدكتور محمد المسعري على موقع لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية www.ummah.net/cdlr



والمتابع لأوضاع المسلمين، وأسرار مآسيهم يرى أياديكم الخفية في السودان ولبنان والجزائر، وأنتم وراء كل فتنة حتى في الدول المستقلة عن الاتحاد السوفييتي؛ ويكفي أن إمام الجامع في جروزني عاصمة الشيشان قد قتل غيلة بسبب رفضه الانصياع للفكر الوهابي، وفضحتكم بنشره حتى وسائل الإعلام المسالمة لكم كهيئة الإذاعة البريطانية. فما سرُّ عدائكم لكل ما هو إسلامي؟!

٩. ثبت أن المراكز الإسلامية التي أنشأتموها في مختلف أرجاء العالم، أو تلك التي بادرتم إلى استغلال عوزها المادي فحولتموها إلى مراكز للدعاية الوهابية، هذه المراكز إنما كانت عاملاً في فرقة المسلمين، ومن عاش في الولايات المتحدة أو أوربا الغربية من أبناء المسلمين يعي ذلك جيدا، خاصة وأنها موجهة لغرض معين، ويكفي دليلاً أنه لا يسمح بتولي الإمامة فيها إلا لمن يتم تحديده من قِبَلِكم، ولا يجوز تداول الكتب فيها إلا تلك التي تخدم أغراضكم، وكثيراً ما تكون سبباً في خلق الفتن والخلافات المذهبية، وليس آخرها مسجد جامعة كرانفيلد بالمملكة المتحدة حيث كان الطلبة يعيشون في وِئام يتقدمهم في الصلاة أحفظهم لكتاب الله، ويجتمعون لحلِّ مشاكلهم في هيئة جماعة مؤتلفة لا يفرقها جنسٌ أو مذهب، حتى وصلت أياديكم إليها فأثرتم الفتن وفرقتم وِحدة الطلبة على أساس مذهبي، حتى تفرق شملهم، وخلا المسجد من أهله، فلمصلحة مَن تفعلون ذلك، وهل هذه هي أخلاق الإسلام التي تدَّعون؟!

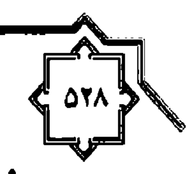
١٠. قتلتم في ثورتكم الهوجاء الكثير من أهل جزيرة العرب قبل استيلائكم على الحرمين الشريفين وبعده، وافتخرتم بذلك في كتبكم مثل (عنوان المجد في تاريخ نجد) وذلك كاستحلالكم لدماء أهل الاحساء وقطر والبحرين والقطيف وسبهات وجبل شمّر والأردن وبلاد الشام وعمان والعراق وغيرها من البلاد، فما دليلكم على جواز قتلهم وسبيهم؟!



١١. مازلتم تضربون الناس على الملأ في الحرمين المكي والمدني الآمنين بالسياط، لمجرد التهمة، وقبل المحاكمة، فهل هذا العمل من الإسلام في شيء خصوصاً في البلد الحرام في الشهر الحرام، علماً أنَّ الحدود لا تطبَّق في المساجد، فكيف بالإهانة والضرب قبل الحكم بالحدِّ؟ بل وفي سبيل ادعائكم تطبيق الشريعة الإسلامية قطعتم آلاف الأيدي والأرجل والأعناق بشكل يثير الاشمئزاز كما تثبت ذلك لجان حقوق الإنسان العربية والأجنبية، ومنها اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان في الخليج والجزيرة العربية، التي جمعت تقاريرها حتى سنة ١٩٨٩ ــ التي تشيب لهولها الولدان ـ في كتاب **(حقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية)** علماً أن الحدود الشرعية عند تطبيقها الملتزم بضوابط الشرع الحنيف لم تطبق خلال العصر النبوي ولا العصر الراشد ولا عصور من تبعهم بإحسان من أئمة الهدى إلا على عدد يكاد يحصى بأصابع اليد، فما سرُّ هذه الزيادة المهولة في تبتير الأعضاء في بلادكم؟!

١٢. نلاحظ أنكم لا تترددون في الحكم على المسلم بالشرك لأتفه الأسباب، وهذا من عقائد الصفرية والأزارقة وأضرابهم ممن حكموا على كل مخالف لهم بالشرك، ولكن الفرق الجوهري بينكم أن السابقين لكم لم يكن لهم منعة وسلطان كما هو حالكم اليوم؛ حيث استطعتم تطبيق نظريات أسلافكم على أرض الواقع، بينما لم يستطيعوا ذلك، فهل من فرق بينكم آخر؟

١٣. تنكرون على الإباضية عدم اشتراط القرشية في الإمامة، ولكنكم أخرجتم الأشراف من الحجاز مستنصرين بالإنجليز لتحقيق ذلك، وأرغمتم من بقي منهم بتغيير ألقابهم، فلماذا لا تسلمون الأمر لقريش بينما تعطونه لبني حنيفة؟



١٤. حاربتم الدولة العثمانية وأخرجتموها من الحجاز والإحساء، وواجهكم محمد علي حتى قاد ابنه إبراهيم الأميرَ عبدالله أمير الدرعية إلى القاهرة ثم إلى استنبول ليقطع رأسه هناك أواخر عام ١٨١٨م[١]، فلماذا تشقون عصا الطاعة؟

مقابلة!

في ١٦ محرم سنة ١٣٥١هـ قام أمير الوهابية خطيباً في أهل الطائف بحضور رؤساء البلاد، فقال: (الناس هنا ثلاث: إما مُحِب ومساعد، وإما لا محب ولا مساعد، وإما معاند فقط. والأول له مالنا والثاني نسعى جهدنا في إفهامِه كيف، أما الثالث فجزاؤه ما جاء في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾)اهـ.

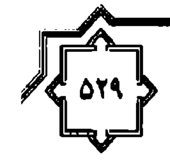
وهكذا يعتبر خوارج نجد عدم رضوخ المسلمين لهم محاربةً لله ورسولِه وفساداً في الأرض، ونحن نقول رحم الله أبا حمزة المختار بن عوف الشاري حين قام خطيباً في الناس فقال: (الناس منا ونحن منهم إلا ثلاثة: مشركاً بالله عابد وثن، أو كافراً من أهل الكتاب، أو حاكماً بغير ما أنزل الله) فالحمد لله الذي ميَّز أقوالنا عن أقوالهم وأعمالنا عن أعمالهم:

لنا الفضل في الدنيا وأنفك راغمٌ ... ونحن لكم يوم القيامة أفضلُ[٢]

---

١. نزلت طلائع المصريين ميناء ينبع في سبتمبر ١٨١١م وكان تعدادها ٨ ـ ١٠ آلاف جندي.

٢. البيت لجرير.



تحسبهم جميعا..

الذين أصيبوا باللوثة الحشوية أول ما يتغير من أمورهم أخلاقهم! حيث تقبح معاملتهم للناس[١]. يضعون هالة من القداسة على علمائهم، ولكن ما إن يختلفوا حتى يكشفوا العورات بشكل لا يمثل أخلاق الإسلام في شيء، وما ذلك إلا لأن هؤلاء العلماء لا يمثلون الإسلام أصلاً، فيتحملهم طلابهم على علاتهم علَّ وعسى، وإذا ما اختلفوا لم يظهروا سوى الحقيقة أو بعضاً منها فيبين العوار الشائن.

ولكي نضع النقاط على الحروف فإننا ننقل هنا مقتطفات من مواجهات بين علماء الحديث من الحشوية؛ واخترنا علماء الحديث لأنهم الأجدر بالتزام أخلاق الإسلام لمعرفتهم بصحيح السنّة من عليلها، ولكن هل كان لهم نصيب من امتثال السنة، إليك حديثهم لتحكم:

بين الشيخ محمد مهدي الإستانبولي والشيخ الألباني:

الإستانبولي هذا هو صاحب كتاب (تحفة العروس) تتلمذ على الألباني هو والشيخ زهير الشاويش قرابة الأربعين عاماً وكانا من أخص تلامذته لديه، وبين الثلاثة صحبة تقرب الأربعين عاماً، اسمع إليه يقول له في رسالة مفتوحة وجهها إليه: «ومن حماقتك وسوء أدبك» وقال له: «إنك تحمل عليَّ الحقد منذ الساعة التي امتنعت فيها من قبول أولادك إلا بدفع الأجرة عنهم، حدثتني بذلك شخصياً فاعتذرت لك، وقلت: بأن المعلمات أصبحن شريكات بسبب الأنظمة الأخيرة؛ فهززت رأسك غضباً، وكل قصدك أكل حقوقهن كما أكلت

---

١ . وهم في ذلك مقتدون بابن تيمية كما ذكرنا في موضوع ابن تيمية ساعة أن ذكرنا أسلوب تعامله مع العلماء.

حقوقي لعدت سنوات بتدريس الأخت ابنتك دون أن تتلفظ بكلمة شكر، ولو فعلت ما فعلت مع هرٍّ لتقدم بالشكر بالطريقة التي فطر عليها، وقد سبقت بسلوكك الشاذ هذا الشيوخ الجاحدين الذين يعتبرون تبرُّع طلابهم ضريبة لازمة وفرضاً عينياً» وقال: «ثم سرقت أموال السلفيين ولم تعدها إلى الجماعة كما تقتضي الأمانة[١]، ورفضت الاحتكام إلى الشرع، فعلت كل هذه الأفاعيل التي ذكرت بعضها، وسأذكر بعضها الآخر» وقال: «إنما فعلتَه في تلك الليلة من توجيه الكلام القاسي لك بسبب سلوكك الأحمق الشاذ» وقال: «ومن أقبح وأحمق سلوكك وقلة أدبك» وقال: «تقول إنك تريد لقمة الأكل؛ وهل فعل ذلك أتباع الرسل؟ هلا شكوت إلى إخوانك فيساعدونك كما ساعدوك مراراً بناء على اقتراحي أيها الكنود، عفواً ليس لأجل لقمة الطعام بل لأجل التكاثر في الأموال...».

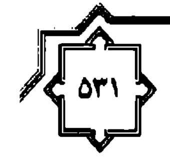
بين الشيخ زهير الشاويش والشيخ الألباني:

واسمع إلى الشاويش يقول عن الألباني معلقاً على كتاب (تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب[٢]) طبع المكتب الإسلامي: «وأخصُّ الذي آتاه الله العلم فانسلخ منه؛ بلعام[٣] ذاك الزمان ومن سار على دربه واقتفى آثاره من بلاعيم هذه الأيام، وإلى صاحب إبليس من هو بالدس والاحتيال معروف، وإلى المذمم الكريه، وإلى من هو بالشؤم في الشرق والغرب موصوف، وإلى من زاد على الإبالة ضغثاً وفاق كل من سبقه وخالف كل مظنون؛ حتى كدنا نتوهم

١ . أقول: كم هو جميل دفع التبرعات لمثل هؤلاء المشائخ الكبار!!!

٢ . هذا من أجمل أقوال بعضهم عن البعض الآخر!!

٣ . هو بلعام بن باعوراء من بني إسرائيل الذي يروى أن قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ نزل فيه. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، سورة الأعراف آية ١٧٥.



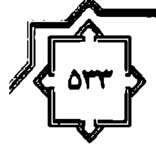
الحديث الموضوع صحيحاً، أبت النفوس اللئيمة أن تغادر الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها، وكان من فعله أن أخرجت هذا الكتاب من محبسه».

وقال عنه أيضاً: «ومن العجائب أننا رأينا من بعض المشايخ أشد من ذلك؛ فقد بلغني أن أحدهم يقول لمن لهم عليه حقوق مادية: عليكم بالتسليم لما أقول ولا تناقشوا ولا تجادلوا واقبلوا ما أعترف لكم به فقط لأنني لا أكذب... وغفل هذا المغرور بأنه لو كان عندهم لا يكذب فقد يهم أو ينسى، وفي طلبه هذا منهم عنتٌ وجبروت؛ لأن الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يسمح لكل نفس أن تجادل عن نفسها، بل أكاد أقول: إنه بهذا ممن يسمِّي نفسه طاغوتاً، نعوذ بالله من الجهل والجبروت»اهـ

بين الشيخ عبدالرزاق الشايجي والشيخ ربيع المدخلي والشيخ بكر أبو زيد:

يقول الشايجي: «... وبعد فهذا خطاب مفتوح موجه إلى فضيلة الشيخ ربيع ابن هادي المدخلي» يقول له: «وليست فعلتكم هذه بأول أفعالكم مع الدعاة، وطلبة العلم بل والعلماء والمصلحين عامة، ولا هي كبوة تخالف سجيتكم على كل حال..» ويقول: «يبدو أنكم أدمنتم الاستطالة في أعراض المسلمين، وخاصة الدعاة» ويذكر وصف المدخلي له بقوله: «يدافع عن أهل البدع والباطل ويطعن بأهل السنة. منهجه فاسد. يخدم أهل البدع، ويخدم أهل الفتن. كل أساليبه مغالطات وكلامه فارغ وكله كذب، وأخس من أهل البدع. شيطان يعرف الحق ويحاربه، ويحارب أهله وينصر الباطل... سلفيته ما هي إلا مجرد لباس لضرب الحق وإيذائه. رجل لا خير فيه. مصيبة على الإسلام. يجب هجره ويفعل فيه أكثر من الهجران. رجل يكذب ويبالغ ما يصلح للمناظرة جاهل. هذا الرجل ليس له شئ من السلفية» وبعد أن ذكر طائفة طويلة من تشنيعات المدخلي قال: «وألقيتم

بهذا الكلام إلى الطلبة والطالبات في كلية الشريعة التي أقوم بالتدريس فيها عبر الاتصالات الدولية المتكررة... وقد كان سبب توجه هؤلاء الطلبة والطالبات بالسؤال إليكم ـ علماً أنكم تقيمون في المدينة النبوية ـ هو أن بعضاً من دكاترة الكلية يوجه الطلبة والطالبات إلي، معتبرين إياكم إماماً لأهل السنة في هذا العصر، ولا يرضون سوى قولكم فينزلونه منزلة المعصوم لا يجوز لأحد أن يرد عليه ولما كان الشيخ ربيع بن هادي ينـزع في نقده لي وفي غيري من طلبة العلم والدعاة إلى المنهج الذي اخترعه في النقد والذي سماه: منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف وكان قد خرج على المسلمين بهذا المنهج الظالم الذي نسبه إلى سلف الأمة وأهل السنة، والذي يقوم على التعدي والظلم واتهام الناس بالباطل، وإخراج المسلمين من الإسلام، ورميهم بالبدعة والزندقة» وقال: «هذا المنهج الذي سميته (منهج أهل السنة في نقد الرجال الكتب والطوائف) ليس سوى منهج أهل البدع» ثم يقول مفتخراً مدافعاً عن نفسه «وأنا بحمد الله لم أعرف دعوة غير الدعوة السلفية... فعلى أيدي مشايخها تلقيت العلم... فكيف أكون قد دخلت السلفية لهدمها... كما أنه بشهادة أتباعك ومريديك في الكويت أنني من أشد السلفيين دفاعاً عن السلفية..» وقال: «.. وأنا عندما كتبت كتاب (الخطوط العريضة لأصول أدعياء السلفية) لم أذكر أحداً بالاسم» وقال: «قولكم يا شيخ ربيع: إن سيد قطب ما ترك بدعة إلا واحتواها، ولا أصلاً من أصول الإسلام إلا وهدمه» ثم قال محتجاً: «وهل بعد هذا التكفير تكفير إن إبليس نفسه وهو رأس الكفر لا يقال عنه أنه لم يترك أصلاً للإسلام إلا وهدمه، لأنه كان يعتقد باليوم الآخر» ثم قال: «**لا شك أن هذا المنهج الذي يقوم على الظلم وتكفير المسلمين هو منهج الخوارج في تكفير المسلم**



بل إن الخوارج لم يقولوا مثل هذا في الذين يكفرونهم، وهذا يوضح جلياً الأصل الأول الذي ذكرناه عن الطائفة التي أدخلت في السلفية ما ليس فيها، أنهم خوارج مع الدعاة... مرجئة مع الحكام... رافضة مع الجماعات... قدرية مع اليهود والنصارى والكفار ولا شك أن منهجكم يا شيخ ربيع في نقد الدعاة والجماعات، والحكم على الناس ليس هو منهج أهل السنة والجماعة... فإن أهل السنة كانوا أرحم الناس بالمخالفين..».

وقال عن منهج المدخلي كبير علماء الحديث عند الحشوية: «إن هذا يجرئ، وقد جرأ فعلاً صغار الطلاب الذين سمعوا هذا الكلام مسجلاً منكم يا شيخ ربيع في الحكم على المسلمين وتكفيرهم، وتبديعهم، وتضليلهم بأدنى الأسباب. إني أقول للشيخ ربيع وهو أستاذ في الحديث ويعلم مناهج المحدثين في الجرح والتعديل، لقد أفسدت منهج أهل الحديث في النقد، **وجعلت الجرح بالهوى والتعصب والمبالغة**[١]، والظلم والتعدي» «.. وهذا المنهج قد أخرج مجموعة من أتباعكم عندنا في الكويت لا هم لهم إلا التكفير والتبديع والتفسيق والجرح، وهؤلاء قد كفروا مجموعة كبيرة من الدعاة والمصلحين، وأصبح الفتى الصغير بل والفتاة الصغيرة ترى نفسها إماماً في الجرح والتعديل، والحكم على الرجال والجماعات والكتب والطوائف!!» وقال «أنا أعلم أن هذه الورقات القليلة في هذه الرسالة ربما سيكون مصيرها مصير الورقات الأربع المشهورة لشيخنا بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ فقد ناله منكم في كتابكم الذي ملأتموه بالسباب والشتائم ما الله به عليم» وقال له: «أنني سأخرج مذهبكم كله للناس.. ما خفي منه وما ظهر، **وسأنشر على الجميع حقيقة مذهبكم الباطني الذي تخفونه ولا تظهرونه**،

---

١ . ألا ليت كل مغرور بالحشوية يقرأ اعترافاتهم هذه ليرعوي!

وتتعاهدوا[١] على كتهانه[٢] ليعلم الناس حقيقة المنهج الباطل الذي يسمونه، منهج أهل السنة في الحكم على الطوائف والكتب والرجال وعندما يخرج كتاب الخطوط العريضة بطبعته الثانية إن شاء الله موضحاً كل أصل من أصولكم الفاسدة بأقوالكم وأقوال تلاميذكم بنصوصها دون زيادة أو نقصان سيكون هذا إن شاء الله كافياً للقضاء على فتنتكم، وتعريف الناس بحقيقة مذهبكم».

أيها الإخوة؛ هؤلاء هم الحشوية ينهشون لحوم المسلمين، فإذا ما وجدوا سانحة نهشوا بعضهم البعض.

أقول أهؤلاء رجال الحديث النبوي الشريف وحملته لديكم يا خوارج العصر؟!

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

سقوط الوهابية

وبعد أن رأيت ـ أخي الكريم ـ التاريخ الدامي والعقيدة الزائغة والفقه الأعوج والفكر المريض لدى خوارج العصر، لن يشكل عليك كثيراً استشراف زوال هذا السرطان من جسد الأمة سريعاً بإذن الله القدير، وقد أصبح التنافر الكبير، والحرب الداخلية بين أدعياء السلفية على أشدها[٣]، وخصوصاً بعد

---

١ . الصواب (وتتعاهدون).

٢ . هذا مثال على التقية الوهابية، والعقيدة التي لا تنشر!!

٣ . انظر إلى ما يحدث الآن بين سلفية الكويت من تنافس بغيض وتراشق على كراسي البرلمان، حتى قال أحد مرشحيهم «إن نجاحي يتمثل في سقوط النائب فلان» كما جاء ذلك مفصلاً ومن ألسنة أدعياء السلفية على صفحات مجلة (المجلة) عدد (١٠٠٩) ١٣ ـ ١٩/ ٦/ ١٩٩٩، بعنوان (صراع تيارات أم صراع طموحات شخصية. لماذا يتناحر الإسلاميون في الانتخابات الكويتية؟ سلفيون ضد سلفيين..) وأكد ذلك د. عبدالرزاق الشايجي العميد المساعد بكلية الشريعة بجامعة

←



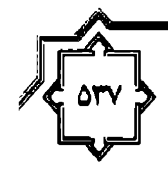
حرب الخليج الثانية، فقد أفتى ابن باز ومن حوله بزيغ كل من عارض دخول النصارى واليهود إلى أرض الحرمين الشريفين، وقد نُكِّل بالمعارضين منهم تنكيلاً لا يجهله المتابع للأحداث؛ وذلك رغم إخلاصهم للفكرة الوهابية، فبأسهم بينهم شديد، ونحن نعلم أن ابن باز خصوصاً أصبح اليوم لا يحظى بشعبية في أوساط المثقفين الذين تربوا في أحضان الفكر الوهابي بعد أن منَّ الله عليهم بالخروج من العزلة والحصار ورأوا الدنيا، ولعلَّ ذلك من سابق عقوبته في الدنيا بعد أن اعتدى على أولياء الله المسلمين بالتكفير.

وقد وقعت في الآونة الأخيرة بعض الحوادث في بلاد الحرمين حيث يتم طرد الكثير من أدعياء السلفية (الوهابية) من الكثير من المجالس والنقاشات العامة، ويبتعد عنهم الكثير من الناس فلا يخالطونهم، ووصل الأمر بأن ضُرِب الكثير من هؤلاء بالعصي أثناء ممارستهم لعملهم هذا الذي يتقاضون عليه أجراً دنيوياً ويسمونه دعوة إلى الله! وفي لقاء ببعض الإخوة من بلاد الحجاز، تبين لنا أن الكثير من المسلمين في بلاد الحرمين يعانون الأمرَّين من شرِّ هؤلاء الوهابية، حيث وصل بهم الحال إلى الاعتداء على ممتلكات الناس ونذكر على سبيل الاستغراب لا التندُّر أنهم مثلا يرمون أطباق الاستقبال الفضائي ببنادق الصيد في أوقات قيلولة أصحابها! ووصل الحال بالناس إلى حبِّ مخالفتهم في كلِّ شيء لأنهم في نظرهم وباء، فتركت الكثير من النساء تغطية وجوههن رغبة في مخالفة هؤلاء بحقٍ أو باطل، وما ذلك إلا لكثرة ما لاقى الناس من صلف الوهابية

الكويت وأحد أقطاب الحركة السلفية، وناظم المسباح أحد شيوخ جمعية إحياء التراث السلفية وسياسييها. هؤلاء هم الذين ينقمون على الإخوانيين مشاركاتهم الانتخابية، وهذه هي الغاية؛ الكرسي وإسقاط بعضهم بعضا!! الطريف أن بهجة السلفيين بنجاحهم ضد دخول المرأة البرلمان عبروا عنها بالتصفيق! وما أدري من أي سلف استقوا المكاء والتصدية!!

وسوء معاملتهم، فهم لا يعرفون الأمر بالمعروف ولا يدعون بالتي هي أحسن، وردة الفعل التي سبَّبها هؤلاء الوهابية عند بعض المسلمين في بلاد الحرمين مؤسفة في بعض جوانبها، حيث إنها تشوه صورة الكثير من القيم الصحيحة في أذهان الناس بسبب صلف هؤلاء الرعاع، حتى اضطرت الدوائر المسؤولة لإقالة رئيس هذا القسم من منصبه وتغيير بعض هؤلاء الرعاة (الدعاة!)، وإعادة تأهيل الكثير منهم علَّ ذلك يُصلح شيئاً من الوضع المختل.

والحقّ أنَّ هذه إرهاصات لما توقعناه من زوال الدعوى الوهابية عاجلاً وقبل زوال النفط، فهي كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض، هيهات لها أن تعيش، وذاك هو الفكر الإلحادي لم يعمر طويلا، حتى رأيناه يهوي على رؤوس أصحابه، ولن يكون الفكر المجسِّمُ المشبِّهُ لله العظيم بأفضلَ من ذلك حالاً؛ فهو عند الله مقيت، لا يتميز عن الفكر الإلحادي بالكثير سوى أنه فكر معادٍ للعلوم الطبيعية التي يرى أنها منافية للدين مفسدة للاعتقاد فهو فكر متحجر لا يؤمن حتى بدوران الأرض، فذاك فكر التفريط، وهذا فكر الإفراط، وإنَّ غداً لناظره قريبُ.

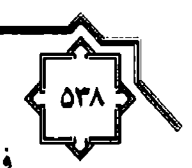


كلمة الختام

وبعد أن عرفت ـ أخي القارئ الكريم ـ طرفاً وافياً عن الوهابية؛ ورأيت نماذج من استباحتهم المجرمة لدماء الموحدين، وامتناعهم عن قتال أعداء الله الحقيقيين، وبعد أن رأيت رميهم المسلمين بالشرك الأكبر لأتفه الأسباب، وكيف يؤمنون بعقيدة التجسيم اليهودية، وتدميرهم لآثار الإسلام، وتمجيدهم لمغتصبي الخلافة الراشدة، وتحقيرهم من شأن زيارة المصطفى ﷺ، بعد أن عرفت كل هذا وزيادة ألا يحقُّ لك أن تتساءل: لمصلحة من يتمّ كلّ هذا؟!

ولك عندي الخبر اليقين،

فمع أننا ممن لا يؤمن بنظرية المؤامرة على عواهنها إلا أن هناك دلائل واضحة تثبت أن أعداء الإسلام يخططون لهدمه ليل نهار، ويكفينا من هذه الدلائل قوله سبحانه ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ فهي سنة ثابتة، وقوله سبحانه لنبيه خاصة وللمؤمنين عامة: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ويكفينا من الأدلة أيضاً قول النبي ﷺ (يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا). إذن فهي حقيقة ثابتة بأنَّ أعداء الإسلام يتَّبعون شتى الوسائل الشيطانية التي لا تخطر ببال للنيل من الإسلام وهدمه، ولعل أخطر أعداء الإسلام اليوم ما يعرف بالماسونية الحرة العالمية؛ لأنها تجمع طاقة اليهود والنصارى في بوتقة واحدة.



ولأولئك الذين يجهلون الماسونية نقول باختصار؛ إن الماسونية الحرَّة نشأت في الأصل على يد اليهود في مصر، واعتنقها فرسان هيكل سليمان أيام الحروب الصليبية، وكانت وراء الثورة الفرنسية. مهمتها إخضاع العالم تحت حزب الشيطان والسيطرة عليه تحت نظام عالمي واحد. تنهج في سبيل ذلك شتى السبل من الجنس والخمر إلى المال والمنصب إلى السيطرة الفكرية والبلبلة العقدية إلى ما وراء ذلك.

لقد سيطرت الماسونية على المال حتى أضحى الربا عمود الاقتصاد العالمي، وسيطرت على الإعلام العالمي، فأضحت حتى الرسوم المتحركة سبيلاً لنشر أهدافها من تمرد على الخالق ونشر للرذيلة، وأضحى الغناء سلاحاً فتاكاً في هذا السبيل؛ سبيل تمجيد الشيطان؛ حتى أنه إذا أعيدت كثير من أشرطة الغناء للوراء ظهر تمجيد الشيطان[1].

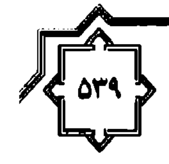
إنَّ الماسونية العالمية تبرمج الحروب وترعاها؛ وختام جهدها حربان عالميتان ثمَّ حرب النفط في الخليج الذي يوجد أكثر من دليل على أن أمريكا ـ راعية الماسونية اليوم ـ خططت لها منذ أكثر من عقد من الزمن! فهي لا تدع للصدفة مجالا، تعمل وفق برامج دقيقة وجدول زمني طويل المدى، شعارها العين الواحدة عين المسيح الدجَّال، يحملها الدولار الأمريكي مع صورة خادم الماسونية في حينه جورج واشنطن.

إنها تتحكم في غذاء البشرية ودوائها بل وأسقامها زاعمة أنها تحيي وتميت من دون الله، سائرة على درب المسيح الدجَّال.

ولقد كان الإسلام من أول ظهوره الشبح المقلق للماسونية، فنهجت شتى السبل للقضاء عليه وتدميره، من غدر يهود المدينة إلى الحروب الصليبية، إلى

---

١ . كما هو في طيات أغاني مادونا ومايكل جاكسون وكثير غيرهم.



يهود الدونمة الذين قضوا على دولة العثمانية، إلى استعمار الدول المسلمة وتفتيتها... ولكن كل ذلك لم يجد، فلا بدَّ من طريق جديد...

فما بال الماسونية الحرة العالمية لا تسمع لنصيحة زويمر الحاضة على إبعاد المسلمين عن الإسلام وتمييع شبابه، بدل أن تكرمهم بدخول اليهودية أو النصرانية؟! وهاهي لا تألوا جهداً في ذلك؛ فنشر المخدرات في ديار الإسلام على أشده، وغالب الأفلام ـ عربيها وأعجميها ـ تدور حول محور تدمير الإسلام وتمييع شبابه[1].

بل وما بال الماسونية لا تنشئ إسلاماً جديداً؟! إسلام يقوم على السيف والجهاد، ولكن هذه المرة ليس إلا في رقاب المسلمين! يقوم على التوحيد ولكنه توحيد يجسِّد الله في صورة يرضاها اليهود[2]! إسلام يرى أهل ملَّة الإسلام مشركين!

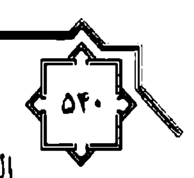
إن شريعة جديدة كهذه يجب أن تكون في قلب العالم الإسلامي النابض، تسيطر على الحرمين الشريفين، تلبس مسوح الإسلام، مؤيدة بكل قوة ممكنة.

ويا لها من فكرة تستأهل كلَّ اهتمام، فقام على رضاعها أبناء مخلصون للماسونية الحرة من أمثال شكسبير وفيلبي وديكسون وكوكس حتى إذا بلغت الفطام شربت من آبار النفط حتى انتفخت أوداجها.

---

١ . وليس آخر ما في الجعبة أغاني الفيديو كليب..

٢ . بعد أن ناظر بعض الإخوة محدِّث الوهابية الشيخ ربيع المدخلي وقالوا له إن عقيدة التجسيم الحشوية عقيدة يهودية قال: لقد وافقوا الحق!! فقالوا له: حشرك الله معهم. وهذا ليس غريب على الوهابية فالشيخ التويجري مؤلف كتاب (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن) الذي حاول أن يثبت فيه الصورة لله تعالى، نقل عن ابن تيمية الحراني (ص٧٦) ما نصه: (**وأيضاً فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتوراة، فإن في السفر الأول منها: (سنخلق بشراً على صورتنا يشبهها)..**)اهـ **فتشبه الحشوية باليهود قديم، فمنهم يستقون العقائد.**



إنها الشريعة الوهابية الجديدة تعبث بالدين بحجة تنزيهه عن الشركيات، شاغلة المسلمين ـ بأمور ما أنزل الله بها من سلطان ـ عن هدفهم الأسمى؛ وهو إنقاذ البشرية من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة!

فهل يعلم أتباع هذا المنهج الفاسد أنهم خدم لأعداء الله من حيث يشعرون أو لا يشعرون[١]؟! وهل سيقف المخدوعون ولو لساعة ليتفكروا في الطريق الوعر الذي سلكوه؟! فهل يفيق خوارج العصر من غفلتهم؟!

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾.

إنَّ يقيننا في الله ونصره كبير، ولو عصفت بنا الزلازل، وكادت لنا الدنيا بأسرها، ولنا في قوله سبحانه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ وقوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ تفريج لكل همٍّ وحزَن.

شهادة ربانية

بعد جهدٍ مضن، وفي مرحلة تصوَّرت فيها اكتمال هذا الكتاب قررت طباعته، ولكن ما إن فتحت تلك النسخة الحديثة منه حتى أصيبت بعطل، فلم

---

١ . لا بدَّ أن أعيد التأكيد في الختام بأن الكثير من أشياع الوهابية اليوم يفعلون ما يفعلون من مهازل لا لأنهم ينطلقون من عداء مبطَّنٍ للإسلام؛ بل لأنهم غُرِّر بهم فاتبعوا داعي الفساد في الأرض ابن عبدالوهاب ظانين بأنه مجدد العصر، فالأساس الذي ينطلقون منه باطل؛ وما بني على باطل فهو باطل. الخطر الكبير هو أن من تغلغلت دعوة الخوارج في قلبه فهيهات هيهات أن يستجيب لداعي الحق «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة»، فتراه يكابر وإن كان الحق أمامه أبلجا!



أستطع فتحها بأي وسيلة!! فأصابني الإحباط والضجر؛ كيف لا وقد أنفقت فيها عشرات الساعات من العمل الدؤوب، وأخذت بيني وبين نفسي أراجع ما يمكن أن يكون سبباً في هذا الابتلاء، وفي مقدمته مدى استحقاق الوهابية لما أكتب فيهم! فكثيراً ما يكون المرء على قناعة بأمر وهو مخطئ جادة الحق، فتوجهت إلى المسجد والوساوس قد أخذت مني كلَّ مأخذ، لأستخير الله في أمر الكتاب والوهابية، فماذا وجدت؟!

والله الذي لا إله غيره الذي رفع السماء بغير عمد أني وجدت أمراً اقشعر له بدني واهتزت له حنايا وجداني؛ فبعد الاستخارة فتحت كتاب ربي سبحانه وتعالى طالباً الحكم الصريح في الوهابية، فما وجدت بين عينيَّ إلا هذه الآيات من سورة الأنفال:

﴿وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٤)وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦)لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ (٣٨)وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠)﴾.

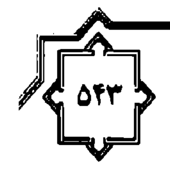
فوالله ما ازددت إلا يقيناً واطمئناناً في وجوب مسارعة الرد على هؤلاء القوم وفضحهم قاتلهم الله، بالحق والبرهان المبين، فعدت وكلي همَّة ونشاط،

وشرعت في الكتاب من جديد، وتبين لي أخيراً أن ما حدث كان نعمة، فقد أعدت تنسيق الكتاب بشكل أفضل ووجدت الكثير من الأدلة والبراهين والمراجع الضرورية، ولولا عطل تلك النسخة لما تنبَّهت لكل ذلك، فالحمد لله ربِّ العالمين.

هذا وإني ألتمس كل من وجد شكاً في نفسه من حقيقة هذا الأمر أن يجلس ساعة مخلصاً بين يدي ربّه فيستخيره في أمر الوهابية فإن الله سبحانه لا بدَّ أن يريه الحق والرشاد.

ألا هل بلَّغت؟ اللهم فاشهد.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.



ملحق شعري: الوهابية على ألسن الأدباء

فرقة بالغرور والطيش ساروا

ونختم كتابنا بشيء من الشعر، فهذه أبيات اقتطفتها من قصيدة عصماء للأستاذ الكبير أبو بكر عبدالرحمن بن محمد بن شهاب المتوفى عام ١٣٤١هـ من ديوانه المطبوع بسنغافورة عام ١٣٤٢هـ، ص ١١٣ ـ ١١٤

فرقة بالغرور والطيش ساروا	في فجاج الضلال سيراً حثيثا
جسَّموا شبَّهوا وبالأين قالوا	لوَّثوا أصل دينهم تلويثا
مَن يعظم شعائر الله قالوا	إنه كان مشركاً وخبيثا
لابن تيميَّةَ استجابوا قديماً	وابن عبدالوهاب جاء حديثا
أعرضوا عن سوا الحقيقة يبـ	ـغون بها يدَّعون مهداً أثيثا
ليت شعري من الذي يقبل الحق	جليّاً ويستهلّ الغيوثا
إذ هم اليوم حزب جهل فأذكا	همُ يميز التذكير والتأنيثا
ويظنّوا تغلُّب الحُمق والغيّ	يداني لدى النِّزال الليوثا
ليس يدرون أنهم ليس يدرون	بل الجهل عمَّهم توريثا
وتسمَّوا أهل الحديث وهاهم	لا يكادون يفقهون حديثا

هم الألى سلبوا الأجيال لقمتها

ويقول عنهم سليمان العيسى[1]:

وبالحرير على أشلائها رفلوا ... هم الأُلى سلبوا الأجيال لقمتها

عين على القدس في ساحاتها قتلوا ... كم أقسموا بالدم المثار لو طرفت

فاسأل، ولو خجل التاريخ مافعلوا ... ومزّق القدس أشلاءً مروّعة

الله أكبر هدَّ الجهل وانكسرا

وهذه قصيدة لمؤلف هذا الكتاب بعثها لأخ كريم مالكي المذهب نافح عن الحق وناصره ولا يزال قائماً به في رده على خوارج العصر؛ بعثتها إليه بعد أن بهرني يراعه وقوة برهانه وسماحة أخلاقه، خلال كتابته على فارس نت، زاده الله من واسع فضله...

الله أكبرُ هُدَّ الجهلُ وانكسَرا ... وشَعشَعَ النورُ في الساحاتِ وانتَشَرا

يا جَهبذاً أشْعَرِيّاً في طريقَتِه ... بدَّدْتَ شُبْهَةَ حَشْوي قدِ افتخرا

قد دنَّسوا الأرضَ تجسِيماً وهَرطَقَةً ... وكَفَّروا مَنْ أبى تَهريجَهم جَهَرا

قد أحرَقُوا كُتُبَ الإسلام وافتَخَروا ... بقتلِهم أهلَ دِينِ الله والفُقَرا

وأعلنوا دولةَ التوحيدِ مملكةً!!! ... فيها يُباحُ حرامُ الله للأُمَرا

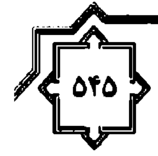
أحكامُهمْ في ضعيفِ القوم نافذةٌ ... لكنَّها في شريفِ القوم محضُ هُرا

فكمْ أيادٍ أُبينَتْ عنْ معاصِمِها ... ظلماً. أيادي ضعافٍ مالهم نُصَرا

يا مذهَبَ الشَّرِّ قتَّلْتَ النِّسا علناً ... في أشهُرِ الحجِّ طُفْنَ البيتَ والحَجَرا

---

[1] . ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، ط. ٣، ص ٥٨٠



وسالَ دَمُ حجيج البيتِ أوديةً ... على مصاحِفِهِمْ. والحيُّ قدْ قُبِرا[١]

ومِن قديم قدْ احتلُّوا مدينتَنا: ... أرضَ السلام وعمَّ الجوعُ واستعرا

وحاصَروا مكَّةَ العظمى بجيشِهِمُ ... أعرابِ نَجْدٍ فطالِعْ عندها السِّيَرا

ترى عُجاباً من الأفعال ما اقترَفتْ ... أيدي المغول وهولاكو الذي بطرا

فيا أخا العلم أقبِلْ إنَّ ساحَتَهم[٢] ... قدْ شوَّهتها جهالاتٌ ومَحْضُ فِرى

أقبِلْ وبدِّد ضَلالاتٍ وأحْجِبةً ... مِنْ الظلام أغَمَّتْ دُونَها القَمَرا

أقبِلْ بِنورِ كتابِ الله ترجُمُهُمْ ... وَسُنَّةِ المصطَفى مَن قادَ وانْتَصَرا[٣]

لكَ السلامُ مديداً دائماً أبداً ... مِن إخوةٍ في (بلاد) الخيرِ أسدِ شرى

قد بايعوا اللهَ أنْ يَمْضُوا بِلا بِدَعٍ ... ما ضرَّهم من غوى درباً ومَن كَفَرا

يَرَون أهلَ كتابِ الله إخوَتهم ... ولا يقيمونَ حولَ الحِزْبِ مؤتمَرا

ولم يَمُدُّوا سيوفاً نحوَهم أبداً ... بل وجَّهوها لِخَصْم الله؛ للكُفَرَا

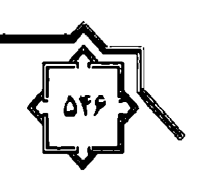
فيا أخي دُمْتَ مَنْصُوراً ولا حُرِمَتْ ... رُبوعُ ساحَتِنا مِن مثلِكُمْ دُرَرَا

---

١ . كثير ممن شهد الحج عام مجزرة الحجاج الإيرانيين قد رأى بأمِّ عينه أحياءَ إيرانيين يرمَون مع الموتى، والأمر لله من جور أهل الباطل ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ولكن أين هؤلاء من التقوى؟!

٢ . المقصود هنا (الساحة الإسلامية) موقع على الإنترنت، وقد كانت بدايتها حرة ينشر بها كل مقال والردود عليه، حتى تحكم مراقبو الوهابية بها، فأضحت لا يكاد يدخلها موضوع غير حشوي إلا حذف من ساعته، فتلوثت أيما تلوث.

٣ . صلى الله عليه وسلّم.



أهم المصادر والمراجع[1]

إبراهيم الراوي الرفاعي، الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية، مطبعة النجاح، بغداد، ١٣٤٥هـ.

إبراهيم بن عثمان الفارس، أشهر أئمة الدعوة خلال قرنين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١٤١٢،١هـ.

إبراهيم عبدالعزيز عبد الغني، صراع الأمراء، دار الساقي، لندن، ط ١، ١٩٩٠

أبو العلى التقوي، الفرقة الوهابية في خدمة من؟، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت.

أبو بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٢هـ.

أبو زهرة، أحمد بن حنبل حياته وعصره، دار الفكر العربي، القاهرة.

أبو زهرة، ابن تيميه حياته وعصره ـ آراؤه الفقهية، متعهد الطبع دار الفكر العربي، القاهرة.

أبو زهرة، المذاهب الإسلامية، المطبعة النموذجية، القاهرة.

أبو نعيم، حلية الأولياء، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٩.

أحمد أبو حاقة (تحقيق)، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ، والمخطوطة الأصل موجودة بالمتحف البريطاني (٧٦٤ صفحة).

أحمد بن حمد الخليلي، وسقط القناع، مكتبة الضامري، السيب، ١٤١٨هـ.

أحمد بن زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية، دار جوامع الكلم، ط٢، القاهرة. والطبعة الأخرى بعنوان المقالات السنية في الرد على الوهابية، البابي الحلبي، القاهرة، ١٣١٩.

أحمد بن زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ٢،٢٢٧، ط. استنبول عام ١٩٨٦م.

أحمد بن زيني دحلان، فتنة الوهابية، استنبول، ١٩٧٨م

---

١ . أوردت اسم صاحب الكتاب بأشهر أسمائه، لا باسمه الكامل لأنني رأيت أن لو قلت مثلاً؛ هذا الكتاب لعز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري، لما كاد أن يعرفه إلا خاصة الخاصة، ولكن إذا قلت ابن الأثير فهو أشهر من نار على علم، وكذلك لم أتبع الأسلوب الغربي الذي يعتمد على ذكر الاسم الأخير، ومثاله (عبدالحليم، أحمد بن) ـ يقصدون ابن تيمية ـ لأنه لا يتناسب وأسلوبنا العربي فهناك مؤلفون اشتهروا بكناهم والبعض بألقابهم وآخرون بقبائلهم وهكذا. وكذلك لم أعتمد (أل) التعريف في ترتيب المراجع.



الألباني، **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**، ط. المكتب الإسلامي، دمشق.

الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ.

ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق محمد ناصر الألباني، ط٨، المكتب الإسلامي، دمشق.

ابن أبي يعلى، **طبقات الحنابلة**، ط السنة المحمدية، مصر.

ابن الأثير، **أسد الغابة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت

ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ.

ابن الأثير، **النهاية في غريب الأثر (الحديث)**، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ

ابن الجوزي، **الرد على المتعصب العنيد**، تحقيق محمد كاظم المحمودي، ١٤٠٣هـ.

ابن الجوزي، **الضعفاء والمتروكين**، حققه عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

ابن الجوزي، **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**، تحقيق الشيخ حسن ابن على السقاف، طباعة دار الإمام النووي ط٢، ١٤١٢هـ عمان. وقد اعتمدنا أيضا على الطبعة التي حققها محمد منير الإمام، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، بيروت.

ابن الصغير، **أخبار الأئمة الرستميين**، المطبوعات الجميلة، الجزائر، ١٩٨٦

ابن باز، **العقيدة الصحيحة وما يضادها**، ط مكتبة ابن تيمية.

ابن باز، **نقد القومية العربية**، نشر المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٨هـ.

ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية، ط١، ١٣٢٢هـ.

ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم**، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٣٦٩هـ.

ابن تيمية، **الحموية الكبرى**، (نفائس: الرسالة التدمرية، والحموية الكبرى) تحقيق حامد الفقي، معمل ومطبعة جمال العبدلي، بغداد.

ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، تحقيق محمد ومصطفى ابني عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

ابن تيمية، **تفسير سورة النور**، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن تيمية، **مجموع الرسائل والمسائل**، طبعة المنار مصر، بدون تاريخ.

ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية**، المكتبة العلمية، بيروت.

ابن تيمية، نقد مراتب الإجماع على هامش كتاب مراتب الإجماع لابن حزم.

ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، دار الفكر، ١٤٠٨هـ.

ابن حبان، **الثقات**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، ط١، ١٩٧٣م.

ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

ابن حجر الهيتمي، **الفتاوى الحديثية**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٣، ١٤٠٩هـ.

ابن حجر الهيتمي، حاشيته على **مناسك النووي**، طبعة المكتبة السلفية.

ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مكتبة المثنى، بغداد.

ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

ابن طولون، **ذخائر القصر**. مخطوط.

ابن عابدين، **رد المحتار على الدر المختار**، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

ابن عدي، **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق الدكتور زهير زكّار، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٨.

ابن كثير، **البداية والنهاية**، دار الكتب العلمية، ط٤، ١٤٠٨هـ.

البخاري، **التاريخ الكبير**، دار الكتب العلمية، بيروت.

البوطي، اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية. مكتبة الفارابي، دمشق.

البوطي، **فقه السيرة النبوية مع موجز تاريخ الخلافة الراشدة**، دار الفكر العربي بيروت ودار الفكر دمشق، ط١٠: ١٩٩١، إعادة ١٤١٦هـ.

بيلي، **رحلة إلى الرياض والأوراق الخاصة**، ترجمة (شرح وتعليق): د. عيسى أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع، المنامة.

البيهقي، **الأسماء والصفات**، تعليق الشيخ محمد زاهد الكوثري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

البيهقي، **السنن الكبرى**، دار المعرفة، بيروت.

بيوض إبراهيم بن عمر، **ثبوت الهلال بين الرؤية البصرية وحساب المراصد الفلكية**، نقله من الأشرطة عمر إسماعيل، راجعه وقدم له وعلّق عليه د. محمد صالح ناصر، مطبعة الألوان الحديثة، مسقط.



جعفر السبحاني، **بحوث في الملل والنحل**، الدار الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٩٩١.

جميل صدقي الزهاوي، **الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق**، ط مصر عام ١٣٢٣هـ.

حسن بن علي السّقاف، **التنبيه والرَّد على معتقد قِدم العالم والحدّ**. الإيداع القانوني لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية ١٩٩٠،٣،١٩٦، الأردن. بدون إشارة إلى دار النشر.

حسن بن علي السقاف، **التنديد بمن عدّد التوحيد** إبطال محاولة التثليث في التوحيد العقيدة الإسلامية، دار الإمام النووي، الأردن، ط٢، ١٤١٣هـ.

حسن بن علي السقاف، **صحيح شرح العقيدة الطحاوية أو عقيدة أهل السنة والجماعة**، ط١، دار الإمام النووي، ص ٢١٣ وما يليها.

حسين بن غنّام، **تاريخ نجد**، أشرف على طباعته عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، السعودية.

حسين عبيد غباش، **عمان الديمراطية الإسلامية** تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي، ط. دار الجديد.

خالد بن حامد العسقلاني، **الردود السلفية على دعاة السلفية**، دار وسنة النشر مغفلتان.

الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤٩هـ.

خليفة فهد، **جحيم الحكم السعودي ونيران الوهابية**، الصفا للنشر والتوزيع، لندن، ط١، ١٤١١هـ.

خير الدين الزركلي، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠.

ديكسون، **الكويت وجاراتها**، تعريب جاسم المبارك.

ديكسون، **عرب الصحراء**، أشرف على ترجمته وحققه ونشره سعود بن غانم الجمران العجمي، ط١، الكويت،١٩٩٧م.

الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، تصحيح عبدالرحمن بن يعلى المعلمي، دار إحياء التراث العربي، مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة.

الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

الذهبي، **العلو للعلي الغفار**، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه حسن بن علي السقاف، عمّان، دار الإمام النووي، ط١، ١٤١٩هـ.

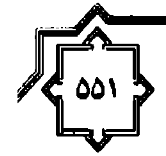
الذهبي، **ميزان الاعتدال**، تحقيق محمد البجاوي، دار المعرفة، ط١.

الذهبي، **نصيحة الذهبي لابن تيمية**، دار المشاريع للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

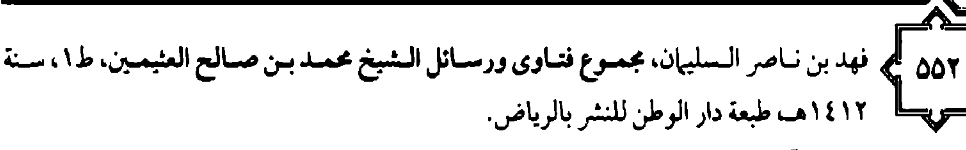
الربيع بن حبيب، **الجامع الصحيح**، دار الحكمة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

رياض نجيب الريّس، رياح السّموم السعودية ودول الجزيرة بعد حرب الخليج ١٩٩١ ـ ١٩٩٤، ط٣

الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، بيروت: دار مكتبة الحياة، ط١، ١٣٠٦هـ.
زهير الغزاوي، **المؤسسات الدينية الإسلامية والكيان الصهيوني**، ط الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ١٤١٦هـ.
سانت جون فيلبي، **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**؛ تعريب عمر الديراوي، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت
السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، مطبعة الحسينية، القاهرة، ١٣٢٤هـ.
سعيد بن خلفان الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، ط وزارة التراث، سلطنة عمان
سعيد بن مبروك القنوبي، **السيف الحاد على من أخذ بأحاديث الآحاد في الاعتقاد**، ط١، مكتبة الضامري، ١٤١٥هـ.
سلامة القضاعي (مقدمة)، **فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان**، ملحق بالأسماء والصفات للبيهقي.
سليم الهلالي، **مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم**، ط١، شركة المطابع النموذجية، ١٤٠٣هـ.
سليمان بن عبدالوهاب النجدي، **الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية**، حققه وقدم له وعلّق عليه إبراهيم محمد البطاوي، ط دار الإنسان، مصر.
السمهودي، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، دار الكتب العلمية، بيروت.
السيوطي، **الخصائص الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
الشبراوي، **الإتحاف بحب الأشراف**، المطبعة الأدبية، مصر، دار الذخائر للمطبوعات.
الشوكاني، **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
صالح بن فوزان الفوزان، نظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان.. من الهفوات، ط٢، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١١هـ.
صلاح الدين خليل الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق هلموت ريتر، ط٢، ١٣٨١هـ.
صلاح العقاد، **جزيرة العرب في العصر الحديث**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٠
الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
الطحاوي، **شرح معاني الآثار أو (معاني الآثار) في مشكل الحديث**، مطبعة المصطفائي، الهند، ١٣٠٠هـ.
عبدالرحمن الخيِّر، الرد على ابن باز رئيس هيئة كبار العلماء في السعودية وحول مقال غلاة الشيعة لم ينقرضوا بعد، أشرف على طباعته هاني عبدالرحمن الخيِّر، توزيع مكتبة الشرق



الجديد، حماة، سورية،١٩٩٦، ١٠، ٢٠٠٠، ط١.
عبدالرحمن الشرقاوي، **الفقيه المعذب ابن تيمية**، سلسلة كتاب اليوم.
عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
عبدالرحمن ناصر الشمراني، **فيصل القاتل والقتيل**، دار الإنسان، بيروت، ط١، ١٤٠٩.
عبدالرحمن ناصر الشمراني، **مملكة الفضائح**، دار الإنسان، بيروت.
عبدالعظيم المطعني، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع، مكتبة وهبة.
عبدالقادر الكيلاني، النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية، مطبعة الفيحاء، دمشق
عبدالكريم بن صالح الحميد، **هداية الحيران في مسألة الدوران**، مطبعة السفير ـ الرياض.
عبدالله الحبشي، **المقالات السُّنِّية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية**، ط٣، ١٤١٧هـ دار المشاريع، بيروت.
عبدالمجيد بدوي، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي، عالم المعرفة، جدة، ط١، ١٩٨٣.
عثمان بن بشر الحنبلي النجدي، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ نشر، وقد فهرس الجزء الأول منه وضبط أسماء البلدان فيه الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة المدرس بالحرم الشريف. وقد اعتمدنا في مواضع معدودة مشار إليها على الطبعة الثانية ببيروت، سنة ١٩٧٤م، والتي حققها عبدالرحمن بن عبداللطيف ابن عبدالله آل الشيخ.
العجلوني، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٥١هـ.
العقيلي، **الضعفاء الكبير**، تحقيق د. عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧.
علي الكوراني العاملي، **الوهابية والتوحيد**، دار السيرة، بيروت
عمر عبدالقادر المغربي، **المهدم من آثار المدينة المنورة**، مؤسسة منشورات الحج، طهران، ط١، ١٤٠٨هـ.
الفقي، **أثر الدعوة الوهابية**، طبع ١٣٥٤ هـ.
فهد القحطاني، **الإسلام والوثنية السعودية**، ط١، ١٤٠٥هـ
فهد القحطاني، **مجزرة مكة**. قصة المذبحة السعودية للحجاج، الصفا للنشر والتوزيع، لندن، ط٢، ١٤٠٩هـ.



فهد بن ناصر السليمان، **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، ط١، سنة ١٤١٢هـ طبعة دار الوطن للنشر بالرياض.

الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، بيروت، دار الجيل.

فيلبي، **تاريخ نجد**، المكتبة الأهلية، بيروت.

القرطبي، تفسير القرطبي المسمى **الجامع لأحكام القرآن**، مطبعة دار الكتب المصرية، ط١٣٦٩،١هـ.

الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، القاهرة، ط١، ١٣٢٨هـ.

كيللي ج.ب، **بريطانيا في الخليج الفارسي ١٧٩٥ ـ ١٨٨٠** ـ مطبوعات أكسفورد كلارندن ١٩٦٨، بالإنكليزية

اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان في الخليج والجزيرة العربية، **حقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية**، ط١، ١٩٨٩

لوريمر ج ج، **دليل الخليج**، ترجمة حكومة قطر، ط٢، ١٩٧٥.

المتقي الهندي، **كنز العمال**، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠٥هـ.

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ط١، مطبعة المنار، مصر، ١٣٤٥هـ.

مجموعة مختارات سجلات بومباي، **موجز تاريخي عن القواسم**، منشورات المكتبة السرية والسياسية بومباي ١٨٥٦ باللغة الإنجليزية.

مجموعة: مختارات من سجلات بومباي، **موجز تاريخي عن القبائل الوهابية العربية**، منشورات المكتبة السرية والسياسية بومباي ١٨٥٦، باللغة الإنكليزية.

مجير الدين العليمي، **النهج الأحمد في تراجم أصحاب أحمد**، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

محسن الأمين، **كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهاب**، تحقيق حسن الأمين، ط٢، ١٣٨٢هـ.

محمد أحمد باشميل، **كيف نفهم التوحيد؟**، الجامعة الإسلامية مركز شؤون الدعوة، المملكة العربية السعودية.

محمد أديب غالب، **من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي**، ط. دار اليمامة للبحث والترجمة والإشراف، ط١، ١٣٩٥.

محمد الكثيري، **السلفية بين أهل السنة والإمامية**، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ.

محمد الموصلي، **مختصر الصواعق المرسلة في الرد على أهل البدع والزندقة لابن القيم الجوزية**، مكتبة القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ.

محمد بن أحمد بن عبدالهادي، **العقود الدرية في مناقب ابن تيمية**، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.



محمد بن خليفة النبهاني، **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

محمد بن عبدالله المسعري، **الأدلة القطعية على عدم شرعية الدولة السعودية**، مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع.

محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه. ط السعودية. يهدى ولا يباع.

محمد بن عبدالوهاب، **الرسائل الشخصية**، ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تصحيح صالح بن فوزان الفوزان، ومحمد صالح العليقي، مطابع الرياض، الرياض، ط١٣٩٨،١هـ.

محمد بن عبدالوهاب، **كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، طبع المكتب الإسلامي بدمشق، ١٩٦٢.

محمد جواد مغنية، **هذه هي الوهابية**، دار الجواد، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

محمد حامد الفقي، **أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح**، مطبعة النهضة، القاهرة، ١٣٥٤هـ.

محمد رشيد رضا، **الوهابيون والحجاز**، دار الفتح، الشارقة، ط١، ١٤١٧هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي، **السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦

محمد عبده، **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**، دار الحداثة، ط٣، ١٩٨٨.

ابن رزيق، **الفتح المبين في سيرة آلبوسعيديين**، ط٣، وزراة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان. تحقيق عبدالمنعم عامر ـ د. محمد عبدالله مرسي، ١٤١٢هـ.

محمد عوض الخطيب، **صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث**، دار المعراج للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

محمد فقيه بن عبدالجبار الجاوي، **النصوص الإسلامية في الرد على مذهب الوهابية**، ط. مصر عام ١٩٢٢

محمد كامل ضاهر، **الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث**، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

محمد نوري الديثوري، **ردود على شبهات السلفية**، ط١، ١٩٨٧.

محمود الألوسي، تفسير: **روح المعاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥.

المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق د. بشار عوّاد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ بيروت.

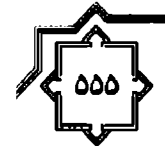
مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ط١٣
منصور محمد عويس، ابن تيمية ليس سلفياً، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٧٠.
المنصوري، التاج الجامع للأصول، ط٤، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ.
ناصر السابعي، الأحاديث الواردة في الخوارج: تخريج ودراسة، قيد الطباعة.
ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، منشورات اتحاد شعب الجزيرة العربية، مغفل التاريخ.
ناصر الفرج، قيام العرش السعودي دراسة تاريخية للعلاقات السعودية البريطانية، الصفا للنشر والتوزيع، لندن.
نجدي فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، ط دار الساقي، لبنان.
النسائي، الضعفاء والمتروكين، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦هـ
يحيى الجناوني، كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه، مكتبة الاستقامة، مسقط.
يوسف الهاجري، البقيع: قصة تدمير آل سعود للآثار الإسلامية في الحجاز، مؤسسة البقيع لإحياء التراث، ط١، ١٤١١هـ بيروت.

جرائد:

١ ـ جريدة Washington posts
٢ ـ جريدة (المسلمون). سعودية تصدر في الخارج.
٣ ـ جريدة Seattle Post Intelligence
٤ ـ جريدة الحياة اللندنية
٥ ـ جريدة الرياض السعودية
٦ ـ جريدة النداء اللبنانية.
٧ ـ جريدة (فيرسيا) الروسية الأسبوعية.

مجلات:

١ ـ مجلة آخر ساعة المصرية.
٢ ـ مجلة الرسالة المصرية
٣ ـ مجلة الضياء الإماراتية (النسخة العربية).
٤ ـ مجلة العربي الكويتية.



٥ ـ مجلة المجلة السعودية، الصادرة من لندن
٦ ـ مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.
٧ ـ مجلة منار الهدى البيروتية

مواقع على الشبكة العالمية:

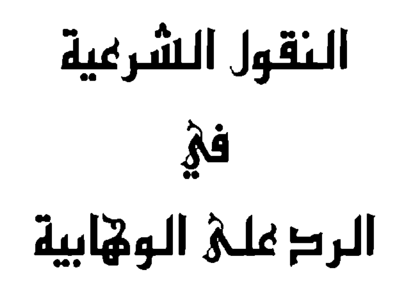
١ ـ cdlr،.netwww.ummah
٢ ـ moonsighting.com،،http:
٣ ـ www.saha.net
٤ ـ www.aljareh.net
٥ ـ مائة عالم سعودي، مذكرة النصيحة *(عبر البحث بالإنترنت)*

برامج حاسوب:

١ ـ برنامج المحدِّث
٢ ـ العالمية، موسوعة الحديث النبوي الشريف
٣ ـ مؤسسة التراث، الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف
٤ ـ مايكروسوفت، أطلس إنكارتا ٩٩

برامج إذاعية وتلفزيونية ومحاضرات:

١ ـ أحمد سيف الدين، برنامج (**Issues and Answers**) القناة الثانية بالتلفزيون السعودي، يوم الجمعة ١٤١٩،١١،٢٤هـ.
٢ ـ إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة، برنامج نور على الدرب.
٣ ـ قناة الجزيرة برنامج (قضايا)، يوم الجمعة ١٤١٩،١١،٢٤ (٩٩،٣،١٢)
٤ ـ قناة الجزيرة، برنامج الشريعة والحياة، ليلة ١٧ يناير ١٩٩٨م.
٥ ـ محمد قطب، محاضرة بعنوان (القرآن طريقنا إلى البعث الحضاري) بفندق (شيراتون الدوحة) بدولة قطر، شهر سبتمبر ١٩٩٧.



للشيخ حسن الشطي الحنبلي

تحقيق:

بسام عمقية

مصطفى بن أحمد بن حسن الشطيّ:

وُلِدَ الشطيّ في عام (١٣٨٢هـ) و يُعدّ واحداً من كبار علماء و فقهاء المذهب الحنبليّ في بلاد سورية. كان أوّل رئيس لجامعة الشريعة في مدينة دمشق.

١ ـ ظاهر شاه ميان ابن عبد العظيم صاحب كتاب (ضياء الصدور لمنكري التوسل بأهل القبور)؛

٢ ـ محمد عاشق الرحمن القادري الحبيبي صاحب كتاب (سيوف الله الأجلة و عذاب الله المجدي)؛

٣ ـ أبو حامد بن مرزوق صاحب كتاب (براءة الأشعريين من عقايد المخالفين)

٤ ـ منصور محمد محمد عويس صاحب كتاب (ابن تيمية ليس سلفياً) و هو من علماء الأزهر الشريف؛

٥ ـ عبد الله القحطاني صاحب كتاب (هولاء هم الخوارج) و هو أحد علماء عمان؛

٦ ـ الشيخ عثمان الشافعي صاحب كتاب (إقناع المؤمنين بتبرّك الصالحين)؛

٧ ـ المشايخ و الأساتذة:

إنّ أغلب مشايخ الدكتور محمود سعيد ممدوح و أساتذته هم من الغماريين أئمة التحقيق، و محمد ياسين الفاداني و السادة الفقهاء أئمة الشافعية: سيدي

الشيخ حافظ المذهب إسماعيل عثمان زين اليماني الحضرمي المكي و المفتي الـورع سيدي الشيخ عبد الله سعيد اللحجي الحضرمي المكي و سـيدي الـشيخ الفقيـه محمد عوض منقش الزبيدي المكي و سيدي الفقيه العلامـة أحمـد جـابر جـبران الضحوي اليماني المكي.

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

لمدرسة اهل البيت عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدالله الذي يقول الحق و هو يهدي السبيل، والصلاة و السلام على الفاتح الخاتم سيدنا محمد ﷺ أشرف نبي و أكرم دليل، و على آله و صحبه المتبعين لمقاله و حاله و حقيقة أمره على التفصيل، صلاةً و سلاماً دائمين في كل بكرة و أصيل، و بعد: فهذه رسالة وجيزة دعت إليها الحاجة مشتملة على مسائل شرعية غمض فهمها على بعضٍ من الناس ممن استولى على عقله الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس، و صار يحسن إليهم اتباع أهواء عقولهم، ويزين لهم إلقاء ذلك لكثير من عوام الناس، فخوفاً على زيغ عقائدهم الفطرية استعنت بحول الله وقوته معتمداً عليه في كشف و إيضاح معانيها بما وقفت عليه من النصوص على ما ذكره الأئمة الموثوقون بهم من خدمة هذا الشرع الشريف المحفوظ من الزيغ و الإلحاد بطائفة أخبر عنهم عليه الصلاة و السلام بقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله و هم على ذلك**»[1] والله الموفق و المسهل لأسباب الخير و الصواب، و قد رتبتها على مقدمة و خاتمة:

---

١ . رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (باب: قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) رقم [٧٣١١]، و مسلم في كتاب الامارة (باب: قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) [١٩٢٠].

أما المقدمة فتحتوى على خمس مقالات (المقالة الأولى) فى بحث الاجتهاد و شروطه، (والثانية) فى تقسيم الشرك الى جلى و خفى، و كذلك البدعة الى أقسامها المشهورة، (والثالثة) فى حياة الأنبياء و الشهداء و من أكرمه الله تعالى من عباده فى قبورهم و أنهم ليسوا بأموات بصحيح الأخبار و صريح الآيات، (و الرابعة) فى جواز التوسل و الاستغاثة بالأنبياء و الصالحين أحياءا و أمواتا و إثبات كراماتهم كذلك و أن لهم عند ربهم ما يشاؤون، (والخامسة) فى حكم زيارة القبور و جواز شد الرحال اليها سيما لزيارة قبره عليه السلام، و الخاتمة فى طرف من التصوف و نبذة من العقائد الدينية و غيرها فأقول و بالله التوفيق و بيده أزمة التحقيق:

المقالة الأولى في الاجتهاد

و حقيقتة بذل الفقيه الجهد و الوسع فى تحصيل الظن لدرك حكم شرعى على وجه يُحسّ من النفس العجز عن المزيد عليه، كما ذكره فى التحرير القاضى المراداوى فى أصول الحنابلة.

أقول: قد ذكر جمهور فقهاء المذاهب الأربعة و الأصوليين أنه لايجوز خلو عصر من مجتهد، و أنه فرض كفاية. و استدلوا على المطلوب بدلائل مذكورة فى محلها يطول بسطها، لكنهم شرطوا فى المجتهد شروطا تأتى غالبها متفق عليه فيما بينهم، فالخروج عنه عدول[1] عن الجماعة و السواد الأعظم[2] المنهى عنه بصرائح الأحاديث الصحيحة[3]، ولا شك فى صعوبة تحصيل هذه المرتبة و

---

١ . عدل عن الجماعة عدولا أى شذ و مال عنها.

٢ . السواد هو العدد الكثير أو هو الأعم الأغلب.

٣ . يقول النبى صلى الله عليه وآله: «من أتاكم و أمركم جميع على رجل يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم ←

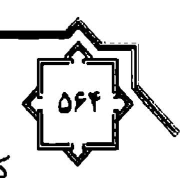


استيفاء الشروط فى أحد، سيما فى هذا الزمان الكثير الفساد، القليل الخير، المتبع فيه الأهواء، حتى أنه منذ أعصار[١] بعيدة لم يظهر من توفرت فيه شروط الاجتهاد، و لذا صرح بعضهم بانقطاعه، و هو الظاهر لعدم ظهور من هو واقف على حدود التقوى، خال من الهوى و البدعة فى أقواله و أفعاله و أحواله، و لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم، و قد ذكر جمهور الأصوليين من فقهاء المذاهب المدونة فى المجتهد شروطا منها أن يحوى علم الكتاب و السنة بوجوهه و معانيه لغة و شرعا و أقسامه المشهورة، و علم السنة متنا و سندا كذلك، و وجوه القياس كذلك، كما ذكر فى التوضيح لصدر الشريعة، و قال فى التحرير و شرحه المذكور: (و شروط المجتهد كونه فقيها، و الفقيه هو العالم بأصول الفقه، أي له قدرة على استخراج الأحكام من أدلتها، و العالم بما تستمد منه أصول الفقه، و هى الكتاب و السنة و الاجماع و القياس بالوجوه المذكورة و معرفة الاستدلال و الأصول المختلف فيها و ما يعتبر للحكم فى الجملة من حيث يعتبر ذلك للحكم أو من حيث الكيفية، كتقديم ما يجب تأخيره، و تأخير ما يجب تقديمه، لأن ذلك كله آلة للمجتهد كالقلم للكتاب، و العالم أيضا بالأدلة السمعية مفصلة، و باختلاف مراتبها فتضمن ذلك أن يكون عنده قوة و سجية يقتدر بها على التصرف بالجمع و التفريق و الترتيب و التصحيح و الافساد، فإن ذلك ملاك صناعة الفقه).

فاقتلوه» رواه مسلم فى كتاب الامارة (باب: حكم من فرق أمر المسلمين و هو مجتمع) رقم [١٨٥٢].

و قال ﷺ: «انه ستكون هنات و هنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة و هى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان» رواه مسلم رقم [١٨٥٢] و رواه النسائى فى كتاب تحريم الدم (باب: قتل من فارق الجماعة) رقم [٤٠٢٠].

١ . جمع العصر و هو الدهر أو هو الحقبة الزمنية.

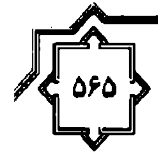


و قال حجة الاسلام الغزالى: (اذا لم يتكلم الفقيه فى مسألة لم يسمعها ككلامه فى مسألة سمعها فليس بفقيه) و يشترط أيضا علمه بالناسخ و المنسوخ و علمه أيضا بصحة الحديث و ضعفه متنا و سندا، و أن يعرف من النحو و اللغة أى بطريق الملكة[1] ما يكفيه لمعرفة ما يتعلق بهما، أى الكتاب و السنة من نص و ظاهر و مجمل و مبين و حقيقة و مجاز الى آخر الأقسام التى بلغت تفصيلا الى ثمانين قسما، و أن يعلم المراد من فحوى الخطاب و دليل الخطاب و لحنه و مفهومه، لأن بعض الأحكام يتعلق به و يتوقف عليه توقفا ضروريا كقوله عليه السلام «**اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر و عمر**»[2] أبا بكر و عمر بالنصب على النداء فعلى رواية الجر و هى الثابتة المشهورة هما مقتدى بهما، و على رواية النصب هما مقتديان بغيرهما، و أمثال ذلك كثير.

و قد فرق الفقهاء بين من يعرف العربية و من لا يعرفها فى كثير من المسائل، فى الطلاق و الاقرار و غيرهما على ما تقرر فى موضعه، و شرطه أيضا علمه بالمجمع عليه و المختلف فيه و مواقع الاجماع حتى لا يقع فى مخالفته، و علمه أيضا بأسباب النزول فى الآيات القرآنية و أسباب الأحاديث النبوية ليعرف المراد من ذلك و ما يتعلق بهما من تخصيص أو تعميم، و شرطه أيضا علمه بمعرفة الله تعالى و بصفاته الواجبة له و تنزيهه عن صفات المحدثين و غير ذلك مما يجوز عليه تعالى و يمتنع، مصدقا بالرسول عليه السلام و ما جاء به من الشرع المنقول عنه بدليله الاجمالى، و بالرسل و ببقية السمعيات المقررة فى كتب

١ . الملكة هى الصفة الراسخة فى النفس أو هى القدرة الابداعية المتأصلة فى النفس.

٢ . رواه الترمذى فى كتاب المناقب عن رسول الله (باب: فى مناقب أبى بكر و عمر كليهما) رقم [٣٦٦٢] و قال حديث حسن. و رواه ابن ماجه فى المقدمة رقم [٩٧] و الامام أحمد فى مسنده رقم [٢٢٧٣٤].



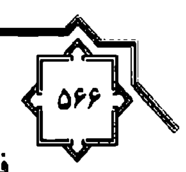
العقائد على النهج المستقيم، هذا من عبارة التحرير و شرحه و نحو ذلك في أصول الشافعية، و قريب منه في أصول ابن الحاجب و شراحه من أصول المالكية، و اذ قد علمت ذلك كله تبين لك انقطاع الاجتهاد في هذا الزمان، و أن ما وقع في عبارة بعضهم من عدم انقطاعه محض فرض و تقدير، و بين العبارتين خلاف لفظي، و بناء على ما تقرر فمن ادعى في هذا الزمان الاجتهاد فيسأل عن الشروط المذكورة، و يبحث في وجودها فيه، بمثال ما في حادثة ما، فإن أقام عليها الدليل من الأصول الأربعة بلا معارض بوجه صحيح، فحينئذ يسلم له و هيهات، لا شك أن من أدعى ذلك في هذا الزمان فعليه إمارة البهتان، كما و يقع دعوى ذلك من فرقة شاذة نسبت نفسها للحنابلة من جهة نجد التي يخرج بها قرن الشيطان كما ورد في الحديث[1] حتى أنهم ربما يستدلون بالاجماع لا بالقياس أصلا، بل يقتصرون على الاستدلال بالكتاب و السنة بلا فهم منهم لشيء من الوجوه السابقة، ولا معرفة منهم بمبادىء العلوم فضلا عن مقاصدها و أصولها و يعلمون أولادهم من إبان نشوتهم[2] هذه الدعوى، و يجرؤونهم على الاحتجاجات بظواهر النصوص و ترك ما وراء ذلك من جهل و مكابرة.

---

١ . قال رسول الله ﷺ: «**الايمان يماني و الفتنة من ها هنا حيث يطلع قرن الشيطان**» أخرجه البخاري في المغازي (باب: قدوم الأشعريين و أهل اليمن) رقم [٤٣٨٩] و مسلم في كتاب الايمان رقم [٥٢].

و قال رسول الله ﷺ: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: و في نجدنا قال الثالثة: هناك الزلازل و الفتن و منها يطلع قرن الشيطان**» رواه البخاري في كتاب الفتن (باب: قول النبي ﷺ: الفتنة من قبل المشرق) رقم [٧٠٩٤].

٢ . أي أول عهدهم بها.



و قد ينكرون دعوى الاجتهاد و يحتجون بعبارة شيخ الاسلام ابن تيمية فقط، مع أن الامام المذكور قد خرج عن المذهب الحنبلى فى عدة مسائل تفرد بها و تهيأ بخصوصها للاجتهاد المطلق، إلا أنها لم تدون على كونها مذهبا له كما دونت فروع مسائل المذاهب الأربعة، فمنها ما كان يجب المناظرة فيه، و لم يفت به لأحد، كمسألة الغاء مفهوم العدد المطلق فى الطلاق و أنه يقع واحدة و إن كان بلفظ الثلاث أو الألف أو الأكثر من ذلك، و منها تحريم شد الرحل لغير المساجد الثلاثة، و منها منع الاستغاثة بالأنبياء و الصالحين و غير ذلك مما هو مذكور فى مواضعه، فليست المسائل المذكورة من مذهب أحمد، ولا ورد فيها رواية عن أحمد.

و نص فقهاء الحنابلة على أنه لا يتابع فيها، فمن ادعى أنه حنبلى المذهب فليس له القول بها، كما قالت به هذه الفرقة المذكورة عن جهل و انطماس بصيرة، وفقنا الله تعالى و إياهم لاتباع سبيل المصطفى عليه السلام الداعى إليها على بصيرة هو و من اتبعه.

المقالة الثانية في الشرك و البدعة و أقسامهما

أما الشرك فهو قسمان: جلى[1] أكبر: و هو عبادة الأوثان و الأصنام.

و خفى أصغر: و هو النظر الى الأسباب و الوقوف معها و التعمق فيها مع الغفلة عن سببها، و منه الرياء، و يسمى الشرك الأصغر كما صرح به الحديث الآتى، و يدل لانقسامه الى ما ذكر القرآن و الخبر و الاجماع، أما القرآن فقوله تعالى: و ما يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم مشركون [يوسف: ١٠٦] فقد أطلق الحق تعالى على أكثر المكلفين من العباد لفظ الشرك فى حالة الإيمان، فلو كان المراد

---

١ . الجلى هو الواضح المرئى الذى لا لبس فيه.



به ما يقابل الإيمان و يباينه لزم التناقض فى قوله تعالى، و هو بديهى البطلان، فعلمنا أن المراد به قسم آخر و هو الخفى.

و أما السنة فعن أبى موسى الأشعرى رفعه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفي من دبيب النمل على الصفا**»[1] و فى رواية أخرى «**الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل على الصفا**»[2]، قال شارحه المناوى: لأنهم ينظرون للأسباب كالمطر غافلين عن المسبب، و من وقف مع الأسباب فقد اتخذ من دون الله أولياء فلا يخرج عنه المؤمن الا بهتك حجب الأسباب و مشاهدة الكل من رب الأرباب، و أشار بقوله أخفى...إلخ إلى أنه متلاش فيهم رضخهم لفضل يقينهم، سيما و فيهم مثل أبى بكر و عمر، فإنه و إن خطر لهم فإنه خطور خفى لا يوثر فى نفوسهم كما لا يوثر دبيب النمل على الصفا، و هذا ظاهر، و تمام الحديث المذكور: فقال له من شاء الله أن يقول فكيف نتقيه يا رسول الله و هو أخفى من دبيب النمل؟ فقال ﷺ قولوا: «**اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه، و نستغفرك لما لا نعلمه**»[3] و عن محمود بن لبيد قال ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء**»[4] وأمثال هذه الأحاديث كثيرة جدا لا يسعها هذا المختصر المقصود به بيان الحق و الأمر بالمعروف و النهى عن

---

١ . رواه الحاكم فى المستدرك فى كتاب التفسير رقم [٣١٤٨] و قال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه

٢ . رواه الحكيم الترمذى فى نوادره.

٣ . رواه أحمد و الطبرانى فى الكبير و الأوسط و رجال أحمد رجال الصحيح غير أبى على، و وثقه ابن حبان.

٤ . أخرجه أحمد و البيهقى فى الشعب من حديث محمود بن ليد و له رواية و رجاله ثقاف و رواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج.

المنكر و النصح فى الدين للمسلمين، و قد مست الحاجة له بسبب موافقة بعض أهل العلم لبعض أهل الأهواء، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

و أما الاجماع فقد انعقد على أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بكبيرة، فكيف بمثل ما نحن فيه من نسبة الأشياء لأسبابها، و منه الاستشفاع و الطلب لشىء من الحوائج الأخروية أو الدنيوية من نبى أو ولى أو صالح حى أم ميت مع اعتقاد أن الفعال هو الله تعالى و أنه خالق السبب و المسبب، و ليس لنا أن نحمل فاعل ذلك على اعتقاد موصل للكفر، ولا أن نحكم بكفره بلا سؤال منه عن حقيقة عقيدته، بل ليس لنا الفحص و التجسس عن ذلك، فان نسبة الأشياء للأسباب وارد بصرائح النصوص، فالحاكم بالكفر على مثل هؤلاء هو الكافر الخارج عن الايمان التابع لهواه، فان من كفر مؤمنا فقد كفر كما ورد فى الحديث أنه قال ﷺ «**كفوا عن أهل لا إله إلا الله، لا تكفروهم بذنب، فمن أكفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب**»[١] و فى رواية «**فهو أكفرهم**»، فالقول بأن الشرك قسم واحد و هو ما يقابل الايمان و ينافيه قول مخالف للنصوص خارق للاجماع، و هذه المسألة هى إحدى المسائل الخمس المذكورة فى هذه المقالات التى تقول بخلافها الطائفة النجدية المنوه بذكرهم، فانهم يصرحون بأن من يستغيث بالرسول عليه‌السلام أو غيره فى حاجة من حوائجه أو يطلب منه أو يناديه فى مطالبه و مقاصده ولو بيا رسول الله أو اعتقد على نبى أو ولى ميت و جعله واسطه بينه و بين الله تعالى فى حوائجه فهو مشرك حلال الدم و المال، و القليل منهم من لا يطلق التكفير بمثل الترهات و الضلالات رئيسهم ابن عبد الوهاب الشيخ النجدى الذى كان هو السبب فى زيغ عقائد عامتهم فى ضمن رسالة كبيرة أرسلها للجد التقى العالم الورع مرجع الحنابلة فى وقته حال حياته المرحوم

---

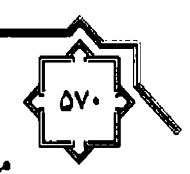
١ . أخرجه الطبرانى فى الكبير عن عبدالله بن عمرو.



الشيخ حسن الشطى لينظر فيه و يقرظ عليها، و فى ذلك الوقت كان فى مرض شديد فلم يتيسر له رد مقالاتها بالتفصيل، فكتب فى آخرها بخطه المنور ما ملخصه: (قد اطلعت على هذه الرسالة المشتلة على مسائل شرعيةمتعلقة بأمور ارتكبها بعض الناس جهلا لا توجب الكفر أصلا، و بعضها ربما يكون حسنا عند التأمل، وقد أكفرهم بفعلها ابن عبدالوهاب محرر هذه الرسالة و حكم بحل دمائهم و أموالهم بمفاهيم تخيلها من ظواهر النصوص الشرعية، منبهة عن جهله و توغله و سوء ظنه بالمؤمنين، فلعنة الله على من اعتقد هذا الاعتقاد فان من كفر مؤمنا فقد كفر).

والرذية كل الرذية ما كان قرب أجله ﷺ و لم يتيسر له رد مقالاتها بالتفصيل، والله حسبنا و نعم الوكيل.

و مرة دخل الجد المذكور جامع بنى أمية فى الشام فسمع عجوزا تقول: يا سيدى يحيى عاف لى بنتى، فوجد هذا اللفظ بظاهره مشكلا، و غير لائق بالأدب الالهى فأمرها بالمعروف و قال لها: يا أختى قولى بجاه سيدى يحيى عاف لى بنتى، فقالت له: أعرف أعرف، ولكن هو أقرب منى الى الله تعالى، فأفصحت عن صحة عقيدتها من أن الفعال هو الله تعالى وحده، و إنما صدر منها هذا القول على وجه التوسل و التوسط إلى الله تعالى بحصول مطلوبها منه، فقال الجد: تركتها لعلمى بصحة عقيدتها، فانظر بإنصافك إلى هؤلاء الجهلة المفرطين، و المفرطين المشددين على أمة المختار ﷺ كيف يسوغ لهم تكفير المسلمين و حل دمائهم و أموالهم بلا موجب شرعى واضح مقلدين لأحد الجهلة منهم و هو ابن عبد الوهاب فى هذه المسألة، و فى بقية المسائل الخمس المذكورة فى هذه العجالة، فما هى إلا طامة عظيمة و ورطة جسيمة و عقيدة حرورية، و نزعة شيطانية، حفظنا الله و المسلمين من ذلك آمين.



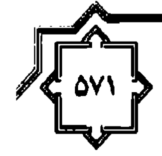
و أما البدعة فلها معنيان معنى لغوى عام، و هو الأمر الحادث المخترع مطلقا عادة كان أو عبادة، و هذا المعنى هو المقسم في عبارة الفقهاء، و الثاني معنى شرعى خاص، و هو الزيادة في الدين أو النقصان منه الحادثان بعد زمن النبي ﷺ والصحابة بغير إذن من الشارع لا قولا و لا فعلا ولا صريحا ولا إشارة، و هذه لا تتناول العادات أصلا، كيف وقد قال ﷺ: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[1] بل تقصر على بعض الاعتقادات و بعض صور العبادات من قول أو فعل أو خلق، مع اعتقاد أن ذلك قربة و طاعة، و إلا فهو معصية لا بدعة، و أن يكون ذلك بمجرد الرأى ليخرج منه الزيادة و النقصان الواقع ذلك بين المجتهدين فإنه عن دليل فهذه البدعة في الشرع دون العادة هي الضلالة المنهى عنها بقوله ﷺ في أثناء حديث العرباض بن سارية «**فإن كل محدث بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار**»[2] و بقوله ﷺ. «**من أحدث في أمرنا**

---

١ . رواه ابن ماجه في كتاب الرهون (باب: تلقيح النخل) رقم [٢٤٧١]، و رواه البزار و الطبراني في الوسط بمعناه و فيه مجالد بن سعيد و قد اختلط.

٢ . رواه ابن ماجه في المقدمة (باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين) رقم [٤٢] و رواه أبو داود رقم [٤٦٠٧] و الإمام أحمد في مسنده رقم [١٦٦٩٤] بلفظ: عن العرباض بن سارية قال: «قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب و ذرفت منها العيون فقيل يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد فقال عليكم بتقوى الله و السمع و الطاعة و إن عبدا حبشيا و سترون من بعدى اختلافا شديدا فعليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ و إياكم و الأمور المحدثات فإن كل بدعة ضلالة».

و عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، و علا صوته، و اشتد غضبه. حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم و مساكم. و يقول: «**بعثت أنا و الساعة كهاتين**» و يقرن بين إصبعيه السبابة و الوسطى. و يقول: «**أما بعد. فإن خير الحديث كتاب الله. و خير الهدى هدى محمد. و شر الأمور محدثاتها. و كل بدعة ضلالة**». ثم يقول: «**أنا أولى بكل مومن من نفسه. من ترك مالا فلأهله. و من ترك دينا أو ضياعا فإلى وإلى**». رواه مسلم في كتاب الجمعة (باب: تخفيف الصلاة) رقم [١٩٥٥].



هذا ما ليس منه فهو رد»[١] فقوله (فى أمرنا هذا) أى ديننا و شرعنا، مخرج للبدعة فى العادة، و البدعة فى الاعتقاد و هى المتبادرة من إطلاق اسم البدعة و المبتدع و الهوا و أهل الأهواء، فبعضها كفر كإنكار حشر الأجساد و نفى الصفات الالهية مطلقا و الحكم بقدم صور العالم، و بعضها ليست به، كخبر المعراج، ولكنها من أكبر الذنوب، فعلم منه أن البدعة فى العادة ليست بضلالة ولاشتمالها الأحاديث، ثم إن بعضها مباح و إن كان تركه أولى كاستعمال المناخل و الملاعق و نحو ذلك من أنواع الثياب المختلفة، و بعضها مستخف كتصنيف الكتب و عمارة المدارس و الربط لتحصيل العلوم النافعة، و بعضها واجب كتصنيف البراهين و الدلائل لدفع شبه الفرق الضالة كهذه الفرقة النجدية.

ولو تتبعت كل ما قيل فيه بدعة حسنة سواء كان اعتقادا أو قولا أو عملا أو خلقا من جنس العبادة، إذ جنس العادة ليس ببدعة شرعا كما ذكرنا لوجدته مأذونا فيه من الشارع إشارة أو دلالة و بعضها صراحة من آية أو حديث لا يخرج شيء من ذلك عما ذكر أصلا، والقصور فى عدم الاطلاع فمن ذلك ما رواه جرير عن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «**من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيء**»[٢] ثم ذكر عكس ذلك بالنسبة للسيئة، و عن أبى جحيفة نحوه، فقد

١ . رواه البخارى فى صحيحه فى الصلح (باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود) رقم [٢٦٩٧] و مسلم في الأقضية (باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) رقم [١٧١٨] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**».

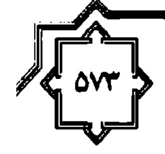
٢ . رواه مسلم فى كتاب الزكاه رقم [١٠١٧] والنسائى رقم [٢٥٥٤] و ابن ماجه فى المقدمة رقم [٢٠٣].

و فى رواية أخرى قال ﷺ: «**من سن سنة حسنة فعمل بها بعده كان له أجره و مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، و من سن سنة سيئة فعمل به بعده كان عليه وزره و مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا**» أخرجه ابن ماجه فى المقدمة رقم [٢٠٧].

سمى عليه السلام المبتدع للحسن مستنا، فأدخله فى السنة، و هو المشرع فلا يجوز مخالفته ولا الحكم بأن البدعة قسم واحد و أنه ضلالة أخذا بعموم كل بدعة ضلالة مع هذه المخصصات، فإن من المقرر ما من عام إلا و خص منه حتى هذه المقالة، و الأخذ بكل العمومات من الجهل بقواعد العلم و الشرع الأطهر، كما هو شأن الفرقة النجدية، مع أنهم متلبسون بالبدع العادية الكثيرة، ربما لا يشذ واحد منهم عنها ما فى ملبسه أو مأكله أو غير ذلك، بل أقول إن القول بأن البدعة قسم واحد بدعة قولية فى الدين ضلالة و اتباع للهوا عن غير دليل، والله يقول الحق و هو يهدى السبيل.

المقالة الثالثة: في إثبات أن الأنبياء و الشهداء أحياء في قبورهم حياةمستقرة و أنهم ليسوا بأموات

بصحيح الأحاديث و صريح الآيات، و جواز ذلك لبعض من يكرمه الله تعالى به من الصالحين و الأولياء، و فى اثبات كراماتهم أحياء و أمواتا، أما الدليل على الحياة بعد الموت للشهداء فقوله تعالى ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، و أما بالنسبة للأنبياء فعدة أحاديث بعضها صحيح و بعضها غير ذلك، بلغ مجموعها حد الشهرة، و يأتى بعضها، و أيضا هم أولى من الشهداء بهذه الفضيلة العظيمة و المنقبة الجسيمة، و بالاجماع على ذلك، و أما بالنسبة لغيرهم، فبطريق الجواز و الامكان و عدم الاستحالة و عدم ورود مخصص بالأولين، و لأن النص على الشيء لا ينفى ما عداه كما هو مقرر فى موضعه، و بشهادة الحس و العيان، فإنه وقع الكشف على قبور بعض الأولياء العارفين و عباد الله الصالحين بعد مدة مديدة من الزمان فوجد غضا طريا كأنه الآن وضع فى حفرته، كما وقع واشتهر عن الامام



الجزولي صاحب دلائل الخيرات ﷺ، و غير واحد من الصالحين، فلا ينكره الا مكابر ينكر الحسيات أو لا يقول بالكرامات، وقد ثبت في صحيح الأخبار الكثيرة أن الأنبياء يصلون في قبورهم، و في بعضها أنهم يقرؤون القرآن، و في بعضها أنهم يحجون كما ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية بلفظ ثبت، و روى: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**»[١] ففيه التصريح بأنه يراه يقظة و أنه حي في قبره أعظم حياة و أكملها بل هي حالة أتم و أكمل من الحياة في الدنيا كما هو ظاهر لا غبار عليه.

و أما كرامات الأولياء فهي حق ثابت بالأدلة الشرعية و المشاهدات الحسية و القواطع العقلية، و إثباتها و عدم نفيها و إهمالها من العقائد الدينية، كيف و في القران منها الكثير، كقصة مريم الصديقة، و قصة الخضر و غير ذلك، وقد تواترت الأخبار تواترا معنويا بكرامات الصحابة و التابعين من بعدهم، و قال الامام ابن حمدان في (نهاية المبتدئين في أصول الدين) و كرامات الأولياء حق، و أنكر الامام أحمد من أنكرها و ضلله. و الحاصل أن علماء الحنابلة كغيرهم من أهل السنة مجمعون على إثباتها، حتى طائفة النجدية الوهابية مع غلوها يثبتونها للأولياء، إلا أن البعض منهم يخصها بالأحياء، ولم يثبت لهم دليل التخصيص أبدا.

قال الشيخ الفاضل العلامة الشيخ عبد الله صوقان النابلسي القدومي تلميذ المرحوم الجد الشيخ حسن الشطي حفظه الله تعالى، و هو الآن بالمدينة تحت أنظار الرسول عليه السلام، و نفع به في رسالته التي سماها (المنهج الأحمد في درء الثالب التي تنمى لمذهب أحمد) قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في

١ . رواه البخاري في كتاب التعبير (باب: من رأى النبي ﷺ في المنام) رقم [٦٧٤١]، و مسلم في كتاب الرؤيا (باب: قول النبي ﷺ من رآني) رقم [٥٨٦٦].

رسالته التى نشرها للعامة، و من خطه نقلت أقول: هذا الرجل هو إمام و قدوة الفرقة الوهابية، و إليه تابعون بزعمهم، يقول: الذى نعتقده أن رتبة نبينا محمد عليه‌السلام أعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق، و أنه حى فى قبره حياة مستقرة أبلغ من حياة الشهيد المنصوص عليها فى التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب، و إنه عليه‌السلام يسمع سلام من يسلم عليه، أى ولو من أمكنة بعيدة كما هو ظاهر إطلاقه، و تسن زيارته إلا أنه لا يشد الرحل الا لزيارة المسجد و الصلاة فيه، و إذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس به.أ.هـ.

أقول: هذه قلد فيها ابن تيمية، و هى مسألة ليست من مذهب الحنبلى كما عرفته وستعرفه، بل تفرد فيها ابن تيمية، ثم قال: و من أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين و كفى همه و غمه، إلى أن قال: ولا ننكر كرامات الأولياء و نعترف بالفضل و إنهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة المرضية و القوانين الشرعية أحياء و أمواتا، إلا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادة أ.هـ.

فانظر الى عبارة إمامهم المذكور لاتجدها مخالفة لما عليه الجمهور من إثبات الحياة و الكرامة للشهداء و الأولياء و الصالحين بعد وفاتهم كحال حياتهم، و هو الموافق للقاعدة المقررة و هو أن النبوة و الولاية لا تنقطع بالموت، فكيف يسوغ القول الآن من هذه الطائفة أو من غيرهم بتخصيص الكرامة فى حال الحياة، و بنوا عليها تخصيص التوسل و الطلب فى حال الحياة فقط بعد هذه الأدلة حتى من امامهم المذكور، فما هو الا غلوهم و عنادهم و غلبة جهلهم و اتباع بعضهم لبعض وراثة جاهلية و نزغة شيطانية سرت فيهم و تمكنت، فكأنهم القائلون ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].



ولم نزل على عدم يقين بحقيقة حالهم لاضطرابها، هل هم مجتهدون كما يظهر منهم إمارة ذلك باقامة البرهان بظواهر القرآن و عمومات الأخبار؟ أم مقلدون لشيخ الاسلام ابن تيمية؟ أم لإمامهم ابن عبدالوهاب المذكور؟ ام متمذهبون بمذهب الامام أحمد بن حنبل؟ والأظهر أنه لا يحكم عليهم بشيء من ذلك لمخالفتهم في الجملة لجميع ما ذكر كما عرفته و تعرفه، فنسأل الله الهداية لنا و لهم و للمسلمين آمين.

ثم أقول حيث ثبت بالنصوص الصحيحةحياة الأنبياء و الشهداء و بعض من أكرمه الله تعالى بذلك في قبورهم سيما في حق الأنبياء عليهم السلام من أنهم يصلون و يقرؤون و يحجون و نحو ذلك، ولا يخفى أن هذه الأفعال من صفات الحي، ولا يلزم من ذلك أن يراهم جميع الناس، بل يحجب الله تعالى أعين الناظرين الغافلين عنهم لما يقتضيه الموطن الدنيوي، ولئلا يفتتن القاصرون من الناس بذلك، ولعدم استطاعتهم لذلك، فلا مانع من أن يكشف الله تعالى الحجاب عن قلوب بعض الصالحين و الأولياء و أبصارهم بطريق الكرامة لهم و يريهم حضرة رسول الله ﷺ أو غيره من الأنبياء و الأولياء و الصالحين عليهم السلام، أو يجمعه بهم و يكلمهم و يكلمونه و يستفيد منهم علوما و معارف و فهوما في الشرع المقرر والدين الأظهر الأطهر كما اشتهر عن الجلال السيوطي أنه كان له اجتماع برسول الله ﷺ و كان يسأله عن أحاديث وردت في شرعه هل هي صحيحة عنه أم لا، و يجيبه عليه السلام عن ذلك، مثل هذا ورد عن عدد من علماء هذه الأمة و أوليائها لا يمكن تواطؤهم على الكذب، وقد علت مقاماتهم وارتفعت درجاتهم و اشتهرت كراماتهم و صحت في الدين استقامتهم، و يدل لذلك ما ذكرنا من جواز رؤيته عليه السلام يقظة لمن رآه في المنام، فكيف لمن وقعت رؤيته له يقظة؟ وقد قال العارف الكامل أبو العباس المرسي قدس الله روحه: «لو غاب عني رسول الله لحظة ما عددت نفسي من المسلمين» الظاهر أنه يعني الكاملين،

ولو بسطنا الكلام فى هذا المقام لخرجنا عن المقصود، و فى هذا كفاية لمن له دراية، والله الهادى من الغواية و الموصل للغاية، وقد آمنت بهذا أنا و كل موفق لعدم منافاته للشريعة المطهرة عن التدقيق والله ولى التوفيق.

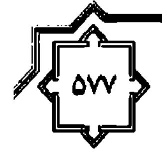
المقالة الرابعة: في جواز التوسل والاستعانة و الاستشفاع بالأنبياء و الأولياء و الصالحين حال حياتهم و بعد مماتهم والدليل عليها من الكتاب و السنة و عبارات الفقهاء

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]

و قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤].

فإن قال وهابى هذا مخصوص بحال الحياة، فنقول: قد انعقد الإجماع وقامت صرائح الأدلة على حياته فى قبره عليه السلام كما قدمنا ذلك مبسوطا، فحكم هذه الآية الشريفة منسحب إلى الآن و إلى ما شاء الله، و لذا ترى العلماء جميعا و الفقهاء ذكروا استحباب قراءة هذه الآية عند زيارة قبره عليه السلام، كما لا يخفى ذلك على من تتبع عباراتهم الطافحة بذلك، فلا حاجة للإطالة بسردها، فعلى من يدعى تخصيصها بالحياة الدليل، و أنى له ذلك؟ و هناك آيات أخر تشير إلى الالتجاء به عليه السلام منها قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] و قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] و قد فهم أبو البشر آدم عليه السلام من قرن اسمه تعالى باسم نبيه عليه السلام أنه الوسيلة إليه تعالى فتوسل به عليهما السلام إلى ربه بأن يغفر له فغفر له كما ثبت ذلك.



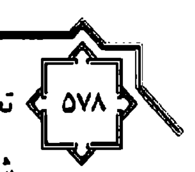
و أما الآيات التي تمسكتْ بها الوهابية من قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، و قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] و قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، و نحوها من حديث «و إذا استعنت فاستعن بالله»[١] إلى آخره، فلا تدل على مدعاهم من امتناع التوسل بالأنبياء و الصالحين و استحبابه لا يقصدون بذلك تأثير شيء منهم بإيجاد نفع أو دفع ضر، ولا يعتقدون ذلك البتة، بل جميع المسلمين يعتقدون أن الله تعالى هو الفعال لما يريد، و هو المنفرد بالايجاد و الاعدام و النفع و الضر، و هو من بديهى العقائد عندهم، فلا يعد من توسل بالانبياء و الصالحين ممن اتخذ من دون الله أندادا كما زعموا، فكيف يتجرؤن على الاستشهاد على مذهبهم بمثل قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْمُرُكُم أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾ [آل عمران: ٨٠]، و نحوه فهو من التحريف و وضع الشيء في غير موضعه.

فان قلت شبهة من منع التوسل رؤيتهم بعض العوام يطلبون من الصالحين أحياءً و أمواتاً أشياء لا تطلب الا من الله تعالى، و هى محل النزاع عند الشيخ ابن تيمية لا مطلقاً كما هو صريح كلامه فى عدة مواضع من كتبه و رسائله لأنه استشهد فى بعض ما يجوز من ذلك بحديث الضرير الآتى و عبارته و فيه حديث الضرير، و هذه جملة معترضة لداعي الحال و يجدونهم يقولون للولى افعل لى كذا و كذا، فهذه الألفاظ الصادرة منهم توهم التأثير لغير الله تعالى.

أجيب بأن هذه الألفاظ الموهمة محمولة على المجاز العقلى، و القرينة عليه صدوره من موحد، و لذا إذا سئل العامى عن صحة معتقده بذلك يجيب بأن الله هو الفعال وحده لا شريك له و إنما الطلب من هؤلاء الأكابر المحترمين عند الله

---

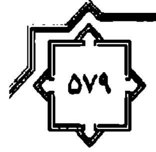
١ . رواه الترمذى فى كتاب صفة القيامة و الرقائق و الورع رقم [٢٥١٦]. و قال: هذا حديث حسن صحيح، و رواه أحمد فى مسنده رقم [٢٦٦٤].



تعالى المقربين لديه على سبيل التوسط بحصول المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده، فإن لهم ما يشاؤون عند ربهم كما أخبر تعالى بذلك عنهم، ولكن لا بأس بأن تأمر العامة بسلوك طرى الأدب مع الله تعالى بعبارة موافقة للقصد، بل هذه من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، ولا يصح لنا أن نمنعهم من التوسل والاستغاثة مطلقا، كيف و قد قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥].

و أما السنة: فعن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبى ﷺ فقال ادع الله لى أن يعافينى، قال: «**إن شئت أخرت ذلك، و هو خير لك، و إن شئت دعوت الله تعالى**، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء و يصلى ركعتين و يدعو بهذا الدعاء: **اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه ليقضيها اللهم شفعه فى**» ففعل الرجل فقام و قد أبصر[1]، و ليس لمانع التوسل أن يخصه بحال الحياة لأن الصحابة ﭫ استعملوه بعد انتقاله ﷺ فعن أبى أمامه بن سهل بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان فى حاجة، و كان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر فى حاجته، فلقى عثمان بن حنيف و شكى إليه ذلك، فقال: إيت الميضأة فتوضأ، ثم إيت المسجد فصلِّ ركعتين ثم قل: فذكر له لفظ الدعاء المتقدم فى الضرير، ثم رح حين أروح، فانطلق الرجل و صنع ذلك ثم أتى باب عثمان، فجاء البواب فأخذه بيده و أدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال انظر ما كانت لك من حاجة، ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقى عثمان بن حنيف فقال: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت اليَّ

١ . رواه الترمذى رقم [٣٥٧٨] و ابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة (باب: ما جاء فى صلاة الحاجة) رقم [١٣٨٥] و أحمد فى مسنده رقم [١٦٧٨٩].



حتى كلمته، فقال: ما كلمته ولكن رأيت النبى ﷺ جاءه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره و ذكر له نحو الحديث المتقدم، فهذا توسل و نداء بعد وفاته ﷺ، و حديث استشفاع آدم و توسله بالنبى ﷺ قبل وجوده عليه السلام، و فى آخر الحديث كما فى رواية فيها، فقال آدم: «**يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد، فنودى يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد بأهل السماوات و الأرض لشفعناك**»[١]، و روى أن الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه، و كان من أصحاب النبى عليه السلام إلى قبره عليه السلام وقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام و أخبره بأنهم يسقون[٢]، و ليس الاستدلال بالرؤيا، فانها و إن كانت حقا لا تثبت حكماً لإمكان اشتباه الكلام على الرائى، و انما الاستدلال بفعل الصحابى، و هو بلال بن الحارث رضي الله عنه، فإتيانه لقبر النبى عليه السلام و نداؤه له وطلبه منه السقيا دليل على أن ذلك جائز و هو من باب الإستغاثة و التشفع، و لم ينكر عليه أحد من

---

١ . روى الحاكم فى مستدركه فى كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء و المرسلين رقم [٤٢٢٨] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب! أسألك بحق محمد إلا غفرت لى، فقال الله تعالى: و كيف عرفت محمدا ولم أخلقه بعد، قال: يا رب! لأنك لما خلقتنى بيدك و نفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا (لا اله الا الله محمد رسول الله) فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك، فقال الله عزوجل: صدقت يا آدم! انه لأحب الخلق الى و اذا سألتنى بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك**» و قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد، قال فى التلخيص: بل موضوع. و رواه الطبرانى فى الصغير و ابن عساكر و أبو نعيم فى الحلية.

٢ . عن مالك الدار قال: «أصاب الناس قحط فى زمان عمر ابن الخطاب فجاء رجل الى قبر النبى ﷺ فقال: يا رسول الله استسق الله تعالى لأمتك فانهم قد هلكوا فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام فقال: **ائت عمر فأقرأه السلام و أخبره أنهم يسقون و قل له: عليك الكيس الكيس فأتاه** الرجل فأخبره فبكى، ثم قال: يا رب لا آلو ما عجزت عنه.» رواه البيهقى فى الدلائل.

الصحابة، فعلم أن ذلك من أعظم القربات، و عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك»**[١]، و عن أبي سعيد الخدري: **«أسألك بحق ممشاى هذا أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، و خرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار و أن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب الا أنت، أقبل الله عليه بوجهه و استغفر له سبعون ألف ملك»**[٢].

ولم يزل السلف الصالح و من بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم للصلاة من غير نكير، و مما ورد عنه عليه السلام من التوسل قوله: **«اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، و وسع عليها مدخلها بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلي»**[٣] و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا، فإن لله عزوجل في الأرض حاضراً سيحبسها»**[٤] و أمثال هذا كثير لا يحصر، و فيما ذكر كفاية لطالب النجاة دون المعاند و المجادل.

و أما عبارات الفقهاء فهي كثيرة لا تستقصى، فمنها من فقهاء الحنابلة ما ذكره العلامة المحقق العمدة الثبت الشيخ منصور البهوتي شارح المنتهى و الاقناع و محشيها، قال في شرحه للإقناع: قال السامري و صاحب التلخيص لا بأس بالتوسل في الاستسقاء بالشيوخ و العلماء المتقين، و قال الحافظ ابن

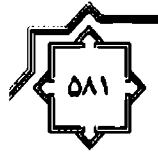
---

١ . أخرجه ابن مردويه و ابن السني والدار قطني في الأفراد.

٢ . رواه ابن ماجه في كتاب المساجد و الجماعات (باب: المشي الى الصلاة) رقم [٧٧٨] و أحمد في مسنده رقم [١٠٧٧٢].

٣ . رواه الطبراني في الكبير و الأوسط و ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه.

٤ . أخرجه أبو يعلى الموصلي [٩:٥٢٦٩] و الطبراني في الكبير و ابن السني و البزار و أبو عوانة عن عبدالله بن مسعود.



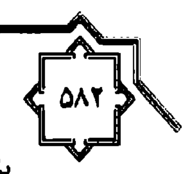
الجوزى يجوز أن يستشفع الى الله تعالى برجل صالح، و قيل يستحب و هو المعتمد؛ و قال الامام أحمد فى منسكه الذى كتبه للمروزى أنه يتوسل إلى الله تعالى بالنبى ﷺ فى دعائه، فقال صاحبه الامام الخطير إبراهيم الحربى: الدعاء عند قبر معروف الكرخى الترياق المجرب؛ و جوز ذلك ابن مفلح فى شرح مناسك المقنع، و مثله فى شرح الغاية، و مثله فى مناسك الشيخ سليمان بن على جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب امام الوهابية المذكور، فقد خالف جده بذلك أيضا؛ و نظيره فى كتب المذهب يطول ذكرها، و قال العلامة القوى الكرمى فى دليل الطالب: و يباح التوسل بالصالحين؛ قال شارحه: وقد استسقى عمر بالعباس رضي الله عنه[١]، و معاوية بيزيد بن الأسود رضي الله عنه[٢]، و بهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً أو بغير النبى عليه السلام لأن فعل عمر و معاويةحجة، سيما و قد قال عليه السلام: «إن الله جعل الحق على لسان عمر و قلبه»[٣]، ولا يقال فيه دليل على امتناع التوسل بالنبى عليه السلام بعد وفاته أو غيره، لأن التوسل و الاستسقاء به عليه السلام بعد وفاته كان معلوماً متواتراً فيما بينهم كما تقدم فى حديث بلال بن الحارث و قصة عثمان بن حنيف و نحوهما، و كما فى توسل آدم قبل وجوده، و هو من باب أولى، و قال فى المبدع: يستحب الاستسقاء بمن ظهر صلاحه لأنه أقرب إلى الإجابة.

---

١ . روه البخارى فى كتاب الاستسقاء (باب: سوال الناس الامام الاستسقاء إذا قحطوا) رقم [١٠١٠]. عن أنس: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب. فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون».

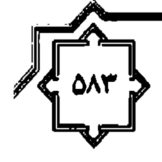
٢ . لم أجده.

٣ . أخرجه الحاكم فى مستدركه فى كتاب معرفة الصحابة (باب: مناقب عمر بن الخطاب) رقم [٤٥٠٢] و الترمذى أيضاً رقم [٣٦٨٢] و أحمد فى مسنده رقم [٥١٢٣ـ٥٦٦٤].



و قال السبكى: و يحسن التوسل و الاستغاثة و التشفع بالنبى الى ربه، ولم ينكر ذلك أحد من السلف و الخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك و عدل عن الصراط المستقيم، و ابتدع ما لم يقله عالم قبله، و صار بين أهل الاسلام مثلة.

أقول: إن ابن تيمية لم يمنع التوسل و التشفع، و إنما منع الاستغاثة بغير الله على معنى قصده لا مطلقا، بل بمعنى طلب الأشياء التى لا يمكن حصولها من غير الله مثل غفران الذنوب و هداية القلوب و إنزال المطر و إنبات النبات، و أما الاستغاثة بغير الله بمعنى طلب شيء من النبى عليه السلام يمكن حصوله منه، فقد أجازه و استدل له بقوله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ﴾ [القصص: ١٥]، و عبارته في رسالته في جواب سؤال رفع اليه رضي الله عنه بهذا الخصوص: و أما التوسل بالنبى عليه السلام ففيه حديث فى السنن أن أعمى أتى النبى صلى الله عليه وسلم و ذكر حديث الضرير المتقدم، فلعله رجع عما ذكره السبكى، و فى الشفاء للقاضى عياض قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له: لا ترفع صوتك فى هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] و مدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ﴾ [الحجرات: ٣]، و ذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، و حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر و قال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة و ادعوا أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله و استشفع به فيشفعك الله، و فى نسخة فيشفعه الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤]



و فى شرح نور الايضاح للشرنبلالى الحنفى العلامة القوى فى باب الزيارة ذكر فيه هيأةالسنة و الأدب عند الوقوف فى مواجهته ﷺ، و فيها: و تقول السلام عليك يا سيدى يا رسول الله...إلى أن قال: قد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤].

ثم تقول: وقد جئناك ظالمين لأنفسنا مستغفرين لذنوبنا، فاشفع لنا إلى ربك و أسأله أن يميتنا على سنتك و أن يحشرنا فى زمرتك و أن يسقينا بكأسك غير خزايا ولا نادمين، الشفاعةالشفاعة يا رسول الله؛ و كذلك ذكر فى الاقناع و المنتهى أنه يستحب الاتيان بهذه الآية عند زيارته عليه السلام؛ و نحوه فى كتاب الشافعية، حتى نقل ابن حجر فى الصواعق المحرقة أن الامام الشافعى رضي الله عنه توسل بآل البيت النبوى حيث قال:

آل النبي ذريعتي	و هم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعط	غداً بيدي اليمين صحيفتي

فعلم مما تقدم أن فقهاء الأئمة الأربعة أجازوا التوسل و الاستشفاع و الاستغاثة بالأنبياء و الصالحين مطلقاً فى كل ما يطلب من المولى تعالى حال حياتهم و بعد انتقالهم و مماتهم، و كما ذكروه فى المناسك عند ذكرهم زيارة قبره الشريف عليه السلام، قالوا إنه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف و يتوسل به إلى الله تعالى فى غفران ذنوبه و قضاء حاجته، و يستشفع به عليه السلام، و من أحسن ما يقال ما جاء عن العتبى و هو مروى أيضاً عن سفيان بن عيينه، و كل منهما من مشايخ الامام الشافعى، قال العتبى: كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابى فقال السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله تعالى يقول و فى رواية يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

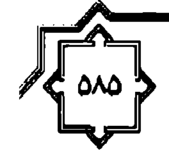
جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤]، وقد جئتك مستغفراً من ذنبى مستشفعا بك الى ربى، ثم بكى و أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع و الأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف و فيه الجواد و الكرم

قال العتبى: ثم استغفر الأعرابى و انصرف، فغلبتنى عيناى فرأيت النبى عليه السلام فى النوم فقال: يا عتبى الحق الأعرابى فبشره أن الله غفر له، فخرجت خلفه فلم أجده. و محل الاستدلال أن العلماء استحسنوا الاتيان بذلك المذكور، و قد ثبت فى الحديث عرض أعمال أمته عليه السلام، و أن ما رأى منها من خير حمد الله، و ما رأى من شر استغفر لهم، وقد نقل فى المواهب اللدنيةعن المالكية والشافعية و الحنفية استحباب الدعاء عند القبر الشريف، وقد قدمنا صحة القول به عن أئمة الحنابلة، وقد أطال الامام السبكى الكلام فى نقل نصوص المذاهب الأربعة فى ذلك و هو الحق كما قدمنا.

فتلخص و تحصل من هذا جميعه صحة القول بالتوسل به عليه الصلاة و السلام و النداء و الاستغاثة و الاستشفاع، إذ لا فرق بينهم كما سبق قبل وجوده و فى حال حياته و بعد مماته ﷺ و كذلك غيره من الانبياء و الأولياء و الصالحين، و إن هذا مذهب أهل السنة و الجماعة لما دلت عليه الأخبار الصحيحة لأننا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرا ولا خلقاً ولا إعداماً ولا نفعاً ولا ضراً الا لله وحده لا شريك له، لا للحى من ذلك شىء ولا الميت، فلا فرق بين حالتى الحياة و الممات، و أما الذين يفرقون بين الحالتين فهم إلى الشرك أقرب، و مذهبهم يوهم التأثير للحى، فقد أخذوا من حيث لا يشعرون، و دخل



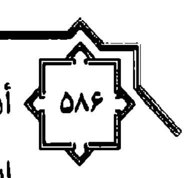
الشرك فی توحیدهم شاؤوا أم أبوا، فکیف یدعون أنهم محافظون علی التوحید و ینسبون غیرهم الی الاشراك سبحانك هذا بهتان عظیم.

فالتوسل و التشفع و الاستغاثة کلها بمعنی واحد، و لیس لها فی قلوب المؤمنین معنی الا التبرك بذکر أحباب الله تعالی و توسیطهم فی ذلك أصلا لما ورد: «**ان الله تعالی رحم بهم العباد أحیاء و أمواتاً**»[١]، و کما تقول: هذه الأکلة أشبعتنی، و هذه الشربة أروتنی و نحو ذلك، والمشبع و المروی هو الله تعالی بهذا السبب، وقد یتخلف بمشیئة الله تعالی، و مسألتنا کذلك، فالاستغاثة و الطلب فی حقیقة الأمر من الله تعالی لا من غیره، فلا یصح القول بمنعها و أنها بدعة مع إجماع الفقهاء علی جوازها، بل استحبابها فی بعض الأحیان کما تقدم، و الاجماع حجة قاطعة، فقد روی عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ان الله لا یجمع أمتی علی ضلالة و ید الله مع الجماعة**»[٢] و عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «**اتبعوا السواد الأعظم فان من شذ شذ فی النار**»[٣] فنسأله تعالی

١ . لم أجده.

٢ . روی الترمذی فی سننه فی کتاب الفتن عن رسول الله (باب: ما جاء فی لزوم الجماعة) رقم [٢١٩٢] عن ابن عمر أن رسول ﷺ قال: «**إن الله لا یجمع أمتی ـ أو قال أمة محمد ﷺ ـ علی ضلالة، و ید الله علی الجماعة، و من شذ شذ إلی النار**».
قال أبو عیسی: هذا حدیث غریب من هذا الوجه.

٣ . رواه الضیاء فی المختار بلفظ: «**ان الله لا یجمع هذه الأمة علی ضلالة أبدا و ان یدالله مع الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فانه من شذ شذ فی النار**» قال ابن حجر رحمه الله فی تخریج المختصر: حدیث غریب خرجه أبو نعیم فی الحلیة و اللالکائی فی السنة و رجاله رجال الصحیح لکنه معلول فقد قال الحاکم لو کان محفوظا حکمت بصحته علی شرط الصحیح لکن اختلف فیه علی معتمر بن سلیمان علی سبعة أقوال فذکرها و ذلك مقتضی للاضطراب و المضطرب من أقسام الضعیف.



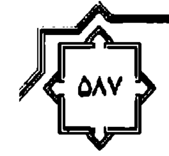
أن يثبت قلوبنا على اتباع سنته و هديه، فقد روى أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[١] إلى أخر الحديث، و هذه المسألة مما تغالى فيها و غلط الطائفة الوهابية المتقدم ذكرهم و أطلقوا الكفر على فاعل ذلك المذكور، وقد ثبت فيها بينا جوازه، بل استحبابه، و أما الألفاظ المغلوطة الواقعة من بعض العوام الموهمة للتأثير فمحملها ظاهر و مثلها كثير في القرآن و السنة من إسناد بعض الأشياء لأسبابها، و هي من باب المجاز العقلي كما قدمنا فلا يجوز تكفير المسلمين بها أصلا، و من كفرهم بمثل ذلك فهو إلى الكفر أقرب، و يجب حمل كلام المسلمين على المحامل الحسنة ولو سبعين محملا كما ذكروه، فما دام يمكن تأويل كلامهم و حمله على محمل صحيح فلا يجوز القول بكفرهم بذلك، سيما و هذه المسألة واضحة لا إشكال فيها، فلا كفر بها أصلاً، و هذا من جهل هذه الفرقة الجهل المركب حيث لم تعترف بجهلها، بل صفتها العناد و المكابرة مصحوبة بدعوى اجتهاد أو ترجيح كما قدمنا؛ فنسأل الله تعالى لنا و لهم التوبة و الحفظ، و يجب عليهم الرجوع الى الحق فإنه فريضة، و نسأله تعالى الهدآية أجمعين بجاه أنبيائه و أوليائه الصالحين آمين.

---

١. رواه الترمذي في كتاب القدر (باب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن) رقم [٢١٦٤] عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ» يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا نبي الله آمنا بك و بما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء».

قال أبو عيسى: و هذا حديث حسن. و هكذا روى غير واحد عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس. و روى بعضهم عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ و حديث أبي سفيان عن أنس أصح.

رواه أحمد في مسنده [١١٦٩٧].



المقالة الخامسة: في استحباب زيارة القبور وشدّ الرحيل إليها سيما زيارة قبره الشريف ﷺ

أما زيارة قبر نبينا محمد ﷺ فهى من أفضل الطاعات و أجل القربات، وردت بها الآثار وحث عليها النبى المختار و تنافس بها الأئمة الأخيار لقوله ﷺ: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى»[١] و قوله عليه السلام: «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى»[٢] و فى رواية «من جاءنى زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتى كان حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» و قال فى الاقناع و المنتهى اللذين هما عمدة مذهب أحمد: «و إذا فرغ يعنى الحاج من الحج استحب له زيارة قبره عليه السلام و قبر صاحبيه أبى بكر و عمر رضي الله عنهما» أ. هـ

قال فى شرح الإقناع: «قال ابن نصر الله: من لازم استحباب زيارة قبره عليه السلام و صاحبيه استحباب شد الرحل إليها لأن زيارته عليه السلام للحاج لا

---

١ . رواه أبو الشيخ و ابن أبى الدنيا و غيرهما عن ابن عمر و هو فى صحيح ابن خزيمة و أشار إلى تضعيفه، و عند أبى الشيخ و الطبرانى وابن عدى والدار قطنى و البيهقى و لفظهم كان كمن زارنى فى حياتى، وضعفه البيهقى.
و قال الذهبى طرقه كلها لينة لكن يتقوى بعضها ببعض لأن ما فى رواتها متهم بالكذب. قال و من أجودها إسناد حديث حاطب الذى أخرجه ابن عسارك و غيره من زارنى بعد فكأنما زارنى فى حياتى. والطيالسى عن عمر مرفوعاً من زار قبرى كنت له شفيعاً أو شهيداً. وللسبكى شفاء السقام فى زيارة خير الأنام و ذكر فيه أحاديث كثيرة فى هذا المعنى.
و كذا ذكر ابن حجر المكى فى كتابه الجواهر المنظم أحاديث من هذا النمط: منها قوله عليه السلام من زارنى أو من زار قبرى الى المدينة كنت له شفيعا و شهيداً،
وروى البيهقى عن أنس رضي الله عنه عنه من زارنى فى المدينة محتسبا كنت له شهيداً و شفيعاً يوم القيامة.
٢ . رواه الطبرانى فى الكبير و البيهقى فى السنن الكبرى.



تمكن دون شد الرحل» أ. هـ. فهو تصريح باستحباب شد الرحل للزيارة، ثـم لا مخصص لذلك، فنقول بجواز شدها لزيارة المشاهد كلها و القبور.

و قال في الاقناع: «قال الامام أحمد: إذا حج الذى لم يحج قط يعنى عن غـير طريق الشام فلا يأخذ على طريق المدينة لأنه إن حدث به الموت كان فـى سـبيل الحج، أى ينبغى له أن يقصد مكة من أقصر الطرق و لا يتشاغل بغير الحـج، ثـم قال الامام: و إن كان الحج تطوعاً بدأ بالزيارة» أ. هـ.

قال ابن نصر الله فى هذا أى نص الامام المذكور دليل أن الزيارة مقدمة فـى الفضيلة على نفل الحج و على استحباب شـد الرحـل إليهـا قبلـه، و مقتـضى عمومه للنساء أيضاً.

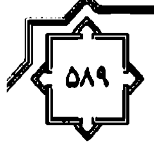
و أما التمسح بقبره الشريف فلم يثبت عن أحد من الحنابلة إلا ما نقلـه فـى شرح الاقناع فى الجنائز عن الامام إبراهيم الحربى صاحب الامام أحمد يستحب تقبيل حجرة النبى عليه السلام، و الامام قد أحاط بالسنة، فلا بد هناك مـن دليـل لـه، وحاشاه من أن يحكم بشىء بلا دليل، والله أعلم.

و أما زيارة بقية القبور فقد صحت بها الأخبار أيضاً، واتفق علـى اعتيادهـا للرجال و الفقهاء من الصحابة و غيرهم، فإنه ثبت أنه ﷺ كان يكثر زيارة قبور البقيع فى كل جمعة، فتسن زيارتها للاعتبار و التـذكر[1] ولانتفـاع الميـت بـالقراءة

---

١ . روى الترمذى فى كتاب الجنائز (باب: ما جاء فى الرخصة فى زيارة القبور) رقم [١٠٥٤] عـن سليمان بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: «**قد كنت نهيتكم عن زيـارة القبـور فقـد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة**». قال أبو عيسى حديث بريدة حديث حسن صحيح و العمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بزيارة القبور بأساً و هو قـول ابـن المبـارك و الشافعى و أحمد و إسحق.

و راه مسلم فى الجنائز (باب: استئذان النبى ربه عزوجل فى زيارة قبر أمه) رقم [٩٧٧] عن أبى بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**».



عنده و الذكر ولم يختلف اثنان بذلك، و أما للنساء فيجوز بطريق الصدقة لا القصد، ولكن على وجه البذلة و أمن الفتنة، ولو قيل بمنعها في هذا الزمان الكثير الشر و الفساد القليل الخير لا يبعد كما نقله المتأخرون، سيما وقد ورد عن عائشة الصديقة ﵂ و عن أبيها أنها قالت: «**لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء اليوم لمنعهن المساجد**»[1]، فالقبور من باب أولى، و هذا في زمنها ففي زماننا من باب أولى، و لذا أطلق بعضهم المنع بالنسبة إليهن، و هو حسن لا يشك به عارف بأحوال الزمان اليوم، و ربما يحمل عليهن حديث «**لعن الله زوارات القبور**»[2] و قد قدمنا نقل شرح الاقناع عن صاحب الامام أحمد إبراهيم الحربي أنه قال: «الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرب»، أقول يوخذ من هذا قصد المواضع الفاضلة عند الدعاء رجاء الاجابة، و شواهد هذا كثيرة لا تعارض.

و قال القسطلاني في المواهب اللدنية: قد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه الامام النووي، و أوجبها الظاهرية، و محل الاجماع للرجال فقط، فعلم من هذا استحباب زيارة مشاهد الصالحين و الأولياء و غيرهم.

---

١ . رواه البخاري في كتاب الأذان (باب: انتظار الناس قيام الامام العالم) رقم [٨٦٩]، و مسلم في كتاب الصلاة (باب: خروج النساء الى المساجد اذا لم يترتب عليه فتنة) رقم [٤٤٥].

٢ . رواه ابن ماجه في كتاب الجنائز (باب: ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور) رقم [١٥٧٦]، و رواه الترمذي في كتاب الجنائز (باب: ما جاء في الرخصه في زيارة القبور) رقم [١٠٥٦] «عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور» قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح و قد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي ﷺ في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال و النساء و قال بعضهم إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن و كثرة جزعهن.



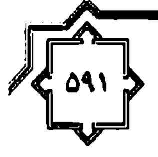
و أما شد الرحل لزيارة القبور و المشاهد فهو مباح لا كراهة فيه في متعمد مذهب الامام أحمد، و قال في المنتهى و الاقناع و شرحيهما في صلاة القصر: ان السفر يكون واجبا كالسفر لحج و جهاد متعين، و مسنونا كالسفر لزيارة الاخوان و عيادة المريض و زيارة الوالدين، و مباحاً كالسفر لترهة و فرجة و تجارة أو قصد مشهد أو قبر نبي أو مسجد غير الثلاثة، فمنه يعلم أن شد الرحل لغير الثلاثة مباح لا كراهية فيه، و في الاقناع و شرحه: و يترخص أي المسافر إن قصد بسفره مشهداً أو قصد مسجداً ولو غير الثلاثة أو قصد قبر نبي أو غيره كولي، و حديث: «**لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، و المسجد الحرام، و المسجد الأقصى**»[1] أي لا يطلب ذلك فليس نهياً عن شدها لغيرها خلافاً لبعضهم، لأنه عليه‌السلام كان يأتي قباءً راكباً و ماشياً و يزور القبور و يقول: «**زوروها فإنها تذكر الآخرة**»[2]، و قوله خلافاً لبعضهم، أي لبعض أئمة الحنابلة الذين كرهوا شد الرحل لزيارة المشاهد و منعوه من الترخص في سفره كأبي الوفاء بن عقيل البغدادي و الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني و تلميذه ابن القيم، و المذهب الصحيح ما قدمناه عن الاقناع والمنتهى.

و أجاب بعضهم عن الحديث المذكور أن معناه لا تشد الرحال إلى مسجد لأجل تعظيمه و الصلاة فيه إلا إلى المساجد المذكورة، فإنها تشد الرحال إليها لتعظيمها و الصلاة فيها، ولا بد من تقديرٍ في الحديث المذكور، و الا لاقتضى منع شد الرحل للحج و الجهاد و الهجرة من دار الكفر لدار السلام و لطلب العلم و للتجارة و غير ذلك، ولا يقول بهذا أحد، و يدل على التقدير المذكور

---

١ . رواه البخاري في كتاب الجمعة (باب: فضل الصلاة في مسجد مكة و المدينه) رقم [١١٨٩]، و مسلم في كتاب الحج (باب: لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد) رقم [١٣٦٧].

٢ . تقدم تخريجه.



آنفاً التصريح به فى حديث سنده حسن و هو قولـه ﷺ: «**لا ينبغـى للمطـى أن تشد رحالها الى مسجد يبتغى الصلاة فيه غير المسجد الحـرام و مـسجدى هـذا و المسجد الأقصى**»[1] و ذكر العلامة القسطلانى فى شرح البخارى عند قوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»: اختلـف العلـماء فـى شـدها لغيرهـا أى المساجد الثلاثة، كالذهاب إلى زيارة مشاهد الصالحين و إلى المواضع الفاضـلة، فقال أبو محمد الجوينى: يحـرم عمـلا بظـاهر هـذا الحـديث، واختـاره القاضـى حسين، و قال به القاضى عياض و طائفة، و الصحيح عند إمام الحرمين و غـيره من الشافعية الجواز، و خصوا النهى بنذر الصلاة فى غـير الثلاثـة، و أمـا قـصد غيرها لغير ذلك كالزيارة فلا يدخل، و ما ذهب إليه الشيخ تقى الدين من منعـه شد الرحال لزيارة المشاهد مطلقا فليس بمذهب للإمام أحمد، و لم يـصح روايـة عنه فيه.

و المذهب ما قدمناه عن الاقناع و المنتهى و الشيخ مع علو كعبه فى العلـوم و تقدمه فى المنطوق و المفهوم لا يتابع فى مسألتى الزيارة و الطلاق الثلاث على أن المحققين من أصحابه أجابوا عنه بأنه كره اللفظ أدباً لا أصل الزيارة، فإنها من أفضل الأعمال و أجل القرب الموصلة إلى ذى الجلال، و هو قريب، و إلا فيبعـد مع مقام الشيخ و تفضيله السفر للتجارة و النزهة على السفر للزيارة و نحوهـا، و لأن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع، و أيضاً حـديث: «**لا تـشد الرحـال**» وارد فى النهى عن نذر الصلاة فى غير المساجد الثلاثة لاستواء فـضيلتها، فمـن نـذر الصلاة فى أحد المساجد الثلاثة لزمه ذلك، و به قال مالك و أحمد و الشافعى فى البويطى و اختاره أبو إسحاق المروزى، و قال أبو حنيفة لا يجب مطلقـا، و قـال

---

١ . رواه أحمد فى باقى مسند المكثرين مسند أبى سعيد الخدرى رقم [١١٢١٥].

الشافعي في الأم يجب في المسجد الحرام لتعليق النسك به بخلاف الآخرين، و من نذر إتيان غير هذه الثلاثة لصلاة أو غيرها فلا يلزمه لاستواء فضيلتها، فتكفي صلاته في أي مسجد شاء، قال النووي: لا اختلاف فيه إلا ما روى عن الليث من وجوب الوفاء، و عن الحنابلة رواية أنه لا يجب، و يلزمه كفارة يمين.

و غالب هذه العبارة من القسطلاني، في شرح البخاري و الله أعلم و أحكم.

الخاتمة

في التصوف و أهله و منشأ الاعتراضات عليهم من علماء الظاهر و الجواب عنها و سبب تعرضي لذلك ما سمعته و ما بلغني من الإنكار في هذا الزمان على هؤلاء الأخيار من هذه الفرقة الوهابية و غيرهم من أهل العلم عن جهلٍ منهم بعلم هذه الطائفة الشريفة، و ما هم عليه من التوحيد الخاص المطابق للشريعة بالدليل و البرهان و الكشف و العيان، كما ستعرفه و بالله المستعان.

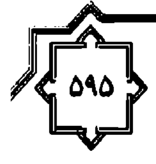
أما التصوف فقد عرفه سادات هذه الطائفة بتعاريف تزيد على مائة تعريف و مرجعها كلها إلى صدق التوجه للحق تعالى و إثبات من لم يزل و نفي من لم يكن على المعنى الذي ستقف عليه إن شاءالله تعالى، و أما أهله فهم أهل الوجود و أرباب المعرفة و الشهود، القائلون بوحدة الوجود الحق على المعنى الآتي موضحاً، و هم ألوف مولفة و سأتعرض لطائفة منهم هم سادات القوم و رؤساؤهم ممن علت مقاماتهم و ارتفعت درجاتهم و استقامت حالاتهم و ثبتت كراماتهم و كانت التقوى زادهم، و معرفة الله تعالى و عبوديته مرادهم، نفعني الله بهم و المسلمين آمين.

و سبب شهرتهم بهذا القول دون غيرهم كونهم تصدوا للتأليف و تحرير هذه المسألة الإيمانية بالاذن الالهي، و لعل غيرهم لم يوذن لهم بذلك و قد صدر



عليهم الرد من علماء الظاهر لحكمة يعلمها تعالى، و أما منشأ اعتراض المعترضين عليهم فهو القول بوحدة الوجود، و أما بقية الاعتراضات عليهم فكالفراغ لهذه المسألة، فلذا طوينا ذكره و اقتصرنا فى النقل على بيان هذه المسألة التى هى أهم المسائل و بيان نذرٍ قليلٍ مناسب لها، و بالحقيقة هى التوحيد الحقيقى الخاص، و سر الايمان و الاخلاص الذى لا يمكن عقلا و لا شرعاً القول بغيره لمن فهم ذلك على وجهة حق الفهم، و هى لباب الشريعة المطهرة و عينها، ولكنها فى الأعصر المتقدمة كانت غامضة الفهم و الادراك بسبب خفاء الاشارة إليها و عدم التصريح بدلائلها لحكمة ما، فلم يتبين كشف معناها و لا فك معماها إلا فى كلام السادات المتأخرين المتبحرين كمثل الأستاذ الكبير القطب العارف بالله تعالى و الدال عليه شيخ الشيوخ فى وقته سيدى عبدالوهاب الشعراوى بالواو هكذا وجدته بخط الأستاذ الأتى ذكره، و مثل سيدى عبدالغنى النابلسى و السيد القطب العارف بالله تعالى الدال عليه السيد مصطفى البكرى الصديقى و غيرهم، و من بحرهم نقلت فاصغى لما يلقى من معناها بقلب كالحديد أو ألق السمع و أنت شهيد، و كف لسانك و احبس من بعيد، فممن تكلم بهذه المسألة من رؤساء هذه الطائفةو هو من أعظمهم علماً و فهماً حضرة الوارث المحمدى الكامل الفانى عن نفسه الباقى بربه العارف الأستاذ الخطير الشيخ محى الدين بن العربى الملقب بالأكبر و الكبريت الأحمر، و قد تصدى للرد عليه جماعة من كبار علماء الظاهر نطوى ذكرهم لأنه غير مقصود فإنه من القائلين بها على وجهها الشرعى، و قد وافق فيها من تقدمه من كبار رجال هذه الطائفةالمباركةالمرضية كالأقطاب الأربعة المشهورين الخاضع لهم كل من فى وقتهم إلى يومنا هذا، و المتفق على حسن أحوالهم كلمة أهل الملة المحمدية، و أبى يزيد البسطامى الذى إذا إطلق لفظ العارف انصرف إليه، و أبى

مدين الذى يعبر عنه الشيخ الأكبر بشيخنا، و سيد الطائفتين الجنيد البغدادى، و إبى طالب المكى، و أبى الحسن الشاذلى، و أبى سعيد الخراز، و شمس الدين التبريزى، و جلال الدين الرومى صاحب المثنوى، و تلميذه صدر الدين القونوى، و بهاءالدين نقشبند، و عفيف الدين التلمسانى، و ابن الفارض سلطان العاشقين، و حجة الإسلام كافة الغزالى، و غيرهم من عظماء الرجال الواصلين إلى عين التوحيد و أهل الحقيقة و التجريد، لا يحصون عدداً إلا أنهم ﴿رض﴾ لا يدونوا فى هذا الشأن كثيراً كما دون سيدى الشيخ الأكبر فيه، و الظاهر أنه لعدم الإذن و إلا لكان يجب عليهم ذلك كما أخبر به الشيخ ﴿رض﴾ عن نفسه فى الفتوحات و الفصوص و غيرهما، بأنه مادونها إلا عن إذن من حضرة الرسول الأعظم ﷺ و قد كشف فى تدوينه لهذه المسألة و غيرها من الحقائق عن باطن الشريعة الأحمدية، و وضح الكلمات العظيمة القرآنية، و بين جوامع الكلم المصطفوية بما لا يخطر على قلب بشر ولا تحيط به الفكر، و إنما هو علم لدنى و كشفٌ ربانى، بل هو نفث فى روع، فما قال شيئاً إلا عن الله فإنه ﴿رض﴾ العبد الخاص الذى يقول بالحق و يسمع به ويبصر به كما أخبر به عن نفسه فكل كلامه حكم ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] و لنقدم أولا عقيدة هذا الامام العارف الموافقة لعقيدة السلف الصالح التى أخبر بها عن نفسه بقوله سائلى عن عقيدتى أحسن الله ظنه علم الله أنها شهد الله أنه أشار إلى قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، و مع ذلك هو ﴿رض﴾ مجتهد مطلق فى مذهبه الخاص الفقهى والأصل الدينى كما نبه على ذلك فى فتوحاته المكية قال فيها: إنى ذكرت مسألة وافقت فيها مذهب الحكيم أو المعتزلى أو الجبرى أو خلافهم فليس قصدى تقليد واحد منهم و إنما هو مجرد



موافقة رأى رأياً، و من المعلوم البين أن ليس جميع ما ذهب إليه الحكيم و المعتزلى أو الجبرى باطلاً و غير صحيح، بل لابد و أن يكون فيه ما شأنه الصحة، و كثيراً ما يوافق وضعه فى مذهبه الاشراقيين أو غيرهم، و لنذكر ما يتعلق بالكلام على أساس وحدة الوجود مع أدلتها فنقول:

مذهب أهل الحق من أهل الله تعالى الواقفين على عين الشريعة المطهرة و أسرارها بعد وقوفهم على ظواهرها و اصطلاحات أهل الفنون بأسرها، و اتقانهم لأصولها و فروعها أن الوجود من حيث هو هو أى لا بشرط شىء معه هو الحق تعالى و أن هذا الوجود واحد بوحدةٍ لا تزيد على ذاته، و أنه موجود خارجى فهذه دعاوى ثلاث ثابتة فيه عندهم و سنذكر أدلتهم فيها.

مسألة: إذا كان لهذا الوجود الوحدةالذاتية فما هو فى الخارج منه أو فى الذهن من الإفراد فإنما هو إفراد خصوصية لا حقيقة، كما تقول: إن القيام من حيث هو واحد فإذا أضيف إلى زيد قيل: هو قيام زيد، و إلى عمر: قيل هو قيام عمر، و هكذا، و إذا قطعت النسبة عنهما رجع القيام شيئا واحداً.

مسألة أخرى: قد علم من قولنا لا بشرط شىء أن جميع ما يعتبر لهذا الوجود من كونه كلياً أو جزئياً خارجياً أو ذهنياً عاماً أو خاصاً أمراً اعتبارياً أو حقيقياً إلى غير ذلك من وجود الاعتبارات ليس يراد به هذا الوجود الحق المذكور لتقييد ذلك و إطلاقه، نعم هذا يكون له باعتبار تنزلاته فى مراتبه و ظهوراته فيها، كالماء فإنه من حيث ذاته لا لون له، فإذا ظهر بالأوانى المتلونة تبعها فى اللونية، فقيل أحمر و أخضر و أصفر و هكذا فلا يرد ما وقع فى كلامهم ﵁ من أن العالم هو الحق، أو أن الكل هو تعالى، فالملخص من هذا أن يقال: مادام العالم بخصوصياته كهذا زيد، و هذا عمر و نحو ذلك، فهو غير الحق قطعاً و هو كفر باجماع الطائفتين حينئذ، و إذا قطع النظر عن الخصوصيات

و اضمحلت و كان الحق من ورائها وحده لا غير رجع العالم إلى أنـه هـو الحـق تعالى، و هو حقيقة الايمان و نفي الـشرك، لأن الوجـود لله وحـده كـما ذكـر، و إيضاح ذلك بما ذكره الأستاذ الـشعراوي رضي الله عنه فـي كتابـه المـوازين الذريـة أن للحق تعالى مرتبتين: مرتبـةالاطلاق الحقيقـي المنـزه عـن كـل قيـد حتـى عـن الاطلاق فإنه قيد له و هو المنزه عن القيود و هو في هذه المرتبة ثابـت لـه الغنـى عن العالمين و لا خبرة للعالمين به ولا معرفة ولا إشـارة أبـداً، والمرتبـة الأخـرى مرتبة التقييد و هو الظاهر سبحانه و تعالى بها للعالمين به في كل صورة محسوسة و معقولة و موهومة، فهي ثابتة له بوجه التنزل بمقتضى قوله تعالى:

﴿وَلله مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النجم: ٣١] و قوله تعـالى: ﴿وَلَـهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٩١] بلا تأويل أي مظهر له فكل صورة مما ذكر هي مظهر له و هو قيومها، و هو من حيث إطلاقه و أحديته و غناه عن العالمين منزه عنهـا، و باعتبار هذه المرتبة ثبتت له صفات التشبيه كظهوره بالصور المختلفة يوم القيامة، الثابت بالأحاديث الصحيحة، والمشي و الهرولة و التعجب و التبـشيش، و غـير ذلك مما ورد بلا تأويل لها و إخراجها عن المتبادر منهـا بلغـة العـرب التـي نـزل القرآن بها.

و كشف هذا المعمى و فك هذا الرمـز يظهـر بمثـال حـسي ذكـره الأسـتاذ العارف سيدي عبد الغني النابلـسي رضي الله عنه فـي بعـض مولفاتـه و هـو الـصورة داخل المرآة إذا قابلها شخص فيظهر للرائي صورته داخل المرآة كأنها هـو حتـى أنه ربما يظنها القاصر العقل أو الصغير أنها هي فلان و يناديها باسمه، و ربما يمد يده إليها زاعماً أنها هو، و الحال أنها مظهر للحقيقة التي تقابلها و مثال لها لیـست هي هو في نفس الأمر، بل هو منزه عنهـا، ولا مناسـبة بينهـا و بينـه بوجـه مـن الوجوه و بذاتها تعطي التنزيه له، ولذا يمينها تكون شمالاً له و بـالعكس، و مـن



البين أنه لا يلزم من ظهور الشيء بصورة المرآة تحوله فى ذاته ولا اتصاله بها ولا حلوله فيها ولا اتحاده ولا تغيره عما هو فى ذاته بوجه من الوجوه، لأنها محض مظهر له و صورة معدومة فى الخارج، مقدرة مفروضة لا وجود لها فيه بل لها ثبوت مادامت تلك الحقيقة ماسكة لها بمقابلتها لها، كذلك ظهور الحق تعالى بصور العوالم بأسرها ولله المثل الأعلى، و الأنزه أبد الآبدين و دهر الداهرين، إنما هو محض تجل و انكشاف لا يلزم منه أن يتصل بها أو يحل فيها أو يتحد معها، ولا مناسبة بينه و بينها بوجه من الوجوه لأنها محض صور و تقادير عدميةمفروضة لا وجود لها بالنسبة للحق تعالى تجلى لها فظهرت على صورة ما فى علمه القديم الأزلى، فلها الثبوت فى العلم لا الوجود فى الخارج، كما صور الانسان فى نفسه و عقله صورة، فما دامت هذه الصورة المتخيلة ممسوكة فى ذهنه فلها الثبوت، و إذا صرف النظر عنها على الفرض و التقدير كانت معدومة و ليس لها وجود خارج الذهن، و بالنسبة إليها هى معدومة باطلة، فكيف تحل الحقيقة فى العدم أو تتحد به، هذا مما لا يتصوره العقل فضلا عن النقل لأن الحلول و الاتحاد لا يتصور ولا يمكن الا بين شيئين حقيقيين مستقلين بالوجود، وقد ثبت بالعقل و النقل عدم وجود شيء مع الحق تعالى، بل لها الثبوت فقط فلا حلول ولا اتحاد ولكونها ثابتة غير منفية صح خطاب الله تعالى لها بقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، ولا يخاطب إلا ثابت فيكون المعنى إذا أردنا إبراز شيء و إظهاره من حضرة علمنا الثابت فيه الغير الموجود فى الخارج أن نقول له ابرز و اظهر فيبرز و يظهر و يتجلى الحق تعالى عليه بوجوده و بمده له بفيضه وجوده، و يكون بقاؤه بقيومية الحق تعالى عليه و امداده فهو كظل الشجرة بالنسبة لأصلها، ولو ثبت له الوجود

بالاستقلال لم تثبت له صفةالافتقار للحق تعالى، و هى ذاتية له فى كل لمحة و أقل من ذلك، و بهذا المقدار اعنى الثبوت المذكور صح التكليف و تم التشريف، و يأتى لهذا تمام على الله تعالى بلوغ المرام، اللهم ألهمنا رشدنا و أعذنا من شر أنفسنا، و لنرجع إلى ما كنا فيه من بحث الوجود، فنقول ثم إن هذا الوجود الحق يستره فى أول مراتبه عن كل قيد و تعين، فانتفى العلم به حينئذ لذلك، و إنما دلت رسله تعالى عليه و الحالة هذه، ولولا الرسل لم يعلم بحال فى تلك المرتبة التى له الإطلاق الحقيقى فلا اسم له هنا و لا رسم، و هذا شأن الذات الأحدية قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] أشار بضمير الغيب المطلق الذى ينفى التعين و العلم و أنه هو الله أحد، ثم إن التعيين و المعرفة كانا له تعالى باعتبار و أحديته، و هى الحضرة المقيدةالمذكورة سابقاً، و عند تجلياته بصوره الاسمائية و الصفاتية التى لا تتناهى فالمرتبة الأولى هى الكنز المخفى المشار إليه بقوله فى الحديث القدسى كما ذكره حضرة الشيخ ﷺ و غيره «**كنت كنزاً مخفياً**»[١] و المرتبة الثانية المحبةمرتبة «**فأحببت أن أعرف**» فكأن هذا الوجود هو المعلوم المجهول أى المجهول من حيث الحقيقة و الادراك، و المعلوم من حيث

---

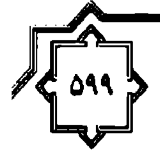
١ . «كنت كنزا لا أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقا، فعرفتهم بى فعرفونى».

وفى لفظ فتعرفت إليهم فبى عرفونى، قال ابن تيمية: ليس من كلام النبى ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف.

و تبعه الزركشى و الحافظ ابن حجر فى اللآلىء و السيوطى و غيرهم.

و قال القارى لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أى ليعرفونى كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما.

والمشهور على الالسنة كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فبى عرفونى. و هو واقع كثيراً فى كلام الصوفية، و اعتمدوه و بنوا عليه أصولاً لهم.



التجليات و الظهور بالمظاهر كما قدمناه، قال عليه السلام: «سبحانك لا أحصى ثناء عليك»[١] أى لا أبلغ كل ما فيك وقال: «ما عرفناك حق معرفتك»[٢] و قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، ثم لما كان لهذا الوجود المحق الاعتباران السابقان أى اعتبار حضرة التقييد من حيث واحديته و العلم به من حيث مظاهره و تجلياته الدالة عليه بأنه لا إله إلا هو توهم من توهم من هذين الاعتبارين أن الوجود كله طبيعى عند القوم لا وجود له إلا بوجود أفراده، و رتبوا على ذلك لوازم باطلة تخل بالتوحيد، و هذا التوهم مدفوع كما بينا من أن له الوجود الخارجى على كلا الحالين إلا أنه فى الحالة الأولى لم يعلم أصلاً إلا بدلالة الرسل عليه، ولا يلزم من عدم العلم بالشىء عدم ذلك الشىء، فى الواقع مسألة قولهم إن الوجود من حيث هو هو، هو الحق أى يعبرون عنه تعالى بهذا الوجود حيث لم يكن شىء ترجع إليه كل الأشياء فى جميع مراتبها إلا هذا الوجود المطلق عن كل قيد حتى عن قيد الاطلاق، فإنه تقييد له، و هو أيضاً المتقيد بكل قيد، أى من حيث التجلى و الظهور كما مر، ثم ليعلم أن إدراك علم التصوف يكون بأحد طريقين: الطريق الأول و هو الأعلى هو طرق الذوق و الحصول بالنفث فى الروع، و الثانى يكون بالأخذ من الكتب المدونة للقوم، إما

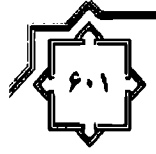
---

١ . رواه مسلم فى كتاب الصلاة (باب: ما يقال فى الركوع و السجود) رقم [٤٨٦] عن عائشة قالت: «فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه و هو فى المسجد و هما منصوبتان و هو يقول: اللهم أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك و أعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

٢ . أخرجه الخطيب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود إن العبد من عبيدى ليأتينى بالحسنة فأحكمه فى قال داود عليه السلام: و ما تلك الحسنة؟ قال: كربة فرجها عن مؤمن قال داود عليه السلام: اللهم حقيق على من عرفك حق معرفتك أن لا يقنط منك.

بالفتح الالهى أو بتعليم شيخ عالم به أو ذائق، و هذا الوجه يعد من الكشف كما ذكره حضرة الشيخ فى فتوحاته المكية، ولا خفاء فيه لأنه علم و العلم صفة تنكشف به المعلومات، و قد أمر ﷺ هو و غيره من سادات القوم بمطالعة كتبهم لمتهيىء لفهمها على وجهها و مؤمن بها، و أما نهى بعض المشايخ لبعض تلامذته عن مطالعتها فإما لعدم أهليته، فخوفاً على زيغ عقيدته نهاه عنها، أو لأنه يشغله ذلك عما أمره به من الأوراد حالة السلوك فهو أنفع له من غيره كما ذكره سيدى العارف النابلسى فى شرح ديوان ابن الفارض، و غيره، و الطريق الأول عليه المعول فإن الطريق الثانى لا يخلو عن خبط و حيرة، ثم إن أهل الكشف و الشهود لما رأوا الحال على ما هو عليه فى الأمر الإلهى عبروا عنه بألفاظ كيفما اتفق، ولم يتحاشوا عما يرد على ظواهرها كقولهم إن الحق تعالى هو الوجود من حيث هو هو، فإنهم بالمشاهدة و العيان رأوا أن الحق تعالى الواجب الوجود هو الذى قامت به السموات و الأرض و ما بينهما، بل هو قيوم كل شيء فلم يروا شيئاً يعم هذا الأمر و يناسبه إلا الوجود المُنزه عن كل قيد، فعبروا عنه بهذا اللفظ، كقولهم عندما رأوا أنه تعالى لا يخلو شيء عنه إن العارف لا يكون عارفاً حتى يرى هوية الحق سارية فى كل شيء، أى بلا سريان بعد فناء كل شيء فى العيان، و من هنا قال الصديق الأكبر ﷺ: ما رأيت شيئاً إلا و رأيت الله قبله أو بعده أو فيه، كما نقل عنه ذلك ثقات هذه الطائفة، و هذا بظاهره حلول كما أن الأول بظاهره صفة و أمر اعتبارى، و كقول الشيخ الأكبر عندما رأى أن كل شيء لابد أن يرجع بباطنه إلى الحق شعراً

الرب حق و العبد حق ... ياليت شعرى من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنى يكلف



و هذا بظاهره اتحاد و شرك، فبهذا و أمثاله غلط من غلط، و هم قسمان متصوفة مشغوفون بمطالعة كتب القوم و يتكلمون بها يتكلمون به و هم جهلة لا يدرون مبادىء العلم فضلاً عن مقاصده، و يزعمون أنهم على الحاصل و هم على الفائت، و هؤلاء هم الجهلة المارقون من الدين، يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، و مثل هؤلاء يكونون علة غائية للتكلم و الاعتراض على القوم، و القسم الثانى من هو من أهل العلم إلا أنهم ليس لهم هذا المشرب العذب، فيسمع كلاماً ظاهره الحلول أو الاتحاد، أو أنه مخالف لظاهر الشريعة فى الجملة، فيقول على القوم بحسب ما ظهر له من كلامهم أنهم حلولية أو اتحادية أو إباحية أو وجودية أو زنادقة، و حاشا مقامهم من ذلك، و من العلماء من التزم الأدب معهم و سكت و وكل العلم فى شأن كلامهم إليه تعالى لعدم إحاطة أحد بجميع المعلومات و أحبهم و سلم لهم، فهذا هو المنهج الأسلم و الأول على خطر عظيم، و على كل حال فشأن كلامهم الاشارة لا صريح العبارة، بل لهم رموز خفية لا تدرك إلا من طريق الكشف و الذوق الصحيح، إلا أنه قد اشتهر فيما بين العلماء بأحوال كلامهم أن الممارسة على مطالعة كتبهم بمحبة و صدق و تسليم لمن له نوع أهلية تورث نوع فتح إلهى فيها سيما كتب الشيخ الأكبر ﷺ، و أن من شأنهم فى تآليفهم أن يفسروا بعض كلامهم السابق بالبعض اللاحق، كما يقول الشيخ فى فتوحاته: و هذا معنى كلامى فيما تقدم كذا و كذا، فمن هذا يحصل للمتأمل إدراك الباقى فى الجملة و يذهب منه ما توهمه أولا فإنهم ﷺ تكلموا فى كتبهم بشىء قد أحاله العقل السليم، أو خالف الطريق المستقيم، و مرجع كلماتهم للعلم اللدنى الوارد فى القرآن و السنة، يظهر لمن فتح الله عين بصيرته و كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد، كما ذكره الشيخ فى الفتوحات و غيرها، و إنما يحجب فهمها عن

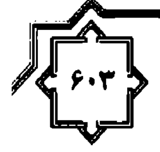
غير هذين القسمين من أهل الحجاب و الفهم السقيم أو عن منكر أساء الظن بهم فصاحب القلب و العين و العقل السليم أو صاحب أحدهما هو الذى يسقى من رحيق كلامهم المختوم، و يتنافس فى درر مبانيه و جواهر معانيه فإنه إيمان صرف و عبودية خالصة سيما عبارات الشيخ الأكبر و ترجمانه العارف النابلسى.

أمولاي محي الدين أنت الذي بدت ... علومك في الآفاق كالغيث إذ همي
فكشفت معنى كل علم مكتم ... و أوضحت بالتحقيق ما كان مبهماً

و حيث فهمت مما سبق معنى الوجود عندهم الذى هو أهم مسألة فى هذا العلم، و فهمت معناه عند غيرهم من أنه أمر كلى طبيعى ظهر لك اختلاف الموضوع و بطلت اللوازم الواردة عليه، على أن لازم المذهب ليس بمذهب، و إذا إردنا التقصى عن مفردات الاعتراضات و اللوازم و التصدى لردها لخرجنا عن المقصود من بيان الحق و النصيحة للمسلمين، ولا تسعه المجلدات ففى هذا القدر كفآية لطالب الهدآية، أو معترض لبلوغ الغآية، والله الهادى و عليه اعتمادى.

و لنرجع إلى بعض الأدلة السمعية على إثبات وحدة الوجود الحق و أن ما سواه فانه باطل بالنسبة إليه مما ذكره علماء هذا الفن، فمنها ما وقع فى القرآن العظيم و السنة المطهرة، أما القرآن الكريم فقوله تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] و قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، أى وجه الحق المتوجه به على ذلك الشىء و قيومه أو وجه الشىء و هو عينه الثابتة فى علمه تعالى أزلاً و أبداً، الغير موجودة فى الخارج على ما قاله رجال هذه الطائفة، و هو وجه ظاهر لا تنافيه الشريعة المطهرة، و بيانه أن لفظ هالك اسم فاعل و هو حقيقة بالحال كما هو مقرر فى موضعه فهلاك الأشياء من حيث هى أشياء حال، و بقاء الوجود ثابت بحكم هذا الاستثناء و قوله تعالى:



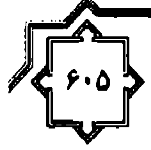
﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] مع قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، فحقيقة ذلك واحدة و هو الوجود الحق المحيط بها و الظاهر فيها مع كونها معدومة، إذا لا يلزم من ظهور الحقيقة الواحدة بصور معدومة متكثرة كثرتها فى نفسها و تعددها أو انقلابها معدومة، أو نحو ذلك من حلول أو اتحاد كما مثلنا من ظهور صور الشاخص عند مقابلته للمرآة، و كذلك عند مقابلته لجملة مرائى مع التنزيه التام و لله المثل الأعلى، و الإتيان بغي لضرورة التعبير.

و أما السنة فمنه قوله ﷺ: «**أصدق كلمة قالها لبيد ألا كل شىء خلا الله باطل**»[١] أى بالنسبة للحق، والسنة طافحة بمثل هذا فإن قلت يفهم من هذا الكلام المتقدم بأجمعه أن الأشياء خيالات و أوهام باطلة لا حقيقة لها و هو مذهب قوم ضالين، فالجواب أن هذا راجع إلى أصل لا بد من بيانه أولاً حتى يظهر مرادهم فى ذلك و هو أن حقائق الممكنات و ماهيتها عبارة عندهم عن الصور العلية المسماة بالأعيان الثابتة لثبوتها فى العلم و عدم براحها عنه حيث أنها لم تشم رائحة الوجود الخارجى فضلاً عن كونها موجودة، و مجموع هذه الصور هى الحضرة العلية، و هى صور أسمائه تعالى و صفاته ولو شمت هذه الأعيان من رائحة الوجود الخارجى لزم حدوثها و يلزم منه حدوث العلم القديم، و هذه الحقائق هى المرائى التى ظهر بها ظل الوجود الحق أو هى مرآتها، و هى ظهرت به قولان، و إنما قيل إن ظل الوجود هو الظاهر لا نفسه لأن الوجود الحق فى مرتبة أحديته الأزلية، لا تعلق له بمظهر أبداً، و ظهوره إنما يكون باعتبار تجلياته على حسب شؤونه لا باعتبار ذاته فكان الظاهر ظله لا هو

١ . رواه البخارى فى كتاب المناقب (باب: أيام الجاهلية) رقم [٣٨٤١] و مسلم فى كتاب الشعر رقم [٢٢٥٦].

في هذه المرتبة الواحدية، و إلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] أى ظل الوجود على الأعيان، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾ [الفرقان: ٤٥] أى لا أثر له ولا ظهور، فحصل لهذه الأعيان بهذا الامتداد الوجود العلى فكانت صور أسمائه تعالى و صفاته، فهى بباطنها وجود حق، و بظاهرها خلق، فهى الحق الخلق عندهم، قال السيد البكرى: «الهى بأهل الذكر و المشهد الأسما بمن عرفوا فيك المظاهر بالأسماء» ثم إن هذه الحقائق التى امتد عليها ظل الوجود العلي سألت بلسان حالها الذى هو أبلغ من لسان المقال من حضرة الواجب تعالى ظهور آثارها و كمالاتها الخارجية و ذلك عند استعدادها و قبولها لذلك، فرحمها فتجلى إليها بما سألته فأفاض عليها من خزانة وجوده، فألبست آثارها حلل الوجود الخارجى فظهرت به هذا المكون الغيبى و الحسى ظلل هذه الأعيان حقائق المكونات و ماهياتها، و إلى ذلك الإشارة بقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن﴾ [النحل: ٤٠]، فالشىء المأمور المخاطب بقوله «كن» هو هذه الأعيان و هذه المظاهر الحسية ظلالها، قال الشيخ الأكبر: بل ثم شيء فصار كوناً و كان غيباً فصار عيناً؛ و من هنا قال أيضاً: أن القرآن و السبع المثانى و روح الروح لا روح الأوانى. إذ تقرر هذا و فهمته حق الفهم عرفت أن معنى كون المكون عدماً محضاً أو خيالاً معناه أنه راجع من هذه الحثية إلى العدم لانعدام حقائقه فى الخارج و الراجع إلى العدم عدم، نعم هو باعتبار أن وراء الوجود الحق حيث ظهر المكون به موجود قطعا لظهوره بظل الوجود الذى انطبع هو به، فالمكونات موجودة باعتبار ظهورها فى الوجود، و معدومة من أنفسها فلها الوجود المستعار، و أما مذهب القوم الضالين فالمكونات لا وجود لها بحال، فبين المذهبين كما بين المشرقين و المغربين، وقد



أثبت الشيخ الأكبر وجود الأشياء على الوجه المذكور بقوله فى خطبة فتوحاته المكية: «الحمد لله الذى أوجد الأشياء عن عدم و عدمه فافهم» فظهر من هذا و ما قبله أن أهل الله تعالى تارة يقولون هو موجود و غير الحق على حسب اعتباراتهم فيه، و فيما ذكر الاشارة إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، فالمكونات حق و باطل، والحق كلَّ آن يدفعه الباطل فيزول ثم يأتى أخرى بتجلٍ ثان يشبه الأول، و هكذا و بسبب المشابهة يحصل اللبس، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] أى التباس لجهلهم بالتجليات الإلهية و تجددها، و من أدلة السنة أيضاً قوله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه»[١]، فالوجود الحق كائن ولا شيء معه، فإن للأشياء الثبوت و الظهور لا الوجود مع الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، و إن كثيراً من العلماء صرحوا بالفرق فى معنى الوجود بين أهل الحق و أهل النظر، فقالوا إن الوجود عند أهل النظر أمر اعتبارى عارض للماهيات و قيوم لها، فيقول أهل الكشف اللون للخمر، فإن قلت تعدد الممكنات و تكثر ما يفضى إلى تكثر الوجود و انقسامه، و يناقض القول بوحدته، فيجاب عن ذلك بما مثّله سيدى الشيخ الأكبر فى فصوص الحكم بقوله: «إن الأعداد المتكثرة المنقسمة فى الظاهر هى فى الحقيقة عبارة عن الواحد مكررا، فلا تعدد ولا انقسام فى نفس الأمر، و هذا التعدد و التكثير والانقسام إنما هو باعتبار ظهور

---

١ . رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق (باب: ما جاء فى قوله تعالى و هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) رقم [٣١٩٢]. عن عمران بن حصين ﵁ قال: دخلت على النبى ﷺ و عقلت ناقتى بالباب فأتاه ناس من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمين فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره و كان عرشه على الماء و كتب فى الذكر كل شيء و خلق السموات و الأرض».

الواحد فى مراتب العدد، و ذلك أن الواحد فى أول مراتب العدد واحد، فإذا ظهر فى المرتبة الثانية من مراتب الأعداد قيل فيه ثان و هكذا الثالث و الرابع إلى مالا يتناهى، فما تكثر الواحد أبداً ولا انقسم، و إنما ظهر فى مراتب حكمت عليه بالكثرة و التعدد من غير أن يكون ثلم لوحدته، و متى لم ينقسم العدد لم ينقسم المعدود، و هكذا القول بالوجود الحق، فإنه شيء واحد ظهر عند تجليه فى مظاهر أسمائه و صفاته بصورة المتكثر المنقسم من غير أن ينقسم فى ذاته).

تتمة تتعلق بالمقام و هى عند الأشعرى ﷺ قد ذهب إلى تجدد الأمثال فى العرض، فإن العرض لا يبقى زمانين عنده كما هو مقرر، و إلى أن العالم كله يرجع إلى جوهر واحد، فيكون ما ذكره قريباً مما ذكره الشيخ ﷺ و متابعوه من القول بوحدة الوجود و تجدد الأمثال، و إن اختلفا باعتبار ما، وقد علمت أن تجدد الأمثال تابع لتجدد التجليات، قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، أى كل آن و الله أعلم بما يكون و ما قد كان.

إشكال ذكره حضرة الشيخ فى فتوحاته المكية و فصوص الحكم أن من عبد شيئاً فما عبد إلا الله، و إنما كان خطؤه فى طريق العبادة حيث لم يؤذن فيها على هذه الطريقة، فالجواب عنه أنه حيث علم مما تقدم أن الأشياء كلها راجعة بباطنها إلى الحق تعالى لأنه وجودها القائمة هى به مع قطع النظر عن خصوصياتها و اعتباراتها على ما وضح سابقاً، و أن العالم من حيث هو عالم غير الحق تعالى قطعا، وله العدم و الافتقار الذاتيان له لا يفارقانه بحال من الأحوال كما أن للحق تعالى وجوب الوجود و الغنى المطلق لا إله إلا هو، ولا معبود فى الحقيقة و نفس الأمر سواه، و رجوع العالم إليه تعالى من وجه، وهو من ورائه بمقتضى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، و قوله: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] صح قوله ﷺ بأن



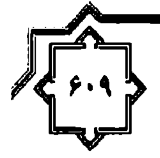
من عبد صنماً مثلاً فما عبد في الحقيقة إلا الله بشهادة قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، أى حكم لأن القضاء معناه الأولى المتبادر الحكم لا الأمر على ما ذكره أهل التأويل، فإن مذهب الشيخ الأخذ بظاهر القرآن و السنة لكونه خطاباً للعربى و العجمى، و هذا هو مذهب سلف الأمة و أئمتها الأربعة و غيرهم، ثم نقول لا يلزم مما ذكره الشيخ صحة عبادتهم و جواز تقريرها و نفى إشراكهم و لا يقول هو به فإنه ذكر فى فتوحاته المذكورة أن الله تعالى شرع لنا أن لا نعبده فى شىء منها، أى المعبودات المجعولة، و أن علمنا أنه تعالى عينها أى من حيث رجوعها إليه تعالى فى وجودها مع قطع النظر عن خصوصياتها، كما ذكرنا، و عصى من عبده فى تلك الصور و حرم على نفسه المغفرة له فوجبت المواخذة فى الشرك، ولا بد لعدم الإذن من الحق تعالى، و صرح أيضاً فى عدة من كتبه بأن عبدة الأوثان كان كفرهم و مواخذتهم بسبب أنهم ما عبدوا إلا الصور، لأن نظرهم لا يقع إلا عليها، فعلم من هذا أن معنى القول بوحدة الوجود الحق على الوجه المذكور غير مخالف للشريعة المطهرة، بل هو عينها و لبها، و كذا ما كان تابعاً لها من مسائل الحقيقة عند التأمل و الفحص، و من المعلوم عند كل أحد أن كل حقيقة خالفت الشريعة فهى باطلة بلا شك، كما إن كل شريعة بلا حقيقة فهى عاطلة، و التحقيق بهما هو الكمال كما نقل ذلك عن الثقات من الرجال أصحاب المقال و الحال و إلى الله تعالى المرجع و المآل، و علم من ذلك أيضاً خطأ من يطعن على العارف الموما إليه و غيره من رجال هذه الطائفةالمباركة و ينسبهم إلى الكفر و الإشراك و نحو ذلك، فإنهم كلهم على عقيدة سلفية محمدية تلقوها من عين الشريعة بالكشف و العيان بعد الدليل النظرى و البرهان، فهم والله الأئمة الهادون المهديون و العلماء العاملون المخلصون تبرؤا من الشرك الجلى و الخفى و اتقوا الله فعلمهم من لدنه علماً، كما

قال لو يقف عليه الآخرون فلا يجوز سوء الظن بهم و نسبتهم لما هم بريئون منه بصريح كلامهم بمجرد اتهامهم مع عدم الوقوف على معانى ما أتوا به من العلم اللدنى و الكشف اليقينى من حقائق التوحيد المبرهن عليه بالأدلة السمعية و أحوال الإرادة و التجريد الجارية على الطريق المرضية، قال الله تعالى: ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً[الإسراء: ٣٦].

و إذا لم تر الهلال فسلم	لأناس رأوه بالأبصار

ولا يجوز الخوض فيما ذهبوا إليه سيما من أهل هذا الزمان القليل الخير الكثير الفساد على أهله، فيه الجهل و اعتقاد السنة بدعة و بالعكس، و أكثرهم لا يعرف مبادىء العلوم فضلاً عن مقاصدها، كهذه الفرقة الوهابية فإنهم يتظاهرون بالاعتراض على القوم مقلدين للبعض عن جهل منهم بكلام الفريقين لا يجوز التكلم و الاعتراض على أربابها و لا تقليد من تكلم ولا متابعته سيما و قد اتضحت مقاصدهم فيما وقع فى كلامهم مما يوجب الاعتراض على أربابها و مخالفة الشرع، و من المعلوم أنه لا يجوز ذم أحد على كلامٍ صدر منه وله محمل حسن أو صحيح ولو إلى سبعين وجهاً سيما من مثل هؤلاء السادة الأخيار الحافظين لحدود الله و المتابعين لأثر خاتم النبيين عليه الصلاة و السلام، و القدم بالقدم فى قاله و حاله و حقيقة أمره وقد استقامت أحوالهم وزكت نفوسهم و ثبتت كراماتهم و علت درجاتهم و صارت حقيقتهم عين شريعتهم كما هو فى نفس الأمر كذلك، فرضى الله عنهم و رضوا عنه.

و ما على إذا ما قلت معتقد	يدع الجهول يظن الحق عدواناً
و الله و الله و الله العظيم	و من أقامه حجة للدين برهاناً
إن الذى قلت بعض من مناقبهم	ما زدت إلا لعلى زدت نقصاناً



ولو بسطنا القول على مسائل هذا العلم الشريف و أحوال أهله لا تسعه المجلدات، فاختصرنا على بيان هذه المسألة التى هى من أمهات مسائله، و على نذر قليل من توابعها لكونها منشأ الاعتراضات الواردة بحسب الظاهر على القائلين بها فليقس غيرها عليها فى الأحقية، و من أراد الاطلاع فليفحص بقبول و إذعان و إنصاف من الكتب المدونة فى ذلك يقضى وطره و يقف على ابيان الشافى و يسلم للقول علومهم إن كان من المهتدين و إلا فيرد إلى أسفل سافلين ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]، و إلى الله المرجع فى كل الأمور و لنختم كلامنا بوصيةٍ ذكرها سيدى الشيخ الأكبر فى ضمن وصايا القول من كتاب الوصايا و هو آخر أبواب الفتوحات المكية بقوله: قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها «**خلال المكارم عشر تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه، و تكون فى العبد ولا تكون فى سيده: صدق الحديث و صدق الناس، و إعطاء السائل، و المكافأة بالصنايع، و التذمم للجار و مراعاة حق الصاحب، وصلة الرحم، و قرى الضيف، و أداء الأمانة و رأسهن الحياء**»[1] نسأل الله الكريم المنان أن يلهمنا الصواب و لا يحيد بنا عن جادته و يعيننا على اتباع السواد الأعظم من المؤمنين السالمين الواصلين إلى الله تعالى الفائزين بالرضوان و الحمد لله رب العالمين.

---

١ . رواه البيهقى فى شعب الإيمان.

التوسل

في

سنة النبي و اصحابه

بقلم : الدكتور محمود احمد الزين

قام بتوثيق المنقولات وصف الحروف و تنسيقها الشيخ:

محمد ربيع محمد زين

محمود أحمد الزّين

وُلِدَ محمود الزّين في مدينة حلب السورية في عام (١٣٧٣هـ / ١٩٥٢م)، و استهلّ دراسته في مدرسة (الكلتاوية) و دخل جامعة الأزهر في مصر سنة (١٩٧٤م) و حصل فيها على شهادة الدكتوراه عام (١٩٩٥م) في اللغة العربية و علومها.

أمّا أساتذته و شيوخه فهم

١ ـ الشيخ محمد لطفي؛

٢ ـ الشيخ الدكتور محمود فجال؛

٣ ـ الشيخ علاء الدين علايا؛

٤ ـ الشيخ نذير حامد؛

إجازاته و قراءاته

حصل محمود أحمد الزّين كذلك على بعض الإجازات من بعض الأساتذة و المشايخ و على رأسهم:

١ ـ الشيخ محمد عاشق إلهي البرني (في جامعة العلوم في الهند)؛

٢ ـ الشيخ حبيب الله قربان؛

٣ ـ الشيخ محمد المنتقى النيجيري؛

٤ ـ الشيخ مالك بن أحمد الشريف السنوسي.

آثاره و كتبه

١ ـ أثر القرآن في ترسيخ الإخاء الإسلامي و تجنب الافتراق؛

٢ ـ الدعاء بعد الصلاة المفروضة سنة أو بدعة؟

٣ ـ فقه السلف في صلاة التراويح؛

٤ ـ تيسير البيان عن إعجاز القرآن؛

٥ ـ بحث (حديث الآحاد الصحيح بين العلم القاطع و الظن الراجح)، و هو منشور في مجلة الأحمدية؛

٦ ـ بحث تكميلي في (الظن و قضاياه في قواعد علوم الحديث)، منشور كذلك في نفس المجلة؛

٧ ـ بين يدي رسالة اللامذهبية قنطرة اللادينية؛

٨ ـ القرآن إعجاز تشريعي متجدّد؛

٩ ـ رؤية الهلال، واقع عشوائي أم اختلاف فقهي؛

١٠ ـ له مقالات عديدة في مجلة صدى الدار؛

١١ ـ أهمية اللغة العربية في فهم القرآن و السنة؛

١٢ ـ حوار القرآن مع المخالفين؛

١٣ ـ تعارض القرآن مع الحقائق العلمية؛

١٤ ـ تنزيه الرحمن عن الجهة و المكان؛

١٥ ـ دفع الأوهام عن الصلاة على خير الأنام؛

١٦ ـ ردّ الشبهات عن منهج رواية الحديث الشريف؛

١٧ ـ سيدنا محمد و معجزات الخلق العظيم؛

١٨ ـ فضائل مذهب الإمام مالك.

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

لمدرسة اهل البيت عليهم السلام

افتتاحيه المنتدى

تعدّد وجهات النظر فی المسائل الاجتهاديه، و احترام الاطراف لبعضها سنة أسّسها رسول الله ﷺ بوحی الله تعالی حين قال: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران، و إذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله أجر**»، فالكل يتنافسون فی نيل اعظم الاجرين، لا فی التفاخر و تضليل المخالف، و علی هذه السنة سار السلف الصالح، فعاشوا رغم الخلافات الاجتهاديه كالجسد الواحد، إذا اشتكی منه عضو تداعی له سائر الجسد بالسهر و الحمی.

و إحياء هذه السنة «ينفی الظواهر السلبيه عن المجتمع الاسلامی» و من اجل هذا يفتح المنتدی الاسلامی صدره للبحوث التی تسير فی هذا السبيل كهذه الرسالة.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

له الحمد، و به المستعان، و على حبيبه الاعظم و رسوله الاكرم سيدنا محمد و اله و صحبه افضل الصلاه و السلام.

وبعد:

فان الله تعالى امر عباده باتباع اهل الهدى فقال: ﴿إِتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس/ ٢١]، و احق الناس بالاتباع بعد الانبياء و المرسلين هم الذين اثنى عليهم الله في كتابه، و اثنى عليهم رسوله في سننه، قال الله تعالى: ﴿والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ وأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه/ ١٠٠].

و قد قال ربنا سبحانه لهذه الأمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [ال عمران/ ١١٠]، و بين لنا رسوله ان خير هذه الأمة هم اهل القرون الثلاثه الاولى منها فقال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[١] و هم الذين سمتهم الأمة: السلف الصالح اعتمادا على شهادته لهم، خلافا لما جرى عليه بعض المعاصرين الذين يطلقون هذا الاسم على ائمة مذهبهم و شيوخهم،

---

١ . صحيح البخاري، في الشهادات، برقم (٢٥٠٨)، وصحيح مسلم، في فضائل الصحابه، برقم (٦٤١٦).



فهذا و ان صح لغة ففيه توهيم يراد منه تخصيص اهل مذهبهم دون جميع المسلمين بهذا الاسم الطيب تزكية لأنفسهم و تهمة لغيرهم.

و إذا امرنا ربنا سبحانه باتباع أمة الهدى من السلف الصالح فهل يمكن ان يكون قولهم في الدين بدعة ضلالة؟؟! لاسيما إن كانوا من كبار الائمة كالامام احمد بن حنبل الذى قضى حياته فى مقاومة البدع و اهلها، و تحمل من اجل ذلك ما لا يتحمله الا من اقتدى باولى العزم من الرسل عليهم الصلاة و السلام؟!

و طبيعى ان يكون الجواب لا، لا يمكن أن يكون قولهم فى الدين بدعة ضلالة، لكن قد يقول لنا قائل: ان الامام احمد و امثاله من ائمة الهدى لا يمكن ان يتعمدوا ذلك، ولكنهم بشر و قد يجتهدون فيخطئون ـ عن غير قصد ـ فيخالفون السنة، و لا بد لنا حينئذ من ان نترك قولهم و ناخذ بالسنة؛ لأن مخالفة السنة هى البدعة الضلالة، و لو اتبعنا البدعة لكنا فى النار كما قال رسول الله: «**كل بدعة ضلالة و كل ضلالة فى النار**»[1].

والجواب لهذا القائل: انه استعجل فجعل مخالفة السنة بطريق الخطأ بدعة، و هذا يعارض صريح السنة النبوية التى فرقت فى الجزاء بين البدعة الضلالة و خطأ الاجتهاد، فقال: «**كل بدعة ضلالة و كل ضلالة فى النار**»[2] و قال: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران، و إذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله اجر**»[3]، «و اهل الضلال يجعلون الخطأ و الاثم متلازمين»[4] «و لو كانت مخالفة

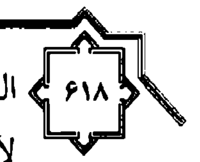
---

١ . صحيح مسلم، فى الجمعه، باب الخطبه، برقم (٢٠٠٢)، بدون لفظ «**وكل ضلاله فى النار**»،والنسائى برقم (١٥٧٦) ط موسوعه السنه.

٢ . سبق تخريجه قريبا.

٣ . صحيح البخارى، برقم (٦٩١٩)، وصحيح مسلم، برقم (١٧١٦).

٤ . الفتاوى (٣٥/ ٦٩).



السنة بطريق الخطأ الاجتهادى بدعة لكان كثير من الصحابة و تابعيهم مبتدعين؛ لأنهم اختلفوا فى كثير من المسائل، و لا بد ان يكون احد الطرفين مصيباً و الآخر مخطئاً» فعائشة خالفت ابن عباس و غيره من الصحابة فى ان محمد رأى ربه... و جمهور الامة على قول ابن عباس مع انهم لا يبدعون المانعين الذين وافقوا ام المومنين، و كذلك انكرت ان يكون الاموات يسمعون خفق النعال، كما ثبت عن رسول الله ﷺ... و ام المؤمنين تأولت و الله يرضى عنها، و كذلك معاوية نقل عنه فى امر المعراج انه قال: انما كان بروحه، و الناس على خلاف معاوية، و مثل هذا كثير، و اما الاختلاف فى الاحكام فاكثر من ان ينضبط»[1] اى لا ينحصر لأنه كثير جدا.

و بهذا يظهر ان العمل بالاجتهاد ـ المصيب و المخطئ ـ هو من نوع العزيمة والرخصة، من استطاع العمل بالعزيمة لم يجز له ان يعمل بالرخصة، و من لم يستطع العمل بالرخصة، والرخصة ليست باطلا و لا بدعة و لا ضلالا، و لا ينبغى لمن اقدره الله على العزيمة أن ينكر على من عجز فاتبع الرخصة، والعزيمة و الرخصة كلاهما شرع الله، و شرعه كله حق ليس فيه ضلال و لا بدعة، كالمريض فى رمضان يجوز له ان يفطر، و لا يجوز للصحيح ان ينكر على المريض، و الصيام و الفطر كلاهما من شرع الله، و كلاهما حق لا بدعة، و فى مسائل الاجتهاد ربما يكون الذى يزعم انه مصيب فى اجتهاده هو المخطئ، فكم من مجتهد تبين له انه كان مخطئا، و لا يعلم حقيقة الصواب فى مسائل الاجتهاد الا الله و رسوله ﷺ، و غيرهما يعتمد على الادلة فى معرفة الصواب و قد يخطئ، مع ان المخطئ و المصيب كلاهما مأجور بنص الحديث، و الله لا يأجر على البدعة، فتبديع المخطئ فى اجتهاده عناد لحكم الله و رسوله ﷺ فيه. و

---

١. انظر الفتاوى (٢٤/ ١٧٢).



كذلك تبديع من اتبعه من الذين ليس عندهم العلم المؤهل لبحث الادلة؛ لأنهم بامر الله اتبعوه اذ قال سبحانه: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الانبياء/ ٧] هذا مذهب السلف و اهل السنة، «و اهل الضلال يجعلون الخطأ و الإثم متلازمين»[١].

ثم ان من حق كل انسان ان يقول لمن يدعوه الى ترك كلام ائمة الهدى إذا رآهم قد اخطؤوا فى معرفة الصواب من السنة: ماذا نفعل فى مسألة رأيت أنت ان ائمة الهدى أخطؤوا فيها و رأى غيرك انهم أصابوا؟ انتبعهم ام نتبعك؟!

و نعتقد انه إذا كان منصفا فسيقول: ان كانت لكم القدرة العلمية على فهم الادلة فاتبعوا الدليل الاقوى، و ان لم تكن لكم القدرة على فهم الادلة فاتبعوا الاعلم الاتقى، لأنه بعلمه يكون اقرب الى الصواب و بتقواه يكون اخلص فى اتباع الحق.

و نقول له بكل احترام: قد اخلصت لنا النصيحة جزاك الله خيرا.

و هذه امامنا مسالة التوسل برسول الله ﷺ قد افتى بمشروعيتها الامام احمد بن حنبل ومن كانت عنده القدرة على فهم الادلة منا وافق الامام؛ لأنه راى ادلته اقوى، و من لم تكن له القدرة على ذلك اتبع هذا الامام؛ لأنه راه اقرب الى الصواب بسبب علمه الواسع، و بسبب تقواه التى عرف بها لدى اهل السنة جميعا.

تعال معنا نحتكم الى الكتاب و السنة و نتبع الحق «فان ظهر رجع الجميع اليه، و ان لم يظهر سكت هذا عن هذا، و سكت هذا عن هذا، كالمسائل التى يتنازع فيها أهل المذاهب[٢] و كما كان الصحابة فى خلافة عمر و عثمان يتنازعون

١ . انظر الفتاوى (٣٥/ ٦٩).

٢ . انظر الفتاوى (٣٥/ ٣٧٩).

فی بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضاً و لا يعتدي عليه»[١] و لسنا حكماً و لا حجة عليك، و لست حكماً و لا حجة علينا ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام / ٥٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة / ٢٥]. اللهم ارنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه و حببنا فيه، و ارنا الباطل باطلاً و الهمنا اجتنابه و كرّهنا فيه.

لك الحمد اولاً و آخراً، و صلى الله و سلم و بارك على عبده الاكرم و رسوله الاعظم و حبيبه الاقرب سيدنا محمد و آله و صحبه و ورثته و من تبعهم باحسان الى يوم الدين.

١ . انظر الفتاوى (١٧/ ٣١١).

التوسل في دعاء زيارة النبي ﷺ عند الامام احمد

كان الامام احمد يشرح آداب زيارة النبى ﷺ فقال رحمه الله: «ثم ائت الروضة، و هى بين القبر و المنبر فصل فيها و ادع بما شئت، ثم ائت قبر النبي ﷺ فقل: السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله بركاته، السلام عليك يا محمد بن عبد الله، اشهد انك بلغت رسالة ربك، و نصحت لامتك، و جاهدت فى سبيل الله بالحكمة و الموعظة الحسنة، و عبدت الله حتى اتاك اليقين، فجزاك الله افضل ما جزى نبيا عن امته، و رفع درجتك العليا، و تقبل شفاعتك الكبرى، و اعطاك سولك فى الاخرة و الاولى، كما تقبل من ابراهيم، اللهم احشرنا فى زمرته، و توفنا على سنته، و اوردنا حوضه، و اسقنا بكاسه مشربا رويا لا نظمأ بعدها أبداً»[1]... «فإذا أردت الخروج فائت المسجد وصل ركعتين و ودع رسول الله بمثل سلامك الاول، و سلم على ابى بكر و عمر، و حول وجهك الى القبلة و سل الله حاجتك متوسلا اليه بنبيه ﷺ تقض من الله عزوجل»[2].

حث الامام احمد على التوسل:

و قول الامام احمد هنا: «و سل الله حاجتك متوسلا اليه بنبيه» له معنيان:

---

١ . استجاب زياره خير البريه الزياره الشرعيه (الرد على الاخنائى) ص (٤٠٥).

٢ . المرجع السابق ص (٥٣٦).

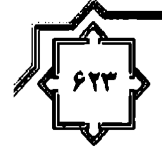


ـ اما ان يقول: «اللهم انى اسألك بنبيك محمد ﷺ ان تقضى حوائجى»، و هذا هو الاقرب؛ لأنه امر به بعد الزيارة عند التوجه الى القبلة لدعاء آخر غير دعاء الزيارة. و اما ان يقول عند الزيارة: يا رسول الله ادع لى بكذا، و قد نقل ابن تيمية التوسل هنا عن الامام احمد، رغم انه يخالفه و يقول: بان ذلك لا يجوز، و من اراد اتباع السنة فحسبه الامام احمد قدوة؛ لكمال علمه بالسنة، و لكونه من كبار ائمه الاجتهاد، و فهمه للسنة اجدر بالاتباع، فان كان مصيبا ـ و هو حقيق بذلك ـ فله اجران و تابعه مأجور ايضا؛ لأنه بأمر الله اتبعه ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء / ٧]، و ان لم يكن مصيبا فله اجر، و تابعه مأجور ايضا؛ لأنه بأمر الله اتبعه، و قد بيّن رسول الله ﷺ ان بعض من يحفظ السنة لا يفقهها فقال: «رب حامل فقه ليس بفقيه»[١]. و من كان غير فقيه لا سبيل له الا ان يسأل اهل الذكر، عن فقه السنة النبوية، و حسبه الامام احمد ابن حنبل امام السنة، مع انه وافقه على ذلك اخرون من ائمة الهدى، و ليس الاكتفاء بنقل قوله من باب التقليد الاعمى، كما يزعم المخالفون، بل لأن هذه المسالة تحتاج بحثا موسعا يدفع عنها الشبهات، و يكشف سداد قول الامام احمد و موافقيه، و يذكر الموافقين له او اكثرهم، و ليس لمن اختار قولا اخر و فهما اخر ام يضللهم او يبدعهم، و فيما يلي موجز فى ذلك.

بعض ادلة التوسل:

فقد ثبت ذلك عن النبى ﷺ فى حديث الضرير، «عن عثمان بن حنيف: ان رجلا ضريرا اتى النبى فقال: ادع الله ان يعافينى، فقال: ان شئت اخرت ذلك و هو خير، و ان شت دعوت، قال فادعه، فامره ان يتوضأ فيحسن وضوءه»، و

١ . سنن الترمذى برقم (٢٦٥٦) وابن ماجه برقم (٢٣٠).



يصلي ركعتين. ويدعو بهذا الدعاء فيقول: «**اللهم انى أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى هذه فتقضى لى، اللهم شفعه فى و شفعنى فيه**» قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه»[1]. و فى رواية قال عثمان: «فو الله ما تفرقنا، و لا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل و كأنه لم يكن به ضر قط»[2]. و هذا الحديث صريح باستحباب ان يقول المرء فى دعائه: «**اللهم انى أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ**».

فزعم الذين يحرمون هذا التوسل ان هذا الحديث فيه التوسل بدعاء النبي ﷺ، لا بذاته و لا بجاهه[3]، و ان كان ظاهره يدل على التوسل بهما، و اعتمدوا على وجوه من التأويلات:

(١) زعموا ان التوسل نوعان: النوع الاول: يكون بدعائه ﷺ، اى بطلب الدعاء منه، و هو مشروع فى حياته فقط. و الثانى: يكون بسؤال الله به، كقول الداعي: «اللهم انى أسألك بنبيك محمد» وهذا غير مشروع، بل هو بدعة ضلالة، و حديث الضرير دلت الادلة ـ بزعمهم ـ على انه من النوع الاول لا الثانى.

و الجواب على ذلك: ان الموجود فى الحديث ليس لفظ التوسل الذى ينقسم الى نوعين، بل الموجود هو لفظ السؤال به، و هو النوع الثانى نفسه، فلا

---

١ . المستدرك للحاكم (١/ ٤٥٨)، وسنن ابن ماجه (١/ ٤٤١) برقم (١٣٨٥)، وسنن الترمذى (٥/ ٥٦٩) برقم (٣٥٧٨) وقال: حديث حسن صحيح غريب

٢ . المستدرك (١/ ٧٠٧).

٣ . اقر صاحب كتاب (التوسل انواعه واحكامه) ص (٨٣) ان ظاهره التوسل بالذات، لكن زعم انه لا يجوز حمله على ظاهره بسبب الادله، ومن تامل مناقشتها هنا عرف انها شبهات، وليست ادله حقيقه.

ينقسم هذا الانقسام، و لا يحتمل ان يكون من النوع الاول اصلا، فالتماس الأدلة على معنى لا يحتمله اللفظ شبيه بما لو اوّلنا قوله ﷺ: «صل ركعتين» بانه دعا له.

(٢) و زعموا ان من اجاز هذا التوسل و من معه يتفقان على تقدير مضاف اما «بدعاء نبيك» كما يقوله المانعون و اما «بذات نبيك او بجاه نبيك» كما يقوله المجيزون، و طلبه الدعاء من النبى ﷺ و وعد النبى ﷺ له به يدلان على انه «بدعائه» كأنّه قال: «اللهم انى طلبت من نبيك الدعاء فاشفنى»، فيكون هذا التوسل الذى علمه اياه من النوع الاول المشروع، لا النوع الثانى الممنوع.

والجواب هنا من جهتين: الاولى: ان الثابت فى الحديث هو لفظ النوع الثانى، و هو لا يحتمل النوع الاول، فالتماس الادلة على معنى لا يحتمله اللفظ ليس له فائدة.

والثانية: هى ان الذين يجيزون التوسل بذاته لا يحتاجون الى تقدير مضاف؛ لأن لفظ «نبيك» يدل على الذات بنفسه صراحة، دون حاجة الى تقدير، و لا داعى لدليل يقويه، بينما التقدير الاول فيه زيادة على النص، و النص لا يحتملها فهو تأويل مجرد فيسقط.

(٣) زعموا ان قوله فى الحديث «اللهم فشفعه فى» يوجب حمله على النوع الاول؛ لأن الشفاعة لا تجيء الا بمعنى «طلب المرء من المسؤول حاجة لآخر».

و الجواب عن هذا الاشكال من ثلاث جهات:

اولاها: ان اللفظ صريح فى النوع الثانى لا يحتمل المعنى الاول، فهذا الاستدلال ليس له فائدة.

ثانيتها: ان معاجم اللغة ذكرت استعمال الشفاعة بما يشمل السؤال به ايضا ففى المصباح المنير: «الشفاعة هى الطلب بوسيلة او ذمام» و الذمام: الحق،



فقولك: «أسألك بحق فلان» يسمى شفاعة ـ بناء على تعريف الشفاعة فى مصباح المنير ـ .

ثالثها: لو سلمنا بانه دعا له، فلا يصح هذا التأويل، الذى لا يحتمله اللفظ، بل يجب تفسيرذلك حينئذ بانه دعا له، و علمه التوسل بذاته و مكانته ـ زيادة على ما طلبه ـ كما علمه ان يتوضأ و يصلى ركعتين، زيادة على الدعاء ليكون توسلا بالعمل الصالح مع رسول الله بنبيه ﷺ.

زيادتان في روايتين تبطلان التأويل:

و قد جاءت زيادتان فى بعض روايات حديث الضرير توجبان بقاء الحديث دون تأويل، فضعفوهما بأدلة واهية.

الزيادة الاولى: ذكر ابن تيمية فى كتابه قاعدة جليلة ص (٩٧): انه رواها ابن ابى خيثمة ـ فى تاريخه ـ من طريق حماد بن سلمة، و فيها ان النبى ﷺ قال للضرير ـ بعد ما علمه ذلك الدعاء ـ : «**وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك**» و هذا اذن منه ﷺ للرجل ان يدعوا بهذا الدعاء كلما كانت له حاجة و ذلك يشمل حالة غياب النبى و بدو ان يطلب منه الدعاء.

اما الذين يحرمون هذا التوسل فزعموا ان هذه الزيادة ضعيفة؛ لأنها خالفت رواية شعبه الخالية منها، و هو اوثق من حماد، فتكون زيادة حماد شاذة.

و هذه دعوى لا تثبت، بل هى معاكسة للقواعد الحديثية؛ لأن هذه الزيادة تتفق مع ظاهر الحديث فى المعنى، و لا تخالفه الا بعد تأويلهم، فايهما احق بالرد: تأويلهم، ام زيادة الثقة المروية عن النبى ﷺ؟! و الزيادة لا ترد بمجرد كونها زيادة، بل بمخالفة معناها لاصل الحديث؛ لأنه ليس الشذوذ ان يروى الثقة ما لا يرويه الاوثق، بل الشذوذ ان يروى ما ينافى رواية الاوثق، بحيث لا يمكن

العمل بهما معاً[١]. و قالوا: لو ثبت فالاشارة فى قوله: «افعل مثل ذلك» راجعة الى مجموع القصة اى «ائتنى و اطلب الدعاء و ادعو لك و اعملك» و هذا تأويل لا يصح؛ لأن حكاية مجيئه و طلبه ـ فى الرواية ـ ليست من كلام النبى ﷺ و لا من كلام الضرير، حتى تعود الاشارة اليها، بل من كلام عثمان راوي القصة حين روايتها، فلا يصح ان تعود اشارته ﷺ اليها اصلا، و لأنه مبني على تأويل «أسألك بنبيك» على معنى اتوسل إليك بنبيك، و هو لا يحتمله، كما تقدم، و هذا التأويل أدى الى اختلاف الروايتين، و التأويل يقبل إذا أدى الى اتفاق الروايات[٢]، و يسقط إذا أدى الى اختلافها.

الزيادة الثانية: رواية الطبرانى فى معجميه الصغير و الكبير[٣] ان راوي الحديث عثمان بن حنيف علّم هذا الدعاء رجلا كانت له حاجة عند عثمان بن عفان فدعا بهذا الدعاء فقضاها له، و ذلك يدل على ان قوله: «أسألك بنبيك» ليس توسلا بدعائه ﷺ؛ لأن الفتوى بعد وفاته، و طلب الدعاء عند هؤلاء ممنوع بعد الموت، فيبقى الحديث على ظاهره دون تأويل، و الصحابى افقه فى السنة منا.

لكن زعم مانعو السؤال به ﷺ ان هذه الرواية ضعيفة لاربعة الاسباب:

اولها: انه تفرد بها شبيب بن سعيد و فى حفظه ضعف.

ثانيها: انه خالف رواية شعبة الذى لم يذكرها، فهي زيادة شاذة؛ لأن شعبة اوثق منه.

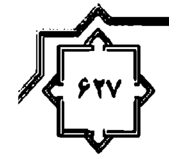
الثالثة: انها مضطربة؛ لأن بعض الرواة عن شبيب ذكرها، و تركها بعضهم.

---

١ . انظر مقدمه ابن الصلاح، ص (٢٣٧) ومابعدها، وانظر الرسالةللشافعى، ص (٣٤٢).

٢ . انظر المسوده لابن تيميه ص (١٤٢).

٣ . المعجم الصغير (١/ ١٨) والمعجم الكبير (٩/ ٣٠) برقم (٨١١).



الرابعة: انها تطعن فى عدالة عثمان بكونه لا يقضى حوائج الناس الا بواسطة.

اما زعمهم فى شبيب: ان فى حفظه ضعفا فهذا لا يضره؛ لأنه يسير عبر عنه ابن عدى بقوله: «لعله يخطئ و يهم إذا حدث من حفظه، و ارجو انه لا يتعمد، فإذا حدث عنه ابنه احمد بأحديث يونس فكانه يونس اخر، يعنى يجود» و هذا كلام صريح فى انه إذا حدث من حفظه كان ضعفه يسيرا، و انه يكون تام الضبط كيونس إذا حدث عنه ابنه احمد بأحاديث يونس، و بهذا الطريق روى عنه البخارى. و قال الذهبى: «صدوق يغرب» لذلك لم يضعفه احد من الائمة. بل وصفوا حاله بقولهم: ثقة، او لا بأس به، كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر، و قد وثقه الطبرانى عند رواية الحديث و القصة عنه، و قال: «الحديث صحيح» فزعموا انه لم يصحح القصة، و هذا باطل؛ لأنه بنى التصحيح على توثيق شبيب، و سندهما واحد، و هم ضعفوا القصة بناء على تضعيفه، فالسبب الذى اعتمدوه منفى عن كلامه. و اما زعمهم انه خالف رواية شعبة فهذة قصة ليست من اصل الحديث حتى يجب ان يرويها كل من رواه، فلا تكون روايتها شاذة و لا مضطربة، ثم هى لاتخالف الا تأويلهم، و هى توافق ظاهر الحديث، فايها هو الشاذ زيادة الثقة ام تأويلهم. و ليس الشذوذ ان يروى الثقة ما لم يرويه غيره، انما الشذوذ ان يروى ما ينافى روايتهم، اى ان يتناقض معها كما مر.

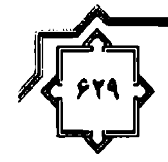
و اما طعنها فى عداله عثمان فمردود؛ لأنه كان ناسيا، و صرحت الرواية بقوله: «**ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة**». و من الاساليب التى حاول مانعوا هذا التوسل تقوية تأويلهم بها ان هذا الحديث رواه العلماء فى معجزات النبى ﷺ و دعائه المستجاب؛ و لذلك رواه المصنفون فى دلائل النبوة كالبهيقى، و هذا الكلام منقوض، فالعنوان الذي وضعه البيهقي لهذا الحديث

يدل على ان شفاءه كان بما علمه النبى ﷺ، و لم يذكر دعاءه ففى دلائل النبوه (٦/ ١٦٦): (باب ما فى تعليمه الضرير ما فيه شفاؤه) و الذى علمه إيّاه قوله فى دعائه: «**اللهم انى أسألك و أتوجه إليك بنبيك**»، يؤيّد ذلك ان العلماء ذكروا هذا الحديث فى كتاب الدعاء كالترمذى و الحاكم و الطبرانى، و فى عمل اليوم و الليلة كالنسائى و ابن السنى، و رواه بعضهم فى الصلاة كابن ماجه و الحاكم ـ فى موضع مكرر ـ و العلماء قد وضعوا هذه الكتب ليعلموا الناس العمل بما فيها.

و من غرائب التأويل ان مانعى هذا التوسل منهم من قال: لو كان جائزا لاستجاب الله لمن يدعو به، و هذا ما لم يحصل، ولا نظنه سيحصل. و قصة الصحابى الضرير ـ بعد دفع التأويلات الوهميه ـ قد وقعت فهى تنقض هذا الادعاء، و كذلك قصه التابعى الذى علمه عثمان بن حنيف ان يدعو بهذا الدعاء، ثم ليرجع هؤلاء الى ما رواه العلماء من ادعيه المتوسلين برسول الله ﷺ ففيها الكفايه.

و من تأمّل ما سبق من الأدلة و المناقشات ـ التى دفعت عنها شبهات التضعيف و التأويل ـ ظهر له ان قول الانسان فى دعائه: «**اللهم إنى أسألك بنبيك**» دل على مشروعيته قول النبى ﷺ، و عمل احد الصحابة و لا مخالف له، فقد سبقونا الى هذا فهو خير بلا ريب، و لم يكن من مذهبهم تأويل السنة و تضعيفها بالشبهات.

و اقوى ما يظنه مانعو السؤال بالنبى ﷺ دليلا هو قولهم: ان الصحابة حين القحط توسلوا بدعاء العباس، و لو كان التوسل بالنبى ﷺ جائزا لما تركوه؛ لأنه افضل العباد و دعاؤه اقرب الى الإجابة، و يؤكد المانعون هذا الادعاء بأن الصحابة حين كانوا مقتدين بأبي بكر و حضر النبى و صلى بجانبه ترك الناس



الاقتداء بأبي بكر و اقتدوا به، كما رواه البخاری و مسلم. و هذا مردود من وجوه:

اولها: ان حديث البخاری و مسلم نفسه يرد عليهم، فالصحابة لم يستمروا على الاقتداء بأبی بکر، لکن النبی ﷺ صرح بجواز ذلك، حيث قال لأبی بکر فی الرواية نفسها: «**يا ابا بكر! ما منعك ان تثبت اذ امرتك**» و ما کان ليامره بعمل منهی عنه.

ثانيها: ان الترك ليس مرويا، ای لم يقل احد من الرواة إنّ الصحابة لم يطلبوا الدعاء من النبی ﷺ، بل هذا عدم رواية، ای لم يتعرض الرواة لذكره بنفي و لا اثبات ـ لو صحت دعوى الترك، و لم تصح كما ياتی بيانه ان شاء الله ـ و هذا امر اخر، و هو يسمى الاستصحاب، و هو اضعف الأدلة، و لا يعمل به الا عند انتفاء جميع الأدلة، فكيف يقدم عدم الرواية على الرواية الثابتة عن رسول الله ﷺ وعن عثمان بن حنيف، فهذا يدل على خطأ هذا الادعاء.

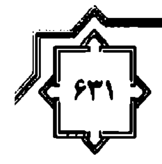
ثالثها: ان فعل الصحابة نوعا من التوسل ليس منعا من الانواع الأخرى الثابتة، و لو صحت هذه الدعوى لكان تركهم التوسل بأسماء الله ـ فی هذه الحادثة ـ دليلا على المنع، و لا احد يقول ذلك، بل المدار على ثبوت الدليل، و قد ثبت حديث الضرير و بطل تأويلهم له.

رابعها: ان العدول عن الافضل الى الفاضل ليس دليلا على منع التوسل بالافضل، فقد تركوا التوسل بالعشره المبشرين، و هم افضل من العباس، فهل يدل على منع التوسل بهم.

خامسها: انه لو افترضنا ان قد صحت دعوى الترك، و صح الاستدلال بها لكانت دليلا على منع طلب الدعاء منه بعد وفاته ﷺ؛ لأن هذا هو المقابل لذلك الذی طلبوه من العباس، لا على منع سؤال الله به ﷺ، و لكن لم تصح.

فقد جاء رجل الى قبر النبى ﷺ فطلب منه الدعاء و اخبر عمر فأقره، كما سيأتي اثبات الرواية، و دفع الشبهات عنها فى بيان هذا النوع من التوسل.

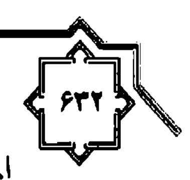
و انما لجأ الصحابة الى التوسل بالعباس لأن من السنة عند انقطاع المطر صلاة الاستسقاء، وصلاة الاستسقاء سنّتها ان يدعوا احد المصلين، فهذا هو سبب الطلب من العباس، فلا يدل على أنّه لايجوز الطلب من النبى ﷺ، و على كل حال فالعلماء متفقون على ان فعل احد الامرين المشروعين الثابتين لا يمنع من الاخر، و هذا بدهى. من جمله العلل التى اعتمدوا عليها فى منع التوسل بذات النبي ﷺ و جاهه كما فى قوله: «**اللهم انى أسألك و اتوجه إليك بنبيك**» انهم قالوا: إذا طلبت من النبي ﷺ او غيره دعاء يكون ذلك الطلب سببا معقولا فى قضاء حاجتى؛ لأنه عملى انا، كما لو قلت: اللهم انى أسألك بصلاتى، او بمحبتى لنبيك ﷺ اما عمله هو او مكانته عند ربه، او ذاته فليس لى بها تسبب حتى تكون سببا معقولا فى قضاء حاجتى عند الله. و هذا تعليل معارض للسنة، اما ذاته الشريفه فقد ثبت الاستشفاء بمس اثارها، و ذلك قضاء حاجة بسبب ذاته، فأى تسبب للمتبرك يقتضى شفاءه بها سوى المس؟! و هل هو اقوى من قوله: «**أسألك بنبيك**»؟! و اما كون عمله الصالح ﷺ او عمل غيره من الصالحين هو الوسيلة لقضاء حوائج الناس فقد دل عليه قوله فى رواية النسائى برقم (۳۱۷۸): «**انما ينصر الله هذه الامة بضعيفها بدعوتهم و صلاتهم و اخلاصهم**» حيث ذكر اسباب النصر فعدّ مع «دعائهم و صلاتهم و اخلاصهم» و هذا نص فى كون صلاتهم وسيلة كدعائهم. و الرواية التى بعدها «**إنما ترزقون و تنصرون بضعيفكم**»، و كلاهما سنده صحيح، و قد جعل النسائى عنوانهما: «الاستنصار بالضعيف» و هما يوضحان ان عمل الغير ـ حين يدعو لنا ـ هو الوسيلة فى الحقيقة.



و اصل القاعدة التى بنوا عليها منع هذا التوسل هو انه توسل بمخلـوق، و هى قاعدة تنقضها الأدلة، فالتوسـل بالعمـل الـصالح مـشروع و هـو مخلـوق، والتوسل بدعاء النبي ﷺ مشروع و هو مخلوق ايضا، و التبرك نوع من التوسل، و هو توسل بمخلوق، ينطبق عليه تعريف العلماء للتوسل تماما، كما يأتى بيانه ان شاء الله. بل حقيقة التوسل بدعائه ﷺ هى انه توسل بذاته؛ اذ ليس الفرق بـين دعائه و دعاء غيره الا صدوره من ذاته الشريفة ﷺ، التى والوجه فى اللغه هـو هذا الجزء المعروف من الانسان، او الجاه اى الوجاهة فيكـون معنـى «يستـسقى بوجهه» تطلب السقيا من الله بوجهه، فالوجه هو الوسـيلة، و هـذه هـى حقيقـة التوسل بالذات او بالجاه. و من غريب العلل التي يتكئون عليها فى منع التوسل ـ بذات النبي ﷺ او جاهه و جاه غيره ـ ان فيه قياس الخالق علـى المخلـوق، و تشبيهه به؛ لأن المتوسلين يقولون: اننـا إذا كانـت لنـا حاجـة عنـد مخلـوق كبـير نتوسط إليه بمن له مكانة عنده، فكذلك حين تكون لنا حاجـة عنـد الله. و هـذا تشبيه لله تعالى بالحكام الظلمة، و لو شبهوه باعدلهم لكفروا و اشركـوا، فكيـف إذا شبهوه بالظلمة الذين لا يقضون حوائج الرعية الا بالوساطات؟!

و الجواب: ان هذا التشبيه ـ لو وجد ـ فهو غير مختص بهذا التوسل بـل هـو موجود في طلب الدعاء من المخلوق يحبها الله ـ سبحانه و تعـالى ـ فذاتـه ﷺ هى الوسيلة، و كذا يقال فى دعـاء غـيره مـن ذوى الـصلاح: ان الوسـيلة هـى صدور الدعاء من ذات لها عمل صالح يحبه الله تعالى، فكل محبوب عنـد الله لـه مكانة و جاه عند الله تعالى، و قد دل على ذلك ما رواه البخـارى بـرقم (٩٦٣) من حديث عبد الله بن عمر: «ربما ذكـرت قـول الـشاعر و انـا انظـر الـى وجـه النبي ﷺ يستسقى فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب:

وابيض يستسقى الغـمام بوجهـه ثـمال اليتـامى عـصمة للارامـل



و هو قول ابى طالب يضا، و هو وساطة بلا شك، و الفارق بين الخالق و المخلوق ليس بنفى الوساطة اصلا، انما الفارق ان الظلمة يستجيبون لخواصهم، و ان كانوا فاسدين، و ربنا سبحانه يستجيب لخواصه من خلقه لتقواهم و طاعتهم و محبته لهم، و الظلمة يمنعون الضعفاء من لقائهم و سؤالهم، و ان كانوا ذوى حق، فيحتاجون الى طلب الوساطة، وربنا سبحانه يؤخر إجابة المقصرين فيحتاجون إلى طلب الدعاء من الصالحين المقربين، او الى سؤال الله تعالى بهم، والفارق بين هذين النوعين من التوسل هو ان طلب الدعاء مشروع باتفاق، و ان سؤال الله بالانبياء و الصالحين قامت عليه الأدلة فضعفتموها و اولتموها، والغريب ان بعض الذين يعدون التوسل بالذات و الجاه تشبيها للمخلوق بالخالق قد ذكروا فى شرح لفظ التوسل ما يكون من توسل المخلوق إلى المخلوق، ثم شنعوا على مخالفيهم حين ذكرو ذلك.

طلب الدعاء من النبي ﷺ بعد وفاته:

والنوع الثانى من التوسل الذى يحتمله كلام الامام احمد ان يقول المتوسل: «يا رسول الله ادع الله لى ان يقضى حاجتى» قال موفق الدين بن قدامة الحنبلى فى كتابه المغنى (٣/ ٥٩٠): «ثم تاتى القبر فتولى ظهرك للقبلة، و تستقبل وسطه، و تقول: السلام عليك ايها النبى و رحمة الله و بركاته» الى ان يقول: «... **اللهم انك قلت و قولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء/ ٦٤] و قد اتيتك مستغفرا من ذنوبى، مستشفعا بك الى ربى، فأسألك يا رب ان توجب لى المغفره، كمن اتاه فى حياته، اللهم اجعله اول الشافعين، و انجح السائلين، و اكرم الاولين ولاخرين، برحمتك يا ارحم الراحمين»** و اظهر معانى الاستشفاع به:



ان يطلب منه الشفاعة الى الله فى قضاء حوائجه. و يمكن ان يكون بمعنى سؤال الله به ـ كما تقدم ـ.

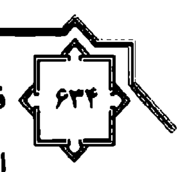
و كذلك قال الامام النووى فى المجموع (٨/ ٢٧٤): «و يتوسل به فى حق نفسه، و يستشفع به الى ربه سبحانه و تعالى، و من احسن ما يقوله ما حكاه الماوردى، و القاضى ابو الطيب، و سائر اصحابنا عن العتبى ـ مستحسنين له ـ قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء اعرابى، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء/ ٦٤] و قد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى، ثم انشا يقول:

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه فطاب من طيبهن القاع و الاكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

ثم انصرف فحملتنى عيناى، فرايت النبي ﷺ فى النوم فقال: يا عتبى ألحق الاعرابى فبشره بأنّ الله قد غفر له». و الامام النووى و غيره ممن ذكر هذه الحكاية ما ارادوا ان يستدلوا بها على مشروعية طلب الشفاعة و الدعاء من النبى ﷺ بعد وفاته، لكن ارادوا أنّ المشروعية ثابتة، و هذه الحكاية تعبير حسن عن ذلك المشروع، و بيان ادلته يحتاج الى بحث خاص يزيل الشبهات، و يدفع مستنكر التأويلات و ههنا موجز بذلك، و حسب الذين يريدون الاقتداء بائمة الهدى من السلف الصالح ـ فى هذا الامر ـ ان ينظروا الى اقرار امير المومنين عمر بن الخطاب مع عدم وجود دليل شرعى يعارضه، و ذلك فيما راه ابن ابى شيبه[1] و البيهقى عن مالك الدار قال: «اصاب الناس قحط فى زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ استسق لأمتك

١ . المصنف (٦/ ٣٥٦) برقم (٢٠٠٢).



فانهم قد هلكوا فاتاه رسول الله ﷺ فى المنام فقال: «**إيت عمر فأقره مني السلام، و اخبرهم انهم مسقون، و قل له عليك بالكيس الكيس**» فاتى الرجل فاخبر عمر، فقال: يا رب لا آلو ما عجزت عنه» قال ابن كثير فى البدايه و النهايه (٤/ ٩٤) عن رواية البيهقى: هذا اسناد صحيح و قال ابن حجر فى فتح البارى (٣/ ٥٨٢): روى ابن ابى شيبه باسناد صحيح من رواية ابى صالح السلمان عن مالك الدار، و كان خازن عمر........الى اخرالرواية، فهذا اقرار ممن امرنا رسول الله ﷺ ان نلزم سنته، احد الخلفاء الراشدين المهديين. فقال: «**عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين**»[1] ومن المستحيل ان يكون فعلهم بدعة ـ و لو خطأ اجتهاديا ـ ثم يأمرنا باتباعهم و الحديث بيّن ان اتباعهم عصمة من البدعة؛ لأنه جاء فى تمام الحديث نفسه «**اياكم و محدثات الامور، فان كل محدثة بدعة، و كل بدعة ضلالة، و كل ضلالة فى النار**»[2].

و الذين منعوا طلب الدعاء من النبي ﷺ و غيره بعد الموت رفضوا العمل بهذا الاثر، معتمدين على تضعيف غير وجيه، و على تأويل محض.

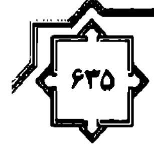
(١) فقالا: هذا الاثر ضعيف لاسباب:

أ ـ لأنه لم يذكر فيه اسم طالب الدعاء، بل قيل فيه: «ان رجلا اتى قبر النبي ﷺ» و هذا السبب لا يضر؛ لأن الرجل المبهم ليس فى السند، بل هو في المتن، و ابهام الاسماء فى متون الروايات لا يضر، و هو فى الاحاديث كثير، ثم ليس الاعتماد عليه وحده، بل على اقرار عمر.

---

١ . مسند احمد برقم (١٧١٤٢) طال رساله، وسنن الترمذى برقم (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم (٤٢).

٢ . صحيح مسلم، فى الجمعه، باب الخطبه، برقم (٢٠٠٢)،بدون لفظ (وكل ضلاله فى النار)، ورواه النسائى فى الصغرى برقم (١٥٧٦).



ب ـ زعموا ان الراوي للقصة مالك الدار مجهول، و هذا السبب لا يصح؛ لأنه وثقه الخليلى فى الارشاد[1]، و ابن حبان[2] و ذكر له الحافظ ابن حجر فى الاصابة[3] اربعة من الرواة، و لم يعرف العلماء له اخطاء فى الرواية، فلا جرح فى حفظه، و استعمال عمر له يدل على ثقته بدينه و تقواه.

ج ـ قالوا: «ان فيه الاعمش و هو مدلس» و هذا سبب غير كاف؛ لأن ابن حجر عده فى المرتبة الثانية من الموصوفين بالتدليس[4]، و هو من احتمل الائمة تدليسه و اخرجوا له فى الصحيح لامامته و قلة تدليسه فى جنب ما روى[5].

(۲) و قالوا: ان الصحابة تركوا طلب الدعاء من النبي ﷺ و طلبوا من العباس فدل على انه لا يجوز؛ اذ لا يتركون الافضل الى المفضول، و هذا استدلال غير صحيح و ذلك لعدة امور:

اولها ـ ان فعل الافضل ليس واجبا، حتى يكون تركه دالا على التحريم، و قد تركوا التوسل بالعشرة المبشرين بالجنة مع انهم افضل من العباس، و تركوا التوسل بالاسماء الحسنى مع انها افضل من النبي ﷺ.

ثانيها ـ هذا الترك دعوى لم تصح، فهذا الاثر ينقضها.

ثالثها ـ ان فعل احد الامرين المشروعين لا يدل على منع الاخر، كما ان التوسل بالاسماء الحسنى مشروع و لم يرد انهم فعلوه فى هذه الحادثة. فلا يكون طلبهم الدعاء من العباس دليلا على رد عمل الذى طلب الدعاء من النبي ﷺ

---

١ . الارشاد فى معرفه علماء الحديث (١/ ٣١٣)

٢ . الثقات (٥/ ٣٨٤) ذكره باسم (مالك بن عياض).

٣ . الاصابه فى معرفه الصحابه (٣/ ٤٨٤).

٤ . انظر تعريف اهل التقديس ص (١١٨).

٥ . انظر تعريف اهل التقديس ص (٦٢).

بعد وفاته، و اقره عمر على ذلك الطلب، و لم يعلم له مخالف من الصحابة، و كيف يتعارض هذان الامران و كلاهما ثابت عن عمر.

رابعها ـ و لو ورد الترك لكان نفيا، واقرار عمر اثبات مقدم على النفي.

(٣) و قالوا: لو طلب من النبي ﷺ الدعاء فهو لا يسمعه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل/ ٨٠] و هذا الاستدلال لا يصح، لأن المفسرين اتفقوا على ان المراد بالاية تشبيه الكافرين، و الكافرون يسمعون صوت النبي ﷺ حين كان يدعوهم الى الاسلام، لكن لا يؤمنون به عنادا، فلا يستجيبون له فهم يشبهون الموتى فى عدم الإجابة.

و السماع المنفى هنا لا يحتمل الا معنى واحدا هو السماع الذى يراد به الرد على من يكلمهم كالرد المعهود بين الاحياء لا ادراك الاصوات، فالموتى كلهم حتى الكفار يدركون الاصوات، لكن لا يجيبون جوابا مسموعا للاحياء[1]، كما صرح به النبي ﷺ فى حديث مسلم برقم (٢٨٧٤): حين خاطب قتلى المشركين فى بدر فسأله بعض اصحابه كيف يكلم اجسادا لا ارواح فيها؟! فقال: «**و الذى نفسى بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم، و لكنهم لا يقدرون ان يجيبوا**» و فى البخارى برقم (١٣٠٤): «**ما انتم باسمع منهم و لكن لا يجيبون**» فهذا الحديث يصرح بسماعهم كالاحياء و يبين الفرق بينهما، و قد ثبتت مخاطبة

---

١ . انظر فى تفسير الايه تفسير اضواء البيان، فقد جمع فيها أقوال العلماء واقام الادله على سماع الموتى، وازال عنها الشبهات، واما قول قتاده: احياهم الله فاسمعهم خزيا وندامه، فلا حجه فيه؛ لانه اجتهاد، قال ابن تيميه فى كتابه الفتاوى (٤/ ٢٩٨) تعليقا على قول قتاده: «و قال ابن القيم: فى كتاب الروح ص (٢٤): «وقد شرع النبى...لامته ان يسلموا عليهم سلام من يخاطبوه...وهذا خطاب لمن يسمع و يعقل...والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الاثار عنهم: بان الميت يعرف زياره الحى له ويستبشر به».



الموتى فى قول صالح لقومه بعد الهلاك: ﴿يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِن لاَّتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الاعراف/ ٧٩]، و فى مخاطبة شعيب لقومه بعد الهلاك: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [سورة الاعراف / ٩٣].

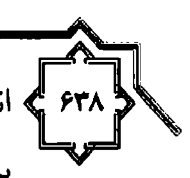
و فى توبيخ النبي ﷺ لقتلى المشركين فى بدر، كما سبق، و رواية عائشة فى نفى ذلك مخالفة لرواية من حضر الغزوه، و هم اكثر عددا، و ليسوا اقل حفظا و علما، فروايتهم مقدمة.

(٤) و قالوا: الموتى مشغولون بانفسهم لا يدعون للاحياء، و استدلوا على ذلك بقوله: «**إذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقه جاريه، او علم ينتفع به، او ولد صالح يدعو له**» و من انقطع عمله انقطع دعاؤه؛ لأنه من جملة عمله. و هذا قول مناقض للأدلة؛ لأنه استدلال بالحديث فى غير موضعه؛ لأن الانقطاع عام، و الأدلة المثبتة للدعاء بعد الموت خاصة، فهى مقدمة على العام مخصصة له، عكس ما يريد هؤلاء.

جاء فى حديث المعراج قوله عند ذكر كل نبى «**فرحب بى ودعا لى بخير**»[1] و بحديث الشهداء حيث قال رسول الله ﷺ لاصحابه: «**ان اخوانكم قد قتلوا و انهم قالوا: ربنا بلغ عنا نبينا انا لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا**» رواه مسلم برقم (١٥١١)، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِن خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران / ١٦٩]، فهم مهتمون بامر من بعدهم و يدعون لهم بقولهم: «**ربنا بلغ عنا اخواننا...**» الى اخر الحديث. ولحديث انقطاع الاعمال وجه آخر: هو ان المراد

---

١ . صحيح مسلم برقم (١٦٢) ومسند احمد برقم (١٢٥٠٥).



انقطاع الاجر المبنى على التكليف، فلما زال التكليف بقى الذكر و الدعاء الذى يراد به التنعم بعمل الخير. و قد استدل بعض الذين يحرّمون طلب الدعاء من النبي ﷺ بعد وفاته بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر/ ١٣ ـ ١٤]، و هذا وضع للآية في غير موضعها؛ لأنها تتكلم عمن يدعون غيرالله و يشركون به، و المسألة التى هى موضع البحث هنا هى طلب الدعاء، فكما لا يكون طلب الدعاء من الحى شركا لا يكون طلبه من الميت شركا، و دعاؤه للاحياء ثبت فى حديث الاسراء و حديث الشهداء كما تقدم.

و فيه حديث خاص بالنبي ﷺ: «تعرض عليّ اعمالكم فما وجدت من خير حمدت الله، و ما وجدت من غيرذلك استغفرت لكم» قال الهيثمى: رواه البزار، و رجاله رجال الصحيح[1].

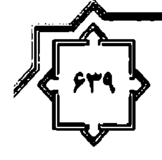
وقد ادعى المعارضون ان هذا الحديث ضعيف؛ لأنه روى مرسلا بسند اصح[2]؛ و هذا الادعاء مردود؛ لأن السند المرسل يقويه، و لا يضعفه؛ لأنهما يتعاضدان و ان كان السند ضعيفا، لكن الذين تحاملوا على الرواية المرفوعة اختاروا فى الراوي المتكلم فيه اشد الاقوال حتى لا يصلح للتعضيد، و قد قال العلماء: لا تعارض بين الرفع و الارسال[3]. و المرسل وحده حجة عند مالك و احمد و ابى حنيفة، و على كل حال ففى الاحاديث التى قبله كفايه فى الاستدلال.

---

١ . مجمع الزوائد (٨/ ٥٩٥).

٢ . سلسله الاحاديث الضعيفه (٢/ ٤٠٤) برقم (٩٧٥)

٣ . انظر: مقدمه شرح النووى (١/ ٣٢) ط دار احياء التراث.



و ادعى المعارضون ايضا ان هذا الحديث ـ حديث عرض الاعمال عليه ﷺ و استغفاره لامته مردود بما هو اقوى منه، و هو حديث «**انك لا تدرى ما احدثوا بعدك...ان هؤلاء لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم**»[١]، و هذا الادعاء ساقط؛ لأن الذين يستغفر لهم هم امته، و هؤلاء هم المرتدون، كما صرحت الرواية، و ليسوا من امته، فلا تعارض بين الحديثين، بل التعارض متوهم.

و قد جاء فى القرآن الكريم اهتمام الصالحين باقوامهم ـ بعد موتهم ـ و دعاؤهم لهم فى قوله تعالى: ﴿**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾ [يس/ ٢٦ و٢٧].

والذين ينكرون طلب الدعاء من النبي ﷺ بعد وفاته يقولون: هذا ليس من عمل الصحابة، و لو كان خيرا لسبقنا اليه.

و الجواب على ذلك: هو انهم سبقونا اليه، و لكن المنكرين يضعفون رواية ذلك بأدلة واهية، و هذا النوع من الأدلة شبهات لا يعجز عنها احد، و حسبنا ان يصحح رواية ذلك عن الصحابة عدد من ائمة الحديث الذين تؤيدهم الأدلة القوية.

طلب الحاجة المختصة بالله من النبي ﷺ معناه طلب الدعاء:

ثم ان بعض الناس يعبرون عن طلب الدعاء منه ﷺ بطلب الحاجة نفسها منه، كما فى رواية مسلم برقم (٤٨٩) عن ربيعه بن كعب الاسلمى انه قال للنبى ﷺ: «**أسألك مرافقتك فى الجنة**» و ادخاله الجنة برفقته ﷺ هو بيد الله خصوصا، وكما فى رواية البخارى ان عمر بن خطاب سمع النبي ﷺ يقول لبعض اصحابه: «**رحمه الله**» فعرف انه يستشهد فقال: «**يا رسول الله ﷺ لولا**

---

١ . صحيح البخارى برقم (٤٤٩) ومسلم برقم (٢٨٦٠) مكرر.

امتعتنا به»[1]، اى لو ابقيته لنا، و الابقاء بيد الله، لكن المراد ان يدعو لـه بالبقـاء، و ان كان لفظه الطلب منه ﷺ، و مثله ما روى الامام احد عن عمرو بن العـاص انه قال للنبى: «**لا ابايعك يا رسول الله ﷺ حتى تغفر لى ما تقدم من ذنبى**»(١)[2] بصيغة المخاطب، و هو عند مسلم برقم (١٢١) بصيغة المبنى للمجهول، و المغفره من خصائص الله تعالى.

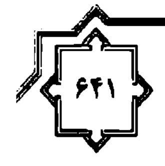
و لا يقال ان هـذا وان كـان جـائزا فالافـضل تركـه؛ لأنـه يـوهم الـشرك. فالجواب: ان النبي ﷺ احرص منا على دفع هذا التوهم، و لم يطلب تـرك هـذا الاسلوب فى طلب الدعاء و ربما قال بعضهم: انه صار شركا لأنهم طلبـوه مـن الميت. فالجواب: ان مسائل الشرك لا فرق فيها بـين حـى و ميـت، و هـل يجـوز الشرك فى الطلب من الاحياء؟!

بل قد ثبت ان النبي ﷺ ذكر وقوع طلب الحاجة ـ المختصة بالله ـ مـن نبـى الله موسى عليه الصلاه و السلام و اقره النبي ﷺ، بل حث على الاقتداء بمـن فعله و قوله: «**اعجزتم ان تكونوا مثل عجوز بنى اسرائيل؟!**» و ذلـك فـيما رواه ابو موسى عليه السلام قال: «**اتى االنبي ﷺ اعرابيا فاكرمه، فقـال لـه: «ائتنـا» فاتـاه،** فقال له رسول الله: «**سل حاجتك**» قال: ناقة نركبها، و أعنز يحلبها اهلى، فقـال رسول الله: «**اعجزتم ان تكونوا مثل عجوز بنى اسائيل؟!**» قالوا يا رسول الله! و ما عجوز بنى اسرائيل؟! قال: «**ان موسى عليه السلام لما سار ببنى اسرائيل من مـصر، ضلوا الطريق، فقال: ما هذا؟ فقال علماؤهـم: ان يوسف عليه السلام لما حـضره المـوت اخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: فمـن**

---

١ . صحيح البخارى برقم (٣٩٦٠) ومسلم برقم (١٨٠٢).

٢ . مسند الامام احمد برقم (١٧٨٢٧)، وبرقم (١٧٨١٣)، وبـرقم (١٧٧٧٧)، وقـال الهيثمـى فـى مجمع الزوائد (٩/ ٥٨٥): رواه احمد والطبرانى ورجالها ثقات.



يعلم موضع قبره؟ قال عجوز من بنى اسرائيل، فبعث اليها فأتته، فقال: دلينى على قبر يوسف، قالت: حتى تعطينى حكمى، قال: و ما حكمك؟قالت: اكون معك في الجنة، فكره ان يعطيها ذلك، فاوحى الله اليه: ان اعطها حكمها، فانطلقت بهم الى بحيره ـ موضع مستنقع ماء ـ فقالت: انضبوا هذا الماء فانضبوه، فقالت: احتفروا، فاحتفروا فاستخرجوا عظام يوسف، فلما اقلوها الى الارض، و إذا الطريق مثل ضوء النهار»[1]».

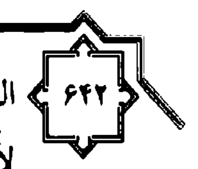
و قد قال بعض الذين ينكرون هذه الصيغه من طلب الدعاء: مستحيل ان يسمح النبي ﷺ بدعاء غير الله، و قد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر/ ١٣ ـ ١٤].

و جواب هذا الاعتراض واضح، فهذه الصيغه ثبتت عن النبي ﷺ، و معناها طلب الدعاء و الآية تندد بمن يدعو غير الله و بين الامرين فرق عظيم، و مخاطبه النبي ﷺ بهذه الصيغه ـ التى صورتها الطلب منه ـ هى مخاطبة تجرى على قواعد العربية الماخوذة من كتاب الله، وهي باب واسع فيه نسبة فعل الله الى المتسبب به.

بل جاء نسبة فعل الله اليه ﷺ فى رواية مسلم برقم (٢٠٩) فى حق عمه ابى طالب «وجدته فى غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح» اى شفعت له فكان ذلك، و ان كان لفظه نسبة الاخراج اليه ﷺ، بل جاء هذا فى القرآن

---

١ . صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان (٢/ ٥٠٠) برقم (٧٢٣)،والمستدرك (٢/ ٥٧١) وقال: هذا حديث صحيح الاسناد، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد: (١٠/ ٢٦٧): رواه الطبرانى وابو يعلى..... ورجال ابى يعلى رجال الصحيح.



الكريم، كما قال الله تعالى فى حكاية قول جبريل لمريم: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم\١٩] و فى قراءة أخرى (ليهب) والمعنى واحد.

و جاء فى القرآن نسبة الملائكة القدر الى انفسهم فى قصة قوم لوط فقالا ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [النمل / ٥٧]، والقصة واحدة.

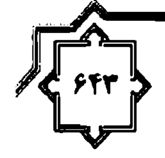
فهذا اسلوب عربى مشهور فى نسبة الفعل الى المتسبب به جاء فى القرآن و السنة، و ليست مخاطبه المخلوق به دعاء لغير الله و شركا اكبر يستحق صاحبه القتل؛ لأنه مرتد، كما يزعم المتسرعون فى التكفير لاجل استباحة الدماء، بل هو طلب دعاء و ان كانت صيغته و الفاظه فيها طلب الحاجة منه ﷺ و كيف يصح هذا الزعم فى اسلوب قرآنى، اقر رسول الله ﷺ قائليه.

و اما قولهم: ان طلب الحاجة التى لا يقدر عليها الا الله من اى مخلوق هو استغاثه، والاستغاثة بغيرالله شرك؛ لأنه قال ﷺ: «**انه لا يُستغاث بى، انما يستغاث بالله**»[1].

فالجواب على ذلك موجود فى السنة النبوية، فقد ثبت فى صحيح البخارى برقم (١٤٠٥) التعبير بالاستغاثه عن طلب العباد الشفاعة من الرسل عليهم الصلاة و السلام، فقال: «**استغاثوا بآدم...**» الحديث، فلا يجوز النهى عن الاستغاثه بعد ثبوتها فى السنة فى اعظم المواقف فى التوحيد، و لا يجوز ان يقال انها شرك بعدما جاءت فى السنة النبوية، و مثله حديث البخارى برقم (٢٩٠٨) و مسلم برقم (١٨٣١): «**لا الفين احدكم يوم القيامه على رقبته شاة لها ثغاء...يقول: يا رسول الله اغثنى**» فلم ينهه النبي ﷺ عن الاستغاثه، و لكن

---

١. ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٤٢٦): رواه الطبرانى، ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعه وهو حسن الحديث، قلت: ابن لهيعه فيه خلاف كثيره ينظر، وقال: رواه احمد بغير هذا السياق.



قال: لا املك لك من الله شيئا، قد ابلغتك اى امرتك ان لا تعصي، لأنّ الشفاعة يُنهى عنها إلا أن تكون باذن الله، وهذا محروم من الشفاعه، اى الاغاثه بها - حسب تعبير الحديث - لأنه عاند الإنذار.

و هذا يحتم ان يكون حديث «**لا يُستغاث بى، انما يستغاث بالله**» منكرا لمخالفته

هذا الحديث فى رواية البخارى، او ان يجمع بينهما - على افتراض انه صحيح - و ذلك بان تفسر الاستغاثه المنفيه عنه ﷺ المثبتة لله تعالى انها طلب فعل الاغاثه بأن يكون النبي ﷺ هو الذى يعطي السائل تلك الحاجة المختصة بالله، و ذلك لا يكون الا من الله تعالى، و لا يكون من نبيه ﷺ، اما الاستغاثه به ﷺ بمعنى طلب الدعاء منه بقضاء تلك الحاجة بفعل الله تعالى فهو ثابت له و لغيره من الانبياء كما سبق فى الحديث، فالاستغاثه الثابتة، و هذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ﴾ [الانفال/ ١٧] فاثبت الله تعالى له الرمى بقوله ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بعدما نفاه عنه، و مثله قوله سبحانه ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الانفال/ ١٧].

و تكون الاستغاثه الثابتة فى حديث البخارى على معنى ان يطلب الانبياء الاغاثه من الله تعالى، و نسبها النبي ﷺ اليهم «استغاثوا بآدم» بمعنى انهم سبب الاغاثه، و هذا صريح لا يحتمل التأويل.

والله تعالى اعلم.

التوسل تبركا باثار رسول الله ﷺ في زيارة مشاهد المدينة المنورة

قال الامام النووى فى المجموع (٨/ ٢٧٦): «يستحب ان يزور المشاهد التى بالمدينه، وهى نحو ثلاثين موضعا يعرفها اهل المدينه، فيقصد ما قدر عليه

منها، وكذلك يأتى الآبار التى كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها، او يغتسل، و هى سبع آبار، فيتوضأ منها و يشرب».

و قال الامام عز الدين بن جماعه: «و يستحب كما قال جماعه من الشافعيه و غيرهم ان ياتى الآبار التى شرب منها و توضأ سيدنا رسول الله ﷺ، فيتبرك بمائها، و ان يتبرك بسائر المشاهد التى بالمدينه»[1].

و فى كلام النووى و ابن جماعه تنبيه على امرين:

احدهما: التبرك بالصلاة فى مواضع صلاة النبي ﷺ.

والثانى: التبرك بلمس اثاره.

اما الصلاة فى المواضع التى صلى فيها رسول الله ﷺ فقد جاء عن الامام مالك فى العتبيه و شرحها المسمى (البيان و التحصيل): انه «سئل مالك عن الصلاة فى مسجد النبي ﷺ اى المواضع أحب إليك؟ قال: اما النافلة فمصلى النبي ﷺ. قال محمد بن رشد: استحب مالك صلاة النافلة فى مصلى النبى ﷺ للتبرك بموضع صلاته... و من الدليل على ذلك ان عتبان قال للرسول ﷺ... فصل يا رسول الله في بيتى مكانا اتخذه مصلى...»[2] و بهذا يعلم ان قول مالك هو اتباع للصحابة، فان الصحابة كانوا يعتنون بذلك، و كان النبي ﷺ يساعدهم عليه، كما روى الامام البخارى برقم (٤١٥) و مسلم برقم (٥٤) و اللفظ للبخارى عن عتبان بن مالك:

«... وددت يا رسول الله أنك تأتينى فتصلى فى بيتى، فاتخذه مصلى، قال: فقال له رسول الله ﷺ: **سأفعل إن شاء الله** قال عتبان: فغدا رسول الله و أبوبكر حين ارتفع النهار... ثم قال: **أين تحب أن أصلى من بيتك؟** قال: فأشرت إلى

---

١ . هدايه السالك (٣/ ١٣٩٧).

٢ . البيان و التحصيل (١٧/ ١٣٣).



ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فقمنا فصففنا، فصلى ركعتين ثم سلم»، وروى مثله النسائى بسند صحيح برقم (٧٣٧) عن أنس «أن أم سليم سألت رسول الله ﷺ أن يأتيها فيصلى فى بيتها، فتتخذه مصلى، فأتاها...». الحديث.

و كذلك جاء عن الإمام أحمد فى قصد المشاهد، و الصلاة فى مواضع النبى ﷺ فى اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٣٦): «قال سندى الخواتيمى: سألنا أبا عبد الله عن الرجل يأتى هذه المشاهد و يذهب إليها، ترى ذلك؟

قال: أما على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبى ﷺ أن يصلى فى بيته، حتى يتخذ ذلك مصلى، و على ما كان يفعل ابن عمر يتبع مواضع النبى ﷺ و أثره، فليس بذلك بأس أن يأتى الرجل المشاهد، إلا أن الناس قد أفرطوا فى هذا جدا و أكثروا فيه.

و الإفراط الذى عناه الإمام أحمد ليس فى التكرار و الملازمة؛ لأن ابن أم مكتوم كان اتخذه مصلى، و لا تكرار و لا ملازمة أكثر من ذلك، ولا في تتبع جميع مشاهده ﷺ؛ لأن ابن عمر كان يفعل ذلك، ولكن عنى الإمام أحمد الخروج عن التبرك المشروع، و هذا ما يظهر مما نقله عنه أحمد بن القاسم فى المسألة نفسها، كما نقل ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم مثل الكلام السابق، ثم قال: «ولكن قد أفرط الناس جدا، و أكثروا فى هذا المعنى، فذكر قبر الحسين و ما يفعل الناس عنده».

و أما ما نقله الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٩/ ٤٥٧) عن ابن سعد بإسناد صحيح «أن عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة فيصلون عندها، فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت»، فهذا مخالف لما رواه البخارى برقم (٢٧٩٨) عن عبد الله بن عمر: «رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة، التى بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله»، وروى البخارى برقم (٣٩٣٠) عن طارق بن

عبد الله قال: «انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون، قلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته، فقال: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل أُنسيناها، فلم نقدر عليها. فقال سعيد: إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها، و علمتموها أنتم، فأنتم أعلم».

و إذا لم تكن معروفة فكيف تقطع؟! نعم يمكن أن يكون أمر بقطعها؛ لأنها شجرة مزعومة كما ذكر سعيد، ولو افترض أنه قطعها لصلاة الناس عندها فلا يمكن أن يكون ذلك لمنع التبرك بالصلاة في ذلك المكان؛ لأنهم يمكن أن يصلوا في المكان بعد قطعها، و يجعلوا له علامة أخرى، فالقطع ليس مانعا، لكن يمكن أن يكون ظهر منهم أمر كأنه تعظيم لها، كأن يجعلها بعضهم بين يديه، فتكون شبيهة بالصلاة بين يدي الإنسان، أو غيره مما تكره الصلاة إليه، و قد كرهها أهل العلم للشبه بحال المشركين، لا لأن ذلك شرك، و هذا امر لا يوجد في المكان الذي صلى فيه رسول الله ﷺ، و لا في الماء الذي توضأ به، و الثوب و المكان الذي يتمسح المتبركون به، و على ذلك الاحتمال يمكن أن يحمل قول عبد الله بن عمر «كانت رحمة» لو فسر بأنه يعني «كان نسيانها رحمة»، و لا يمكن أن يفسر هذا بكراهتة الصلاة في موضع النبي ﷺ؛ لأنه هو نفسه كان يتحرى الصلاة في الأماكن التي صلى فيها النبي ﷺ فقد روى البخاري برقم (٤٦٩) عن موسى بن عقبة قال: «رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها، و يحدث أن أباه كان يصلي فيها، و أنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة» و روى البخاري برقم (٤٨٠) أنه قيل لسلمة بن الأكوع: «تتحرى الصلاة عنده هذه الأسطوانة! قال: فإني رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها».



أما إذا فسر بأن الشجرة نفسها كانت موضع رحمة، حيث تنزل رضوان الله على رسول الله ﷺ و أصحابه عند البيعة، فلا يدل على المنع، بل يؤكد أن التبرك بالموضع بالصلاة فيه مستحب إذا صح أن النبى ﷺ صلى فيه، و قد دلت الأحاديث السابقة على إقرار النبى ﷺ لذلك، و لا شيء أدل عليه من أن النبى ﷺ استحاب لطلب من قال له صراحة: «فأتخذه مصلى».

و بذلك يفسر أيضا ما روى عبدالرزاق[1] و ابن ابى شيبة[2] عن عمر أنه «رأى أقواما ينزلون فيصلون فى مسجد فسأل عنهم، فقالوا: مسجد صلى فيه النبى ﷺ فقال: إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا، من مر بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فيه فليصل و إلا فليمض».

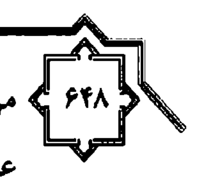
و هذا صريح فى أنه لا مانع من الصلاة فى تلك المساجد؛ لأنه قال: من حضرته الصلاة فيه فليصل، ولو كان عمر يرى لزوم منع الصلاة فيها، لمنع الصلاة فيها أصلا، سواء حضرت أو لم تحضر، بل لا يمكن أن يكون مراده المنع من قصد الصلاة فى مواضع صلاة النبى ﷺ لأجل التبرك؛ إذ يستعبد أن يغيب عنه إذن النبى ﷺ بذلك و إعانة قاصديه عليه، كما يستبعد أن يخفى قول عمر و دليله على ابنه عبد الله لو كان عمر يحرم الصلاة فى موضع صلاة النبى ﷺ، فيخالفه و يتحرى الصلاة فيها، فأقل ما يقوله عبد الله ـ لو صح ذلك ـ: إنه خالف أباه اتباعاً للدليل الذى بلغه عن النبى ﷺ.

و الصلاة فى المواضع التى صلى فيها النبى ﷺ قد أذن بها الله تعالى على لسان رسوله ﷺ كما تقدم، و بفعله ﷺ، كما تقدم، فلا تدخل فيما نهى عنه عمر، و على افتراض أن عمر لم يبلغه إذن النبى ﷺ، و أنه كان لذلك يرى المنع

---

١ . المصنف لعبد الرزاق الصنعانى برقم (٢٧٣٤).

٢ . المصنف لابن أبى شيبة برقم (٧٥٥٠) و رجالها رجال البخارى و مسلم.



من تحرى تلك المساجد، لابد أن يقال حينئذ: إن قول النبى ﷺ مقدم على قول عمر، و هو ﷺ أحرص على التوحيد من كل حريص، فالتوحيد روح رسالته و مقصودها الأول.

و من استدل بقول عمر على نسخ أحاديث رسول الله ﷺ فى التبرك، فقد قدم الدليل المرجوح و هو قول الصحابى ـ عند من يجعله حجة ـ على الدليل الراجح و هو قول النبى ﷺ و فعله، و يكون أيضا قد استدل بقول الصحابى حيث لا يجوز الاستدلال به؛ لأن المحتجين به إنما يستدلون به «إذا لم يخالفه غيره»[1] و قالوا: «إذا اختلف الصحابة ينظر إلى أقرب القولين إلى الكتاب والسنة»[2]، و حديث عتبان و سلمة صريحان فى موافقة عبد الله بن عمر، لو افترضنا أن بينهما اختلافاً.

التوسل بطريقة التبرك بآثار النبي ﷺ:

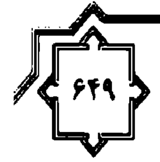
و الثانى ـ من الأمرين اللذين نبه عليهما الإمام النووى و ابن جماعة هو: التبرك بالماء الذى شرب منه، أو توضأ منه، أو مج فيه ﷺ، و التبرك بكل ما مسه النبى ﷺ، فهذا أمر كان الإمام أحمد بن حنبل يذكره بشأن منبر النبى ﷺ كما نقل عنه ابنه صالح فى مسائله برقم (١٣٤٠): «ويضع يده على الرمانة و موضع الذى جلس فيه النبى ﷺ، و لا يقبل الحائط، و كان ابن عمر يمسح [مقعد][3] النبى ﷺ، و كان يتبع آثار النبى ﷺ، و لا يمر بموضع صلى فيه النبى ﷺ [إلا صلى]».

---

١ . انظر: المسودة فى أصول الفقه ص (٣٣٦).

٢ . انظر: المسودة ص(٣٢٥).

٣ . زيادتان من محقق مسائل صالح لا ستقامة الكلام.



فالإمام أحمد يقول هذا اتباعاً لأصحاب رسول الله، و هذا التبرك أمر كان الصحابة يكثرون منه في حياته ﷺ، و بعد وفاته، وكان هو ﷺ يساعدهم عليه، ويأمرهم به حتى آخر حياته ﷺ، فقد روى البخاري برقم (٤٠٧٣) باب غزوة الطائف «أن النبي ﷺ دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه و وجهه و مج فيه ثم قال لبلال و أبي موسى: «**اشربا منه و أفرغا على وجوهكما و نحوركما و أبشرا**» «و أقل ما يقال في الأمر هنا إنه للإستحباب، و روى البخاري برقم (٣٣٨٦) عن ابن مسعود: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر... فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الأنام ثم قال: «**حي على الطهور المبارك، و البركة من الله**» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، و هذا أمر صريح و ترغيب واضح، وروى مسلم برقم (١٣٠٥) عن أنس قال: (لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة و نحر نسكه و حلق ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه، ثم ناوله الشق الأيسر فقال: «**احلق فحلقه، فأعطاه أبا طلحة، فقال: اقسمه بين الناس**»)، و هذا أمر و فيه إرسال شعره ﷺ إلى من لم يطلبه، و حجة الوداع كانت في آخر عمره ﷺ، قبل وفاته بنحو ثلاثة أشهر، و هذا يرد احتمال النسخ.

و يتقوى ثبوت استحباب التبرك بعمل الصحابة بعده ﷺ، كما روى مسلم برقم (٢٠٦٩) عن أسماء بنت أبي بكر: «هذه جبة رسول الله ﷺ... كانت عنده عائشة حتى قبضت، و كان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها» و الاستشفاء: طلب الشفاء من الله تعالى، ولمس الأثر سبب، أي وسيلة إليه ثابتة شرعا.

التبرك لمنافع الآخرة:

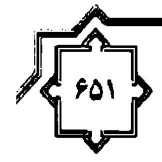
و جاء في التبرك لمنافع الآخرة ما روى البخارى برقم (١١٩٩) عن أم عطية قالت: (توفيت بنت النبى ﷺ فقال لنا: «**اغسلنها... فإذا فرغتن فآذنني**» فلما فرغنا آذناه، فنزع من حقوه إزاره، و قال: «**أشعرنها إياه**» (و الشعار ما يباشر الجسد، و هذا أمر بجعله على جسدها، و روى البخارى برقم (١٢١١) عن جابر قال: «أتى النبى ﷺ عبد الله بن أبى بعد ما دفن، فأخرجه فنفث فيه من ريقه، و ألبسه قميصه» و النفث في فمه تبريك عليه، و لا فائدة بعد الموت إلا الأخروية، ولكنه لم ينتفع بذلك لنفاقه، كما لم ينتفع بصلاته ﷺ عليه، لكن دل فعل النبى ﷺ على أنه ينفع عند عدم المانع.

و قد اقتدى الصحابة في ذلك به ﷺ، فقد روى البخارى برقم (١٢١٨) عن سهل «أن امراة جاءت النبى ﷺ ببردة منسوجة... فأخذها النبى ﷺ محتاجا إليها، فخرج الينا، و إنها إزاره، فحسنها فلان، فقال: **أكسنيها ما أحسنها!** قال القوم: ما أحنست... قال: **إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني**، قال سهل: فكانت كفنه».

حقيقة التبرك:

و التبرك «سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالى في كتابه و سنة نبيه ﷺ» فهو وسيلة شرعية، قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٦٣): (الوسيلة: هى التى يتوصل بها إلى تحصيل المقصود) فمن يستشفى بالأثر يرغب إلى الله في الشفاء بسبب الأثر، وإن لم يتلفظ بذلك.

و في أمره ﷺ لأبى طلحة بقسمه شعره، و في أمره بلالا و أبا موسى أن يفرغا عليهما و يشربا، و في أمره النسوة أن يجعلن إزاره على جسد ابنته، و في قوله للناس «**حي على الطهور المبارك**» دلالة صريحة على الترغيب في التبرك



لتحصيل الخير بسببه، لا فى الترغيب عنه.

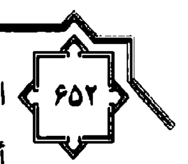
أما حديث أبى قراد السلمى فى مجمع الزوائد (١/ ١٤٥) و برقم (٦٧٠٥) قال: (كنا عند رسول الله ﷺ فدعا بطهور فغمس يده فيه ثم توضأ، فتتبعناه فحسوناه، فقال رسول الله ﷺ: **«ما حملكم على ما صنعتم؟»** قلنا: حب الله و رسوله، قال: **«فإن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا إذا ائتمنتم، واصدقوا إذا حدثتم، و أحسنوا جوار من جاوركم»**) قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الأوسط، و فيه عبيد بن واقد القيسى و هو ضعيف. فهذا لا يدل على الترغيب عن التبرك، ولو فسر الحديث بذلك لكان هذا التفسير معارضا للترغيب الصريح فى الأحاديث السابقة وهى أصح و أكثر، و كل تفسير للأحاديث يؤدى إلى تعارضها مردود كما هو معلوم من قواعد أصول الفقه.

و إنما يدل ـ إذا ثبت ـ على الترغيب فى الجمع بين التبرك و حسن الخلق، و لا يدل على الاستغناء عن التبرك بحسن الخلق، لا سيما أن الحامل عليه حب الله و رسوله ﷺ، و ذلك من أعظم القربات، كما روى البخارى برقم (١٦) و مسلم برقم (٦٧): **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان فى قلبه: أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما...»** الحديث.

حرص السلف على الآثار النبوية:

و لذلك حرص السلف على الآثار النبوية، كما روى البخارى برقم(١٦٨) عن ابن سيرين قال: «قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبى ﷺ... فقال: لأن تكون عندى شعرة منه أحب إليّ من الدنيا و ما فيها».

و الاثار النبوية فى المدينة المنورة و مكة المكرمة منها ما هو معروف على وجه اليقين، كمحرابه و كالممشى بين حجرة عائشة ـ أى مكان القبر الشريف ـ و بين محرابه ﷺ من داخل المسجد، و مخرجه من هذه الحجرة الشريفة نحو



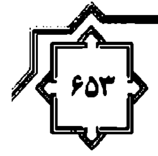
البقيع، و مكان الحجرات الشريفة، و قد أصبحت داخل المسجد، و كذا الممرات أمامها من داخل و خارج، و كل هذا ثابت بالتواتر، وهناك أمور ثابتة بالأسانيد الصحيحة وقوفه فيها، و بتناقل الأجيال معروف مكانها لدى أهل المدينة المنورة، و من طلب إسنادا معينا لكل منها، فليأت بإسناد معين لكون المسجد النبوى، و ميقات ذى الحليفة، و كون مسجد قباء فى هذا المكان المعين، و إذا لم يجد هذا الإسناد فيقال بناء عليه: إن مضاعفة الأجر فى المسجد النبوى، ومسجد قباء، لا يمكن أحدا فى زماننا أن يحصل عليهما، أما إذا اكتفى بتناقل الأجيال هنا، فلا بد من الاكتفاء هناك، و إن كان بينهما فرق فى اهتمام الناس بالتناقل، ولكن الاهتمام حاصل بالتناقل فيهما، كالفرق بين مسجد قباء و المسجد النبوى الشريف، و كذالك ثبت تعيين بعض الأشياء التى لامسها ﷺ ـ فى مكة المكرمة: الحجر الأسود، و الركن اليمانى، و مكان زمزم ـ ثبوتا يقينيا، وقد مج النبى ﷺ فى بئر زمزم، كما رواه الإمام أحمد فى مسنده[1] (۱/ ۳۷۲) برقم (۳۵۲۷)[2]، فيحصل لمن يلامسها مع بركته ﷺ بركتها الخاصة، و من الأماكن اليقينية الثبوت: غار حراء و غار ثور، وموقفه ﷺ فى عرفات.

و من زعم أن الصحابة لم يتبركوا بهذه الأماكن فلا يجوز التبرك بها، و هو بدعة، فقد زعم أن كل شىء من آثاره ﷺ يحتاج إلى دليل خاص للتبرك به، و لم يقل هذا أحد من السلف، و كل من تكلم فى المسألة على حديث من أحاديث التبرك لا يقول عنه: يتبرك مثلا بريقه، و إنما يعبرون عنها بآثاره، و هى عبارة تشمل كل آثاره الشريفة، و هذا ملاحظ فى عبارات السلف عن روايات التبرك.

---

١ . قال ابن كثير فى البداية و النهاية (۵/ ۱۴۸): إسناده على شرط مسلم.

٢ . فى الطبعة الجديدة المرقمة.



ثم قوله: «لم يفعله الصحابة» لا يصح، بل التعبير الصحيح ـ لو افترضنا التسليم بعد الرواية ـ أن يقال: «لم تأت رواية بذلك» أى هم ساكتون، و الآثار و الأحاديث الواردة تدل على جواز التبرك بكل آثاره ﷺ، و هى مقدمة ـ إجماعاً ـ على عدم الرواية، و هو يسمى الاستصحاب، و هو آخر الأدلة رتبة.

ولو ثبت حقيقة أنهم لم يفعلوا لكان نفياً، و تلك الأحاديث و الآثار مثبتة، و الإثبات مقدم على النفى، كما هو معلوم.

و الحرص على التبرك بالآثار النبوية كان شأن أئمة الهدى من السلف الصالح، كما سبق عن ابن سيرين و عبيدة، و كما جاء عن الإمام أحمد فى آخر مسائل ابنه عبد الله برقم (١٨٦٥): «رأيت أبى يأخذ شعرة من شعر النبى ﷺ، فيضعها على فيه يقبلها، و أحسب أنى قد رأيته يضعها على رأسه، أو عينيه، فغمسها فى الماء ثم شربه يستشفى به، ورأيته قد أخذ قصعة النبى ﷺ... فغسلها فى حب الماء ثم شرب فيها، و رأيته غير مرة يشرب من ماء زمزم، يستشفى به، ويمسح به يديه و وجهه».

و هذا ليس تبركا مجرداً، بل معه تعظيم؛ لأنه قبل أن يتبرك بالماء وضع الشعرة على فمه فقبلها، وعلى رأسه و عينيه، و هذا التعظيم لآثار النبى ﷺ معهود عند أئمة الهدى، كما ذكر القاضى عياض فى ترتيب المدارك (١/ ٩٣): أن الإمام مالكا أهدى أفراسا و بغالا للشافعي، فقال الشافعي: «دع لنفسك دابة تركبها، فقال: أنا أستحى أن أطأ تربة نبى الله ﷺ بحافر دابة».

و تعظيم المخلوق ـ المعظم شرعاً ـ بغير العبادة قد حث الله عليه فى القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج/ ٣٢] و قال: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِن شَعَائِرِ الله﴾ [الحج/ ٣٦]، فهذه مخلوقات من شعائر الله المأمور بتعظيمها.

و التبرك كان من شأن سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فقد روى الطبرانى فى

الأوسط، برقم (٧٩٤): أنه ﷺ «كان يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين» قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢١٤): رجاله موثقون، ورواه أبو نعيم في الحليلة[1]، و هو في الجامع الصغير، و هذا يدل على مشروعية التبرك بالصالحين غير الأنبياء، فليس التبرك خصوصية لسيدنا محمد ﷺ.

و هذا كما كان يقول لبعض أصحابه: «لا تنسنا يا أخي من دعائك»[2] و قد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب/ ٥٦]، و الصلاة والسلام عليه دعاء له. مع أنه أقرب الخلق إلى الله، و دعاؤه أقرب إلى الإجابة من جميعهم.

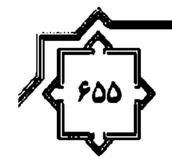
و لا ينسى المسلم ـ ما دام يقرأ كتاب الله الكريم ـ تبرك خيار المرسلين ببعضهم، كما أخبر الله تعالى عن يوسف و يعقوب عليهما السلام: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾ [يوسف/ ٩٣].. ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف/ ٩٦]، فهذا هو ما نطق به كتاب الله، و رسول الله ﷺ، و إن أحسن الحديث كتاب الله، و خير الهدى هدى محمد سيد الأولين و الآخرين صلى الله عليه و على آله و أصحابه وورثته أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

١. حلية الأولياء (٨/ ٢٠٣).

٢. رواه الترمذي في السنن برقم (٣٥٦٢) و قال: «حديث حسن صحيح» و فيه عاصم بن عبيد الله، الأكثر على تضعيف حفظه، و قال يعقوب بن شيبة: قد حمل الناس عنه و في أحاديثه ضعف وله مناكير، و قال العجلي: لابأس به، و قال البزار: «في حديثه لين» و قد روى عنه مالك و شعبة و ابن عيينة، و هم لا يروون إلا عن ثقة، و لعل الترمذي صحح له من أجل ذلك، و التصحيح فرع يترتب على التوثيق.



المصادر

الإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليل القزويني، ت/ محمد سعيد إدريس، ط مكتبة الرشد بالرياض، الأولى/ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

استحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية (الرد على الإخنائي)، لابن تيمية، ت/ شهاب الله بهادر، ط دار الفتح بالشارقة، الأولى/ ١٤١٩هـ/ ١٩٨٩م.

الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ط دار إحياء التراث العربي بيروت، الأولى/ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي، ط عالم الكتب بيروت.

البداية و النهاية، لابن كثير، ط دار الكتب العلمية بيروت، الأولى/ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

البيان و التحصيل، لابن رشد القرطبي، ت/ محمد حجي، ط دار الغرب الإسلامي بيروت، الأولى/ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

تعريف أهل التقديس، لابن حجر العسقلاني، ت/ أحمد ابن علي المباركي، ط/ الرياض، الأولى/ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣.

الثقات، لابن حبان، ط/ دائرة المعارف الهندية بحيدر آباد ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

حلية الأولياء لابي نعيم، ط/ دار الفكر بيروت.

دلائل النبوة، للإمام البيهقي، ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

الرسالة، للإمام الشافعي، ت/ أحمد شاكر.

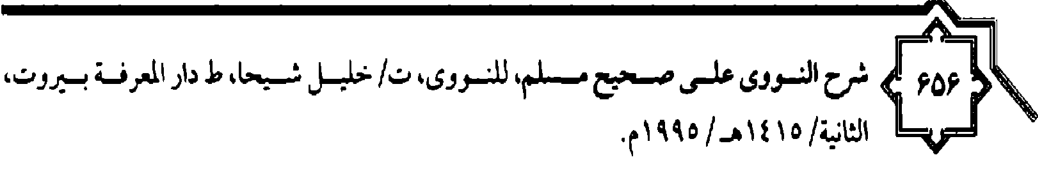
الروح، لابن قيم الجوزية، ت/ السيد الجميلي، ط دار الكتاب العربي بيروت، الخامسة/ ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، ط مكتبة المعارف بالرياض، الثانية / ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

سنن ابن ماجة، للإمام ابن ماجة، ط موسوعة السنة، دار الدعوة و سحنون، الثانية/ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

سنن الترمذي، للإمام الترمذي، ط موسوعة السنة، دار الدعوة و سحنون، الثانية/ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

سنن النسائي، للإمام النسائي، ط موسوعة السنة، دار الدعوة و سحنون، الثانية/ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.



شرح النووي على صحيح مسلم، للنووي، ت/ خليل شيحا، ط دار المعرفة بيروت، الثانية/ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام ابن حبان، ط مؤسسة الرسالة بيروت، الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

صحيح البخاري، للإمام البخاري، ت/ مصطفى البغا، ط دار ابن كثير و اليمامة، الخامسة/ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣.

صحيح مسلم، للإمام مسلم، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الكتب العلمية بيروت / ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

مجمع الزوائد، للهيثمي، ت/ عبد الله الدرويش، ط دار الفكر بيروت/ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع عبدالرحمن العاصمي.

مسائل الإمام أحمد بن حنبل، برواية صالح، ت/ فضل الرحمن، ط الدار العالمية بدلهي، الأولى/ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٤م.

المستدرك، لأبي عبد الله الحاكم، ط دار الفكر بيروت / ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

المسند، للإمام أحمد، ط مؤسسة الرسالة بيروت، الأولى/ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

المسودة لآل تيمية، ت/ محمد محي الدين عبدالحميد، ط دار الكتاب العربي.

المصنف، لابن أبي شيبة، ت/ كمال يوسف الحوت، ط دار التاج بيروت، الأولى/ ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

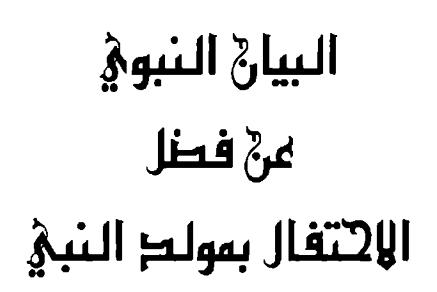
المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، ط المكتب الإسلامي بيروت، الثانية / ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

المعجم الصغير، للإمام الطبراني، ت/ محمد شكور، ط المكتب الإسلامي بيروت، الأولى/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

المعجم الكبير، للإمام الطبراني، ت/ حمدي السلفي.

مقدمة ابن الصلاح، لابن الصلاح، ط/ دار المعارف.

هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك، لعز الدين بن جماعة، ت/ نور الدين عتر، ط دار البشائر بيروت، الأولى/ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.



الدكتور محمود أحمد الزين

تحقيق: علي ملاموسى ميبدي

مقدمة

هل يمكن أن يكون النبي ﷺ قد بين حكم الاحتفال بمولده، ثم يقع حوله هذا الخلاف الكبير بين أن يكون سنة مستحبة وأن يكون بدعة ضلالة، مع أن كل ضلالة في النار؟!

لا، هذا غير ممكن إلا إذا تركنا قواعد ديننا في النظر إلى المسائل الاجتهادية وفي حكم الاختلاف فيها، وهو قول رسول الله ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[1].

وهذا صريح في أن المخطئ غير مبتدع، ولا ضال؛ لأن الله لا يأجر على البدعة، بل «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**».

فالذي يضلل مخالفه إما أنه يغفل عن هذا الميزان، وإما أنه يتجاهله لغاية في نفسه ضد مخالفه، وإما أنه يزعم أن هذه المسألة وأمثالها ليست مسائل اجتهادية، بل هي من البينات التي يضل الناس بالإعراض عنها أو يعاندونها.

وأياً ما كان الأمر فالمولد لا يمكن أن يدعي أحد على مستحبيه أنهم عاندوا البينات؛ لأنهم أئمة ثقات، كالحافظ ابن حجر والسيوطي، ولكن يزعم منكر الاستحباب أنهم أخطؤوا، فلا يجوز اتباعهم، فيقال له حينئذٍ: أأخطؤوا في البينات التي لا تحتمل الخطأ أم في الاجتهاديات؟ إن كانت الأولى فهو عناد وقد

---

١ . صحيح البخاري، ج٩، ص١٠٨.

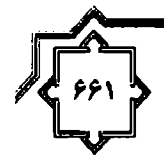
قال الله تعالى عمن يفعل ذلك: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، فهل يليق بهم هذا؟ وإن كانت الثانية فقد قال رسول الله ﷺ: «فله أجر» والله لا يأجر على البدعة، ولا يحل لك أن تبدعه وتضلله، وإن كنت تراه مخطئاً، بل يمكن أن تكون أنت المخطئ، وقولك إن المولد بدعة لا يصح، إلا إذا عنيت أنه كذلك من حيث وجهة نظرك، أو وجهة نظر العلماء الذين تتبعهم، فأنت لو عملت مولداً تكون مبتدعاً ضالاً؛ لأنك عملت أمراً تراه ـ حسب فهمك للأدلة ـ بدعة ضلالة، أما مخالفك فلا، كما لو أن الإمام أحمد بن حنبل أو من يتبعه قال: «اللهم إني أسألك بنبيك أن تغفر لي» فإنه يكون عاملاً بأمر يراه مستحباً، فهو مأجور أجرين إن أصاب، مأجور أجراً واحداً ـ لو افترضناه مخطئاً ـ بخلاف ما لو قال ذلك ابن تيمية أو من يتبعه، فإنه يكون عاملاً بأمر يراه هو بدعة ضلالة، فيكون عليه إثم ذلك وعقابه، ومثل هذا يقال في كل المسائل الاجتهادية، التي الخلاف فيها دائر بين الاستحباب والتحريم، وليس ضرورياً في مسائل الاجتهاد أن يقتنع المجتهد بأدلة مخالفيه، ولكن من الضروري أن يقتنع الفريقان بأن كل منهما يمكن أن يخطئ كما قال رسول الله ﷺ في وصيته لبعض قادة جيوشه: «فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا»[2] وهذا تصريح بأن المجتهد لا يمكن أن يقطع بأنه على صواب وأن مخالفيه على خطأ».

والاحتفال بالمولد يرى الحافظ ابن حجر وموافقوه: أن النبي ﷺ نبه على فضيلته بطريق الاستدلال الأولوي في حديث صوم عاشوراء، حيث ثبتت به مشروعية صوم الذكرى السنوية شكراً لله على نعمة نجاة موسى عليه الصلاة والسلام، قال ابن حجر: فالأولى من ذلك بالمشروعية صيام يوم المولد شكراً لله

---

١ . آل عمران: ١٠٥.

٢ . صحيح مسلم، ج٣، ص١٣٥٧.



على إنعامه بإيجاد نبي الرحمة ﷺ، ثم يقول: إن الحديث فيه بيان أن المقصود من الصوم الشكر، فكل عمل يحصل به الشكر فهو مشروع؛ لأن الشكر هو علة الحكم وسببه، فكل عبادة في ذلك مثل الصوم في الحكم باتفاق العلماء، كأنه منصوص عليها عند بعضهم، أو هي مقيسة عليه عند الآخرين، أما غير العبادة من المباحات، التي تعبر عن الفرح فالأصل فيها الإباحة، ولا دليل على منعها.

ويرى ابن تيمية: أن السلف لم يعملوا الاحتفال بالمولد، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، فهو بدعة، ويجيب الإمام السيوطي: بأن السلف لم ينقل عنهم فيه قول بمنع ولا مشروعية، فهم ساكتون، والحديث دليل إثبات، وهو مقدم إجماعاً على السكوت وعدم النقل المسمى بالاستصحاب.

والكلام في المسألة ليس بهذا الإيجاز الشديد، إنما هذا إجمال يأتي تفصيله في هذه الرسالة ـ إن شاء الله تعالى ـ بنقل كلام الفريقين وحججهما، ومناقشتها دون تطويل، وقد جعلت المسألة في فصلين: أحدهما: في بيان معنى البدعة، وتعلقه بالمسألة، وثانيهما: في بيان مسألة المولد، والحوار فيها، وما توفيقي إلا بالله، ولكل امرئ ما نوى. ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يهتدي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[1]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

١ . يونس: ١٠٨.

٢ . الزلزلة: ٧ـ٨.

الفصل الأول: في بيان معنى البدعة

الاحتفال بالمولد النبوي سنة أم بدعة؟

إن الإجابة السديدة عن هذا تفرض علينا البدء ببيان معنى البدعة، ثم النظر في انطباق التعريف على الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وأحب أن أذكر بأنه ليس في تعريف البدعة خلاف حقيقي، كما يأتي في عرض الأقوال.

نوعا البدعة عند الإمام الشافعي:

ومن أقدم ما جاء في تعريفها قول الشافعي ـ رضي الله عنه ـ فيما رواه البيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٤٦٩): «المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما: ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة. والثاني: ما أحدث من الخير، لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام رمضان: «نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ»[1] يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى».

فالشافعي رضي الله عنه يبين ما يعنيه سيدنا عمر بهذه الكلمة، فيشرح أولاً ما يعنيه بلفظ البدعة وهو: «أنها محدثة لم تكن» وهذا معنى عام للبدعة، يشمل كل شيء لم يكن في عهد النبي ﷺ وحدث بعده، سواء كان له دليل من الكتاب والسنة،

---

١ . الاستذكار، ج٢، ص٦٥.



أو لم يكن ـ وهذا أقرب إلى المعنى اللغوي للبدعة ـ فلا بد من تقسيمه إلى قسمين:

أحدهما: ما أحدث وهو يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة، بسبب مخالفتها لتلك الأدلة الشرعية.

وثانيهما: ما أحدث من الخير لاخلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة؛ لأنها خير في ميزان الشرع، وإذا كانت خيراً في ميزان الشرع فهي حسنة، ولأنها لم تخالف أدلته.

ثم يشرح الشافعي سبب مدح سيدنا عمر واستحسانه لهذا العمل مع أنه سماه بدعة، فقال: «وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى» من الكتاب والسنة والأثر والإجماع، أي لا مخالفة فيها لشيء من ذلك. وقول الشافعي ﷫: «ما أحدث من الخير لاخلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة» مبني على قول عمر ﷺ وموافقة أبي بكر وزيد بن ثابت ﷺ له في أن جمع القرآن ـ وإن لم يفعله رسول الله ﷺ ـ مشروع؛ لأنه خير، حيث قال عمر فيما رواه البخاري عن زيد بن ثابت برقم (٤٤٠٢): «إني لأرى أن تجمع القرآن، قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟! فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري»[1] فأبو بكر ﷺ في بادئ الأمر يحتج بعدم فعل رسول الله ﷺ، وعمر يحتج بأنه وإن كان كذلك فكونه (خيراً) يقتضي أن يكون مشروعاً، ثم وافق أبو بكر على أنه مشروع بدليل أنه خير، وكرر أبو بكر ﷺ جواب عمر حين قال له زيد ـ في هذه الرواية نفسها ـ: «كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟! فقال أبو بكر: هو والله

---

١ . صحيح البخاري، ج٦، ص٧١.



خير»، فهذا الجواب من الخليفتين الراشدين هو الجواب لكل من يستنكر اليوم ما أحدث من الخيرات بقوله: «لم يفعله رسول الله ﷺ ولا الصحابة»؛ لأن الخير مأمور به في نص كتاب الله، موعود عليه بالفلاح: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، ومأمور بالدعوة إليه ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[2]، فالبدعة غير المذمومة ـ كما يظهر من كلام الشافعي رضي الله عنه ـ هي «كل خير لا يخالف أدلة الشرع».

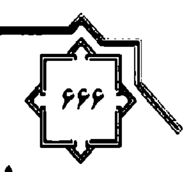
بيان أنه لا خلاف في الحقيقة على تعريف البدعة:

وهذا لا يختلف مع قول الذين يقولون: لا يوجد في الشرع بدعة حسنة؛ إذ المقصود بذلك عندهم: أن العمل الذي يخالف أدلة الشرع لا يمكن أن يستحسن شرعاً؛ لأن ذلك تناقض، وهذا ما صرح به ابن تيمية وليس المراد من النقل عنه تقديمه على غيره، إنما المراد بنقل كلامه ـ وهو ممن يميل إلى أن عمل المولد بدعة ـ بيان أن كلامه يقتضي ألا يكون الذين خالفوه في المولد مبتدعين حسب القواعد التي ذكرها هو إذ قال في الفتاوى (١٠/ ٣٧٠): «المحافظة على عموم قول النبي ﷺ «**كل بدعة ضلالة**» متعين، وما سمي بدعة وثبت حسنه بأدلة الشرع فأحد الأمرين فيه لازم: إما أن يقال: ليس ببدعة في الدين، وإن كان يسمى بدعة من حيث اللغة، كما قال عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه» وإما أن يقال: هذا عام خصت منه هذه الصورة لمعارض راجح، كما يبقى فيما عداها على مقتضى العموم، كسائر عمومات الكتاب والسنة».

---

١ . الحج: ٧٧.

٢ . آل عمران: ١٠٤.



وهذا صريح في أن المعارض الراجح خصص عموم «كل بدعة ضلالة» وجعل الصورة المستثناة ليست ضلالة، ولا داخلة في هذا العموم، فالمراد بالمحافظة على العموم هنا ما صرح به في قوله: «يبقى فيما عداها على مقتضى العموم» أي ما عدا المسائل التي قام على تخصيصها دليل شرعي خاص راجح على هذا العموم، أي صار الحديث مخصوصاً؛ ولهذا قال: إن من جعل الحديث باقياً على عمومه، ومن جعله مخصوصاً يرجعان إلى مآل واحد، وذلك في الفتاوى (٢٧/ ١٥٢): «البدعة الحسنة ـ عند من يقسم البدع إلى حسنة وسيئة ـ لابد أن يستحبها أحد من أهل العلم الذين يقتدى بهم، ويقوم دليل شرعي على استحبابها، وكذلك من يقول: البدعة الشرعية كلها مذمومة... فالبدعة عند هؤلاء: ما لم يقم دليل شرعي على استحبابه، ومآل القولين واحد»؛ لأن الأول يجعل البدعة هي ما أُحدث بعد النبي ﷺ، وحينئذ لابد أن يقسم إلى ما وافق الدليل وما خالفه، والثاني يجعل البدعة هي ما لا يوافق الدليل، وهذا لا ينقسم إلى قسمين، بل هو الثاني نفسه. أما من يزعم أن كل ما حدث بعد النبي ﷺ وعهد السلف بدعة دون تقسيم، فهذا يخالف القولين معاً.

الأدلة التي تنفي الابتداع عما يستثنى:

والدليل الشرعي الذي يثبت به حسن ما يسمى في اللغة بدعة، أو يخص به عموم قوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**» قد يكون نصاً، وقد يكون استنباطاً، كما بين ذلك ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٨٧) فقال: «إما أن يقال: ما ثبت حسنه فليس من البدع... وإما أن يقال: ما ثبت حسنه فهو مخصوص من العموم... ثم المخصص هو الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع نصاً واستنباطاً».



ومن الاستنباط أنه قد زاد سيدنا عثمان ﷺ الأذان الأول يوم الجمعة، كما رواه البخاري برقم (٨٧٠): عن السائب بن يزيد قال: «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ﷺ، فلما كان عثمان ﷺ، وكثر الناس، زاد النداء الثالث على الزوراء»[1]، وهو يعني أن الصحابة استنبطوا مشروعيته من القرآن أو السنة استنباطاً ـ إذ لا يعلم فيه نص خاص به، لكن لا بد من أن يكونوا قد اعتمدوا على نص، وإن لم يذكروا لنا النص الذي استنبطوا منه؛ لأن الإجماع لا بد له من مستند ثم أجمعوا على ذلك واستقر العمل عليه، «وما علم بالأدلة الشرعية» ـ المذكورة وهي الكتاب والسنة والإجماع نصاً واستنباطاً ـ «فهو من الدين الذي شرعه الله حتى لو تنازع أولو الأمر في بعض ذلك» كما يصرح به ابن تيمية في الفتاوى (٤/ ١٠٧).

الأدلة وأقوال الأئمة في أن خطأ الاجتهاد ليس بدعة:

وذلك أن اختلاف أهل العلم في الاجتهاد لا يجعل أحد الفريقين مبتدعاً ـ حتى المخطئ منهم ـ لأن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[2]. والله لا يأجر على البدعة، بل البدعة تجعل صاحبها ضالاً وتجعله في النار «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[3]. وفي مسودة آل تيمية عن الإمام أحمد: قال: الحق عند الله واحد، وعلى الرجل أن يجتهد، ولا يقول لمخالفه: إنه مخطئ». وفي حلية الأولياء عن الإمام مالك: «شاورني الرشيد أن يعلق الموطأ في الكعبة، ويحمل الناس على

---

١ . صحيح البخاري، ج٢، ص٨.

٢ . نفس المصدر، ج٩، ص١٠٨.

٣ . سنن النسائي، ج٣، ص١٨٨.

ما فيه؟ فقلت: لا تفعل، فإن أصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في البلدان، وكل مصيب»[١].

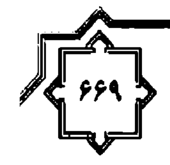
وقد بين رسول الله ﷺ أن المجتهد لا يستطيع أن يجزم بأنه على صواب في معرفة مراد الله تعالى، فقال فيما رواه مسلم برقم (١٧٣١)، وهو من وصاياه لبعض قادة الجيوش، فقال ﷺ: «**وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟**» ومن لم يستطع أن يجزم بأنه على الصواب كيف يجزم بأن مخالفه على الخطأ؟!

وجاء في رسالة الإمام الشافعي عند التعليق على حديث الاجتهاد الذي سبق ذكره أنه سئل فأجاب: «ما معنى صواب وخطأ؟ قلت: مثل معنى استقبال الكعبة... يتحراها من غابت عنه... فنفس التوجه يحتمل صواباً وخطأ... فقال: [يعني السائل]: أفرأيت الاجتهاد أيقال له: صواب على غير هذا المعنى؟ قلت: نعم على أنه إنما كلف فيما غاب عنه الاجتهاد، فإذا فعل فقد أصاب بالإتيان بما كلف، وهو صواب عنده على الظاهر، ولا يعلم الباطن إلا الله تعالى».

ولذلك قال ابن تيمية: «فهذه المسائل التي تنازع فيها السلف والأئمة، فكل واحد منهم أقر الآخر على اجتهاده... فمن ترجح عنده تقليد الشافعي لم ينكر على من ترجح عنده تقليد مالك، ومن ترجح عنده تقليد أحمد لم ينكر على من ترجح عنده تقليد الشافعي، ونحو ذلك». وإذا كان الأمر كذلك، فإن المنكر على مخالفيه ـ إذا كانوا قد اعتمدوا على أدلة قال بها بعض الأئمة ـ فهو مخالف لهذا النهج متعد على مخالفيه.

---

١ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٦، ص٣٣٢.



الفصل الثاني: الاحتفال بالمولد سنة أم بدعة؟

وللإجابة عن المولد: أهو سنة أم بدعة؟ ينبغي أن يتحول السؤال إلى صياغة أخرى: هل قام دليل شرعي على استحبابه فيكون سنة؟ أو لم يقم عليه دليل فيكون بدعة؟

وأدلة الشرع هي الكتاب والسنة القولية والعملية والإقرارية وما يستنبط منها، كما صرح به كل الأئمة، وسبق نقله عن ابن تيمية، وليس الدليل محصوراً في السنة الفعلية، كما يقول كثير من المتسرعين في التبديع: هذا لم يفعله رسول الله ﷺ فهو بدعة، أو يقولون: لم يفعله السلف فهو بدعة.

وقد ذكر الإمام السيوطي في رسالته «حسن المقصد في الاحتفال بالمولد» جماعة من العلماء استحبوا الاحتفال بالمولد منهم: ابن دحية، وابن الجزري، وابن ناصر الدمشقي، ومنهم: الحافظ ابن حجر، وكتبوا في ذلك فتاوى، وأقاموا عليها الأدلة، وأيدهم هو على ذلك، وهم أئمة مقتدى بهم، فلا يكون من وافقهم اقتناعاً بأدلتهم مبتدعاً؛ لأنه قصد اتباع الدليل، وكذلك لا يكون مبتدعاً من اتبع فهمهم للدليل ممن لا قدرة علمية له على النظر في الأدلة؛ لأنه بأمر الله اتبعهم، إذ قال تعالى: ﴿فاسْأَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وفي كثرة هؤلاء الأئمة وجه من الترجيح للمقلد، فقد عقد ابن تيمية في المسودة فصلاً في ترجيح المقلد أحد الأقوال لكثرة عدد قائليه من المفتين حالة الفتوى نقل فيه عن ابن هبيرة كلاماً طويلاً، ولم يعارضه، ومنه قوله: «إذا قصد في مواطن الخلاف توخي ما عليه الأكثر منهم، والعمل بما قاله الجمهور دون

---

١ ـ النحل: ٤٣.

الواحد منهم، فإنه قد أخذ بالحزم والأحوط والأولى، مع جواز أن يعمل بقول الواحد»، ثم ذكر أن الأخذ بقول هذا الواحد ينبغي ألا يكون عن هوى وعصبية.

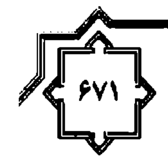
القائل بأن المولد بدعة:

وابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٩) قال عن المحتفلين بالمولد: «والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له، وعدم المانع منه لو كان خيراً، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ منا».

وقد ذكر السيوطي في رسالته السابقة: أن الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي ـ المشهور بالفاكهاني ـ يرى الاحتفال بالمولد بدعة، وذكر أدلته تفصيلاً، وناقشه ورد عليه وأدلته المردود عليها لا تزيد على ما ذكر ابن تيمية عند التأمل الصحيح.

خلاصة الرد على مانع الاحتفال:

وخلاصة رد السيوطي: هي أن عدم فعل السلف إنما هو سكوت، ولم يرد عنهم المنع من الاحتفال، والسكوت يحتج به عند عدم الدليل، فإذا وجد دليل إثبات ـ لاسيما الدليل القولي كالذي يأتي ذكره عن ابن حجر ـ كان مقدماً على السكوت، فوجوده يدل على أن النبي ﷺ قد سبقنا إلى القول بمشروعيته بواسطة ذلك الدليل، وذلك أهم ـ عند الاستدلال ـ من أن يكون السلف سبقونا إليه. أم ينبغي أن يقدم السكوت منهم على دليل الإثبات المأخوذ من قوله ﷺ؟!



توضيح حول الاستدلال بعدم فعل السلف:

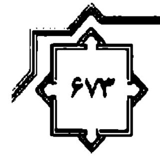
وقد ذكر ابن تيمية أن عدم فعل النبي ﷺ لا يحتج به عند وجود دليل شرعي آخر، فقد قال عند كلامه عن دخول الحمام في الفتاوى (٢١/ ٣١٣): «ليس لأحد أن يحتج على كراهة دخولها، أو عدم استحبابه بكون النبي ﷺ لم يدخلها... إذ عدم الفعل إنما هو عدم دليل واحد من الأدلة الشرعية، وهو أضعف من القول باتفاق العلماء، وسائر الأدلة ـ من أقواله كأمره ونهيه وإذنه، ومن قول الله تعالى ـ هي أقوى وأكبر... فنفي الحكم بالاستحباب لانتفاء دليل معين من غير تأمل باقي الأدلة خطأ عظيم».

فيقال هنا لابن تيمية وموافقيه: لا يكفي عدم فعل النبي ﷺ للمولد في الاستدلال على عدم مشروعيته، بل لابد من تأمل باقي الأدلة، ولا سيما القولية نصاً واستنباطاً، وإذا كان انتفاء فعل النبي ﷺ مع وجود قوله لا ينفي المشروعية، فانتفاء فعل السلف ـ مع وجود قول النبي ﷺ ـ أولى بأن لا ينفي المشروعية؛ لأن قوله ﷺ حجة بنفسه لا يتوقف على غيره، وقد تأمل العلماء الآخرون باقي الأدلة، واستدلوا ببعضها، كما يأتي بيانه ـ إن شاء الله تعالى ـ قريباً.

وأما قول ابن تيمية: «إن السلف لم يفعلوه مع قيام المقتضي وعدم المانع» فإن هذا الاعتراض لا يصح إلا إذا كان القائلون بمشروعية المولد يجعلونه واجباً، أما الاستحباب فلا يصح الاعتراض عليه بهذا، فسيدنا عمر ﷺ قال: إن الاجتماع في التراويح على قارئ واحد أمثل ـ أي أفضل ـ وترك ذلك سنتين من خلافته، ولم يطلبه منه أحد من الصحابة، ولم يقولوا: تركه أبو بكر وهو أفضل منك؛ لأن الأفضلية تقتضي الفعل ولا توجبه، وإلا لما كانت أفضلية، بل تكون إلزاماً، وكذلك استسقى عمر ﷺ بالعباس مع وجود أكثر العشرة المبشرين بالجنة، وهم أفضل، ومثل ذلك أن أهل المدينة في ولاية أبان بن عثمان ـ بين

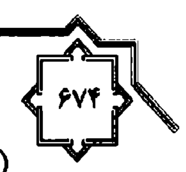
سنتي (٧٦ و ٨٣) ـ قد صلوا التراويح ستاً وثلاثين، مع وجود صغار الصحابة وكبار التابعين، ولم ينكروا ذلك، ولم يقولوا لهم: إن الخلفاء الراشدين تركوا هذه الزيادة، مع وجود المقتضي وهو التقرب إلى الله، ومع عدم المانع؛ وذلك لأن الترك ـ إذا وجد دليل قولي للاستحباب ـ يدل على عدم الوجوب، ولا يدل على وجوب الترك، سواء كان الذي أحدثوه فاضلاً أو مفضولاً، فالمفضول مشروع، يقابله مشروع أفضل منه وكلاهما حق وهدى، ومثله أيضاً أن الصحابة لم يبنوا مثلاً مستشفى للفقراء وقفاً لله تعالى، مع قيام المقتضي وعدم المانع، وقد فعل ذلك الملوك المتأخرون عنهم، فأقرهم أهل العلم، وقالوا: إنه من أفضل العمل؛ لدخوله ضمن عموم الصدقة الجارية في أقواله ﷺ، وإن لم يوجد مثله في أفعاله، فإن مقتضي وجود المستشفى للفقراء هو وجود المرضى والجرحى منهم، والمال المحتاج إليه كان موجوداً، لاسيما بعد الفتوحات العظمى، وذوو الخبرة موجودون، وهم الذين كانوا يعالجون الجرحى قبل وجود المستشفيات، ولا مانع من إقامة المستشفى، وكذا يقال في كل المستحبات: إن عدم فعلهم لها يدل على عدم الوجوب فقط، ولا يدل على عدم المشروعية، فإذا وجد دليل الاستحباب من أقواله ﷺ، أو أي دليل آخر، فيستحب العمل به، ومنع العمل به استناداً إلى عدم فعلهم مخالف للاستدلال الشرعي من جهتين:

الأولى: أن عدم فعل الصحابة هو انتفاء دليل معين، لا يجوز الاعتماد عليه مع وجود دليل آخر هو قوله ﷺ، وهو دليل إثبات، وعدم الدليل هو المسمى في أصول الفقه دليل الاستصحاب، وهو كما قال ابن تيمية في الفتاوى (٢٣/ ١٥): «التمسك بمجرد استصحاب حال العدم أضعف الأدلة مطلقاً، وأدنى دليل يرجح عليه... فهذا باتفاق الناس أضعف الأدلة... وما دل على الإثبات من أنواع الأدلة فهو راجح على مجرد استصحاب الحال».



الثانية: إنّ قوله ﷺ دليل أصلي، أما فعل الصحابة ـ وكذا تركهم بالأولى ـ فهو ليس دليلاً أصلياً، وإنما يستدل به على تقدير أنه معتمد على دليل قوله أو فعله ﷺ، فترك قوله ﷺ للأخذ بقولهم معاكس لمنهج الاستدلال، كأنك تقول: أترك قول النبي ﷺ لأنه عارض قول الصحابة أو فعلهم أو تركهم، وحقيقة الأمر أنه لا تعارض أصلاً، فالتعارض لا يتصور بين دليل الإثبات ودليل العدم ـ فلا يقال مثلاً في مسألة ثبتت بالسنة دون القرآن: قد تعارض فيها القرآن والسنة، وكذا لا يقال تعارض الحديث الدال على فضيلة المولد مع عدم فعل الصحابة، بل يقال: وجد له دليل من السنة، ولم يوجد له دليل من فعل الصحابة، وهذا الدليل كاف في إثبات الفضيلة ـ وإنما يتصور التعارض بين إثباتين، كما لو فعل النبي ﷺ شيئاً وفعل الصحابة خلافه، فيكون الترجيح من حيث الثبوت حينئذ لا بد منه، ولو كان عدم الفعل راجحاً لكان عدم فعله ﷺ دليلاً راجحاً على فعل الصحابة، ولم يكن فعلهم دليلاً حينئذٍ.

ولو كان عدم وجود قول للسلف في المسألة دليلاً على عدم المشروعية لكان لا يحق للتابعين أن يتكلموا في مسألة سكت عنها الصحابة، وكان لا يحق لأتباع التابعين أن يتكلموا في مسألة سكت عنها التابعون، وهذا مخالف لما نص عليه الإمام أحمد، ففي مسودة آل تيمية ص (٣٣٦): «قال أبو داود: قال أحمد بن حنبل:... فإذا وجدت عن رسول الله ﷺ لم أعدل إلى غيره، فإذا لم أجد... فعن الخلفاء الأربعة... فإذا لم أجد فعن أصحابه الأكابر فالأكابر... فإذا لم أجد فعن التابعين وتابع التابعين»، ولو كان عدم الرواية حجة على عدم المشروعية لكان ينبغي للتابعين أن يقولوا لو كان خيراً لسبقنا إليه الصحابة، وكان ينبغي لأتباعهم أن يقولوا: لو كان خير لسبقنا إليه التابعون.



وما قاله الإمام أحمد مستند إلى ما رواه النسائي وجوّده عن ابن مسعود برقم (٥٣٩٧): «فإن جاء أمر ليس في كتاب الله، ولا قضى به نبيه ﷺ، ولا قضى به الصالحون، فليجتهد رأيه...»[١] ولو كان عدم الرواية دليلاً على عدم المشروعية لما صح أن يقول: (فليجتهد رأيه)، بل يقول: لو كان خيراً لسبقه إليه الصالحون قبله، فلا يجوز له أن يجتهد.

ومن قال: لو كان فعل المولد خيراً لسبقونا إليه يقال له: قد سبقنا إليه رسول الله ﷺ بالدلالة على مشروعيته بطريق الأولى، وإنكار الاستدلال بهذا الطريق خروج عن منهج الكتاب والسنة والسلف الصالح، كما يأتي في كلام ابن تيمية قريباً ـ إن شاء الله تعالى ـ وليس واجباً على النبي ﷺ أن يبلغنا بطريق العمل في كل ما هو مشروع، بل السنة القولية دليل مستقل، لا يتوقف العمل به على ثبوت فعله ﷺ، ولا فعل غيره؛ لأن القول أقوى من الفعل باتفاق، كما تقدم عن ابن تيمية ص (٣٩) هنا.

دليل مُستَحِب عمل المولد:

وقد ذكر السيوطي: أن الحافظ ابن حجر استدل ـ على مشروعية عمل المولد، وتوقيت بعض الأعمال الصالحة وتخصيصها بيوم مولده ﷺ من كل عام ـ بحديث قولي، هو حديث صوم عاشوراء في البخاري برقم (٣٢١٦) ومسلم برقم (١١٣٠ مكرر) واللفظ له: «أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود صياماً، يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرّق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه» وفي رواية لهما «فنحن نصومه

---

١ . سنن النسائي، ج٢٨، ص٢٣٠.



تعظيماً له» فقال رسول الله ﷺ: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم»[١] فقال ـ كما في الحاوي ـ (١/ ٣٠٢): «فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر يحصل بأنواع العبادة... وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة ﷺ».

توضيح استدلال ابن حجر:

وهذا استدلال منه رحمه الله بطريق الأولى، فإذا كانت نجاة موسى عليه السلام تستحق في مناسبتها السنوية شكرنا لله ـ عز وجل ـ فنجاة نبينا ﷺ يوم هجرته مثلاً أولى؛ لأن النعمة فيها أعظم، وكلما كانت النعمة أعظم كان شكرها أحق؛ ولذا قال الحافظ عن يوم المولد النبوي: «وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة ﷺ»، فرسالته رحمة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٢] وذاته رحمة، كما قال ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»[٣]، وكما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِم﴾[٤]، فمع أنهم كانوا كافرين، يتحدون نبي الله ﷺ كان وجود ذاته ﷺ بينهم دافعاً للعذاب عنهم.

قوة الاحتجاج بطريق الأولى:

والاحتجاج بطريق الأولى من أقوى الأدلة، وتركه مباعدة لمنهج القرآن والسنة، قال عنه ابن تيمية في الفتاوى (٢١/ ٢٠٧): «ومن لم يلحظ المعاني من

---

١ . صحيح مسلم، ج٢، ص٧٩٦.

٢ . الأنبياء: ١٠٧.

٣ . سنن الدارمي، ج١، ص١٦٦.

٤ . الأنفال: ٣٣.

خطاب الله ورسوله ﷺ، ولا يفهم تنبيه الخطاب وفحواه من أهل الظاهر... بل وكذلك قياس الأولى ـ وإن لم يدل عليه الخطاب، لكن عرف أنه أولى بالحكم من المنطوق ـ فإنكاره من بدع الظاهرية، التي لم يسبقهم بها أحد من السلف، فما زال السلف يحتجون بمثل هذا وهذا».

وفي الفتاوى (١٢/ ٣٤٩): «الطريقة النبوية السلفية أن يستعمل في العلوم الإلهية قياس الأولى».

شبهة موافقة أهل الكتاب:

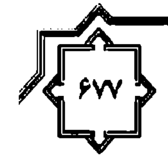
وإذا ثبت بالدليل الشرعي استحباب إحياء ذكرى المولد سنوياً، أو ذكرى الهجرة سنوياً، لم يمنع من ذلك أن فيه موافقة لليهود أو النصارى، فإن موافقة اليهود في صوم عاشوراء أقوى، ومع ذلك لم يتركه النبي ﷺ، وموافقتهم إنما تمنع فيما ليس له دليل شرعي.

فإن قيل: إن النبي ﷺ أمر بصوم تاسع المحرم ليخالفهم، فالجواب من وجهين:

أولهما: أنه لم يأمر به أمر إلزام، حتى يكون المقتصر على يوم عاشوراء آثماً، إنما التاسع زيادة فضيلة، فالموافقة حاصلة.

ثانيهما: أن النبي ﷺ لم يخالفهم، بل وافقهم في اليوم، لكن أضاف إليه يوماً آخر، واكتفى بهذا القدر من مخالفتهم، واحتفال المسلمين بيوم مولده ﷺ فيه وجوه عدة من مخالفة اليهود في يوم عاشوراء بإضافة أعمالٍ غير الصوم، مأخوذة من كلام النبي ﷺ، وكذا فيه وجوه عدة من مخالفة النصارى في ميلاد نبيهم عليه الصلاة والسلام، فمع اختلاف الكيفية هناك مخالفتهم فيما يعملون من الشعارات الشركية، وشرب الخمور، وغير ذلك.

وخلاصة الأمر: أن أي عمل له دليل شرعي لا ينبغي تركه لأجل مخالفتهم، ومن تركه كان معترضاً على الأدلة.



أعمال المولد:

قال الحافظ ابن حجر في تمام كلامه السابق المنقول عن الحاوي (١/ ٣٠٢): «وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى... من التلاوة، والإطعام، والصدقة، وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية... وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك، فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحاً، بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه، وما كان محرماً أو مكروهاً فيمنع». كذا قال الحافظ رحمه الله.

الدليل على أعمال الشكر الأخرى:

ولم يقيد الحافظ الشكر بالصوم، وإن كان المذكور في هذا الحديث وفي حديث صوم كل يوم اثنين هو الصوم؛ وذلك لأن حديث ابن عباس رضي الله عنهما كما قال في فتح الباري (٥/ ٧٩٩): «يدل على أن الباعث على صيامه موافقتهم على السبب، وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى عليه السلام». وعلماء الأصول يقولون: إذا نص الشارع على حكم، ونص على علته ـ أي على السبب المقصود من مشروعيته ـ فكل عمل يحصل به ذلك المقصود فهو مراد الله بنص الشرع، وفي مسودة آل تيمية (٢/ ٧٣٦): «الحكم المتعدي إلى الفرع بعلة منصوص عليها مراد بالنص». فكل ما يحصل به الشكر مشروع بدلالة الحديث كأنه مذكور في الحديث نصاً.

وقال الزركشي في (البحر المحيط٤/ ١٩٩): «هل عم بالصيغة أو بالقياس؟ على قولين محكيين عن الشافعي، والصحيح أنه بالقياس» ونحوه في (تيسير التحرير ١/ ٢٥٩) ومؤلفه حنفي.

عمل المولد صورة من مجالس شكر الله تعالى:

والاجتماع لشكر الله على هدايته سنة من سنن رسول الله ﷺ، عمل بها أصحابه، فأثنى عليهم أعظم الثناء، كما جاء في صحيح مسلم برقم (٢٧٠١) عن معاوية رضي الله عنه، وفيه قوله: «وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: **ما أجلسكم؟** قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا. قال: **آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟** قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: **أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل، فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة**»[1]، فالاجتماع على حمد الله تعالى على نعمة الإسلام والتفضل به سنة، والاجتماع لشكر الله تعالى على نعمة إيجاد سيدنا محمد ﷺ من جملة ذلك؛ لأنه ﷺ دعانا إليه، وهو الصورة العملية لكتاب الله تعالى، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن خلقه ﷺ: «ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»[2]، كما رواه مسلم برقم (٧٤٦).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر بعض تفصيلات العبادة التي تؤدى شكراً في كلامه السابق «من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية».

أما التلاوة شكراً فمأخوذة من قوله تعالى: **﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾**[3]، والقرآن أفضل الذكر، مع أن الذكر يحصل بالتهليل والتسبيح والدعاء، وكل ما يسمى في الشرع ذكراً كالتكبير، قال الله تعالى: **﴿واشكروا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾**[4].

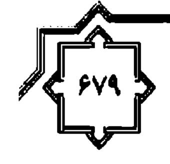
---

١ . صحيح مسلم، ج٤، ص٢٠٧٥.

٢ . نفس المصدر، ج١، ص٥١٢.

٣ . البقرة: ١٩٨.

٤ . البقرة: ١٨٥.



والإطعام شكراً ذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[1]، والنحر مراد منه أن يطعمه الفقراء، وإطعامهم صدقة، وباب الشكر بالصدقة واسع.

هل يحصل الشكر بعمل المباحات؟

وأما حصول الشكر بالمباحات ـ التي تعمل في المولد ـ فقد جاء ما يدل عليه في مسند الإمام أحمد برقم (٢٢٩٨٩) وبرقم (٢٣٠٠١١): (أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، قال: «أوف بنذرك»)[2]. قال الخطابي في معالم السنن: «ضرب الدف ليس مما يعد في باب الطاعات التي تتعلق بها النذور، وأحسن حاله أن يكون من باب المباح، غير أنه لما اتصل بإظهار الفرح بسلامة مقدم رسول الله ﷺ... صار فعله كبعض القرب، التي هي من نوافل الطاعات؛ ولهذا أبيح واستحب في النكاح... ومما يشبه هذا المعنى قول النبي ﷺ لحسان لما استنشده وقال له: كأنما ينضح به وجوه القوم، وكذلك استنشاده عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك وغيرهما»، وكذلك الفرح بمولده وبذكرى مولده ﷺ، وضرب الدف في ذلك صار فعله كبعض القرب، مثلما كان إعلان الفرح بعودته سالماً كبعض القرب، حتى علق النبي ﷺ فعله على النذر، وكان وفاء به بأمره ﷺ.

الفرح به ﷺ أمر إلهي:

على أن الفرح به ﷺ داخل تحت امتثال قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَ

---

١. الكوثر: ١ـ٢.

٢. مسند احمد، ٣٨، ص١١٧.

بِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[١]، وهو ﷺ (رحمة) كما جاء في الحديث: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»[٢]، وما ذكره الحافظ ابن حجر وغيره من أعمال المولد إنما هو مظهر لهذا الفرح، مع كونه مقصوداً به شكر الله تعالى على هذه النعمة العظمى.

فضائل مدح النبي ﷺ:

ثم إن إظهار السرور في المدائح النبوية أقوى وأظهر من ضرب الدف، وقد عدّه الحافظ ابن حجر في كلامه عن المولد قبل المباحات، وعطفه على أنواع العبادات، وقد ذكر في فتح الباري (١٣/ ٥٦٦): أن المدح (ربما كان مستحباً)، وسبقه إلى تفصيل ذلك النووي في شرح صحيح مسلم فقال: «إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير، والازدياد فيه، والدوام عليه، أو الاقتداء به كان مستحباً» ولا ريب أن مدح النبي ﷺ يحصل به الحث على الاقتداء به وعلى حبه ﷺ؛ وجاءت روايات كثيرة أنه كان الصحابة يمدحون النبي ﷺ في الشعر، كما روى البخاري برقم (١١٠٤) عن أبي هريرة مديح عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ، وهو قوله:

وَفِينَا رَسُولُ الله يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ[٣]

وفي صحيح مسلم برقم (٢٤٩٠): عن عائشة قول حسان يرد على من هجا النبي ﷺ:

---

١ . يونس: ٥٨.

٢ . سنن الدارمي، ج١، ص١٦٦.

٣ . صحيح البخاري، ج٢، ص٥٤.



هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا تقياً رَسُولَ الله شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ[١]

وفي صحيح مسلم برقم (٢٤٨٩) عنها أيضاً قول حسان يمدح بعض بني هاشم، ويرد على من هجا منهم النبي ﷺ:

وَإِنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بِنْتِ مَخْزُوم وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ[٢]

وبرقم (٢٤٨٨) عن مسروق قول حسان في مدح أم المؤمنين عائشة ﵂:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُوم الْغَوَافِلِ[٣]

ثم إن في مدحه ﷺ شكراً لله عز وجل على إرساله ﷺ، وعرفاناً لرسول الله ﷺ بالجميل، وقد قال ﷺ فيما رواه أبو داود برقم (٤٨١٤): «مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً فَذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»[٤]، وفي سننه أيضاً برقم (٤٧٧٩) ورجاله رجال الصحيحين (أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله! ذهبت الأنصار بالأجر كله، قال: «لَا مَا دَعَوْتُمُ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»[٥] والثناء عليهم هو ذكرهم بالخير، وهو مديح، وقد بين الحديث أن ذلك الثناء يجعلهم شركاء في الأجر هم والأنصار، الذين آووا ونصروا، وآثروا على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهو أجر عظيم غاية العظم، والأجر لا يكون إلا على طاعة لله.

وفي مدحه ﷺ شهادة له بما شهد الله له به من البلاغ وحسن الخلق، وكونه قدوة الخير، وفي ذلك أجر عظيم أيضاً.

ردٌّ على منكري مدحه ﷺ:

وبهذا يعرف أن الذين يستنكرون مدحه ﷺ، ويستدلون بحديث «لا

---

١ . صحيح مسلم، ج٤، ص١٩٣٦، مع تفاوت.

٢و٣ . نفس المصدر، ج٤، ص١٩٣٤.

٤ . سنن أبي داود، ج٤، ص٢٥٦.

٥ . نفس المصدر، ج٤، ص٢٥٥.



تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» البخاري برقم (٣٢٦١) يعرف أنهم استدلوا بالحديث في غير موضعه، فقد قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «والإطراء المدح بالباطل»، وحتى لو كان الإطراء بمعنى المدح مطلقاً فإن تتمة الحديث توضحه وتقيد النهي بأن يكون عن المدح المجاوز للحد كما فعلت النصارى، فإنه لم يقل لا تطروني، ولكن قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم».

وفعل الصحابة في حضوره ﷺ، وإقراره لهم على مدحه، وحثه للمهاجرين على أن يثنوا على الأنصار يوضح حديث النهي عن الإطراء تمام الإيضاح، ويدفع كل الشبهات التي يتمسك بها الناهون عن مديحه ﷺ، وقد قال الإمام الطبري في تفسيره (١/ ٤٨٢): «معلوم أنه لا أحد يوصف بتعنيف مادح النبي ﷺ، ولا بإكثار الضجاج واللجب في إطناب القيل بفضله».

وأما الذين يقولون إنه ﷺ غني بمدح ربه له في القرآن عن كل مديح فهم مغالطون؛ لأن محبي مدحه لا يمدحونه لأنه محتاج إلى المدح، بل لينالوا بمدحه العمل بالفضائل التي تقدم ذكرها، فنعوذ بالله من التحايل على أدلة الشرع، وضرب بعضها ببعض، ونسأل الله تعالى أن يملأ قلوبنا حباً لرسوله ﷺ وآله وصحبه وورثته، وأن يملأها سروراً به وبمدحه ﷺ.

وإنشاد الشعر في هذه المناسبة ـ وفيه ذكر شمائل رسول الله ﷺ ـ هو من باب التذكير بنعمة إيجاده وإرساله وجعله أسوة للمؤمنين، قال الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1]، وكان الذين ينشدون في حضرته ﷺ

---

١ . آل عمران: ١٦٤.



يريدون ذلك التذكير، كما صرح في رواية البخاري برقم (٥٩٧٢) عن سلمة بن الأكوع قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فقال رجل من القوم: أي عامر لو أسمعتنا من هناتك، فنزل يحدو بهم يذكر: تالله لولا الله ما اهتدينا»[١]، فقوله: «يحدوا بهم يذكر» نص على قصده من إنشاد ذلك الشعر، وقد روى البخاري تمام هذا الشعر في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، برقم (٣٩٦٠) وهو:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا أَبْقَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَبَيْنَا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا[٢]

والتذكير معناه: الحث على الذكر بمعناه الواسع، وهو هنا بمعناه الخاص، وهو شكر الله عز وجل على هدايته وعلى إرساله سيد المرسلين إلى هذه الأمة؛ لأن هداية الله به كانت، وقد جعله الله واسطة الهداية، بل سماه هادياً فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣]، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ»[٤].

استحباب عمل المولد كل يوم اثنين:

وإذا كان الاحتفال السنوي وتوقيته يستند في المشروعية إلى حديث صوم عاشوراء؛ لأن كلاً منهما شكر لله على نعمة عظيمة، فإن الاحتفال الأسبوعي في

---

١ . صحيح البخاري، ج٨، ص٧٣.

٢ . نفس المصدر، ج٥، ص١٣٠.

٣ . الشورى: ٥٢.

٤ . سنن الترمذي، ج٣، ص٤٠٣.

يوم الاثنين أظهر وأقوى دليلاً؛ لأن صوم يوم الاثنين عبادة شرعت خصوصاً بمناسبة مولده ﷺ، كما جاء في الحديث في صحيح مسلم برقم (١١٦٢): (سئل ﷺ عن صوم يوم الاثنين؟ قال: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ**»[1]. وهذا بيان منه ﷺ لعلة استحباب صومه، وهذه العلة تتحقق بكل عبادة يقصد بها شكر الله تعالى على مولده ﷺ، كما تقدم تفصيل ذلك في التعليق على كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله، والعادات المباحة التي تقترن بذلك لا تحتاج إلى دليل؛ لأن الأصل فيها الإباحة، فإذا أضيف إلى ذلك قصد الفرح به ﷺ كان أقرب إلى المشروعية، كما سبق في حديث أبي داود ـ عن الدف ـ وتعليق المحدثين عليه، والله تعالى أعلم.

استحباب الاحتفال بيوم الهجرة:

وفي ختام هذه الرسالة لا بد من التذكير بأن الاحتفال بيوم هجرته ﷺ هو مثل الاحتفال بيوم مولده في المشروعية، بل هو أقوى؛ مشابهة ليوم عاشوراء في أنه يوم نجى الله فيه رسوله ﷺ من مكر الذين كفروا، كما قال سبحانه: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخرجوك وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خيرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[2]، فإذا كان مشروعاً لأمة سيدنا محمد ﷺ أن تشكر الله تعالى على نجاة كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام، فشكر الله على نجاة نبيها محمد سيد الأنبياء والمرسلين في يوم هجرته أحق من جهة زيادة فضله، ومن جهة خصوصيته بهذه الأمة، والشكر كما يحصل بالصوم يحصل بأنواع العبادة ـ كما تقدم تفصيله ـ و ما يقترن بذلك من العادات المباحة، كضرب الدفوف

---

١. صحيح مسلم، ج٢، ص٨١٩.

٢. الأنفال: ٣٠.



والإنشاد، فالعادات الأصل فيها الإباحة، فلا تحتاج إلى دليل إذا فعلت في أي وقت، وفعلها سروراً بنجاته ﷺ يجعلها في معنى ضرب الدف عنده ﷺ يوم عودته سالماً، كما سبق في حديث أبي داود، وشرح أئمة الحديث له.

الخاتمة:

وليست هذه العجالة لعرض تفصيلات الأدلة، فهي أوسع كثيراً من هذه العجالة، ومن أراد معرفة الأدلة فلينظر رسالة السيوطي وأمثالها، إنما المراد هنا أن يتبين المسلم أن الاحتفال بالمولد استحبه بعض الأئمة المقتدى بهم، ولهم على ذلك أدلة شرعية، وهذا كاف في دفع تهمة الابتداع، كما سبق في كلام ابن تيمية نفسه، فإن كان يريد بقوله عن عمل الذين يعملون المولد: إنه بدعة بحسب فهمه واجتهاده، فهذا رأيه، والله لا يحاسبهم على هذا الرأي؛ لأنهم عملوا بفتوى غيره، وإن كان يريد أنهم مبتدعون عند الله، فقواعده التي تقدم ذكرها ترد عليه، وليس ضرورياً لأهل العلم في المسائل الخلافية وأدلتها أن يقتنع بها مخالفوهم فيها، وإلا لم تكن من المسائل الخلافية، والله يحاسب العلماء حسب علمهم، لا حسب علم مخالفيهم، ولو حاسبهم حسب علم مخالفيهم لم يبق عالم غير مبتدع، حتى من الصحابة، وميزان الله في محاسبة العلماء قد بينه رسول الله ﷺ بقوله: **«إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»**[1]. والله تعالى لا يأجر على البدعة.

ومعنى هذا أن الله لا يجعل من خالف باجتهاده صواب الدليل الذي يعلمه ربه سبحانه، أو رسوله ﷺ مبتدعاً، فكيف يحق لعالم مهما اتسع علمه وتحقيقه أن يجعل المبتدع هو من خالف علمه من الدليل؟! ألا يكون ـ لو فعل ذلك ـ قد

---

١ . صحيح البخاري، ج٩، ص١٠٨.

جعل لنفسه من الحق ما لم يجعله رب العالمين لنفسه؟! وادعى لنفسه أمراً لم يكن يدعيه الخلفاء الراشدون، الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**»[1].

وإذا كان الذين ينكرون الاحتفال بالمولد يدعوننا إلى اتباع الدليل بحسب فهمهم، لا بحسب فهمنا، ولا فهم الأئمة الذين استحبوا الاحتفال بالمولد، فهذه دعوة إلى التقليد، لا إلى اتباع الدليل من الكتاب والسنة النبوية، فهم ينكرون تقليد الأئمة، إلا أئمة فئتهم، فتقليدهم واجب، والخروج عنه بدعة، أما الأئمة الذين خالفوهم، فلا يجوز اتباعهم تقليداً، ولا الاتفاق معهم في فهم الأدلة؛ لأنهم مبتدعة خارجون عن مذهب السلف، رغم أن السلف لم يكن أحد منهم يبدع مخالفيه في فهم الدليل.

وإذا وجدنا في كلام بعض السلف أنه قال عن عمل يستحبه غيره: «إنه بدعة» فمعنى ذلك أنه بدعة بحسب علمه وفقهه للدليل، ولا يمكن أن يقصد بذلك أن الله يحاسب من خالفوا فقهه للدليل على أنهم مبتدعة؛ لأن هذا ـ لو قصده ـ خلاف صريح لقوله ﷺ: «**وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[2]، أما إذا كان الصواب مع مخالفيه، فحينئذ يكون ما قصده خلافاً صريحاً لقوله ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ**»[3].

أخيراً أحب أن أقول كلمة للإخوة الذين ظنوا أن عنوان الفصل الثاني من هذه الرسالة يجعل المحتفلين بالمولد والمبدعين لهم سواء في الموقف، أقول لهم: إن العبرة بالأدلة، وهي تجعل المحتفلين أقوى وأقوم موقفاً، وأما مجيء العنوان على هذا الوجه فهو على نهج قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ**

---

١ . سنن الترمذي، ج٤، ص٣٤١.

٢و٣ . صحيح البخاري، ج٩، ص١٠٨.



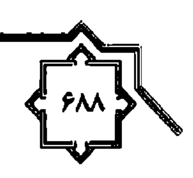
مُبِينٍ﴾[1]، والآية تخاطب الكافرين، فمخاطبة المؤمن الذي يجعلنا مبتدعين بقولنا له: «أنحن المبتدعون أم أنت؟!» جائز من باب الأولى، والله الموفق للصواب بفضله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

١ ـ سبأ: ٢٤.



المصادر

الاستذكار: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (م ٤٦٣)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (م ٤٣٠)، السعادة بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ.

سنن الترمذي: الترمذي، محمّد بن عيسى (م ٢٧٩)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م.

سنن الدارمي: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (م ٢٥٥)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

السنن الصغرى: النسائي، احمد بن شعيب (٣٠٣)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

صحيح البخاري: البخاري، محمّد بن إسماعيل (م ٢٥٦)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم: النيسابوري، مسلم بن حجّاج (م ٢٦١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.